
تفسير الكازروني
المسمى
الصراط المستقيم
في تبيان القرآن الكريم
للإمام العلامة الشيخ المفسر
نور الدين أحمد بن محمد بن خضر العمري الشافعي الكازروني
المتوفى سنة ٩٢٣هـ
تحقيق ودراسة
الأستاذ الشريف
أبي الحسن عبد الله بن عبد العزيز الشبراوي
دار الرسالة للنشر والتوزيع
القاهرة

تفسير الكازروني

المسمى

الصراط المستقيم في تبيان القرآن الكريم

للإمام العلامة الشيخ المفسر

نور الدين أحمد بن محمد بن خضر العمري الشافعي الكازروني

المتوفى سنة ٩٢٣هـ

تحقيق ودراسة

الأستاذ الشريف

أبي الحسن عبد الله بن عبد العزيز الشبراوي



بسم الله الرحمن الرحيم

وهو حسبي [١]

قال المولى الإمام أحمد العُمريُّ الشافعي الكازرونيُّ [٢] - تغمده الله برحمته - آمين [٣].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من الجنة والناس أجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم

أشرع [٤] في تبيان [٥] الفرقان [٦] المبين:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَٰنِ﴾ لعموم خلقه ﴿الرَّحِيمِ﴾ لخصوص [٧] المؤمنين [٨] ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ حين يدين العابدين والمعاندين.

يا من تلك صفات ذاته العظيم الشأن [٩]، كَيْفَ يُعبد غيرك أو يستعان ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الموصل إلى أعلى [١٠] مقامات المقربين

---

(١) كذا في نسخة (د) وهي ليست في (ح).

(٢) وفي (ن): قال الشيخ الإمام العلّامة المولى أحمد بن محمد بن خضر المدعُو بـ«نور الدين» العمريّ الشافعي الكازروني- رحمه الله-.

(٣) كذا في (د) وهي ليست في (ح).

(٤) أشرع: أبدأ، والشروع في الشيء – البدء به والمشي فيه.

(٥) تبيان: تفسير وتوضيح.

(٦) في (د) القرآن.

(٧) في (د) بخصوص.

(٨) بنى المصنف- رحمه الله- هذا على أصل أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى.

(٩) في (د): الشأن العظيم.

(١٠) في (ن): أعْلَا.

﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ من النبيين والصديقين[(١)] لا سيما سيد الأولين والآخرين محمد المصطفى الأمين، المؤيد بالقرآن المعجزة المستمرة في كل حين، وآله وصحبه الهادين المهديين، عليه وعليهم أفضل صلواتك وتسليماتك أبد الآبدين ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ بسوء صنيعهم العاصين ﴿وَلَا ﴾ الزائغين بسوء عقيدتهم ﴿ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [(٢)] آمين.

أما بعد:

فيا أيها الطالب لتفسير القرآن الكريم، ثبتك الله على الصراط المستقيم دونك[(٣)] تفسيرًا يسيرًا وجيزًا في العبارة وسيطًا، في التبيان بسيطًا[(٤)] في الفوائد كَشَّافًا لمعالم دقائق القرآن، متضمنًا لِزهاء[(٥)] عشرين ألفًا من فرائد الفوائد، متجنبًا عن الإطناب[(٦)] والزوائد، مكتفيًا في الغالب على وجه مقترن [١/ ظ] بالتصحيح، معتمدًا على حديث حسن أو صحيح [(٧)]، أو على كلام الأكثرين من أهل الترجيح، هذا مع فوائد زوائد، كخفايا وجوه ربط الآي[(٨)]، ونحو ذلك في حواشيه مما يرفع عن خُبِيَّةِ غواشيه، مسمىً بـ«الصراط المستقيم في تبيان القرآن الكريم» وسماه بعض الأبرار بـ «طوالع الأنوار»،

---

(١) كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ (النساء/ ٦٩).

(٢) الصواب أن المراد بـ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾. اليهود و﴿ٱلضَّآلِّينَ ﴾ النصارى.

(٣) «دونك» اسم فعل أمر بمعنى «خذ» والكاف فيه عند البعض كالكاف في ذلك. وهي في الأصل من الظروف، وقد جعل هنا اسمًا للفعل؛ لأن الظروف تنوب مناب أفعال وتغني غناءها، فجعلت من أسمائها. قراضة الذهب ص١٤٣.

(٤) بسيطًا – يعني: مبسوطًا، فعيل بمعنى مفعول – يعني أن فوائده كثيرة على وجازة ألفاظه.

(٥) قرابة.

(٦) الإطناب: التطويل.

(٧) كذا قال – رحمه الله – وفيه أيضًا ما دون ذلك كما سأبينه في موضعه بإذن الله – تعالى.

(٨) يعني وجوه المناسبة بين الآيات والسور، وهو فن جليل من علوم القرآن، ألف فيه الإمام البقاعي كتابًا كاملًا متضمنًا لتفسير القرآن الكريم سماه «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» طبع في عشرين مجلدة – وللسيوطي كتاب صغير في ذلك – مطبوع.

ولعمري إنه لعجالة[١] نافعة، وعلالة رائعة[٢]، تروي غليل[٣] طالبي التفسير بأوجز بيان، لا سيما[٤] لمن يُرِيْدُ تلاوة القرآن، متأملًا في المعاني ولا أقول ذلك تبُّجحًا[٥]، بل تَنصُّحًا ولكن السهو والنسيان من لوازم الإنسان[٦]، فإن رأيت خللًا[٧] فتعاون على البر وسُدّه[٨]، بل في عداد كتب القوم لا تعده إذ فرق بين القائل والمتَقَوّل[٩]، والأكْحَل والمتكَحّلْ، ولولا توالي الإلهام في بيت الله الحرام بالتصدي لهذا المقام، لَمَا كَانَ لي إليه إقْدَام؛ لِقِلّة البضاعَه، وقصور الباع في تلك الصناعه، وترك المطالعة للاشتغال بضروريات الطاعه.

وأنا العبد المفتقر نزيل بلد الله الأمين أحمد بن محمد بن خضر المدعو بـ «نور الدين العمري الشافعي الكازروني، أغرقه الله - تعالى - في تيار[١٠] بحار عطائه، وَمَنْ أَمَّنَ بدُعَائِه متقرب به إلى مالك الملك والملكوت متضرع إليه بالرغبوت[١١]

---

(١) العجالة: المختصر.

(٢) العلالة- بضم العين المهملة-: الشربة من الماء.

(٣) الغليل: العطش.

(٤) «لا سيما» كلمة «لا» لنفي الجنس، و«السيء»: المثل أصله سوى و«السيو» بكسر السين وسكون الواو أو الياء فجعلت الواو ياء، لسبق أحدهما ساكنة ثم أدغمت فصارت «سيء» وهي مبنية على الفتح منصوبة المحل على أنها اسم «لا» عند الجمهور، وما يجوز أن تكون زائدة. * قراضة الذهب ص٢٤٦، ٢٤٧.

(٥) تبجحًا: فخرًا.

(٦) كما قيل:

وما سمي الإنسان إلا لنسيه * ولا القلب إلا أنه يتقلب**

(٧) الخلل: العيب.

(٨) كما قيل:

إن تجد عيبًا فسد الخللا * جل من لا عيب فيه وعلا**

(٩) في (د): القائل والمتَقول.

(١٠) التيار: الموج، وقيل: شدة الجريان، وهو فيعال أصله: تيوار فاجتمعت الواو والياء فأدغم بعد القلب، وبعضهم يجعله من «تير» فهو فعال. * المصباح المنير (١/ ٩٧/ نور).

(١١) شدة الرغبة.

والرهبوت[١]، سائلًا منه أن ينفعني به والطالبين، وصَلّى الله وسَلّم على محمد وآله وصحبه والتابعين.



---

(١) شدة الرهبة.

[ولْنَبْدَأْ الكتاب بمقدمة ينتفع بها الطلاب][١]

❋ مقدمة ❋

يَنْبغي للشَّارِع في كل علم قبل الشروع فيه معرفة ماهيته وموضوعه ليكون على بصيرة، والغرض منه؛ لَئلاَّ يُعْدَّ سَعْيُهُ عَبَثًا[٢]، ودليله واستمداده؛ ليعينه على تحصيله - فنقول:

أَصْلُ التفسير: الكَشْفُ والإبانة[٣]، وأصل التأويل: الرجوع والكشف[٤] وعلم التفسير: علم يُبْحَثُ فيه عن أحوال القرآن المجيد، مِنْ حَيْثُ دَلَالتهُ على مراده بحسب الطاقة البشرية، ثم[٥] هو قسمان:

❋ تفسير - وهو ما لا يُدْركُ إلَّا بالنَّقْلِ، كأسباب النزول.

❋ وتأويل - وهو ما يمكن إدراكه بالقواعد العربية فهو[٦] ممَّا يتعلق بالدراية.

والسر في جواز التأويل بالرأي بشروطه دون التفسير: أنّ التفسيرَ كشَهَادَةٍ على الله وقَطْعٌ بأنه عنى بهذا اللفظ هذا المعنى، فلا يجوز إلا بتوقيف، ولذا جزم الحاكم[٧] بأن تفسير الصحابي مطلقًا في حكم المرفوع[٨]، والتأويلُ: تَرْجِيْح لأَحَد المُحْتملات بِلَا قطع فاغتفر.

---

(١) كذا في (ن)، وفي (د): وقدَّمْتُ الكتاب... إلخ.

(٢) في (د) عنتا.

(٣) واشتقاقه من «الفسر» بفتح الفاء وسكون السين المهملة، وهو إظهار المعنى المعقول.
❋ الكليات (٣/ ٣٣)، التوقيف (٥٥٧).

(٤) التأويل: رد الشيء إلى الغاية.

(٥) كذا في (د)، و(ن).

(٦) في (د): مما.

(٧) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري صاحب المستدرك المتوفى سنة ٤٠٥هـ.

(٨) معرفة علوم الحديث - للحاكم (١٤٩) - ذكر النوع الخامس.
- قلت: وهذا ليس على إطلاقه، وقد غَلَّطَ المحدِّثُون أبا عبد الله الحاكم في ذلك.
❋ وانظر: فتح المغيث (١/ ١٤٣)، تدريب الراوي (١/ ١٩٣).

*** تنبيه:**

وردت[١] أخبارُ كثيرة في وعيد من فسره برأيه، واسْتَدلَّ بِهَا جَماعَةٌ على تحريم التكلُّم بغير المسموع، وإطلاقُ ذلك[٢] باطل؛ إذْ مَا سُمِعَ من النبيّ - ﷺ - إلا في بعض الآيات، والصحابة ومن بعدهم اختلفوا اختلافًا كثيرًا لا يمكن جمعه ولا سماعه منه[٣] - ﷺ - والأخبار والآثار تدل على اتساع معانيه، فالنهي إما عن تفسيره من غير علم[٤] أو تأويله على وَفْق ما للمؤول من رأي فاسد[٥] أو صحيح مع علمه بأنه ليس بمراد كتأويل: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [طه: ٢٤] بمجاهدة النفس[٦]، أو عن التسارع إلى الباطن قبل إحكام الظاهر، أو عن التفسير في محَلِّ التأويل[٧]، وقد جعل الله القرآن أصلًا لكل ما يُحْتاجُ إليه، ولَيْسَ كله منصوصًا فلابد من الاستخراج بالرأي بالعرض على الأصول والله - تعالى - أعلم.

---

(١) في (ن)، ،(د): ورد أخبار وآثار.

(٢) كذا في (د)، و(ن).

(٣) بل هذا ممكن ولذا قسم العلماء التفسير إلى تفسير بالمأثور وبالرأى.... إلخ.

(٤) وهو الراجح. وفي (ن): علمه.

(٥) وردت أحاديث عن النبي - ﷺ - في ذلك، ومنها:

* «**من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار**». رواه الترمذي (٥/ ٢٩٥٠)، وأحمد (١/ ٢٣٣)، والنسائي (٥/ ٨٠٨٤) والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ١٢٣٩٢)، والبغوي في شرح السنة (١/ ١١٧). وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٧٣٧)، والمشكاة (٢٣٤).

* و«**من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ**». رواه أبو داود (٣/ ٣٦٥٢)، والترمذي (٥/ ٢٩٥٢)، والنسائي (٥/ ٨٠٨٦)، والبغوي (١/ ١٢٠). وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٧٣٦)، والمشكاة (٢٣٥).

قلت: لكن يدخل التحريم في عموم آية: ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

قال الصديق - رضي الله عنه -: «أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله برأيي».

أخرجه الطبري (١/ ٧٨)، وابن عبد البر في الجامع (٢/ ٦٤) إلى غير ذلك من الآثار والأخبار.

(٦) وهذا من التفاسير المنحرفة للقرآن الكريم.

(٧) التفسير في العرف: كشف معاني القرآن وبيان المراد، والمراد من معاني القرآن أعم، سواء كانت معاني لغوية أو شرعية.

وأما التأويل: فهو صرف اللفظ إلى بعض الوجوه؛ ليكون ذلك موافقًا للأصول.

التيسير في قواعد علم التفسير - للكافيجي (١٢٤، ١٢٥)، البرهان (٢/ ١٤٩)، الإتقان (٤/ ١٦٨).

❁ موضوعُ علم التّفسِيْر ❁

وموضوعه: القرآنُ مِنَ الحَيْثِيَّةِ[١] المَذْكُورَةِ، والقرآن[٢]: الكَلَامُ العَربيُّ المنزل على محمد - ﷺ - المُتحَدَّى به بأقصر سورة منه، المنقول تواترًا [٣].

❁ **ودليله:** الكتاب والسنة، ولفظ العرب العرباء.

❁ **واستمداده:** من علمي أصول الدين والفقه.

❁ **والغرض منه:** معرفة الأحكام الشرعية العلمية والعملية.

ثم لما أمرنا بالاستعاذة قبل القراءة بدأنا بتفسيرها، وهي طلب الصيانة من الله عن الآفات بإفاضة الخيرات: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ﴾ أي: ألتجئ إليه ﴿مِن﴾ شر ﴿الشَّيْطَانِ﴾ أي: متمرد الجن فقط، أو الإنس أيضًا، مِنْ شَطَنَ، أي: بَعُدَ؛ لبعده عن الرحمة أو الصَّلَاح، أو شاط[٤] أي: بطل، والأول أظهر؛ لاستعمال نحو الشيطنة.

والجنُّ: أجْسَامٌ عاقلة خفية، تغلب[٥] عليها النارية أو الهوائية، وهي إما مشرقة سعيدة، وهم صالحوهم، أو كدرة شقية[٦] وهم الشياطين[٧] وحذف الشر؛ لأن الحيثية ملحوظة، والشيطان من هذه الحيثية شر، ولامه للجنس أو للعهد؛ لأنَّ كُلَّ المَعَاصي بأمره.

﴿الرَّجِيمِ﴾ أي: المرجوم المطرود، أو المشتوم[٨]، أو الراجم للناس بالوسوسة[٩].

---

(١) قال الكافيجي: وإنما قيده بهذه الحيثية؛ ليكون ممتازًا عن موضوع العلم الآخر، فإن الكتاب داخل - إن لم يقيد بها - تحت موضوع علم الأصول من حيث إنه يستفاد منه الأحكام إجمالًا.
❁ التيسير (١٥٧، ١٥٨).

(٢) القرآن لغة: وزنة «فعلان» كالرجحان والغفران، وهو في اللغة: الجمع، قال الجوهري: تقول: قرأت الشئ قرآنًا، إذا جمعته وضممت بعضه إلى بعض، وقال أبو عبيدة: سمى القرآن قرآنًا؛ لأنه يجمع السور ويضمها وكذا يشتمل على الشرائع والحكم وعلى العلوم الكثيرة، وعلى أنواع البلاغة، وعلى غير ذلك، وقيل: إنه مأخوذ من قرنت الشيء بالشيء. ❁ التيسير (١٦٠)، الإتقان (١/ ١٤٦).

(٣) التيسير (١٦١)، بصائر ذوي التمييز (١/ ٨٤).

(٤) أي احترق.

(٥) في (د): يغلب.

(٦) في (ن): والمشرقُ السعيدُ منها: صالحوها. والكدرُ الشقيُّ منها: الشياطين.

(٧) في (د): المشرق: السعيد منها صالحوها، والمكدر: الشقي منها الشياطين.

(٨) في (د): المشئوم.

(٩) أو المرجوم حقيقة كما في مناسك الحج.



سورة فاتحة الكتاب

❁ تعريفُ السورة ❁

«سورة» **سُوْرَةُ القُرْآن**: الطائفة المترجمة منه [1]، فخرج نَحْو آية الكُرْسيّ؛ لأنه مجرد إضافة ما وصل إلى حَدِّ التَّسْمِيَة، وقيَّدَ بَعْضٌ بأنّ السورة أقلها ثلاث آيات، وهو للتوضيح للطائفة ليبين خروج نحو آية الكرسي؛ إذْ لَوْ كان قَيْدًا؛ لَمَا صَدَقَ على شيء من السُّور، ولو عُرِّفَتْ بـ«طائفةٍ مترجمة منه تتضمن ثلاث آيات؛ لاستغنينا عن ذلك التكلف»- والله أعلم.

❁ تعريف الآية ❁

والآية: طائفة [٢ظ] من كلمات القرآن متميزة بفَصْل تُسَمَّى الفاصلة.

«فاتحة» فاتحة الشيء أوَّلُهُ، مصدرٌ بمعنى المفعول، أو صِفَةٌ جُعلَتِ اسمًا لها، والتاء للنقل كالذبيحة.

«الكتاب» هو القرآن، يطلق على مجموع ما في المُصْحَف، وعلى القدر المشترك بينه وبين أجزائه، ففاتحة الكتاب أول أجزائه أو أول أفراده، وصارت بالغلبة علمًا جنسيًّا لهذه السورة، لا شخصيًّا؛ لأنها من الأعراض التى لا تتشخَّصُ إلَّا بتشَخُّص محالها إلا عند من قال: هي اسم ما كُتِبَ أوَّلًا في اللَّوْح. ومقرُوْءَا اتنا مثله، لا عينه.

❁ أسمَاءُ الفَاتِحَة ❁

ولها أسْمَاءُ أُخَرُ، «كالفاتحة» إنْ قُلْنَا لَا مُهَا لازِمَة لا بدلٌ عن الإضافة، «وأُمُّ الكتاب» لاشتمالها على أصول مقاصده الثلاثة: الثّنَاءُ على الله، والتّعَبُّدُ، والوعدُ والوعيد، وسورة الأساس، والكنز، والنور، والوافية، والشافية، والواقية والكافية، والشفاء، والرقية، والحمد، والمناجاة، والتفويض والسبع المثاني؛ لتكرر قراءتها في

---

(١) السورة من القرآن القطعة المفتتحه بالبسملة المختمة بخاتمتها، سميت بذلك؛ لأنها محيطة إحاطة السور بالمدينة. وقيل: سميت بذلك؛ لرفعتها. والسورة: المنزلة الرفيعة.* عمدة الحفاظ (٢/ ٢٣٢).

الصلاة إلا نادرًا كركعة واحدة نافلة، أو لنزولها في الحَرَمَيْن، وسورة الصلوات، والصلاة لِحَدِيث: «قَسَمْتُ الصَّلَاةَ»(١).

* وهي مكية أو مدنية. أو نزلت مرتين، أو نصفها بها ونصفها(٢) بها والأَصَحُّ أَنَّ المكية ما نزلت(٣) قبل الهجرة، والمدنية ما [نزلت](٤) بعدها: ولو بمكَّة.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿بِسْمِ﴾ الباء للاستعانة أو المصاحبة(٥)، ففحواه متبركًا أو مستعينًا، باسم الله أقرأ أو أبتدى، والأول(٦) من التقديرين أولى؛ إذ في التبرك تعظيم ليس في جعله آلة غير مقصودة بالذات، وفي ﴿ اقْرَأْ ﴾(٧)، رعاية لمقتضى المقام(٨) وعموم للجميع ولا يختص بالابتداء وتأخير التقدير للاختصاص وتقديم الباء والاسم لا يقدح في الابتداء باسم الله، إذ المراد ما صَدَقَ عَلَيْه اسم الله، والباء آلة وبهذا بان تَرْجِيْحُ ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ على «بالله» مع قطع النظر عن الفرق بين اليمين والتيمن، وأنَّ التَيَمُّنَ باسمه- تعالى- لا بذاته، ثم(٩) التبرك بالألفاظ إجراؤها على اللسان وَإِحْضَارُ معانيها بالبال وبالمعاني بالعكس.

---

(١) يشير إلى حديث أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تبارك وتعالى: قسمت الصلاة بينى وبين عبدي نصفين، فنصفها لعبدي ونصفها لى...**» الحديث. رواه أحمد (٢/ ٢٤١، ٤٥٧، ٤٧٨)، ومسلم (٣٩٥) وأبو داود (٨٢١)، و النسائي (٢/ ١٣٥، ١٣٦).

(٢) قال قتادة: هي مكية، قال ابن حجر في الفتح (٨/ ١٥٩): وهو قول الجمهور، خلافًا لمجاهد قال الحسين بن الفضل: هذه هفوة من مجاهد؛ لأن العلماء على خلاف قوله.

* وانظر: النكت والعيون- للماوردي (١/ ٤٥).

(٣) في (ن): نزل.

(٤) مني للتوضيح.

(٥) انظر: رسالة البسملة – للعلامة الخادمي – ص ٨، ٩.

(٦) في (ن): والأولان.

(٧) يعني في سورة العلق ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾.

(٨) يعني ولم يقل: باسم ربك اقرأ.

(٩) في (ن): والتبرك.

﴿اللَّهِ﴾ أي: الذات المُسْتَجْمع لجميع صفات الكمال، عربيٌّ مرتجل جامد[١]، وعند الزمخشري أنه اسم جنس صار عَلَمًا من أَلَهَ بمعنى: تَحَيَّر أو غيره[٢].

﴿الرَّحْمَٰنِ﴾: المتفضل بإرادة الخير لكل الخلق.

﴿الرَّحِيمِ﴾: مُرِيْدُهُ للمؤمنين، وأصل الرحمة: رِقَّةُ قَلْبٍ تقتضي التَّفَضُّل، وإطلاقها على الله- تعالى- باعتبار الغاية كنظائرها من الصفات و«الرحمن»؛ لزيادة بنائه[٣] أبلغ من الرحيم [٣و] إما كَمًّا بشُمُوْل الرحمة للدارين، أو بكثرة المرحومين، وإما كيفا، بجلالتها ورقتها وإرادته- تعالى- الخَيْرَ لذَاتِهِ والشر لخير في ضمنه، وقَدَّمَ «الرّحْمن» والقياس الترقي؛ لزيادة شبهه بالله اختصاصًا[٤].

* **مسألة:** التسمية آيةٌ من الفاتحة[٥] عند أكثر العلماء، خلافًا لأبي حنيفة[٦] ومالك، كما ثبت في الحديث، ويكتفى بالأحادِي في وجوب العملي ورواية الصحيحين عن أنس- أنه- ﷺ - وأبا[٧] بكر وعمر كانوا يستفتحون القرآن بالحمد لله رب العالمين[٨] لا تنهَضُ حُجَّةً على الشافعي، إذ معناه الابتداء بهذه السورة وهذه الكلمات اسمها، وروي عن أنس ثلاث روايات أُخَر تعارضها[٩].

وروى البيهقي[١٠] الجهر بها عنه- ﷺ- وعن عُمَرَ وابن عمر وابن عباس وابن

---

(١) وقيل: هو مشتق. وانظر: رسالة البسملة للخادمي (١٧) ومقدمات مصنفات العصور المتأخرة.

(٢) الكشاف (١/ ٦) قال: وصيغة هذا الاسم وصيغة قولهم: أله، إذا تحير، ومن أخواته: دله وعله، ينظمهما معنى التحير والدهشة وذلك أن الأوهام تتحير في معرفة المعبود وتدهش الفطن.

(٣) لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى.

(٤) لأنه لا يطلق إلا على الله – تعالى.

(٥) انظر في هذه المسألة: الإنصاف – لابن عبد البر (٥)، ومسألة التسمية – لابن طاهر المقدسي (٣)، والبسملة لأبي شامة المقدسي (١٨) ومختصره للذهبي (١١).

(٦) في (د): للحنفية.

(٧) كذا، وهو جائز.

(٨) رواه البخاري (٧٤٣)، ومسلم (٥٢/ ٣٩٩).

(٩) الصحيح الإسرار بالبسملة في افتتاح قراءة الفاتحة والجهر بها منسوخ – والله أعلم.

(١٠) سنن البيهقي (٢/ ٤٢) و (٢/ ٤٩). وانظر خلافيات البيهقي – لابن فرح (٢/ ٥٣).

الزبير، وتواتر ذلك عن علي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - طول عمره، وأيضًا رواية الجهر ثبوتية فيُقَدَّم[١] روايـة. ﴿ٱلْحَمْدُ﴾: أي: كُلّ أفـراده أو ماهيتـه وحقيقتـه، وهُـوَ[٢] لغـة: الوَصْـفُ عَلَـى الجميل الاختياري هو أو أثره تعظيمًا[٣].

وعرفًا: فعل يُنْبِئُ[٤] عن تعظيم المنعم؛ لإنعامه، [وأما الحمد العرفي والشكر العرفي[٥]: صرف العبد جميع ما أنعم الله عليه فيما أعطاه لأجله كما فَصَّلَهُ الشارع[٦]][٧].

واصطلاحًا: إظهارُ الصِّفَات الكمالية قولًا أو فعلًا أو حالًا، [منه: حمده - تعالى - ذاته بإيجاد كل موجود][٨].

﴿لِلَّهِ﴾ أي: مختصٌ[٩] به، أَمَّا عَلَى الأول؛ فلأنه لا اختيار لغيره - تعالى - وأَمَّا على الأخيرين فلاستناد كل الممكنات إليه - تعالى - ابتداء، إذ المذامّ[١٠] لا ترجع إليه، إذ لا ذمّ في الإفاضة بل في الاتصاف بالمذموم، على أنه إنما خلقه لخير في ضمنه كَمَا مَرّ.

﴿رَبِّ﴾ [أصله[١١] بمعنى التربية و][١٢] هو لغة: تبليغ الشيء إلى كماله شيئًا فشيئًا أطلق عليه - تعالى - للمبالغة.

---

(١) يعني العمل بها.

(٢) أي: الحمد.

(٣) المفردات (١٨٦)، والكليات (٢/ ١٩٨)، والتوقيف (٢٩٥) والتعريفات (٩٨) وتعريفات ابن الكمال (٨٣).

(٤) يشعر.

(٥) الكليات (٣/ ٧٤)، التوقيف (٤٣٥).

(٦) وأما الشكر اللغوي فهو الوصف بالجميل على جهة التعظيم على النعمة من اللسان والجنان والأركان. * التوقيف (٤٣٥).

(٧) ساقطة من (ح) وأثبتها من (د).

(٨) ساقطة من (ح) وأثبتها من (د)، و(ن).

(٩) فاللام أفادت الاختصاص.

(١٠) جمع: مذمة.

(١١) ولا يقال مطلقًا إلا للباري - تعالى -.

(١٢) ساقطة من (ح) وأثبتها من (د). * عمدة الحفاظ (٢/ ٦٠/ ريب).

﴿ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ جمع عالم[١]، وَهُوَ كُلُّ ما يعلم به الصانع، وهو كل ما سواه، وأَفَادَ بجَمْعِهِ شُمُوْله لكل جنس تحتَهُ، وباللام استغراقه لكُلِّ جنس، وأفراده، أو المراد الإنسان؛ لأنه عالم أصغر[٢] بل أعظَمُ فإنه مختصر الحَضْرة الإلهية وجودًا وحياةً وعلمًا وقدرةً وإرادةً وسمعًا وبصرًا وكلامًا، ومُخْتصر العالم فإنه في الطبائع كالعناصر وبالتركيب كالمعادن وبالغذاء والتوليد كالنبات وبالحس والتوهم والتخيل والتلذذ والتألم كالحيوان، وبالجرأة كالسبع وبالمكر كالشيطان وبالمعرفة كالملك وباجتماع الحكم فيه كاللَّوح وبثبوت صور الأشياء في القلوب بكلياته كالقلم الأعلى ولهذَا سوَّى بَيْنهُمَا في آيةِ: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾.

وإنما جمع العقلاء تغليبًا لهم [٣ظ] أو لأنهم المقصودون وترتب الحمد عليه ظاهر وَلَو على إيجاد الشر؛ لتَضَمُّنِهِ الخير كَمَا مَرَّ[٣].

﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ تَأْكِيْد لاستحقاقه الحمد، أو الأول لتسكين هيبة اسم الله، والثاني لترجية بالمخوفين بيوم الدين، هذا إذا وجبت التسمية كما مر.

﴿مَـٰلِكِ﴾ من المِلْك- بالكسر[٤]- المتصرف في الأعيان المملوكة و«مَلِك» من المُلْك- بالضم[٥]: المتصرف بالأمر والنهي في كل المأمورين، والثَّاني المختار[٦]؛ لتُوافق الفاتحة الخاتمة وللزوم التكرار بـ «مالك» لأن الرب بمعناه، ولأنه أعم حياطة

---

(١) بفتح اللام وهو لغة: ما يعلم به الشيء. وعرفًا: كل ما سوى الله من الموجودات.
* التعريفات (١٤٩)، التوقيف (٤٩٦).

(٢) يشير إلى قول المتكلمين: العالم عالمان: كبير، وهو الفلك وما حواه من جوهر وعرض، وصغير وهو الإنسان؛ لأنه مخلوق على هيئة العالم، وأوجد الله فيه كل ما أوجده في العالم الكبير. * التوقيف (٤٩٦).

(٣) سبق بيانه.

(٤) الملك – بكسر الميم – في اصطلاح المتكلمين: حالة تعرض للشيء بسبب ما يحيط به وينتقل بانتقاله كالتعميم والتقميص، فإن كلا منهما حالة لشئ بسبب إحاطة العمامة برأسه والقميص ببدنه وفي اصطلاح الفقهاء: اتصال شرعي بين الإنسان وبين شيء يكون مطلقًا لتصرفه وعاجزًا عن تصرف غيره فيه. * التوقيف (٦٧٤، ٦٧٥).

(٥) الملك- بالضم-: التصرف بالأمر والنهي في الأمور، وذلك يختص بسياسة الناطقين. * التوقيف (٦٧٥).

(٦) يعني: بضم الميم.

وأقدر، لا لأنه قراءة أهل الحرمين[١] وهم أعرف بلغتهم؛ لأن السبعة كلها متواترة وهم ما قرؤا إلَّا مَا سَمِعُوا.

إلَّا أنْ يُقَال: كل الروايات وصلت إليهم وهم ما اختاروا للرواية إلا ما كان أفصح[٢]- والله أعلم.

﴿يَوْمِ﴾ أي: وَقْت.

﴿الدِّينِ﴾ أي: الجزاء، أي: هو مالكه مستمرًا، ولا يرد عدم استمرار يوم الدين؛ لأنه مالك الأشياء أَزَلًا وأبدًا، ولا يتغير بوجودها إلَّا تعلق ملكه. والإضافة لتعظيم المضاف إليه أو المضاف، وَلظُهُوْر تفرده بنفوذ الأمر فيه، وآثر الأسماء الخمسة[*]؛ لأن العبادة تقتضي الإلهيّة[٣] والاستعانة للربوبية، والاستهداء للرحمانية، والاستغاثة للرحيمية والإنعام للمالكية عند الاستعانة كالغضب عند الإخلال بها، ثُمَّ لَمَّا تَميَّز عنده بهذه الصفات فكأنه صار مُشَاهدًا، وقال: يَا مَنْ هَذِه صفاته:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أي: نَخُصُّكَ بالعبادة أي: أقصى غاية التذلل تعظيمًا وبوسيلتها.

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي: نَخُصُّك[٤] بطلب المعونة في أداء العبادات أو كل المهمات، ويبين الأول أو الفرد الأعظم من الثاني في قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

---

(١) قال الإمام الواحدي: ويقرأ هذا الحرف بوجهين «مالك» و «ملك».

فمن قرأ «ملك» قال: الملك أشمل وأتم؛ لأنه يكون مالك ولا ملك له، ولا يكون ملك إلا وله ملك، فكل ملك مالك، وليس كل مالك ملكا ويقوى هذه القراءة قوله- تعالى-: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ (طه/ ١١٤)، وقوله: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ (الحشر/ ٢٣)، وقوله: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ (غافر/ ١٦)، ولم يقل المالك.

ومن قرأ «مالك» فلأنه أجمع وأوسع؛ لأنه يقال: مالك الطير والدواب والوحوش وكل شيء، ولا يقال: ملك كل شيء، إنما يقال: ملك الناس، ولا يكون مالك الشيء إلا وهو يملكه، وقد يكون ملك الشيء وهو لا يملكه كقولهم: ملك العرب والعجم.

الوسيط (١/ ٦٧)، النكت والعيون – للماوردى (١/ ٥٥)، السبعة – لابن مجاهد (١٠٤).

(*) يعني: «الله، رَب، الرحمن، الرحيم، مَالِكِ».

(٢) القراءات أكثر من سبعةٍ.

(٣) كذا في (د)، و(ن).

(٤) يعنى قدم المفعول ﴿إِيَّاكَ﴾ على الفعل ﴿نَعْبُدُ﴾؛ لإفادة الاختصاص.

الغير المعوج[١]، أي: الإسلام[٢]، أي: ثبتنا عليه، أو زدنا الهداية، والهداية[٣]: دلالة بلطف[٤]، وتستعمل في الشر تهكُّمًا[٥]، وأجناسها خمسة مترتبة: وهي إضافة قُوىً يتمكن بها من الاهتداء، ونصب الدلائل وإرسال الرسل والكشف والتوفيق، والأخير هو الممنوع عن نحو الظالمين أينما وقع في القرآن. ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ أي: النبيين وأقرانهم، والإنعام: إيصال النعمة[٦] إلى أولي النطق، والنعمة: ما يستلذ به دنيوية أو أخروية، والدنيوية مَوْهبية وكسبية، والمَوْهبية: روحانية وجسمانية والكسبية: تزكية النفس أو تزيين البدن [٤و] والأخروية رضوانه- تعالى- والمراد هو وما يكون وصلة إليه[٧].

﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ بإرادة انتقامهم كاليهود أو الفُسَّاق.

والغضب: ثوران النفس لإرادة الانتقام فالمراد غايته.

﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ المائلين عن الحق كالنصارى أو الكفرة.

* **والضَّلَالُ**: سُلُوْكُ طَرِيقٍ لا تُوَصِّلُ إلى المطلوب[٨]، وهو كثير، والصواب واحد، إذ الصواب من الشيء يجري مجرى القرطاس من المرمى.

ويستحب لقارئها بعد سكتة قول: «آمين» أي: استجب أو[٩] افعل.

---

(١) أو هو الطريق الواضح ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ تُوعِدُونَ ﴾ (الأعراف/ ٨٦).
* النكت والعيون (١/ ٥٨).

(٢) أو هو القرآن أو الطريق الهادي إلى دين الله –تعالى –أو هو رسول الله –ﷺ –وأخيار أهل بيته وأصحابه قال ابن كثير (١/ ٢٨): وكل هذه الأقوال صحيحة وهي متلازمة فكل من اتبع النبي –ﷺ –واقتدى باللذين من بعده –أبي بكر وعمر فقد اتبع الحق، ومن اتبع الحق فقد اتبع الإسلام ومن اتبع الإسلام فقد اتبع القرآن، وهو كتاب الله وحبله المتين وصراطه المستقيم، فكلها صحيحة يصدق بعضها بعضًا ولله الحمد.

(٣) الوسيط (١/ ٦٨).

(٤) إلى ما يوصل إلى المطلوب – التعريفات (٢٧٧)، المفردات (٧٨٤)، الكليات (١/ ٣٨٥).

(٥) كقوله- تعالى-: ﴿فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ﴾.

(٦) في (ن): النعماء.

(٧) في (د)، و(ن).

(٨) أو هو فقد ما يوصل إلى المطلوب.
وقال الراغب: الضلال: العدول عن الطريق المستقيم ويضاده الهداية ويقال: الضلال لكل عدول عن المنهج عمدًا أو سهوا قليلًا أو كثيرًا. * التوقيف (٤٧٤).

(٩) فهو اسم فعل أمر.



سورة البقرة(١) - مدنية(٢)



لما ختم السورةَ التي هيَ أُمّ القُرْآن المشتملة على مطالبه(٣) مُجْمَلًا، أخذ في تفصيلها مبينًا أن ذلك الكتاب الذي عرفته مجملًا لا ريب فيه أَصْلًا(٤) فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿الٓمٓ﴾ هذا وأمثالُهُ سِرٌّ بَيْنَ اللهِ وبَيْنَ حبيبه، أو استأثره الله بعلمه، وتكليفنا بالتكلم بما لا نفهمه كتكليفنا بعَمَلٍ لا نعرف حكمته اختيارًا لانقيادنا.

* **وعَنْ ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أنها إشارة إلى:** أنا الله أعلم(٥).

وهكذا قالوا في ﴿الٓمٓصٓ﴾ أنا الله أَعْلَمُ وأفصل و﴿الٓر﴾ أنا الله أرى، و﴿الٓمٓر﴾ أنا الله أعلم وأرى، و﴿كٓهيعٓصٓ﴾ كَافٍ هَادٍ رَحِيمٌ عَلِيْمٌ صَادِقٌ و﴿طه﴾ طاهرٌ هادٍ، و﴿طسٓمٓ﴾ طَوْلُهُ(٦) وسناؤه(٧) وملكه و﴿صٓ﴾ صمد، و﴿حمٓ﴾ حكيم ملك، و﴿حمٓ عٓسٓقٓ﴾ حلمه مجده، علمه، سناؤه وقدرته و﴿قٓ﴾ قدير، و﴿الٓر﴾ و﴿حمٓ﴾

---

(١) في هامش (د): سورة البقرة مدنية آياتها مائتان وثمانون وست آيات، وعند البصريين سبع غير آية: «﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ﴾ ثم نزلت الأنفال كلماتها (٦١٣١) وحروفها (٢٥٥٠٠).

وقد درج المؤلف - رحمه الله - على هذا النهج، إلا في النصف الأخير.

وانظر: عدد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه - لأبي القاسم ابن عبد الكافي ص ١٩٥.

(٢) باتفاق ونزلت بعد سورة النحل ونزل بعدها سورة آل عمران.

* فضائل القرآن - لابن الضريس (٣٤)، الناسخ والمنسوخ - للنحاس (٢/ ٣١٦)، البيان - للداني (١٣٦)، تفسير ابن كثير (١/ ٣٧).

(٣) يعني على مطالب القرآن.

(٤) هذا من علم المناسبات بين السور، وقد التزم المصنف - رحمه الله - هذا المنهج في كتابه هذا كله.

* وانظر: نظم الدرر - للبقاعي (١/ ٨٦).

(٥) تفسير الواحدي (١/ ٧٦) وهو الوسيط، تفسير ابن عباس (٩) والأثر: رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٢٧)، وابن جرير في تفسيره (١/ ٨٨)، وسنده ضعيف جدًّا.

* وانظر الوجيز - للواحدي (١/ ٩٠)، البحر المحيط (١/ ٣٤)، تفسير الفخر الرازي (٢/ ٦).

(٦) نعمته.

(٧) نوره وعلوه.

و﴿نٓ﴾ إشارة إلى الرحمن[١].

ولعلهم عنوا به أنها منبع الأسماء ومبادئ الخطاب، ومثلوها بأمثلة حسنة.

[وكذا ورد عنهم غير هذا أيضًا][٢].

* ومن عجائب ما رُوْعِيَ فيها أنَّها كُلّها نِصْفَ الحروف المعجمة[٣] مشتملًا على أنصاف جميع أنواع الحروف[٤]، وما لم يكن له نصف صحيح أتي بالنصف الأقل منهما فيما هو قليل الاستعمال وبالأكثر منهما فيما هو كثير الاستعمال كما بُيِّنَ في المطولات[٥].

[ونبَّه بذكرها مفردة[٦] وثنائية[٧] وثلاثية[٨] ورباعية[٩] وخماسية[١٠] على أن أصول الكتاب كأصول كلامهم كذلك[١١]، وبذكر ثلاث مفردات في ثَلَاثِ صُوَرٍ على وُجُوْدِها في الأقسام الثلاثَة للكلمة، وبذِكرِ أربع ثنائيات عَلَى كَوْنها أربعَة أقسامٍ بلا حذف في الحرف، وبه في الفعل، وبه وبدونه في الاسم وبتخصيصها بتسع صُوَرٍ على وقوعها في أقسام الكلمة على ثلاثة أوجه كمن، إن، ذو[١٢]، ....

---

(١) لا يعلم معاني هذه الحروف إلا الله – تعالى – وهذه الحروف سر الله – تعالى – في القرآن.

* الوسيط (١/ ٧٥) أقول: ومن فسرها فقد جازف.

(٢) ما بين المعكوفتين من (د)، و(ن).

(٣) النكت والعيون – للماوردي (١/ ٦٤).

(٤) وحروف المعجم كلها (٢٨) حرفًا ونصفها (١٤) وهذا صحيح، فمجموع الحروف المقطعة في القرآن في قولك: «نص حكيم قاطع له سر»: (١٤).

(٥) أنوار التنزيل للعلامة البيضاوي (٦).

(٦) يعني كما في (ص، ق، ن).

(٧) كما في (حم).

(٨) كما في (الر، ألم).

(٩) كما في (المر، المص).

(١٠) كما في (كهيعص، حمعسق).

(١١) قال البيضاوي في أنوار التنزيل (٦): إيذانًا بأن المتحدى به مركب من كلماتهم التي أصولها كلمات مفردة مركبة من حرفين فصاعدا إلى الخمسة... إلخ.

قلت – أبو الحسن -: وهذا تمحل لا دليل عليه – والله المستعان.

(١٢) في الأسماء.

وقل، بع[١]، وإن، من، مذ الجارة[٢]، وبذكر ثلاث ثلاثيات على وقوعها في الأقسام الثلاثة، وتخصيصها بثلاث عشرة سورة على[٣] أن أصول أبنية الثلاثي ثلاثة عشر، عشرة للاسم، وثلاث للفعل، وبذكر رباعيين وخماسيين على أن لكل منهما أصلًا[٤] وملحقًا[٥]- والله أعلم][٦].

﴿ذَٰلِكَ﴾ هذا ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ القرآن المكتوب، ويجوز اتحاد المشار إليه وبه، إذا لوحظ ضمنًا مثل ذلك، وقد مر له معنى آخر أي: في بيان ربط السورتين منه ﴿لَا رَيْبَ﴾ أي: لا شك ﴿فِيهِ﴾ أي: في أنه من الله لو تأمل فيه عاقل ﴿هُدًى﴾ دلالة عظيمة إلى الحق ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ الصائرين إلى التقوى، وهي: فرط الصيانة، وشرعًا: وقاية النفس عما يضرها في الآخرة[٧].

ومراتبها ثلاث: التوقي عن العذاب المخلد، ثُمَّ عَنْ كُلِّ مأثم ثم عما يشغل السر عن الحق.

ومن الأولى: ﴿كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ وَمن الثانية: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ...﴾ الآية ومن الثالثة: ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾.

وخَصَّهم؛ لأنهم المنتفعون به، بل غيرهم يَضِلُّ به [٤ظ] كغذاء صالح يزيد صحة الصحيح وسُقْم السقيم، كما أفادتْهُ آية[٨]: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾.

---

(١) في الأفعال.

(٢) في الحروف.

(٣) في البيضاوي (٦): تنبيهًا على أن أصول الأبنية المستعملة ثلاثة عشر، عشرة للأسماء وثلاثة للأفعال ورباعيتين وخماسيتين.

(٤) كجعفر وسفرجل.

(٥) كقردد وجحنفل. وفي (ن): مخلصًا.

(٦) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح) وهو في (د).

(٧) التقوى: تجنب القبيح خوفًا من الله، وأصلها: الوقاية.

وهي أيضًا: التحرز بطاعة الله عن عقوبته، وهو صيانة النفس عما تستحق به العقوبة.

* تعريفات الجرجاني (٦٨)، الكليات (٢/ ٨٠)، التوقيف (١٩٩).

(٨) كذا في (د)، و(ن).

﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ الغائب عن الحواس إجمالًا.

«**تنبيه**»: الإيمان: التصديق بما علم ضرورة أنه من دينه- ﷺ- إجمالًا فيما علم إجمالًا، وتفصيلًا فيما علم تفصيلًا.

وعند المحدثين والسلف: اعتقاد بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان[(١)]. فالإخلال بالاعتقاد نفاق وبالإقرار كفر وبالعمل فسق.

* [والعمل ليس جزءًا من حقيقته[(٢)] حتى يلزم من عدمه عدمه كما هو مذهب المعتزلة من إثبات المنزلة بين المنزلتين لمرتكب كبيرة، ومذهب الخوارج من إثبات الكفر لمن أذنب بَلْ هُوَ جُزْءٌ عرفي له كالظفر والشعر واليد لِزَيْد وكالأغصان للشجرة والإيمان هو القدر المشترك بينَهُ وَبيْنَ التصديق، وبينه وبين الأعمال، فيطلق على التصديق وعلى المجموع حقيقة كإطلاق الشجر على ساق أو على مجموع الساق والأغصان والشعب والأوراق، فما يقي الساق لا يقال بانعدامه، وسيأتي تحقيق الإسلام في الحجرات- والله أعلم][(٣)].

﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يعدلون أركانها[(٤)] أو يواظبون عليها[(٥)] ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ أي: في الخير، خَصَّ الثلاث لمزيد فضلهم ومنع بـ ﴿مِن﴾ عن السرف[(٦)]. والرزق: ما يسوقه الله إلى الحيوان مما ينتفع[(٧)] به، وهو أربعة: مضمون كالغذاء، ومقسوم في اللوح. ومملوك، وموعود بشرط التقوى، ويجب التوكل في الأول[(٨)].

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ عَبَّر بالماضي، تغليبًا للموجود ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ من

---

(١) وهو الصحيح.

(٢) بل الإيمان قول وعمل، واعتقاد.

(٣) ما بين المعكوفتين من (د)، و(ن).

(٤) ويحفظونها من أن يقع زيغ في أفعالها، ومن: أقام العود إذا قومه. * البيضاوي (٨).

(٥) من قامت السوق إذا نفقت وأقمتها إذا جعلتها نافقة. * البيضاوي (٨).

(٦) وهو مجاوزة الحد في النفقة.

(٧) التوقيف (٣٦٢)، التعريفات – للجرجاني (١١٥)، الكليات (٢/ ٣٨٠).

(٨) بل في كلِّ الأمور.

الكتب، والإيمانُ بهما جُمْلَةً فَرْضُ عَيْن، وبالأول تفصيلًا. مِنْ حَيْثُ إنّا مُتعَبَّدُوْنَ بتفاصيله فرض كفاية.

*** تنبيه:**

الإنزال: النقل[1] من أعلى إلى أسفل، وهو في المعاني يتوسط الذوات الحاملة لها ونزول القرآن بحفظ الملك إياه من اللوح إلى السماء الدنيا ثم أمرهُ السَّفَرَة بانتساخه ثم تنزيله بحسب المصالح- كذا قاله الأكثرون.

وفي ابتداء الوحي، هل هو بنقل ملك آخر إلى جبريل أنه مأمور بالإنزال أو بخلق علم ضروري في جبريل[2] به؟ خلاف، واعْلَمْ أنهم اختلفوا في خلقه؛ لتعارض قياسين هما: كلام الله صفة وكل ما هو صفة قديم، فهو قديم، وكلام الله مؤلف من حروف متعاقبة في الوجود، وَكُلُّ مَا هُوَ كَذلكَ حادث فهو حادث، والحق الأول؛ لحديث: «**القرآن كلام الله غير مخلوق**[3]» وكيفية، ولأن مبدأ الكلام فينا صفة يتمكن بها من نظم الكلمات على وجه ينطبق على المقصود، وهي ضد الخرس وغير العلم، فإنا نعلم كلامًا هو لغيرنا وكلام كل أحد ما رتبه في خياله، وكلماته- تعالى- ما رتبه في علمه الأزلي بصفته الأزلية التى هي مبدأ تأليفها وترتيبها، وهذه الصفة قديمة، وكذا المرتب بحسب وجوده العلمي ولا تعاقب فيه فلا حدوث[4]، وإنما تعاقبه بحسب

---

(١) أو الإهواء بالأمر من علو إلى سفل.

* الكليات (١/ ٣٢٨)، المفردات (٧٤٤)، التوقيف (٩٨)، تعريفات ابن الكمال (٢٥).

(٢) هذه من ترهات علم الكلام التى يجب تركها والقرآن كلام الله ألقاه إلى جبريل فعلمه جبريل لنبينا - ﷺ -: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾.

(٣) لا يصح في هذا الباب شيء - رواه الخطيب في تاريخه (٢/ ٣٨٩)، وابن عدي في الكامل (١/ ٢٠١)، وابن الجوزي في الموضوعات (١/ ١٠٦، ١٠٩). وانظر: اللآلى المصنوعة (١/ ٤، ١٠)، تنزيه الشريعة المرفوعة (١/ ١٣٤، ١٣٦)، الفوائد المجموعة (٣١٣) ترتيب الموضوعات للذهبي (٢).

(٤) القرآن كلام الله تعالى، وليس بمخلوق والله تعالى يتكلم، قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ وقال: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ وقال: «﴿إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾ فلا حاجة إلى التفلسف لإثبات صفات الله فالفلسفة ضلال وخزي وهزيمة.

وجوده الخارجي، وهو[(١)] بحسبه كلام لفظي فإنكار كون ما بين الدفتين كلام الله، كإنكار شعر الفلاني كلامه، إذْ مَعْنَى كَوْنه [٥و] كلامه- تعالى- أنه ذلك الكلام موجودًا بالوجود اللفظي، تأمل هذا التحقيق تخرج من كل مضيق والله- تعالى- أعلم. ﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ إيقانًا ينبغي، واليقين[(٢)]: إيقان العلم[(٣)] بنفي الشبهة عنه استدلالًا، فلا يوصف به علمه- تعالى- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ المَوْصُوْفُوْنَ مستقرون. ﴿عَلَىٰ هُدٗى﴾ هدية من إله عَظيم عظيمة ممنوحة ﴿مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ الكاملون في الفلاح أي: الظفر على المطالب[(٤)] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ كأبي لهب وأَضْرَابه[(٥)]، والكُفْرُ: إنكار ما عُلِمَ ضَرُوْرةً أنه من دين محمد- ﷺ- أو فعل يدل عليه [والكفر[(٦)] عَدَمُ الإيمان عما من شأنه الإيمان، والكافر إن أظهر الإيمان فمنافق، أو سبقه إيمان فمرتد، وإن آل مُعْتقده إلى تعدد الآلهةِ فمُشْرِكٌ، أو يدِيْنُ بكتاب سماوي فكتابي، أو اعتقد إسناد الحوادث إلى الزَّمَان فدهري، أو نفى الصَّانع فمعطل، أو أبطن عقائد هي كفر وفاقًا

---

(١) في (ن): وهذا بحسب كلام.

(٢) غلب على المؤلف – رحمه الله – التعريفات على طريقة المتكلمين وقد تأثر في ذلك بشيخه الجلال الدواني المتوفي سنة ٩١١هـ.

(٣) في (ن): إتقانُ العلم. واليقين لغة: العلم الذي لا شك معه واصطلاحًا: اعتقاد الشيء بأنه كذا مع اعتقاد أنه لا يمكن إلا كذا مطابقًا للواقع غير ممكن الزوال.
* التعريفات – للجرجاني (٢٨٠)، المفردات (٨٤٨)، الكليات (١/ ٨٩)، التوقيف (٧٥٠).

(٤) الفلاح: الظفر وإدراك البغية، وذلك ضربان: دنيوي وأخروي، فالدنيوي: الظفر بالسعادة التي تطيب بها حياتها، والأخروي على أربعة أشياء: بقاء بلا فناء، وعز بلا ذل، وغنى بلا فقر، وعلم بلا جهل.
* الكليات (١/ ٣٥٦)، والتوقيف (٥٦٣).

(٥) كذا قال المؤلف – رحمه الله – وعن الضحاك قال: نزلت في أبي جهل، وخمسة من أهل بيته، وقال الكلبي: يعني اليهود. * تفسير الطبري (١/ ٢٥١)، أسباب النزول للواحدى (١٣)، الوسيط – له (١/ ٨٣)، العجاب – لابن حجر (١/ ٢٢٩، ٢٣٢)، غرائب القرآن (١/ ١٤١)
وقال الماوردى في النكت والعيون (١/ ٧٢): واختلف فيمن أريد بذلك، على ثلاثة أوجه:
أحدها: أنهم اليهود الذين حول المدينة – وبه قال ابن عباس، وكان يسميهم بأعيانهم.
والثاني: أنهم مشركو أهل الكتاب كلهم – وهو اختيار الطبري.
والثالث: أنها نزلت في قادة الأحزاب – وبه قال الربيع بن أنس.

(٦) في (ن): فالكفر.

فزنديق- والله أعلم][1] ﴿سَوَآءٌ﴾ مستو ﴿عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ﴾ أي: إنذارك ﴿أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾ أي: عدم إنذارك، فالهمزة و ﴿أَمۡ﴾ لمجرد الاستواء بلا استفهام يؤكدان معناه ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ تأكيد للجملة، [ودَلَّت على جواز التكليف بما لا يطاق إذ لو آمنوا لَزِمَ الكذب، والتكليف بالممتنع لذاته جائز عقلًا غير واقع للاستقراء[2]، وأما الممتنع لغيره كما علم الله- تعالى- عدم وقوعه أو أخبر أو أراد فواقع كالمخبر عنه في الآية، وحينئذ علم أنَّ][3] حِكْمَةَ الإنذار إقامة الحجة وعموم الإرسال وإثابة الرسول، ولذا لَمْ يَقُلْ: سَوَاءٌ عَلَيْك ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ﴾ استوثق بضرب الخاتم ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ فلا يعرفون الحق، ﴿وَعَلَىٰ﴾ مواضع ﴿سَمۡعِهِمۡ﴾ فلا يسمعونه ﴿وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞ﴾ غطاء عظيم، فلا يبصرونه استعارة عن إحداث ما يمرنهم على حُبِّ الكفر، ووحد السمع لوحدة المسموع وهو الصوت دونهما، أو للمصدرية ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ﴾ هو إيصال الألم إلى حي هوانا ﴿عَظِيمٞ﴾ صد الحقير ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ مبتدأ، أي: بعضهم[4] وهم جماعة حيوان ذي فكر ورَوِيَّة ﴿مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ من الحشر إلى ما لا ينتهي ﴿وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ﴾ حقيقة، دَلَّ عَلَى كُفْر من[5] خالف قَلْبُهُ لسانه ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بإظهار الإيمان وإبطان الكفر، والخَدْعُ[6]: إِيهَامُكَ خلاف ما تخفيه من الشر، وهو مع الله مُحَالٌ، فالمُرَادُ: مُخَادَعَة خليقته ﴿وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ﴾ ذواتهم، أي: ضَرَرُ خَدْعِهِم يَحِيْقُ بهم ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ لا يَحُسُّوْنَه؛ لغفلتهم ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾ كالنفاق، والمرض: ما يعرض للبدن فيخرجه عن اعتداله، وهو مجاز في الأعراض

---

(١) ما بين المعكوفتين من (د)، و(ن).

(٢) قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾، وقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾.

(٣) ساقط من (ح) وهو في (د)، و(ن).

(٤) الناس: لفظ وضع للجمع كالقوم والرهط والجيش، وواحده: إنسان لا من لفظه.
* الوسيط – للواحدي (١/ ٨٦).

(٥) في (ن): ما خالف.

(٦) الخدع: إظهار خير يتوسل به إلى إبطان شر يؤول إليه أمر ذلك الخير المظهر، وقيل: هو إنزال الغير عما هو بصدده بأمر يبديه على خلاف ما يخفيه. * المفردات (٢٠٦)، والتوقيف (٣٠٩).

النفسانية المُخِلَّة بكمالها والآية تحتملهما[١] ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ كلما نزلت آيةٌ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ﴾ أي: مؤلم، اسم مفعول أسند مبالغة ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ بكذبهم أو تكذيبهم الرسل، دل على حُرْمَة كُلِّ كَذِبٍ، وَهُوَ الخبر عن الشيء على خلاف ما هو به، وحَدِيْثُ: «إنَّ إبرَاهِيْمَ كذب[٢]» بمعنى التعريض، وهو أن يشير بالكلام إلى جانب ويريد منه جانبًا آخر ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ [٥ظ] فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بنحو[٣] الكفر وإفشاء سر المسلمين في الكفار ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ نداري المؤمنين والكفار إصلاحًا بينهما، والفساد: الخروج عن الاعتدال[٤]، والصلاح ضده، ويعمان كُلَّ ضُرٍّ وَنَفْع ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ الصَّحَابةُ، دَلَّ على قبول توبة الزنديق، وَهُوَ مُظْهِرُ الإسْلَام مبطن الكفر ﴿قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ أي: الناس، والسَّفَهُ: خِفَّةُ الرَّأْي[٥]، ويقابله الحلم ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ خَصَّهُ بالعلم؛ لاحتياج الفرق بين الحق والباطل إلى مزيد نظر بخلاف قبح النفاق فإنه يُعْرَفُ بأدنى شعور ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟﴾ انفردوا ﴿إِلَىٰ﴾ مَعَ ﴿شَيَٰطِينِهِمْ﴾ .من أصحابهم ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ﴾ في الدين ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ لاعبون بالمؤمنين، والجملتان قصة واحدة لبيان نفاقهم فلا تكرار ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ أراد غايته كَمَا مَرَّ أو جَزَاءَهُ[٦]، وأشار

---

(١) يعني الأمراض العضويّة، والنفسانية.

(٢) حديث «إن إبراهيم كذب» يريد حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «لم يكذب إبراهيم قط إلا ثلاثًا.... الحديث». رواه البخاري في صحيحه (٣٣٥٧) و (٣٣٥٨) كتاب الأنبياء - باب قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ و (٥٠٨٤) كتاب النكاح - باب: اتخاذ السراري، ومسلم في صحيحه (٢٣٧١) كتاب الفضائل - باب: من فضائل إبراهيم الخليل - ﷺ -.

(٣) في (ن): بنحوى.

(٤) قليلًا كان الخروج أو كثيرًا.

* الكليات (٣/ ٣٤٨)، المفردات (٥٧١)، معجم التوقيف - للمناوي (٥٥٥).

(٥) هو خفة النفس لنقصان العقل وهو خفة تعرض للإنسان من الفرح والغضب فتحمله على العمل بخلاف طور العقل وموجب العقل. * المفردات (٤٠٧)، التعريفات (١٢٥).

(٦) يعنى من باب المقابلة. * عمدة الحفاظ (٤/ ٢٥٠).

بالمضارع إلى تجدده، ومنه: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ[١] فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾ يزيدهم ويقويهم ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ غلوهم في الكفر ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يتحيرون، العمهُ: عدم الدراية بسلوك الطريق[٢]، والمعتزلة [بمنعهم إسناد القبيح إليه- تعالى-][٣] يؤلون الآية [ونظائرها بمَجَازاتٍ بعيدةٍ، جاهلين بأن لا قبيح بالنسبة إليه- تعالى- فلا يتصور في أفعاله ظلم[٤] إذ له التصرف في ملكه كيف يشاء، وإنما يوصف به وبأمثاله أفعالنا باعتبار كسبنا وقيامها[٥] بنا فقط- كما سيأتي- ولا يجوز صرف الكلام عن ظاهره إلَّا ببُرْهانٍ يمنعه كَمَا بُيِّن في موضعه - والله أعلم].

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾ الفطري أي: اختاروها عليه، وأصله[٦] بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الأعيان، ثم استعير للإعْرَاض عَمَّا في يده محصلًا به غيره، ثم استعمل لما مَرَّ اتساعًا ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾ ما ربحوا فيها ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ إلى طُرُقِهَا، إذ أضاعوا رأس مالهم ﴿مَثَلُهُمْ﴾ أي: عجيب حال المنافقين حين أظهروا الإسلام، وأصل المثل: النظير[٧] ثم قيل للقول الفاشي الممثل مضربه بمورده، ثم استعير لكل حال غريب ذي شأن ﴿كَمَثَلِ﴾ الفوج[٨] ﴿الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾ النار ﴿مَا حَوْلَهُ﴾ .وأمنوا من الخوف ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ المقصود بالإيقاد،

---

(١) في (ن): إلى آخره.

(٢) عمدة الحفاظ (٣/ ١٢٦).

(٣) ساقطة من (ح) وهي في (د).

(٤) الله خالق الخير والشر، لكن من باب الأدب مع الله – تعالى – أن لا ننسب الشر إليه، فلا ندعوا إلا بأسمائه الحسنى، كما قال النبي – ﷺ –: «**الخير كله بيديك والشر ليس إليك**».

(٥) ساقطة من (ح) وهي في (د)، و(ن).

(٦) يعني: الشراء.

(٧) المثل: هو القول السائر وفق الحال التى ضرب لها، ولابد فيه من غرابة. * العمدة (٤/ ٦٨).

(٨) الفوج – بفتح الفاء وسكون الواو –: الجماعة من الناس وغيرهم، فهو اسم جمع كقوم ورهط، ويجمع على أفواج. * عمدة الحفاظ (٣/ ٢٥٥).

فبقوا في ظلمة وخوف، وهذا مثل كفرهم بعد الإسلام وعدل عن ضوئهم[(١)]؛ لئلا يحتمل بقاء قليل من النور [وأيضًا إذا عدم الأصل عدم الفرع والتحقيق أن الضوء فرع من النور يُطْلَقُ على الشُّعَاع المُنْبَسطِ، والنور يطلق على ما للشيء في نفسه كالقائم بنفس الشمس، فالضوء[(٢)]- مع فرعيته أبلغ؛ لأنه إنما يبصر بدخليته ولا يكفي فيه النور، إذ النور القائم بالشيء إنما يبصر به نفسه فقط وأما رؤية ما سواه فبتوسيطِ الضوء الفائض منه- والله أعلم][(٣)] ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ﴾ ظلمات الكفر والمعاصي والقبر أو القيامة أو ظلمة شديدة كأنها ظلمات[(٤)] ﴿لَّا يُبْصِرُونَ﴾ هم ﴿صُمٌّ﴾ عن قبول الحق ﴿بُكْمٌ﴾ عن قوله ﴿عُمْيٌ﴾ عن إبصاره[(٥)] لدهشة الظلمة ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ إلى الهدى المبيع، فحالهم كما ذكر ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ سَحَاب مطر أو سحاب ﴿مِّنَ﴾ جوانب ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾، هذا من إجراء التمثيل بإزاء القرآن[(٦)] ﴿فِيهِ ظُلُمَٰتٌ﴾ من تكاثف الغمام

---

(١) يعني لم يقل: بضوئهم، قال السمين الحلبيُّ في عمدة الحفاظ (٤/ ٢٣١): ولم يقل بضيائهم؛ فلم ينف عنهم ما هو أقوى، وجوابه: أنه لا يلزم من نفى الأخص نفي الأعم، إذ لو نفى عنهم الضوء؛ لجاز أن يتوهم بقاء نور، فإذا نفى عنهم النور الذي هو أعم، لزم منه نفي الضوء الذي هو أخص.

(٢) النور في الأصل هو الضوء المنتشر الذي يعين على الإبصار.

(٣) ساقطة من (ح) وهي في (د)، و(ن).

(٤) النكت والعيون – للماوردي (١/ ٨٠).

(٥) تفسير الوسيط (١/ ٩٤).

(٦) قال الماوردي – رحمه الله تعالى-: وفي تشبيه المثل في هذه الآية أقاويل:

أحدها: أنه مثل للقرآن، شبه المطر المنزل من السماء بالقرآن، وما فيه من الظلمات بما في القرآن من الابتلاء، وما فيه من الرعد بما في القرآن من الزجر، وما فيه من البرق بما في القرآن من البيان، وما فيه من الصواعق بما في القرآن من الوعيد الآجل والدعاء إلى الجهاد في العاجل – وهذا المعنى عن ابن عباس.

والثاني: أنه مثل، لما يخافونه من وعيد الآخرة لشكهم في دينهم، وما فيه من البرق بما في إظهار الإسلام من حقن دمائهم ومناكحهم ومواريثهم، وما فيه من الصواعق بما في الإسلام من الزواجر بالعقاب في العاجل والآجل.

والثالث: أنه ضرب الصيب مثلًا بظاهر إيمان المنافق، ومثل ما فيه من الظلمات بضلالته، وما فيه من البرق بنور إيمانه، وما فيه من الصواعق بهلاك نفاقه. * النكت والعيون (١/ ٨٢، ٨٣).

والمطر [٦و] والليل، وهذا بإزاء شبه المبطلين ﴿وَرَعْدٌ﴾ صَوْتُ مَلَك السَّحَاب[١] وهذا بإزاء وعيدات القرآن ﴿وَبَرْقٌ﴾ نار تطير من فيه عند غضبه، هذا بإزاء ما وُعِدَ في القرآن ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ﴾ أناملهم ﴿فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ﴾ أجل ﴿ٱلصَّوَٰعِقِ﴾. [جمع: صاعقة وهي][٢] شدة صوت الرعد ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ هذا بإزاء تصاممهم من الوعيدات، وهذا من التمثيل المفرد، وهو أن تأْخُذَ أشياء فرادى تُشَبِّهُهَا بأمثالها [ويمكن جعله تمثيلًا مؤلفًا فهو تشبيه كيفية منتزعة من مجموع تضامت أجزاؤه حَتَّى صَارَ شَيْئًا واحدًا بأُخرى مثلها كقوله- تعالى-: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ... الآية﴾][٣] ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ لا يفوتونه كالمحاط لا يفوت المحيط[٤] ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ﴾ يأخذ بسرعة ﴿أَبْصَٰرَهُمْۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ﴾ أي: في ضوئه، هذا بإزاء اهتزازهم بما ظهر لهم من غنيمة تطمح إليها أبصارهم ﴿وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ﴾ وقفوا، هذا بإزاء توقفهم عند عروض بلاء وأتى بـ«كلما» مَعَ أضاء وبـ«إذا» مع أظلم؛ لحِرْصِهِمْ عَلَى المَشْي ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾ بقصيف الرعد ﴿وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾ بوميض البرق لشدتهما، ولكنَّ المانعَ عدمُ مَشِيئَتِهِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أيّ شي ﴿قَدِيرٌ﴾ ومنه أفعال العباد، والقدير: الفَعَّالُ لِمَا يشاء [والمقتدر يقاربه إذا استعمل فيه- تعالى- والمستعمل فينا بمعنى المكتسب للقدرة][٥]، والقادر: الذي إن شاء فعلًا فعله، وإلا فلا[٦]، والقدرة: التمكن من إيجاد الشيء[٧] [وأصل الشيء: مصدر شاء يشاء، وهنا بمعنى مَشِيء، كما أنه

---

(١) رواه الترمذي في جامعه (٥/ ٣٤٨/ ٣٣٨٠) وأحمد (٢٤٨٣) وسنده ضعيف، إلا أنه ورد موقوفًا عن عدة.
* وانظر: الهيئة السنية – للجلال السيوطي (٤٨/ بتحقيقي).

(٢) ساقطة من (ح) وهي في (د)، و(ن).

(٣) ساقطة من (ح) وهي في (د).

(٤) تفسير الطبري (١/ ٣٥٦)، تفسير الوسيط (١/ ٩٦).

(٥) ساقطة من (ح) وهي من (د)، و(ن).

(٦) قال الإمام ابن الأثير في النهاية (٤/ ٢٢): في أسماء الله تعالى: (القادر، والمقتدر، والقدير) فالقادر: اسم الفاعل من قدر يقدر، والقدير: فعيل منه وهو للمبالغة، والمقتدر: مفتعل من اقتدر، وهو أبلغ.

(٧) لسان العرب (٥/ ٣٥٤٦).

بمعنى شائي في آية: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ﴾ [الأنعام:١٩] فيختص بالموجود فيهما، والمعتزلة لما عرفوه[١] بما صَحَّ أَنْ يُوْجَدَ وَمَا صَحَّ أن يعلم ويخبر عنه، خَصَّصُوْهُ بالمُمْكِن][٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يشمل الموجودين ومن سيوجد، ولا يمنعه ورود أنه أينما[٣] وقع فمكي كما أنَّ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ مَدَني ﴿ٱعْبُدُواْ﴾ عَمَّ المُؤْمِنَ والكافر والمنافق؛ لأن زيادة العبادة عبادة، فاشترك الكل فيها ﴿رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ ما تقدمكم ذاتًا أو زمانًا ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي: اعبدوه راجين دخولكم في المتقين الفائزين بكمال الفلاح أو «لعل» بمعنى كي، علة لخلق، دلت الآية على أنا لا نستحق بعبادته ثوابًا، فإنه جعلها شكرًا لنعمه، هو ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ بساطًا بإخراج بعضها عن الماء، هذا لا ينافي كُرِّيَّتَها الحسية[٤].

﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ قُبَّةً ﴿وَأَنزَلَ مِنَ﴾ جانب ﴿ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ بيان لقوله ﴿رِزْقًا﴾ مرزوقا ﴿لَّكُمْ﴾ أو تبعيضية وهو حال ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ أمثالًا في عبادتكم إياها ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنها لا تماثله بوجه ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا﴾ القرآن ﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ محمد -ﷺ-[٥] ﴿فَأْتُواْ﴾ أمر تعجيز ﴿بِسُورَةٍ﴾ وقد مر معنى السورة، بمقدارها كائنةً ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ مثل ما نزلنا في البلاغة والإخبار عن الغيب ﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾ أعوانكم في اختراعها ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ غيره وَأَصْلُ «دون» أقرب مكان، ثم استعير للرتب، ثم استعمل اتساعًا في كُلِّ تَجَاوُز حَدٍّ إلى حَدٍّ ﴿إِن كُنتُمْ [٦ظ] صَٰدِقِينَ﴾ أنه كلام بشر ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ﴾ أتى بـ«إن» الشَّكِّيَّة تَهَكُّمًا أو على زعمهم ولذا نفاه بقوله: ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ أبدًا[٦] للإعجاز[٧] وعبر بالفعل عن الإتيان مِن المكيف

---

(١) في هامش (ب): لعله: خصّوه.

(٢) ساقطة من (ح) وهي في (د).

(٣) يعني قوله: «يا أيّها النّاسُ» ا.هـ.

(٤) فالأرض شبه كروية.

(٥) النكت والعيون - للماوردي (١/ ٨٤)، روح المعاني (١/ ١٩٨).

(٦) نفي التأبيد.

(٧) في هامش (ن): لإعجازه.

إيجازًا ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا﴾ ما توقد به ﴿ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ أصنامكم التي تزعمونها شفعاء، أو الكبريت[١] نزل لازم الجزاء منزلته تقريرًا للمكنى عنه، وتَهْوِيْلًا لشأن العناد وتصريحًا بالوعيد مع الإيجاز، وإنَّما عَرَّفَهَا[٢] ونكَّرهَا[٣] في التحريم لتأخير نزول ذلك ﴿أُعِدَّتْ﴾ النَّارُ ﴿لِلْكَٰفِرِينَ﴾ دلَّ على أنها مَخْلُوْقة[٤] ﴿وَبَشِّرِ﴾ أي: أخبر خبرًا سَارًّا، فإنه يظهر السرور في البَشْرَة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ بلا رِيَاءٍ، بشَرط الموت عليه، بدليل: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ﴾ ﴿أَنَّ﴾ بأن ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾ هي سبع، أعلاها الفِرْدَوْسُ، ثُم عَدَن، ثُم النعيم، ثمَّ دار الخلد، ثم جَنَّةُ المأوى، ثم دارُ السلام، ثم عِلِّيُّوْن ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا﴾ تَحْت غُرَفها وأشجارها ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي: ماؤها بلا أخدود

---

(١) الدر المنثور (١/ ٣٦)، معاني القرآن – للزجاج (١/ ٦٧)، فتح القدير – للشوكاني (١/ ٥٣).

(٢) يعني: هنا.

(٣) يعني في قوله: ﴿قوا أنفسكم وأهليكم نارا﴾.

(٤) انظر: صفة النار – للمقدسي.

وقال ابن عادل الحنبلي: هذه الآيات صريحة في أن الجنة والنار مخلوقتان؛ لأنه – تعالى – قال في صفة النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ (البقرة/ ٢٤)، وقال في صفة الجنة في آية أخرى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران / ١٣٣)، وهذا إخبار عن وقوع هذا الملك وحصوله قال الشيخ مرعي الكرمي: وإلى القول بأنهما مخلوقتان ذهب جمهور الأمة.

وذهبت طائفة من المعتزلة والخوارج إلى أنهما لم تخلقا بعد، وبه قال منذر بن سعيد البلوطي واحتجوا بقول امرأة فرعون: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾ (التحريم/ ١١)، وبما جاء في الأحاديث الصحيحة: من عمل كذا غرس له في الجنة كذا.

قالوا: لو كانت الجنة مخلوقة لم يكن للدعاء في استئناف الغرس والبناء فائدة.

وأجيب بأنه لا مانع من أن يحدث الله في الجنة أشياء ينعم بها على عباده شيئا بعد شيء وحالًا بعد حال، فيحدث فيها ما شاء من البنيان والغرس، كما أن الأرض مخلوقة، ثم يحدث الله – تعالى – فيها ما يشاء من بنيان وغيره.

* والدليل على وجود الجنة الآن ما مر، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ (البقرة / ٣٥)، وقوله تعالى: ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ (النجم / ١٥).

وقوله – ﷺ – في حديث الترمذي وصححه: «**لما خلق الله الجنة والنار، أرسل جبريل – عليه السلام – إلى الجنة فقال: انظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها... الحديث**».

قال: وقد أطال العلامة ابن القيم الكلام على ذلك في أول كتابه «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: فراجعه.

* الكلمات البينات – للكرمي (٤٨، ٤٩/ ضمن لقاء العشر الأواخر – دار البشائر الإسلامية).

﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا﴾ أي: الجنات ﴿مِن ثَمَرَةٍ﴾ ابتداء ببيان، والثاني متعلقه ﴿رِّزْقًا﴾ أي: مرزوقًا ﴿قَالُواْ هَٰذَا﴾ مِثْل ﴿ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ في الدنيا، وإنَّما جُعِلَتْ من جنس ثمرة الدنيا صُوْرةً؛ لتميل النفس إليها أول ما رأت للإلف، أو في الجنة، كما في الحديث[١] وحينئذ فـ«كلما» عُرْفيٌّ أكثريٌّ فلا يُشْكلُ بالكرة الأولى ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ في الصُّورة التى هيَ مَناطُ الاسم[٢] ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ عما يُسْتَقْذَرُ ويُذَمُّ خَلْقًا وخُلقًا، ولا يرد[٣] أنه أيُّ: فَائدةٍ فيهما مع غنائنا عن التغذي وحفظ الفرج ونحوه؟ لأنَّ مَطَاعم الجَنَّة ومَنَاكِحَها لا تشارك نظائرها الدنيوية في تمام حقيقتها، بَلْ إنَّما تُسَمَّى بأسمائها استعارة ﴿وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ دائمون؛ لأنه - تعالى - يعيد أبدانهم على كيفية تصون[٤] من الاستحالة[٥]، وأصله ثبات مديد دام أم لا، ولذا يوصف بالأبدية.

ولما قالوا: كيف يضرب الله الأمثال بالصَّيِّبِ والمُسْتَوْقدِ والعَنْكَبُوْت نزل[٦]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ﴾[٧] أي: لا يترك ترك المستحيى، إذِ الحَياءُ: انقباض النفس من القبيح مخافة الذم، وهو - تعالى - مُنزَّه عنه، وأَصْلُهُ التَّهيُّبُ، وآثره على الترك مبالغة أو مماثلة لكلام الكفرة ﴿أَن يَضْرِبَ﴾ يبين ﴿مَثَلًا﴾ شبهًا ﴿مَّا﴾ أي: شبه، وضرب المثل: اعتماله من ضرب الخاتم ﴿بَعُوضَةً﴾ صغير البق ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ صغرًا أو كبرًا

(١) تفسير الطبري (١/ ١٣٣).
قوله تعالى: ﴿قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ يعنى: في الدنيا - قاله ابن مسعود وابن عباس - أيضًا وقتادة ومجاهد وابن زيد، أي: قالوا: هذا الذي رزقنا من ثمرات الجنة مثل الذي كنا رزقناه من ثمار الدنيا، أي: في الصورة والاسم. * الكلمات البينات - للكرمي (٦٠).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٦٣)، تفسير الطبري (١/ ١٣٣، ١٣٤)، الدر المنثور (١/ ٨٣).

(٣) يعني: لا يرد على الذهن والفكر هذا السؤال.

(٤) كذا - والمراد تحفظ وتصان.

(٥) التحول والتغير.

(٦) عن قتادة قال: لما ذكر الله - تبارك وتعالى - العنكبوت والذباب، قال المشركون: ما بال العنكبوت والذباب يذكران؟ فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ - الآية».
رواه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ١/ ٤١)، وابن أبي حاتم (١/ ٩٣/ ٢٧٤)، وابن جرير (١/ ١٣٨) ورجاله ثقات لكنه مرسل.

(٧) في هامش (ن): نصف الحزب.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ﴾ المثـــــل ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ﴾ أيّ شي ﴿أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗا﴾ [٧و] حَالٌ أو تَمْيِيْزٌ، وآثره[١] على: فلا يعلمون؛ بيانا لكمال جهلهم كناية، والإرادة نزوع النفس وميلها إلى فعل بحيث يحملها عليه، أو قوة هي مبدأ النزوع، وإرادة الله- تعالى- ترجيح أحد مقدوريه على الآخر في الإيقاع، أو معنى يوجب هذا الترجيح ﴿يُضِلُّ بِهِۦ﴾ بالمَثَل ﴿كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗا﴾ وكثرتهما بالنسبة إلى أنفسهما، إذ المهْدِيُّونَ قليلون ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ الخارجين عن الإيمان، والفاسقُ شَرْعًا: الخارج عن أمر الله بارتكابه الكبيرة[٢]، وله ثلاث درجات:

* **الأولى**: التغابي بأن يرتكبها أحيانًا مستقبحًا إياها.

* **الثاني**: الانهماك فيها بلا مبالاة بها.

* **الثالث**: الجحود بأن يرتكبها مستصوبا إياها فَهُوَ كَافِرٌ خَارِجٌ عن الإيمان، كما نحن فيه، وعند المعتزلة: مرتكب الكبيرة لا كافر ولا مؤمن[٣]؛ لأن الإيمان عندهم عبارة عن الأمور الثلاثة كما مَرَّ، والكفر تكذيب الحق، والنصوص تَرُدُّهُمْ ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ﴾ يبطلون وأصله[٤] فسخ طاقات الحبل ﴿عَهۡدَ ٱللَّهِ﴾ في قوله: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ﴾[٥]» ﴿مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ أي: توكيده بإرسال الرسل مع الكتب المذكورة

---

(١) يعني: قال ﴿فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ﴾ ولم يقل: فلا يعلمون.

(٢) التوقيف (٥٥٧)، الكليات (٣/ ٣٤٨)، المفردات (٥٧٢).

(٣) يعني في منزلة بين المنزلتين، وهذا فاسد وضعًا واعتبارًا.

وانظر في الرد على المعتزلة: منهاج السنة النبوية – لشيخ الإسلام ابن تيمية.

(٤) يعني: النقض.

(٥) سورة الأعراف (١٧٢) وقال الواحدي- رحمه الله تعالى-:

وذكر المفسرون في العهد المذكور في هذه الآية قولين:

أحدهما: ما أخذوه على النبيين ومن اتبعهم، أن لا يكفروا بالنبي- ﷺ- وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ﴾ (آل عمران / ٨١).

والثاني: أن يكون عهد الله الذي أخذه من بنى آدم يوم الميثاق حين قال: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ (الأعراف / ١٧٢). * الوسيط (١/ ١١٠)، البحر المحيط (١/ ١٢٧).

﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ من الأرحام ونحوها مِمَّا هُوَ وصلة بيننا وبين الله ﴿وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالمعصية ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ والخاسر من خسر أحد ثلاثة: المال والبدن والعقل وَهُمْ من الثَّالثِ.

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾ بِلا حَيَاةٍ، أي: ترابا، أو نُطَفًا ﴿فَأَحْيَٰكُمْ﴾ بلا تراخ ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند انقضاء آجالكم؛ لتصلوا إلى الحياة الأبدية ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ عند نفخ الصور، وأما حياة القبر فغير مستقرة[1] ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بعد الحشر، جعل تمكنهم من العلم بالحشر كعلمهم به، وحقيقة الحياة فينا القوة الحساسة، أو ما يقتضيها من القوة التابعة للاعتدال النوعي، وفيه -تعالى- صِحَّة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمين لهذه القوة فينا.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم﴾ لانتفاعكم في دنياكم بوسط[2] أو غيره، وفي دينكم استدلالًا ﴿مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ ولو سماء ونحوه، فالأصل في كله الإباحة وما يعم كل ما فيها لأنفسها إلا إذا أريد بها جهة السفل ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ﴾ قصد بإرادته[3] ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ عدلهن بلا عوج، جمع؛ لأنها في معنى الجمع[4] أو جمع سماة [٧ظ] أو مبهم يفسره ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ فخلق السماء بعد خلق الأرض وما فيها ودحو الأرض، أي: بسطها بعده كما قاله ابنُ عَبَّاسٍ وغَيرهُ.

فلا يرد استشكال كثير من المفسرين بأن هذا وما في «حَم~» السجدة[5] من قوله:

---

(١) لا أدري ما مراده بهذا؟

وقد تظاهرت الأدلة من القرآن والسنة على أن حياة القبر حياة كاملة محسوسة إما نعيم أو عذاب اهـ.

(٢) كذا. ولعلها: بوسيطٍ، أي: سبب وواسطة.

(٣) وهذا معنى الاستواء في اللغة. * وانظر: معاني القرآن – للفراء (١/ ٢٥).

(٤) في هامش (ن): والسماء تكون جمعًا لسماوة في قول الأخفش، وسماه في قول الزجاج، وجمع الجمع: سماوات، أو: سماءات، فجاء: «سَوّاهُنّ» إما على أن السماء جمعٌ، وإما على أنها مفرد اسم جنس وقد تقدم الكلام على السماء في قوله: ﴿أو كصيب من السماء﴾ ابن عادل.

(٥) يعني «فصلت».

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾[(١)] ينافي ما في النازعات[(٢)]، إذ فيها ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾[(٣)]. فأولوه تارة بأن ثُمَّ هُنا للتراخي الرتبي لا الزماني، وتارة بأن «بعد» ليس ظرفا «لدحاها»[(٤)]، وأن نصب الأرض بفعل دَلَّ عليه: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ﴾؛ لأن خلق ما في الأرض كالجبال والأنهار ونحوها ليس بِدَحْوٍ ولا يستلزمه، فيمكن خلقها قبل دحوها وقبل السماء، وأما دحوها فبعد السماء؛ ليوافق تفسير أكابر الصحابة، والله- تعالى- أعلم.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ تعليمًا للمشاورة وتعظيمًا لآدم وبيانًا؛ لأنَّ الحِكْمة تَقْتضِيْ إيجادَ مَا يَغْلبُ خيرهُ شرَّهُ ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ جمع مَلْأَكَة الذى مخففه ملك، والراجح أنه من الملك لا من الألوكة بمعنى الرسالة[(٥)]، والمراد مُطْلَقُهُم، أَوْ مَلَائكةُ الأَرْض.

والمَلَكُ: جسم لطيف قادر على التشكل بأشكال مختلفة[(٦)] [وعند الحكماء[(٧)] جَوَاهِرُ مُجَرَّدةٌ مخالفة للنفوس الناطقة حقيقة]، قيل: فمنهم المقربون المستغرقون في معرفة الحق، ومِنْهُم السَّمَاويُّونَ من يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، ومنهم الأرضيون من يدبر أمر الأرض ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ من الله؛ لينفذ أحكامه امتحانا لهم وتهديدا، لَا عجْزًا.

والخليفةُ: مَنْ يَخْلف ويَنُوْبُ غَيْرَهُ، كما أن الخالفة من يستخلفه الرئيس على أهله أو من الجن أو أراد آدم وذريته يخلف بعضهم بعضًا ﴿قَالُوٓاْ﴾ استكشافًا[(٨)] ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ إنما عرفوه بإعلام الله، أو تلقيًا مِنَ اللَّوْحِ

---

(١) سورة فصلت (١٠).

(٢) يعني في سورة النازعات.

(٣) سورة النازعات (٣٠).

(٤) في (ن): لدحيها.

(٥) الوسيط – للواحدي (١/ ١١٢، ١١٣)، التبيان (١/ ٤٦).

(٦) الملائكة مخلوقة من نور كما ثبت في صحيح مسلم.

(٧) يعني: الفلاسفة قبحهم الله.

(٨) النكت والعيون – للماوردي (١/ ٩٦).

أو قياسًا لأحد الثقلين على الآخر.

والسَّفْكُ والسَّبْكُ والسَّفْحُ والشَّنُّ والسَّنُّ أنواع من الصَّبِّ ﴿وَنَحْنُ﴾ بإزاء هاتين الصفتين ﴿نُسَبِّحُ﴾ نُبَعِّدُكَ[1] عن كل نقص ملتبسين ﴿بِحَمْدِكَ﴾ تداركوا به ما أوهم إسنادهم التسبيح إلى أنفسهم ﴿وَنُقَدِّسُ﴾ نطهر نفوسنا عن المعاصي ﴿لَكَ﴾ أو نقدسك عن النقص، فنحن أحق ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من المصالح، ثم خلقه[2] من أديم الأرض أي: وجهها[3].

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ﴾ بِخَلْق عِلْمٍ ضَرُورِيٍّ فيه، أو ألقاه في رُوْعِهِ.

والتعليم: فعل يترتب عليه العلم غالبًا ﴿ٱلْأَسْمَآءَ﴾ لفظًا ومعنًى وحقيقةً [٨و] مفردًا ومركبًا كأصول العلوم، فإن الاسم باعتبار الاشتقاق علامة للشيء ودليله الذي يرفعه إلى الذهن ﴿كُلَّهَا﴾ حتى القَصْعَة والقُصَيْعَة[4] بجميع اللغات[5]، فعرف جميعها، فلما تفرق أَوْلادُهُ تكَلَّمَ كُلُّ قوم بلسان أحبوه وتناسوا غيره، ولا يرد أنا نعلم أن كل زمان بنوه يضعون أسامي لمعان، لإمكان أنه علمها آدم ثم ظهر في بعض الأزمنة من بعض أهله.

أفهمت الآية أن تعلم اللغة خير من التخلي للعبادة، وأن اللغات توقيفية[6]، وأن

---

(١) أي: ننزهك.

(٢) يعني: آدم.

(٣) لحديث أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله - ﷺ -: «**إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأحمر والأسود والأبيض والسهل والخبيث والطيب**». رواه أبو داود (٤٦٩٣)، والترمذي (٢٩٤٨)، وأحمد (٤/ ٤٠٠، ٤٠٦).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١/ ٤٨٢، ٤٨٥). وانظر: تفسير ابن عباس (٧)، وتفسير مجاهد (٧٣)، معاني القرآن للزجاج (١/ ٧٨)، الدر المنثور (١/ ٤٩).

(٥) تفسير الوسيط (١/ ١١٦).

(٦) يعني: بوحي من الله وتعليم منه وهذا هو المذهب الصحيح من مذاهب للعلماء.

انظر في ذلك بالتفصيل: الصاحبي - لابن فارس (٦)، مقدمة تاج العروس (١/ ٥)، فيض نشر الانشراح - لابن الطيب الفاسي (١/ ٢٤٤، ٢٤٥)، المحصول - للفخر الرازي (١/ ٢٤٣، ٢٦٠)، المنخول - للغزالي (٧٠)، الخصائص - لابن جني (١/ ٤٠، ٤١).

علوم الملك وكماله يقبل الزيادة، وأن آدم أفضل منهم ولو من وجه ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ أي: مسمياتها ﴿عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ﴾ تبكيتًا لهم[1] ﴿أَنۢبِـُٔونِى﴾ النبأ: خبر ذو فائدة عظيمة حصل علمًا أو غلبة ظن ﴿بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في أنكم أحِقَّاءُ بالخِلَافَة المفهوم ضمنًا، فلا يرد أن الصدق ليس في الاستخبار ﴿قَالُوا۟﴾ معتذرين ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ تنزيها لك أن يخفى عليك شيء، وسَيُبَيَّنُ في الإسراء ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ فيه تعريض بأنك علمته وما علمتنا ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ﴾ لا يخفي عليك شيء ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ المحكم لمبدعاته ﴿قَالَ﴾ بعد عجزهم ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ فقال: أنت جبريل، وأنت ميكائيل حتى وصل الغراب وذكر حكمته التي خُلِقَ لَهَا ﴿فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ﴾ توبيخًا أو تقريرًا ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ﴾ ما غاب في ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ عن الخلق ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ تُظْهِرُوْنَهُ بألسنتكم نحو: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ إلى آخره ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ تسرونه من أنكم أحق بالخلافة استفدنا أن تعلم اللغة خير من التخلي للعبادة، وأن اللغة، وأن اللغة توقيفية، وأن علوم المَلَكِ وكماله يقبل الزيادة وأن آدم أفضل منهم ولو من وجه[2] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟﴾ وأصل السجدة تذلل مع اطمئنان، وشرعًا: وضع الجبهة عبادة وهو المراد ﴿لِءَادَمَ﴾ أي: إليه كالقبلة تعظيمًا له وطاعة لله - عز وجل ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ اسم أعجمي أو عربي من الإبلاس، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - هو من الملائكة يتوالدون ويسمون الجن، وعن الحسن أنه أبو الجن، قيل: معنى قوله - تعالى -: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ إنه كان منهم فعلًا، ومن الملائكة نوعا[3] ﴿أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ﴾ طلب التكبر وهو أن ترى نفسك خيرًا من آخر، أخره لفظًا لتأخره ظهورًا ﴿وَكَانَ﴾ في عِلْمِ الله - تعالى - [٨ظ] أو صار ﴿مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أفادت الآية استقباح التكبر والخوض في سره - تعالى - وأن الأمر[4] للوجوب ﴿وَقُلْنَا﴾ بعد

---

(١) كذا.

(٢) سبق ذكر ذلك.

(٣) لا، بل إبليس - عليه اللعنة - من الجن وليس من الملائكة في شيء، لا نوعًا ولا جنسًا اهـ.

(٤) يعني: الأمر بالسجود.

سجودهم ﴿يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ التى على الكرسى، ولا يرد أنها لا تكليف فيها ولا خروج عنها؛ لأنهما ممتنعان لمن دخلها جزاء ﴿وَكُلَا مِنْهَا﴾ أكْلًا ﴿رَغَدًا﴾ واسعًا بلا حجر ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ من الجنة ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ لأكلها، وَنَهى عن قربها مبالغةً في تحريمها، وهي الكرم[1] عند أكثر أصحابة، والحنطة عند اليهود[2] ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ الواضعين للشيء في غير موضعه ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ أصدر زلتهما أي: بَعّدَهُما ﴿ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا﴾ عن الشجرة أو الجنة، بقوله: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ﴾[3] مقالًا أو وسوسة، قيل: إنَّ الحَيَّة جَعلَتْهُ بين نابين من أنيابها[4] فأدخلته بعدما طُرِدَ مِنْهَا فَكَلَّمَهُمَا من فيها، ولذا أُمِرْنَا بقتلها مطلقًا[5].

﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟﴾ انزلوا إلى الأرض، خاطبهما مع الأولاد، أو مَعَ الشيطان ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ﴾ مُتعادين، أي: بين أولادِهما، أو بينَهُم وبَينَ الشيطان

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٥١٧، ٥١٨)، المحرر الوجيز – لابن عطية (١/ ٢٥٢)، الجامع – للقرطبي (١/ ٢٠٩).

(٢) ابن عطية (١/ ١/ ١٨٤، ١٨٥) ترويح أولي الدماثة – للأدكاوي (١/ ٦٢).

(٣) سورة طه (١٢٠).

(٤) هذا ونحوه من الإسرائيليات – تفسير الطبري (١/ ٥٢٥، ٥٢٧، ٥٣٠)، الدر المنثور (١/ ٥٣).

(٥) أحاديث قتل الحية والثعبان كثيرة، منها:

* **«اقتلوا الحية والعقرب، وإن كنتم في الصلاة»**.

رواه الطبراني في الكبير (١٠/ ١٠٣٥٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ١١٥١).

* **«اقتلوا الأسودين في الصلاة: الحية والعقرب»**.

رواه أبو داود (١/ ٩٢١)، والترمذي (٢/ ٣٩٠) والحاكم (١/ ٢٥٦).

وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ١١٤٧)، المشكاة (١٠٠٤).

* **«اقتلوا الحيات كلهن، فمن خاف ثأرهن فليس منا»**.

رواه أبو داود (٤/ ٥٢٤٩)، والنسائي (١١٦٤٣)، والطبراني في الكبير (٢/ ٢٣٩٦).

وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ١١٤٩)، والمشكاة (٤١٤٠).

* **«اقتلوا ذا الطفيتين والأبتر، فإنهما يطمسان البصر ويسقطان الحبل»**.

رواه البخاري (٦/ ٣٢٩٧)، ومسلم (٤/ ١٢٨، ١٢٩) وأبو داود (٤/ ٥٢٥٤)، والترمذي (٤/ ١٤٨٣)، وابن ماجة (٢/ ٣٥٣٥)، وأحمد (٣/ ٤٥٢).

﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ﴾ موضع قرار ﴿وَمَتَٰعٌ﴾ تمتُّعٌ ﴿إِلَىٰ حِينٖ﴾ إلى حين الموت أو القيامَة، ولا يعتقد أن آدم اتبع إبليس فيه بل أخطأ في التأويل بعد وسوسته كَحَمْل النهي على التنزيه أو اللام على العهد لا للجنس، ويمكن كونه قبل نُبُوَّته على أنه فعل ناسيًا واعلم أنه خلق للأرض،ولو لم يعص لخرج على غير تلك الحالة ﴿فَتَلَقَّىٰٓ﴾ تَلَقَّنَ ﴿ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ﴾ هي: ربنا ظلمنا [أنفسنا[1]] فَدَعَا بِهَا ﴿فَتَابَ﴾ رجع ﴿عَلَيۡهِ﴾ بالرحمة ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ كثير قبول التوبة أو الرجَّاع على عباده بالرحمة، وأصل التوبة الرجوع، وهي في العبد الرجوع عن المعصية وفيه- تعالى-[2] الرجوع عن العقوبة إلى المغفرة ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ المبالغ في الرحمة ﴿قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗا﴾ كَرَّرَهُ تأكيدًا، أو الثاني إلى مقام التكليف إذ الهبوط يقال لنقصان المنزلة أيضًا، ودلّ عليه[3] ﴿فَإِمَّا﴾ ما صلة، أي: إنْ ﴿يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى﴾ نبي ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾ أي: ما جاء به ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: عند الفزع الأكبر ﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ على ما فاتهم من الدنيا، والخوف: غَمٌّ على متوقع، والحزن غم على واقع، وأما الخوف المثبت لهم ففي الدنيا ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ قسيم لمن تبع ﴿كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ المنزلة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٩ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾.[٩و] «إسرا» معناه: عَبْدٌ وصَفْوة، «إيل» معناه: الله[4]، أي: أولاد يعقوب، هيجهم باسم أبيهم ﴿ٱذۡكُرُواْ﴾ ولا تنسوا ﴿نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ كفلق البحر وغيره[5]، ونعمة الآباء نعمة الأبناء ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ﴾ بالطاعة أو اتباع محمد- [ﷺ] ﴿أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ بالثواب والعفو.

والوفاء: مراعاة العهد، **والغدر**: تضييعه، كالإنجاز والإخلاف للوعد ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ لا غير، أكد المخصص بتكرير المفعول والفاء الجزائية، والرهب: خوف مع تحرز ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ﴾ القُرْآن ﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ﴾ التوراة والإنجيل ﴿وَلَا

---

(١) سورة الأعراف (٢٣). وفي (ن): إلى آخره.

(٢) يعني في حق الله تعالى.

(٣) في (د)، و(ن): ويؤيده.

(٤) النكت والعيون – للماوردي (١/ ١١٠).

(٥) الوسيط – للواحدي (١/ ١٢٧).

تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ﴾ فَوْج ﴿كَافِرِۭ بِهِۦ﴾ مِنْ أَهْلِ الكِتَاب ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ﴾ بالإيمان ﴿بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾ الدنيا ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾ كَمَا مَرَّ لا فوات الرياسة ﴿وَلَا تَلْبِسُواْ﴾ لا تخلطوا ﴿ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ بزيادة ما شئتم في التوراة ﴿وَ﴾ لَا ﴿وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ﴾ نَعْت مُحمَّدٍ فيها ﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ أنه حق ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ صلاة المسلمين ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ زكاتهم ﴿وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ المصَلِّيْنَ المسلمين، ولا ركوع في صلاة اليهود[1] وهذا منع لهم عما كانوا عليه فلا يدل على وجوب الجماعة[2] ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ﴾ كاتباع التوراة التى فيها وجوب اتباع محمد [ﷺ] ﴿وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ﴾ في التزام البر ﴿وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ﴾ تقرؤون أو تتبعون ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ التوراة الناهية عن ذلك ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ قُبْحَهُ، وأَصْلُ العقل الحبس، سُمِّيَ به الإدراك الإنساني؛ لأنه يحبسه عَمَّا يقبح، ثم القوة التى بها النفس تدرك ذلك، وفي الآية حَثُّ الواعظ على الاتعاظ، لا منع الفاسق من الوعظ ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ﴾ فيما شق عليكم ﴿بِٱلصَّبۡرِ﴾ هُو حَبْسُ النَّفْسِ عَلَى مُقْتَضَى العَقْل والشرع، ويسمى في المصيبة صبراً، وعن المُشْتَهى عَناءً، وفي الحَرْبِ شَجَاعةً، وفي النوائب رحب الصدر، وفي إمساك الكلام كتمانًا، والمراد هنا الصوم ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ الناهية عن الفحشاء والمنكر ﴿وَإِنَّهَا﴾ الاستعانة بهما ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ ثقيلة ﴿إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾ الساكنين إلى الطاعة ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ يتيقنون[3] ﴿أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ﴾ ثواب ﴿رَبِّهِمۡ﴾ على الصبر على تكاليفه ﴿وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ بالبعث ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ﴾ يعني إيَّاكُمْ قبل تحريفهم ﴿عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [٩ظ] عَالمي زمانكم، فلا ينافي ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ﴾[4] وافهم تفضيل البشر على الملك[5] ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا﴾ أي: فضائحه ﴿لَّا تَجۡزِي﴾ لا تقضي فيه ﴿نَفۡسٌ﴾ صالحة ﴿عَن نَّفۡسٖ﴾ عاصية ﴿شَيۡـٔٗا﴾ من الحقوق ﴿وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا﴾ من الصَّالحة ﴿شَفَٰعَةٞ﴾ في العاصية ﴿وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا﴾ من العاصية

---

(١) الدر المنثور (١/ ٦٤)، فتح القدير (١/ ٧٧، ٧٩)، الوسيط (١/ ١٢٩)، التسهيل – لابن جزي (٤٩).

(٢) اختلف الفقهاء في وجوب صلاة الجماعة أو أنها سنة فقط. * انظر: السيل الجرار للشوكاني (١/ ٨٩).

(٣) عمدة الحفاظ – للحلبي (٣/ ١٤)، الأشباه والنظائر (٢٠١).

(٤) سورة آل عمران (١١٠) يعني في حق المسلمين.

(٥) هذا من الكلام المنهي عنه، ولم يتعبدنا الله بشيء من ذلك اهـ.

﴿عَدْلٌ﴾ فداء[١] أو بدل ﴿وَلَا هُمْ﴾ النفس بتأويل الأشخاص ﴿يُنصَرُونَ﴾ يُمْنَعُوْن من العذاب، لا كزعمهم نحن أبناء الأنبياء فيشفعون لنا، استدل بها المعتزلة على نفي الشفاعة لأهل الكبائر، ويردهم تواتر أحاديث الشفاعة[٢] وأنها نزلت ردًّا لزعم اليهود، ﴿وَ﴾ اذكروا ﴿إِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ اسم ملك العمالقة أولاد عمليق بن لاوذ بن سام كقول: كسرى وقيصر لملكي الفرس والروم [وفرعون موسى: مُصْعَب[٣] بن ريان من بقايا عاد، وفرعون يوسف: رَيَّان، وبينهما أكثر من أربعمائة سنة، وسيأتي تحقيقه في المؤمن][٤] ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ يبغونكم أو يرسلون عليكم أو يكلفونكم ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ أفظعه أو يصرفونكم فيه مرَّة هكذا ومرة هكذا كالسائمة في البرية مِنْ سائمة الإبل في المرعى ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ بيانٌ لـ ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ إلى آخره[٥] ﴿أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ﴾ يتركون أحياءً ﴿نِسَآءَكُمْ﴾ لسماعه أنه سَيُوْلد[٦] منهم من يذهب بملكك ﴿وَفِى ذَٰلِكُم﴾ الإنجاء أو صنيعهم ﴿بَلَآءٌ﴾ نعمةٌ أو محنةٌ ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ وَإِذْ فَرَقْنَا﴾ فصلنا مُلْتبسًا ﴿بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ شخصه، أو وفاقًا لما سبق ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ غرقهم ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ﴾ بمعنى وَعَدنا أو للمشاركة؛ لأن موسى واعده المجيء وهو - تعالى - واعده إعطاء التوراة بَعْدَ انقضاء ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾

---

(١) قال الواحدي: والمراد بـ «العدل» في هذه الآية: الفداء، قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ (الأنعام/ ٧٠) أي: إن تفد كل فداء، وسمي الفداء عدلًا؛ لأنه يعادل المفدى ويماثله.
* الوسيط (١/ ١٣٤).

(٢) بل للبيهقي مصنف فيها.

(٣) كذا، وفي التعريف والإعلام- للسهيلي (٢٤): الوليد بن مصعب يكنى أبا مرة وهو من بنى عمليق بن لاوي بن آدم بن سام بن نوح وكل من ولي القبط ومصر فهو فرعون.
انظر: تفسير القرطبي (١/ ٣٨٣)، المعارف- لابن قتيبة (٤٣)، تاريخ الطبري (١/ ٣٨٦)، المحبر- لابن حبيب (٤٦٦، ٤٦٧)، زاد المسير (١/ ٧٨)، مروج الذهب (١/ ٤٠١)، ترويح أولي الدماثة (١/ ٦٤، ٦٥).

(٤) ساقطة من (ح) وأثبتها من (د)، و(ن)، وفى «المؤمن»: سورة غافر.

(٥) في (ن): إلخ.

(٦) في (ن): سيلد!!.

ذا القعدة وعشر ذي الحجة[١]؛ لإعطاء التوراة، خصَّ الليالي بالذكر[٢]؛ لأنَّ غُرَرَ[٣] الشهر بالليالي والعرب في أغلب تواريخها لا تذكر إلا الليل، وأيضًا: الليل أصل، وأيضًا كان الصوم عندهم بالليل ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾ إلهًا ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ بعد مضيه ﴿وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ثُمَّ عَفَوۡنَا﴾ مَحَوْنَا الجَرِيمة ﴿عَنكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ الاتخاذ ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ لتشكروا ﴿وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿وَٱلۡفُرۡقَانَ﴾ فَرْق البَحْر، أو عطف تفسير، أي: الفارق بين الحق والباطل[٤] ﴿لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ بِم ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ﴾ عابدي العجل ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾ معبودًا ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ﴾ خالقكم عن عبادة مخلوقكم وأصل تركيب «ب. ر ى» لخلوص شيء عن غيره تقضيًا أو إنشاء ﴿فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ أي: من لقيتم تمامًا لتوبتكم فأصابتهم سحابة سوداء لئلا ينظر بعضهم بعضًا فيرحمه فقتل سبعون ألفًا ثم غفر للقاتل والمقتول[٥] ﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ﴾ من العصيان؛ لأنه طُهْرَةٌ من الشرك ﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ﴾ قبل توبتكم ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ يكثر قبول التوبة كما مرَّ ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ للتّائبين ﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ﴾ حِين [١٠و] اختار موسى سبعين لأخذ التوراة، لا للاعتذار من عبادة العجل كما اشتهر ﴿يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ﴾ نصدق ﴿لَكَ﴾ بأن ما نسمع هو كلام الله ﴿حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ عيانًا ﴿فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ النار أو الصيحة أو الموت[٦] ﴿وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾ ما أصابكم ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ﴾ بالصاعقة يومًا وليلةً ﴿لَعَلَّكُمۡ

---

(١) وهو قول أبي العالية الرياحي – تفسير الماوردي (١/ ١٢٠).

(٢) في (ن): ذكر اللّيْل.

(٣) أوائل.

(٤) الوسيط (١/ ١٣٨، ١٣٩) وقال ابن عباس: أراد بالفرقان: النصر على الأعداء؛ لأن الله - تعالى - نصر موسى وقومه على عدوهم، وسمى نصره فرقانا؛ لأن في ذلك فرقا بين الحق والباطل.

* تفسير عباس (٩)، غرائب القرآن للنيسابوري (١/ ٢٨٧)، فتح القدير (١/ ٨٥).

(٥) الدر المنثور (١/ ٦٩، ٧٠)، النكت والعيون (١/ ١٢٢، ١٢٣).

(٦) الصحيح أنه الموت. وانظر: الطبري (٢/ ٨٧)، البحر المحيط (١/ ٢١٠)، الدر المنثور (١/ ٧٠)، تفسير الفخر الرازي (٣/ ٨٤).

﴿تَشْكُرُونَ﴾ نعمة البعث، ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ في التيه لحفظكم من الشمس[١] ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ﴾ الترنجبين[٢] من الفجر إلى طلوع الشمس كالثلج ﴿وَالسَّلْوَى﴾ نوع من السماني[٣]، قائلين: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ﴾ مستلذات ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ولا تدخروا، فادخروا فقطع عنهم ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ بالكفران ﴿وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بكفران ذلك وغيره من النعم كنزول عمود من السماء في الليل لإضاءتهم وعدم توسخ ثيابهم ونقائها وغير ذلك ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ بعد التيه[٤] ﴿ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ أريحا[٥] أو بيت المقدس، وهم ما دَخَلوه إلَّا زمان يُوْشَع ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ واسعًا ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ﴾ باب القرية، أو قبة كانوا يُصَلُّوْنَ إليها ﴿سُجَّدًا﴾ مُنحنِيْنَ تواضعًا، أو ساجدين شكرًا ﴿وَقُولُوا﴾ مسألتنا ﴿حِطَّةٌ﴾ لخطئينا، أو حط حطة ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ هذا لعُصَاتِهم ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ ثوابًا ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بما أمروا به من الاستغفار ﴿قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ من طلب مشتهياتهم أو قالوا: حِنْطَة استهزاء ودخلوا ماشين على أستاههم[٦] رافعي رؤوسهم عنادا ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا﴾

---

(١) في هامش (ن): بلغ.

(٢) الوسيط (١/ ١٤٢) وهو نوع من العسل يقال له: «ترنجبين» بفتح التاء الفوقية المثناة والراء المهملة وسكون النون الفوقية الموحدة بعدها جيم معجمة مفتوحة ثم باء مكسورة ثم ياء ساكنة تحتية مثناة آخرها نون: معرب «ترنكبين» وهذه الكلمة فارسية معناها: عسل الندى.
* قصد السبيل - للمحبي (١/ ٣٣٤)، تذكرة داود (١/ ٨٤).
قلت: وهو المعروف بـ«سُكَّر النبات» الآن، إلا أنهم يقلدونه صناعة، وأما الطبيعي منه فيوجد على الأشجار، ويكثر بالعراق وأفغانستان.

(٣) هو السمان المعروف. * البحر المحيط (١/ ٢١٤)، فتح القدير (١/ ٨٨).

(٤) في أرض سيناء.

(٥) تفسير ابن عباس (٩)، تفسير الطبري (٢/ ١٠٣)، الوسيط (١/ ١٤٣)، تفسير ابن كثير (١/ ٩٨)، البحر المحيط (١/ ٢٢٠).
وأريحا: مدينة عربية في قضاء القدس تقع على مسافة (٣٧) كيلًا شمال شرقي القدس وتنخفض (٢٧٦) مترًا عن سطح البحر. * معجم بلدان فلسطين (١١١).

(٦) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله: «**حطة**» قال: «**بدلوا فقالوا: حبة**» رواه البخاري (٣٤٠٣) وعن أبي هريرة قال: قيل لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجدًا، وقولوا: حطة. فدخلوا الباب يزحفون على أستاههم، وبدلوا فقالوا: حنطة؛ حبة في شعرة» رواه النسائي (١٠/ ١٠٩٢٢) وسنده صحيح موقوفًا.

أي: عذابا هو طاعونهم من الرجز[١]، داء يصيب الإبل ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ فمات به في ساعة سبعون ألفا[٢].

﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ﴾[٣] إنما ترك الترتيب بينه وبين قصة دخول القرية لتعديد ما وجد منهم وَألَّا يكون قصة واحدة ﴿مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ فأجبنا دُعَاءَه لهم ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ حَجَرٌ طوريٌّ خفيف مُرَبَّع كانوا يحملونه معهم، أو كان في مخلاته[٤] ﴿فَٱنفَجَرَتْ﴾ بضربة بعد انبجاسها[٥] أي: ترشحها ﴿مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ كل عين لسبط، وكانوا ستمائة ألف، وسعة العسكر اثنا عشر ميلا ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ سبط ﴿مَّشْرَبَهُمْ﴾ عينهم، قائلين لهم: ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ﴾ لا تمادوا في الإفساد ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ حال كونكم ﴿مُفْسِدِينَ﴾ فالنهى عن التمادي فيه، أو من قبيل ﴿لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا﴾[٦] أو احترز عما [١٠ظ] ظاهره فساد وباطنه صلاح كخرق خَضِرٍ السَّفِينة ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾ المَنِّ والسَّلْوَى، والوحدة لاستمراره على حالة واحدة، أو لأكلهم إياهما مخلوطين ﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا﴾ ما لا ساق له من الخضراوات ﴿وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا﴾ الحنطة أو

---

(١) كما في الحديث: «**الطاعون بقية رجز أو عذاب أرسل على طائفة من بنى إسرائيل**» رواه البخاري (٦/ ٣٤٧٣)، ومسلم (٤/ ٢٢١٨)، والترمذي (٣/ ١٠٦٤).

الرجز- أصلًا-: تقارب خطو البعير واضطرابه؛ لضعف فيه ومنه سمي بحر الرجز في الشعر؛ لتقارب أجزائه في التقطيع. * عمدة الحفاظ (٢/ ٧١).

(٢) هذا قول الضحاك – رواه الطبري (٢/ ١١٧) ولا يصح.

وانظر: الوسيط (١/ ١٤٥)، تفسير الرازي (٣/ ٩٠)، البحر المحيط (١/ ٢٢٥)، غرائب القرآن (١/ ٢٩٤، ٢٩٥)، تفسير القرطبي (١/ ٤١١).

(٣) في هامش (ن): نصف الحزب.

(٤) الوسيط (١/ ١٤٥).

(٥) لقوله في سورة الأعراف: ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ﴾ (الأعراف/ ١٦٠) والأنبجاس: قريب من الانفجار.

* عمدة الحفاظ (٢/ ١٦٠).

(٦) سورة آل عمران (١٣٠).

الثوم[١] أو كُلّ حَبٍّ يخبز ﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ كانوا فلاحين مغتادين[٢] بها ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ﴾ طَعْمًا ونفعا ﴿بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ فيهما، واعلم أن الخير المطلق هو النافع الحسن المستلذ، وضده الشر المطلق، والخير المقيد المتصف بواحدة منهما فيمكن اتصافه بالشر المقيد ﴿ٱهْبِطُواْ مِصْرًا﴾ من الأمصار[٣] أو مصر[٤] فرعون، والمصر: البلد العظيم[٥]، وأصله الممصور، أي: المضموم بالحدود ﴿فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ الهوان كالقبة[٦] المحيطة ﴿وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ ولو كانوا كثيري المال ﴿وَبَآءُو﴾ رجعوا أو صاروا أحقاء ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ﴾ الضَّرْب مع البوء ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ المنزلة ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ كيحيى[٧] ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ عندهم، أو قيده تَشْنيعًا على أنه قد يكون حقا كقصة إسماعيل ﴿ذَٰلِكَ﴾ الكُفْر والقتل ﴿بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ أي: جرَّهُم العصيان والاعتداء من حدود الله إليهما، أو الباء بمعنى مع ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ حقيقة أو لسانا ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ وأدخلوا في اليهودية، ويهودُ؛ إما من هاد، أي: تاب أو للنسبة إلى جدهم يهودا ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ جَمْع نصراني أُمَّةُ عِيْسَى[٨] سُمُّوا بهِ؛ لنصرتهم المسيح[٩]

---

(١) وذلك صريح في قراءة ابن مسعود. * النكت والعيون (١/ ١٢٩).

(٢) يعني يفطرون بها، وفى (ن): مُعتادين، أي: عَادتهم أكلها.

(٣) وذلك؛ لأن مصر ممنوعة من الصرف؛ للعلمية والعجمة.

(٤) هذا على قراءة الحسن والأعمش وابن مسعود وأبي وطلحة وأبان بن تغلب وابن عباس – بعدم الصرف – اتحاف فضلاء البشر (١٣٧)، والبحر المحيط (١/ ٢٣٤)، المحتسب (١/ ١٢٣).
وقال الواحدي: ويجوز أن يكون أراد «مصر» بعينها، وصرفها؛ لخفتها وقلة حروفها مثل: جمل، ودعد، وهند. * الوسيط (١٤٧١).
قال السمين: وليس بصحيح؛ لأنه أعجمي. * عمدة الحفاظ (٤/ ٩٥).

(٥) المصر: اسم كل بلد ممصور أي: محدود، ويقال: مصرت مصرا، أي: بنيته والمصر: الحد. * عمدة الحفاظ (٤/ ٩٥).

(٦) يعني: كما تضرب القبة.

(٧) وزكريا وشعيا. * الكامل (١/ ٢٥٥)، الوسيط (١/ ١٤٨).

(٨) بَلْ عيسى مِنهمُ برئ، وهُمْ أمّة الكُفْر والوثنيّة.

(٩) قلت: وهذا من أبعد المعاني لغة وواقعًا:

=

أو لنزولهم معه في قرية نصران أو ناصرة[١]، ﴿وَالصَّٰبِـِٔينَ﴾ الخارجين من الدين، وهم بين اليهود والنصارى والمجوس بلا دين، يُعظِّمُونَ الكواكب، وخص الأربعة؛ لشهرتهم ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ منهم قلبًا ولسانًا ﴿بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ بلا رياء ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ كما مَرَّ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ باتباع التوراة، ﴿وَ﴾ قَدْ ﴿رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ ظلله جبريل فوقهم حين أبوا حتى قبلوا[٢]، والظاهر أنه إلجاء، فاستحقاقهم الثواب باستدامته، وقيل: بالعمل به، قائلين: ﴿خُذُوا مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ بجد ﴿وَٱذْكُرُوا﴾ ولا تنسوا ﴿مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ لكي تتقوا ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ بنقض الميثاق ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ [١١و]وَرَحْمَتُهُۥ﴾ بتوفيق التوراة ﴿لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ المغبونين ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ﴾ حال ﴿ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ من سبت أي: عَظَّمَ السبت، إذ نهوا عن الصيد فيه تعظيمًا له ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً﴾ أمر تكويني[٣] ﴿خَٰسِـِٔينَ﴾ مطرودين ذليلين، نودوا بذلك فصاروا كذلك، روي أن شبانهم صاروا قردة وشيوخهم خنازير[٤] ﴿فَجَعَلْنَٰهَا﴾ المسخة ﴿نَكَٰلًا﴾ عبرة مانعة من ارتكاب مثله ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ لمعاصريهم ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ من بعدهم ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿و﴾ اذكروا[٥] ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ﴾ لما وُجِدَ فِيْهم قتيل قتله بنو أخيه طَمَعًا في ماله، ثُمَّ جَاءُوا يُطالبون بدمه[٦]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾

= أما اللغة فلو كانوا نصروه. لقيل: ناصرون أو ناصرين، وأما الواقع فلا يعلم أمة خذلت نبيها كخذلان النصارى لعيسى وأمه.

(١) هذا هو الصحيح والناصرة: مدينة في فلسطين تقوم فوق رقعة متوسطة الارتفاع داخل الجليل الأدنى وترتفع (٤٠٠) متر عن سطح البحر و (٣٠٠) متر عن مستوى سهل مرج ابن عامر، وأصل النصارى فيها من لبنان. * معجم بلدان فلسطين (٧٠٢).

(٢) تفسير الطبري (٢/ ١٥٦، ١٥٧)، تفسير ابن كثير (١/ ١٠٥)، الدر المنثور (٣/ ١٠٤)، فتح القدير (١/ ٩٥).

(٣) أي: كونوا بتكويننا إياكم وتغييرنا خلقكم. * الوسيط - للواحدي (١/ ١٥٢).

(٤) الوسيط (١/ ١٥٢) هامش.

(٥) في (ن): واذْكُرْ.

(٦) تفسير الطبري (٢/ ١٨٣، ١٨٨)، الوسيط (١/ ١٥٤)، أحكام القرآن - لابن العربي (١/ ٢٢، ٢٣)، البحر المحيط (١/ ٢٤٩).

فتضربوه بِبَعْضِها ليحيا ويخبر بقاتله ﴿قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ مهزوًّا بنا، وهو المزح ﴿قَالَ﴾ ردًّا لهم على طريقة البرهان: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ حاصِلُ الهزؤ هنا جهل وهو منتف عني ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾ ما صِفَتُها مجاز عن أي: شيء وحقيقة عند السكاكي[1] ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ﴾ هرمة ﴿وَلَا بِكْرٌ﴾ شابة قبل الفحل، وتركيب بكر للأولية[2] ﴿عَوَانٌ﴾ وسط ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ المذكور من الفارض والبكر إنما نكره نعتًا لاحتمال كونه عجلًا أو جنينًا ﴿فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ۝٦٨ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ خالص الصفرة غاية، وإسناده إلى لونها مَجازًا ﴿تَسُرُّ﴾ تُعْجِبُ ﴿ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ وأصل السرور لذة في القلب عند حُصُوْل نفع أو توقعه وهو والحبور والفرح متقاربة، إلا أن الأولين محمودان ونهي عن الثالث[3]؛ لأنه فيما يورث بطرا[4] ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾ أسائمة أم[5] عاملة ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ إليها دَلَّ عَلَى انفكاك

---

(١) مفتاح العلوم- للسكاكي (ص١٩٥/ علم البيان).

والسكاكي هو الإمام العلامة اللغوي سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكس الخوارزمي المتوفى سنة ٦٢٦هـ. * الجواهر المضية (٢٢٥).

(٢) يعني: أصل وضعها في اللغة.

قال السمين الحلبي: البكرة هي أصل كل ما يتصرف منها، والبكرة: هي أول النهار، وقد اشتق منها لفظ الفعل.

فقيل: بكر فلان في حاجته أي: خرج بكرة، والبكورة: الخروج بكرة، والبكور – بالفتح -: المبالغ في البكور، ولتقدمها على سائر أوقات النهار استعمل منها كل متعجل. * عمدة الحفاظ (١/ ٢٢٠).

(٣) يعني: في أمور الدنيا كقوله- تعالى-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ أما في أمور الخير والآخرة ونصرة الدين فهذا مأذون فيه، كما في قوله- تعالى-: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾ (يونس: ٥٨) وقرأ أبي: (فافرحوا)، وقرأ ابن عامر وأبورجاء وقتادة ورويس: (فلتفرحوا)، ومثله: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ (الروم: ٤، ٥)؛ لأنه نصرة لدين الله، وذلك أن الروم غلبت الفرس، والروم أهل كتاب في الجملة، والفرس عبدة نار لاكتاب لهم، فهم أبعد من المؤمنين. * عمدة الحفاظ (٣/ ٢١٠، ٢١١).

(٤) البطر – بفتح الباء الموحدة والطاء المهملة: أن يطغى أي: يتكبر عند الحق فلا يقبله، وقال الهروي: البطر: الطغيان عند النعمة. * عمدة الحفاظ (١/ ٢٠٠).

(٥) في (د): أو.

الأمر عن الإرادة إذ شرطت بعد الأمر، وعِنْدَ المعتزلة والكرامية على حدوث الإرادة، إذ معناه إن حدث بمشيئة، ورد بأن التعليق باعتبار التعلق [١] ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ﴾ مُذَلَّلَةٌ للعمل ﴿تُثِيرُ﴾ تقلب ﴿ٱلْأَرْضَ﴾ للزراعة ﴿وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ﴾ عن العمل أو العيب ﴿لَّا شِيَةَ﴾ لا علامة من لون آخر ﴿فِيهَا قَالُوا۟ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾ بحقيقة وصفها، فحصلوها ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ لكثرة مراجعتهم أو خوف التغيير أو لأنهم وجدوها بعد أربعين سنة[٢] ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ أخر أول القصة[٣] تقديما لذكر مساوئهم [١١ظ] أو تعديدا لها أو لأنهم أمروا بالذبح قبل القتل ﴿فَٱدَّٰرَٰءْتُمْ﴾ تَدَافَعْتُم أو اختلفتُم[٤] ﴿فِيهَا وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ﴾ مُظْهِر ﴿مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ من أمر القاتل ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ﴾ القتيل ﴿بِبَعْضِهَا﴾ أي: البقرة[٥] ليحيا، فضَربُوه بلسانها فحيي وأخبر ومات بلا مهلة ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الإحياء به ﴿يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾ دلائل قدرته ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أن من قدر عليه قدر على الحشر وإنما لم يحيه - الله ابتداء بلا شرط؛ لما فيه من التقرب وأداء الواجب ونفع اليتيم وبيان بركة التوكل والشفقة على الأولاد واستحباب القربة للطالب والمغالاة بثمنها وغير ذلك من الحكم[٦]. ﴿ثُمَّ قَسَتْ﴾ غلظت ولم تعتبر ﴿قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ المذكور من الآيات ﴿فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ﴾ صَلابةً ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ «أو» للتخيير أو للترديد، أي: مَن عَرفَ حالها شَبَّهها بالحِجارة

---

(١) تفسير البيضاوي (١٥).

(٢) هذا بعيد بعد الأرض عن جو السماء، والراجح أنهم من تشديدهم على أنفسهم وتعنتهم شدد الله عليهم فحيرهم وأضلهم- والعياذ بالله.

(٣) يشير الكازروني- طيب الله ثراه- إلى أن الواو في «وإذ» عطف على قوله- تعالى-: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾، ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ﴾ والذكر مضمر ها هنا، كأنه قال: واذكروا إذ قتلتم نفسا، وأضاف القتل إليهم -وإن كان القاتل واحدا، على ما جرى من عادة العرب أنهم يضيفون فعل البعض إلى جماعة القبيلة، يقولون: فعلتم كذا، وإن كان بعضهم فعل ذلك، وهذه الآية هي أول القصة، ولكنها مؤخرة في الكلام، ومعناه التقديم.

* تفسير الوسيط (١/ ١٥٧) بتصرف.

(٤) في (ع): واختلفتم.

(٥) أي: ببعض البقرة.

(٦) تفسير البيضاوي (١٥).

أو به، وسيأتي بيانه في قوله- تعالى-: ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾[١] ثم علّل الأشدية بقوله: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ وهذا دون الأول، إذ التفجر التفتح بكثرة فلا تكرار.

﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ﴾ من رأس الجبال[٢] ﴿مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ انقيادا وهي[٣] متعلق الأفعال السابقة ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ .

﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾[٤] أيُّها المُؤْمِنُون ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ اليهود ﴿لَكُمْ﴾ لدعوتكم ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ من أسلافهم ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ هم السبعون المختارون للميقات[٥] ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ بعد رجوعهم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ فهِمُوْه ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ عقابه، فكيف بهؤلاء ﴿وَإِذَا لَقُوا﴾ منافقوهم ﴿الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ بأنكم على الحق ﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى﴾ مع ﴿بَعْضٍ قَالُوا﴾ كُفَّارهم لِمُنافقيهم: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ في التوراة[٦] من صفة نبيهم ﴿لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ فيقولوا: أكفرتم بما علمتم صدقه ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أليس لكم عقل، ومثل هذه الهمزة للتوبيخ، والجملة معطوفة على جملة: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ وهي لِصَدارتها قُدِّمت، وكذا في الواو وثُمَّ، وقيل عطف على محذوف بعد الهمزة فتقديره: أتقولونه فَلَا تَعْقِلُون ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فالحُجَّةُ على التقديرين قائمة عليهم ﴿وَمِنْهُمْ﴾ من اليهود ﴿أُمِّيُّونَ﴾ مَنْ لَا يَكْتُبُ ولا يقرأ ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا﴾ لكن يعلمون ﴿أَمَانِيَّ﴾ أكاذيب سمعوها من كبرائهم[٧]، وأصل الأمنية ما يقدره الإنسان في نفسه ﴿وَإِنْ هُمْ

---

(١) سورة النحل (٧٧). وفى (ع): بل هُوَ أقرب!!!

(٢) في (ع): الجبل.

(٣) يعني شبه الجملة «من خشية الله».

(٤) في هامش (ن): حِزْب.

(٥) النكت والعيون – للماوردي (١/ ١٤٧).

(٦) ومعنى: «فتح الله» أي: بما علمكم الله أو بما قضاه الله. * النكت والعيون (١/ ١٤٩).

(٧) وهو اختيار الفراء في معاني القرآن (١/ ٤٩، ٥٠). * وانظر الوسيط (١/ ١٦٢).

إِلَّا ﴾ قَوْمٌ ﴿يَظُنُّونَ﴾ يعتقدون بلَا عِلْم ﴿فَوَيْلٌ﴾ هَلَاكٌ، أو واد في جهنم[1] ﴿لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ أَحْبَارهم [١٢و] الكاتبون من تأويلات زائغة، لإشارات التوراة إلى بعثة محمد- ﷺ- وأكَّدَ بالأيدي؛ ليفيد مُباشرتهم بأنفسهم ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ هو رياستهم وانتفاعهم من سفلتهم ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ من سفلتهم أو من المعاصي ﴿وَقَالُوا۟﴾ اليهود ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ﴾ المَسُّ: اتِّصَالُ الشَّيء بالبشرة بحيث تتأثر الحَاسَّةُ به[2]، واللَّمْسُ كالطَّلَبِ[3] لَهُ ﴿إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ سَبْعَة[4]، أو أَرْبعين[5] ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا﴾ بذلك ﴿فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ﴾ تفترون ﴿عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ﴾ أثبت منفيهم ﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ والكسب: استجلاب النفع، علقه[6] بالسيئة[7] تَهَكُّمًا ﴿وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ فلا يبقى لَهُ حَسَنة، وهو الكافر؛ لأَنَّهُ إنْ صدق قلبه ما يحرك لسانه لم تُحِطْ بِهِ الخطيئة، والفرق أن السيئة قد تقال فيما يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعِرْضِ ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ ﴿وَ﴾ اذكروا ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ في التوراة قَائلين لَهُم: ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ بمعنى

---

(١) عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «**ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره**» رواه الترمذي (٥/ ٣٨٣/ ٣٤٣٥/ الرسالة)، وأحمد (٣/ ٧٥) وأبو يعلى (١٣٨٣)، وابن حبان (١٦/ ٥٠٨/ ٧٤٦٧/ إحسان) وسنده ضعيف، إلا أن له شواهد.

(٢) بقصد وبغير قصد.

(٣) يعني لابد فيه من القصد.

(٤) رواه ابن هشام في السيرة (٢/ ١٨٥)، ومن طريقه ابن أبي حاتم في التفسير (١/ ٢٤٧، ٢٤٨/ ٨١٨)، وابن جرير في الجامع (١/ ٣٠٣)، والواحدي (١٦)، والضياء في المختارة (١٠/ ٣٥٤، ٣٥٥/ ٣٨٠) وسنده ضعيف.

(٥) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٢٤٨/ ٨٢٠)، وابن جرير في الجامع (١/ ٣٠٢) وسنده ضعيف جدًا.

(٦) في (ن): عُلِّقَ.

(٧) في (س): بالنَّسِيْئَةِ.

النهـــي ﴿إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ﴾ تحـسنون ﴿إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ القرابـــة ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ فاقـد مـا يكفيـه، وأصـله مـن أسـكنه الخلـة ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ﴾ قـوْلًا ﴿حُسْنًا﴾ ذا حـــسن كــالأمر بــالمعروف ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ المفروضتين في دينكم ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أَعْرَضْتُمْ عَنِ الميثاق ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ عادتكم الإعراض عن الوفاء ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ في التوراة ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾ لَا يَقْتُل بعضكم بعضًا فإنهم كأنفسكم لا تـصالهم دِينًا وَرَحِمًا ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ بـإجلاء بعـضكم بعـضا ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ قبلتمـوه ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ على أنفسكم بذلك ﴿ثُمَّ أَنتُمْ﴾ بعد ذَلك يا ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الناقضون ﴿تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ﴾ تتعـــاونون ﴿عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ﴾ بالمعـــصية ﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ الظلــم ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ﴾[1] ﴿وَهُوَ﴾ الــشأن ﴿مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ بالفداء ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ بالقتـل والمظـاهرة والإخــراج ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ﴾ هَـوَانٌ وعَـذَابٌ ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ كخزي [١٢ظ] قريظة بالسبي والقتل، وبنو[2] النـضير بـالجلاء والجزيـة ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ﴾ لا يـنقص ﴿عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يُمْنَعُـوْنَ مِـنْ عَـذَابِ الله ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾ أتبعنـــاه إيـــاهم ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ المُعْجِزات ﴿ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ﴾ قويناه ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ بروح مقدس، هو اسْمٌ كَانَ يُحْيِي به الموتى، أو جبريل إذ كان يسير معه حيث سار، أو القـدس والقـدوس واحـد، أي: روح الله ﴿أَ﴾ كَفَرْتُم ﴿فَكُلَّمَا﴾ مَرّبَيَـانُ نَظِيره ﴿جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ﴾ لا تُحِبُّهُ ﴿أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ﴾ كعيـسى ومحمـد [ﷺ] ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ كزكريــا ويحيى، والمـضارع لحكايـة الماضي، أو لمحـاولتهم قتـل محمـد- ﷺ ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ مُغشَّاة بغلاف خلقي يمنعها عن فهم ما جئت به ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ فقلوبهم

---

(١) في هامش (ن): قرأ حفْص: (تُفَادُوهم) وكتبها في المتن: (تفدوهُم).

(٢) كذا.

ملعونة بسببه ﴿فَقَلِيلًا مَّا﴾ إيمانًا قليلًا ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ وهو إيمانهم ببعض الكتاب، أوْ أرادَ عدَمَ إيْمَانهم ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ القرآن أي: ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ التوراة، وجواب «لِمَا» محذوف، دَلَّ عليه «لما» الثانية ﴿وَكَانُواْ﴾ اليهود ﴿مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ﴾ يستنصرون ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بقولهم: اللهم أيدنا بنبيٍّ آخِرِ الزمان المنعوت في التوراة[1] ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ حَسَدًا ﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ﴾ باعوا ﴿بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ فإنهم باعوا ثوابها بالكُفْر أوْ اشتروها حقيقة على زعمهم ﴿أَن يَكْفُرُواْ﴾ مَخْصوصٌ بالذم[2] ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا﴾ حَسَدًا على ﴿أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ الكتاب والنبوة ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ فَبَآءُو﴾ رَجَعُوا ﴿بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ بكفرهم بمحمد - ﷺ - بعد كفرهم بعيسى - ﷺ - ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ لكنَّ عَذَاب العُصَاة للتطهير ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ لليهود ﴿ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ القرآن ﴿قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ التوراة ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ بما سواه ﴿وَهُوَ﴾ ما سواه ﴿ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ التوراة فالكفر به[3] كفر بها[4] ﴿قُلْ﴾ إنْ صَدَقْتُم ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ﴾ جاء بالمضارع[5] للزوم الصفة لهم و﴿مِن قَبْلُ﴾ متعلق بمضمون ﴿فَلِمَ﴾ الذي هو البحث عن علة الشيء فكأنه قيل: أخبروني من قبل ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ بالتوراة [١٣و] الناهية عنه وفعل آبائهم كفعلهم؛ لرِضَاهُم به.

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ المُعجزات الوَاضحات ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾

---

(١) سيرة أبي هشام (٢/ ١٩٨، ١٩٩)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٧٦/ ٩١١)، جامع البيان (١/ ٣٢٥)، دلائل النبوة – لأبي نعيم (٤٤).

(٢) والفعْلُ: «بِئْسَ».

(٣) بالقرآن.

(٤) بالتوراة.

(٥) والمراد: لم قتلتم؛ لأنه كالصفة اللازمة لهم، كقولك للكذاب: لم تكذب؟ وأنت تريد: لم كذبت؟ ولأن قرينة الحال تصرف اللفظ إلى الماضي وإن كانت الصيغة للاستقبال.

* وضح البرهان (١/ ١٥٢).

إلهـا ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ مِـنْ بَعْـدِ ذهابـه ﴿وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾ عـادتكم الظلـم ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ قـائلين: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾ بجِـدٍّ ﴿وَٱسۡمَعُواْ﴾ أطيعـوا ﴿قَالُواْ سَمِعۡنَا﴾ بـالآذان ﴿وَعَصَيۡنَا﴾ بـالقُلُوب، واعترفـوا بـالقبول ولم يفعلـوا ﴿وَأُشۡرِبُواْ﴾ أعمق أبدانهم حتى دخل ﴿فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾ أي: حُبَّه كدخول الصبغ الثوب ﴿بِكُفۡرِهِمۡ﴾ المبطون ﴿قُلۡ بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ﴾ بالتوراة من عبادة العجل وتكذيب مُحمَّدٍ- ﷺ- ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ فبئسما[1] أمركم به إيمانكم ﴿قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ في عِلْمِه ﴿خَالِصَةٗ﴾ خاصَّة بكم ﴿مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ البـاقين ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ﴾ ادعـوا بـه علـى الكـاذب منـا ومنكم أي: باهلوا[2] ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ ولو تمنوا لما بقي أحد منهم[3] ﴿وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۗ﴾ من الذنوب عَبَّر بها[4] عن النفس؛ لأنها آلة أغلب صنائعها ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٩٥ وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ﴾ متطاولة ﴿وَ﴾ أحرص ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ﴾ خصَّهُم؛ لإنكارهم البعث ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ﴾ لَوْ: للتمنِّي أي: أن يعمر، وحاصله يقول: ليتني أُعَمَّرُ ﴿أَلۡفَ سَنَةٖ وَمَا هُوَ﴾ أحدهم ﴿بِمُزَحۡزِحِهِۦ﴾ بِمُبْعِد نفسه ﴿مِنَ ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرَۗ﴾ تعميره ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ۝٩٦ قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ﴾ «جبْر» معناه: عَبْد «إيل» معناه: الله، فما له إنصَافٌ[5] ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ﴾ القرآن ﴿عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ﴾ بـأمر ﴿ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ مـن الكتـب ﴿وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ وعـذابًا

---

(١) في هامش (ن): بلغ مقابلة.

(٢) من المباهلة وهي الملاعنة ومنه قوله- تعالى-: ﴿ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ﴾.

(٣) قال الواحدي- رحمه الله-: وفي هذه الآية أبين دلالة على صدق نبينا محمد- ﷺ-؛ لأنه أخبر عن الله أنهم لا يتمنون الموت – ثم لم يرد – مع حرصهم على تكذيبهم – أن أحدا أتاه وقال: يا محمد ! أنا أشتهي الموت وأتمناه؛ لأنهم علموا أنهم لو تهنوا لم يبق منهم صغير ولا كبير إلا مات، فكان إحجامهم عن ذكر الموت دليلا على عنادهم الحق وتكذيب من يعرفون صدقه. * والوسيط (١/ ١٧٧).
وانظر: معاني القرآن- للزجاج (١/ ١٥٢)، تفسير الطبري (٢/ ٣٦١)، الدر المنثور (١/ ٨٩).

(٤) باليدين.

(٥) كذا- والمعنى: إن من عادى جبريل لم يُنْصِفْ في المعادَاةِ.

وشدة على الكافرين ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ أي: له، وضع المُظْهَر مكان المُضْمَر تسجيلًا على كفرهم، وقس عليه نظائره.

﴿وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ وَمَا يَكۡفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ الفِسْقُ إذا اسْتُعْمِل في نوع من المعاصي دَلَّ على أعظمه ﴿أَ﴾ كفروا بآياتنا ﴿وَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ﴾ طَرَحَهُ مَنْسِيًّا ﴿فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ رَدٌّ لِتَوَهُّم أن الفريق هم الأقلون ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ [١٣ظ] ٱللَّهِ﴾ التوراة ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ﴾ أي: أعرضوا بجَحْدِهم ما فيها من صفة محمد -ﷺ- ﴿كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ ما فيها ﴿وَٱتَّبَعُواْ﴾ عطف على «نبذ» ﴿مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ حكاية عن الماضي ﴿عَلَىٰ مُلۡكِ﴾ عَهْدِ ﴿سُلَيۡمَٰنَ﴾ أي: كتاب سِحْرٍ كتَبَهُ الشياطينُ ودفَنُوهُ تحت كُرْسِيِّه واستخرجوه بعد موته، وقالوا: هو مَلَكَ بهذا السحر لا بنبوته، فتعلموه ونفوا نُبوَّتهُ ﴿وَمَا كَفَرَ﴾ ما سحر ﴿سُلَيۡمَٰنُ﴾ عبر عنه بالكفر لغلظه[1] ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ﴾ بما دفنوه وقالوه[2].

*** تنبيه:**

السحر[3]: إتيان نفس شريرة بخارق عن مزاولة محرم، فإذا اقترن بكُفْرٍ فكُفْرٌ، وإلا فكبيرة[4] عند الشافعي وَكُفْرٌ عند غَيْره، وتعلمه إذا لم يكن ....

---

(١) قال الماوردي: وهم ما نسبوه إلى الكفر، ولكنهم نسبوه إلى السحر، لكن لما كان السحر كفرا صاروا بمنزلة من نسبه إلى الكفر. * النكت والعيون (١/ ١٦٤).

(٢) الوسيط- للواحدي (١/ ١٨٣).

(٣) المفردات (٣٣١)، الكليات (٣/ ٥) التوقيف (٣٩٩).

(٤) الذخائر – للسفاريني (١٥٣) وتعلم السحر وتعليمه حرام، قال القرطبي (٢/ ٣٠، ٣١):
قوله- تعالى-: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ﴾ تبرئة من الله لسليمان، ولم يتقدم في الآية أن أحدا نسبه إلى الكفر، ولكن اليهود نسبته إلى السحر، ولما كان السحر كفرا صار بمنزلة من نسبة إلى السحر، ثم قال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ﴾ فأثبت كفرهم بتعليم السحر .اهـ.
وقال ابن العربي في أحكام القرآن (١/ ٤٤): وما كفر سليمان قط ولا سحر، ولكن الشياطين كفروا =

لِذَبِّ[١] السحرة عند فُشُوِّه[٢] حَرَامٌ عند الأكثرين.

وعِنْدَ الإمام[٣] **أنواعه ثمانية:**

الأول: سحر الكلدانيين عبدة الكواكب[٤].

الثاني: سحر ذوي الأفْهام[٥] والنفوس القوية.

الثالث: الاستعانة بالأرواح الأرضية.

الرابع: التخييلات والأخذ بالعيون.

الخامس: أعمال عجيبة ظاهرة من تركيب آلات مركبة كَفَارِسٍ في يده بُوْق كل ساعة يضر به بلا مس[٦] أحد.

السادس: الاستعانة بخَوَاصِّ الأدوية[٧].

السابع: تعليق القلب، كأن هدده بأني أفعل بك كذا وكذا بالاسم الأعظم، فإذا سمعه تعلق قلبه به فتضعف قوته الحساسة فيتمكن من أن يفعل به ما يريد.

الثامن: السعي بالنميمة ونحوه.

والمعتزلة أنكروا كُلَّ ذَلِكَ إلَّا التخييلي والنميمة[٨]، والتحقيق أن الأعمال

= بسحرهم وأنهم يعلمونه الناس، ومعتقد الكفر كافر، وقائله كافر، ومعلمه كافر اهـ.
وبهذا يعلم فساد القول بتعلمه، قلت: لعل الرازي – رحمه الله – يقصد بالإباحة معرفته لا تعلمه، وفرق بينهما.

(١) دَفْع شرِّهم، والمسألة خلافية والراجحُ فيها جواز تعلُّمه لمن يأمَنُ الفتنةَ لمعرفة الشرّ لا للشّرِّ، وإنما للوقاية منه.

(٢) انتشاره.

(٣) الرازي، ونقله عنه ابن حجر الهيتمي في الزواجر (٢/ ١٦٤).

(٤) الذين يعتقدون بألوهية الأفلاك وأنها واجبة الوجود وأنها فاعلة، لها قوة نافذة غالبة في هذا العالم.

(٥) كذا في المخطوط وهو الصحيح، وفي الزواجر (٢/ ١٦٤): الأوهام.

(٦) هذا هو علم الآلات «ميكانيكا» وقد برع فيه المسلمون، وساق العلامة أحمد تيمور باشا نماذج عديدة عليه في كتابه «خيال الظل والتمثيل عند العرب». * وانظر: قطرات الدمع فيما ورد في الشمع – للحافظ ابن طولون (١٢/ بتحقيقي).

(٧) مفردةً أو مُركبة.

(٨) ليست في (ن)، وهي في (ح)، و(س)، و(ع)، و(د).

العجيبة مِمَّا يُعْمَلُ بالآلات والأدوية كأعمال أصحاب الحيل وأصحاب خفة اليد غير مذموم[١]، وتسميته سحرًا تَجَوّزًا، وقَدْ بَانَ لك بهذا وبالتعريف خُرُوْج كثير من الأقسام التي ذكرها الإمام، ومنها: الشعوذة[٢] وهي إظهار عمل شيء تشتغل به أذهان الناظرين وأعينهم بعمل شيء آخر على سبيل السرعة ليخفى الأمرُ على الناظر.

ثم اعلم أن المعجزة خرق عادة من نفس خيرة داعية إلى الخير مقرونًا بالتحدي على وفقه تتعذر معارضته، فخرج بالخيرة الداعية إلى الخير خوارق المسألة والساحر، وبالاقتران الكرامة والإرهاص[٣] وبالوفاق خارقٌ يَشْهَدُ على خلاف دعواه، كمن يقول: علامة نبوتي: نطق هذا الحائط، فنطق بأنه كذاب وبتعذر المعارضة ما يعمل بخواص الأشياء.

ثُمَّ كَرَامَةُ الوليّ، وهو المقبل على الله بكلِّ حالٍ: هي خَرْقُ عادة من ملتزم لمتابعة نبيه بلَا دَعْوى النبوة، فخرج بالالتزام الاستدارج[٤]، ومؤكد تكذيب الكذاب كمرض من دَعَا بعافيته ويُسَمَّى إهانة، وكذا ما وقع تخليصًا للمؤمنين ويسمى: معونة والله أعلم.

﴿وَ﴾ يعلمونهم ﴿مَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ أي: أُلْهِمَا به من السحر ومعرفة فساده، ﴿بِبَابِلَ﴾: موضع بالكوفة[٥]، ﴿هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ﴾: بيان للملكين[٦]، وهُمَا كَانَا

---

(١) لكن خفة اليد إن اقترنت بحرام كسرقة وأكل أموال الناس بالباطل فحرام اهـ.

(٢) التضليل وهي الشعبذة.

(٣) ما يظهر للنبي قبل النبوة كإظلال الغمام ونحوه .اهـ.

(٤) ما يظهر على يد الكاذب.

(٥) بابل: مدينة أثرية بالعراق وتعرف الآن ببابل القديمة. * تقويم البلدان (٣٠٢)، المسالك والمماليك – للبكري (١/ ٤٤٠)، معجم ما استعجم (١/ ٢١٨)، الأماكن – للحازمي (٢/ ٨٧٢)، معجم البلدان (١/ ٣٠٩)، والكوفة: مدينة بالعراق على ذراع من الفرات خارج.

(٦) أقول: هذان ليسا ملكين؛ لأن الله عصم الملائكة عن المعصية، والظاهر أنهما رجلان صالحان شبها بالملكين أو هما ملكين – بكسر اللام – وقد قرأ بها ابن عباس والضحاك وابن أبزي وأبو الأسود الدؤلي والحسن البصري وابن مزاحم. * البحر المحيط (١/ ٣٢٩)، تفسير الطبري (٢/ ٤٣٥).

قلت: وللإمام العلامة الفقيه البارع الولي عبد الغني النابلسي – رحمه الله ورضي عنه – كتاب ماتع

من أعبد الملائكة، رَكَّبَ الله تَعالى فِيْهِما الشَّهْوة بعدما طعن الملائكة فينا ليظهر عذرنا فعصيا فخيرهما بين عذابي الدارين، فاخْتَارَا عَذَابَ الدنيا، فَعَذَّبَهُما إلى يوم القيامة[١]، ويمتحن بهما عباده[٢]، ونزوله عليهما لا ينافي حُرْمَتهُ؛ لأَنَّهُما يعلمانه ليجتنبوه، كما لو سُئِلْتَ: ما الزنا؟ لوجب بيانه لِيُعْرفَ فيجتنب عنه، ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ﴾: الملكان ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾، أحدًا ﴿حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾، اختبار لكم ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾: بتعلمه، كأنه كان في هذا النوع من السحر كفر، ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا﴾: أي: سحرًا، ﴿يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾: خَصَّه بالذِّكْر؛ لأنَّـهُ أَقْبحُ أنواعه[٣]، ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ﴾: بالسحر ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾، أحدا، ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بأمره، ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾: لأنهم يتعلمونه للعمل، ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾ السحر بدين الله باختياره عليه، ﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ نصيب خير، ﴿وَلَبِئْسَ مَا

= سماه «برهان الثبوت في تبرئة هاروت وماروت» طبع في (٣٧٦/ ص) بدار البشائر الإسلامية المحروسة – بتحقيق الدكتور / عمر أحمد زكريا – وفقه الله.

وقال شيخ مصنفنا العلامة جلال الدين الدواني – بتشديد الواو المفتوحة –: وما اشتهر من قصة هاروت وماروت ليس مقبولا عند الأكثر من المحققين بل ذكر (شيخ الإسلام) ابن تيمية أن السبب في إنزالهما أن السحر قد تفشى في ذلك الزمان، واشتغل به الناس واستنبطوا أمورا غريبه منه وكثر دعوى النبوة، فبعث الله – تعالى – هذين الملكين ليعلمان الناس أبواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة السحرة الكفرة. * شرح رسالة العضد الإيجي (٢٦/ أ- الظاهرية) نقلا عن هامش برهان الثبوت.

(١) قال السيوطي في كتاب «الحبائك في أخبار الملائك». قال القرافي: ومن اعتقد في هاروت وماروت أنهما بأرض الهند يعذبان على خطيئتهما مع الزهرة فهو كافر، بل هم – يعني الملائكة – رسل الله وخاصته يجب تعظيمهم وتوقيرهم وتنزيهم عن كل ما يخل بتعظيم قدرهم، ومن لم يفعل ذلك وجب إراقة دمه. الحبائك (٢٥٤).

(٢) قال ابن كثير – رحمه الله – في البداية والنهاية (١/ ٣٧):
وأما ما يذكره كثير من المفسرين في قصة هاروت وماروت من أن الزهرة... إلخ فهذا أظنه من وضع الإسرائيليين، وإن كان قد أخرجه كعب الأحبار وتلقاه عن طائفة من السلف على سبيل الحكاية والتحديث عن بنى إسرائيل ومن خرافاتهم التى لا يعول عليها – والله أعلم.
وقال في تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٢٢): وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى النبي – ﷺ – الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى.

(٣) وهو سحر الفرقة بين الزوجين – والعياذ بالله –.

شَرَوۡاْ﴾ باعوا[١]، ﴿بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ نَزَّلَ عِلْمَهُم منزلة جهلهم لعدم علمهم به، أو المثبت الغَرِيْزِيّ[٢]، والمنفي المكتسب[٣]، ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ﴾ بمحمد- ﷺ- ﴿وَٱتَّقَوۡاْ﴾ بترك المعاصي، جوابه: لأثيبوا يَدُلُّ عليه: ﴿لَمَثُوبَةٞ﴾ لشيء من الثواب، ﴿مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ خَيۡرٞۚ﴾ لَهُمْ، هذا من قبيل: ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا﴾[٤]، أو خاطبهم على اعتقادهم، ﴿لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ١٠٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ﴾ لمحمد عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، ﴿رَٰعِنَا﴾ راقبنا وتأن بنا لنفهم، لأن له معنى قبيحًا بُلغَةِ اليَهُوْد يضحكون به فيما بينهم[٥]، أو لأن المفاعلة للمشاركة، ﴿وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا﴾ انظر إلينا، ﴿وَٱسۡمَعُواْۗ﴾: النصح قبولًا، ﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ﴾ السابين رسلنا، ﴿عَذَابٌ أَلِيمٞ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ﴾: حَسَدًا ﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾: ولهُ مصالحُ في حرمان بعض، ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ﴾: نبين انتهاء حُكْمِهَا والتعبد بقراءتها أو كليهما، وأصله إزالة الصورة عن شيء وإثباتها في غيره[٦]، ﴿أَوۡ نُنسِهَا﴾: نمحها عن القلوب سواء كان أمرًا أو نهيًا أو خبرًا، ولا يعتبر فيه إزالة الحكم ولا إزالة معنى لفظ الخبر، ولِذَا ورد أنَّهُم كانوا ينسون سورة كبراءة ومن

---

(١) ومنه: ﴿وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ﴾ (يوسف/ ٢٠) وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ﴾ (البقرة / ٢٠٧) أي: يبيعها. * عمدة الحفاظ (٢/ ٢٦٨).

(٢) الفِطريّ.

(٣) المتعَلّم.

(٤) سورة الفرقان (٢٤).

(٥) معاني القرآن – للزجاج (١/ ١٦٥)، الدر المنثور (١/ ١٠٣، ١٠٤)، والوسيط (١/ ١٨٧)، فتح القدير (١/ ١٢٥).

(٦) النسخ في اللغة اسم مشترك بين معنيين:

أحدهما – النقل؛ كقولك: نسختُ الكتاب، إذا نقلتَ ما فيه قال الله: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ (الجاثية/ ٢٩) والمعنى الثاني: الإزالة كقولهم: نسخت الشمس الظل ونسخت الرياح الآثار، وهذا هو المعنى المراد من النسخ. * المحصول (٣/ ٢٧٩)، الإحكام للآمدي (٢/ ٣/ ١١٢)، شرح مختصر الروضة – للطوفى (٢/ ٢٥٢)، البحر المحيط (٤/ ٦٣).

آياتها: «لو كان لابن آدم» الآية[١]،: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ أنفع للعباد، ﴿أَوْ مِثْلِهَآ﴾: نفعا، ولا دلالة في الآية على مَنْع النَّسخِ بلا بدَلٍ، أو ببَدَلٍ أثقل، ولا مَنْع نَسْخِ الكتاب بالسُّنَّةِ[٢]، إذْ قَدْ يكُوْن الأولان أصلح والسُّنَّةُ من الله تعالى[٣]، ولا على حدوث القرآن لأنهما من عَوارِضِ الأُمُوْر المتعلقة بالمعنى القائم بالذات القديم، وقراءة: (ننسخ) من النسخ: أي: نأمر بنسخها، وقراءة: (نَنْسَأْها[٤]): أي نؤخرها، ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: ومنه النسخ والإنساء، ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾: خَصَّهُ بالخِطَابِ؛ لمزيد معارفه، ﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ﴾: فيفعل فيهما ما يشاء، ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾ يلي أمركم، ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾: الفرق بينهما جواز بعد الناصر وعجز الولي، ﴿أَمْ﴾: بل، ﴿تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُواْ رَسُولَكُمْ﴾: محمدًا ﷺ، ﴿كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾: إذ قالت اليهود: ائتنا بكتاب نقرأه ونصدقك[٥]، ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ﴾: مستقيم، ﴿ٱلسَّبِيلِ ۝١٠٨ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ﴾ أَنْ ﴿يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا﴾: للحسد، تمنوا ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ لا من قبل التدين، ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾: في التَّوراة، ﴿فَٱعْفُواْ﴾: عن مجازاتهم، ﴿وَٱصْفَحُواْ﴾: أعرضوا عنهم

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١٠٥٠) كتاب الزكاة – باب: لو أن لابن آدم واديين لا بتغى ثالثًا، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٥/ ٢٧٥)، والبيهقي في دلائل النبوة (٧/ ١٥٦)، وهذا هو الضرب الأول، وهو: أن تنسخ الآية وترفع ولا يعرف لها ناسخ من الكتاب، وذلك لا يعرف إلا من طريق الأخبار، كما روي أن سورة الأحزاب كانت تعدل سورة البقرة.

الثاني: أن تنسخ الآية، ويعرف ناسخها. * المصفى بأكف أهل الرسوخ (٣٦)، تيسير البيان (١/ ١١٧).

(٢) نسخ القرآن بالسنة واقع جائز كنسخ خمس رضعات بعشر رضعات ومنعه قوم آخرون.

وانظر: اللمع للشيرازي (١٢٩)، المحصول للرازي (٣/ ٣٤٧)، الإحكام – للآمدي (٢/ ٣/ ١٦٥).

(٣) لقوله – تعالى –: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾، وقوله: ﴿وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى﴾.

(٤) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وأبي بن كعب والنخعي وعاصم الجحدري.

* إتحاف فضلاء البشر (١٤٥)، البحر المحيط (١/ ٣٤٣).

(٥) تفسير الطبري (٢/ ٤٩٠، ٤٩١) والبحر (١/ ٣٤٥، ٣٤٦)، الوسيط (١/ ١٩٠)، الدر المنثور (١/ ١٠٧)، تفسير ابن كثير (١/ ١٥٢)، فتح القدير (١/ ١٢٨)، غرائب القرآن (١/ ٣٦٤).

﴿حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ﴾ في قتالهم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ﴾ أي: ثوابه: ﴿عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾: لا يضيع أعمالكم، ﴿وَقَالُواْ﴾: أهل الكتاب، فِيْه لَفٌّ[1] بين كلامي الفريقين، ﴿لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾: أصله يهودًا أو جمع هائد[2] هذا مقالة اليهود، ﴿أَوۡ﴾: لن يدخل الجنة إلا من كان ﴿نَصَٰرَىٰۗ﴾: هذا مقالتهم، ﴿تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ﴾: جمع أمنية، أفعولة من التمني، ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ﴾: على اختصاصكم بالجنة، ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١١١ بَلَىٰ﴾ إثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة، ﴿مَنۡ أَسۡلَمَ﴾ أخلص، ﴿وَجۡهَهُۥ﴾: نفسه: أي: دينه، ﴿لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾: متبع أمر الله ﴿فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾: كما مر، ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾: له أصل، ﴿وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ﴾: الذي فيه تصديق من كفروا به، ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾: كآبائهم، ﴿مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾: بمجازاتهم، ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ﴾: بالهدم كما عمله النصارى ببيت المقدس، أو بالتعطيل، كصَدِّ المشركين المؤمنين من مكة، وحكمه يعُمُّ كل مَسْجدٍ، ونفي الأ ظْلَمِيَّة هنا كنظائره مبالغة شائعة في كلام البلغاء، كَلَا فتى إلَّا عليّ[3]، فلا ينافي نظائره ولا يضر أظلميه نحو المشرك، ولو سلم عدم المبالغة فغايته أنه عام خصص، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: المانعون، ﴿مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ﴾: أي: لا تمكنوهم من دخولها إلا تحت هدنة، هذا فيه بشارة بنصرنا، وجَوَّزَ أبو حنيفة دخولهم مطلقًا، ومنعه مالك من الحرم؛ لآية: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ﴾[4]، وفرَّقَ الشافعيُّ بين المسجد الحرام وغيره ﴿لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ﴾: قَتْلٌ وسَبْيٌ، ﴿وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١٤ وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ﴾: فإن منعتم

---

(١) جمعٌ وترتيب.

(٢) الوسيط – للواحدي (١/ ١٩٢).

(٣) لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي.

(٤) سورة التوبة (٢٨).

من المسجد الحرام أو الأقصى ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا﴾ شطر القبلة، ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ جهته التى أمر بها، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ﴾: محيط بالخلق رحمة، ﴿عَلِيمٌ﴾: بالأعمال، وعن ابن عمر - رضي الله عنه - أنها نزلت في صلاة المسافر[١]، ﴿وَقَالُوا﴾: اليهود في عُزَيْر، والنَّصارَى في المَسِيْح، والمشركون في الملك[٢]، ﴿اتَّخَذَ﴾: صَنَعَ، ﴿اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ﴾ تنزيها له عن ذلك، ﴿بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: خَلْقًا ومُلْكًا، ومنهم الثلاثة، ﴿كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾: منقادون، ﴿بَدِيعُ﴾: مُبْدِع ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: مخترعهما بلا مَادّةٍ ولا مُدَّة[٣]، واعلم أن هذا ليس فعيلًا بمعنى مُفْعِل، ولا صفة مضافة إلى الفاعل، بل مسند إلى ضمير الجلالة، وهذا أبلغ من المبدع؛ لأنه صفة يستحقها في غير حال الفعل على معنى القدرة على الإبداع، ﴿وَإِذَا قَضَىٰ﴾: أراد، ﴿أَمْرًا﴾ ، شيئًا، ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن﴾: احْدُثْ، ﴿فَيَكُونُ﴾: فَيحْدُث، ولا قول[٤] بل هو تمثيل لسرعة حصول ما تعلقت به إرادته بلا مهلة، وأصل القضاء: إتمامُ الشَّيء قَوْلًا أو فعلًا، فأُطْلِقَ على تَعلُّقِ إرادته تعالى بوجود شيء من حيث إنه يُوْجِبُه ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: المشركون أو اليهود، ﴿لَوْلَا﴾: هَلَّا، ﴿يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾: عيانًا، ﴿أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾: كتفجير الأنهار، لَا يُقَالُ: هَلَّا أجابهم ليؤمنوا، لأنه ليس للحكيم فِعْلُ ما يُنَافي مُقتضى حِكْمته بطلب جاهل أو شبهته، وقد أزاحها بغير ذلك، ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ﴾: الكُفَّار، ﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾: نحو: أرنا الله إلى آخره، ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ عِنَادًا، ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ يطلبون اليقين، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾: ملتبسًا، ﴿بِالْحَقِّ بَشِيرًا﴾: بالعفو،

---

(١) عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصلي وهو مقبل من مكة إلى المدينة على راحلته حيث كان وجهه، قال: وفيه نزلت: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ رواه مسلم (١/ ٤٨٦/ ٧٠٠).

(٢) بفتح الميم واللام يعني الملائكة، قال الواحدي في أسباب النزول (٢٤): نزلت في اليهود حيث قالوا: ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ (التوبة/ ٣٠) وفي نصاري نجران حيث قالوا: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ (التوبة/ ٣٠)، وفي مشركي العرب قالوا: الملائكة بنات الله.

(٣) كذا.

(٤) بل هو قولٌ، والله يتكلم- سبحانه- بحرفٍ وصَوْت.

﴿وَنَذِيرًا﴾: بالقَهْر، ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾: لِمَ لَمْ تُؤْمنوا، ونهى عن سؤاله عن حالهم لِفظَاعتها[1]، ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾: المِلَّةُ ما شَرعهُ الله تعالى لعباده ليتوصلوا به إلى جواره[2]، وإطلاقها على الباطل للتضاد، ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾ الذي بعثني به ﴿هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾: الباطلة، ﴿بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾: يدفع عذابه عنك، ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾: أي: مُؤْمنوهم، ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾: بلا تحريف وكتمان، ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾: بكتابهم أو القرآن، ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ (١٢١) يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾: عالمي زمانكم، ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى﴾: لا تقضي، ﴿نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا﴾ النفس الثانية، ﴿شَفَـٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ و﴾: اذْكُر، ﴿إِذِ ٱبْتَلَىٰٓ﴾: عامل معاملة المختبر ﴿إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ﴾: إذ لما كان في الحاضر الأوامر في مسئلة على الاختبار خاطبنا بما نتفاهم وأصل الابتلاء: التكليف بأمر شاق، ﴿بِكَلِمَـٰتٍ﴾: أي: بشرائع، إذ هي قد تقال على المعاني، أو عشر خصال، خمس في الرأس: القَصُّ[3] والمَضْمَضةُ والاستنشاق والسواك والفرق، وخمس في باقي الجسد: القَلْمُ[4]، ونتف الإبط، وحلق العانة، والختان، والاستنجاء بالماء، أو مناسك الحج[5].

أو الخصال الثلاثين[6]، عشر في «التائبون[7]» إلى آخره، وعشر في ﴿إِنَّ

---

(١) في (ن): والنهي عن سؤالِه لفظاعتها.

(٢) هذا تعريف الراغب في مفرداته (٧١٦)، والفرق بينها وبين الدين أن الملة لا تضاف إلا للنبي الذي تسند إليه، ولا تكاد توجد مضافة إلى الله ولا إلى آحاد الأمة، ولا تستعمل إلا في جملة الشرائع دون آحادها. * التوقيف (٦٧٤)، تعريفات الجرجاني (١١١).

(٣) يعني قص الشارب.

(٤) يعني تقليم الأظفار.

(٥) رواه الحاكم في مستدركه (٢/ ٢٦٦) موقوفا على ابن عباس. * وانظر: تفسير الطبري (٣/ ٩)، غرائب القرآن (١/ ٣٧٩)، فتح القدير (١/ ١٣٩)، أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٦، ٣٧).

(٦) وهو مروي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أيضًا.

(٧) سورة التوبة (١١٢).

﴿ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1]، إلى آخره ومنها: الخشوع المطلق، وعشر في: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[2]، ومنها: خشوع الصلاة، وتُفَسَّرُ السِّياحةُ[3] بطلب العلم لا الصوم لئلا يتكرر، ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾: أدَّاهُنَّ تامة، ﴿قَالَ﴾: له ربه، ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾: إلى يوم القيامة قال، ﴿وَ﴾ اجعل ﴿مِن﴾: بعض، ﴿ذُرِّيَّتِي﴾: نسلي، ﴿إِمَامًا﴾: هذا كعطف تلقين، وهي[4] من الذَّرّ: التفريق، أو الذرء: الخلق، ﴿قَالَ﴾: الله، ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: أشار إلى أن فيهم من لا يصلح لها، ودَلَّ على عِصْمَةِ الأنبياء من الكبائر قبل البعثة وأن الفاسق لا يصلح للإمامة، ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ﴾: الكعبة، ﴿مَثَابَةً﴾: مرجعًا مرة بعد أخرى أو موضع ثواب، ﴿لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾: للخائف، أو من عذاب الآخرة، وعند أبي حنيفة: موضع لا يؤخذ الجاني الملتجئ إليه حتى يخرج[5]، فثوبوا إليه، ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾: الحَجَرُ المَعْرُوْفُ[6]، قيل: هو المسجد الحرام، إذْ كُلُّ الحَرَم (مُصَلّى)، فتسن الصلاة خلفهُ تبركًا اتباعًا، وبالماضي عطف على ﴿جَعَلْنَا﴾، أي: جعل الناس الكعبة قبلة، ﴿وَعَهِدْنَآ﴾: أمَرْنا ﴿إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن﴾: بأن، ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾: مما لا يليق به، ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾: حَوْلَه أو الغُرَباء، ﴿وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾: الجَالِسِيْنَ فيه، ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾: المصلين فيه، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا﴾: المكان ﴿بَلَدًا ءَامِنًا﴾، ذا أمن، نكَّرَهُنَا وعرف في إبراهيم[7]، مع أنها مكية، وهذه مدنية؛ لوقوع هذا حال كونه مكانًا قفرًا، وذلك حال كونه بلدًا، ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: لترفههم، ﴿مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ

---

(١) سورة الأحزاب (٣٥).

(٢) سورة المؤمنون (١-١١)، وفي سورة ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ﴾: من ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ (٢٣) إلى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (٣٤).

(٣) في قوله: ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾.

(٤) يعني الذرية.

(٥) تفسير الوسيط للواحدي (١/ ٢٠٤)، الفخر الرازي (٤/ ٤٧) معاني القرآن - للزجاج (١/ ١٨٦)، وللفراء (١/ ٧٧).

(٦) الذي كان يقوم عليه إبراهيم - عليه السلام - لبناء البيت.

(٧) في قوله - تعالى -: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾.

﴿ٱلۡأٓخِرِۚ قَالَ﴾: الله ﴿وَ﴾ أَرْزُقُ ﴿مَن كَفَرَ﴾: عُطِفَ على ﴿مَنۡ ءَامَنَ﴾ عَطْفَ تلقين، ﴿فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا﴾: هو دنياه الدنيه باعتبار القلة، ﴿ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ﴾: أُلْجِئُهُ، ﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾: هي[1] ﴿وَإِذۡ﴾ كان، ﴿يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ﴾: الأساس ﴿مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ﴾ كان يناوله الحجر قَائِلَين: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ﴾ بنائَنا ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لدعائنا ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾: بنياتنا، ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ﴾: منقادين ﴿لَكَ﴾، المراد: الزيادة، ﴿وَ﴾: اجعل، ﴿مِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ﴾: جماعة، ﴿مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا﴾: عَلِّمْنَا، ﴿مَنَاسِكَنَا﴾: مُتعبَّداتنا في الحج، ﴿وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ﴾: من تقصيراتنا أو كما سيأتي في: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ﴾[2] ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾، كما مَرَّ، ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ﴾: في الأمة، ﴿رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ﴾: ولم يُبْعَثْ من ذريتهما إلا نبينا عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، ﴿يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: القرآن ﴿وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾: العلم والعمل به، ﴿وَيُزَكِّيهِمۡۖ﴾: عن الفسوق.

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ الغالب، ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾. واضع الأشياء في مواضعها، ﴿وَمَن﴾: أي: لا، ﴿يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾: فُسِّرتُ مرة وهي[3] أصل الشرع باعتبار إملاء النبي إياه على أمته، والدين يرادفها صدقًا باعتبار قبول المأمورين، والشريعة أحكام جُزئيَّة يتهذب بها المأمورون معاشًا أو معادًا، منصوصة من الشارع أو راجعة إليها، ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ﴾: أَذَلَّ أو جهل وأهلك ﴿نَفۡسَهُۥ﴾، أو يُمْكنُ نَزْع الخافض[4]، ﴿وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ﴾: اخترناه ﴿فِي ٱلدُّنۡيَاۖ﴾، ﴿وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: الكاملين في الصَّلاح (و)، اذكر، ﴿إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ﴾ فَوِّضْ أمْرَكَ إلى الله، ﴿قَالَ أَسۡلَمۡتُ﴾: فَوَّضْتُ أمري، ﴿لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: إليه، ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ﴾ بالمِلَّةِ، والتوصية: التَّقدُّمُ إلى الغير بما يعمل به مقترنًا

---

(١) المخصوص بالذمّ.

(٢) سورة التوبة (١١٧).

(٣) يعني الملة.

(٤) يعني نصب «نفسه» بنزع الخافض، وقدره البيضاوي: في نفسه - أنوار التنزيل (٢٧/ بهامش المصحف) وقد نقله عن الأخفش الأوسط في معاني القرآن (١/ ٣٣٧، ٣٣٨).

* وانظر: الوسيط - للواصي (٢١٣٨)، معاني الزجاج (١/ ١٩٠)، فتح القدير (١/ ١٤٤).

بصلاح ﴿إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ﴾: إسماعيل وإسحاق ومدين ومدان[١]، ﴿وَيَعْقُوبُ﴾ بنيه الاثنى عشر، قائلين: ﴿يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾: أي: داوموا على الإسلام إلى المَوْت، ﴿أَمْ﴾: بل ﴿كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾: حاضرين، ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾: رَدٌّ لقول اليهود: أنت تعلم أن يعقوب أوصى بنيه باليهودية عند الموت، ﴿إِذْ﴾: بدل من ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾: ذكره للتغليب، ﴿وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا﴾: أبدله من إلهك نفيًا لِتوَهُّمٍ ينشأ من تكرير المضاف لتعذر العطف على خالص[٢] المجرور، ﴿وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ﴾: إبراهيم ويعقوب وبَنُوْهُما، ﴿أُمَّةٌ﴾: جماعةٌ، ﴿قَدْ خَلَتْ﴾: مَضتْ، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم﴾: يا يهود ﴿مَّا كَسَبْتُمْ﴾: فلا يفيدكم الانتساب إليهم، في الحديث: «**يا بَنِيْ هَاشِمٍ لا يأتيني الناسُ بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم**»[٣]، ﴿وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: من السيئات كما لا تُثابونَ بحسناتهم ﴿وَقَالُوا۟﴾: أهل الكتاب للمؤمنين، وفيه لف لكلام الفريقين، أو قول اليهود: ﴿كُونُوا۟ هُودًا﴾: جمع هائد ﴿أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾: قائلة للنصاري، ﴿تَهْتَدُوا۟ۗ قُلْ بَلْ﴾ نتبع ﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ﴾ مائلًا عن الباطل، حال من بعد المضاف أو المضاف إليه، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: تعريض للمخاطبين ﴿قُولُوٓا۟﴾: أيها المؤمنون، ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾: القرآن وما أنزل من الوحي، ﴿إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾: أولاد يعقوب وفيهم الأنبياء، ﴿وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ﴾: كُلّهُم، ﴿مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾: في نبوتهم، بخلاف اليهود، ﴿وَ﴾: قولوا، ﴿نَحْنُ لَهُۥ﴾ لله ﴿مُسْلِمُونَ﴾: مُنْقَادُون، ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟﴾: أهل الكتاب، ﴿بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾: من باب التعجيز نحو: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ أو المثل، أو الباء صلة ﴿فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍۖ﴾: خلاف، ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾: السين للتحقيق وإن تأخر، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾: الزموا، ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾: فطرته التى فطر الناس عليها

---

(١) تفسير البيضاوي (٢٧).

(٢) من (ح): فقط.

(٣) انظر: استجلاب ارتقاء الغرف – للسخاوي (٢/ ٦٤٤/ ط/ البشائر الإسلاميَّة).

من بداية[١] العقول أو معرفة حسن العدالة وطلب الحق، وقيل: هي التطهير، عبر بها عنه مشاكلة وهي التعبير عن الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته قالًا أو حالا، فإن النَّصارى يغمسون أولادهم في ماءٍ أصْفَر زاعمين أنهم يتنصرون[٢] به، ﴿وَمَنْ﴾: أي: لا أحد، ﴿أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾: فطرة، ﴿وَ﴾ قولوا: ﴿نَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ﴾ لأهل الكتاب: ﴿أَتُحَآجُّونَنَا﴾ تجادلوننا في دين ﴿ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾: فكل منا يُجْزَى بعمله، ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾: في الإيمان دونكم، ﴿أَمْ﴾: بَلْ ﴿تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا﴾: عِنْدَ اليَهُودِ ﴿أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾: عِنْدَ النصارى ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ إذْ قَالَ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾[٣]، ﴿وَمَنْ﴾: لا أحد، ﴿أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾: أي: شهادة الله لهؤلاء، إذ في التوراة أنهم ما كانوا منهما فَكَتَمُوْه، ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: كرر تأكيدًا وزجرًا لكثرة المتكلمين بصلاح آبائهم، ﴿سَيَقُولُ﴾[٤] أتى بالسين مع مُضيِّه لاستمرارهم، ﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾: الجهال من الناس اليهود[٥] أو مُشْركُو مكَّة، ﴿مَا﴾: أيُّ شَيءٍ؟ ﴿وَلَّىٰهُمْ﴾، صَرَفَهُمْ ﴿عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾: أي: الصَّخْرَة، وأَصْلُ القبلة حَالٌ عليها الإنسان من الاستقبال، وعُرْفًا: مكان يُتوجَّهُ نحوه للصلاة، ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾: لا يَختصُّ به مكان دون مكان، وإنما المقصود: الائتمار، ﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: تقتضيه حكمته، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: كما هديناكم إليه، ﴿جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾: عُدُوْلًا، وأصْلُه[٦]: مكان يستوى إليه المساحة من الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة ثم أطلق على المتصف بها، والآية دلت على أنَّ الإجْمَاعَ

---

(١) كذا.

(٢) وكذلك الروافض يغمسون أولادهم في ماءٍ يقالُ له: «الكرُّ».

(٣) سورة آل عمران (٦٧).

(٤) في هامش (ن): الجزء (٢).

(٥) وهو صحيح إذ لا أسفه من اليهود ولا أغبى منهم إلَّا الروافض.

* الوسيط (١/ ٢٢٤)، الجامع للطبري (٣/ ١٣٠)، تفسير ابن كثير (١/ ٢٨٩).

(٦) الوسط.

حُجَّةٌ[١]، ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: في تبليغ جميع الرسل، ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾: فيُزَكِّيكُم، عُدِّيَ[٢] بعَلَى؛ لتضَمُّن معنى الرقبة[٣]، ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ﴾: أول المفعولين[٤] وثانيهما: الجهة، ﴿ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ﴾: أوَّلًا بمكة، إذ قبل الهجرة كان يُصَلى إليها، وبعدها إلى الصخرة، أو كان خاطرك مائلًا إليها، وهي الكعبة، ولذا كان يجعلها بينه وبين الصخرة قبل الهجرة على رواية ابن عباس[٥] رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، ﴿إِلَّا لِنَعۡلَمَ﴾: علم ظهور عند تحويلها، ﴿مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾: متميزًا، ﴿مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ﴾: يرتد، وقد ارتد به كثير[٦]، ﴿وَإِن﴾ إنه ﴿كَانَتۡ﴾ التولية[٧]، ﴿لَكَبِيرَةً﴾: ثقيلة، ﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى﴾: هَدَاهُم (الله)، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ﴾: بالقِبْلَة الأُوْلَى، أو صلاتكم إليها، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ﴾: شديد الرحمة، ﴿رَّحِيمٞ﴾: أخره للفاصلة، ﴿قَدۡ﴾ استعيرت للكثرة[٨]، أي: رُبَّما، ﴿نَرَىٰ تَقَلُّبَ﴾: تَرَدُّدَ، ﴿وَجۡهِكَ﴾: في جهة، ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾: انتظارًا للْوَحْي بتغيير[٩] القبلة إلى الكعبة، وَعْدًا[١٠] لا هَوَى، ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾: نصيرنك واليا، ﴿قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَا﴾: أي: رِضَا حُبّ طبعي لا انقيادي، ﴿فَوَلِّ﴾: اصرف، ﴿وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ﴾: المُحَرَّم فيه القتال ونحوه، وإنما ذكره دون الكعبة؛ لنزولها بالمدينة والبعيد يلزمه مراعاة جهة فيها العين، أعنى تقَعُ الكعبة بين خَطَّيْنِ خارجين عن دماغه مارين على عينيه كَسَاقَيْ مُثَلَّث.

---

(١) أنوار التنزيل- للبيضاوي (٢٩، ٣٠).

(٢) يعني الفِعْل «يكون».

(٣) المراقبة والتولي.

(٤) لأنّ «جَعَل» ينصب مفعولين.

(٥) الوسيط (١/ ٢٢٦).

(٦) ليس صحيحا والذين ارتدوا قوم قليل، قال الماوردي: لأن القبلة لما حولت ارتد من المسلمين قوم ونافق قوم. * النكت والعيون (١/ ٢٠٠).

(٧) في (ع): التوراة!!.

(٨) بل هي هنا للتحقيق.

(٩) في (ع): بتغير.

(١٠) كذا.

* **تنبيه :** اعلم أن طلب العين عند المشاهدة مُجْمَعٌ عليه، وأما في الاجتهاد عند غيبتها فمختلف فيه، فعن أبي حنيفة وأحمد رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن المطلوب بالاجتهاد: الجهة، وعن مالك: الكعبة قبلة أهل المسجد، والمسجد قبلة مكة، وهي قبلة الحرم، وهو قبلة الدنيا، واختلف فَهْمُ أصْحَاب الشَّافعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن نصوصه في أن المطلوب به العين أو الجهة وظاهر عبارة الإمام وما أخذنا من مشايخنا: أن تولية الوجه شطر الشيء تَوْجيهها إلى نَحْو عينه إن شَاهَدَها، وإلى جهةٍ يرى أن العين فيها إن غابت، فالمطلوب بالاجتهاد وحينئذ عنده: الجهة، كسائر الأئمة إلا أنه قال: التوجه إلى العين في الغائب بالتوجه إلى الجهة التي فيها العين والله أعلم.

﴿وَحَيْثُ﴾: أين، ﴿مَا كُنتُمْ﴾: من الأمكنة، ﴿فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ في الصلاة.

* **تنبيه :**

استدلّ بِهِ مَنْ مَنَعَ المكتوبة في الكعبة، وهو دليل من جَوَّزَهَا[1]، تقرير الأول: أن من صلى الفرض داخلها يكون مستقبلا لبعضها غير مستقبل لبعضها فلا يكون مستقبلا لكلها، فلا تصِحُّ صَلاته، وتقرير الثاني: أنَّ حيثما إمَّا صيغة عموم فتتناولُ من كان داخلها فهو مأمور بالتوجه إليها فيها، فإذا أتى به بما أمكنه خرج عن العهدة أو غير عموم، فلا يكون متناوله لهذه المسألة، فلا يصح استدلالكم به هنا، ويرد على الأول صحَّةُ الصلاة عند الكعبة خارجها، وعلى الثاني: إمكان كونه أمرا بالخروج لوجوب مقدمة الواجب والله تعالى أعلم.

* **[آخر]**[2]: الكعبة هي الأجسام المخصوصة من السطح والحيطان والقرار، والقبلة هي الخلاء الذي فيه تلك الأجسام، فلو انهدمت تَصحُّ صلاة من توجه إلى عَرْصَتها[3] من خارجها، وأما مِنْ داخلها فمُخْتلفٌ فيه، والله سبحانه أعلم.

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾: التوراة، ﴿لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾: التحويل، ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾:

---

(١) الصحيح جواز الصلاة فيها؛ لوروده في صحيح الحديث .اهـ.

(٢) يعني: تنبيه آخَرُ.

(٣) ساحتها ومكانها.

إذ في كتبهم أنه يصلي إلى القبلتين، ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾: من كتمانه، ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ﴾: دالَّةٍ على أنَّ الكعبة قبلة، ﴿مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ﴾: حسدا، ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾: الصَّخْرَة لليهود، ومطلع الشمس للنصارى، ووَحَّدَهَا لاتحادهما بطلانا، ﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾: كَمَا مَرَّ، ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾: في مُداراتهم، ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾: بالوحي، ﴿إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: مثلهم هذا تخويف لنا، ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ﴾: مُحمَّدًا - ﷺ -، ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾: بلا التباس، ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ﴾: نَعْتَهُ، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: من كتبهم، ﴿ٱلْحَقُّ﴾: الذي يكتمون كَائنٌ، ﴿مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ﴾: أنت مع أمتك، ﴿مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾: الشَّاكِّينَ فيما أخبرناك، ﴿وَلِكُلٍّ﴾: من أهل الكتاب، ﴿وِجْهَةٌ﴾: قبلة، ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾: وَجْهُهُ، ولكُلِّ عملٌ دُنيويٌّ يصل به إلى الله تعالى إنْ رَاعَى شرائطهُ، ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟﴾: بادروا، ﴿ٱلْخَيْرَٰتِ﴾: باتباع أوامر الله عز وجل، ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟﴾: أنتم وأهل الكتاب، ﴿يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ﴾: بقبض أرواحكم أو حشركم، ﴿جَمِيعًا﴾: إذ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ﴾: أى مكان، ﴿خَرَجْتَ﴾: للسفر، ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: في الصَّلاة، ﴿وَإِنَّهُۥ﴾: المأمور به، ﴿لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾: كَرَّرَهُ دَفْعًا لتوهُّم مَظنَّة النَّسْخ، ولترتب كل واحد على علَّة، فالأول: لإرضاء الرسول، والثاني: لأن لكل ذي شرع قبلة، والثالث: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾: أحد منهم، ﴿عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾: مستمسك من أن النبي المنعوت قبلته الكعبة، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾: من الناس، كمشركي مكة، إذ قالوا: سيرجع إلى ديننا كما رجع إلى قبلتنا[1] والمراد نفي الحجة، ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾: الظالمين، ﴿وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ﴾: عطف على لئلا، ﴿نِعْمَتِى﴾: تكميل الشريعة، وفي الحديث: «**تمام النعمة دخول الجنة**»[2]، ﴿عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ

---

(١) الوسيط (١/ ٢٣٢).

(٢) حديث: «**تمام النعمة دخولُ الجنة، والفوزُ من النَّار**» رواه أحمد (٥/ ٢٣١)، والبخاري في الأدب المفرد (٧٢٥)، والترمذي في جامعه (٥/ ٣٥٢٧)، والطبراني في الكبير (٢٠/ ٩٨)، وضعفه الألباني في ضعيف =

تَهۡتَدُونَ ﴾: إلى الصَّواب، ﴿كَمَآ﴾ متعلق لأتم، ﴿أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ ﴾: من ذمائم الأخلاق، ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: القرآن، ﴿وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾: السُّنَّة[1]، ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾: بأفكاركم، ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ﴾: بالطاعة أو في الرخاء، ﴿أَذۡكُرۡكُمۡ﴾: بالمغفرة، أو في الشدة والذكر، يقال لهيئة في النفس بها يتمكَّن[2] أن يحفظ ما عرفناه، ولحضور الشيء القلب أو القَوْل، والأول: كالحفظ إلا في اعتبار الاستحضار والاحتراز، ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي﴾: بطاعتي، ﴿وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾: بمعصيتي، وعلى هذا لا يغني ذكر أحدهما عن الآخر، أو الثاني: أمر بالثبات على الشكر أمرنا بذكره، وأمر بني إسرائيل بذكر نعمه لفضل معارف هذه الأمة، ولم يقل: واشكروني لقصورنا عن إدراكه، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ﴾: على طلب الآخرة[3]، ﴿بِٱلصَّبۡرِ﴾: على الطَّاعة وعن حُظُوْظ النَّفْس، وهو الجهاد الأكبر[4]، ﴿وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: بالإعانة أفهم أنه مع المصلين من باب أولى، ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: كشهداء بدر هم، ﴿أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ﴾: هم أحياء عند ربهم، ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ﴾: ما حالهم؛ لأنَّ حياتهم ليست من جنس ما يحس به من الحيوان بل إنما يدرك بالعقل بل بالوحي، والصحيح أن الله تعالى يلطف بعد الموت أو القتل ما تقوم به البنية الحيوانية فيجعله بحيث يشاء من عليين أو سجين، وسيأتي مزيد بيان في آل عمران.

﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم﴾: لنصيبنكم أصابة من يختبركم، ﴿بِشَيۡءٖ﴾: قليل، ﴿مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ﴾: من

= الجامع (٢٤٨١)، والضعيفة (٣٤١٦).

(١) النكت والعيون (١/ ٢٠٨).

(٢) الذِّكْرُ: يراد به هيئة للنفس بها يمكن الإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفةِ، وهو كالحفظ.

* المفردات (٢٥٩)، الكليات (٢/ ٣٥١).

(٣) بلْ على كُلِّ شيءٍ.

(٤) يشير إلى حديث: «**رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، جهاد النفس**» قال السيوطي في الدرر المنتثرة (١٢٤): قال الحافظ ابن حجر في «تسديد القوس» هو مشهور على الألسنة، وهو من كلام إبراهيم ابن أبي عبلة في «الكنى» للنسائي – انتهى. وله لفظ آخر: «قَدِمْتُم» عند الخطيب بسند ضعيف.

العدو، وإنما قَلَّلَهُ بالنظر إلى ما وقاهم عنه، ﴿وَٱلْجُوعِ﴾: كالقحط، ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ﴾: بالموت والمرض والشيب، ﴿وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾: بالجوائح[1]، ﴿وَبَشِّرِ﴾: يا محمد، ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: منهم، ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾: من المصائب، وفي الحديث: «كُلُّ شَيْءٍ يؤذي المؤمنَ فهو له مصيبة»[2]، ﴿قَالُوٓاْ﴾: باللسان والقلب: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾: عبيدًا أو ملكًا، ﴿وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾: فيجازينا، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ﴾: مَغْفرةٌ كثيرة[3]، ﴿مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾: إحسان، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾: إلى الصَّواب، ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ﴾: جبلين بمكة كان عليهما صَنمان: إسَاف ونائلة، وتحَرّج المسلمون السعى بين كُلٍّ منهما لتشبههم بالجاهلية[4]، ﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾: أَعْلاَم مَناسِكه، ﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ﴾: أصل الحَجّ: القصد، والاعتمار: الزيارة، فغلبا شَرْعًا على قصد البيت وزيارته المخصوصين، ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾: إثْم، ﴿عَلَيْهِ﴾: في، ﴿أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾: دَلَّ على الجواز الداخل في معنَى الوجوب؛ فإنَّ معناهُ: عدم الحرمة والكراهة، وأما وجوبه فيثبتُ بالسنة، ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾: فَعلَ طاعة أو زاد على فرضه، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ﴾: يجازي عَمَلَهُ[5] الخير، ﴿عَلِيمٌ﴾: بأحواله، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾: أي: اليهود، ﴿مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: التوراة، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾: أي: مَن يتأتّى منه اللَّعْنُ حتى الكافرين، فإنهم يوم القيامة يلعنُ بعضهم بعضًا، واللَّعْنُ: الطَّردُ سخطًا وهو من الله تعالى، في العقبى العقوبة، وفي الدنيا: الانقطاع عن قبول فيضِهِ، ومن غير الله: دُعَاءٌ على غيرهِ، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾: عن الكتمان، ﴿وَأَصْلَحُواْ﴾: ما أفسدوا، ﴿وَبَيَّنُواْ﴾: ما كتموا، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾: أقبل توبتهم، ﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾: كمَا مَرَّ، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ

---

(١) جمع جائحة وهي المصيبة المهلكة للزرع تجتاحه.

(٢) ورد بلفظ: «**كل شيء ساء المؤمن فهو مصيبة**» رواه ابن السنى في عمل اليوم والليلة (٢/ ٤٠٧/ ٣٥٤)، وسنده ضعيف.

(٣) بل الصلاة من الله ذكره لعبده وثناؤه عليه.

(٤) رواه الطبراني في الأوسط (٥/ ٤٨/ ٤٦٣٨) وسنده ضعيف.

(٥) في (ع): عملَةَ.

لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾: حتى أهل دينهم كما مر، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: في اللعنة، ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾: ولمَّا قالَت قُرَيْشُ: يا محمدُ! صِفْ لنا ربَّك نزل[1]، ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾: كرّر الإله لبيان اعتبار الوحدة في الألوهية، ثم رفع توهم أن في الوجود إله سواه بقوله: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾: ثم قالوا: إن صدقت فأتنا بآية، فنزل: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ جَمعَ؛ لاختلافِ طبقاتها طبعًا ﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: نُورًا وظُلمةً ونحوهما أو تعاقبهما، ﴿وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا﴾: بالذي، ﴿يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾: في نحو تجاراتهم، وقدَّم الفُلْك على الرياح والسحاب؛ لأن المقصود ذِكر مَنْفعة البحر وهو منشؤهما غالبًا، ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ﴾: بالنبات، ﴿بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ﴾: فرق ﴿فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾: في مهابِّها كالشَّمال[2] وغيره، وأحوالها كالعاصفة وغيرها، ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ﴾: المُذلَّل لأمْر الله، مشتق من السَّحْبِ؛ لجَرّ بعضه بعضًا[3]، ﴿بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ﴾: لوحدته وقدرته، ﴿لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾: يستعملون العقل فيما خُلقَ له، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا﴾: كالأصنام والأحبار، والند: المثل في الجوهر، ﴿يُحِبُّونَهُمۡ﴾: يُعظِّمونهم، ﴿كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾: كتعظيمه أي: كحُبِّهم لله، فإنَّ المشرك يَعرفهُ ويشركُ به، أو كحُبِّ المؤمن لله، أو كحبه الواجب عليهم، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾: لأن الكفرة عند البلاء يعرضون عنها، والمحبة من الحب: استعير لَحبَّة القلب، واشتق منه الحبُّ؛ لرُسُوخه فيها، وهي عرفًا: إرادتك ما تظنه خيرا، وهي إمَّا للَّذَّة ومنه: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ﴾[4] وأما للنفع، ومنه ﴿وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ﴾[5] وأما للفَضل كما نحن فيه، ومحبة الله تعالى العبد: إرادة إكرامه وتوفيقه لطاعته، ﴿وَلَوۡ يَرَى﴾: يَعْلَمُ، ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾: أي: هؤلاء، ﴿إِذۡ يَرَوۡنَ﴾: يعاينون، ﴿ٱلۡعَذَابَ﴾: في القيامة، ﴿أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا

---

(١) الوسيط – للواحدي (١/ ٢٤٥).

(٢) بفتح الشين المشددة: ريحٌ تقابلُ الجنوب، ويقالُ لها أيضًا: «شَمأَل» بوزن جَعْفر.

(٣) لأن الهواء يسحبه.

(٤) الإنسان.

(٥) الصف.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾: أي: لـرأوا أو رأيـت أمـرًا فظيعًـا، ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا﴾ المتبوعـون ﴿مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ﴾: بكفـرهم، ﴿الْأَسْبَابُ﴾: الوصَلُ التي كانت بينهم من الاتباع وغيره، وأصلها: الحبل الذي يرتقي بها الشجر، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ﴾: للتَّمنِّي كما مرَّ ﴿أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾: رجعةً إلى الدنيا، ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾: من المتبـوعين، ﴿كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا﴾: في الآخرة، ﴿كَذَلِكَ﴾: الإراء الفظيع، ﴿يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ﴾: ندامات، ﴿عَلَيْهِمْ﴾: لا يرون إلا الحسرات مكان الأعمال، ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾: أصلًا، عدَل عَنْ: ما يخرجون إقناطًا عن الخلاص، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا﴾: ما يستطيبه الشرع[1]، ﴿طَيِّبًا﴾: ما تستطيبه الشهوة المستقيمة بخلاف نحو الأكل على الشبع، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ﴾: سُبُل، ﴿الشَّيْطَانِ﴾: لا تعتدوا به في التحليل والتحريم، ولا تحرموا على أنفسكم رفيع الأطعمة والملابس، ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: ظَاهِرُ العَداوةِ عند ذوي البصيرة، ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم﴾: استعير الأمر لبعثه لكم على الشر تسفيهًا لرأيهم، ﴿بِالسُّوءِ﴾: ما استقبَحَهُ العقل أو معصية لا حد فيها[2]، ﴿وَالْفَحْشَاءِ﴾: ما استقبحه الشرع أو ما فيه حَدّ، ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: كالإشْـراك وتحـريم الحـلَال، وعكسه، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا﴾: وَجَـدْنَا، ﴿عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾: (أ) تتبعـونهم ﴿وَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا﴾: بتحصيل العلوم المكتسبة، ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾: بالاقتداء بمن يعقله، دلّت على منع القادر على الاجتهاد عن التقليد، مَثلُكَ ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ﴾: يُصَوِّتُ، ﴿بِمَا﴾: بحيوان، ﴿لَا يَسْمَعُ﴾: يفهم، ﴿إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾: من الداعي بلا فهم معناه، ﴿صُمٌّ﴾: عَنْ سَمَاع الحق، رُفِعَ ذَمًّا ﴿بُكْمٌ﴾: عن قوله، ﴿عُمْيٌ﴾: عن رُؤْيَة مسلكه، ﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾: شبَّههم بالحيوان ثم بالمجانين، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ﴾: مُستلذَّات أو حلالات، ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ أمر إباحة[3] وقد يجب كما في

---

(١) الوسيط (١/ ٢٥٢).

(٢) معالم التنزيل (١/ ١٣٨)، البحر المحيط (١/ ٤٨٠)، غرائب القرآن (٢/ ١٠٧)، فتح القدير (١/ ١٦٧)، الوسيط (١/ ٢٥٣).

(٣) الوسيط (١/ ٢٥٥)، جامع البيان (٣/ ٣١٧)، البحر المحيط (١/ ٤٧٨)، الدر المنثور (١/ ١٦٨).

المخمصة، وقد يُندبُ كمُوافقة الضَّيف ﴿وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ﴾: على إحلاله، ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾: ثم بَيّنَ ما حرم بقوله، ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ﴾: مَامَاتَ بلا ذكاة شرعية(١)، ﴿وَٱلدَّمَ﴾: المسفوح، ﴿وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ﴾: اكتفى بمعظم أجزاءه عن أكله(٢)، ﴿وَمَآ أُهِلَّ﴾: رُفعَ الصَّوتُ، ﴿بِهِۦ﴾: عند ذبحه، ﴿لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾: كالصَّنم، ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾: إلى أكل شيءٍ منها، ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾: ومن البغي بغيه على الإمام وأخذه من مضطر مثله، وأكله للذة أو شهوة، ﴿وَلَا عَادٍ﴾: عاص في أسباب اضطراره كسفره أو مُتعدٍّ سَدَّ رَمَقهُ، ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾: في تناوله فعله الإباحة للمضطر الضرورة مع الطاعة، والمراد: قَصر الحُرْمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: كرؤساء اليهود، ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: ما يأخذون من سفلتهم، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾: مِلْئَها، ﴿إِلَّا ٱلنَّارَ﴾: الرُّشَا(٣) تَصيرُ في أجوافهم نارًا، لكن لَا يُحسُّونَ بها قبل الموت، ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: بما يسُرُّهم، ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾: يطهرهم من الأدناس، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: كما مر، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾: في الدنيا، ﴿وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ﴾: في الآخرة، ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾: تعجب مِنْ جراءتهم على عمل يُدْخلُها، ﴿ذَٰلِكَ﴾: العذاب، ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ بإيمانهم ببعضه دون بعض وغير ذلك، ﴿لَفِي شِقَاقٍ﴾: خلاف، ﴿بَعِيدٍ﴾: عن الحقِّ، ولمَّا أكثر أهلُ الكتاب الجدال في أمر القبلة نزل(٤)، ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ﴾: مُنْحَصِرًا في، ﴿أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ﴾: في صلاتِكم، ﴿قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ﴾: للنَّصارى، ﴿وَٱلْمَغْرِبِ﴾: لليهود بحسب أفق مكة، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ﴾: بِرُّ، ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ﴾: فلا يفتري عليه، حاصله أمر الصلاة بعد الإيمان، ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾: فلا يعادي أحدهم، ﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾: فلا يحرفه، ﴿وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾: فلا يفرق بينهم، ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ﴾: مع، ﴿حُبِّهِۦ﴾: المال أو الإيتاء أو على حُبِّ الله، ﴿ذَوِي

---

(١) يعني: حتف أنفه.

(٢) خص اللحم؛ لأنه المقصود بالأكل.

(٣) جمعُ رِشْوةٍ.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٢/ ٥٦) وسنده ضعيف.

﴿ٱلْقُرْبَىٰ﴾: قراباته، ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ﴾: مر بيانه، ﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾: مسافر انقطع عنه ما يوصله إلى مسكنه، والضيف إذِ السبيلُ[١] يأتي به، ﴿وَٱلسَّآئِلِينَ﴾: المضطرين إلى السؤال، ﴿وَفِى﴾: فك ﴿ٱلرِّقَابِ﴾: كالمكاتب والأسير، وإذا نزل بمسلم حاجة وجب بعد أداء الزكاة صرف المال إليها بالإجماع، ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾: الواجبة، والأول كان لبيان مصارفها أو في المندوبة، ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟﴾: غَيَّرَ الأسْلُوب؛ لأن الأول لبيان ما لا يستفاد إلا من الشرع، والثاني: لما يقتضيه العقل ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾: نصب مدحا[٢] لمزيد شرف الصبر، ﴿فِى ٱلْبَأْسَآءِ﴾: الفقر ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾: المصائب والسقم، ﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾: قتال الكفار: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟﴾: في إيمانهم، ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ الآية جامعة لمجامع الكمالات الإنسانية، وهي: صحَّةُ الاعتقاد، وحسنُ المُعَاشرة، وتهذيب النفس، واعلم أنه سأل أبو ذرٍّ - رضي الله عنه - النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - عن البر فتلاَ عليه الآية[٣]، وسأله عنه وابِصَةُ[٤] فقال: «**ما اطْمأَنَّ إليْه القَلْبُ واطْمَأَنّتْ إليه النفس**[٥]»، لأنَّ الأوّلَ سأل عن ذات البر، والثاني عن تحريه.

ولمَّا تقاتل حَيَّانِ في الجاهليَّة، وحلَفَ أحدهُمَا بأن يقتل بعبدهم الحُر، وبامرأتهم[٦] الرجل، وبواحدهم الاثنين، ثم ترافعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، نزل[٧]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ﴾: فُرِضَ، ﴿عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾: المماثلة، ﴿فِى ٱلْقَتْلَى﴾: أي: أوجبنا على الجاني تمكينه منه، ﴿ٱلْحُرُّ﴾: يُقْتَلُ، ﴿بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾: لا تدل[٨] على أن

---

(١) الطريق.

(٢) وإن كان معطوفًا على مرفوع، قال الخليل: المدح والذم ينصبان على معنى: أعني.

* الوسيط للواحدي (١/ ٢٦٢).

(٣) رواه الحاكم (٢/ ٢٧٢)، والطبراني في الكبير (٨/ ١٣٨)، والواحدي في الوسيط (١/ ٢٦٤).

(٤) يعني ابن معبد الجهني - رضي الله عنه -.

(٥) رواه أحمد في مسنده (٤/ ١٩٤) وسنده صحيح.

(٦) في (ع): وبمرأتهم.

(٧) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٢٩٣، ٢٩٤/ ١٥٧٦)، وبنحوه: الطبري في جامع البيان (٢/ ٦٢) وإسناده ضعيف.

(٨) في (د): لا يدلُّ.

لا يقتل الحر بالعبد، والذكر بالأنثى، ولا على عكسه، إذ المفهوم إنما يعتبر حيث لا يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص الحكم، وإنما منع مالك والشافعي رضي الله تعالى عنهما - قتل الحر بالعبد لحديث علي، وعمل الشيخين - رضي الله عنهما -، قياسا على الأطراف، وأما منع قتل المسلم بالذمي فلحديث عليّ - رضي الله تعالى عنه -، والآية لا تنْسَخُها: «النفس بالنفس» إلى آخره، لأنه حكاية ما في التوراة[1]، ﴿فَمَنْ﴾: بقاتل، ﴿عُفِيَ لَهُۥ مِنْ﴾: دم، ﴿أَخِيهِ﴾: المقتول، ﴿شَيْءٌ﴾: من العفو، كَأَن عَفَى عَنْ بعض القصاص أو عَفَى بَعْضُ الورثة، والمرادُ هنا: العفو على الدية، والراجح في مذهب الشافعي أن الواجبَ القصاصُ، والدية بدل عنه، ﴿فَٱتِّبَاعٌۢ﴾: أي: فعلى العافي اتباع في طلب الدية، ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: وعلى المعفوِّ عنه ﴿وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾: بلا مطل، ﴿ذَٰلِكَ﴾: التجويز لأخذ الدية، ﴿تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ﴾: بالقَتْل، ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾: العفو، ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: في الدارين، ﴿وَلَكُمْ﴾: في حكم، ﴿ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾: عظيمة، لأنه رادع عن القتل، فوجب لحياة نفسين وجعل الشيء مَحَلَّ ضده نهاية الفصاحة والبلاغة، وقيل: كانت العرب تمتنع من تسليم القاتل إلى الولي مخافة قلة عددهم فأشار إلى أنّ دَفْعَهُ يكثر عددهم كما ترى في قلة العباسية، وكثرة العلوية، ولِذَا قِيلَ: السَّيْفُ مَنْمَاةٌ[2]، ﴿يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ عن القتل ﴿كُتِبَ﴾: فُرِضَ، ﴿عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾: أي: أَسْبابُهُ، ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾: مالًا أو مالًا كثيرًا، نَبَّهَ بتَسْمِيَته خيرًا أن الوصية تُسْتحبُّ في مال طيب، ﴿ٱلْوَصِيَّةُ﴾: الإيصاء، ﴿لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾: عَطَفَ؛ لأن القرب الإدلاء بواسطة فهما لا يتصفان به، ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: بالعَدْل بلا ترجيح غَنيّ، وتجاوز ثُلثٍ، حَق ذلك ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾: هذا كان في صدر الإسلام، فنُسِخَ بآية المَواريث، بدليل حديث: «**إِنَّ اللهَ أَعْطَى كُلَّ ذِيْ حَقٍّ حَقَّهُ أَلَا لَا**

---

(١) مسند الشافعي (١٩٩)، معاني القرآن – للزجاج (١/ ٢٣٤)، تفسير ابن كثير (١/ ٢٢٠)، فتح القدير (١/ ١٧٧).

(٢) ينمى ولا يفنى.

وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ»[١]، ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ﴾: الإيْصَاء، ﴿بَعْدَمَا سَمِعَهُ﴾: من الميت، ﴿فَإِنَّمَا إِثْمُهُ﴾: إثْمُ التَّبْدِيْل، ﴿عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: وَصِيَّتكُم وتبديلكم، ﴿فَمَنْ خَافَ﴾: عَلِمَ، ﴿مِن مُّوصٍ جَنَفًا﴾: مَيْلًا عن الحَقِّ خطأ كترجيح غني، ﴿أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ بَيْنَ الوَرَثَة والموصَى لَـهُ، ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾: فيه، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ﴾: فرض ﴿عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾: صَوْمُ رَمضان[٢] أو ثلاثة من كل شهر، أو عاشوراء، ثم نُسِخَا[٣] برَمضان، ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾: من لدن نوح والمراد: التشبيه في أصل الصوم لا كيفيته، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾:المعاصي، فإنه يُضيِّقُ مجاري الشَّيطان، صُوْمُوا، ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾: قلائل أو مُؤقَّتات بعددٍ معلوم، ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾: بخلاف من أحدث سفره في أثنائه، ﴿فَعِدَّةٌ﴾:فعليه صَوْمُ عدَّةِ مَا أَفْطَر، ﴿مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾: للصِّحَّة والإقامة، قيلَ: أي يصوم طاقته أي: جهده كالهرم، ﴿فِدْيَةٌ﴾: إن أفطروا، ﴿طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾: مُدّ طعَام، وعندَ فُقَهاء العراق نصفُ صَاع بُرًّا وصَاعٌ من غيره، فخيروا بين الصوم والإطعَام، ثم نسخ على القول الأول[٤]، ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾: بإطعام أكثر منه، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا﴾: أيها المطيقون، ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: منها، ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: فضائله، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾: عَلَمٌ مُركَّب مبتدأ، وحيثُ ورَدَ رمضان[٥] فيحذف المضاف كالربيعين، سمى به لارتمَاضِهم فيه بحَرِّ الجوع والعطش[٦]، وأما تسمية شوال به لشَوْل أرْبابِ اللِّقَاح فيه، وذي القعدة لقعودهم فيه عن الحرب، وذي الحجة: للْحجِّ فيه، والمُحرَّم

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٨٦، ١٨٧) والطبراني (١١/ ٢١٣) وعبد الرزاق (٧٢٧٧) و (١٦٣٠٦) وابن أبي شيبة (١١/ ١٤٩) وسنده جيد.

(٢) قال الواحدي في الوسيط (١/ ٢٧٢): بإجماع المفسرين.

(٣) الوسيط (١/ ٢٧٢).

(٤) الوسيط (١/ ٢٧٤).

(٥) في هامش (ع): وهو سيِّدُ الشُّهور.

(٦) الزاهر (٢/ ٣٦٨).

لتحريم القتل فيه، وصفر لخُلُوِّ مكّة[١] فيه عن أهلها للقتالِ فيه، والربيعين لارتباع الناس فيهما أي: إقامتهم، والجُمادين: لِجُمُود الماء فيهما، ورجب: لترجيبهم إياه، أي: تعظيمهم، وشعبان: لتشعب القبائل فيه، والشهر لأنهم ينظرون إلى الهلال فيشهرونه[٢]، والخبر[٣]، ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ﴾: في شأنه أو في ليلة قدره، أو الرابع والعشرين منه[٤]، ﴿ٱلْقُرْءَانُ﴾: جملةً إلى السماء الدنيا، ثم نزل مُنجَّمًا[٥]، بل نزلت صُحُفُ إبراهيمَ في أوله، والتوراة لسادسه والإنجيل لثالث عشره[٦]، ﴿هُدًى﴾: هاديًا، ﴿لِّلنَّاسِ﴾: بإعجازه، ﴿وَ﴾ آيات، ﴿بَيِّنَٰتٍ مِّنَ﴾: جُمْلة، ﴿ٱلْهُدَىٰ﴾: إلى الأحكام الحَقَّة، وعلى هذا فليست نكرة أعيدت معرفة كهُوَ عالم، ومن مُتبحِّرِى العلماء، ﴿وَٱلْفُرْقَانِ﴾: بين الحق والباطل، ﴿فَمَن شَهِدَ﴾: حَضَر، ﴿مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ﴾: أي: فيه، ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾: لم يقل فيه ليدُلَّ على استيعاب اليوم ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا﴾: بحيث يشقُّ عليه الصَّوْم، ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾: هذا نسخ للأول لإخراجه المقيم، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾: فأباح الفطر فيهما، ﴿وَ﴾ شَرَعَ تِلْكَ الأحكام، ﴿ولِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾: عدد أيام الشهر بقضاء ما أفطرتم، ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟﴾: لتعظموا، ﴿ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: هذا علة للترخيص وما قبله عِلّة للقضاء، وما قبله للأمر بالمراعاة للعَدَد.

* ولَمَّا قيل: أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد[٧] نزل[١] ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى

---

(١) وغيرها.

(٢) انظر: تثقيف الألسنة بتعريف الأزمنة- للإمام الشبلي الحنفي (٣٦/ بتحقيقي).

(٣) يعني خبر المبتدأ.

(٤) لحديث: «وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان». رواه البيهقي (٩/ ١٨٨)، وأحمد (٤/ ١٠٧)، والطبري (٣/ ٤٤٦)، والطبراني في الكبير (٢٢/ ١٨٥) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ١٤٩٧)، والصحيحة (١٥٧٥).

(٥) مُفرّقًا.

(٦) هو جزء من الحديث السابق، وأوله: «**أنزلَتْ صُحُفُ إبراهيم أوّلَ ليلةٍ من شهر رمضان، وأنزلت التوراةُ لستٍّ مضَتْ من رمَضَان... إلخ**».

(٧) أي: فنناديه.

فَإِنِّي ﴾: فقل: إني، ﴿قَرِيبٌ ﴾: مُطَّلعٌ عليكم، ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى ﴾: إذا دعوتهم إلى طاعتي بالجوارح، ﴿وَلْيُؤْمِنُواْ ﴾: وليثبتوا على إيمانهم، ﴿بِى ﴾: بالقلب، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾: يهتدون، فمن استجابه في أوامره أجابه في مسائله إما بتعجيل دعوته، أو ادخارها في الآخرة، أو دَفع[2] سوء مثلها عنه، كما في الحديث[3] وآثره علي: «فَلْيُجِيْبُوا» وإن اتّحدَ معنًى، إشارةً إلى أن تحري إجابته بقدر وسعهم يرضيه، ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ ﴾: الجماع، كَنَّى عَنهُ هنا بالرفث الدال على معنى القبح بخلاف غيره من المواضع استقباحًا لارتكابهم له قبل الإباحة، ﴿إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ ﴾: كالفراش، ﴿وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾: كاللِّحَاف، تمثيل لصعوبة اجتنابهن وشدة ملابستهن، أو لستر أحدهما الآخر عن الفجور، ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ ﴾: تَظْلمُون، ﴿أَنفُسَكُمْ ﴾: إذْ فَعَلهُ عُمَر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فاعتذر فأحله الله تعالى[4]، ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْۖ ﴾: الخيانة، ﴿فَٱلْـَٰٔنَ ﴾: إذ أحَلَّ لكم، ﴿بَٰشِرُوهُنَّ ﴾: جامعوهن، وأصلها[5]: إلصَاقُ البشرة بالبشرة، ﴿وَٱبْتَغُواْ ﴾: اطلبوا، ﴿مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ ﴾: من الولد أو ليلة القدر، ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ ﴾: جميع الليل، ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِۖ﴾: بيان للخيط الأبيض، أي: يتبين بَيَاضُ الصُّبْح

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٣١٤/ ١٦٦٧)، وابن حبان في الثقات (٨/ ٤٣٦)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٩٢) وسنده ضعيف.

(٢) في (ع): رفع.

(٣) يشير إلى حديث أبي سعيد الخدري - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: **«ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم أو قطيعة رحم، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته، وأما أن يؤخرها له في الآخرة، وأما أن يكشف عنه من السوء مثلها»** قالوا: إذن نكثر، قال: **«الله أكثر»**.

رواه الحاكم (١٨١٦)، وأحمد (٣/ ١٨)، والبخاري في الأدب المفرد (٧١٠) وسنده صحيح.

(٤) رواه أحمد (٥/ ٢٤٦، ٢٤٧)، وأبو داود (٥٠٧)، والطبري في تفسيره (٢/ ٧٦، ٧٧)، والطبري في الكبير (٢٠/ ٢٧٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٣١٥/ ١٦٧٣)، والحاكم (٢/ ٢٧٤)، والبيهقي (٤/ ٢٠) وسنده حسن.

(٥) المباشرةُ.

الصادق من سواد الليل، دَلَّ على صِحَّة صَوْم المصبح جُنبًا[(١)]، ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ﴾: بإخراج الليل، نفى صوم الوصال، وأما حرمة عدم تحلل الإفطار بين يومين فبالسنة، ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ﴾: كانوا يعتكفون فيخرجون ويجامعوهن فيرجعون، فنهوا[(٢)]، ﴿تِلۡكَ﴾: الأحكام، ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾: بين الحق والباطل، ﴿فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ﴾: مَجَازٌ عن اعتدائها مبالغة: أي: لا تَتجَاوَزُوا من الحق إلى الباطل، فلا يرد، أن أكثرها إباحة فلم لا يتجاوز عنهما، ﴿كَذَٰلِكَ﴾: التبيين، ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ۝١٨٧ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾: بالحرام ﴿وَ﴾ لا، ﴿تُدۡلُواْ بِهَآ﴾: أي: تلقوا حكومتها، ﴿إِلَى ٱلۡحُكَّامِ﴾: ولا تتواصلوا بها إلَيْهِم، ﴿لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقًا﴾: طائفة، ﴿مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾: مُلْتبسينَ، ﴿بِٱلۡإِثۡمِ﴾: كاليمين الكَاذبة، ﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾: أنكم مبطلون.

ولما سألوا عن حكمة زيادة الهلال ثم نُقصانه وعن فائدة دُخُول المُحْرمين[(٣)] من ظهور بيوتهم نزلت[(٤)]، ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ﴾: فائدة، ﴿ٱلۡأَهِلَّةِۖ﴾: كيف تبدوا دقيقة ثُمَّ تزيد، ﴿قُلۡ هِيَ﴾: فائدتها الظاهرة، ﴿مَوَٰقِيتُ﴾: جمع ميقات ما يعلم به الوقت، وهو الزمان المفروض لأمر، والزمان: مدة مقسومة، والمدة: جمع امتداد، حركة الفلك، ﴿لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ﴾: في الإحرام، ﴿مِن ظُهُورِهَا﴾: إذ كانوا ينقبون فيها فيدخلون ويخرجون من النقب، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ﴾: المحارم، ﴿وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ﴾: في الإحرام، إذ ليس تركها برًّا، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾:

---

(١) لحديث عائشة وأم سلمة زوجي النبي - ﷺ - أنهما قالتا: «إن كان رسول الله - ﷺ - **ليصبح جنبًا - من غير احتلام - في رمضان، ثم يصوم ذلك اليوم**» رواه البخاري (٤/ ١٨١، ١٨٢)، وأبو داود (٢/ ٣١٢/ ٢٣٨٨).

- قال الخطابي: وقد أجمع عامة العلماء على أنه إذا أصبح جنبًا في شهر رمضان، فإنه يتم صومه ويجزئه غير أن إبراهيم النخعي فرق بين الفرض والتطوع - معالم السنن (٢/ ١١٥).

(٢) الوسيط (١/ ٢٨٨)، معاني القرآن للزجاج (١/ ٢٤٤)، الدر المنثور (١/ ٢٠١)، تفسير ابن كثير (١/ ٢٢٤)، فتح القدير (١/ ١٨٧، ١٨٨).

(٣) يعني: الملتبسين بالإحرام بالحج.

(٤) رواه البخاري (٣/ ٦٢١/ ١٨٠٣)، ومسلم (٤/ ٢٣١٩/ ٢٣).

راجين الفلاح، ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ يصدونكم عن الحج هذا في العام القابل للحديبية، ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ﴾: بابتداء القتال، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾: المتجاوزين حده، نسخت بآية القتال، ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ﴾: وجدتموهم ولو في الحرم، وأصل الثقف: الحذقُ في إدراك الشيء[١]، ﴿وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ﴾: مكة فأخرجهم يوم الفتح، ﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ﴾: كتركهم في الحرم، وإخراجكم منه، ﴿أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ﴾: قتلكم إياهم في الحرم، ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾: الحرم، ﴿حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ﴾: ابتداء، ﴿فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: الآية محكمة[٢] عند الأكثرين، فلا يجوز الابتداء بالقتال في الحرم، ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ﴾: عن الكفر، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾: لهم، ﴿رَّحِيمٞ﴾: بهم، ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾: شرك، ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ﴾: خالصًا، ﴿لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ﴾: عن الشرك، ﴿فَلَا عُدۡوَٰنَ﴾: ظُلْم أي: جزاؤه ﴿إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: سماه ظلمًا للمشاكلة[٣]، ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ﴾: الذي أنتم تدخلون فيه مكة قهرًا، ﴿بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ﴾: الذي منعوكم فيه دخولها عام الحديبية، أي: هتكة بهتكة، ﴿وَٱلۡحُرُمَٰتُ﴾: كل حرمة، وهي ما يجب المحافظة عليه يجري فيه، ﴿قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾: بصدِّكم، ﴿فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾: وادخلوها عنوة، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: فيما لا يرخص لكم، ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾: بالرعاية، ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: كالحج والجهاد، ﴿وَلَا تُلۡقُواْ﴾: أنفسكم، ﴿بِأَيۡدِيكُمۡ﴾: بعدم الإنفاق فيها، أو أيديكم بمعنى: أنفسكم، والبَاءُ صِلَةٌ، ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْ﴾: إلى المحَاوِيْج، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ﴾: ائتوا بهما تامي المناسك، ﴿لِلَّهِ﴾: ظاهره وجوبهما؛ لأنه أمر باتمامهما مطلقًا بلا تقييد بالشروع، فيكون واجبًا، لأن مقدمة الواجب واجب، على أنه قُرِئَ: (وأَقِيْمُواْ الحَجَّ)[٤]، ﴿فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ﴾: مُنِعْتُمْ بعَدُوٍّ، والإحصار مخصوص بالعَدُوِّ عند الشَّافعي ومالك، وبه فَسَّره ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما -،

---

(١) ومنه قيل للفاهم الذكي: مثقف - الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي (٢/ ٣٥١)، فتح القدير (١/ ١٩٠)، الوسيط (١/ ٢٩٢).

(٢) في (ع): مُحْكَمٌ عِندَ الأكثرينَ.

(٣) كقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ (الشورى/ ٤٠)، تفسير الوسيط (١/ ٢٩٢).

(٤) قرأ علقمة وعبد الله بن مسعود: «وأقيموا». البحر المحيط (٢/ ٧٢)، تفسير الطبري (٤/ ٧)، الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٣٦٩)، الكشاف (١/ ١١٩)، تفسير الفخر الرازي (٢/ ١٥٥).

فليس[١] بمذهبه حتى يكون تقليدًا له[٢]، ويدُلُّ عليه: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمۡ﴾، ونزولها في الحديبية[٣] ويشمل المرض ونحوه عند الحنفية لحديث: «**من كُسِرَ أو عَرَجَ فقد حلَّ وعليه الحج من قابل**»[٤]، وهذا وإن رواه الترمذي فقد ضعفوه، ويدفعه حديث ضُبَاعة المروي في «الصحيحين» وغيرهما، ﴿فَـ﴾: عَلَيْكُم، ﴿مَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ﴾: جمع هدية، وهي شاة، ﴿وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ﴾: أي: لا تحللوا، ﴿حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ﴾: مكان حلّ ذبحه، وهو محل الحبس عند الشافعي، والحرم عند أبي حنيفة، أي: حتى تذبحوه، ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾: يحتاج إلى الحَلْق، ﴿أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ﴾: كجُرْحٍ وقَمْلٍ، ﴿فَفِدۡيَةٞ﴾: فعليه فدية إن حلق، ﴿مِّن صِيَامٍ﴾: ثلاثة أيام، ﴿أَوۡ صَدَقَةٍ﴾: بفَرق وهو ثلاثة آصُع على ستة مساكين، ﴿أَوۡ نُسُكٖ﴾: ذبح شاة أو ما فوقها، وكذا في الاستمتاعات ولو بلا عذر، ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمۡ﴾: من الخوف وتمكنتم من المأتى إلى مكة، ﴿فَمَن تَمَتَّعَ﴾: بالتقرب إلى الله تعالى، ﴿بِٱلۡعُمۡرَةِ﴾: في أشهر الحج إلى أن وصل، ﴿إِلَى ٱلۡحَجِّ﴾: فحج بعد تحلله من العمرة، ﴿فَـ﴾: عليه، ﴿مَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِ﴾: هو دَمُ جُبْران عند الشافعي فلا يأكل منه، ونُسكٍ عند أبي حنيفة كالأضحية، ﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ﴾: الهدي، ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي﴾: أثناء، ﴿ٱلۡحَجِّ﴾: قبل التحلل ويستحب أن يحرم قبل السابع، ﴿وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ﴾: إلى أهليكم بعد الوصول، وعند أبي حنيفة بمعنى: فراغه عنه، ﴿تِلۡكَ عَشَرَةٞ﴾: فَذْلَكة[٥] لرفع توهم أن الواو بمعنى «أو» أو للإباحة، أو السبعة للكثرة، أو كَقَوله تعالى: ﴿فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ﴾، ﴿كَامِلَةٞۗ﴾: تأكِيْدٌ للاهتمام أو للتنبيه على عدم نقصها من المبدل عنه، أوْ على أنها أول عدد كامل كما في كتب الحساب، ﴿ذَٰلِكَ﴾ الحُكْمُ ﴿لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ﴾: مجاز عن نفسه، ﴿حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ﴾: هو من بينه وبين

---

(١) كلمة «لَيسَ» سقطت من (ن)، و(س)، و هي في (ع)، و(د)، و(ح).

(٢) تفسير القرطبي (٢/ ٢٧٢)، الوسيط (١/ ٢٩٧).

(٣) رواه البخاري (٤/ ١٦/ ١٨١٥، ١٨١٦)، ومسلم (١٢٠١).

(٤) عن عكرمة قال: سمعت الحجاج بن عمرو الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كسر أو عرج فقد حل، وعليه الحج من قابل**».

قال عكرمة: فسألت ابن عباس وأبا هريرة عن ذلك، فقالا: صدق. رواه أبو داود (١٨٦٢)، وابن ماجة (٣٠٧٧)، والترمذي (٩٥٨، ٩٥٩) وأحمد (١٥٧٣١) وسنده صحيح.

(٥) الفذلكة: الاختصار والخلاصة .اهـ.

الحرم مسَافَةُ القَصْر، فإن كان أقلّ فهو المقيم أو كالمقيم، وغير المتوطن على قول المحققين من الشافعية كالمتوطن، وأُلْحقَ القارنُ بالمتمتع، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: في مخالفته، ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾: لمخالفيه، ﴿ٱلۡحَجُّ﴾: وقته، ﴿أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞ﴾: شوال، وذو القعدة، وعشر ليالي ذي الحجة عند الشافعي[١]، ومع يوم النحر عند أبي حنيفة، ومع بقية ذي الحجة عند مالك، ومبنى الخلاف على أن المراد وقت إحرامه وأعماله ومناسكه، أو ما لا يحسن فيه غيره من المناسك، فإن مالكًا كره العمرة في بقيتها وجعل بعض الشهر شهرًا تجوزًا، ﴿فَمَن فَرَضَ﴾: على نفسه، ﴿فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ﴾: بأَنْ أَحْرم به، ﴿فَلَا رَفَثَ﴾: جماع ومقدماته، ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾: معاصي، ﴿وَلَا جِدَالَ﴾: مخاصمة، ﴿فِي﴾: أيّام، ﴿ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُ﴾: فلا يضيعه، ﴿وَتَزَوَّدُواْ﴾: لمعادكم أو للحج، لا كبعض اليَمانيين يحُجُّون بلا زاد مظهرين[٢] التوكل، ثم يسألون الناس إلحافًا[٣]، ﴿فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ﴾ ومنه الكف عن السؤال، والزاد: فضل الطعام الزائد عما يكتفى به الوقت، ﴿وَٱتَّقُونِ﴾: فقط، ﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾: العقول السليمة، فإن ذلك مقتضاها، ﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ﴾: إثم في، ﴿أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا﴾: رزقًا، ﴿مِّن رَّبِّكُمۡ﴾: بنحو التجارة والإجارة في الحج، ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم﴾: انصرفتم ﴿مِّنۡ عَرَفَٰتٖ﴾: جَمْع سمي به الجبل المعروف لتعارف الناس، أو آدم وحواء فيه، ويوم عرفة مُولَّد لا عربي، قيل: الآية دَلّت على وُجُوب الوقوف بها، ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾: بالدعاء والتلبية، وهو جبل معروف[٤] سُمِّي به؛ لأنه مَعْلَمٌ العبادة، وبالحرام لحرمته، فُهِمَ منه، أنَّ الذكر فيما يليه أفضل، ﴿وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا﴾ لما، ﴿هَدَىٰكُمۡ﴾: إلى ذلك، أفاد بتكرار

-----

(١) تفسير الطبري (٤/ ١١٥)، تفسير ابن كثير (١/ ٢٣٦)، معاني القرآن للفراء (١/ ١١٩)، أحكام القرآن - لابن العربي (١/ ١٣١).

(٢) في (ن): أو مُظهرينَ.

(٣) عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا مكة، سألوا الناس، فأنزل الله - تعالى -: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ﴾ رواه البخاري (٣/ ٣٨٤/ ١٥٢٣)، وعبد الرزاق في تفسيره (١/ ١/ ٧٧).

(٤) المشعر الحرام: المزدلفة، سميت مشعرًا؛ لأنه معلم للحج والصلاة والمقام والمبيت به والدعاء عنده من سنن الحج. * الوسيط (١/ ٣٠٤).

الأمر الحثّ على إكثاره، ﴿وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ﴾: قبل هدايته، ﴿لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾: الجاهلين، ﴿ثُمَّ﴾: لتفاوت ما بين الإفاضتين، وقيل: فيه تقديم وتأخير تقديرًا، ﴿أَفِيضُواْ﴾: انصرفوا، ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾: أي: مِن عرفه إذ كَانَ[1] قريش لا يتجاوزون الحرم قائلين: نحن أهل الله لا نَخْرج من حرمه، ثم يفيضون منه[2]، ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٩٩ فَإِذَا قَضَيْتُم﴾: فأتممتم، ﴿مَّنَٰسِكَكُمْ﴾: عبادات حجِّكُم، وأصلها: أخذ النفس ببلوغ غاية العبادة، ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾: ذكرًا، ﴿كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ﴾: إذ كانوا في الجاهلية يذكرون مفاخر آباءهم بمنى، ﴿أَوْ﴾: بل، ﴿أَشَدَّ﴾: منه، ﴿ذِكْرًاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا﴾: اجعل عطاءنا، ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾: نصيب صالح أو طلبه، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: يشْمَل كل خيرها، ﴿وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً﴾: كذلك، ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾: بالعفو، ومَنْ خَصَّصَ هذه[3] الثلاثة بالمرأة الصالحة والحور والمرأة السوء ونحوها فعلى سبيل المثال، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: الفريق الثاني، ﴿لَهُمْ نَصِيبٌ﴾: ﴿مِّمَّا﴾ من أجل ﴿مَا كَسَبُواْ﴾، أو الفريقان لهما نصيب، بالدعاء من الدنيا والدارين، ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾: فَيُحاسبكُم مع كثرتكم في لمحة، ﴿وَٱذْكُرُواْ﴾: كَبِّرُوا، ﴿ٱللَّهَ﴾: بعد الصَّلَوات وعلى الأضاحي وعند الجمرات، ﴿فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍۚ﴾: هي أيام التشريق لقلتها بالنسبة إلى المعلومات العشر، ﴿فَمَن تَعَجَّلَ﴾: بالنَّفْر، ﴿فِى يَوْمَيْنِ﴾: بعد رميه، ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ﴾: بالنفر إلى الثالث، ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ﴾: في تأخره، كان في الجاهلية بعضهم يؤثم المعجل، وبعضهم يؤثم المؤخر، فرد عليهما[4] إذ مَعناهُ: لا إثْم على المتأخر في ترك الأخذ بالرخصة، مع «**أن الله تعالى يُحِبُّ أن تُؤْتَى رُخَصُهُ كما**

---

(١) كذا- والمرادُ قومٌ، ويجوز: كانت.

(٢) عن عائشة- رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قالت: كانت قريش تقف بالمزدلفة، ويسمون الحمس، وسائر العرب تقف بعرفة، فأمر الله نبيه أن يقف بعرفة، ثم يدفع منها؛ فأنزل الله: «**ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس**» الآية أخرجه الترمذي (٨٨٤)، والنسائي في المجتبى (٥/ ٢٥٥)، والطبري في التفسير (٢/ ١٧١) وسنده صحيح.

(٣) ليست في (ن).

(٤) الوسيط- للواحدي (١/ ٣٠٩)، الجامع- للقرطبي (٣/ ١٣)، الوجيز- للواحدي (١/ ٥٣).

تؤتى عزائمه[1]»، وعدم الإثم، ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾: في حَجِّهِ، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: للجزاء، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ﴾: يعظم في نفسك، ﴿قَوْلُهُۥ﴾: والتعجُّب: حيرة تَعْتَرِضُ الإنسان لجهله بسبب المتعجب منه[2]، وهو أمر إضافي، ﴿فِى﴾: أمور، ﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ﴾: يحلف أنَّ قلبه يوافقُ لِسَانه، ﴿وَهُوَ أَلَدُّ﴾: أَشَدُّ، ﴿ٱلْخِصَامِ﴾: الخصومة، أو جمع خَصْم هو: أخنس بن شُرَيْق[3] المنافق الحلو الكلام، ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ﴾: انصرف عنك، ﴿سَعَىٰ﴾: أَسْرَعَ، ﴿فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾: بكل ما يقدر، ﴿وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ﴾: فإنه أحرق زرع المسلمين وعقر مواشيهم، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ﴾: لا يرتضي، ﴿ٱلْفَسَادَ﴾: لا يقال كيف لا يرتضيه، وهو يفسد بعض الأشياء؛ لأن الإفساد إخراج الشيء عن حالة محمودة لا لغرض صحيح، وهو تعالى منزه عن ذلك، ولا يرتضيه، وما نراه فسادًا فبالإضافة إلينا، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ﴾: حملته، ﴿ٱلْعِزَّةُ﴾: الكِبْرُ، ﴿بِٱلْإِثْمِ﴾: على الإثم، ﴿فَحَسْبُهُۥ﴾: كفته، ﴿جَهَنَّمُ وَ﴾ الله، ﴿لَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾: المقرُّ جهنَّم، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى﴾: يبيع، ﴿نَفْسَهُ﴾: بالجهاد، ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾: طلب، ﴿مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾: كَصُهَيْب[4]، عُذِّبَ ليرتد فأعطى جميع أمواله وأتى المدينة، ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ﴾: الانقياد لله، ﴿كَآفَّةً﴾: في جميع شَرَائِعه، أو بكُلِّيَّتكم، من كَفَفْت أي: جَمَعْت، ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ﴾ آثار ﴿ٱلشَّيْطَـٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم﴾: عدلتم عن الدخول، ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ﴾: على أنه حَقٌّ، ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالبٌ، ﴿حَكِيمٌ﴾: لا ينتقم ظلمًا، وفي العلم بهما انزجار

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢/ ١٠٨)، والبيهقي في سننه (٣/ ٥٤١٥)، والطبراني في الكبير (١١/ ١١٨٨٠، ١١٨٨١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ١٨٨٥)، والإرواء (٥٦٤).

(٢) التعريفات – للجرجاني (٦٥)، أساس البلاغة (٤٠٩)، الكليات (١/ ٢٤٢، ٢٤٣)، التوقيف (١٨٤).

(٣) الوسيط (١/ ٣١٠)، تفسير الفخر (٥/ ١٩٧)، أحكام القرآن – لابن العربي (١/ ١٤٣)، الوجيز للواحدي (١/ ٥٣)، تفسير الطبري (٤/ ٢٢٩، ٢٣٠)، معاني القرآن – للزجاج (١/ ٢٦٧).

(٤) رواه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٢٢٨)، والحارث ابن أبي أسامة في مسنده (٢/ ٦٩٣، ٦٩٤/ ٦٧٩/ بغية)، ومن طريقه أبو نعيم في الحلية (١/ ١٥١، ١٥٢)، وابن عساكر (٢٦/ ١٥٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٣٦٨، ٣٦٩/ ١٩٣٩) وسنده ضعيف.

عنها، ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾: ما ينظر الزَّالُّون ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾: بكيفية لا يعلمها إلا[1] هُوَ، أَوْ عذَابُهُ[2]، ﴿فِي ظُلَلٍ﴾: جَمْعُ ظُلَّةٍ، ما أظلَّك، ﴿مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾: الذي هو مظنَّةُ الرَّحْمة، فالعذاب منه أقطع، ﴿وَ﴾ تأتيهم، ﴿الْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ﴾: من حسابهم وجزائهم، ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ﴾ تصير، ﴿ٱلْأُمُورُ﴾: فيجازي الكل، ﴿سَلْ﴾: يا محمد تقريعًا، ﴿بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ﴾: ظاهرة في الكتب على تصديق محمد- ﷺ-، ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾: أَتتهُ بتحْريفها، ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ﴾: أي: عرفها أو تمكن من معرفتها، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾: له، ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾: حَتَّى أَعْرَضُوا عن الآخرة، والتزيين: تحسين محسوس لا معقول، ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: من فقرائهم كبلال وعمار بتركِهم الدنيا، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾: أي: هم، ﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: بلا استحقاق، فكثرة الرِّزْق لا تَدُلُّ على القربة، ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ﴾: بين آدم ونوح عشرين قرنًا[3]، ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: مُتَّفقين على الحقِّ، ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ﴾: بعد اختلافهم، ﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ﴾: للمُطيع، ﴿وَمُنذِرِينَ﴾: للعاصي، ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ﴾: يعني: جنسهم إذ أكثرهم كانوا آخِذيْنَ بكتاب من سبقهم، ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: ملتبسًا، ﴿بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ﴾: الكتاب، ﴿بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ﴾: في الكتاب، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾: الكتاب، ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا﴾: للحسد والظلم، ﴿بَيْنَهُمْ﴾: فكفر بعضهم بكتاب بعض، ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِـ﴾: مَعْرفة، ﴿مَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ﴾: بإرادته، ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: ثُمَّ شَجَّع المؤمنين الخارجين عن أموالهم وأولادهم بقوله: ﴿أَمْ﴾: بَلْ، ﴿حَسِبْتُمْ﴾: أي: ما كان لكم أن تحسبوا، ﴿أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا﴾: أَصْلهُ: لَمْ وَ«مَا» صلة، ﴿يَأْتِكُم مَّثَلُ﴾: عَجِيبُ حَالِ، ﴿ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟﴾: مضوا، ﴿مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟﴾: أزعجوا شديدًا بالبينات، ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ﴾: استبطاء له، فقيل لهم: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾: فاصبروا كما صبروا تظفروا، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾: السائل: عمرو بن الجموح

---

(١) وهو الصحيحُ الموافق لما عليه سلفُ الأُمّة.

(٢) مِن التأويلِ المذموم.

(٣) الله أعلم بذلك.

الأنصاري[١]، ﴿مَاذَا يُنفِقُونَ﴾: تطوُّعًا سألوا عن النفقة[٢] فأمره بالجواب بما هو أهم، وهو المصرف، ولَا يَلْزَمُ المطابقة في نحو سؤال مَسْتعْلج من معالج، ويلزم في سؤال جدل فقال: ﴿قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ﴾: مال، ﴿فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾: فيجازيكم، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ﴾: مكروه شاق، ﴿لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ﴾: وهو كُلّ ما أمرتم به، ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ﴾: وهو كل ما نهيتم عنه، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾: الخير، ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ﴾: حين[٣] قاتل سَرِيَّة المسلمين المشركين في رجب على أنه من جُمَادى[٤]، والسائل المؤمنون كبواقي المسائل الخمسة، ﴿عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ﴾: الإبدال لبيان أن السؤال لأجل تعظيم الشهر، ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ﴾: ذنب ﴿كَبِيرٌ ۖ﴾ الأصح أنه غير منسوخ، ولا يدل على حرمة القتال فيه مطلقًا، ويؤيده إعادة قتال منكَّرًا، وعند الأكثرين: نُسِخَت بقوله: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾[٥]، ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ﴾، ﴿وَ﴾: صَدٌّ عَن، ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ﴾: المؤمنين، ﴿مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾: وزرًا من قتال السرية، ﴿وَٱلْفِتْنَةُ﴾: الشرك، ﴿أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ﴾: المشركون، ﴿يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ﴾: أتى بإن للفرض والاستبعاد، ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾: إلى دينهم، ﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ﴾: بطلت، ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾: النافعة، ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾: من أحكام الإسلام، ﴿وَٱلْءَاخِرَةِ﴾: بسقوط الثواب قيد وهو كافر: حجة الشافعي: فلابد من موته على الكفر، وقوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ إلى آخره، مَحمولٌ على القَيْد، ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ

---

(١) أسباب النزول - للواحدي (٤٠)، الوسيط - له (١/ ٣١٨)، زاد المسير - لابن الجوزي (١/ ٢٣٣).

(٢) في (ن): المنفق.

(٣) في هامش (ن): بلغ مُقابلة.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٣٨٤/ ٢٠٢٢)، والطبري في تفسيره (٢/ ٢٠٤، ٢٠٧)، والنسائي (٥/ ٢٤٩/ ٨٨٠٣)، وأبو يعلي (٣/ ١٠٢/ ١٥٣٤)، والطبراني في الكبير (٢/ ١٦٢/ ١٦٧٠)، والبيهقي في سننه (٩/ ١١، ١٢)، والطحاوي في مشكل الآثار (١٢/ ٣٨٤، ٣٨٧/ ٤٨٨٠، ٤٨٨١) وسنده صحيح.

(٥) سورة التوبة.

أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ ﴾: يستحقون أن يرجوا، ﴿رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ ﴾: السائل: عمر مع جمع[1]، ﴿عَنِ ﴾: شرب، ﴿ٱلْخَمْرِ﴾: هي عصير العنب والتمر إذا اشتد وغلا، ﴿وَ﴾: لعب، ﴿ٱلْمَيْسِرِ﴾ القمار، ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾: كالمخاصمة والزور، ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾: كالقوة وكسب المال[2]، ﴿وَإِثْمُهُمَآ﴾: مفاسدهما، ﴿أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾: السائل: عمر المذكور، ﴿مَاذَا﴾: أي: مقدار مَا ﴿يُنفِقُونَ﴾: على المذكورين أوَّلًا، ﴿قُلِ﴾: أنفقوا، ﴿ٱلْعَفْوَ﴾: الفاضل عن الحاجة وهو ضد الجهد بالفتح: المشقة، ﴿كَذَٰلِكَ﴾: التبيين، ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾: كُلَّها، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي﴾ أُمور ﴿ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۗ﴾: وتأْخذون بالأصلح لكم، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾: بعدما اعتزلوهم بنزول ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ﴾، ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ﴾: في مداخلتهم، ﴿خَيْرٌ﴾: من مجانبتهم، ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ﴾: تخلطون طَعامكم بطعامهم، ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾: أي: فَهم إخْوانكُم، فَلَا بأس، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ﴾: فيجازيهما، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ﴾: لكَلَّفكُم مشقة المجانبة مطلقًا، والعَنَتُ: المشقة[3]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالب، ﴿حَكِيمٌ﴾: فيما يفعل، ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾: عبدة الأوثان، ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾: شملت الكتابيات، وخصَّت بقوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ ﴾[4] إلى آخره، ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ﴾: حُـرَّة، ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾: لمالها وجمالها، ﴿وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: المؤمنات، ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ﴾: حُـرٍّ، ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ﴾: المشركون، ﴿يَدْعُونَ إِلَى﴾: موجبات، ﴿ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى﴾: موجبات، ﴿ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ﴾: بتيسيره، ﴿وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: قبح

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٣٦٧٠)، والبيهقي (٨/ ٢٨٥)، والترمذي (٣٠٤٩)، والنسائي (٨/ ٢٨٦، ٢٨٧)، وأحمد (١/ ٥٣)، والواحدي في أسباب النزول (١٣٨، ١٣٩)، وابن أبي شيبة (٧/ ١١٢/ ٣٨٢٤)، والحاكم في مستدركه (٤/ ١٤٣) والبيهقي في معرفة السنن والآثار (٦/ ٤٣٠/ ٥١٩٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٣٨٨، ٣٨٩/ ٢٠٤٤) و (٣/ ٩٥٨/ ٥٣٥١) وسنده صحيح.

(٢) لمّا حرّمَهُما الله سلَبَ منهما المنفَعة تمامًا.

(٣) وأصْلهُ: الكسرُ بعْدَ الجبْرِ.

(٤) سورة النساء.

المنهي عنه، وحسن المدعو إليه، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾: السائل: أبو الدحداح مع جمع عن أحكام[١] ﴿ٱلْمَحِيضِ﴾: الحَيْض؛ إذْ كانوا لا يؤاكلوهن ولا يساكنوهن[٢] حينئذ ترك الواو في الأسئلة الثلاثة الأُول؛ لأنهم سألوها في أوْقَاتٍ متفرقة، وأتى بالواو في البواقي إشارةً إلى أنهم سألوها في وقت واحد عُرْفًا، كشَهْر كذا، ﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾: كناية عن مستقذر، ﴿فَٱعْتَزِلُوا۟﴾: اجتنبوا، ﴿ٱلنِّسَآءَ﴾: مُجَامعتَهُنَّ، ﴿فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾: بالجماع، ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾: بالاغتسال أو التيمم، وَعند أبي حنيفة- رحمه الله[٣]- بدُوْنه إن طهرن لأكثر الحيض، وتأتي قراءةُ: (يُطَّهَّرْن)[٤] بالتشديد، وفقٌ له:، ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ﴾: بالجماع، ﴿مِنْ حَيْثُ﴾: من مأْتَى، ﴿أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾: وهو القبل، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾: من الأقذار، ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ﴾: موضع حرث، ﴿لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ﴾: جامعوهن، ﴿أَنَّىٰ﴾: من أي: جهة، ﴿شِئْتُمْ﴾: بعد ملاحظة موضع الحرث، لا كما قال اليهود: الجماع في القبل مدبرة يسخط الله، ويجعل الولد أحول[٥]، ﴿وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ﴾: ثواب امتثال أمر الله، ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: في معاصيه، ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ﴾: يوم القيامة، ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: الذين اتقوه، ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً﴾: مانعا وحاجزا، ﴿لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾: أي: الأمور المحلوف عليها، ﴿أَن تَبَرُّوا۟﴾: بيان للأيمان، ﴿وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾: كحلف الصديق أن لا ينفق على مِسْطَح[٦] لافترائه[٧] على عائشة رضي الله عنها، والآية نَزَلَتْ فيه، ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾: لأيمانكم، ﴿عَلِيمٌ﴾:

---

(١) أنوار التنزيل – للبيضاوي (٤٨).

(٢) في (ن): لا يُؤاكلونهُنَّ، ولا يساكنونهُنَّ.

(٣) في (ن): رضي اللهُ عنه.

(٤) وهي قراءة حمزة والكسائي وعاصم الجحدري وخلف والفضل وشعبة.

* إتحاف فضلاء البشر (١٥٧)، السبعة (١٨٢)، غيث النفع (١٦١)، الكشاف (١/ ١٣٤).

(٥) عن جابر بن عبد الله- رضي الله عنهما- قال: كانت اليهود تقول: إذا أتى الرجل امرأته من دبرها في قبلها؛ كان الولد أحول؛ فنزلت: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾... الآية» رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١٨٩/ ٤٥٢٨) ومسلم (١٤٣٥).

(٦) ابن أُثاثة رضي الله عنه.

(٧) كذا- والذي افترى على أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- هو ابن سلول- لعنه الله- فلو قال المؤلف: كان من الخائضين، أو: من الذين خاضُوا في الإفك، لكان أولى.

بمقاصدكم، ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ﴾: بعقوبة ولا كفارة، ﴿بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾: هو ما يجري على اللسان بلا قصد، كلا والله، وعند الحنفيينَ: هو حلف الرجل بناء على ظنّه الكاذب[1]، ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: أي: تَعَمَّدتمَّ الكذب فيه، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾: لا يعجلكم بالعقوبة في الكذب، ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾: يحلفون أنْ لا يُجامعوهنَّ، ﴿تَرَبُّصُ﴾: انتظار، أو مقلوب تَصَبُّر، ﴿أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾: فلا يطالبون فيها بوطء، ولا طلاق، ﴿فَإِن فَآءُو﴾: رجعوا بالحنث، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾: لهم إثم الحنث، ﴿رَّحِيمٌ﴾: ﴿وَ﴾ لكن تجب الكفارة، ﴿إِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ﴾: وطلقوا، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾: لطلاقهم، ﴿عَلِيمٌ﴾: بفعلهم، ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ﴾: المدخول بهن من حرائر ذوات الأقراء، ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾: ليحملنها على الانتظار، إنما قيد بها لأن أنفسهن طوامح إلى الرجال، ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾: أطهار مُحْتوشَة[2] بالدم، وعدة الأمة قُرْآن للسُّنَّة، وأتى بجمع الكثرة؛ لأنها حكم جميع المُطلَّقات، أو على تقدير ثلاثة من القروء وهو جمع قلة، في أنفسهن؛ تنبيهًا على أنه ينبغي قلة وقوعه، وهو عندنا بمعنى الطهر، وعند أبي حنيفة بمعنى الحيض.

* تنبيه: اعلم أنَّ حديثَ: «**طَلَاقُ الأَمَة تَطْلِيْقَتان، وعدتها حيضتان**[3]»، وحديث: «**دَعِيْ الصَّلَاة أيام أقرائك**[4]»، ليسا في الأصول[5] ومع ثبوتهما لايقاومان قوله تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾[6]. ورواية «الصحيحين» والموطأ وسنن أبي داود والترمذي والنسائي والدارمي وابن ماجة في قصة ابن عمر - رضي الله عنهما -: «**مُرْهُ فليُرَاجِعْهَا ثم ليمسكها حَتى تَطْهُر، ثم تحيض، ثم تطهر، ثُمَّ إنْ شَاءَ أمسك بَعْدُ وإنْ شاء طَلّقَ قبل أن يمس،**

---

(١) انظر: معطية الأمان- لابن العماد الحنبلي (٦٤).

(٢) مقترنة.

(٣) رواه أبو داود (٢/ ٢١٨٩)، الترمذي (٣/ ١١٨٢)، وابن ماجة (١/ ٢٠٨٠)، والحاكم (٢/ ٢٠٥) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٦٥٠)، والإرواء (٢٠٦٦، ٢١٢١).

(٤) رواه البغوي في شرح السنة (٩/ ٢٠٧)، والدارقطني في سننه (١/ ٢١٢) وسنده ضعيف.

(٥) لم أعرف مراد المصنف بهذه الكلمة، ولعلّهُ يعني: ليسا في الصحيحين.

(٦) سورة الطلاق (١).

فتلك العدة التي أمر الله أن يُطلّق لها النِّساء»[1]، ورواية مالك عن عائشة رضي الله عنها -: «أتدرون ما الأَقْراءُ؟ هي الأطهار[2]»، غاية الأمر أنهما يدُلّان على استعماله بمعنى الحيض، ولا نزاع فيه، والله تعالى أعلم، ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾: من حَمْلٍ أو حَيْضٍ اسْتِعجالًا، فأفهم أن قولها فيه مقبول، ﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: ليس للشرط بل للتغليظ، ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ﴾: جَمْعُ البَعْل: الزوج، وأصله: نخل يشرب بعروقه، والبعْلَةُ الزوجة، ﴿أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾: إلى النكاح، ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾: الزمان، وهو العِدَّة، وهذا قبل نزول: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾[3]، ﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾: بالرجعة، لا إضرارًا، وهذا تحريضٌ لا شرطٌ، ﴿وَلَهُنَّ﴾: على الرجال من الحق، ﴿مِثْلُ الَّذِي﴾: لهم، ﴿عَلَيْهِنَّ﴾: في الوجوب لا في الجِنْسِ، ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: في الشرع من نحو حسن العشرة، ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾: فضل لما ساقوه من المهر والإنفاق، وأصلها[4]: المنزلة باعتبار الصعود، كما أن الدَّرَكَة المنزلة باعتبار النزول، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٨) الطَّلَاقُ﴾: الرجعي، ﴿مَرَّتَانِ﴾: اثنتان، وقيل: تطليقة بعد تطليقة، وكذا قيل بتحريم الجمع، وبعد ذلك، ﴿فَإِمْسَاكٌ﴾: مراجعة، ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾: غير منكر شرعًا، وسئل عليه الصلاة والسلام «أين الثالثة؟» فقال[5]: ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ﴾: أي: طلقة ثالثة، ﴿بِإِحْسَانٍ﴾: لا كما كان

---

(١) عن مالك عن نافع عن ابن عمر أنه طلق امرأته وهي حائض في عهد رسول الله ﷺ فسأل عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال له رسول الله ﷺ: «**مره فليراجعها، ثم ليتركها حتى تطهر، ثم تحيض، ثم تطهر، ثم إن شاء أمسك بعد، وإن شاء طلق قبل أن يمس، فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء**» رواه البخاري (٩/ ٣٤٥، ٣٤٦/ ٥٢٥١)، ومسلم (٢/ ١٠٩٣)، وأبو داود (٢/ ٣٦٣).

(٢) عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها انتقلت حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق حين دخلت في الدم من الحيضة الثالثة.

قال ابن شهاب: فذكر ذلك لعمرة بنت عبد الرحمن فقالت: صدق عروة وقد جادلها في ذلك ناس وقالوا: إن الله- تبارك وتعالى- يقول في كتابه: ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ فقالت عائشة: صدقتم؛ تدرون ما الأقراء؟ إنما الأقراء الأطهار. رواه مالك في الموطأ (٤٥٥/ كتاب الطلاق) (٢١) باب: ما جاء في الأقراء وعدة الطلاق وطلاق الحائض.

(٣) سورة البقرة.

(٤) الدرجة.

(٥) رواه الطبري في تفسيره (٤/ ٥٤٥)، وعبد الرزاق في المصنف (٣/ ٣٠١)، والبيهقي (٧/ ٣٤٠) وسنده =

في الجاهلية الطلاق غير محصور في عدد، وهو أعم من المعروف، إذ قد لا ينكر ولا يستحسن، ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾: أيها الولاة أسند إليهم، لأنهم الآمرون عند الترافع، ﴿أَن تَأْخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾: الصَّداق[1]، ﴿شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ﴾: الزوجان، ﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾: من مواجب الزوجية، ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾: أيها الولاة، ﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾: على الزوجين، ﴿فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾: نفسها، أي: لا حرج في أخذه وإعطائها، فعرف جواز الخُلْع في حال اتفاقهما بطريق الأولى، ﴿تِلْكَ﴾: الأحكام، ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا﴾: بعد المرتين، هو تفسير التسريح بإحسان، ونبه بتوسيط ذكر الخلع بينهما، على أن الطلاق إما مجاز أو بِعِوَض، وأن الرجعة لا تمكن إلا قبل الثالث، ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ﴾: بعد الثالثة، ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾: يطؤها في نكاح صحيح، وحكمته: الردع عن التسريح إلى الطلاق، وأما لعن المُحَلِّل والمُحَلَّل له، فحيث نكح بشرط أن لا نكاح بعد الوطء ونحو ذلك، ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾: الثاني، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ﴾: بنكاح جديد صحيح جائز، ﴿إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾: في الزوجية، ﴿وَتِلْكَ﴾: الأحكام، ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: يفهمون، ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: انقضاء عدتهن، والأجل: قُرْبُ المُدَّة، أو منتهاها، والمراد الثاني، ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: بالرجعة بلا إضْرَارٍ، ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: بتركهن لتنقضي عدتهن بلا تطويل، عَلَّقَهُ هنا بالمعروف؛ تنبيهًا على أنكم إن لم تحسنوا فراعوا فيه المعروف، ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ﴾: تُراجعوهنَّ، ﴿ضِرَارًا﴾: لإضرارهن، ﴿لِّتَعْتَدُواْ﴾: لتظلموهن بالتطويل أو الإلجاء إلى الافتداء، ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ﴾: بأن تطلقوا أو تعتقوا أو تنكحوا أو تراجعوا، ثم تقولوا: كنَّا لاعِبِيْن، ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: بالإسلام، ﴿وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: القرآن، ﴿وَٱلْحِكْمَةِ﴾: السنة[2]، ﴿يَعِظُكُم بِهِۦ﴾: بما أنزل، فاشكروها بالعمل به، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾:

= ضعيف.

(١) في (ن): الصدقات.

(٢) أو مواعظ القرآن – الوسيط (١/ ٣٣٨).

انقَضَتْ عِدَّتُهنَّ، ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾: لا تُضَيِّقوا عليهن أيها الأولياء، دلَّتْ على منع تزويجهن أنفسهن، وإلا فلا معنى لعضل الوَليّ، وإسناد النكاح إليهن فلتوقُّفه على إذنهنَّ، ﴿أَن يَنكِحْنَ﴾: الذين كانوا، ﴿أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْاْ﴾: الخُطَّاب والنساء، ﴿بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: شرعًا ومروءةً ومودةً، دلت على جواز العَضْلِ عن التزوج من غير كفؤ، ﴿ذَٰلِكَ﴾: المنزل، ذلك هنا لمجرد الفرق بين القريب والبعيد فلا تجمع، ﴿يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ذَٰلِكُمْ﴾: تركُ العَضْل ذلكم هنا للخطّاب فيجمع، ﴿أَزْكَىٰ﴾: أنفع، ﴿لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾: مِنْ دَنَس الإثْم، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾: ذلك، ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: لقُصُور عِلْمكم، ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ﴾: ولو مُطلّقات، ﴿يُرْضِعْنَ﴾: ليرضعن، ﴿أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾: تحديدًا، وهو إنما أكده لأنه يتسامح فيه، أمر ندب أو وجوب إذا لم يرتضع الصبيُّ إلَّا من أمه، أو لم يوجد له ظِئْر[١]، أو عجز الوالد عن الاستئجار ذلك، ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾: فَهُما أقْصى مُدَّتها، ويجوز النقص، ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ﴾: أي: للوالد، أشار بتغيير العبارة إلى علة الحكم، وأن الولد للوالد، ﴿رِزْقُهُنَّ﴾: نفقة أمه المطلقة مدة الإرضاع، ﴿وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: بقدر وسعه، وجَوَّزَ الشافعي استئجار الأم، وعن أبي حنيفة: منعه ما دامت زوجته أو في عدته، ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَآرَّ﴾: مبنيًّا للفاعل، فاعله، ﴿وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا﴾: بأن تدفعه عن نفسها، قدمها لفرط شفقتها، ﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾: بأن ينزعه عن أمه إضرَّارا لها، ومبنيًّا للمفعول بتعاكس المعنيين، ووالدة مفعوله وأضافه إليها، وإليه استعطافا لهما عليه، ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ﴾: وارثُ الأب إذا مات، وهو الولد نفسه، ﴿مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾: فتؤخَذُ مؤنُ مرضعته من ماله إن كان، وإلا فتجبر الأم على إرضاعه مجانًا، ﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾: الأبوان، ﴿فِصَالًا﴾: فطامًا صادرًا، ﴿عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾: بينهما، قبل الحولين[٢] والمشورة استخراج الرأي[٣]، ﴿فَلَا جُنَاحَ

---

(١) الظئر: المرضع.

(٢) والمعنى: أنهما إن تشاورا وتراضيا على الفطام قبل الحولين فلا بأس إذا كان الولد قويًّا.

* الوسيط (١/ ٣٤٢).

(٣) معنى التشاور: استخراج الرأي وكذلك المشورة ومنه يقال: شرت العسل، إذا استخرجته.

* البحر المحيط (٢/ ٢٠٦، ٢٠٧).

عَلَيْهِمَا﴾: فلا يستقل أحدهما به، ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟﴾: المراضع، ﴿أَوْلَٰدَكُمْ﴾: أي: لأوْلَادكم، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: دَلَّ على أنه يجوز للزوج، وكذا منعه الزوجة عن إرضاعه، ﴿مَّآ ءَاتَيْتُم﴾: أردتم إيتاءه من أجورهما، ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: شرعًا من أجورهما، وبالقصر، من أتى إليه إحسانا إذا فعله، وتقييد نفي الجُنَاح بالتسليم إرشادًا إلى الأولى، لَا شَرْطَ للْجَوَاز، ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: في حدوده، ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ﴾: يَتْرُكُونَ، ﴿أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ﴾: بعدهم، ﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾: ليحملنها على الانتظار، ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾: سِرُّهُ أَنَّ الجنين غالبًا يتحرك لثلاثة إن كان ذكرًا، ولأربعة إن كان أنثى[1]، فاعتبر أقصى الأجلين، وزيادة العشر للاستظهار، وأما الحَامِلُ والأمة فعدتهما الوضع، ونصف الحرة، وترك التاء لحذف المعدود أو باعتبار الليالي، ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾:انقضت عدتهن، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: أيها الأولياء في ترك كَفِّهِنّ، ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ﴾: من تَزيُّن حَرُمَ في العِدَّة، ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: غير منكر شرعًا، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: فيجازيكم، ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ﴾: والتعريضُ: ذكر المقصود بلفظه الحقيقي أوالمجازي أو الكنائي ليدل على شيء آخر غير مذكور، والكناية: ذكر المقصود بلفظه الحقيقي لم يوضع له، واستعمل في الموضوع له لا على وجه القصد إليه، بل لينتقل منه، وبينهما عموم من وجه، ﴿مِنْ خِطْبَةِ﴾: هي عُرْفًا: طلبُ، ﴿ٱلنِّسَآءِ﴾: أي: المعتدات للوفاة، وبضم الخاء: الموعظة، وأصلها: الحالة التي عليها الخاطب، مثال التعريض: إنك جميلة، وغرضى أن أتزوج، ﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ﴾: أضمرتم، ﴿فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾: بلا تعريض، ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾: ولا تصبرون عنهن، فأباح التعريض فاذكروهن، ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾: نكاحا أو جماعا، ﴿إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾: حاصله: لا تواعدوهن إلا مواعدة معروفة، وهي التَّعريضُ لا التصريح، ﴿وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ﴾: أي: عَقْدَ عقدة، ﴿ٱلنِّكَاحِ﴾: وهي ما يتوقف عليه صحته، ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾: أي: ينتهى ما كتب وأوجَبَ من العدة، فالنكاح فيها لا يَصِحُّ إجماعا، وذكر العَزْم مبالغة في النهي

---

(١) وهذا صحيحٌ، وقيده بالغالب؛ ليخرج ما سواهُ.

عن العقد، واعلم أن مراتب دواعينا إلى الفعل[١] سِتٌّ: السَّانحُ ثم الخاطر ثم التفكر فيه، ثم الإرادة، ثم الهِمَّةُ، ثم العزم، فالعزم على الأمر هو العقد على إمْضَائه، ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾: ولا تعزموا، ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾: لمن عزم ولم يفعل، ﴿حَلِيمٌ﴾: لا يعجل بالعقوبة، ﴿لَّا جُنَاحَ﴾: أي: لا تبعة من مهر بدليل قوله بعد: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾، ﴿عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾: تجامعوهن، ﴿أَوْ﴾: إلا أن ﴿تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾: مَهْرًا إذ لو مس، أو فرض لزم الكل أو النصف، والفَرْضُ: تَسميةُ المَهر، ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾: حيث لا مس، ولا تسمية جبرا لإيحاش الطلاق، وتقدير المتعة إلى رأي الحاكم، كما يشعر به، ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ﴾: الغني، ﴿قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ﴾ الفقير ﴿قَدَرُهُۥ﴾: ما يليق به، ﴿مَتَٰعًا﴾: تمتيعا، ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: شرعًا، حق ذلك، ﴿حَقًّا﴾: وَاجبًا، ﴿عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: أي: عليكم، وسماهم به للمشارفة ترغيبا، وألحق الشافعيُّ المَمْسُوْسة المفروضة وغيرها بها في أحد قوليه قياسا، وهو مقدم على المفهوم، ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ﴾: فلهنَّ نصفُ، ﴿مَا فَرَضْتُمْ﴾: ولا متعة حينئذ، ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ﴾: المطلقات، ﴿أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾: أي: الزوج يعطيها كل المهر، سمى عفوًا للمشاكلة، أو من عفوت بمعنى وفّرت[٢]، ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ﴾: أيها الرجال، ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾: أي: يتفضل بعضكم على بعض، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: لا يضيع تفضلكم، ﴿حَٰفِظُواْ﴾: دَاومُوا، ﴿عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾: الخمس، ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾: بينهما أو الفُضْلى، والأصحُّ أنها العصر، للحديث[٣]، ﴿وَقُومُواْ﴾: في الصلاة، ﴿لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾: خاشعين أو ساكنين، وأصله: القيام خاضعا، وعن ابن المسيب: «هو قنوت الصبح[٤]»، ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾: من نحو عدو، ﴿فَرِجَالًا﴾: فصلوا رَاجلين، دَلَّ على

---

(١) في (ن): للفعل.

(٢) كقوله- تعالى-: ﴿حَتَّىٰ عَفَواْ﴾ (الأعراف: ٩٥) أي: كثروا وكثرت أموالهم.

* عمدة الحفاظ (٣/ ٩٩).

(٣) يشير إلى حديث: «**شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر**» رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٣٧) (٢٠٥/ ٦٢٧).

(٤) أنوار التنزيل – للبيضاوي (٥٤).

وجوب الصلاة حال المُسَايفَة كما قاله الشافعي، ﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾: راكبين وإن لم يمكن الوقوف والاستقبال، ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾: زال خوفكم، ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾: فصلوا، ﴿كَ﴾: مثل، ﴿مَا عَلَّمَكُم﴾، وهو صلاة الأمن، ﴿مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾: كتب عليهم، أو فليوصوا، ﴿وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم﴾: لنسائهم، ﴿مَّتَٰعًا﴾: أي: بتمتيع، ﴿إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾: غير مخرجات، أي: يجب عليه أن يوصي بأن تمتع زوجته حولا وينفق عليها غير مخرجة من مسكنها، ثم نُسِخت المُدَّةُ بأربعة أشهر وعشرا، والنفقة بالإرث عند الأكثرين، والسكنى ثابتة بَعْدُ عند الشافعي خلافًا لأبي حنيفة، ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾: عن المسكنِ قبل الحول، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: يا وَرَثة المَيِّت بقطع النفقة أو السكنى، ﴿فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ﴾: من ترك الحداد، ﴿مِن مَّعْرُوفٍ﴾: مشروع معتاد، فخيرت بين ملازمته وأخذ النفقة والخروج وتركها إذا لم تكن ملازمة للحداد، ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾: ينتقم ممن يخالفه، ﴿حَكِيمٌ﴾: فيما أمر.

ولما نزل في المتعة، ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ قال رجل: إن شئت أحسنت وإلا فلا، نَزَلَتْ[1]، ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾: الشِّرْك، ﴿كَذَٰلِكَ﴾: التبيين، ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ﴾: استفهام تعجب وتقرير، أي: حمل على الإقرار بما بعده، ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾: أهل دَاوَرْدَان[2]، ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾: سبعون ألفا أو متألفون، ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾: الطاعون، ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ﴾: في الطريق، ﴿مُوتُواْ﴾: أي: أماتهم دفعة، ﴿ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾: بعد تفرق أوصالهم حين مر عليهم حزقيل: فقال: بأمر الله. قوموا، فقاموا قائلين: سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت[3]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا

---

(١) الوسيط – للواحدي (١/ ٣٥٤)، تفسير ابن كثير (١/ ٣٠٥) عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو متروك.

(٢) قبل واسط بالعراق.

* أنوار التنزيل – للبيضاوي (٥٤) وقال ياقوت الحموي: بفتح الواو وسكون الراء وآخره. نون: من نواحي واسط بينهما فرسخ – معجم البلدان (٢/ ٤٣٤).

(٣) الدر المنثور – للسيوطي (١/ ٣١٤)، الوسيط (١/ ٣٥٥).

﴿يَشۡكُرُونَ﴾: مشغولون عمَّا خُلِقُوا له، ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾: قول المتخلفين، ﴿عَلِيمٞ﴾: بضمائرهم، ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا﴾: هو مثل لتقديم عمل لطلب ثوابه، ﴿حَسَنٗا﴾: ببذل النفس والمال، ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ﴾: يمسك الرزق عن بعضٍ، ﴿وَيَبۡصُۜطُ﴾: على الآخر، ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾: فيجازيكم، ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ﴾: جماعة شريفة أو مجتمعة للتشاور، ﴿مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعۡدِ﴾: وفاة، ﴿مُوسَىٰٓ إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ﴾: يوشع[1]، ﴿ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا﴾: للقتال، ﴿نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ قَالَ﴾: نبيُّهم، ﴿هَلۡ عَسَيۡتُمۡ﴾: أي: أتوقَّعُ، وعَسى في القرآن أينما وقع في القُرآنِ مفردا للخبر وجمعا للاستفهام، ﴿إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ﴾: لجبنكم، ﴿قَالُواْ وَمَا﴾: أيُّ غَرضٍ، ﴿لَنَآ﴾: في، ﴿أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ﴾ لأن قوم جَالُوْتٍ أخذوا بلادهم وسبوا أوْلادهم، ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ﴾: عَن الحرب، ﴿إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ﴾: ثلاثمائة وثلاثة عشر عدة أهل بدر[2]، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾: فَيُجازيهم، ﴿وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗاۚ﴾: أميـرًا، ﴿قَالُوٓاْ﴾: تَعنُّتًا، ﴿أَنَّىٰ﴾: كيف، ﴿يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ﴾: الإمارة، ﴿عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ﴾: لأنه ليس من أسباط يهوذا والملك فيهم، ونحن منهم وكان فقيرا سَقَّاءً أو دبَّاغًا، ﴿وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِۚ﴾: وقوامُ المُلْك به، ﴿قَالَ﴾: نبيهم ردًّا عليهم بأربعة أجوبة: أحدُها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ﴾: الثاني: ﴿وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾: ﴿وَ﴾ قوة في، ﴿ٱلۡجِسۡمِ﴾: وهُما عماد الملك، الثالثُ: ﴿وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ﴾: أي: السَّلْطنة، ﴿مَن يَشَآءُۚ﴾: ولا يُسْأل عمَّا يفعلُ، الرابع: ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾: يوسع على الفقير، ﴿عَلِيمٞ﴾ بمن يليق بالملك، ﴿وَ﴾: لما طلبوا دليل اصطفائه، ﴿قَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾:

---

(١) وقيل: هو أشمويل – فتح القدير (١/ ٢٦٤) الوسيط (١/ ٣٥٦).

(٢) لحديث: «أنتم اليوم على عدة أصحاب طالوت حين عبروا النهر وما جاز معه إلا مؤمن» رواه البخاري (٣/ ٤) كتاب المغازي باب: عدة أصحاب بدر، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٣٦)، وأحمد في مسنده (٤/ ٢٩٠).

صُندوقٌ من خشب الشَّمْشَاذِ[١] مُمَوَّه[٢] بالذهب، وهو ثلاثةُ أذْرُع في ذراعين، فيه صُورُ الأنبياء، أخذته العمالقة منهم[٣]، ﴿فِيهِ﴾: في التابوت، ﴿سَكِينَةٌ﴾: اطمئنان، ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾: كان فيه أشياء يتيمن بها في الخطوب[٤] والحُرُوْب، وفي تعيينها خلاف، ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ﴾: عَصَاهُ ورُضَاضُ ألواح التوارة[٥]، ﴿وَءَالُ هَـٰرُونَ﴾: ثيابهُ، فالآلُ مُقْحمٌ[٦]، أو أبناؤهما الأنبياء، ﴿تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾: في الهواء فنظروا إليه حين وضَعَتْه[٧] بين يدي طالوت، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾: أي: رجوع التابوت، ﴿لَأَيَةً لَّكُمْ﴾: في اصطفائه، ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ﴾: عَن بلَدِه لقتال العمالقة، وكانوا ثمانين ألفًا، وكان [ثَمّ] حَرٌّ عَظِيْمٌ، ﴿قَالَ﴾: لهم؛ لأنَّهُ لم يثق بهم[٨]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم﴾: معاملكم عمل مختبر، ﴿بِنَهَرٍ﴾: بين الأردن وفلسطين[٩]، ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ﴾: من النهر، ﴿فَلَيْسَ مِنِّى﴾: فلا يصحبنى ولا يُوَاقف[١٠] العدو، ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾: يذقه، ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا﴾: استثناء من قوله: ﴿فَمَن شَرِبَ﴾، ﴿مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةً﴾: بالفتح للمرة، وبالضَّمّ: ما اغْتُرف، ﴿بِيَدِهِۦ﴾: واكتفى بها، ﴿فَشَرِبُواْ مِنْهُ﴾: بأفواههم كالبهائم، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾: فمن اغترف رُوِيَ[١١] وكَفَتْ

---

(١) نوعٌ من الخشَبِ.

(٢) مَطليٌّ.

(٣) دارت خرافات كثيرة وأساطير طامة حول هذا التابوت وما حواه، وكل ما ورد فيه هو من الإسرائيليات التى لا تسمن ولا تغنى من جوع، بل خرج علينا في عصرنا هذا من يدعي العثور على هذا التابوت وأنه يحوزه ويملكه... والأمر لله.

(٤) المعارك والأحداث الكبيرة.

(٥) الوسيط – للواحدى (١/ ٣٥٨)، معاني القرآن – للزجاج (١/ ٣٢٥)، الدر المنثور (١/ ٣١٤)، تفسير ابن كثير (١/ ٣٠١)، فتح القدير (١/ ٢٦٥)، تفسير الطبري (٥/ ٣٣١). والرضَاضُ: مَا تكَسَّرَ مِنَ الألواح.

(٦) زائد.

(٧) يعني الملائكةُ.

(٨) كذا في نسخة (د)، و(ن).

(٩) الوسيط – للواحدي (١/ ٣٥٩).

(١٠) يقف أمامه للقتال.

(١١) شبعَ.

لإِدَاوَتِهِ معجزة، ومن شرب بفيه لم يرو واشتد عطشه، واسْوَدَّتْ شفته، والمغترفون ثلاثمائة وبضعة عشر، ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ﴾: النهر، ﴿هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾: القليل، ﴿قَالُواْ﴾: الشَّاربون للمُغْترفين، ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾: لكثرتهم، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾: يعلمون، ﴿أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ﴾: بالموت وهم القليلون، ﴿كَم مِّن فِئَةٍ﴾: فرقة، ﴿قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةَۢ بِإِذْنِ﴾: بأمر، ﴿ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: بالعناية، ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ﴾: ظهروا، ﴿لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾: وكانوا تسعين ألفا أو أكثر، ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ﴾: اصْبُبْ، ﴿عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾: بتقوية قلوبنا، ﴿وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢٥٠ فَهَزَمُوهُم﴾: كسروهم[1]، ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: بنصره، ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾: بثلاثة أحجار في مخلاته قد تكلمت معه في الطريق: إنك تَقْتل جَالُوت بنا، ووعده طالوت أنه إن قتل جالوت يزوج[2] ابنته منه، ويشركه في ملكه فَوفَّى وأَعْطَاه[3]، ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾: مُلْك بني إسْرَائيل، ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: النبوة، ﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾: كَمنطق الطَّيْر والداوب والسرد[4]، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾: كهذا الدفع، ﴿لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾: بالكفار، فيه تنبيه على فضيلة الملك، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٥١ تِلْكَ﴾: الأحاديث، ﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾: بالوجه المطابق، ﴿وَإِنَّكَ﴾: يا محمد، ﴿لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: لما أخبرت بها بلا تعرف، ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ﴾[5]: المعلومة لك، أو كلهم ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: بمنقبة لا في الرسالة، ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾: مُوسى في الطور، ومحمدٌ في المعراج حين كان قاب قوسين أو أدنى، ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾: كمحمد المبعوث إلى الكافة عليهم الصلاة والسلام، ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ

---

(١) يقال: هزمت العظم القصبة هزما: إذا كسرته. * الوسيط – للواحدي (١/ ٣٦١).

(٢) في (ن)، و(ع): يزوجه.

(٣) تفسير الطبري (٥/ ٣٧٢)، البحر المحيط (٢/ ٢٦٩)، الجامع لأحكام القرآن – للقرطبي (٣/ ٢٥٨).

(٤) السرد: نسج الدروع والسلاسل، وهو في الأصل: نسج ما يحسن ويغلظ فقوله: ﴿وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ﴾ (سبأ: ١١) أي: ضيق نسيجها حتى لا يغلق بعضها من بعض، ويقال للحلق: سرد، ومعنى التقدير فيها: أن لا تجعل المسامير دقاقا فتغلق ولا غلاظا فتقصم. * عمدة الحفاظ (٢/ ١٨٨).

(٥) في هامش (ن): الجزء (٣).

مَرْيَمَ ﴾: المعجزات، ﴿ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾: كما مر، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم﴾: الرسل، ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾: كفِرَق النَّصارى تحاربوا[١]، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾: كَرَّره تأكيدًا، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾: يُوفق بعضًا ويخذلُ بعضًا، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم﴾: من الزكاة المفروضة، ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾: فتحصلون فداكم، ﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾: محبَّة[٢]، بل الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو، ﴿وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾: إلَّا لمن أذن له الرحمن، ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ﴾: التاركون للزكاة وضعهم[٣] موضعهم تغليظًا، ﴿هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: أنفسهم، والحَصْر لإفادة تناهي ظلمهم، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ﴾: مستحقٌّ للعبادة، ﴿إِلَّا هُوَ﴾: ولو قُدِّر موجودٌ أوممكنٌ لما تمَّ التوجيه[٤]، ﴿ٱلْحَىُّ﴾: بنفسه فلا يموت أبدا، وهو الذي يصح أن يعلم ويقدر، فهما واجبان له؛ لتنزهه عن القوة والإمكان لا ستلزامه الاحتياج، ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾: دائم القيام بتدبير الخلق فيعول من قام به حفظه، ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ﴾: فتُورٌ يتقدَّمُ النوم، ﴿وَلَا نَوْمٌ﴾: رتبهما بترتيب وجودهما، وهو[٥] حالة تعرضُ بسبب استرخاء أعضاء الدماغ من رُطُوبات الأبخرة المتصاعدة فتمنع الحواس الظاهرة عن الإحساس رأسا، ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: داخلا في حقيهما أو خارجا، فبين أنهما وما فيهما له بوجه أبلغ من التصريح به، ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾: فضلا عن أن يُعاوقه عنادًا، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: ما يدركونه أوما قبلهم، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: ما لا يدركونه أو ما بعدهم، والضمير لما فيها باعتبار العقلاء، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾: معلوماته، ﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾: أن يعلموا، ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾: عِلْمهُ[٦] أو كرسيه المشهور[١] أو سلطانه، وأصلهُ ما يُقعد عليه، ولا يفضل

---

(١) كما قال الله في سورة الصف: ﴿فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة﴾ الآية.

(٢) سقطت من (ن)، وهي في باقي النسخ.

(٣) من هنا لآخر العبارة في (ع) مؤخَّرةٌ.

(٤) قال الواحدي في الوسيط (١/ ٣٦٦): وقوله: «الله» رفع بالابتداء، وما بعده خبر ا.هـ أقول: وللكوراني رسالة مطبوعة في «إعراب لا إله إلا الله» فصل فيها القول تفصيلًا شافيا.

(٥) يعني النوم.

(٦) تأويل الكرسيّ بالعلم مما لا دليل عليه، فليحذر من ذلك. وإثبات الكرسيّ مما قامت عليه الأدلة، =

عن مقعد القاعد، ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾: يثقله، ﴿حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾: المتعالي عن الأنداد، ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾: المُستحقرُ دونه كل شيء، ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ﴾: الإيمان، ﴿مِنَ ٱلْغَىِّ﴾: الكفر بالآيات الواضحة، والعاقل لا يختار الشقاوة على السعادة بعد تبيينهما[٢]، وأصلُ الغيّ بمعنى الجهل، إلّا أن الجهل في الاعتقاد، وهو في الأعمال، ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾: كل ما يصدُّ عن عبادة الله، أو الشيطان، فَعَلُوتٌ من الطُّغيان، ﴿وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ﴾: الحبل، ﴿ٱلْوُثْقَىٰ﴾: المحكم، ﴿لَا ٱنفِصَامَ﴾: انقطاع، ﴿لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾: للأقوال، ﴿عَلِيمٌ﴾: بالنيات، ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ﴾: مُتوّل أمور، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم﴾: على سبيل الاستمرار، ﴿مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: الجهالات، ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾: الهدى، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ﴾: الفطري وإيمانهم بمحمد عليه الصلاة والسلام قبل بعثته، ﴿إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: فساد الاستعداد، أو كفرهم به بعد بعثته، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ﴾: للتعجب، ﴿إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ﴾: جادل، ﴿إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ﴾: لأن، ﴿ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾: حمله بطر ملكه أربعمائة سنة عليها، وهم كانوا يسمون ملكهم الرب والإله، ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ﴾: حين سأله دليل وجود ربه، ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ﴾: الذي حاجّ، ﴿أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾: بالعَفْوِ عن القتل وبالقتل، فلما بان أنه فهم وقصد التدليس على قومه، ﴿قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ﴾: عادلًا إلى أمرٍ يفهمه كلُّ أحد: إن صدقت في قدرتك، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ﴾ قَسْرًا ﴿فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾: مع أن ذلك حركتها طبعا فهو أهون، فلا يرد أنه كان يلزمه إزالة شبهته دفعًا لوهم الإفحَام، وقيل: قال له: إحياء الله برد الروح، فقال نمروذُ: هل عاينته؟ فعدَل إلى ذلك بها؛ لأنهم كانوا منجمين، ﴿فَبُهِتَ﴾: صَار مَبْهُوتًا، وأُخْرِسَ، ﴿ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: لحجة الاحتجاج، ﴿أَوْ كَٱلَّذِى﴾: أي: أو رأيتَ مثل الذي، خَصَّهُ بالتشبيه لكثرة منكري البعث أو الكاف

= وهي على ظاهرها نثبتها ولا نلعب كلعبِ الزائغين الحائرين عن الجادة- والله أعلمُ.

(١) تفسير الطبري (٥/ ٣٩٩)، تفسير ابن كثير (١/ ٣٠٩). والكرسيُّ موْضع القدمين، وهو أصغر منَ العرش، وهو كالمرقاة إليه- كما ورَدَ عن السَّلف الكرام.

(٢) في (ن): تبيينها.

صلة، أي: ألم تر إلى الذي، ﴿مَرَّ﴾: هو عُزَيْر[١] أو خضر، ﴿عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾: بيت المقدس[٢] حين خربه بخت نصر، ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾: ساقطة، ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: سقوفها أو خالية مع سلامة سقوفها، ﴿قَالَ﴾: مُسْتَعْظِمًا لرؤية كيفية إعادته، ﴿أَنَّىٰ﴾: كيف، ﴿يُحْيِۦ﴾: أهل، ﴿هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: موت أهلها مع تمزُّقهم، ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ﴾: فلبث ميتا، ﴿مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾: بالإحياء، ﴿قَالَ﴾ الله له: ﴿كَمْ لَبِثْتَ قَالَ﴾: شاكًّا، ﴿لَبِثْتُ﴾: في الموت، ﴿يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ﴾: التين أو العنب، ﴿وَشَرَابِكَ﴾: العصير أو العنب كانا معه حِيْنَ مَاتَ، ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾: يتغير، وأصل التسَنُّهِ: تكرُّجٌ[٣] يعلو الخُبْزَ ونحوهُ بمُضيِّ الزمان، ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾: وتفتُّت عظامه لتزدادَ بصيرتك، ﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾: كان أسود الشعر ابن أربعين سنة، وبنو بنيه شيبًا، وعُمِّر البلد بعد موته بسبعين سنة، ﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ﴾: مِن الحمار، أو من نَفْسه إذ أحيا عَيْنَهُ أولاً، ﴿كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾: نحييها أو نرفعها فنركبها، ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ﴾: ما أُشْكلَ وصَارَ علمه الغيبي عينا، ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: فأتى على حمَاره[٤] وقال: أنا عزير فكذبوه، فقرأ التوراة من الحفظ فعرفوه بِهِ وقالوا: هو ابن الله، ﴿وَ﴾: اذكر، ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ﴾: حين رأي جيفة استهلكت[٥] في الرياح فأحبَّ معاينة إحيائها؛ ليتقوى اليقين بالمشاهدة، أو لما مر في قصة نَمْرُوذ، ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: فالسؤال عن الكيفية يقتضى تيقن الإحياء، ﴿قَالَ﴾: تقريرًا، (أ) تسأله، ﴿وَلَمْ تُؤْمِن﴾: وحديث: «**أَنَا أَحَقُّ بالشك منه**»[٦]: للتواضع، أي: أنا دونه ولا أشك فكيف به، ﴿قَالَ بَلَىٰ﴾: آمنت، ﴿وَلَٰكِن﴾: سألتُ، ﴿لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾: عيانا كما اطمأن برهانا، ﴿قَالَ

---

(١) وهو الصحيح.

(٢) غرر التبيان – لابن جماعة (٢٢١)، معالم التنزيل (١/ ٢٣١).

(٣) هو العفن الأخضر الذي يكون على الخبز، وكرج الشئ إذا فسد – اللسان (٢/ ١٤٠).

(٤) يعني راكبًا عليه.

(٥) الوسيط (١/ ٣٧٤).

(٦) يشير المصنف- رحمه الله- إلى حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**نحن أحق بالشك من إبراهيم، إذ قال: رب أرني كيف تحيى الموتى قال: أو لم تؤمن**... الحديث» رواه البخاري (٣٣٧٢) و(٤٥٣٧) وأحمد (٢/ ٣٢٦)، ومسلم (١٥١) (٢٣٨).

فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ ﴾: هي طاووس ونسر، أو غراب وديك وحمامة، خَصَّ الطير؛ لأنه أقرب إلى الإنسان، وأجمع لخواص الحيوان، ﴿فَصُرْهُنَّ﴾: أَملهُنَّ، ﴿إِلَيْكَ﴾: لئلا يلتبس عليك بعد الإحياء، أو بمعنى قطعهن إليك[1] متعلق خُذْ، ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ﴾: من الجبال المعاينة لك، ﴿جُزْءًا﴾: بعدما قطعتهنَّ وخلطت لحمهن ودمهن وريشهن، ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ﴾: قل: تعالين، ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾: سريعا، ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: لا يعجزه شيء، ﴿حَكِيمٌ﴾: في تدبيره ففعل ذلكَ، وأمسك رُءوسهُنَّ في يده، فدعاهن فالتأمت أجزاء كل واحد إلا الرءوس، ثم دعا فالتأمت بالرؤوس.

واعلم أن طلب إبراهيم إراءة الإحياء كذلك، وإحياء عيسى الموتى كثيرا لتثبُت بِهِ رِسَالتُه وخلقه الطير وإحياؤه يدلُّ على أنه- تعالى- منع بعض الرسل وإن كان فاضلا من الآيات ما أعطاه بعضا وإن كان مفضولا.

﴿مَّثَلُ﴾: نفقة، ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾: من ساق واحد، ﴿فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ﴾: أكثر من ذلك، ﴿لِمَن يَشَاءُ﴾: على حسب إخلاصه وتعبه، ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾: بفضله، ﴿عَلِيمٌ﴾: بأعمالكم ونياتكم، ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: هو كل ما يتوصل به إلى الله، كعثمان رضي الله عنه، جهز جيش العسرة[2] بألف بعير[3] بأقتابها[4] وأحلاسها[5]، ﴿ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا﴾: هو أن يعتد بإحسانه على من أحسن إليه، وهو من الكبائر، وأما اسمه تعالى المَنَّان فبمعنى المعطي وإسناده إلى نفسه في قوله: «بل الله يمُنُّ عليكم» في توفيق الإيمان، والمذموم:

---

(١) معاني القرآن – للزجاج (١/ ٣٤٣، ٣٤٤)، فتح الباري (٨/ ١٦١)، الدر المنثور (١/ ٣٣٦)، الوسيط (١/ ٣٧٥).

(٢) في غزوة تبوك.

(٣) الصحيح: ثلاثمائة بعير = رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ١٠٢) وصححه ووافقه الذهبي وتصدق في هذه الغزوة أيضًا بألف دينار وعندما نثرها في حجر النبي ﷺ أخذ يقلبها ويقول مرارا: «**ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم**» رواه الترمذي (٣/ ٢٠٩/ ٢٩٢٠، ٣٩٦٧/ صحيح سنن الترمذي)، والحاكم (٣/ ١٠٢) وصححه ووافقه الذهبي.

(٤) الأقتاب – جمع قتب وهو الرحل.

(٥) والأحلاس – جمع حلس، وهو كل ما يوضع على ظهر الدابة أو البعير تحت الرحل أو السرج.

المَنُّ في المال، على أن كثيرا من صفاته تعالى مَدْحٌ فيه، وذم فينا كالمُتكبر، ﴿وَلَآ أَذًى﴾: هو التَّطاول عليه بسبب ما أنعم عليه، ﴿لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾: بلا مِنَّةٍ، ﴿وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾: كما مَرَّ، ﴿قَوۡلٌ مَّعۡرُوفٌ﴾: رَدٌّ حَسَنٌ، ﴿وَمَغۡفِرَةٌ﴾: تجاوز عن إلحاح السائل، ﴿خَيۡرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتۡبَعُهَآ أَذًىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ﴾: عَن إنفاقكم، ﴿حَلِيمٌ﴾: لا يعجل عقوبتكم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ﴾: ثواب، ﴿صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾: ﴿كَ﴾ إبطال المنافق، ﴿ٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾: مُرائيًا لهم لطلب المدحة والشهرة، ﴿وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ﴾: أي: المرائي، ﴿كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ﴾: حجر أملس، ﴿عَلَيۡهِ تُرَابٌ﴾: يرى أرضا طيبة للزرع فيها بإزاء عمله، ﴿فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ﴾: مطر عظيم القَطْر، هذا بإزاء الغنى، ﴿فَتَرَكَهُۥ صَلۡدًا﴾: أمْلس بلا تُراب، ﴿لَّا يَقۡدِرُونَ﴾: جمعٌ بمعنى الذي، ﴿عَلَىٰ شَيۡءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ﴾: لا ينتفعون به، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: إيماء إلى أن الرياء صفتهم فاحذروا، ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ﴾: طلب، ﴿مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتًا﴾: تصديقا، ﴿مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾: بأن الله سيجزيهم عليه، أفْهَم أن حكمة الإنفاق للمنفق تزكية نفسه عن البخل وحب المال، ﴿كَمَثَلِ جَنَّةِۭ﴾: بستان، ﴿بِرَبۡوَةٍ﴾: بموضع مرتفع، ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾: مطر شديد، ﴿فَـَٔاتَتۡ﴾: أعطت، ﴿أُكُلَهَا﴾: ثمرتها، ﴿ضِعۡفَيۡنِ﴾: مثلين بالنسبة إلى البساتين، أو المراد الكثرة، كلبيك[1]، ﴿فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾: فيصيبها مطر صغير القطر، فبستانهم ينتفع، قلَّ ماؤُهُ أو كَثُر، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: فلا تُراءُوا، ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعۡنَابٍ﴾: خَصَّهُمَا قبل التَّعْمِيْم لشرفهما، ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَ﴾: قد، ﴿أَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ﴾: الشيخوخة والفقر فيها أصعب[2]، ﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾: صغار ونسوان، ﴿فَأَصَابَهَآ﴾: الجنة، ﴿إِعۡصَارٌ﴾: ريحٌ عاصفٌ ينعكس من السماء إلى الأرض كالعمود، ﴿فِيهِ نَارٌ فَٱحۡتَرَقَتۡ﴾: الجنة فهذا مثل من يعمل حسنةً

---

(١) لبيك: تلبية بعد تلبية.

(٢) نعوذ بالله من الفقر على كل حال، لكن الفقر مع الشيخوخة أصعب ولذا كان النبي ﷺ يدعو «**اللهم اجعل أوسع رزقك علي عند كبر سني وانقطاع عمري**» رواه الحاكم في مستدركه (١/ ٥٤٢) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ١٢٥٥) والصحيحة (١٥٣٩).

رياء، إذْ بعد الموت يحتاج إليها ولا يجد ثمرتها، ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ﴾: تصدَّقُوا، ﴿مِن طَيِّبَٰتِ﴾: خيار، ﴿مَا كَسَبْتُمْ وَ﴾: من طيبات، ﴿مِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾: من النبات والمعادن[1]، ويمكن أن يُفْهم من قوله: ﴿لَكُم﴾، عدم وجوب الزكاة فيما للحيوانات والمعادن، ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ﴾: تقصدوا، ﴿ٱلْخَبِيثَ﴾: الرديء، ﴿مِنْهُ﴾: من الخبيث، كحشف التَّمر، ﴿تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ﴾: تتسامحوا، ﴿فِيهِ﴾: بنقص الثمر، ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ﴾: عن إنفاقكم فأمركم به لنفعِكُم، ﴿حَمِيدٌ﴾: بما يأتيه، ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾: بالإنفاق، والوَعْدُ قد يكون للشَّرِّ إذا ذكر، وإلا فللخير، وأما الإيعاد فللشر، ﴿وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾: البخل، ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم﴾: بالإنفاق، ﴿مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾: فضله، ﴿عَلِيمٌ﴾: بأعمالكم، ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ﴾: العلم، والعمل به، ﴿مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾: إذ فيهما خير الدَّارين، وبهما تميز وساوس الشيطان عن إلهامات الرحمن، ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾: يتعظ، ﴿إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: العقول السليمة، ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾: من أيِّ أنواعها، ﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾: كذلك، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾: فيجازيكم، ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾: في ترك الإنفاق والوفاء بالنذر، ﴿مِنْ أَنصَارٍ﴾: يمنعونَهم من العقاب، ﴿إِن تُبْدُواْ﴾: تظهروا، ﴿ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾: فنعم شيئا إبداؤها ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ﴾: فإخفاؤها ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: هذا في التطوع، لمن لم يعرف بالمال، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: «السر في التطوع أفضل بسبعين ضِعْفًا والعلانية في الفريضة أفضل بخمس وعشرين[2]»، ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن﴾: بعض، ﴿سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾: أو شيئا هو سيئاتكم أو من صلة، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيْسَ﴾: لا يجب ﴿عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾: جعلهم مهديين[3]، ما عليك إلا الرشاد[1]، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَمَا تُنفِقُواْ

---

(١) سقطت كلمة «المعادن» من النسخة (ن)، و(ع).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٥/ ٨٣) وسنده ضعيف. * وانظر: الوسيط (١/ ٣٨٥)، تفسير ابن كثير (١/ ٣٢٣)، فتح القدير (١/ ٢٩٢)، غرائب القرآن (٣/ ٦٧).

(٣) وهي هداية التوفيق.

﴿مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾: ثوابه، ﴿وَ﴾ الحال أنه، ﴿مَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ﴾: طلب رضا ﴿وَجْهِ ٱللَّهِ﴾: ذاته، أي: ما تنفقون حينئذ فهو لكم، ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ﴾: ولو على كافر، ﴿يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾: ثوابه، ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾: بنقص ثوابه، وبعد نزوله كانوا يتصدقون على الكافر أيضًا[٢]، ولكن هذا في غير صدقة الفَرْض والصَّدقات أولى، ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟﴾: حَبَسُوا أنفسهم، ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: الجهاد أو الطاعة أو العلم، ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا﴾: ذهابا[٣]، ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: للكسب لاشتغالهم بها، ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ﴾: بحالهم، ﴿أَغْنِيَآءَ مِنَ﴾: أجل، ﴿ٱلتَّعَفُّفِ﴾: عن السؤال، ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾: من الضَّعْفِ[٤] وأثر الجهد، والخطاب للرسول أو لكل أحَد، ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ﴾: عند ضرورتهم، ﴿إِلْحَافًا﴾: إلحاحًا، والظاهر نفيُ السؤال والإلحاف نحو: ﴿لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ فلا ينافي مفهومه تعرفهم بسيماهم والإلحاف أن يلازم المسئول حتى يعطيه، لكن في الحديث: «**من سأل وله أربعون درهما فقد ألحف**»[٥]، ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾: كالصِّدِّيق، تصدَّق بأربعين دينارًا عشرة عشرة كذلك أو علي - رضي الله عنه - تصدق بأربعة دراهم واحدا كذلك ولم يملك غيره، وفي كيفيتها تأمل، وسَوْق الآية يدُلُّ على أن عشرين بالليل بالصفتين، وعشرين بالنهار بالصفتين فيهما والله تعالى أعلم، والمعنى يعُمُّون أحوالهم بالخير، ﴿فَلَهُمْ

---

(١) وهي هداية الدلالة.

(٢) عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - قال: كانوا يكرهون أن يرضخوا- يعطوا- لأنسابهم من المشركين، فسألوا، فرضخ لهم، فنزلت هذه الآية ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾.... الآية» رواه النسائي (٦/ ٣٠٥، ٣٠٦/ ١١٠٥٢)، والطبراني في الكبير (١٢/ ٤٣/ ١٢٤٥٣)، والضياء في المختارة (١٠/ ٧٦، ٧٧/ ٦٨)، وابن المنذر في تفسيره (١/ ٣٩/ ١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٥٣٧/ ٢٨٥٢)، والبزار في مسنده (٣/ ٤٢/ ٢١٩٣/ كشف الأستار) وابن جرير في تفسيره (٣/ ٦٣)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٢٨٥)، و (٤/ ١٥٦، ١٥٧)، والبيهقي في سننه الكبرى (٤/ ١٩١) وسنده صحيح.

(٣) وهو الجهاد.

(٤) في (ع): الضيق.

(٥) رواه البيهقي في سننه الكبرى (٧/ ٢٤)، والطبراني في الكبير (٣/ ١٥٩)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٦١) وسنده صحيح.

﴿أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: في القيامة، ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ﴾: يأخذون، ﴿الرِّبَا﴾:هو الزيادة في المعاملة بالنقود والمطعومات قدرا أو أجلا، وعَبَّر عن أنواع الانتفاع بالأكل لأنه معظمها﴿لَا يَقُومُونَ﴾: من قُبُورهم، ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ﴾: كقيام، ﴿الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ﴾:يضْربهُ ويصرعهُ، ﴿الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾:الجنون، فلا يستطيعون القيام كالمصروع لثقل ما في بطونهم من الربا، والخبط ضرب على غير اتساق، ﴿ذَٰلِكَ﴾: العقاب، ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾: في الحلِّ، أصله: إنما الربا مثل البيع فعكس مبالغة، ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ فقياسهم باطل ﴿فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ﴾: فاتعظ، ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾: من الرِّبا في الجاهليَّة لا يسترد منه، ﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾: يحكم بينهم، ﴿وَمَنْ عَادَ﴾: إلى تحليله، ﴿فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: لكفرهم به، أو من عاد إلى أكله، والخلود بمعنى طول المكث، ﴿يَمْحَقُ﴾: يذهب، ﴿اللَّهُ﴾: بركة، ﴿الرِّبَا وَيُرْبِي﴾: ينمى، ﴿الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾: مُصِرٌّ على تحليل الحرام، ﴿أَثِيمٍ﴾: بارتكابه، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا﴾: اتركوا، ﴿مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾: عند أصحابه، ولا تأخذوه، ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا﴾: ولم تذروه، ﴿فَأْذَنُوا﴾: فاعلموا أو فأعلموا الناس، ﴿بِحَرْبٍ﴾: عظيم، ﴿مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: فيجب على الإمام مقاتلتهم بعد الاستتابة إلى أن يرجعوا ﴿وَإِن تُبْتُمْ﴾: عن تحليله وأخذه، ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ﴾: بأخذِ الزيادة، ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾: بالمَطْل والنقصان، مفهومه إن لم يتوبوا من تحليله فليس لهم لارتدادهم بل هي فيء، ﴿وَإِن كَانَ﴾ وقع غَريمٌ، ﴿ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ﴾:فعليكم إنظاره، ﴿إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾: يسارة فلا تطالبوه بالقضاء أو الربا، ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا﴾: بإبْراءِ كُلِّه أوْ بعضه[1]، ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: من أخذه، ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: فضل الصدقة والتصدق، ولو تطوعًا أفضل من إنظاره، وإن كان فرضا، لأنه تطوع مُحَصّل للمقصود من الفرض[2] مع زيادةٍ، ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾: القيامة،

---

(١) وهو ما يسمى بـ«وضع الديون».

(٢) في (ن): الغرض.

﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ﴾: جزاء، ﴿مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: بنقص ثواب.

هذه آخر آية نزلت، وعاش عليه الصَّلاة والسَّلام بعدها إحْدى وعشرين يوما[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم﴾: تعاملتم ﴿بِدَيْنٍ﴾ كالسَّلَم، وفائدة ذكره إخراج معنى المجازاة، وتمييز بينهما الدَّين بفتح الدال، وكسرها، ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: معين بنحو الأيام لا بمثل الحصاد فإنه ليس فيه تسمية، ﴿فَٱكْتُبُوهُ﴾: أمر إرشاد، ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبُۢ﴾: موصوف، ﴿بِٱلْعَدْلِ﴾: لا يزيد ولا ينقص فلابد من كونه فقيها دينا، ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ﴾: من، ﴿أَن يَكْتُبَ كَـ﴾: مثل، ﴿مَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾: من كتب الوثائق، ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾: ذلك كذلك، ﴿وَلْيُمْلِلِ﴾: وليكن المملي، ﴿ٱلَّذِى﴾: وجب، ﴿عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾: ليكون إقرارًاعند الكاتب، ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ﴾: لا ينقص مما في ذمته، ﴿مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا﴾: مَحْجُورًا عليه بنحو تبذير، ﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾: مختل العقل بنحو صبي، ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾: لنحو خرس أو جهل باللغة، ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ﴾: كوكيل أو قيم أو مترجم.

﴿بِٱلْعَدْلِ ۚ﴾ بالصدق، دل على جريان النيابة في الإقرار إذا تعاطاه قيم أو وكيل.

﴿وَٱسْتَشْهِدُواْ﴾: اطلبوا الشهادة على الدين، ﴿شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾: المسلمين الأحرار، وعن أبي حنيفة جواز شهادة الكفار بعضهم على بعض، ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ﴾: فالمستشهد رجل، ﴿وَٱمْرَأَتَانِ﴾: في الماليات للسُّنَّة، وعن أبي حنيفة جوازها فيما عدا الحدود والقصاص، ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾: لعلمكم بعد التهم لأجل، ﴿أَن تَضِلَّ﴾: تنسى، ﴿إِحْدَىٰهُمَا﴾: الشهادة، ﴿فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾: والعلة التذكير، والضلال سببه فنزله منزلته، ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾: إلى أدائها أو تحملها، ﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ﴾: لَا تملُّوا لكثرة المداينة من، ﴿أَن تَكْتُبُوهُ﴾: الحق، ﴿صَغِيرًا﴾:

---

(١) كذا، والمروي عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أنه ﷺ مكث بعدها سبع ليال.

وقال ابن جريج: وعاش رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية تسع ليال وقال سعيد بن جبير ومقاتل: سبع ليال. * النكت والعيون (١/ ٣٥٤)، تفسير الطبري (٦/ ٤١)، تفسير ابن كثير (١/ ١٣٣)، الوسيط (١/ ٤٠٠).

قليلًا كان، ﴿أَوْ كَبِيرًا﴾: كثيرا، ﴿إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ﴾: وقت حُلُوْله[1] الذي أقر به المديون، ﴿ذَٰلِكُمْ﴾: الكتاب، ﴿أَقْسَطُ﴾: أعدل، القَسطُ بالفتح: الجَوْر، وبالكسر: العدل، ﴿عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ﴾: أثبتُ، ﴿لِلشَّهَٰدَةِ﴾: أي: إقامتها، ﴿وَأَدْنَىٰٓ﴾: أقْربُ إلى، ﴿أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ﴾: تشكوا في جنس الدين وصفاته، فعند الشك ترجعوا إلى كتابتكم، ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ﴾: المعاملة، ﴿تِجَٰرَةً﴾: مبايعة، ﴿حَاضِرَةً﴾: حالة، ﴿تُدِيرُونَهَا﴾: تعاطونها، ﴿بَيْنَكُمْ﴾: يدا بيد، ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾: في، ﴿أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾: لبعدها عن التنازع والنسيان، ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ﴾: ندبا[2]، ﴿إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾: ولو مُعَجَّلا، ﴿وَلَا يُضَآرَّ﴾: بالبناء للفاعل، ﴿كَاتِبٌ﴾: بنحو ترك الإجابة والتحريف، ﴿وَلَا شَهِيدٌ﴾: بنحوهما وبالبناء للمفعول كَمَنْع جُعْل[3] فيهما[4]، وأكثر الأوامر التي في هذا للاستحباب عند الأكثر، ﴿وَإِن تَفْعَلُواْ﴾: المضارة، ﴿فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: في مخالفته، ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾: أحكامه، ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾: استوثقوا بها بدل الكتابة، وبينت السنة جوازه في الحضَرِ، ومع وجود الكاتب، وأفاد بمقبوضه اشتراط القبض فيه، خِلافًا لمالكٍ، ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾: فلم يأخذ الرهن، ﴿فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾: سُمِّي الدينُ أمانةً؛ لائتمانه عليه بترك الارتهان مثل العين باليد، ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾: في الخيانة، ﴿وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾: أُسْنِدَ إليه؛ لأن الكتمان مَعصيةُ القلب، وإسنادُ الفعل إلى جارحة تعمله[5] أبلغ، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: مُلْكًا وخَلْقًا، ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾: بالقول أو العمل، ومنه أداء الشهادة، ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾: ككتمان الشهادة، ﴿يُحَاسِبْكُم﴾: يؤاخذكم، ﴿بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾: تصريح بنفي وجوب التعذيب، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

---

(١) في (ن): حلول.

(٢) تفسير الطبري (٦/ ٨٣)، الوسيط - للواحدي (١/ ٤٠٦).

(٣) الجُعْلُ: الأجْر وكل ما يُعْطى.

(٤) يعني في الكتابة والشهادة.

(٥) في (ن): تعلمه.

قَدِيرٌ ﴾: ومنه الإخفاء والمحاسبة، وبنزولها غَمَّت الصَّحابة وقالوا: قلوبنا ليست بأيدينا، فأمرهم النبي - ﷺ - أن قولوا: سَمِعْنا وأَطَعْنا، فقالوها، فنزلت[١] ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ ﴾: مدحه بالإيمان وأفرده بيانا لمزيد شرف الإيمان، ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ﴾: من الرسول والمؤمنين، ﴿ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ ﴾: ﴿وَ﴾: جنس، ﴿كُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾: قائلين: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾: في الإيمان بهم، ﴿وَقَالُواْ سَمِعۡنَا ﴾: قول الله، ﴿وَأَطَعۡنَا ﴾: أمره نسأل، ﴿غُفۡرَانَكَ ﴾: يا، ﴿رَبَّنَا ﴾: في التقصيرات، ﴿وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾: أي: أقررنا بالبعث فلما فعلوه نزل: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا ﴾: مَا تَسَعُهُ قدرتها لا نحو حديث النفس، دل على عدم وقوع التكليف بالمحال لا على امتناعه، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتۡ ﴾: من خير، أي: أصابت، ﴿وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡ ﴾: من شرٍّ، أي: تصرفت في تحصيله فإنّ النفس لفرط ميلها إلى الشر أجد في تحصيله، كذا قيل، ولا يناسبه: ﴿ وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً ﴾ ونحوه، ﴿وَمَن يَقۡتَرِفۡ ﴾ أي: يكْتَسِبْ ﴿حَسَنَةً ﴾، وقيل: يستفاد أن من اللام وعلى ولا يناسبه ﴿وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ ﴾، و﴿عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٌ ﴾ إلا أن يقال: هما يقتضيان ذلك عند الإطلاق بلا ذكر الحسنة والسيئة، ثم بهذه الآية نسخت المحاسبة كما رواه الأكثرون، وأما على رواية عائشة - رضي الله تعالى عنها - أنه عليه الصلاة والسلام فسر المحاسبة هنا بمعاتبة الله العبد بابتلائه ببليات الدنيا كالحُمَّى وغيرها كفَّارة، فتُؤَوَّلُ المحاسبةُ بأنها مؤاخذة في الدنيا أو نحو ذلك وأعلم أن المعاتبة الدنيوية بخَطرات النفس لا تنافي قولنا: لا مؤاخذة عليها إلا أن تصير عزيمة؛ لأن المراد هنا المعاتبة الأخروية، يا، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَا ﴾: أتينا بخطأ، يقال: خَطَأَ خِطأً: تعَمَّد الإثم، وأخطأ لم يتعمد، وصَحَّ أنا لا نؤاخذ بهما وأنه قد أجيب[٢]، فيكون دعاؤنا الآن لئلا يخرجنا من أمة حبيبه عليه الصلاة والسلام، ثم الخطأ إما فعل ما لا يحسن إرادته وفعله، أو وقوع ما لايجوز فعله مع

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ١١٥، ١١٦/ ١٢٥).

(٢) رواه مسلم (١/ ٦٥)، والترمذي (٤/ ٢٨٩، ٢٩٠/ ٣٠٧٦) والطبري (٦/ ١٤٤)، وأبو نعيم في الحلية (٧/ ١٠٤).

إرادة خلافه أو عكسه، والمراد هنا الثاني، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا﴾: ثقلا من التكاليف الشاقة وإن أطقناه، ﴿كَـ﴾: مثل، ﴿مَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾: كبني إسرائيل، ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾: من البلاء أو التكاليف، ﴿وَٱعْفُ عَنَّا﴾: بإزالة الذنب، ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا﴾: بستره وإظهار الإحسان، ﴿وَٱرْحَمْنَآ﴾: بإفاضة الإحسان، فالثاني أبلغ من الأول، والثالث من الثاني، ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾: سَيِّدُنا ﴿فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾: في مُسْلِم[1] وغيره يقول الله تبارك وتعالى في آخر كل دعوة من هذه الدعوات: فعلت، ونعم، والحمد لله مولي النعم.



---

(١) صحيح مسلم (١/ ٦٥).



«سورة آل عمران»[١] مائتا آية[٢] مدنية

لما مدح الرسول والمؤمنين بإيمانهم بما أنزل إليه، ومدحهم بدعواتهم المتفرغة عليه: كرر النص على حقية المنزل إليه لمزيد تثبيتهم ونفي الارتياب وليناسب فاتحة السور السابقة في نفي الريب عن الكتاب فقال: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿الٓمٓ﴾: فُسِّر مرة، وفتح الميم وصلاً؛ لأن الهمزة سقطت درجًا، فحركت الميم بالفتح للتفخيم، وقيل: فتحت لتَدل على أن همزتها كالنائب لسقوطها تخفيفًا، كواحد، اثنان، ﴿اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾: فَيْعُول[٣] من قام، وَهُمَا[٤] من الاسم الأعظم[٥]، ﴿نَزَّلَ﴾:أي مُنجَّمًا، ﴿عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ﴾:القرآن، أو صيغة مبالغة لتأبيد حكمه بخلاف غيره ملتبِّسا، ﴿بِالْحَقِّ﴾: بالصِّدْق، ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: من الكتاب أنه من عند الله، أو أنها من عنده، ﴿وَأَنزَلَ﴾:

---

(١) في هامش نسخة (د): سورة آل عمران- مدنية- مائتا آية بالاتفاق، ثم نزلت الأحزاب كلماتها (٣٤٨٠) حروفها (١٤٥٢٥).

(٢) من (س).

(٣) يعني كلمة «قيوم» على هذا الوزن.

(٤) أي: الحيّ القيوم.

(٥) أصح ما ورد في اسم الله الأعظم:

* «**اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد**». رواه أبو داود (٩٨٥) والترمذي (٣٤٧٥) وسنده صحيح.

* «**اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان، بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم**». رواه أبو داود (١٤٩٥)، والترمذي (٣٥٤٤)، وابن حبان (٢٣٨٢) وسنده حسن.

* «**اسم الله الأعظم الذي إذ ادعى به أجاب، في ثلاث سور من القرآن: في البقرة وآل عمران وطه**». رواه ابن ماجه (٢/ ٢٨٥٦)، والطبراني في الكبير (٨/ ٧٩٢٥)، والحاكم (١/ ٥٠٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٩٧٩)، والصحيحة (٧٤٦).

* «**اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين:** ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ وفاتحة آل عمران ﴿الٓمٓ ۝١ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾. رواه أحمد (٦/ ٤٦١)، وأبو داود (٢/ ١٤٩٦)، والترمذي (٥/ ٣٤٧٨)، وابن ماجه (٢/ ٢٨٥٥). وحسنه العلامة الرباني محمد ناصر الدين الألباني في صحيح الجامع (١/ ٩٨٠)، والمشكاة (٢٢٩١)، وصحيح أبي داود (١٣٤٣).

أي: دفعة، ﴿ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ مِن قَبۡلُ﴾ قبل تنزيله، ﴿هُدٗى﴾: هاديين، ﴿لِّلنَّاسِ﴾: عاما، فنكون متعبدين بشرع من قَبْلنا[1] أو ممن تبعهما، ﴿وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَ﴾: الكتب السماوية الفارقة بين الحق والباطل أو المعجزات، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ﴾ غالب ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾: ممن عاداه، والنقمة عقوبة المجرم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾: ذكرهما لأن الحس لا يتجاوزهما، وقدم الأرض ترقيًا من الأدنى، وهذا كالدليل على حياته، ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُ﴾: من الهيئات ولو بلا أب كعيسى، والمُصوِّر لا يكون أبًا للمصور، هذا كالدليل على قيوميته، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾: في ملكه، ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾: في صنعه، ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: القرآن، ﴿مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ﴾: واضحات الدلالة، ﴿هُنَّ﴾: كل واحدة منهن، ﴿أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: أصله الذي يرد إليه غيره، ﴿وَ﴾: آياتٌ، ﴿أُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾: محتملات لا يتضح مقصود إلا بالفحص والنظر، وحكمة البعث على النظر لئلا يهمل العقل، ولينال به الثواب، وأيضًا الجمع بين قسمي كلام العرب، أعني ما يفهم معناه سريعًا ولا يحتمل غير ظاهره، وضد ذلك كالكتابة والإشارة ليتحدى بنوعي الكلام.

* تنبيه: اعلم أن الكلام في أقسام ما يطلقون عليه المحكم والمتشابه مشكل، فلا بد من إيراد جملة تكشف ذلك، وهي: أن المتشابه إما لذاته أو لعارضه، والأول إما في اللفظ المفرد لغرابته نحو: «وأبًا»[2] أو لمشاركته كيد الله، أو في المركب لاختصاره، كـ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾، أو إطنابه، نحو: كمثله أو إغلاقه كآية: ﴿فَإِنۡ عُثِرَ﴾ وأما في المعنى لدقته كأوصافه تعالى، وكالقيامة أو لترك الترتيب ظاهرًا كآية، ﴿وَلَوۡلَا رِجَالٞ﴾، وأما في اللفظ والمعنى، وأقسامه مركبة كما مر، وأما للعَارِض فمن جهة الكمية كالعموم والخصوص أو الكيفية كالوجوب والندب أو الزمان كالناسخ، أو المكان كمحل النزول، أو الإضافة، وهي شروط تصح ويفسد العقد بها، وأما عند الأصوليين: فاللفظ الدال على معنى إن لم يحتمل غيره فنص، وإن احتمل مع

---

(١) إذَا وافَقَ شَرْعنا.

(٢) يعني في قوله: ﴿وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا﴾ (عبس/ ٣١).

التساوي فمجمل، أو مع رجحان، فالراجح ظاهر، والمرجوح مؤول والمشتركُ بين النصِّ والظاهر، وهو واضحُ الدلالة محكم، والمشترك بين المجمل، والمؤول وهو غير متضح الدلالة متشابه، فالمحكم والمتشابه يشملان أقسام اللفظ ثم لا ينافي ذلك ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾، و﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ﴾ إذ معناه يشبه بعضه بعضًا حكمًا وبلاغة، وكتاب حفظت آياته من الفساد لفظًا ومعنى، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ﴾: عدول عن الحق كالمبتدعة، ﴿فَيَتَّبِعُونَ﴾:يتعلقون بظاهر، ﴿مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ﴾: لينزلوه على مقاصدهم الفاسدة، ويتركون المحكم، ﴿ٱبۡتِغَآءَ﴾: طلب، ﴿ٱلۡفِتۡنَةِ﴾: كإضلال الناس، ﴿وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ﴾:على مايشتهونه، قرأ عليه الصلاة والسلام هذه الآية، وقال لعائشة - رضي الله تعالى عنها -: «إذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم»[(١)]، وفي الحديث: «**ما أخاف على أمتى إلا ثلاث خلال**- وذكر منها-: **أن يفتح لهم الكتاب فيأخذه المؤمن يبتغي تأويله**»[(٢)]، وليس يعلم، أي: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ﴾: حقيقته، ﴿إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾: المتثبتون، ﴿فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾: قال ابن عباس- رضي الله تعالى عنهما-: «أنا منهم»[(٣)] وأكثر السلف يقفون على: ﴿إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾، ويفسرون المتشابه بما لا يطلع عليه إلا الله، ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾: بالمتشابه، وإن لم نعلم معناه، ﴿كُلٌّ﴾: منهما، ﴿مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ﴾: يتعظ بالقرآن، ﴿إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾: ذوي العقول السليمة من الراسخين، ويقولون، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ﴾: لا تمل عن الحق، ﴿قُلُوبَنَا﴾: إلى تأويل لا ترتضيه، ﴿بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا﴾: إلى الحق، ﴿وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً﴾: ثبتنا، ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾: لكل سؤل، ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٍ﴾: في يوم، ﴿لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ﴾: في وقوعه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾: أفاد بتلوين تغيير الخطاب أشعر بأن الإلهية تنافيه، واستدل به الوعيديه[(٤)]، وردوا بأن وعيد الفساق مشروط بعدم العفو كما هو مشروط

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٤٢)، والبغوي في شرح السنة (١/ ٢٢١)، وفي تفسيره (١/ ٣٣١).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٣/ ٣٣٢) بلفظ: «**لا أخاف على أمتي إلا ثلاثا**».

(٣) النكت والعيون (١/ ٣٧٢).

(٤) الوعيدية: هي الفرق التي تؤمن بالوعيد في حق العصاة ولكنها تجحد الوعد بالمغفرة والرحمة للمؤمنين كالخوارج والمعتزلة.

بعدم التوبة وفاقًا، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ﴾: تجزي وتكفي، ﴿عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾: عذابه، ﴿شَيْـًٔا﴾: من العذاب، من أغنى عنه إذا ناب، أو من الغنى، من: أغْنِ عني وجهك أي: بعده، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ﴾: حطب، ﴿ٱلنَّارِ﴾: دأبهم، ﴿كَدَأْبِ﴾: كشأن، ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: هو أنهم، ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل﴾: يا محمد، ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: من اليهود، ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾: في الدنيا، ﴿وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾: هي، ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ﴾: أيها الكفار، ﴿ءَايَةٌ﴾: دليل على غلبة المؤمنين، ﴿فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا﴾: يوم بدر، ﴿فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ﴾: فيه، ﴿كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم﴾: أي: الكافرون المسلمين، ﴿مِّثْلَيْهِمْ﴾: مثلي الكافرين، وهُمْ[1] زِهاء[2] ألف ليرغبوا[3] أو المسلمون[4] أنفسهم وهم ثلاثمائة وبضعة عشر مثلي الكافرين أو مثلي أنفسهم ليرغبوا إذا كانوا أكثر من ثلاثة أمثالهم، وهذا في آخر قتالهم، أما حين قتالهم فكل منهما قلَّل الآخر؛ ليقدموا، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ ﴾[5] إلى آخره، ﴿رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾: رؤية ظاهرة معاينة، ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾: التقليل والتكثير، ﴿لَعِبْرَةً﴾: عظة، ﴿لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾: البصائر، ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ﴾: ابتلاء، ﴿حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾: المشتهيات، والشهوة: نزوع النفس إلى ما تريده، وهي إما كاذبة، ومنها: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ أو صادقة، ومنها: ﴿مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾، أو تحتملها كما نحن فيه، ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ﴾: الأموال الكثيرة، ﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾: تأكيد مشتق من المؤكد، كبدرة مبدرة، ﴿مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ﴾: عطف على النساء، ﴿ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾: المعلمة أو الراعية أوالنجيبة، ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾: الإبل والبقر والغنم، ﴿وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ﴾: المذكور، ﴿مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: الفانية، ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ

---

(١) أي الكُفّارُ.

(٢) قرابَة.

(٣) يعني في القتال.

(٤) يعني: يرى المسلمونَ أنفُسهم.

(٥) سورة الأنفال.

﴿ٱلْمَـَٔابِ﴾: المرجع، فيه حثٌّ على استبداله بالشهوات، ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾: المزين، ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا﴾: المعاصي، ﴿عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا﴾: تحت أشجارها، ﴿ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾: من كل دنس، ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: فلا يسخط عليهم أبدا، نبه على نعمة بأن أدناها متاع الدنيا، وأوسطها الجنة، وأعلاها رضوانه، ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾: فيثيبهم بمقدار أعمالهم، هم، ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾: على مخالفة الهوى واتباع الشرع، ﴿وَٱلصَّـٰدِقِينَ﴾: قولا، ﴿وَٱلْقَـٰنِتِينَ﴾: الخاضعين المطيعين، ﴿وَٱلْمُنفِقِينَ﴾: في البر، ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾: وهي الثلث الأخير من الليل، وهو وقت الإجابة، ﴿شَهِدَ﴾ بيّنَ ﴿ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ﴾: مستحق للعبادة، ﴿إِلَّا هُوَ﴾: بإنزال ما نطق به، ونصب دلائله، ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾: بالإقرار به، ﴿وَأُولُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾: بالإقرار به والاحتجاج عليه، شبهه في الكشف بشهادة الشاهد، واعلم أن البيان والإقرار من أفراد معنى مجازي، هو كالكَشفِ المشبه بالشهادة فلا يلزم الجمع بين معنيين مجازيين، ﴿قَآئِمًۢا﴾: حال من الله أو هو، ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾: بالعدل في قسمه وحكمه أو مقيما للعدل فيهما، ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: تأكيد أو الأول وصف، والثاني تعليم، ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: بقدرته، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: في أفعاله، ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ﴾: المرضي، ﴿عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ﴾: اتباع محمد عليه الصلاة والسلام فلا يقبل غيره، وبفتح إنَّ بدَلٌ من أنه، ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾: في حقِّيَّة الإسلام، ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾: تحقيقه، ﴿بَغْيًۢا﴾: حسدا، ﴿بَيْنَهُمْ﴾: لا لشبهة، ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾: لمجازاته، ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ﴾: جادلوك بعد إقامة الحجة، ﴿فَقُلْ﴾: معرضا عنهم، ﴿أَسْلَمْتُ﴾: أخلصت، ﴿وَجْهِىَ﴾: نفسي، عبربه عنها؛ لأنه أشرف الأعضاء الظاهرة، لأنه مظهر القُوى والحواسّ، ﴿لِلَّهِ﴾: لا أشرك به غيره، ﴿وَ﴾: مع ﴿مَنِ ٱتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾: مشركي العرب، ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾: بعد وضوح الحُجَّة أم لا؟ استفهام تعيير بالمعاندة والبلادة، ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ وَّإِن تَوَلَّوْا۟﴾: أعرضوا، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ﴾: لاهدايتهم، ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾: فيجازيهم، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾: كاليهود، ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾: عندهم كاليهود قتلوا أربعين نبيًّا

في ساعة(١)، ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ﴾: بالعدل، ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾: إذْ قتلوا مائةً وسبعين عالمًا حين منعوهم عن قتل أنبيائهم، وهم أسلاف هؤلاء المفتخرين بهم، فهم مثلهم ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ﴾: بطلت، ﴿أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا﴾: فلا تُحْقَنُ دماؤهُم وأموالهم، ﴿وَٱلْأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾: لدفع عذابهم، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا﴾: حظًّا، ﴿مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: التوراة، ﴿يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: التوراة، ﴿لِيَحْكُمَ﴾: الكتاب، ﴿بَيْنَهُمْ﴾: في رَجم المحصن حين حكم به النبيُّ -ﷺ- فستروا آية الرجم منها، وكشفها ابنُ سَلَام -رضي الله عنه- فغضبوا، ﴿ثُمَّ﴾: للاستبعاد، ﴿يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾: عادتهم الإعراض عن الحق، ﴿ذَٰلِكَ﴾: التولي، ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾: قلائل، كما مر فيتسهلون عذاب الله، ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾: من نحو: لن تمسنا إلى آخره، ﴿فَكَيْفَ﴾: يصنعون، ﴿إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ﴾: في يوم، ﴿لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾: فُسِّر مرَّةً، ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾: جزاءَ ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾: دل على أن العبادة لا تحبط، وأن المؤمن لا يخلد في النار؛ لأن توفية إيمانه ليست فيها، ولا قبل فهي بعدُ ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: بتنقيص ثوابٍ ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ﴾: يا الله، أو يا الله أُمَّنا(٢) بخيرٍ، أي: اقصدنا يا ﴿مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾: المتصرِّف فيما يمكن التصرف فيه ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾: كمحمَّدٍ وصحبه ﴿وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾: كاليهود والفرس، أو المُلْكُ النبوة، ونزعها: نقلها، ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾: خصَّه بالذِّكر أدبًا، أو: لأنه المقضيُّ بالذات، أو لأنه في مقام الشكر ثم نبَّه على أنهما(٣) بقدرته بقوله، ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٦﴾ ﴿تُولِجُ﴾ تُدْخِلُ ﴿ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ﴾: بزيادة أحدهما ونقص الآخر، أو بالتعقيب، ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾: كالنطفة، ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ﴾: كالنطفة، ﴿مِنَ ٱلْحَيِّ﴾:

---

(١) يشير إلى ما ورد: «قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيًّا من أول النهار في ساعة واحدة.. إلخ» رواه الطبري (٦/ ٢٨٥، ٢٨٦) وسنده ضعيف.

(٢) أي: أقصدنا فالميم عوض عن ياء النداء. التبيان- للعكبري (١/ ٢٥٠)، فتح القدير (١/ ٣٢٩)، والخلاصة- لابن مالك (٥٠) وشروحها.

(٣) يعني الخير والشرّ.

أو المسلم من الكافر وعكسه، ﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: بلا ضيق، إذ المحسوب يقال للقليل، ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ﴾: أحياء مطلقًا؛ لئلا يُحبوا إلَّا في الله، ﴿مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: إشارة إلى أنهم الحقين بالمحبة، ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾: الاتخاذ، ﴿فَلَيْسَ مِنَ﴾: ولاية، ﴿ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾: لأن محبتي المتعاديين لا تجتمعان، ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟﴾ تخافوا ﴿مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾: مخافة فحينئذٍ إظهارُ موالاتهم جائز، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾: عن عقابه، ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾: فاحذروه، ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ﴾: من محبتهم، ﴿أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾: فيجازيكم، ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: ومنه عقوبتكم، اذكر ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ﴾: جزاء ﴿مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا و﴾ جزاء ﴿مَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ﴾: تتمنّى النَّفْسُ ﴿لَوْ﴾: للتمني كما مر، ﴿أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ﴾: أي: ذلك اليوم، ﴿أَمَدًۢا﴾: مسافة، ﴿بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾: كرّره تأكيدًا، ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾: ولذا يُحذِّركم إصلاحًا لكم ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾: المحبَّةُ: ميلُ النفس إلى شيء لكمال أدركت فيه بحيث يحملها على ما يقرب إليه، والعبد إذا علم أن الكمال الحقيقي ليس إلا لله لا يحب إلا إياه فيتبع أوامره، ﴿فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾: بالرضا عنكم، وأين المحبّة من المحبوبية ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾: عن الطاعة، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: أي: لا يحبهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾: بالرسالة ﴿ءَادَمَ وَنُوحًا﴾: أول مبعوث إلى عبدة الأوثان[(١)]، ﴿وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾: خاتمهم حبيب الله عليه الصلاة والسلام ﴿وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾: هو أبو مريم أو موسى[(٢)]، وبينهما ألفٌ وثمانمائة سنة ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: ومنهم الملك، حال كون الآلَيْنِ، ﴿ذُرِّيَّةًۢ﴾: متشعبة، ﴿بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾: الذرية: الولد من الذَّرِّ أو الذَّرْءِ، يقع على الواحد والجمع، ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾: لأقوالكم، ﴿عَلِيمٌ﴾: بأعمالكم، فيصطفي مستقيم القول والعمل، اذكر ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾: حنَّة أُمُّ مريم[(٣)]، ﴿رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ

---

(١) لحديث: «أول نبي أُرْسِلَ نُوحٌ» رواه ابن عساكر (١٧/ ٣٢٦/ ٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٢٥٨٥)، والصحيحة (١٢٨٩).

(٢) قال الواحدي في الوسيط (١/ ٤٣٠): وإنما خص هؤلاء بالذكر؛ لأن الأنبياء بأسرهم من نسلهم.

(٣) تفسير الطبري (٦/ ٣٢٨)، تفسير ابن كثير (١/ ٣٥٩)، البداية والنهاية (٢/ ٥٦)، فتح القدير

لَكَ مَا فِي بَطْنِي﴾: فلا أَسْتَخْدِمه، ﴿مُحَرَّرًا﴾: مخلصًا لعبادتك، ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ﴾: ما نذرت، ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لدعائي ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بنيتي، وكان هذا النذر مشروعًا لهم في الذَّكَر، ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾: الأنثى أي ما في بطنها، ﴿قَالَتْ﴾: تَحسُّرًا وعُذْرًا، ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾: أي: وضَعته[1]، عسى أن يكون فيه سر، وبالغَيبة[2] قول الله تعظيمًا ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾: فيما نذرت من خدمة بيت المقدس، وعكس في التشبيه مبالغة كالقمر كوجهه[3]، أو هو تعظيمٌ من الله لمريم، أي: ليس الذكر المطلوب كهذه الأنثى؛ لأنها وابنها آية للعالمين، ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾: تفاؤلًا، معناه: عابدة، ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ﴾: بحفظك، ﴿وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾: المطرود، فما مَسَّهَا الشيطان ولا ابنها، ﴿فَتَقَبَّلَهَا﴾: استقبلها وأخذها، ﴿رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾: وهو إقامتها مقام الذَّكرِ في سدنَتِهِ ﴿وَأَنۢبَتَهَا﴾ رَبَّاها، فنبتت ﴿نَبَاتًا حَسَنًا﴾: بشكل حسن، ومعرفة تامة بالله، وكان نمو يومها كسنة، ﴿وَكَفَّلَهَا﴾: قام بأمرها ﴿زَكَرِيَّا﴾: زوج خالتها، ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ﴾: الغرفة[4] المبنية لها في المسجد، سُمِّي بهِ[5] لعلُوِّه، أو كونه محل محاربة الشيطان ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾: فاكهة الصيف في الشتاء وعكسه ونحوه، ﴿قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ﴾: من أين، ﴿لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾: فتكلمت صَغيرةً كعيسى[6]، ولم تَرْضع ثَدْيًا، بل كان ينزل عليها رزقها من الجنة، دلت الآية على جواز كرامة الأولياء[7]، ولو كانت معجزة لزكريا لما اشتبهت عليه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ

= (١/ ٣٣٤).

(١) هذا على قراءة: (وَضَعْتُ) بضَمِّ تاءِ الفَاعِل.

(٢) بسكون التّاءِ وفتح العين المهملة.

(٣) وقولك: البدر كعائشة.

(٤) الوسيط (١/ ٤٣٢).

(٥) يعني المحراب.

(٦) انظر: الميثاق والعهد لمن تكلم في المهد- للعلامة البرماوي (٤٩/ بتحقيقي)، وهو شرح أبيات الجلال السيوطي:

تكَلّمَ في المهْدِ النبيُّ محمَّدٌ * وَيَحْيى وعيسى والخليل ومَريَمُ**

... إلخ.

(٧) كما قال تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يعني الكرامة.

حِسَابٍ﴾: بلا ضيق عليه، ﴿هُنَالِكَ﴾: حيث دلّت رُؤْية كرامة مريم ﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ﴾: طمع في ولد من عاقر ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾: كهبتك لحنَّة العجوز العاقر ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ﴾ مُجيب ﴿ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: أي: جنسها، إذ ناداه جبريلُ، ﴿وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ﴾: بأن، ﴿ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾: من صُلْبكَ، ﴿مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: أي: عيسى، سمي بها لإيجاده بكلمة: كُن، كالبدعيات التي هي عالم الأمر، وكان يسجد له في بطن أمه، وآمن به وله ثلاث سنين، ﴿وَسَيِّدًا﴾: متبوعًا لقومه، وأصله متولي السواد أي: الجماعة أو فائقًا مبالغًا في حبس نفسه من الشهوات أو الذنوب، ﴿وَحَصُورًا﴾: ممنوعًا لا يأتي النساء، ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ﴾: الأنبياء، ﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: الذين لم يأتوا كبيرة ولا صغيرة، وكان ابن خالة عيسى رُوِي أنه لم يعمل خطيئة ولم يَهُمّ بها، ﴿قَالَ﴾: تعجبًا بأشياء أو سؤالا عن ردهما إلى الشباب والولودية[1]، ﴿رَبِّ أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾ ولد ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾: لا تلد، كان عمره مائة وعشرين، وعمرها ثمانية وتسعين، ﴿قَالَ﴾: الملك، ﴿كَذَٰلِكَ﴾: الأمر من خَلْقِ غُلامٍ منكُما ﴿ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾: لَا يعجزهُ عنه شيء، ولإظهارِ هذه القدرة العظيمة أُلهم السّؤال ليجاب بها، ولما تاقَت نفسُهُ إلى شِرْعة البشرية، ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾ أي: علامةً على حَمْل امرأتي، ﴿قَالَ﴾: الله، ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ﴾: أي: تمتنع من كلامهم بخلاف ذكر الله- تعالى-، ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾: أي: بلياليها، ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾: إشارةً ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ﴾: صَلِّ، ﴿كَثِيرًا﴾: أصله كونه للتأسيس فيفهم أنه لا يفيد التكرار، ﴿وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ﴾: أواخر النهار، ﴿وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾: وأوائله، ﴿وَ﴾: اذكر، ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: أي: جبريل، ﴿يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ﴾: اختارك، ﴿وَطَهَّرَكِ﴾: من مَسِيْس الرجال[2]، ﴿وَٱصْطَفَىٰكِ﴾: آخرًا ﴿عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: بالكرامات إرهاصًا لنبوة عيسى، أي: أهل زمانك، ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾: أطيعيه، ﴿وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي﴾: رتبهما بترتيب صلاتهم، ﴿مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾: أي: صَلِّ مع المصلين الجماعة[3]، ﴿ذَٰلِكَ﴾:

---

(١) الإنجاب.

(٢) الوسيط (١/ ٤٣٥)، البحر المحيط (٢/ ٤٥٥)، الدر المنثور (٢/ ٢٤).

(٣) ولم يقل مع الراكعات؛ لأن الراكعين أعم؛ لوقوعه على الرجال والنساء إذا اجتمعوا. الوسيط =

المذكور من أمر زكريا ومريم، ﴿مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾: أَخْبار ما غاب عنك، ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ يامحمَّد ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ﴾: النُّحاسيَّة التي كانوا يكتبون بها التوراة في نهر الأردن أو يلقونَها في الماء يقترعون ليظهر لهم، ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ﴾ يُرَبّي ﴿مَرْيَمَ﴾: فطفا قلم زكريَّا فكفلها، وإخباري بذلك ليس إلا بالوحي نوحيه إليك، ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾: في كفالتها، إذ أمهما لما جاءت بها إلى سدنة بيت المقدس وهم أبناء هارون تنا فسوا في كفالتها، فتعرف ذلك فتخبر به وإنما عرفته من جهة الوحي ﴿و﴾ اذكر، ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي: جبريل، ﴿يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ﴾: بولد وجوده، ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾: لا كالأولاد، ﴿ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ﴾: معرب مَشِيْحَا[1]، أي: المبارك، أو مُسِحَ بالبركة، أو ما مسح ذا عاهة إلا برأ، ﴿عِيسَى﴾: معرب أيشوع، ﴿ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾: قَدَّمَ اللقَب على الاسم تعظيمًا، ونسبه إليها مع علمها به إعلامًا بأنه لا ينسب إلى غيرها وتنبيهًا على أنها تلده بِلا أبٍ، إذ عادة الرجال نسبتهم إلى آبائهم، ﴿وَجِيهًا﴾: عظيما قدره ذا جاه، ﴿فِي ٱلدُّنْيَا﴾: بالنبوة، ﴿وَٱلْءَاخِرَةِ﴾: بالشفاعة والدرجات العلى، ﴿و﴾: كائنا، ﴿مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ عِنْدَ اللهِ ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ﴾: حَال كَوْنه، ﴿فِي ٱلْمَهْدِ﴾: أصلُ المهد ما يمهد للصبي من مضجعه، أي: طفلًا قبل وقت الكلام، ﴿وَكَهْلًا﴾: بعد نزوله، إذ رُفِع وهو شاب بشارةً لها بطول عمره، وإن وُلِدَ لثمانية أشهر، وقيل: ذلك لا يبقي[2]، وبان كلامه في الصغر كما في الكبر، ﴿وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: الكاملين في الصلاح، ﴿قَالَتْ﴾: تَعَجُّبًا أو كمَا مر، ﴿رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾: كانت محررة والمحرر لا يتزوج أبدًا ولاَ يُزَوّجُ ولا غيره، ﴿قَالَ﴾: الأمْرُ، ﴿كَذَٰلِكِ﴾: من خلق ولدٍ منك بلا أب، ﴿ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾: خَصَّه بالخلق بخلاف ما مر لغربته؛ لأنه اختراع بلا مادة، ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ أراد خلقه ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ أي: فهو يكونُ، ﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾ بالنون والياء[3]

= (١/ ٤٣٦).

(١) الزاهر (١/ ٤٩٣، ٤٩٤) الجامع لأحكام القرآن – للقرطبي (٤/ ٨٩)، البحر المحيط (٢/ ٤٦٠)، فتح القدير (١/ ٣٤١)، الوسيط (١/ ٤٣٨).

(٢) يعني المولود لثمانية أشهر قلّما يَعيْشُ.

(٣) قرئ: (ونعلمه) بالنون، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي.

=

﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾: جنسه أو الخطّ، ﴿وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾: جنسه أوالعلم والعمل به، ﴿وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾: وكان يحفظهما[١]، ﴿وَ﴾: نجعله، ﴿رَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾: في الصبا أو بعد البلوغ فنفخ جبريل في جيب درعها فحملت وكان من أمرها ما ذكر في سورة مريم فلما بعثه الله إلى بني إسرائيل قال لهم: إني رسول الله إليكم، ﴿أَنِّي﴾ أي: بأني ﴿قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ﴾ علامة ﴿مِّن رَّبِّكُمۡ﴾: هي، ﴿أَنِّيٓ﴾ وفي قراءة بالكسر استئنافًا[٢] ﴿أَخۡلُقُ﴾: أُصَوِّرُ، ﴿لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ﴾: مثل صورته، والكاف اسم مفعول ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾: الضمير للكاف، ﴿فَيَكُونُ طَيۡرَۢا﴾: وفي قراءة: (طائرًا)[٣]، ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾: بإرادته فخلق لهم الخفاش؛ لأنه أكمل الطير خَلْقًا فكان يطير وهم ينظرون فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتًا، ﴿وَأُبۡرِئُ﴾ أَشْفي ﴿ٱلۡأَكۡمَهَ﴾: الذي وُلِدَ أعمى، ﴿وَٱلۡأَبۡرَصَ﴾ وخُصَّا لأنهما داءَا إعيَاء، وكان بعثه في زمن الطبِّ، فأبرأ في يوم خمسين ألفًا بالدعاء بشرط الإيمان ﴿وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾: كرَّره لنفى توهُّم الإلهيَّة فيه، فأحيا عازَر صديقًا له، وابن العجوز، وابنةَ العاشر، فعاشوا ووُلِدَ لهم، وسَامَ بن نُوحٍ ومَات في الحَالِ ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ﴾: الآن، ﴿وَمَا تَدَّخِرُونَ﴾ تخبئون ﴿فِي بُيُوتِكُمۡ﴾: ممّا لم أُعانيه، فكان يُخبرُ الشخصَ بما أكَلَ وبما يأكل بَعْدُ، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾: مُوفَّقين للإيمان، ﴿وَ﴾: جئتكم، ﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ﴾ قبلي ﴿مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ﴾: ﴿وَ﴾: جئتكم، ﴿لِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ﴾: فيها، فأحل لهم من السمك والطير ما لا صيصية[٤] له وقيل: أحل الجميع فبعض بمعنى: كُل ﴿وَجِئۡتُكُم﴾: من بعد كما ذكرت لكم والأول لتمهيد الحجة، ﴿بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾: على صدقي، ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾: فيما أمركم من توحيد الله وطاعته، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي

= * إتحاف فضلاء البشر (١٧٤)، البحر المحيط (٢/ ٤٦٣).

(١) وإذا نزلَ قبل قيام الساعة يتعلَّمُ القُرآنَ.

(٢) البحر المحيط (٢/ ٤٦٥) وهي قراءة نافع وأبي جعفر - السبعة (٢٠٦).

(٣) وهي قراءة نافع ويعقوب ويزيد بن القعقاع.

* البحر المحيط (٢/ ٤٦٦)، السبعة (٢٠٦)، غيث النفع (١٧٦).

(٤) هي الشوكة كالتي في رجل الديك. * الكشاف - للزمخشري (١/ ٣٦٥).

وَرَبُّكُمْ﴾ المأمور كرره تأكيدًا وليبنى عليه ﴿فَاعْبُدُوهُ هَذَا﴾ أي: الذي أمركم به، ﴿صِرَاطٌ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾: فكذبوه ولم يؤمنوا به، ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾ وأرادوا قتله ﴿قَالَ مَنْ أَنصَارِي﴾: أعواني ذاهبًا، ﴿إِلَى اللَّهِ﴾: لأنصر دينه، ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾: أعوان دينه وهم أصفياء عيسى أول من آمن به وكانوا اثني عشر من الحَوَر[1] وهو البياض الخالص وقيل: كانوا قَصَّارين يُحوِّرُوْن الثياب أي: يبيضونها، ﴿نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾: أي: بأي دينه ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ﴾: يا عيسى، ﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۞ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ﴾ من الإنجيل ﴿وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾ عيسى ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾: بوحدانيتك أو أمة محمد عليه الصلاة والسلام فإنهم يشهدون على الناس لك بالوحدانية ولرسولك بالصدق، قال- تعالى-: ﴿وَمَكَرُوا﴾: أي: كفار بني إسرائيل بعيسى إذ وكلوا به من يقتله غيلة، ﴿وَمَكَرَ اللَّهُ﴾: بهم بإلقاء[2] شبهه على من أراد قتله، فقتلوه ورُفِعَ عيسى، ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾: أعلمهم[3] به، والمكر: حيلة تَجْلِبُ بها غيرك إلى مفسدة ظاهرًا، وإسناده إلى الله تعالى للازدواج أو المقابلة، اذكر، ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾: إشارة قابضك[4]، أي: بالنوم؛ لأنه رفعه نائمًا، أرسل الله- سبحانه- ليلة القدر ببيت المقدس فتعلق به، وله ثلاث وثلاثون سنة وعاشت مريم بعده ست سنين، وفي مسلم[5] أنه ينزل ويمكث سبع سنين، وفي الطيالسي[6]: أربعين سنة، ويمكن الجمع بأن المراد مجموع لبثه قبل الرفع وبعده أو قابضك وافيًا كامل الأعضاء. ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾: أي: إلى محلِّ كرامتي والإضافة للتفخيم، نحو: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾ وعلى ما مرَّ لا يرد أن رفعه قبل تَوفيه، على أن الواو لا تقتضي الترتيب، ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ﴾:

---

(١) يعني اشتقاق كلمة الحواريينَ.

(٢) في (ن): بأن ألقى شبهَ عيسى.

(٣) في (ن): أقدرهم.

(٤) في هامش (ن): بلغ مقابلة.

(٥) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٥٨/ ٢٩٤٠).

(٦) مسند الطيالسي (٢٣١/ ٢٥٤١).

سوء جوار، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: بنبوتك غيرة وهم اليهود، ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾: أي: الفريقين، ﴿فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾: من أمر الدين، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا﴾: بالسبي والقتل والجلاء، ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾: بلا نقص، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾: فكيف ينقصه، ﴿ذَٰلِكَ﴾: المحكيُّ، ﴿نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾: حال كونه، ﴿مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾: المشتمل على الحكم، ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ﴾: شأنه الغريب، ﴿عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾: في خلقه بلا أب، ﴿خَلَقَهُ﴾: أي: قالبه[1]، ﴿مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن﴾: بشرًا، ﴿فَيَكُونُ﴾: أي: أحياه، فعلى هذا لا يرد أن كن أمر بالتخليق، فيجب تقديمه على الخلق وعلى هذا يكون الضمير راجعًا إلى آدم باعتبار المآل، وعلى الثاني معناه: صيره خلقًا سويًّا، ثم يخبر أني خلقته بأن قلت له: ﴿كُن﴾ لا لتراخي هذا الخبر عن ذلك الخبر، وقد يقال: «ثُمّ» لتراخي الخبر، وهنا شبه الغريب بالأغرب؛ لأن فاقد الأبوين أغرب من فاقد الأب هو، ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن﴾: يا محمد أنت مع أمتك، ﴿مِّنَ الْمُمْتَرِينَ﴾: الشَّاكِّيْن، ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ﴾: في عيسى، ﴿مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾: بأنه عبد الله ورسوله، ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾: ضَمَّ الأبناء والنساء مع أن نفسه تكفي ليستأصل الخصم إن تمت المباهلة، وقدمهما لأنهما أعز الأهل، وربما فداهم الرجل بنفسه في الحرب، ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾: نتضرع أو نتلاعن من البَهْلَة أي: اللَّعْنة، ﴿فَنَجْعَل﴾: فنقل، ﴿لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾: منا ومنكم، ثم جمع عليًّا وفاطمة والحسن والحسين عليهم الصلاة والسلام، ودعا وفد نجران إلى المباهلة فأبوا خوفًا، وقبلوا الخراج[2].

---

(١) ولم يقُلْ: «خَلَقَهُما» للتفاوت والاختلاف ما بين الخَلْقَيْن.

(٢) تمامه فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده إن العذاب قد تدلى على أهل نجران، ولو تلاعنوا لمسخوا قردة وخنازير...**» الحديث رواه الحاكم (٢/ ٥٩٤)، وأبو نعيم في الدلائل (٢/ ٢٩٨) والطبري في تفسيره (٦/ ٤٧٨، ٤٨٢).

* **تنبيه:** وقع البحثُ عند شيخنا العلَّامة الدَّواني[١]- قدس الله سره- في جواز المباهلة بعد النبي ﷺ فكتب رسالةً في شروطها المستنبطة من الكتاب والسنة والآثار، وكلام الأئمة، وحاصل كلامه فيها: أنها لا تجوز إلا في أمر مُهمٍّ شَرْعًا[٢] وقع فيه اشتباه وعناد لا يتيسر دفعهما إلا بالمباهلة، فيشترط كونها بعد إقامة الحجة والسعي في إزالة الشبهة، وتقديم النصح والإنذار، وعدم نَفعهما[٣]، ومساس الضرورة[٤] إليها، والله تعالى أعلم.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾: الخبر من عيسى وأمه، ﴿لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾: دون زعمهم، ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾: ردٌّ لتثليثهم، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: فلا إله غيره، ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾: عما أوحينا ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾: أي: بهم ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾: مستوية، ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾: لا يختلف فيه كتاب وَلا رَسُولٌ وهيَ: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾: في استحقاق العبادة، ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾: كاتخاذ اليهود عزيرًا[٥]، والنصارى عيسى وإطاعة الأحبار والرهبان في إحداث التحريم والتحليل ومعنى ﴿دُونِ﴾ سيأتي وهو في المائدة، ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾: عن إجابتها، ﴿فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾: مُوحِّدون دونكم ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾: فتزعمون يهوديَّته ونصرانيته، ﴿وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ﴾: بألف سنة وألفي سنة، ومنهما أُخِذَتا، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: فتدعون محالًا، ﴿هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ﴾: الحمقى وحماقتكم لأنكم، ﴿حَاجَجْتُمْ﴾: جادلتم عنادًا، ﴿فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾: من دين إبراهيم مما وجدتموه في كتابكم من نبوة محمد- ﷺ- ﴿فَلِمَ تُحَاجُّونَ

---

(١) الإمام العلامة المحقق جلال الدين محمد بن أسعد الدواني الصديقي الشافعي الكازروني المتوفى سنة ٩١٨هـ. * الضوء اللامع (٧/ ١٣٣)، شذرات الذهب (٨/ ١٦٠)، البدر الطالع (٢/ ١٣٠).

(٢) كما باهل الحافظ ابن حجر العسقلاني رجُلًا على ضلال ابن عربي صاحب الفصوص. وانظر: القول المنبي للحافظ السخاوي (ص٥١٣/ بتحقيقي)، وجمان الدرر عن ترجمة ابن حجر للبصروي (ص٣٠٦/ بتحقيقي).

(٣) يعني: عدَم نفع النصح والإنذار.

(٤) في (ن): ضرورة.

(٥) في (ن): عُزَير.

﴿فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾: من دين إبراهيم، إذ لم يذكر في كتابكم، والجاهل بالشيء لا يبحث عنه إلا استفهاما، حاصلهُ: أن الرَّجل قد يجادلُ فيما لا يعلمه عنادًا لكنه لا يبحث فيما لا يعلم إلا استفهامًا وطلبًا للحق، ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ﴾: شأنه، ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۞ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصۡرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا﴾: مائلًا إلى الحق، ﴿مُّسۡلِمًا﴾: مُنْقادًا لله، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾: وأنتم تشركون عزيرًا والمسيح والصنم، ﴿إِنَّ أَوۡلَى﴾: أقرب ﴿ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ﴾ في الحديث: «لكُلِّ نبيٍّ وُلَاةٌ من النبيين، وإنَّ وليي منهم أبي وخليل ربي»[1] ثم قرأ الآية ﴿لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾: من أمته، ﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: وروي أن أصول دينهما واحدةٌ واختلاف فُروعهمَا قليلٌ جدًّا، ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ﴾: ناصر، ﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۞ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ﴾: أن، ﴿يُضِلُّونَكُمۡ﴾: كدعوتهم حذيفة وعمارًا ومعاذًا إلى اليهودية[2]، ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ﴾: باكتساب الإثم، ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾: اختصاصهم بالضلال، ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: في التوراة والإنجيل من نُبوَّة محمدٍ عليه الصلاةُ والسلامُ، ﴿وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ﴾: صدقها، ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ﴾: تخلطون، ﴿ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾: بالتحريف، ﴿وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ﴾: نعت محمد عليه الصلاة والسلام[3]، ﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾: حقيقته ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ لبعضهم ﴿ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: أي: القرآن، ﴿وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ﴾ أوله، وصَلُّوا الصُّبح معهم ﴿وَٱكۡفُرُوٓاْ﴾: أو صَلُّوا إلى الكعبة أَوَّل النهار وإلى الصَّخرة، ﴿ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ﴾: أي: المؤمنين، ﴿يَرۡجِعُونَ﴾: عن الإسلام ظنًّا أنكم رجعتم بخلاف ظهر لكم ﴿وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ﴾: تُصدِّقوا ﴿إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ﴾: اليهودي ﴿قُلۡ﴾: يا محمدُ: ﴿إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ﴾: هو ﴿هُدَى ٱللَّهِ﴾: فلا ينجع مكركم، وقولكم، هذا الخَوْفُ، ﴿أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٌ

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١/ ٤٢٩/ ٤٠٨٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٦٧٤/ ٣٦٥٦)، والترمذي في جامعه (٢٩٩٥)، والطبري في تفسيره (٧٢١٧)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٥٥٣)، والبزار في مسنده (١٩٧٣، ١٩٨١)، وابن أبي شيبة في مسنده (٢٩٤) والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٠٠٩)، والشاشي في مسنده (٤٠٦)، وسعيد بن منصور في تفسيره (٥٠١/ من السنن) وسنده منقطع ورجاله ثقات.

(٢) في (ن): إليهم.

(٣) في (ن): ﷺ.

﴿مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ﴾: من العلم، ﴿أَوْ﴾: بمعنى و﴿يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ﴾: بأنكم كفرتم بما علمتم، يعني: الحسد حملكم على ذلك ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ فضله ﴿عَلِيمٌ﴾: بكلِّ شيءٍ، ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾: بحكمه، ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ﴾: أي: في ألف ومائتي أوقية ذهب[1]، والأوقية[2] كانت أربعينَ درهمًا، واليوم عشرة دراهم، وخمسة أسباع درهم، وهي إستار[3] وثلثا إستار، ﴿يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾: كابن سلام[4]، ﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾: كفنحاص بن عازوراء[5]، ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ﴾: يا صاحب الحق، ﴿عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾: إلا مدة دوامك قائمًا على رأسه بالتقاضي، ﴿ذَٰلِكَ﴾: الخيانة[6]، ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى﴾: شأن العرب ﴿ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ﴾: ذَمّ في كل أموالهم إذ أَحلَّها الله لنا، ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾: بادعائهم ذلك، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: افتراءهم، ﴿بَلَىٰ﴾: عليهم فيهم سبيل، ﴿مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ﴾: تعالى في التوراة بالإيمان بمحمد ﷺ، ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾: المخالفة، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾: يستبدلون، ﴿بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾: من الإيمان بالرسول، ﴿وَأَيْمَٰنِهِمْ﴾: لِوَصْرِهُم[7] الله ليؤمنن به ولينصرنه، ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: كرشوة لتحريف التوراة، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ﴾: نصيب، ﴿لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾: بما يسرهم، كناية[8] عَن غضبه، ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾: نظر رحمة، ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾: لا يثني عليهم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ وَإِنَّ مِنْهُمْ﴾: من أهل الكتاب، ﴿لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ﴾: يميلون، ﴿أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ﴾ من المنزل إلى المحرف ﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾ المحرف أيها المؤمنون

---

(١) والقنطار عند الجمهور (١٤٢,٨/ كيلوجرام).

(٢) والأوقية عند الجمهور (١١٩) جرام.

(٣) الإستار كلمة فارسية معربة بمعنى «أربعة»؛ لأنه أربعة مثاقيل ونصف، ويجمع على أساتير وهو عند الجمهور (١٩,٣٣٧٥) جرامًا. * المكاييل والموازين الشرعية- د/ علي جمعة.

(٤) الوسيط (١/ ٤٥١).

(٥) الوسيط (١/ ٤٥١).

(٦) الفعل وهو الخيانة والاستحلال.

(٧) يعني: حلفهم.

(٨) الوسيط (١/ ٤٥٣).

﴿مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ من التوراة ﴿وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ﴾: نازل، ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾: لا يفهم أن لا يكون فعلنا فعل الله كما زعم المعتزلة إذ لا يلزم من نفي الأخص كونه كتابًا بأنه لا من الله نفي الأعم كونه فعل الله- تعالى- ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: كذبهم ونزلت[1] حين قالت اليهود[2]: يا محمد! تريد أن نَعْبدك كما عبَدَت النصارى عيسى صلوات الله عليه وسلامه؟: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ﴾ الحكمة ﴿وَٱلنُّبُوَّةَ﴾: كعيسى، ﴿ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: أي: هذا الإيتاء والقول لا يجتمعان، ﴿وَلَٰكِن﴾: يقولُ: ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ﴾: منسوب إلى الرب[3]، أي: الكاملين في العلم والعمل، كاللَّحْيَاني لعظيم اللحية، ﴿بِمَا كُنتُمْ﴾: بسبب كونكم، ﴿تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ بتدارسكم، ﴿وَلَا﴾: أن، ﴿يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ ﴿وَ﴾: اذكر، ﴿إِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ﴾: بالفتح لام الابتداء، أي: للذي، وبالكسر[4] متعلق أخذ، وما مصدرية، ﴿ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾: أيُّ رسول كانَ، أو محمدٌ عليه الصلاة والسلام، والله ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾: فكان الأمم به أولى، ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿ءَأَقْرَرْتُمْ﴾ بالإيمان والنصر ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى﴾: عهدي المؤكد، ﴿قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا﴾: وأخذناه، ﴿قَالَ﴾: الله، ﴿فَٱشْهَدُوا۟﴾: بعضكم على بعضٍ ﴿وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾: على إقراركم وتشاهدكم، ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ﴾: أعرض، ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾: الميثاق، ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾: الخارجون عن الإيمان يقولون ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ﴾: انقاد ﴿مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا﴾ كالمسلمين اختيارًا ﴿وَكَرْهًا﴾: كالكفرة تسخيرًا وحين البأس، ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾: فكيف تبغون غير دينه، ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾: أذن- ﷺ- في تعظيم نفسه في التكلم أو هو منزل على أمته أيضًا بتوسطه ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ

---

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (٣/ ٢٣٢)، والبيهقي في الدلائل (٥/ ٣٨٤) وسنده ضعيف.

(٢) انظر إلى قحة اليهودِ وسُوء أدبهم- عليهم لعائنُ الله وخلقه آمين.

(٣) الذي هو بمعنى التربية. * الوسيط (١/ ٤٥٦).

(٤) قرأ حمزة (لما) بكسر اللام. * الحجة- لأبي زرعة (١٦٨، ١٦٩)، السبعة (٢١٣)، النشر (٢/ ٢٤١).

﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾: من الوحي، ﴿وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾: بطون بني إسرائيل المتشعبة، ﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ﴾: بالتصديق، ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾: منقادون، ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ﴾: الانقياد لله، ﴿دِينٗا﴾: شريعة، ﴿فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾: لا يدل على اتحاد الإيمان والإسلام، إذ الإيمان ليس بدين، والتّحقيقُ: أنَّ الإسلام يجيء بمعنى مجموع الأعمال، فيدخل فيها التصديق ووردا في الحديث مترادفين، وفي القرآن متباينين والله تعالى أعلم، يعني أنه نفى كل دين مغاير للإسلام لا قبول ما يغايره والإيمان ليس بدين[1]، ﴿وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾: بإبطال الهداية الفطرية، ﴿كَيۡفَ﴾: للاستبعاد، ﴿يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ﴾: أي: إن آمنوا، ﴿وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقّٞ﴾: بأنّ[2]، وخروج الإقرار باللسان عن حقيقة الإيمان، ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾: البراهين بصدق محمد عليه الصلاة والسلام ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: بوضع الكفر موضع الإيمان، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمۡ أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾: أفهم عدم جواز اللعن على غيرهم، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: في اللعنة أو العقوبة المفهومة، ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾: يُمْهلُونَ، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾: الارتداد كحارث بن سويد[3]

---

(١) الإسلام لغة: الانقياد والإذعان، وأما في الشريعة فلإطلاقه حالتان:

الأولى: أنْ يُطلق على الإفراد غير مقترن بذكر الإيمان، فهو حينئذ يراد به الدين كله أصوله وفروعه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾.

الحالة الثانية: أن يطلق مقترنًا بالاعتقاد فهو حينئذ يراد به الأعمال والأقوال الظاهرة كقوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾..

والإيمان لغة: التصديق، قال إخوة يوسف لأبيهم: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ وأما في الشريعة- فلإطلاقه حالتان:

الأولى: أن يطلق على الإفراد غير مقترن بذكر الإسلام فحينئذ يراد به الدين كله، كقوله –عز وجل–: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وقوله: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

الثانية: أن يطلق مقترنا بالاعتقاد فهو حينئذ يراد به الأعمال والأقوال الظاهرة كقوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾. * معارج القبول (١/ ٥٩٦).

(٢) يعني: وشهدوا بأنَّ.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٣٢٤٢)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٢/ ٦٤٢، ٦٤٣/ ١٧١٨)، وابن أبي

حين ندم على ردته، ﴿وَأَصْلَحُوا﴾: دخلوا في الصلاح، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾: بهم، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾: حين الاحتضار، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ عن الرحمة ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا﴾: ممَّا أنْفقوا، ﴿وَلَوِ افْتَدَى بِهِ﴾: من عذاب الآخرة أي: ولو كان على وجه الافتداء الذي لا مِنَّةَ فيه فلا يقبل منهم، أوْ لَا يُقْبَلُ منه ولو افتدى بمثله معه، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾: في رفع العذاب.

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾[1]: حقيقة البر، أو بر الله، وهو رحمته، ﴿حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا﴾ بعض ﴿مَا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ﴾ محبوبٍ أو غيره ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾: فيجازيكم، ﴿كُلُّ الطَّعَامِ﴾: المباح لإبراهيم لا لحم الخنزير، ﴿كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ﴾: يعقوبُ ﴿عَلَى نَفْسِهِ﴾: بنذره ذلك، لو برئ من عرق النسا، وهو لحم الإبل ولبنه[2] رَدّ لليهود حيث قالوا: إنَّهما كانا حَرامين على إبراهيم، فكيف يحللونهما؟ رُويَ أنه كان به عِرْقُ النَّسَا[3] فنذر أنه إنْ شفاه الله- تعالى- ترك أحب الطعام والشراب إليه، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ﴾: وذلك بعد إبراهيم، ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: في حرمة لحم الإبل ولبنه على الأنبياء كلهم، ﴿فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾: بحرمتها على الأنبياء، ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: العلم، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾ وهذا تعريض بكذبهم ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾: مائلًا عن الباطل، وهي مِلّتُنا، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: تعريض بشرك اليهود، ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ﴾: أُظْهِر ووُضِع لعبادة الله على وجه الماء قبل خلق الأرض بألفي[4] عام أو بعدها قبل آدم، ﴿لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾: لغةٌ في مَكة[5] فإنها تكسرُ أعْناقَ الجبابرة حال كونه، ﴿مُبَارَكًا﴾: كثير

= شيبة في المصنف (١٤/ ٤٠٠/ ١٨٦٢٥) وسنده ضعيف.

(١) في هامش (ن): الجزء (٤).

(٢) تفسير الطبري (٧/ ٩، ١١)، تفسير الوسيط (١/ ٤٦٤)، أسباب النزول - للواحدى (٨٤)، البحر المحيط (٣/ ٢).

(٣) بفتح النون المشددة، وهو وجعٌ في جانب الورك، سُمِّي بذلكَ؛ لأنَّ ألَمَهُ ينسي صاحبه كُلّ شيء.

(٤) تفسير الطبري (٧/ ٢٠)، الوسيط (١/ ٤٦٥)، الدر المنثور (١/ ١٢٧، ١٢٨).

(٥) ولها أسماء أخر منها: أم القرى، والحاطمة، ونساسة... إلخ وجمعها في مؤلف السَّجاعيُّ وغيره.

الخير، ﴿وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ لأنه معبدهم وقبلتهم، ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾: كتخالط الصيود[١] والسباع في الحرم، وقَهر كلِّ جبَّار قصدهُ بسُوء وظهور الخصب في البلاد الموازية له كركن ظهر فيه[٢] والغيث، وانمحاء الجِمَار، ومنها ﴿مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾: الحجر الذي قام عليه لبناء الكعبة، وغاص قدماه فيه، ﴿وَ﴾ منها أنَّ، ﴿مَن دَخَلَهُۥ﴾: مُعظِّمًا له، ﴿كَانَ ءَامِنًا﴾: أي: يأمنُ من دخله من القتل، أو مِن عذاب القيامة وفي الحديث: «**من مات في أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنًا**»[٣]، ولما ذكر آيتين دنيوية وأخروية اكتفى عن البواقي بما هو، أهم أعني: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: كأسلوب حديث: «**وجعلت قرة عيني في الصلاة**»[٤]، ﴿حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾: هو قصده للزيارة على الوجه المخصوص، ﴿مَنِ﴾: بدل من الناس، ﴿ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ﴾ إلى البيت أو الحَرَم ﴿سَبِيلًا﴾: يأتي، والاستطاعة فسرها النبي عليه الصلاة والسلام بالزاد والراحلة[٥]، وهو يؤيد قول الشافعي أنَّهما بالمال، ولذا يستنيب الزَّمِنُ[٦] الواجِدُ أجرة النائب، وعن مالك أنها بالبدن، وعن الحنفية أنها بهما[٧]، ﴿وَمَن كَفَرَ﴾: بوجوبه كاليهود ووضعه موضع: لم يحج؛ تغليظًا على تاركه، بل ورد كفره إن استطاع، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: به، ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: الدالة على صدق محمد ووجُوبِ الحج وغيره، ﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾:

---

(١) معاني القرآن- للزجاج (١/ ٤٥٥)، البحر المحيط (٣/ ٧)، تفسير ابن كثير (١/ ٣٨٤)، فتح القدير (١/ ٣٦٢).

(٢) كذا في جميع النسخ.

(٣) رواه الفاكهي في أخبار مكة (٣/ ٦٨، ٦٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٨/ ٩٥، ٩٦)، وابن الجوزي في مثير العزم الساكن (٢/ ٣١٠/ ٤٨٤، ٤٨٥)، وفي الموضوعات (٢/ ٢١٨) وسنده ضعيف.

(٤) رواه أحمد (٣/ ١٢٨)، والنسائي (٧/ ٣٩٥٠)، والحاكم (٢/ ١٦٠)، والبيهقي (٧/ ٧٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣١٢٤)، والروض (٥٣).

(٥) رواه الحاكم في مستدركه (١/ ٤٤٢) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ورواه البيهقي في سننه (٤/ ٣٣٠)، وضعفه الألباني في إرواء الغليل (٤/ ١٦٠/ ٩٨٨).

(٦) من به مرض مزمن.

(٧) انظر: المبسوط (١/ ١٥٣)، البناية (٣/ ٤٣٣)، حاشية ابن عابدين (٢/ ١٩٤)، شرح العمدة (١/ ٤٠، ٢٤١)، الإنصاف (٣/ ٤٢١)، (٦/ ٤٦)، بداية المجتهد (١/ ٣٠٩)، مغنى المحتاج (١/ ٤٦٨) كشاف القناع (٣/ ٤٥٥)، الشرح الصغير (٢/ ١٥)، المهذب (١/ ١٩٦، ١٩٧).

من التحريف، ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دينه، ﴿مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا﴾: طالبين لَهَا، ﴿عِوَجًا﴾: اعوجاجًا بتلبيساتكم وتحريفاتكم، والعوج بالكسر: في القول والعمل والأرض، وبالفتح في نحو الحيطان والسَّواري، ﴿وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ﴾: أنها سبيل الله، ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم﴾: يصدوكم، ﴿بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ۝ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ﴾: القرآن وغيره، ﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾: محمد عليه الصلاة والسلام، ﴿وَمَن يَعْتَصِم﴾: يتمسك، ﴿بِٱللَّهِ﴾: أي: بدينه، ﴿فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: غير مُعوج، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾: في الحديث أنه طاعةٌ بلا عصيان[١]، وشُكرٌ بلا كفران، وذكر بلا نسيان ونُسِخت بآية: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[٢] خلافًا لبعض السلف[٣]، ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾: دُوْمُوا على الإسلام حتى تموتوا عليه، ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟﴾: استمسكوا، ﴿بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾: القرآن، استعارة من حيث إنَّ التمسك به ينجي مِنَ الرَّدي كما أن المتَمسِّك بالحَبْل يسلم من التردي ﴿جَمِيعًا﴾: مجتمعين عليه، ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾: كأهل الكتاب، ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: منها الإسلام، ﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً﴾: أراد عداوة الأوس مع الخزرج في الجاهلية مائة وعشرين سنة[٤]، ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾: بالإسلام، ﴿فَأَصْبَحْتُم﴾: صرتم، ﴿بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾: مُتحابين، ﴿وَكُنتُمْ﴾: في الجاهلية، ﴿عَلَىٰ شَفَا﴾: طرف، في الحديث: «**لَا تَنْظُروا إلى صَوْم الرَّجُل وصلاته، ولكن إلى وَرَعه إذا أشفى على الذنب**»[٥] أي: أشرف، ﴿حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾: أي: مشرفين على الوقوع في جهنم، ﴿فَأَنقَذَكُم﴾: أنجاكم بالإسلام، ﴿مِّنْهَا﴾: من شَفَاها، وتأنيثهُ باعتبار المضاف إليه، ﴿كَذَٰلِكَ﴾: التبيين، ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: لتدوموا على الهداية، ﴿وَلْتَكُن

---

(١) قال ابن مسعود: ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر رواه الحاكم (٢/ ٢٩٤)، والطبراني في الكبير (٩/ ٩٣)، والطبرى (٧/ ٦٥) وسنده صحيح.

(٢) سورة التغابن (١٦).

(٣) الناسخ والمنسوخ – لأبي القاسم ابن سلامة (١٠٦، ١٠٨) تفسير ابن كثير (١/ ٣٨٨).

(٤) تفسير الطبري (٣/ ٧٧، ٧٨)، الوسيط (١/ ٤٧٤)، الدر المنثور (٢/ ٦١).

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الورع (١٧٧) وسنده ضعيف.

﴿مِّنكُمْ﴾: أيها المؤمنون، ﴿أُمَّةٌ﴾: جماعة، ﴿يَدْعُونَ﴾: الناس، ﴿إِلَى الْخَيْرِ﴾: الدنيوي والأخروي دل بـ«من» على فرضية الكفاية أو تبيينية فيكون المعنَى وجوبه على الكل ولو على مرتكب منكر، ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾: وهو يكون واجبًا ومندوبًا لكن على حسب ما يأمر به، ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾: هو واجب كله إذ كل ما أنكره الشرع حرام، والمكروه غير منكر، وخَصَّصَ بعدما عمم إيذانًا بفضله، ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: المخصوصون بكمال النجاة، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾: من الأمم السالفة، ﴿وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾: لأهل الحق عَن ذلك، ﴿وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾: كالمبتدعة من نحو الخوارج ويُوْسَمُ أهل الحق ببياض الوجه والصحيفة وإشراق البشرة وسعي النور بين يديه ويمينه، والمبطلون بضد ذلك لأهل الباطل كنايتان[1] عن ظهور البهجة والكآبة ونحوهما، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾: يقال لهم توبيخًا، ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا﴾: أمر إهانةٍ، دلت الأحاديث على أنهم المبتدعة كالخوارج المرتدين[2]، ﴿الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾: بكفركم، ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾: جنته، وأفاد بتغيير الأسلوب، ولفظ الرحمة أنَّ دخول الجنة ليس إلا برحمته، ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۞ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾: ملتبسة، ﴿بِالْحَقِّ ۗ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا﴾: حقيرًا، ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾: لاستحالته، إذ لا يجب عليه شيء، أو يمنع عنه فيظلم بنقصه أو فعله، ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾: فيجازي ﴿كُنتُمْ﴾: في عِلْم الله أو: وُجِدتُمْ، فعلى الثاني «كَان» تامَّة، ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ﴾: أُظْهِرَت، ﴿لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾: دَلَّت على أنَّ الإجماع حُجَّةٌ لاستغراق اللامين، فلو أجمعوا على باطل كانوا على خلافه، ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾: أي: تعملون وكذلك إيمانًا به فلا يرد أن حق الإيمان التقديم كما في آية أخرى، ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾: بمحمد، ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم﴾: من الإيمان بموسى وعيسى فقط، ﴿مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾: كابن سلام، ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾: المتمردون في

---

(١) بل حقيقتان- والله أعلمُ.

(٢) فعن أبي أمامة عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ قال: هم الخوارج. رواه الترمذي (٤/ ٢٩٤/ ٤٠٨٦) وأحمد (٥/ ٢٦٢)، والطبراني في الكبير (٨/ ٣٢٥).

الكفر، ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾: ضرًّا يسيرًا كطعن، ﴿وَإِن يُقَـٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾: ينهزمون، ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ۞ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾: كضرب قُبَّةٍ كما مَرَّ، ﴿أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟﴾: وجدوا دائمًا، ﴿إِلَّا﴾: حال كونهم معتصمين، ﴿بِحَبْلٍ﴾: بذمة، ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ﴾: أمان وعهد، ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: المسلمين، أي: هم أذلاء دائمًا، إلا في هذه الحالة، ﴿وَبَآءُو﴾: رجعوا، ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ﴾: الجزية والفقر، ﴿ذَٰلِكَ﴾: الضرب والبوء، ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾: عندهم، ﴿ذَٰلِكَ﴾: الكفر والقتل، ﴿بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾: فُسِّر مرَّةً، ولما قالَ[1]: ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ حينئذٍ قال: ﴿لَيْسُوا۟﴾: أهل الكتاب، ﴿سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾: مستقيمة عادلة، مسلموهم[2]، من أقمتُ العود فقام، ﴿يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾: القرآن، ﴿ءَانَآءَ﴾: ساعات، ﴿ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾: يصلون العشاء والتهجد، فإن أهل الكتاب لا يصلونهما، ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ بلا إلحاد في صفاتهما ﴿وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾: بخلاف اليهودِ في الكل، ﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ﴾: الموصوفون، ﴿مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾: ممن صلحت أحوالهم عند الله، ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾: بنقص ثواب، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ﴾ تدفع ﴿عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ﴾: عذاب، ﴿ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ كما مَرَّ ﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ۞ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ﴾: الكفرة [منَ] القُربِ[3] وغيرها، ﴿فِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: في طاعة، ﴿كَمَثَلِ﴾: مهلك، ﴿رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾: برد وأصله: صوت ريح باردة من الصرير برد شديد محرق، ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾: بالمعاصي، ﴿فَأَهْلَكَتْهُ﴾: أي: الريح الحرث، فلا ينتفعون بإنفاقهم في القيامة كما لا ينتفعون بزرعهم عند الاحتياج، أو من التشبيه المركب، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾: لم يفعل بهم ما ليسوا أهلًا له، ﴿وَلَـٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: بارتكاب موجبات العقوبة، ثم حذَّرنا عَنْ مكرهم بقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً﴾: هي خاصة الرجل والمطلع على

---

(١) من (ع) لوضوحها فيها، وسقطت من (ن)، وهي محرفة في (س).

(٢) يعني: هُمْ مسلموهم.

(٣) جمع قُربَةٍ وهي الطاعة والصّدقة.

أسراره، ﴿مِّن دُونِكُمْ﴾: دون المسلمين، ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ﴾: لا يقصرون لكم، ﴿خَبَالًا﴾: فسادًا، ﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: عنتكم، أي: شدة ضرركم ﴿قَدْ بَدَتِ﴾: ظهرت، ﴿ٱلْبَغْضَآءُ﴾: شدة العداوة، ﴿مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾: في كلامهم، ﴿وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾: مما بدا، ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ﴾: الدالة على وجوب الإخلاص، ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾: ما بُيِّنَ لكم، ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ﴾: المخاطبون في موالاتهم، ﴿تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾: وهم لا يؤمنون بكتابكم فهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم، ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾: نفاقًا، ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ﴾: بعضهم من بعض، ﴿عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ﴾: أجل، ﴿ٱلْغَيْظِ﴾: حيث لم يجدوا إلى دفعكم سبيلًا، ﴿قُلْ﴾: يا محمد، ﴿مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ﴾: دعاء بتضاعف غيظهم إلى موتهم بتضاعف قوة الإسلام، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ﴾: بما في، ﴿ٱلصُّدُورِ﴾: من الغيظ وغيره فيجازي، ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ﴾: تصبكم أدنى إصابة، ﴿حَسَنَةٌ﴾: خير، ﴿تَسُؤْهُمْ﴾: تحزنهم، ﴿وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾: ضر، ﴿يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ﴾: على أذاهم، ﴿وَتَتَّقُواْ﴾: المعاصي، ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ بكسر الضاد[1] من ضاره يضيره ﴿كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾: والكيد: احتيالك لتوقع غيرك في مكروه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾: علمه فيجازي، ﴿وَ﴾: اذكر، ﴿إِذْ غَدَوْتَ مِنْ﴾: حجرة، ﴿أَهْلِكَ﴾: عائشة رضي[2] الله عنها، ﴿تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: تهيئ لهم، ﴿مَقَٰعِدَ﴾: أماكن، ﴿لِلْقِتَالِ﴾: في غزوة أحد، ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾: لأقوالكم، ﴿عَلِيمٌ﴾: بضمائركم فيجازيكم، ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ﴾: بنو حارثة وبنو أسد[3]، ﴿أَن تَفْشَلَا﴾: تجبنا وتنصرفا، ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾: ناصرهما، فكيف تَفْشَلاَن، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: لا على العَدَد، ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ مَاءٌ بين الحَرَمين، كان لرَجُل اسمُهُ بدر [فسُمِّي بهِ]، ﴿وَأَنتُمْ

---

(١) قرأ المطوعي: (يضِركم) بكسر الضاد المعجمة، وهي قراءة ابن كثير ونافع ويعقوب.
* إتحاف فضلاء البشر (١٧٨).

(٢) تفسير الطبري (٧/ ١٦٠)، والوسيط (١/ ٤٨٥)، فتح القدير (١/ ٣٧٧).

(٣) وقيل: بني سلمة وبني حارثة. * الوسيط (١/ ٤٨٦)، وهو الصحيح رواه البخاري (٦/ ٧٧).
وانظر: غرر التبيان- لابن جماعة (٢٢٨).

﴿أَذِلَّةٌ﴾: عَدَدًا وعُدَدًا، آثره على ذَلائل[١] ليُفْهَم قلتهم[٢]، ﴿فَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: تنعمون وضع الشكر موضع الإنعام؛ لأنه سببه، أو راجينَ دخولكم في الشاكرين، ﴿إِذْ﴾: ظرف لنصركم، ﴿تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ ءَالَافٍ مِّنَ الْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾: لنصركم، ﴿بَلَىٰٓ﴾: يكفيكم، ثم وعد الزيادة بقوله: ﴿إِن تَصْبِرُواْ﴾ على العدوِّ ﴿وَتَتَّقُواْ﴾: مخالفتي، ﴿وَيَأْتُوكُم﴾: الكفار، ﴿مِّن فَوْرِهِمْ﴾ من ساعتهم ﴿هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم﴾: أي: سريعًا أو من غضبهم بلا تأخر، ﴿بِخَمْسَةِ ءَالَافٍ مِّنَ الْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾: مرسلين أو معلمين بالعمائم البيض والأصواف البيض أو الخُضْر[٣] في نواصي الخيل.

واعلم أنه تعالى أَمَدَّهم في بدر أولاً بألف للقتال مثل عدد الكفار، فقال: ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ﴾ ثم بألفين آخرين، ثم ألفين آخرين للشوكة كما يشعر به ﴿مُرْدِفِينَ﴾ فلا تنافي هنا ولا ينافي ذلك: ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ﴾، أو: «إذ» بدل من: ﴿إِذْ غَدَوْتَ﴾، فهو في أحد ونزلوا، ولم يقاتلوا لعدم الصبر والتقوى المشروطين كذا عن مجاهد[٤]، ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾: أي: الإمداد، ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ﴾: بشارة، ﴿لَكُمْ﴾: بالنصر وبأنكم على الحق، ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾ لتسكن ﴿قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ﴾ الغالب ﴿الْحَكِيمِ﴾: في أفعاله، ونصركم ﴿لِيَقْطَعَ﴾: لينقص، ﴿طَرَفًا﴾: جانبًا، ﴿مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾: بالقتل والسبي والفرار ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾: يخزيهم، وأو للتنويع، ﴿فَيَنقَلِبُواْ﴾: يرجعوا، ﴿خَآئِبِينَ﴾: منقطعي الآمال، ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾: من إصلاحهم وعقابهم، ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ عُطفَ على ﴿يَكْبِتَهُمْ﴾ وما قبله اعتراض أو بمعنى «إلا» أن

---

(١) جمعُ ذَلِيْل أيضًا.

(٢) لأنه جمعُ قِلّة.

(٣) انظر: بيان ألوان ألويته ﷺ للإمام الغُنيمي (٢٢/ بتحقيقي).

(٤) الصحيح أن الملائكة قاتلت وقتلت الكفار ببدر فروى مسلم في صحيحه (٣/ ١٣٨٤، ١٣٨٥/ ١٧٦٣): «بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في إثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم، فنظر إلى المشرك أمامه، فخر مستلقيًا، فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط، فأحضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله- ﷺ- فقال: **صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة** فقول مجاهد ضعيف.

﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾: فيستحقوا العذاب، ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: فله الأمر، ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: فلا تدع عليهم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا ٱلرِّبَوٰٓا أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾: هذا توبيخ لا تقييد أو بيان بحسب الواقعة، ﴿وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ وَٱتَّقُوا ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾: بالذات[1]، وللعاصين بالعرض خلافًا للمعتزلة، قال أبو حنيفة -رضي الله عنه-: هي أخوف[2] آية لآكليه لوضعهم موضعهم تغليظًا، ﴿وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ وَسَارِعُوٓا﴾: بادروا وورد أن العجلة من الشيطان إلا في خمسة مواضع: التوبة من الذنب، وقضاء الدين الحَالّ، وتزويج البكر البالغة، ودفن الميت، وإكرام الضيف إذا نزل، ﴿إِلَىٰ﴾: موجبات، ﴿مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾: أي: كسبع سموات وأرضين لو وصل بعضها ببعض بحيث تَصِيرُ سَطْحًا[3] من أجزاء لا تتجزأ، فكيف بطولها كذا قاله ابن عباس[4] وأراد المبالغة في سعتها أو العرض: الشمس[5] أو السعة ولا يرد أنها كيف سعتها مثلها، وهي في السماء؛ لأنها في الكرسي والسموات في جنبه كحلقة في فلاة[6]، وسقفه عرش الرحمن[7]، وسئل -صلى الله عليه وسلم-: فأين النار حينئذ ؟ فقال -صلى الله عليه وسلم-:

---

(١) في هامش (ن): بلغ مقابلة.

(٢) الكشاف- للزمخشرى (١/ ٤١٤) وفيه: كان أبو حنيفة رحمه الله يقول: هي أخوف آية في القرآن.

(٣) الكشاف (١/ ٤١٥)، البيضاوي (٨٩).

(٤) الجامع- للقرطبي (٤/ ٢٠٤)، البحر المحيط (٣/ ٥٨)، الوسيط (١/ ٤٩٢).

(٥) كذا في (ح).

(٦) عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله: أي آية أعظم؟ قال: **«آية الكرسي، ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة»**.

رواه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٢٩٩/ ٨٦١)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥٧٠/ ٢٠٦)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٦٨) وابن عدي في الكامل (٧/ ٢٦٩٩) وسنده ضعيف.

(٧) يشير إلى حديث أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: **«من ءامن بالله ورسوله وأقام الصلاة، وصام رمضان، كان حقًّا على الله أن يدخله الجنة هاجر أو جلس في أرضه التي ولد فيها.**

قالوا: يا رسول الله ! أولا نبشر الناس بذلك ؟ قال: **إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم فاسألوه الفردوس فإنه * أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة»**.

رواه البخاري (١٣/ ٤٠٤/ ٧٤٢٣)، وأحمد (٢/ ٣٣٥)، وابن أبي عاصم في كتاب الجهاد =

«سبحان الله إنه إذا جاء النهار فأين الليل؟»(١)، فاطلع -ﷺ- به الخاصة على ما بينه بقوله: «ما لا عين رأت ولا أذن سمعت»(٢) وعن ابن عباس: «إن لله عوالم هذا أحدها»(٣)، ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾: بالذات ولغيرهم بالتبع، كما قال: أُعِدَّ القَصْر للسُّلْطان، ودلَّت على أنها مخلوقة، ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي﴾ حَال ﴿ٱلسَّرَّآءِ﴾: اليسر، ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾: العسر، ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾: الممسكين عليه من كظمت القربة إذا ملأتها وسددت رأسها، وفي الحديث: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وهُوَ يَقْدرُ على إنفاذه ملأ الله قلبه أمنًا وإيمانًا»(٤) الكافين عن إمضاءه مع القدرة، ﴿وَٱلْعَافِينَ﴾: التاركين العقوبة، ﴿عَنِ ٱلنَّاسِ﴾: المستحق عليهم، ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: أي: يحبهم، ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَـٰحِشَةً﴾: قبيحة بالغة في القبح، ﴿أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾: بما دونها، ﴿ذَكَرُواْ ٱللَّهَ﴾: أي: وعيده، ﴿فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن﴾: أي: لا، ﴿يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ﴾: في الحديث: «مَا أَصَرَّ مَن استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة»(٥)، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: أنها معصية، ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾: جزاء الذين، ﴿جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾: المغفرة والجنات، أفاد بتنكير جنات: أنَّ ما لهم أدْوَنُ ممّا للمُتقين، كما أفاده بوصفهم بالإحسان، ووصف هؤلاء بالعمل، ﴿قَدْ خَلَتْ﴾: مَضَتْ ﴿مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾: وقائعُ سنَّهَا الله تعالى في الأمم الماضية، ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: حقيقة لتعتبروا بآثار هلاكهم أو مجاز عن إجالة الخاطِر، ﴿فَٱنظُرُواْ﴾: لها بالعين أو بالبصيرة، ﴿كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾: واعتبروا،

= (٢/ ٥٤٤/ ٢١٢)، وابن منده في الإيمان (١/ ٢٨٤/ ١٣٦)، وابن حبان (١٠/ ٤١٧).

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢١٢٦) وسنده ضعيف.

(٢) قال الله تعالى: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» رواه أحمد (٢/ ٤٦٦)، والبخاري (٦/ ٣٢٤٤)، ومسلم (٤/ ٢٨٢٤)، والترمذي (٥/ ٣١٩٧)

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ١٠٢).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب (١٢/ ١٩)، وبنحوه أبو داود في سننه (٤٧٧٨)، والطبراني في الأوسط (٦٠٢٣) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٨٢٣)، والضعيفة.

(٥) أخرجه أبو داود في سنه (٢/ ١٥١٤)، والترمذي (٥/ ٣٥٥٩)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٠٠٤) والمشكاة (٢٣٤٠)، وضعيف أبي داود (٢٦٧)

﴿هَٰذَا﴾: الخلوّ المذكور ﴿بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾: عامة، ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ۝ وَلَا تَهِنُوا﴾: لا تضعفوا عن الحرب، ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾: على مَغْلوبيَّتكم في أُحُدٍ ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾: الغالبون في الدارين، ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: فإن الإيمان يقتضي الشجاعة بالوثوق بالله، ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾: يوم أحد، وهُو بالفتح جرح، وبالضم ألم[١]، ﴿فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ﴾: المشركين، ﴿قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾: في بدر وهم لم يجبنوا، فإنهم أحق به، ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ﴾: أيام الدنيا، ﴿نُدَاوِلُهَا﴾: نصرفها في تحقيق الحجة وتشديدها لا لأنه- تعالى- لا ينصره وَإنما لم يكُنْ أبدًا للمؤمنين؛ لأنه أدعى إلى احتقار الدنيا، ﴿بَيْنَ النَّاسِ﴾: مَرَّة لهؤلاء ومَرَّةً لهؤلاء لمصالح لا تُحْصَى، ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾: علم ظهور، أو القصد في أمثاله ونقائضه إثبات معلومه ونفيه بطريق البرهان، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ﴾: أي: ليلزمكم بالشهادة في سبيله، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾: فتغليبهم ليس لمحبتهم بل لامتحانهم، ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾: ليخَلِّص ويُصَفِّي، ﴿اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: من الذنوب بمغلوبيتهم، ﴿وَيَمْحَقَ﴾: يهلك، ﴿الْكَافِرِينَ﴾: بغالبيتهم، فإنهم إذا ظفروا بغوا، وهو سبب هلاكهم، والمَحْقُ: النَّقْصُ قليلًا قليلًا، ﴿أَمْ﴾ بل ﴿حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ﴾: علم ظهور، ﴿الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ﴾: أي: ولم يجاهدوا، ﴿وَيَعْلَمَ﴾: نُصِبَ بواو الصرف عن العطف، ﴿الصَّابِرِينَ﴾: على القتال، أي: لا تدخلونها، والحال أنكم لم تجاهدوا ولم تصبروا، ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾: الشهادة، ﴿مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾: ذلك حين قتل إخوانكم، فأنتم تمنيتم غلبةَ الكفار بتمني الشهادة لما شاع يوم أحد أن محمَّدًا قتل وقال المنافقون للمؤمنين: الحقوا بدينكم الأول، نزلت[٢]: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ﴾: مضت، ﴿مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾: بالقتل أو الموت، ﴿أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾: إلى دين آبائكم.

---

(١) قرأها حمزة والكسائي وعاصم وخلف والأعمش وشعبة بضم القاف.- إتحاف فضلاء البشر (١٧٩)، البحر المحيط (٣/ ٦٢)، السبعة (٢١٦)، معاني القرآن للفراء (١/ ٢٣٤)، قال السمين: قرئ بفتح القاف وضمها، فقيل: المفتوح مصدر، والمضموم ألم الجراحات، وقال آخرون: المفتوح الأثر من الجراحة من شيء يصبه من خارج والمضموم أثرها من داخل كالبثرة. * عمدة الحفاظ (٣/ ٢٩٢).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٤/ ٧٤، ٧٥) بإسناد ضعيف جدًا.

واعلم أن القتل إزالة الروح عن الجسد كالموت، لكن إذا اعتبر بفعل متولي ذلك، يقال: قتل أو بفوت الحياة، يقال: مات، ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾: بل يضر نفسه، ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾: على نعمة الإسلام، ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: فلا أثر للجُبْن والشَّجاعَة فقد كتب ذلك، ﴿كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾: مؤقتًا، ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾: بعمله، ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾: إن أردنا، وفيه تعريض لمن سبقتهم الغنائم يوم أحد، ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾: كمن ثبت وحارب، ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾: من ثوابها، ﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾: نعمة الله، ﴿وَكَأَيِّن﴾: كم، ﴿مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ﴾: ربانيون كما مر، أو عابدون لربهم جماعات منسوب إلى ربه أي: الجماعة، ﴿كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟﴾ افتروا خوفًا ﴿لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: من قتلهم أو قتل نبيهم، ﴿وَمَا ضَعُفُوا۟﴾: عن العدو، ﴿وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾: ما خَضَعُوا للعدُو، والاستكانة الخضوع عَن ذُلٍّ، ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ﴾: مع ثبوتهم، ﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾: في الحروب، ﴿وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾: بالنصر والغنيمة، ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: إذ قالوا يوم أحد: ارجعوا إلى دين آبائكم، ﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾: إلى الشرك، ﴿فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾: في الدارين، ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾: ناصركم، ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾: فلا تستنصروا من غيره، ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾: حين أرادوا في رجوعهم من أحد إلى مكة الكَرَّ إلى المسلمين لاستئصالهم والسين للتأكيد لنزولها بعده، ﴿بِمَآ أَشْرَكُوا۟﴾: بسبب إشراكهم، ﴿بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ﴾ أي: بإشراكه، ﴿سُلْطَٰنًا﴾: حُجَّةً، المُراد: عدمه، مثل: لا تُفْزِع الأرنب أهوالها[1]. ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: أي: مثواهم،

---

(١) كذا - وقد اكتفى بصدر البيت، مع أن الشاهد في عجزه الذي لم يذكره، وهو:

*** ولا ترى الضب بها ينجحر ***

والبيت من السريع، وهو لابن أحمر، والشاهد فيه: النفي المطلق لوجود شيء فيها.
ديوان ابن أحمر (٦٧)، أمالي المرتضى (١/ ٢٢٩)، خزانة الأدب (١٠/ ١٩٢) و (١١/ ٣١٣)، الخصائص (٣/ ١٦٥، ٣٢١)، الكشاف للزمخشري (١/ ٤٢٦).

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ﴾: بالنصر بشرط الصَّبر والتَّقوى ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم﴾: تقتلونهم فإنهم قتلوا اثنين وعشرين من الكفار أول الأمر من أَحسَّهُ أي: أبطل حسه، ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾: بأمره، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾: جبنتم، ﴿وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾: حين اختلف الرماة في ترك المركز للغنيمة بعد انهزام المشركين، ﴿وَعَصَيْتُم﴾: الرسول بترك المركز ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم﴾ الله ﴿مَّا تُحِبُّونَ﴾: من الغنيمة، وجواب إذ مقدر أي: منعكم نصره، ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾: كتارك المركز للغنيمة، ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾: كمن ثبت فيه، وقاتل، ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ﴾: رَدَّكم، ﴿عَنْهُمْ﴾: بالهزيمة، ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾: ليمتحن ثباتكم، ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾: مخالفة الرسول في ترك المركز ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ واذكروا ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾: تبعدون في الهزيمة، ﴿وَلَا تَلْوُۥنَ﴾: لا تنتظرون من لوى، إذا كَرَّ عطف، ﴿عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾: لأحد منكم، ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾: جماعتكم المتأخرين، يقول: «إليَّ عباد الله[1] فأنا رسول الله، مَنْ مكَثَ فلَهُ الجَنَّة»، ﴿فَأَثَٰبَكُمْ﴾: جازاكم الله على فراركم، ﴿غَمًّۢا﴾: بما نيل منكم، متصلًا ﴿بِغَمٍّ﴾ هو إفْشَاءُ قتل محمد ﷺ، أو بسبب غم أذقتموه عليه الصلاة والسلام بمخالفتكم له، لتتعودوا على الصبر في الشدائد، وإليه أشار بقوله: ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾: من نحو الغنيمة ﴿وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ﴾: من نحو القتل، وحاصله التحريض على الصبر، ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۞ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ﴾: بعد ارتحال الكُفَّار، ﴿أَمَنَةً﴾: أمنًا، ﴿نُّعَاسًا﴾: بدل اشتمال منها، إذ نعس عليه الصلاة والسلام مع المؤمنين حينئذٍ، رُوِيَ أن النعاس في الصلاة من الشيطان، وفي القتال [أمنة] من الله تعالى، قاله ابن مسعود[2]، ﴿يَغْشَىٰ﴾: النعاسُ ﴿طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾: هم المؤمنون، ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾: هم المنافقون، ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ﴾: الظن، ﴿ٱلْحَقِّ ظَنَّ﴾: أهل، ﴿ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾: وهم أنهم ﴿يَقُولُونَ﴾ إنكارًا: ﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ﴾: مما أمر الله ووعد من النصر ﴿مِن

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٣٧٦)، والطبري في تفسيره (٧/ ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ١٣٠) سورة الأنفال.

شَيْءٍ﴾: نصيب، ﴿قُلْ﴾: يا محمد، ﴿إِنَّ ٱلْأَمْرَ﴾: النصرة الحقيقية، ﴿كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم﴾: من النفاق، ﴿مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ﴾: في خلواتهم، ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾: كما زعم محمد أن الله ينصر أولياءه ﴿مَّا قُتِلْنَا﴾: ما قُتل منَّا، ﴿هَٰهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ﴾: لخرج، ﴿ٱلَّذِينَ كُتِبَ﴾: قدر، ﴿عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾: مصارعهم بلا اختيارهم، فبرزوا لنفاذ قضاء الله بفعله ذلك، ﴿وَلِيَبْتَلِيَ﴾: ليمتحن، ﴿ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾: سرائركم، ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾: يكشف ويميز، ﴿مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ﴾ بمَا في ﴿ٱلصُّدُورِ﴾: وإنما يبتلي ليظهر للناس، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾: في أحد، ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ﴾: حملهم على الزلة[1]، ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ﴾: بشؤم بعض، ﴿مَا كَسَبُواْ﴾: من الذنوب، كترك المركز، ﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ﴾: ذلك، ﴿عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾: لا يعاجل بالعقوبة، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾: لأجل أصحابهم، ﴿إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: سافروا لغرض فماتوا سفرا، ﴿أَوْ كَانُواْ غُزًّى﴾: فقتلوا، جمع غاز، ﴿لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾: لا تقولوا ذلك، وقد مضى بيان الموت والقتل أيضًا، ﴿لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ﴾: القول، ﴿حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾: خاصة دون قلوبكم، ﴿وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾: لا الإقامة والسفر ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: من موافقتهم ﴿بَصِيرٌ ۞ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾: في سبيله، ﴿لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾: مِنْ حُطَام الدُّنْيا، ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾: لا إلى غيره فيجازيكم، ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ﴾: فاصلة للتأكيد، أي: بسبب رحمة عظيمة، ﴿مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ﴾: سَهُلَتْ أخلاقك، ﴿لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾: سيء الخلق، ﴿غَلِيظَ﴾: قاسي، ﴿ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ﴾: لتفرقوا، ﴿مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾: فيما لك عفوه، ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾: فيما لله، ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾: الذي ليس فيه وحي ممَّا يصحُّ أن يشاور فيه ليصير سنة، ولتطيب قلوبهم، ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾: عَلَيْهِ بعد الشُّوْرَى، ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: فيه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾: فينصركُمْ، ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ﴾: كما في أحد، ﴿فَمَن

---

(١) المعصية.

ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ﴾: بعد خذلانه، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ وَمَا كَانَ ﴾: ما صح، ﴿لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ﴾: يخون، ومجهولاً[١]: أي: ينسب إلى الخيانة أو يخان، ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ ﴾: حاملاً له على عُنُقه، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ ﴾[٢] أي: عن أموالكم وأولادكم ومعبودكم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ ﴾: جزاء، ﴿مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾: في العقاب، ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ﴾: بطاعته، ﴿كَمَنۢ بَآءَ ﴾: رجع، ﴿بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾: بمخالفته، ﴿وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾: هي، والفرق بينه وبين المرجع أنه يجب أن يخالف الحالَ الأولى دون المرجع، ﴿ هُمْ ﴾: من اتبع، ﴿دَرَجَٰتٌ ﴾ أي: ذَوُوا درجاتٍ، ﴿عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾: فيجازيهم به، ﴿لَقَدْ مَنَّ ﴾ أنعم ﴿ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ ﴾: جنس، ﴿أَنفُسِهِمْ ﴾: لا ملكًا[٣]، ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾: القرآن، ﴿وَيُزَكِّيهِمْ ﴾: يطهرهم من دنس الشرك، ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾: القرآن، ﴿وَٱلْحِكْمَةَ ﴾: السنة، ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ ﴾: قبل نبوته ﴿لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾: ظاهر ﴿أَ﴾ فعلْتُم كذا، ﴿وَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ ﴾: يوم أحد بقتل سبعين، والحالُ أنكم، ﴿قَدْ أَصَبْتُم ﴾: نلتم، ﴿مِّثْلَيْهَا ﴾: يوم بدر بقتل سبعين وأَسْر سبعين[٤] وجواب لما، ﴿قُلْتُمْ أَنَّىٰ ﴾: كيف أصابنا، ﴿هَٰذَا ﴾: الكسر، وقد وعدنا بالنصر، ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾: بترك المركز وأخذ الفِداء، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾: ومنه النصر والكسر، ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ﴾: المسلمون والمشركون في أحد، ﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾: فبقضائه، ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾: عُطفَ على بإذن ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ﴾: علم ظهور[٥] ﴿وَ﴾ الذين، ﴿قِيلَ لَهُمْ ﴾: وهم ابنُ أُبِّي وصَحْبه حين انصرفوا

---

(١) قرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وابن مسعود والحسن: (يُغَلّ) بضم الياء وفتح الغين المعجمة وتشديد اللام.

* إتحاف فضلاء البشر (١٨١) السبعة (٢١٨)، غيث النفع (١٨٥)، الكشاف (١/ ٢٢٧).

(٢) سورة الأنعام.

(٣) بفتح الميم واللام.

(٤) الوسيط (١/ ٥١٧)، معالم التنزيل (١/ ٤٤٣)، فتح القدير (١/ ٣٩٧).

(٥) أي: ليظهر إيمان المؤمنين بثبوتهم على ما نالهم ويظهر نفاق المنافقين بفشلهم وقلة صبرهم على ما =

في طريق أحد⁽¹⁾، ﴿تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟﴾: العدوّ بتكثير السواد ﴿قَالُوا۟﴾: استهزاءً: ﴿لَوْ نَعْلَمُ﴾: نُحسِنُ، ﴿قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ﴾ إلى التهلكة ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ﴾: أي: إليه، ﴿يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾: أي: إليه يعني قربهم إلى الكفر يومئذ يزيد على قربهم من الإيمان، ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾: من كلمة الإيمان، وكلمة: ﴿لَوْ نَعْلَمُ﴾ إلى آخره، والإضافة للتأكيد أو للتّصْوير؛ إذ القول قد يكون نفسيًّا، ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾: هم، ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾: لأجل أصحابهم المقتولين في أحد، ﴿وَ﴾ قد ﴿قَعَدُوا۟﴾ عن الحرب: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾: في الانصراف، ﴿مَا قُتِلُوا۟ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: أنكم تقدرون على دفع القتل المقدر، أفهم أنَّ القتل والموت شيئان، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟﴾: ببدر وأحد، ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ﴾: هم، ﴿أَحْيَآءٌ﴾ حياة روحانية عند الأكثر⁽²⁾ ومع بقاء الجسد عند بعضٍ، وقالت المعتزلة: المراد حياة القيامة، وصيغةُ الحال لتحقُّقها ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾: ذَوُو قُربةٍ منه ومضى بيانه في البقرة، ولما أراد مُعاويةُ [رضي الله عنه] إجْراء العين عند قبور شهداء أحد، أخرجهم أهلهم من قبورهم، وكانوا رِطَابًا، فأصابت المِسْحَاة⁽³⁾ أُصْبع واحدٍ منهم فانقطرت دمًا، ﴿يُرْزَقُونَ﴾: في دار الكرامة، ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾: دَلَّ على أنَّ الإنسان غير هذا الهيكل بل هو جوهر مدرك ملتذ متأمل بذاته، وفي الحديث: «**أَرْوَاحُ الشُّهَداء في أجواف طَيْرٍ خُضْر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل معلقة إلى ظل العرش**»⁽⁴⁾، أي: أرواحهم على نفوسهم التي بها تُدْركُ وتُميِّزُ، تحلُّ في أبدانها، فتنعم في الجنة، أو تمثل طيورًا خضر والمراد أنها تكتسب زيادة كمال، وهذا يلائم القناديل المذكورة، وسموا شهداء؛ لحُضُور أرْوَاحهم الآن بدار السلام، وأما

= ينزل بهم. * الوسيط (١/ ٥١٨).

(١) تفسير الطبري (٧/ ٣٧٨، ٣٧٩)، الدر المنثور (٢/ ٩٤).

(٢) الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله أحياء أرواحهم في أجواف طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت رواه مسلم في صحيحه (٢/ ١٥٠)، والترمذي في جامعه (٤/ ٢٩٨) وعبد الرزاق (٥/ ٢٦٣).

(٣) هي المجْرفَة التي يُحفَرُ بها ويسوّى بها التراب وهي المعروفة الآنَ بالكوريك.

(٤) انظر: الحديث السابق.

أرواح غيرهم فإنما يحضرون القيامة، أو لأن الله تعالى شهد لهم[1] حضور بالجنة، وقد مرَّ البحثُ في البقرة روي أنه يؤتى الشهيد بكتاب فيه: يقدم عليك فلان يوم كذا وفلان يوم كذا فيستبشر به قاله السدي، ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ﴾: يسرون بالشَّهادةِ، ﴿بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾: زمانًا أو رتبة ﴿أَ﴾ أن، ﴿لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: أي، ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾: بعدم الخوف والحزن على من خلفهم، ﴿بِنِعْمَةٍ﴾: ثواب، ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ﴾: زيادة عليه، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾: بخروجهم إلى حَمْرَاء الأسد[2] لما سمعوا كَرَّ الكُفَّار إليهم بعد رجوعهم من أحد لاستئصالهم، ﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾: الجرح في أحد، ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ﴾: بطاعة الرسول، ﴿وَٱتَّقَوْاْ﴾: مخالفته، ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ ۞ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾: رسول المشركين نعيم بن مسعود[3] مع أتباعه من المنافقين، ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ﴾: المشركين[4]، ﴿قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ﴾: بخروجهم من مكة إليكم، ﴿فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ﴾: هذا القول، ﴿إِيمَٰنًا﴾ بثبوت توبتهم ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا﴾: محسبنا أي: كافينا، ﴿ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾: هو، ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: الأجر وسلامة البدن، ﴿وَفَضْلٍ﴾: ربح، أي: من تجارة كسوق بدر، ﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾: كجرح، ﴿وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾: بطاعة رسوله، ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾: على مطيعيه، ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ﴾: القائل، أي: نعيم، ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ﴾: أي: يخيفكم من، ﴿أَوْلِيَآءَهُۥ﴾: من قعد عن الخروج مع الرسول، أو يخوفكم أولياء وهم أبو سفيان[5] وصحبه، ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ وَلَا يَحْزُنكَ﴾: المنافقون، ﴿ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى﴾ نُصْرةِ ﴿ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ﴾ دِيْنَهُ ﴿شَيْـًٔا﴾: من الضرر، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾: من الثَّواب، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْكُفْرَ

---

(١) في (ن): بهم.

(٢) المغازي (٣/ ٤٥، ٤٧)، جامع البيان (٤/ ١١٩)، دلائل النبوة - للبيهقي (٣/ ٣١٥، ٣١٧).

وحمراء الأسد: موضع على ثمانية أميال من المدينة عن يسار الطريق إذا أردت ذا الحليفة.

(٣) قبل أن يسلم - زاد المسير - لابن الجوزي (١/ ٥٠٤، ٥٠٥)، غرر التبيان - لابن جماعة (٢٣٢).

(٤) الوسيط (١/ ٥٢٣).

(٥) أسلم - رضي الله عنه - يوم الفتح، وحَسُنَ إسْلامُهُ.

بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾: تعميم للكفرة بعد تخصيص المنافقين، ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ ﴾: بدل من المفعول الأول واقتصر على مفعول واحد؛ لأن التَّعويل على البدل، وهو ينوبُ عن المفعولين والإملاء: الإمهال وإطالة العمر، ﴿خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ ﴾: نُمْهِلهم، ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۞ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ ﴾: يا معشر المؤمنين والمنافقين من الالتباس والاختلاط، ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ ﴾: المنافق، ﴿مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾: المؤمن المخلص بالوحي أو التكاليف، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ ﴾: فتعرفوا الفريقين لما فيه من رفع المحنة، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾: فيخبره ببعضه ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾: مخلصين، ﴿وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ ﴾: المعاصي، ﴿فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۞ وَلَا يَحْسَبَنَّ ﴾: بخل، ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ ﴾: بخلهم، ﴿خَيْرًا لَّهُمۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ ﴾: ولم يؤدوا زكاته ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: فيجعل ماله حية يطوق في عنقه وينهشه من فرقه إلى قدمه[(١)]، ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: حين يفني جميع الملاك، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: فيجازيكم، ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ﴾ لأبي بكر حين بلغهم أمر الرسول بأن يقرضوا الله قرضًا حسنًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾: فيقرض متاعه- قاله فِنْحَاصُ بن عازوراء وقَوْمُه[(٢)]، ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ ﴾: في صحائف الكتبة، أو مجاز[(٣)] عن عدم النسيان، ﴿وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾: عندهم، فإن رضاهم بفعل آباءهم كفعلهم كما مَرَّ، ﴿وَنَقُولُ﴾: لهم، ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾: المحرق مُبالغة كما مرَّ في أليم، والذَّوق: إدراكُ الطُّعوم، وأُطْلق اتساعًا على إدراك سائر المحسوسات والحالات، ﴿ ذَٰلِكَ ﴾: العذاب، ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾: مجاز عن الأنفس، لأن أكثر

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٢٤٤)، والترمذي في جامعه (٥٠٠٠)، وأحمد (١/ ٣٧٧)، والنسائي (٥/ ١١).

(٢) تفسير الطبري (٤/ ١٢٩)، الدر المنثور (٢/ ٣٩٦).

(٣) لا مجالَ له هنا- واللهُ المستعانُ.

أعمالها بهن[1]، ﴿وَأَنَّ﴾: بأن، ﴿ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ﴾: بكثيره لقوله، ﴿لِّلْعَبِيدِ﴾: توزيعًا، فالمبالغة في الكم، ولذا قال: عالم الغيب، وعلام الغيوب، ومحلقين رؤوسكم، أو لأن أدنى ظلم من العظيم، فالمبالغة في الكيف، أو لأن صفاته تعالى في الرتبة العليا، ودل بالعطف على أن سببيته مقيدة بانضمامه إليه، إذ لولاه لأمكن أن يُعذبهم بلا ذنب، لا أنْ لا يعذبهم بذنوبهم، إذ ترك عذاب المسيئ ليس بظلم شرعًا ولا عقلًا، حتى ينتهض سببًا للتعذيب، وليس في القرآن نص على أن الإحسان مع المسيئ في القيامة من الله ظلم كما قاله بعض، وكون العدل يقتضي إثابة المحسن، ومعاقبة المسيئ لا يستلزمه لأن الإحسان مع المسيئ تفضل، وهو فوق العدل، وأنه أفاد أن التخصيص بالذكر لا يدل على نفي ما عداه، ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ﴾: أوصانا، ﴿أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ﴾: أي: من تَصَدَّقَ من أمته بصدقة متقبلة تنزل نار من السماء فتأكلها، أي: تحيله إلى طبعها بالإحتراق، ﴿قُلْ﴾: يا محمد إلْزامًا لهم: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بالمعجزات الظَّاهرات، ﴿وَبِٱلَّذِي قُلْتُمْ﴾: من النار، ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: في اتباع من جاء بها، ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾: فليس ببدع، ﴿فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ من المعجزات ﴿وَٱلزُّبُرِ﴾: جَمعُ زَبُورٍ هو: ما نزل عليهم باعتبار ما فيه من الزواجر فإن الزبر هو الزجر، ﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾: ما نزل باعتبار جمعه للشرائع والأحكام، ﴿ٱلْمُنِيرِ﴾: المضيئ، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ﴾: تعطون تامة، ﴿أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ﴾ بُعِّدَ ﴿عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾: ظفر ببُغْيتِه، أفهم إمكان الدخول في غيرهَا، كالأعراف، ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ﴾ العيش في ﴿ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾: الغرور تحتمل الأفراد والجمع، متاعٌ يُدلَّسُ به على المُسْتَام[2] فيغتر ويشتريه، وهذا لغير أهل الآخرة، إذ هي لهم ﴿مَتَٰعٌ﴾ بلاغ، أي: كفاية، والله ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾: لتختبرن، ﴿فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾: بالإنفاق، ﴿وَأَنفُسِكُمْ﴾: بالأمراض والحقوق، ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ

---

(١) يعني: بالأيدي.

(٢) الذيْ يُسَاوِمُ في السِّلْعَةِ.

﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا﴾: من الهجاء وغيره، ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ﴾: عليه ﴿وَتَتَّقُواْ﴾: الله، ﴿فَإِنَّ ذَٰلِكَ﴾ كُلًّا منهما ﴿مِنْ عَزْمِ﴾: أي: معزومات، ﴿ٱلْأُمُورِ﴾: أي: واجباتها ومقطوعاتها، وأصله ثبات الرأي على الشيء نحو إمضائه، ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ من العلماء بلسان أنبيائهم، والله، ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ﴾: أي: كل الكتاب[١] الآن، ﴿لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾: في الاستقبال، ﴿فَنَبَذُوهُ﴾: الميثاق، ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ أي: ما التفتوا إليه، ﴿وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: من حُطَام الدنيا، ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ أي: يختارون لأنفسهم، ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ﴾: فعلوا، كتدليس اليهود في أحكام التوراة، ﴿وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ﴾: من نحو إظهار الحق، ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم﴾: تأكيد، ﴿بِمَفَازَةٍ﴾: بمنجاة، أي: فائزين بنجاة، ﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: عن ابن عباس: أنه مخصوص باليهود[٢]، أي: في فعلهم المذكور، ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: وعجائبهما، أي: كما مر، ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: طولًا وقصرًا، وتخصيص الليلية لشمولها أنواع التغير، أي: في الذات كالليل والنهار، وفي الجزء كصور العناصر، وفي الخارج كأوضاع الفلك، وهو الجزء الخارج، وهو مناط الاستدلال[٣]، ﴿لَءَايَٰتٍ﴾: دلائل، ﴿لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: على وجوده ووحدته، وعلمه وقدرته تعالى في الحديث: «ويل لمن قرأها ولم يتفكَّرْ فيها»[٤]، ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ﴾: يُصَلُّوْنَ، ﴿قِيَٰمًا﴾: قائمين، ﴿وَقُعُودًا﴾: قاعدين إن لم يقدروا، ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾: إن لم يقدروا قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا، المراد ذكره دائمًا، ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ

---

(١) يعني حالًا؛ لأن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٩٩) وصححه.

(٣) أنوار التنزيل – للبيضاوي (٩٩) بهامش المصحف.

(٤) في الحديث: فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله! لم تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر؟ قال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا؛ لقد نزلت علي الليلة آية، ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها** ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية كلها. رواه ابن حبان في صحيحه (٢/ ٣٨٦، ٣٨٧/ ٦٢٠) (٧) كتاب الرقائق، (٢) باب التوبة– وسنده صحيح.

﴿فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: مستدلين قائلين: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾: عبثًا، بل لحكم[1]، ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾: تنزيهًا لك من العبث، ﴿فَقِنَا﴾: أشار بالفاء إلى أن علمنا به حملنا على الاستعاذة، ﴿عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ﴾: للخلود، ﴿فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾: أهنته غاية، وأما إدخال المؤمن فللتطهير،وأفهم أن العذاب الروحاني أفظع، والخِزْي: لحوق انكسار إما من نفسك، وهو الحياء المفرط، أو من غيرك وهو نوع من الاستحقاق والآية تحتملهما، ولا يلزم منه ومن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾[2] ألا يدخل مؤمن في النار؛ لأنَّه من الخزاية، وهي النكال والفضيحة، وكل من يدخل النار يهان، ولا يلزم أن يعطف الذين على النبي ويمكن أن قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ ابتداء كلام، ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾: يخلصونهم، ولا يلزم منه نفي الشفاعة كما للمعتزلة، لأنها طلب دفع على سبيل التخضع، والأول دَفْعٌ بقهر ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾: محمدًا[3] أو القرآن[4]، ﴿يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ﴾ أي: بأن، ﴿ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾: وهو بمجرد الفضل، ﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾: وهو محوها بالحسنات أو الأول في الكبائر، والثاني في الصغائر، تكرار، ﴿وَتَوَفَّنَا﴾: محشورين، ﴿مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ۝ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ﴾: ألسنة، ﴿رُسُلِكَ﴾: من الفضل والدعاء بما هو كائن للتخضع، وهو استعجال للنصر الموعود، وهو غير مؤقت، ﴿وَلَا تُخْزِنَا﴾: تَفْضَحْنا، ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ بإثابة المؤمن ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ﴾ استجاب: يعدى باللام وبنفسه ﴿رَبُّهُمْ أَنِّى﴾ بأني ﴿لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾: الذكر من الأنثى وعكسه، لاتحادهما دينا، فهما شيئان في الوعد، ثم فَصَّلَ العَمَل بقوله: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟﴾: في الجهاد، ﴿لَأُكَفِّرَنَّ﴾: لأمحون، ﴿عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى

---

(١) جمع حكمة.

(٢) سورة التحريم.

(٣) من قول ابن عباس والأكثرين. * الوسيط (١/ ٥٣٤).

(٤) وهو قول محمد بن كعب القرظي. * الوسيط (١/ ٥٣٤).

﴿مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: يثابون، ﴿ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾: على الطاعة، ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ﴾ أيها السَّامع ﴿تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾: من تبسُّطِهم في مكاسبهم أيها السامع، أي: لا تنظر إلى سعتهم يا محمد على عدم الاغترار، أي: لا تنظر إلى سعتهم، هو ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾: لقلة مدته، ﴿ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾: المقر هي، ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾: هو ما يُعَدُّ للنازل قبل ضيافته فكيف بها، ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾: مما يتقلبون فيه، ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾: القرآن، ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾: هو ابن سلام وصحبه[١]، أو النجاشيّ وصحبه[٢]، ﴿خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: مثل المحرفين منهم، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾: فيسرع في الجزاء الموعود، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟﴾: على الطّاعةِ والشدائد، ﴿وَصَابِرُوا۟﴾: غالبوا أعداءه في الصبر على شدة الحرب، ﴿وَرَابِطُوا۟﴾: أنفسكم على الطاعة في دوام الذكر، أو خيولكم وأبدانكم في الثغور، ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: بالتبري عما سواه، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: بنيل المقامات الثلاث الشريفة، وهي الصبر على مشاق الطاعة، والطريقة، وهي مصابرة النفس في رفض العادات والحقيقة[٣]، وهي مرابطة السير على جناب الحق لترصد الواردات.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٤/ ١٤٦) وسنده ضعيف جدا.

(٢) عن أنس- رضي الله عنه- قال: لما جاء نعي النجاشي؛ قال رسول الله ﷺ: «صلوا عليه»، قالوا: يا رسول الله ! نصلي على عبد حبشي ؟ ! فأنزل الله- عز وجل-: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ...﴾ الآية.

رواه النسائي في تفسيره (١/ ٣٥٦/ ١٠٨)، والطبراني في الأوسط (٥/ ٢٢٣/ ٥١٤٧)، والضياء في المختارة (٦/ ٦٣/ ٢٠٣٩)، والبزار (١/ ٣٩٢/ ٨٣٢/ كشف) والواحدي في أسباب النزول (٩٣، ٩٤)، والوسيط (١/ ٥٣٦) وسنده صحيح.

(٣) هذا كلام الصوفية، ونحوه عن داود بن صالح قال: قال لي أبو سلمة بن عبد الرحمن: يا ابن أخي ! هل تدري في أي شيء نزلت هذه الآية: ﴿ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟﴾؟ قال: لا، قلت: يا ابن أخي ! أنه لم يكن في زمان النبي ﷺ غزو يرابط فيه، ولكن انتظار الصلاة بعد الصلاة.

* رواه ابن المبارك في الزهد (١/ ٣٦٣/ ٣٨٩)، والطبري في تفسيره (٤/ ١٤٨)، والحاكم (٢/ ٣٠١)، والبيهقي في الشعب (٦/ ١٨٢/ ٢٦٣٨) وسنده ضعيف.



سورة النساء[(١)] مدنية[(٢)]



لَمَّا أمرنا بالتَّقْوى لنسلك في سلك المفلحين، كرَّر الأمرَ بها بأبلغ الوجوه فقال، ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۞ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾: أي: عقابه، ﴿الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾: آدم، ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا﴾: من ضِلع منه، ﴿زَوْجَهَا﴾: حواء، ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾: كثيرة، فيه تنبيه على أكثريتهم لحكمةٍ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ﴾: يتساءلُ بعضكم [بَعْضًا][(٣)] بقَضَاءِ حَوَائجه به بقولكم: أسألك بالله وبالرَّحم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾: لا تقطعوها، وبالجرِّ[(٤)]: أي: وبالإرحام بقولكم: أسألك بالله وبالرحم، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾: حافظًا مُطَّلعًا، ﴿وَآتُوا الْيَتَامَى﴾: إذا بلغوا، ﴿أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا﴾: تستبدلوا، ﴿الْخَبِيثَ﴾: الحرام من أموالهم لجودته، ﴿بِالطَّيِّبِ﴾: الحلال من أموالكم لرداءته، ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ﴾: مُنضمَّة، ﴿إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾: بلا تمييز بينهما، فالقيد للتشنيع، ﴿إِنَّهُ﴾ الأكل، ﴿كَانَ حُوبًا﴾: إثمًا، ﴿كَبِيرًا ۞ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا﴾: تعدلوا، ﴿فِي الْيَتَامَى﴾: يتامي النساء إذا تزوجتم بهن، إذ كانوا يتزوجون كثيرهن لمالهن وجمالهن، ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾ غيرهن أو طاب بمعنى أدرك، وبلغَ، مِنْ: طابت الثمرة: أدركت، أي: فانكحوا البالغة وغيرهن، ونبه «بما» على قلة عقلهن مع إرادة الصفة، أي: انكحوا الطيبة، ﴿مَثْنَى﴾: ثنتين ثنتين، ﴿وَثُلَاثَ﴾: ثلاثًا ثلاثًا، ﴿وَرُبَاعَ﴾: أربعًا أربعًا، أي: انكحوا ما شئتم من هذا العدد المذكور متفقين ومختلفين فيه، ودل على معنى التسع؛ لأنه

---

(١) في هامش نسخة (د): سورة النساء مدنية وهي مائة وست وسبعون آية وعند البصريين خمس ثم نزلت: إذا زلزلت. كلماتها (٣٧٤٥) وحروفها (١٦٠٣٠).

* وانظر: عدد سور القرآن – لأبي القاسم ابن عبد الكافي (٢١٣) وفيه (٣٧٤٥) كلمة، البصائر (١/ ١٦٩)، القول الوجيز (١٨١)، البيان – للداني (١٤٦).

(٢) في هامش (ن): بلغ مُقابلة.

(٣) كذا– و يحتملُ أن تكون العبارَةُ أيضًا: يتساءَلُ بعضكُم بعضًا حوائجَهُ بهِ.

(٤) الحجة– لابن خالويه (١١٨، ١١٩)، السبعة (٢٢٦)، النشر (٢/ ٢٤٧)، البحر المحيط (٣/ ١٥٧، ١٥٩).

حينئذٍ: تُسَاع، نعم لو قال: ثنتين وثلاثا وأربعا؛ لكان جائزًا، ومثل ذلك ممنوع في القرآن؛ لأن العدول من عدد إلى أجزائه إما لغرض كاختلاف الحكم في: «ثلاثة أيام في الحج» إلى آخره، أو لنحو استدراك عن نسيان، وهو محال، ولو أتى بأو لذهب تجويز الاختلاف، ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾: بين هذه الأربعة، ﴿فَوَاحِدَةً﴾: فاختاروا واحدة، ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: من السراري، فُهِمَ من تَسْوِيتهما أنْ لا قسم مَعهنَّ، ﴿ذَٰلِكَ﴾: الاختيار، ﴿أَدْنَىٰ﴾ أقرب إلى ﴿أَلَّا تَعُولُوا﴾: تجوروا.

* **تنبيه:** فسره الإمام الشافعي[١] رضي الله تعالى عنه بأن لا تكثر عيالكم، وشنع عليه بعض الناقصين[٢] بأنه اشتبه عليه تعيلوا[٣] بتعولوا، ورد بأنه كنى بكثرة المؤن عن كثرة العيال من يعول عياله أي: يمونهم، على أن التفسير مروي عن زيد بن أسلم التابعي، وعال بمعنى كثر عياله، منقولٌ عن الكسائي والأصمعي وابن الأعرابي، ﴿وَءَاتُوا النِّسَاءَ﴾ أيها الأزواج أو الأولياء ﴿صَدُقَاتِهِنَّ﴾: مهورهن، ﴿نِحْلَةً﴾: إيتاء بطيب نفس، ﴿فَإِن طِبْنَ﴾: وهبن بطيب النفس، ﴿لَكُمْ﴾: متجاوزات، ﴿عَن شَيْءٍ مِّنْهُ﴾: من الصداق، ﴿نَفْسًا﴾: تمييز أي: وهبة عن طيب النفس وحثهن بمن على تقليل الموهوب، ﴿فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾: سائغًا بلا غصٍّ، مجازٌ عن حلال بلا تبعة لهما وما يلتذ[٤] به وما يحمد عاقبته، ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ﴾: أي: الجاهلين بمواضع الحق يعني النساء والصبيان، ﴿أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾: تقومون وتنتعشون بها لئلا تنظروا إلى ما في أيديهم، ﴿وَارْزُقُوهُمْ﴾: اجعلوا لهم رزقًا، ﴿فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾: فيها، ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾: بعدة جميلة، وهم اليتامي، والإضافة باعتبار التصرف، ورزقهم فيها بالتجارة، والمعروف عدتهم بتسليمها بعد الرشد، ﴿وَابْتَلُوا﴾: اختبروا، ﴿الْيَتَامَىٰ﴾: قبل البلوغ، ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾: أي: وقته، ﴿فَإِنْ آنَسْتُم﴾: أبصرتم بعد البلوغ، ﴿مِّنْهُمْ

---

(١) الكشاف (١/ ٤٦٨)، أنوار التنزيل (١٠٢).

(٢) كذا، وفي (ع)، و(س): وشنّعَ عليه جهلَةٌ حمقى... إلخ.

(٣) قرأ طلحة: (تعيلوا) بفتح التاء المثناة الفوقية. * البحر المحيط (٣/ ١٦٥).

وقرأ طاووس: (تعيلوا) بضم التاء المثناة الفوقية. * البحر المحيط (٣/ ١٦٦).

(٤) في (ن): يستلذ.

﴿رُشْدًا﴾: أدنى صلاحٍ دينًا ودنيا، ﴿فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ﴾: تفنوها، ﴿إِسْرَافًا وَبِدَارًا﴾: مسرفين ومبادرين مخافة ﴿أَن يَكْبَرُواْ﴾: فينزعوها عنكم ﴿وَمَن كَانَ﴾: من أوليائهم، ﴿غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾: من أكل ماله، ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: أجرة مثل سعيه، ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾: بعد رشدهم ﴿فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ﴾: بقبضهم أمر إرشاد وظاهره: عدم تصديق القَيِّم[1] إلا ببينة، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾: محاسبًا، فاعدلوا، ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾: أي: المتوارثون بالقرابة، ﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾: بدل مما ترك، وذكره تأكيدًا ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾: مقطوعًا لهم فلا يسقط بإسقاطهم ﴿وَ﴾ سببه في قوله: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية، ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ﴾: قسمة الميراث، ﴿أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ﴾: ممن لا يرث، ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾: قبل القسمة، أمر ندب للبالغ، ﴿وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾: بلين لهم، ودعاء، ﴿وَلْيَخْشَ﴾: الأوصياءُ ﴿ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: في اليتامى، فليفعلوا بهم ما يحبون أن يفعل بذُرياتهم بعد موتهم، ﴿وَلْيَقُولُواْ﴾: لليتامي، ﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾: صوابًا بشفقةٍ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ ظالمين ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾: ملؤُهَا، ﴿نَارًا﴾: ما يجر إليها في البعث، ﴿وَسَيَصْلَوْنَ﴾: يدخلون، ﴿سَعِيرًا﴾: نارًا عظيمة، ﴿يُوصِيكُمُ﴾: يأمركم، ﴿ٱللَّهُ فِيٓ﴾: ميراث، ﴿أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ﴾: منهم، ﴿مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ﴾: المولودات، ﴿نِسَآءً﴾: خُلَّصًا، ﴿فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾: وثنتان كذلك خلافًا لابن عباس[2]، فهما عنده كبنت ؛ لأن الذكر مثل الأنثيين لو معه أنثى، وهو الثلثان، ولأنهما أَمَسُّ رَحِمًّا من الأختين ولهما الثلثان أو فوق صلة[3]، ﴿وَإِن كَانَتْ﴾: المولودة، ﴿وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ﴾: أفهم أن لابن منفرد كله؛ لأن للذكر مثل حظِّ الأنثيين، ﴿وَلِأَبَوَيْهِ﴾: أي: الميت، ﴿لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ﴾: للميت، ﴿وَلَدٌ﴾: ولا يرد أن له مع البنت الثلث لأنها وردت في ذوي الفروض، ويأخذ

---

(١) القائم علي المالِ.

(٢) الوسيط (٢/ ١٩)، فتح القدير (١/ ٤٣١، ٤٣٢)، تفسير الخازن (١/ ٤٩٠).

(٣) زائدة.

الأب ما بقي من ذوي الفروض العصبية، ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ﴾: فقط، ﴿فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾: والباقي للأب بالتعصيب لقوله: وورثه أبواه، ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ﴾: أي: اثنين وفوقهما، ونقل الزجاج[١] عن جميع أهل اللغة أنهما جماعة، وكذا عن سيبويه وشمولها للأختين فأكثر بالقياس والإجماع، أو من باب التغليب، ﴿فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾: والباقي للأب، فعند ابن عباس: للإخوة السدس الذين حجبوا عنه الأم، لأن المال كان لهما عند عدمهم وبعد وجودهم حجبها الله تعالى بهم[٢]، وهذا يستلزم إرثهم، وحجته أن من لا يرث لا يحجب استقراء، وهذه الأنصباءُ ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾: قدمها على الدين بعد تقدمه في الأداء لندرته أو الاغتباط ها هنا، ودل بأو على تساويهما في التقدم على القسمة، ﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾: فاتبعوا تخصيصي فإني أعلم به، يوصيكم الله وصية، ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾: بالمصالح، ﴿حَكِيمًا﴾: فيما قضى ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ﴾: وكذا ولد ابنٍ وإن سفل، ﴿فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ﴾: للزوجات، ﴿ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ﴾: كما مر، ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾: ولا فرق بين واحدة وأكثر، ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ﴾: منه ﴿كَلَٰلَةً﴾: خبر كان، أي: بلا ولد ووالد، وأصلها: مصدر بمعنى الكلال، استعيرت لقرابة غير بعضية أو في ذي كلالة، ﴿أَوِ﴾: كان، ﴿ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ﴾: للرجل، ويعلم منه حكم المرأة، ﴿أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾: من الأم بالإجماع، وقد قرئ كذلك[٣]، ﴿فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟﴾: الإخوة والأخوات، ﴿أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ﴾: يسوي بين الذكر والأنثى، لإدلائهم بمحض الأنوثة، ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾: أيضًا ﴿غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾: لورثته

---

(١) معاني القرآن (٢/ ١٨، ١٩).

(٢) الوسيط (٢/ ٢٠، ٢١)، تفسير ابن كثير (١/ ٤٥٦)، فتح القدير (١/ ٤٣٣).

(٣) قرأ أبي: (وله أخ أو أخت من الأم). * البحر المحيط (٣/ ١٩٠)، الكشاف (١/ ٢٥٥).

وقرأ سعد بن أبي وقاص: (وله أخ أو أخت من أم). * البحر المحيط (٣/ ١٩٠)، الكشاف (١/ ٢٥٥).

والموصي له بحرمان أو بنقص من حصّتِه، وهذا قيد لكل ما مضى، ووصية مفعول مضار، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بالمضار، ﴿حَلِيمٌ﴾: لا يعاجل بعقوبته، ﴿تِلْكَ﴾: الأحكام، ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾: شرائعه، ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ﴾: يتجاوز، ﴿حُدُودَهُۥ﴾ أفرد هنا وجمع قبل اللفظ والمعنى وإشارة إلى قلة العصاة اعتبارا وقدرا ومعنى الخلود المكث الطويل كما مرّ وَالمعصية بجَحْد أحكامه فيها ﴿يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: دلت الأحاديث الصحيحة على أن الحيف في الوصية يورث سوء العاقبة[١]، ﴿وَٱلَّـٰتِى يَأْتِينَ﴾: يفعلن، ﴿ٱلْفَـٰحِشَةَ﴾: الزنا[٢]، وعن مجاهد أنها في زِنَا السحَّاقات[٣]، ﴿مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ﴾: بما فعلن، ﴿أَرْبَعَةً مِّنكُمْ﴾: من رجال المسلمين، ﴿فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾: احبسوهن، ﴿فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ﴾: أي: ملائكته[٤]، ﴿أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾: حَدًّا معينًا، ونُسِخَ هذا على الأكثر[٥] بقوله: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى﴾، ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا﴾: يفعلان الفاحشة، ﴿مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا﴾: بالشتم والتعيير والضرب بالنعال، ونسخ هذا بالحدِّ المعين، وعن مجاهد أنها في اللواطة، وحكمها عند الشافعي: أن لا يرجم المفعول المحصن، بل يجلد ويغرب، ﴿فَإِن تَابَا﴾: منها، ﴿وَأَصْلَحَا﴾: العمل، ﴿فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ﴾: عن أذاهما ولا تعيروهما، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ

---

(١) الحيف في الوصية والظلم فيها حرام، للآية: ﴿غَيْرَ مُضَآرٍّ﴾ (النساء/ ١١).

أما الحديث الذي يشير إليه المؤلف: «**إن الرجل ليعمل أو المرأة بطاعة الله ستين سنة، ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار**» قال الرواي: وقرأ علي أبو هريرة من هاهنا ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ﴾ حتى بلغ ﴿وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

رواه ابن ماجة (٢٧٠٤)، والترمذي (٢٢٥٠) وسنده ضعيف.

(٢) الوسيط (٢/ ٢٥).

(٣) الكشاف (١/ ٤٨٨). والسحَّاقات، جمع سحَّاقة، وهي السحَاقية التي تأتي النساء- والعياذ بالله.

(٤) يعني كما قال تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾.

(٥) بل بالسنة بقوله ﷺ: «**خذوا عنى خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلا، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم**» رواه مسلم (٢/ ٤٨)، وأبو داود (٤٤١٥).

تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ﴾: ليس قبولها محتومًا، ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: بمقتضى وعده إلا، ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾: ومن عصى عَمْدًا أو خطأً فهو: بجهالة بإجماع الصحابة، أي: هو مسلوب كمال العلم بسوء عاقبة عمله بسبب غلبة الهوى والشيطان، ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن﴾: زمان، ﴿قَرِيبٍ﴾: قبل معاينة الموت، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾: بنياتكم، ﴿حَكِيمًا﴾ في أفعاله، ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ﴾: مقبولة، ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: من الفسقة، وقيل: المنافقين، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾: ثم يتوبون في الآخرة، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾: أعددنا لهم، ﴿عَذَابًا أَلِيمًا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ﴾: نفسهن كالمال، كما في الجاهلية، ﴿كَرْهًا﴾: مكرهات وهذا خارج مخرج الغالب لا للتقييد، ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾: لا تضجروهن ولا تضيقوا عليهن بالقهر والضرب إذا كرهتم صحبتهن، ﴿لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾: من المهر وغيره، أي: ليفتدين ببعض حقوقهن، ﴿إِلَّآ﴾: وقت، ﴿أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾: الزنا[1]، وقال ابن عباس وأكثر السلف: إنه بكسر الياء ظاهر في استرجاع الصداق، وبفتحها بمعنى مبينة، أي: الزِّنا فحينئذٍ لكم ضجرهن ليختلعن، وعن ابن عباسٍ وأكثر السَّلف أنّ له ارتجاع الصّداقِ حينئذٍ ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: بجميل قول وفعل، ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾: ﴿فَـ﴾ اصبروا، ﴿عَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾: كولد صالح، ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾: طلاق امرأة وتزوج أخرى، ﴿وَءَاتَيْتُمْ﴾: أعطيتم ولو بالالتزام بلا أداء، ﴿إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾: مالًا كثيرًا وتريدون طلاقها، ﴿فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ﴾: من القنطار، ﴿شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا﴾: باهتين لها بنسبتها إلى الزنا لتفتدى أو ظلمًا، ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾: ظاهرًا، والبهتان الكذب بهت المكذوب عليه، وقد يستعمل في الفعل الباطل، ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ﴾: شيئا منه، ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ﴾: وصل، ﴿بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾: بالوطء، ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾: بالعقد وأحكامه، ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾: كعملكم

---

(١) الوسيط (٢/ ٢٩)، تفسير الطبري (٨/ ١١٥، ١١٦)، معاني القرآن – للزجاج (٢/ ٣٠)، تفسير ابن كثير (١/ ٤٦٦).

في الجاهلية، ﴿إِلَّا﴾: لكن، ﴿مَا قَدْ سَلَفَ﴾: في الجاهلية مغفور وقيل: «إلا» بمعنى «بعد» نحو: «إِلَّا المَوْتَة»، ﴿إِنَّهُۥ﴾: نكاحهن، ﴿كَانَ﴾: للماضي المتميز، ﴿فَاحِشَةً وَمَقْتًا﴾: بغضًا شديدًا من الله، ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾: هو، ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ﴾: نكاحا، ﴿أُمَّهَٰتُكُمْ﴾: من ولدتكم أو من ولدتها وإن علت، ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾: من ولدتموها، أو من ولدها وإن سفلت، ﴿وَأَخَوَٰتُكُمْ﴾: من الأوجه الثلاثة، ﴿وَعَمَّٰتُكُمْ﴾: كل أنثى ولدها من ولد ذكر، أو ولدكم وإن بعدت، ﴿وَخَٰلَٰتُكُمْ﴾: كل أنثى ولدها من ولد أنثى ولدتكم وإن بعدت، ﴿وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ﴾: وإن بعدتا، ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرْضَعْنَكُمْ﴾: قبل الحولين خمس رضعات، ﴿وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ﴾: بنات الزوجة، ﴿ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾: في بيتكم وتربيتكم، وهذا خارج مخرج الغالب، وتصوير لما ينفر لا قيد عند الجمهور إلا عليًّا- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فعنده قيد، ﴿مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾: معهن الخلوة، كناية عن الجماع، ولا يجوز كون الموصول الثاني صفة للنسائين لاختلاف عامليهما، أعني «اللام» و«مِنْ»، ولا تعلّق من بالأمهات أيضًا، إذ يلزم حملها على الابتداء والبيان معًا، ولو جعلت للاتصال فيرده الحديث، وقول الجمهور إلا عليًّا- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فإنه يقيد تحريمهما بالدخول، ﴿فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: في نكاحهن، ذكره مع فهمه مما مر لئلا يتوهم أن قيد الدخول خارج مخرج الغالب كما في تقييد الحجور، ﴿وَحَلَٰٓئِلُ﴾: زوجات، ﴿أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾: أخرج المتبني لا الرضاعي، وحكم الرضاعي في الكل حديث: «**يحرُمُ مِنَ الرّضَاعِ ما يحرم من النسب**»[1]، ﴿وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ﴾: في النكاح وملك اليمين، ﴿إِلَّا﴾: لكن، ﴿مَا قَدْ سَلَفَ﴾: منكم في الجاهلية مغفور، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾: لكم، ﴿رَّحِيمًا﴾: بكم، ﴿وَ﴾: حرمت عليكم، ﴿الْمُحْصَنَاتُ﴾[2]: ذات الأزواج، ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾: بالسبي، فتحل بعد الاستبراء، ولو سبي معها زوجها

---

(١) رواه البخاري (٥/ ٢٦٤٦)، ومسلم (٢/ ٩)، وأبو داود (٢/ ٢٠٥٥)، والنسائي (٦/ ٣٣٠٣)، وأحمد (٦/ ٤٤).

(٢) في هامش (ن): الجزء (٥).

خلافًا لأبي حنيفة- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- لإطلاق الأثر والحديث [١] وعند بعض السَّلف: البيع كالسبي، والحديث لا يساعده، كتب ذلك، ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾: أي: فرضه، ﴿عَلَيۡكُمۡۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ﴾: إلا ما خصته السُّنَّة، ﴿أَن﴾: لأن، ﴿تَبۡتَغُواْ﴾: تطلبوا، ﴿بِأَمۡوَٰلِكُم﴾: نكاحًا وسراحًا لكونكم، ﴿مُّحۡصِنِينَ﴾: عفيفين، ﴿غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَۚ﴾: زَنَّائِين، ﴿فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ﴾: من جماع ولو مرة، ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: مهورهن إيتاء، ﴿فَرِيضَةٗۚ﴾: مفروضًا قيل: الآية في المتعة أي: النكاح المؤقت، ثم نُسخت يوم خيبر [٢] مؤبدًا، ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِۚ﴾: من نقص أو زيادة في المهر، وعلى الثاني: أي: مريد مال مع وصال مدة، أو فراق بلا شيء، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾: بالمصالح، ﴿حَكِيمٗا﴾: في حكمه، ﴿وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا﴾: غنى ﴿أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾: الحرائر، ﴿ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾: ذكرها لبيان الأولى عند الأكثر، وحمل أبو حنيفة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، الطول على ملك فراشهن، ﴿فَمِن﴾: فلينكح مما، ﴿مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ﴾: إمائكم، ﴿ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ﴾: اللاتي لغيركم، ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ﴾: فاكتفوا بظاهر إيمانهن، ﴿بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ﴾: أنتم وأرقاؤكم نسبًا ودينًا، فلا تستنكفوا عنها، ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ﴾: مالكيهن، هذا لا يدل على أن لهن مباشرته، لأن عدم الاعتبار لا يوجب الإشعار، على أن المباشر قد يكون غير الآذن، ﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: مُهورهنَّ، بإذن أهلهن أو المضاف محذوفٌ، أي: آتوا مالكهن، وعند مالك: المهر لهنَّ، ﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾: بلا مَطْل ونحوه، ﴿مُحۡصَنَٰتٍ﴾: عفائف، ﴿غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ﴾: مجاهرات بالزنا ﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖۚ﴾: أحباب يزنون

---

(١) حديث أبي سعيد الخدري قال: لما سبي رسول الله ﷺ أهل أوطاس، قلنا: يا رسول الله! كيف نقع على نساء قد عرفنا انسابهن وأزواجهن فأنزل الله هذه الآية: ﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ رواه مسلم (١/ ١٦٨، ١٦٩) كتاب الرضاع- باب: جواز وطء المسبية بعد الاستبراء، والترمذي (٢/ ٣٠٠/ ١٢٤١) وحديث: «**ألا لا توطأ حامل حتى تضع ولا حائل حتى تحيض حيضة**» رواه الترمذي (٣/ ٦٣)، وأبو داود (٢/ ٢٤٨/ ٢١٥٧) والحاكم (٢/ ١٩٥).

(٢) فالمتعة مما تكرر نسخه، كما قال القائل:

وأربع تكرر النسخ لها * * * جاءت بها عَنِ النبي آثار
فَقِبْلَةٌ ومتعةٌ وخَمْرةٌ * * * كذا وضوء مما تمس النار

بِهِنِ سرًّا، جمع خدن، أي: صديق ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾: تزوجن ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ﴾: بزنا، ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾: الحرائر الأبكار، ﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾: الحد، وهو خمسون جلدة وتغريب نصف سنة، ولا رجم؛ لأنَّه لا يُنصَّفُ، ﴿ذَٰلِكَ﴾: نكاح الأمة، ﴿لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ﴾: المشقَّة، أي: الوقوع في الزنا، وعن الحسن أنها الفسق، وأصلها[1]: انكسار العظم بعد الجبر[2]، ﴿مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُواْ﴾: عنه مع العفاف، ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: في الحديث: «**الحرائر صلاح البيت والإماء هلاكه**»[3]، وأيضًا: «**من أراد أن يلقى الله طاهرًا مطهرًا فليتزوج بالحرائر**»[4]، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾: لمن يصبر، ﴿رَّحِيمٌ﴾ به ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ﴾: اللام صلة للتأكيد، ﴿لَكُمْ﴾: ما خفي من الشرائع، ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾: من الأنبياء، ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾: يقبل توبتكم، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمصالحكم ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما قدّر ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ تأكيد ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾: الفُجَّار، ﴿أَن تَمِيلُواْ﴾: عن الحقِّ، ﴿مَيْلًا عَظِيمًا﴾: إلى الشهوات وفاقًا لهم، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾: في شرائعه، ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾: في الصبر عن الشهوات وعلى مَشَاقِ الطاعات فيناسبه التخفيف، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾: بالحرام كالسرقة، وكالصرف[5] في الزنا، ﴿إِلَّآ﴾ لكن ﴿أَن تَكُونَ﴾: كونها، ﴿تِجَٰرَةً﴾: صادرة، ﴿عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾: غير منهي عنه، وإنما خصَّها؛ لأن معظم التصرفات بها، ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾: بارتكاب المُحرَّمات، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾: نهاكم عن المضار رحمة، ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾: من المحرمات ﴿عُدْوَٰنًا﴾: على الغير، ﴿وَظُلْمًا﴾: على نفسه لا جهلًا ونسيانا، وسفهًا، وعلى هذا لا

---

(١) أصل كلمة العنت.

(٢) عنت الدابة تعنت عنوتًا وعنتًا: إذا حدث في قواعها كسر بعد جبر لا يمكنها معه الجري.
* عمدة الحفاظ (٣/ ١٢٩).

(٣) رواه الديلمي في الفردوس (٢/ ٢٦٤٢) وقال الألباني في ضعيف الجامع (٢٧٧٧) والضعيفة (٣٥٢٢): موضوع.

(٤) رواه ابن ماجه في سننه (١/ ١٨٦٢)، وابن عدي في الكامل (٣/ ٣١١)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٣٨٨)، والضعيفة (١٤١٧).

(٥) إنفاق المال.

يرد أنه كيف قدَّم الأخصَّ على الأعمّ، إذ التجاوز عن العدل جَوْر ثم طغيانٌ، ثم تعد، والكل ظلم، ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ﴾: ندخله، ﴿نَارًا﴾: عظيمة، ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۝ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾: الأقرب أنها[1] ما ورد فيه حَدٌّ أو وَعِيدٌ شديد، كاللّعْن، ﴿نُكَفِّرْ﴾: نمح، ﴿عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾: صغائركم، ﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾: الجنة، وأما محو الكبائر ففي المشيئة، ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: في الحظوظ الدنيوية، أو من قولكم نرجوا أن نكون في الثواب مع النساء كما في الميراث، وقولهن في الوزر كذلك، ونحن أحوج إلى تضعيف الحسنة لضعفنا[2]، ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ﴾: من الجهاد وغيره، ﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾: من طاعة البعل ونحوها فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالتمني، ﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾: من مطالب الدارين، لا ما للناس، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾: فلا يعطي إلا المستحق، ﴿وَلِكُلٍّ﴾: لكل ميت، ﴿جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ﴾: ورثة، (من) صلة ﴿مِمَّا تَرَكَ﴾:، وبيان الموالي، ﴿ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾: فلا يدخل الأولاد، ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ[3] أَيْمَٰنُكُمْ﴾: لعهودهم، أي: مولى الموالاة، وهو الحليف، ﴿فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾: السُّدس، ونسخت بقوله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ﴾[4] الآية، وعن أبي حنيفة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: لو أسلم كافر بيد مسلم وتعاقدوا على أن يتوارثا توارثا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا﴾: فخافوه، ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾: قيام الولاة على الرعايا، ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: لكمال العقل والدين وغيره، ﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾: من النفقة وغيرها، ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ﴾: قائمات بحقوق أزواجهن،

---

(١) يعني الكبائر.

(٢) عن أم سلمة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-: أنها قالت: يغزو الرجال ولا يغزو النساء، وإنما لنا نصف الميراث؛ فأنزل الله: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾، قال مجاهد: فأنزل فيها: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ وكانت أم سلمة أول ظعينة قدمت المدينة مهاجرة رواه سعيد بن منصور (٤/ ١٢٣٦/ ٦٢٤)، والبيهقي في المعرفة (٦/ ٥٠/ ٥٣٠٨) وعبد الرزاق في تفسيره (١/ ١/ ١٥٦) والطبري في تفسيره (٥/ ٣١)، وأحمد (٦/ ٣٢٢) وسنده صحيح.

(٣) كتبها: «عاقدت» وكتب في الهامش: حَفص: «عَقَدت».

(٤) سورة الأحزاب (٦).

﴿حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ﴾: بحفظ ماله ونفسهن في غيبته، ﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾: لهن عليهم من المَهْرِ وغيره، ﴿وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾: بغضهن بترفعهن عن مطاوعتكم، ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾: أوّلًا، ﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ﴾: بترك المضاجعة والكلام والمجامعة ثانيًا، ﴿وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾: غيرَ شديد بالتأويل[1] ثالثا، وقيل: لا قصاص عليه فيما دون القتل، ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾: بالإيذان، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾: فهو أقدر عليكم منكم على من تحتكم فخافوه، ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾: أي: خلافهما، وأضاف تجوزًا، ﴿فَٱبْعَثُوا۟﴾: إن اشتبه عليكم حالهما أيها الحكام برضاهما، ﴿حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾: يحكمان بينهما بالأصلح من الصلح والتفريق والأقارب أولى فيه، ﴿إِن يُرِيدَآ﴾: الحكمان، ﴿إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾: بين الزوجين، فإن من أحسن نيته أصلح الله أُمْنِيَّته، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾: بالظاهر والباطن، ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾: من الإشراك جليًّا أو خفيًّا، ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ﴾: أحسنوا، ﴿إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: الأقارب ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ والمسكين فاقد ما يكفيه وعياله ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ الجامع بين الجوار والقرابة نسبا أو دينا، ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾: الأجنبي نسبًا أو دينًا، ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾: كالزوجة والرفيق، ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: المسافر والضيف، ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾: رقيقًا أو حيوانًا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا﴾: متكبرًا، ويقال لمن يظن أن له بماله كرامة، ﴿فَخُورًا﴾: بحسب أو نسب على المسلمين، ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾: وفي الحديث: «لم يجتمع البخل والإيمان في قلب»[2]، ﴿وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾: بتخويفهم من الفقر، ﴿وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾: من الغنى والعلم وغيره شحًّا، ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ﴾: بنعمنا أي: لهم وقيل: أكثر البخلاء موتهم في حال سلب الإيمان، ﴿عَذَابًا مُّهِينًا ۝ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ﴾: لمراءاة،

---

(١) كذا.

(٢) يروى: «لا يجتمع الإيمان والبخل في قلب رجل مؤمن» رواه ابن عدي (٥/ ١٩٦٦) وسنده ضعيف وأصح منه عن أبي هريرة: «لا يجتمعان في قلب عبد: الإيمان والشح» رواه أحمد (٢/ ٢٥٦، ٤٤١)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٨١)، والنسائي (٦/ ١٣) وسنده صحيح.

﴿ٱلنَّاسِ﴾: لا لوجه الله، ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا﴾: مثلهم، ﴿فَسَآءَ قَرِينًا﴾: الشيطان، ﴿وَمَاذَا﴾: أي: ضرر، ﴿عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾: أخر الإيمان في الأول؛ لأنه للتعليل، وقدمه هنا؛ لأنه المقصود بالذات، على أنه لما أمر بالإنفاق نبه على أنه لا يعتد به إلا بعد الإيمان، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ﴾: أحدًا، ﴿مِثْقَالَ﴾: زنة، ﴿ذَرَّةٍ﴾: جزء من أجزاء الهباء بتنقيص ثواب، أو مزيد عذاب، ﴿وَإِن تَكُ﴾: المثقال، أنث باعتبار المضاف إليه، أو باعتبار، ﴿حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾: ثوابًا، ﴿وَيُؤْتِ﴾: صاحبها، ﴿مِن لَّدُنْهُ﴾: من عنده تفضُّلًا، ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾: كالجنة، ﴿فَكَيْفَ﴾: حال هؤلاء الكفرة، ﴿إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ﴾: هو نبيهم يشهد بحالهم، ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾: يا محمد، ﴿عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: الشهداء والمؤمنين والأمم، ﴿شَهِيدًا ۞ يَوْمَئِذٍ﴾: إذا جئنا بهم، ﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ﴾: أن ﴿تُسَوَّىٰ بِهِمُ﴾: عليهم، ﴿ٱلْأَرْضُ﴾: بأن يدفنوا كالموتى أي: لو يسوون بالأرض، بجعلهم ترابًا، ﴿وَ﴾: الحال أنهم، ﴿لَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾: لشهادة جوارحهم عليهم بعد قولهم ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[(١)] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟﴾: اجتنبوا، ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾: نفسها أو مواضعها، ﴿وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾: بنحو نوم أو خمر من السَّكْرِ[(٢)]، وهو السَّدُّ؛ لسد بخار المعدة قُوى الفكر، وليس هذا نهي السكران عن قربها حتى يكون نهيًا لمن لَا يَعْقل، بل نهي عن سكر مانع عنها مثل: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[(٣)]، وفيه تنبيه للمصلي على تجرده عما يلهيه، ﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ﴾: مسافرين عند فقد الماء، أي: بعد التيمم، وعلى تقدير مواضعها فمعناه: مجتازين فيها كما هو مذهب الشافعي[(٤)]- رضي الله عنه ﴿حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟﴾: من الجنابة دل على أن التيمم لا يرفع الحدث، ﴿وَإِن كُنتُم﴾ جنبًا ﴿مَّرْضَىٰٓ﴾: بحيث يضركم استعمالُ الماء، ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾: طويل أو قصير، ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾:

---

(١) سورة الأنعام.

(٢) بفتح السِّين المهملة وسكون الكافِ، وهو السَّدُّ والإغلاق. اهـ.

(٣) سورة آل عمران.

(٤) الوسيط (٢/ ٥٧).

المطمئن من الأرض، وهو كناية عن الحدث الأصغر، ﴿أَوْ لَـٰمَسْتُمُ﴾: مَسِسْتُم حقيقة[١] جامعتم مجازًا، وكذا: لمستم، فحملها الشافعي على الحقيقة، وكذا عن المالكية والحنابلة، ولكن يشترطون كونها بشهوة، والحنفية على الجواز وكذا: لمستمُ ﴿ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً﴾: كناية عن عدم الممكن من استعماله، وإن وُجِد حسًّا، وهو قيد للكل، واستغنى بتفصيل حال الجنب من المرض والسفر عن حال المحدث، ﴿فَتَيَمَّمُواْ﴾: اقصدوا، ﴿صَعِيدًا﴾: ترابًا، ﴿طَيِّبًا﴾: طاهرًا، ﴿فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾: إلى المرافق؛ لظاهر اللفظ وللحديث، وللقياس على الوضوء ويشترط تعلقه باليد لقوله في المائدة ﴿مِّنْهُۚ﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾: يسهل ويرخص، ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تنظر، ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا﴾: يسيرًا، ﴿مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾: التواره[٢]، ﴿يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَـٰلَةَ﴾: بالهدي، ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ﴾: أيها المؤمنون، ﴿ٱلسَّبِيلَ﴾: الحق، ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ﴾: منكم، وقد أعلمكم فاحذروهم، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾: الباء صلة، ﴿وَلِيًّا﴾: يلي أمركم، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾: لكم، ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾: قوم، ﴿يُحَرِّفُونَ﴾: يميلون، ﴿ٱلْكَلِمَ﴾: مفرد بمعنى الكلمات، ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾: بإزالة بعض وإثبات غيره، أو بتأويلها بمشتهاهم كما مر، ﴿وَيَقُولُونَ﴾ قالًا[٣] ﴿سَمِعْنَا﴾: قولك ﴿وَ﴾ حالًا ﴿عَصَيْنَا﴾: أمرك، ﴿وَٱسْمَعْ﴾: حال كونك ﴿غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾: مكروها، أو لاسمعت، فهذان وجهان، ﴿وَرَٰعِنَا﴾: ارعنا سمعك مريدين الشتم كما مر، ﴿لَيًّا﴾ فتلًا[٤] ﴿بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾: واللَّيُّ: صرف الكلام إلى ما يشبه السب، ﴿وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ﴾: بتحقيره -ﷺ-، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾: لا عصينا، ﴿وَٱسْمَعْ﴾: دون غير مسمع، ﴿وَٱنظُرْنَا﴾: دون راعنا، ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ﴾: أعدل، وهذا من قبيل أصحاب الجنة، ﴿وَلَـٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا﴾: إيمانًا، ﴿قَلِيلًا﴾: ببعض كتابهم، أو إلا قليلًا منهم كابن

---

(١) في (ع): أو جامَعْتُم.

(٢) في هامش (ن): بلغ مقابله.

(٣) في (ن): مآلًا.

(٤) كذا، والمراد: قلبًا.

سلام وأضرابه[١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا﴾: القرآن، ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا﴾: نمْحُو عينها وأنفها، ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾: فَلَهُم عينان من القفا يمشون قهقرى، قيل: سيقع لهم عند نزول عيسى، ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾: أي: الذين على طريق الالتفات، ﴿كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ﴾: بمسخهم قردة وخنازير، ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾: ما أراد حصوله، ﴿مَفْعُولًا﴾: لا راد له، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾: مغفرته، وإن لم يتب[٢]، وتقييد المعتزلة الموضعين بالتوبة وعدمها تقييد بلا دليل على أن التعليق بالمشيئة ينافي وجوب التعذيب والغفران، وجعلهم يغفر عطفًا على المنفي من التحريف، ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ﴾: فعل، ﴿إِثْمًا عَظِيمًا ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾: بقولهم: نحن أبناء الله ونحوه، ومثلهم من يزكي نفسه بلا ضرورة شرعية بل في الحديث: «**إن كان أحد مادحًا صاحبه لا محالة فليقل: أحسبه ولا أزكي على الله أحدًا**»[٣]، ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾: فإنه العالم بالحقائق، ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾: قدر ما في شق نواة أو ما فتلت بين أصبعيك من الوسخ، ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾: في تزكية أنفسهم، ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦٓ﴾: بالافتراء، ﴿إِثْمًا مُّبِينًا﴾: ظاهرًا، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا﴾: قليلًا، ﴿مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: التَّوراة، ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾: صنمين لقريش[٤] سجدوا لهما، ليأتمنهم قريش في المخالفة، ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: حين سألوهم: أديننا خير أم دين محمدٍ؟ ﴿هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾: يمنع عذابه، ﴿أَمْ﴾: بل، ﴿لَهُمْ﴾: أي: مالهم، ﴿نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ﴾: إذ زعموا أنه سيصير الملك إلى اليهود، وإن ملكوا، ﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ

---

(١) الوسيط (٢/ ٦١)، تفسير ابن كثير (١/ ١٢٣).

(٢) يعني يكون في المشيئة.

(٣) عن أبي بكرة قال: مدح رجل رجلًا عند رسول الله ﷺ فقال النبي - ﷺ -: «**ويحك! قطعت عنق صاحبك**» مرارًا، ثم قال: «**إن كان أحدكم مادحًا أخاه لا محالة، فليقل: أحسب فلانًا، ولا أزكي على الله أحدًا**» رواه أحمد (٥/ ٤١)، والبخاري في صحيحه (٦٠٦١)، وفي الأدب المفرد (٣٣٣) ومسلم (٣٠٠٠).

(٤) تفسير الطبري (٨/ ٤٦١)، تفسير الرازي (١٠/ ١٢٨)، ابن كثير (١/ ٥١٢)، الوسيط (٢/ ٦٦).

﴿ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾: قدر نقرة في ظهر النواة[١] من شُحِّهم فكيف بحال فقرهم، ﴿أَمْ﴾: بل، ﴿يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾: محمدًا وصحبه، ﴿عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾: من النبوة والنصرة، والحسد شر من البخل، ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾: كداود وسليمان، ﴿ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾: النبوة، ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾: فلا يبعد أن يؤتى محمدًا مثلهم، ﴿فَمِنْهُم﴾: من آل إبراهيم، ﴿مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾: بإبراهيم، ﴿وَمِنْهُم مَّن صَدَّ﴾: أعرض ﴿عَنْهُ﴾، مع أنه منهم، فكيف بنبي ليس إسرائيليًّا، ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾: نارًا مسعورة لعذابهم، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾: ندخلهم، ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾: أي: من مادتها، والصورة تتبدل في كل ساعة مائة وعشرين مرة[٢]، فلا يرد أنه كيف يعذب جلودًا لم تعص، ﴿لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾: غالبًا، ﴿حَكِيمًا﴾: في معاقبته حكم، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾: من كل دنس، ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾: للتأكيد أي: دائمًا، وهذا مجاز كناية عن المستقر الطيب، إذ لا شَمْس ثمَّة، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾: عمومًا قال ابن عباس[٣]: هو في كُلِّ مؤتمن على كل شيء، وإن نزلت[٤] في رد مفتاح الكعبة إلى عثمان بن طلحة ابن عم شيبة الذين في نسله الحجابة الآن، لَا عُثمان ابن أبي طلحة، وأمَانته سدانتها ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا﴾: نعم شيئًا، ﴿يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا﴾: لأقوالكم، ﴿بَصِيرًا﴾: بأفعالكم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ﴾: الحكام إذا أمروا بطاعة أو العلماء، ﴿مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ﴾: أنتم وأولو الأمر، ﴿فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ﴾: كتابه، ﴿وَٱلرَّسُولِ﴾: في حياته وسنته بعده، وهذا لا ينافي القياس؛ لأنه رد إليهما بالتمثيل والبناء عليهما، ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ﴾: الرد، ﴿خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾: مآلًا، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ

---

(١) معاني القرآن للفراء (١/ ٢٧٣)، الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٩٤).

(٢) الكشاف (١/ ٥٢٢) هامش، وسنده ضعيف.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٨/ ٤٩٢، ٤٩٣).

(٤) تاريخ مكة- للأزرقي (١/ ١٠٣، ١١١)، الوسيط (٢/ ٧٠).

يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾: هو منافق تخاصم مع يهودي[1]، ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾: معناه هنا: غير الله ورسوله إذ دعاه اليهودي إلى النبي - ﷺ - وهو دعاه إلى كعب بن الأشرف، فلما حكم عليه النبي ما رضي بحكمه وقال: نتحاكم إلى عمر، فتحاكما إليه وأخبراه بالقصة، فلما عرفها قتل المنافق فسمي فاروقًا[2]، ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾: بالطاغوت، ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾: لا يمكنهم الرجوع فيه إلى الحق، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ﴾: أبصرت، ﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ﴾: يعرضون ﴿عَنكَ صُدُودًا﴾: إعْراضًا بالكلية ﴿فَكَيْفَ﴾: حالهم، ﴿إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ﴾: كقتل عُمر ذلك المنافق، ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: من الإعراض عنك، ﴿ثُمَّ جَآءُوكَ﴾ أي: قوم المنافق معتذرين أو طالبين بدمه، ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ﴾: ما، ﴿أَرَدْنَآ﴾: بالتحاكم إلى عمر، ﴿إِلَّآ إِحْسَٰنًا﴾: الفصل بالوجه الأحسن، ﴿وَتَوْفِيقًا﴾: بين الخصمين لا مخالفتك، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾: من النفاق، ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي: عن عقابهم، ﴿وَعِظْهُمْ﴾: انصحهم، ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾: أي: سرًّا ﴿قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾: مؤثرًا، فإنَّ نصح السرِّ أنجح[3]، وأصله: قولٌ يُطابق مدلوله المقصود به، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾: لحكمه، ﴿بِإِذْنِ﴾: بأمر، ﴿ٱللَّهِ﴾: في طاعته، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾: كالتحاكم إلى غيرك، ﴿جَآءُوكَ﴾: تائبين، ﴿فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾: أظهره تعظيما، ﴿لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ۝ فَلَا﴾: صلة لتأكيد القسم، ﴿وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ﴾: اختلف، ﴿بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا﴾: ضيقا، ﴿مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟﴾: ينقادوا لأمرك، ﴿تَسْلِيمًا ۝ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم﴾: كبني إسرائيل، ﴿مَّا فَعَلُوهُ﴾: المكتوب، ﴿إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾: وهم المخلصون، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ﴾: من

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٥/ ٩٦، ٩٧، ٩٨) والمروزي في الصلاة (٢/ ٦٥٨/ ٧١١) وسنده ضعيف.

(٢) رواه الثعلبي في تفسيره (٢/ ٤٩٧/ ٣٧٣/ الفتح السماوي) وهو موضوع.

* وانظر تخريج أحاديث الكشاف- للزيلعي (١/ ٣٣٠)، العجاب (٢/ ٩٠٣)، فتح الباري (٥/ ٣٨).

(٣) وكما قيل: النصيحة على الملأ فضيحه.

إطاعة محمَّدٍ عليه الصلاة والسلام، ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾: لإيمانهم، ﴿وَإِذًا﴾: والله، ﴿لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ۞ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾: يصلُون به إلى الفلاح، ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ﴾: أفاضل أصحاب الأنبياء، ﴿وَالشُّهَدَاءِ﴾: في سبيل الله، ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾: من غيرهم، ﴿وَحَسُنَ﴾: كُلٌّ من ﴿أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾: هذا يقال للواحد والجمع كالصديق[1]، ﴿ذَٰلِكَ﴾: المرافقة، ﴿الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾: بالمطيع، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾: آلته كالسلاح واحذروا من أعدائكم، ﴿فَانفِرُوا﴾: اخرجوا إلى الجهاد، ﴿ثُبَاتٍ﴾: جماعات متفرِّقةٍ، جمع ثبة، ﴿أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا﴾: مجتمعين، أي: بادروا كيف ما أمكن، ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾: ليتثاقل عن الجهاد، أو يبطئُ غيره، وهم المنافقون، ﴿فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾: كقتل، ﴿قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾: حاضرًا، ﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ﴾: كغنيمة، ﴿لَيَقُولَنَّ كَأَن﴾: كأنه، ﴿لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾: بل لم تحبوا إلا المال، والجملة معترضة، أي: ليقولن، ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾: نصيبًا وافرًا من الغنيمة إن بطأ هؤلاء، ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾: وهم المخلصون، ﴿وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾: رَد لمن قال: قَدْ أنعم الله عليَّ - إلى آخره، ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: في سبيل الله، ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾: الذين منعهم الكفار عن الهجرة، ﴿مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾: جمع وليد أو ولد شاركوهم في الدعاء ليستجاب ببركتهم، ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ﴾: مكَّة، ﴿الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾: المُشْركون ﴿وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾: يلي أمرنا ﴿وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾: فأجيب بهجرة بعضهم وفتح مكة، واستعمال عتَّاب بن أسيدٍ عليهم وحمايته لهم، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾: الشيطان، ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّ كَيْدَ﴾ مكر ﴿الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾: بالنسبة إلى كيد الله، وأما عظم كيد النساء فبالنسبة إلينا إلى مكرنا، على أنه من كلام عزيز

---

(١) ليست في (د).

مصر[١]، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ﴾: عن قتال مشركي مكة حين التمسوا قتالهم وكانوا ضعفاء[٢]، ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ﴾: بالمدينة وهم أقوياء، ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ﴾: الكفار، ﴿كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾: أي: مثل خشيتهم لله، ﴿أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾: أي خشية أشدَّ من خشيته ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ﴾: هلَّا، ﴿أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾: أي: الموت، ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾: من كلِّ الوجوه ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾: كما مرَّ، ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ﴾: حُصُونٍ، ﴿مُّشَيَّدَةٍ﴾: مرفعة أو مبنية- بالشيد أي: الجَصّ- مُحْكمة لأدرككم الموت، فلم يقولُ المنافقون في قتلى أحد: ﴿لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ﴾ إلى آخره[٣] ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ﴾: المنافقين، ﴿حَسَنَةٌ﴾: نعمة، ﴿يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: بلاء، ﴿يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ﴾: يا محمد تشاؤمًا بك، ﴿قُلْ كُلٌّ﴾: من الحسنة والسيئة ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾: بإرادته وإيجاده، ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾: كالبهائم، وهو القرآن، فإنهم لو تدبروا فيه لعلموا أنَّ الكل من الله، ﴿مَّآ أَصَابَكَ﴾: يا إنسان، ﴿مِنْ حَسَنَةٍ﴾: نعمة، ﴿فَمِنَ ٱللَّهِ﴾: تفضُّلًا، فإن جميع طاعتك لا تكافئ نعمة الوجود، قيل وإنما قال من الله، وفي الأول من عند الله؛ لأنه أعم من مرضية وغير مرضية، وهذا في مرضية فقط، ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ﴾: بلية، ﴿فَمِن﴾: شُؤْم ذنب نفسك يوصله الله تعالى إليك بسببه مجازاة، فحاصله: إن نظرت إلى الفاعل الحقيقي فالكل منه، وإن نظرت إلى الأسباب فما هي إلا من شؤم، ﴿نَّفْسِكَ﴾: لا من مُحمَّدٍ، واعلم: أنها نزلت في قوم لينالوا غنى[٤]، ثمَّ لمَّا نالهم مكروهٌ تطيروا بمحمد- ﷺ- ولما نالهم محبوب نسبوه إلى الله تعالى[٥]، فذلك الحسنة والسيئة ليسا بمعنى الطاعة والمعصية، ولذا لم يقل: ما عَمِلْتَ وما

---

(١) في نسخة (ن)، و(د): غير الله.

(٢) رواه النسائي (٦/ ٢، ٣/ مجتبى) والطبري في تفسيره (٥/ ١٠٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ١٠٠٥/ ٥٦٣٠) وسنده حسن.

(٣) العجاب (٢/ ٩١٩) بإسناد واهٍ بل موضوع من خرافات الكلبي.

(٤) كذا في (ن)، وفي (د): غنى.

(٥) الوسيط (٢/ ٨٤).

فسرت به الآية، يظهر بطلان مذهب الجبرية المتعلقين بالآية الأولى، والقدرية المتعلقين بالثانية، وشبهة التناقض بينهما، وشبهة من يقول: الآية لا تدفع مقالتهم، فإنهم جعلوه- ﷺ- واسطة للشر لا مبدأً، والآية تثبت أنه تعالى مبدأ للكل، إذ الآية الثانية تردهم، وقد بان أن لا حجة فيه للسنية[1]، ولا للجبرية ولا للقدرية، ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ﴾: يا محمد، ﴿لِلنَّاسِ﴾: كلهم، ﴿رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾: على رسالتك، ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ﴾: عن طاعته، ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾: عن المعاصي، ﴿وَيَقُولُونَ﴾: المنافقون إذا أمرتهم بأمر: أمْرُنا ﴿طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا﴾: خَرَجُوا، ﴿مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ﴾: دَبَّر، ﴿طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾: من قولهم: طاعة أي: في تبييتهم وسرهم، يضمرون خلاف جهرهم، ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ﴾: في صحائفهم ﴿مَا يُبَيِّتُونَ﴾: يُدبِّرونَ ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾: المنتقم، ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾: في كفاية شرهم، قيل: نسخت بآية القتال، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾: أي فيه، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ﴾: كما زعموا، ﴿لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾: على ما دل عليه الاستقراء، فلا يكون كله في طبقة البلاغة، وصادقًا في الإخبار عن الغيب، والحال أنه ليس فيه اختلاف قليل، ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ﴾: كفتح، ﴿أَوِ الْخَوْفِ﴾: كهزيمة، ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾ أفشوه كما فعله بعض ضعفه المسلمين قبل أن يتكلم به النبي وذَووا الرأي من صحبه مع ما فيه من المضارِّ ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾: أي: ذلك الخبر، ﴿إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ﴾: ذوي الرأي، ﴿مِنْهُمْ﴾: من أكابر الصحابة، وسكتوا عنه حتى يخبروا به ﴿لَعَلِمَهُ﴾: الخبر أنه مما يذاع أم لا، وعلى أيّ وجهٍ يذكر ﴿الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ﴾: يستخرجون علمه ﴿مِنْهُمْ﴾: من جهة الرَّسُول، وأولي الأمر، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾: بالهداية بالرسول، ﴿لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ﴾: والضلال، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: منكم ممَّن اهتدى بعقله الصَّائب كقُسِّ بن ساعدة قبل بعثة النبي- ﷺ- لا يقال مقتضاه عدم اتباع أكثر الناس للشيطان، والواقع خلافه، وفي الحديث: «**الإسْلامُ في الكُفْر كالشَّعْرة البيضاء في الثَّور**

---

(١) بل هي حجة لنا أهل السنة على الجبرية والقدرية في خلق أفعال العباد وللبخاري مصنف ماتع فيه والمؤلف أشعري المعتقد.

الأسود»[١] لأن الخطاب للمؤمنين، ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: ولو وحدك، ﴿لَا تُكَلَّفُ﴾ فعلًا من الأفعال ﴿إِلَّا نَفۡسَكَ﴾: أي: إلا فعلها، فجاهد وإن لم يساعدك أحد، وهذا لا ينافي بعثه لتكليف الناس؛ لأنه ما عنى به ذلك بل هو من قوله تعالى: ﴿عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ﴾[٢] إلى آخره، ويؤيد ذلك:، ﴿وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: على القتال ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ﴾: شِدَّةَ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: ووَفَّى به في البدر الصغرى[٣]، بإلقاء الرعب في قلوبهم، إذ عسى من الكريم موجب، ﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا﴾: صولة، ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا﴾: عُقُوبةً، ﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ﴾: كجلب نفع مسلم، أو دَفْع ضره أو دعاء بالخير له، ﴿يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَا﴾: وهو ثواب الشَّفاعة، وفي الحديث: «**مَنْ دَعَا لأخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له، وقال له المَلَكُ: ولك مِثْلُ ذلكَ**»[٤]، ﴿وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ﴾: لا تجوز شرعًا، ﴿يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ﴾ نصيب؛ ﴿مِّنۡهَا﴾: من وزرها، قال في الحسنةِ: نَصيبٌ، لإطلاقه على القليل والكثير، وفي السيئة: كِفْلٌ؛ لأنه إنما يقال في المثل وفي الرديء، وأما: «يؤتكم كفلين» فمعناه: كفلين من رحمته يكفلان لكم من العذاب، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا﴾: مقتدرًا من قات: قدر ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم﴾: سُلِّم عليكم ﴿بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ﴾: زيدوا عليها نحو: «ورحمة الله وبركاته»، ولا يزاد عليها اتباعًا، ولا ستجماعها أقسام المطالب السلامة عن المضار، وحصول المنافع وثباتها، ﴿أَوۡ رُدُّوهَآ﴾: بلا زيادة وهو واجب على الكفاية حيث شرع السلام، وفُسِّرَتْ بالهَدِيَّة[٥] أيضًا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا﴾: يحاسب فيجازي، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: والله، ﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ﴾ ليحشرنكُمْ ﴿إِلَىٰ﴾: في، ﴿يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾: في اليوم أو الجمع، ﴿وَمَنۡ﴾ لا ﴿أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾: إذ غيره يجوز عليه الكذب عقْلًا، ﴿فَمَا لَكُمۡ﴾: تفرقتم، ﴿فِي﴾ شأن ﴿ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾: كابن أبي، ﴿فِئَتَيۡنِ﴾: فرقتين، فرقة على كفرهم

---

(١) رواه مسلم في صحيحه- بنحوه.

(٢) سورة المائدة.

(٣) كذا- والمرادُ: غزوة بدر الصُّغرى.

(٤) رواه مسلم (٤/ ٢٧٣٢)، وأبو داود في سننه (٢/ ١٥٣٤).

(٥) في (ن): الهدَاية، وهو خطأ.

وقتلهم وفرقة على إسلامهم، ﴿وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم﴾ رَدَّهُمْ إلى الكفر ﴿بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾: من المعاصي، ﴿أَتُرِيدُونَ﴾: أيها المؤمنون، ﴿أَن تَهْدُواْ﴾: تعدُّوا مُهْتديًا، ﴿مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾: إلى الهدى، ﴿وَدُّواْ﴾: هَؤُلاء، ﴿لَوْ﴾: أنْ، ﴿تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ﴾: أنتم وهم، ﴿سَوَآءً﴾: في الكفر، ﴿فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾: بأن يقاتلوا، ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾: عن الهجرة وأظهروا الكفر، ﴿فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ﴾: يلجؤون منهم، ﴿إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾: أي: عاهدوكم، فحينئذٍ حكمهم ﴿أَوْ﴾: الذين، ﴿جَآءُوكُمْ﴾: قد، ﴿حَصِرَتْ﴾: ضاقت، ﴿صُدُورُهُمْ﴾ عن ﴿أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُواْ قَوْمَهُمْ﴾: كبني هاشم خرجوا مع المشركين يوم بدر، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ﴾: لكن بلطفه ضيق صدورهم عنه وكفهم، ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾: الانقياد، ﴿فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾: في أخذهم وقتلهم، ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ﴾: من المنافقين، ﴿يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ﴾: أي: يأمنوا قتلكم إياهم، وأخذكم أموالهم، ﴿وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ﴾: دعوا ودعاهم قومهم، ﴿إِلَى ٱلْفِتْنَةِ﴾: الشرك، ﴿أُرْكِسُواْ﴾: قلبوا، ﴿فِيهَا﴾: ومركسهم نفسهم وشيطانهم فلَا تكرار، ﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ و﴾: لم، ﴿يُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾: الانقياد، ﴿وَ﴾: لم، ﴿يَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ﴾: عن قتالكم، ﴿فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾: وجدتموهم، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾: حُجَّةَ واضحة في قتالهم لعداوتهم، ﴿وَمَا كَانَ﴾ ما صَحَّ ﴿لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا﴾: قتلًا، ﴿خَطَـًٔا﴾: ﴿إِلَّا﴾ بمعناها[1] وقيل بمعنى: و((لا)) نحو: ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ﴾[2]، و﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾[3]، وأراد بالخطأ أَعَمّ من الخطأ المحض كما لم يقصد إلى الفعل أو إلى الشخص، ومن شبه العمد كقتله بما لم يقصد به القتل غالبًا، ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ﴾: فعليه إعتاق، ﴿رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾: وأما في العمد فثبت بالسنة، ﴿وَدِيَةٌ

---

(١) قال الواحدي في الوسيط (٢/ ٩٤): جميع أهل النحو والمعاني على أن هذا استثناء منقطع من الأول على معنى: ما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنًا ألبتة إلا أن يخطئ المؤمن فكفارة خطئه ما ذكر من بعد.

(٢) سورة النساء.

(٣) سورة العنكبوت.

مُسَلَّمَةٌ ﴾: مُؤدَّاة ﴿إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ﴾: الورثة دائمًا ﴿إِلَّآ﴾: حين، ﴿أَن يَصَّدَّقُواْ﴾: بالعفو فحينئذٍ لادية، وعيَّنت السُّنَّة قدرها ﴿فَإِن كَانَ﴾: المقتول ﴿مِن قَوۡمٍ عَدُوّٖ لَّكُمۡ﴾: كُفَّارٌ ﴿وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ﴾: بلا دية لعدم الوراثة بين المسلم والكافر، ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ﴾: كالذمي والمعاهد، ﴿فَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ﴾: لعله فيما إذا كان المقتول معاهدًا أو مسلمًا وله وارثٌ مُسلمٌ ﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ﴾: الرقبة وثَمَنها، ﴿فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ﴾: شرع ذلك ﴿تَوۡبَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾: عليه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾: بكُمْ، ﴿حَكِيمٗا﴾: فيما حكم عليكم ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا﴾: أراد بالخلود: المُكْث الطويل تجوُّزًا، أو خصَّت الآية بعدم التوبة لقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ﴾[1] إلى آخره ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ﴾[2] إلى آخره، ويؤيده أن نزولها في مِقْيس بن صبابة، وجد أخاه[3] قتيلًا في بني النجار فحكم النبيُّ عليه الصلاة والسلام بديته، فلما أخذ قتل مسلمًا ورجع إلى مكة مرتدًّا[4]، أو معناه: أن هذا جزاؤه، لكن قد يكون له معارض من عمل يكون سببًا للعفو، كذا عن أبي هريرة- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- مرفوعًا أو موقوفًا، ودلَّت الآيات والأحاديث على قبول توبته، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ﴾ سافرتم ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: للجهاد، ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾: اطلبوا بيان الأمر، ولا تعجلوا فيه ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ﴾: الانقياد أو حياكم بالسَّلام ﴿لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا﴾: وإنما فعلته خوفًا ﴿تَبۡتَغُونَ﴾: أي: مبتغين، ﴿عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾: حطامها، بأن تقتلوه وتأخذوا ماله، ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ﴾: يغنيكم بها عَنْهُ، ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ﴾: لم يعلم منكم الإسلام إلا بعلامة،

---

(١) سورة طه.

(٢) سورة النساء.

(٣) هشام بن صبابة بن سيار بن عبد الله الكناني الليثي، قتل سنة ست في غزوة ذى قرد مسلما. وقال ابن منده: قتل في غزوة بني المصطلق. * أسد الغابة (٥/ ٤٠٠).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ١٠٣٧، ١٠٣٨/ ٥٨١٦) وسنده ضعيف ومِقْيَس- بكسر الميم وسكون القاف وفتح الياء.

﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾: بالاشتهار، ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾: تأكيدًا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾: عالما بأغراضكم فاحتاطوا، ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ﴾: عن الحرب، ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ﴾: بعذر، ﴿دَرَجَةً﴾: بدرجة عظيمة، ﴿وَكُلًّا﴾: منهما، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: الجنة والثواب، ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ﴾: بلا عذر، ﴿أَجْرًا عَظِيمًا ۝ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ﴾: والمزية الدرجة؛ لكونهم بلا عذر بخلاف الأولين، ﴿وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾: بعدَ مساءَتهم[1]، ﴿رَّحِيمًا﴾: لهم، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ﴾: تتوفاهم، ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: ملك الموت وأعوانه، نزلت فيمن قتلتهم الملائكة يوم بدر تكلموا بالإسلام وخرجوا مع المشركين تكثيرًا لسوادهم، ﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾: بترك الهجرة، ﴿قَالُواْ﴾: الملائكة توبيخًا، ﴿فِيمَ﴾: في أي: شيء، ﴿كُنتُمْ﴾: من الدين حيث ما هاجرتم[2]، ﴿قَالُواْ﴾: اعتذارًا، ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾: عاجزين، ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: عن الهجْرة وإظهار الدين، ﴿قَالُوٓاْ﴾: تبكيتًا، ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾: إلى جانب آخر يمكن فيه إظهار الدين، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾: لإعانتهم الكُفّار، ﴿وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾: جهنم، ﴿إِلَّا﴾: لكن، ﴿ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾: فيه تنبيه على أنه يجب على وليهم الهجرة بهم، ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾: أسباب السفر، ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾: لا يعرفون، ﴿سَبِيلًا﴾: إلى بلد الإسلام، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾ نبَّهَ على خطَر الهجرة، بحيث يحتاج المعذور إلى العفو، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ۝ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا﴾: تمتعًا يراغم به الأعداء، وتحوُّلًا من أرض إلى أرض في الرغام، ﴿كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ في الرزق ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ﴾: في الطريق، ﴿فَقَدْ وَقَعَ﴾: ثبت، ﴿أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾: من حيث الوعد ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾: له، ﴿رَّحِيمًا﴾: به يثبت بمجرد النية، ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أي: سافرتم قدر أربعة بُرُدٍ[3]؛ للسُّنَّة[1]،

---

(١) كذا في (ن)، و(د): بعد مساءتهم.

(٢) في (ن): هجرتم.

(٣) البرد جمع بريد، والبريد أربعة فراسخ والبريد عند الحنفية والمالكية: (٢٢٢٦٠) مترًا وعند الشافعية والحنابلة: (٤٤٥٢٠) مترًا. * المكاييل والموازين الشرعية – د/ علي جمعة محمد صـ ٣٦، ٣٧.

وعند الحنفية ستة برد، ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾: حرج في، ﴿أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَوٰةِ﴾: بتنصيف ركعات الرباعية، وظاهره الجواز خلافًا للحنفية، وصَحَّ أنه- ﷺ- أتمَّها[٢] وأقر إتمام عائشة[٣]- رضي الله عنها-، وقول عمر- رضي الله عنه-: «صلاةُ السَّفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم»[٤]: فمعناه أنه كالتمام في الإجزاء، وقول عائشة- رضي الله عنها-: «أول ما فُرضت الصلاة ركعتين ركعتين فأُقرَّت في السَّفر وزيدتْ في الحضر»[٥] لا ينفي جواز الزيادة، ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ﴾: ينالكم بمكروه، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: شرط خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له كنظائره، وقد نطق به أحاديث كثيرة أو: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ ابتداء كلام، وجوابه محذوف، نحو: فاحتاطوا، يدُلُّ عليه، ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ۞ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾: حاضرًا، هذا جارٍ على عادة القرآن في الخطاب فلا مفهوم له، ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ﴾: اجعلهم طائفتين، ﴿فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾: فصَلِّ بهم، والأخرى تجاه العدو، ﴿وَلْيَأْخُذُوا﴾: المُصلُّون أو الحارسون، ﴿أَسْلِحَتَهُمْ﴾: حزمًا، ﴿فَإِذَا سَجَدُوا﴾: أي: صلُّوا وأتمُّوا الصلاة، ﴿فَلْيَكُونُوا﴾: المصلون، ﴿مِن وَرَائِكُمْ﴾: حارسين، ﴿وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا﴾: المصلون أو الحارسون، ﴿حِذْرَهُمْ﴾: تحرُّزهم، وهذا استعارة عن الآلة وفيه مبالغة، ﴿وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾: ولا يرد أنه جمع بين الحقيقة والمجاز في الأخذ، وظاهرها صلاة الإمام مرتين كصلاته - ﷺ - ببطن النخل، وإن أريد أن يُصلي بكلِّ ركعةٍ في الثنائية، فيصلي بالأولى ركعة،

---

(١) رواه الدارقطني في سننه (١/ ٢٨٧)، والبيهقي (٣/ ١٣٧) وسنده ضعيف.

(٢) رواه الدارقطني (٢/ ١٨٩) كتاب الصوم - باب: القبلة للصائم - الحديث (٤٤).

(٣) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٣/ ١٤٣).

(٤) عن كعب بن عجرة عن عمر قال: صلاة السفر ركعتان، وصلاة الجمعة ركعتان، والفطر والأضحى ركعتان، تمام غير قصر، على لسان محمد ﷺ. * أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٧٣/ ١٠٦٤)، والنسائي في سننه (٤٩٥/ كبرى)، وابن خزيمة (١٤٢٥)، والبيهقي (٣/ ١٩٩) وسنده صحيح.

وعن مجاهد عن ابن عباس- رضي الله تعالى عنهما- قال: فرض الله- تعالى- الصلاة على لسان نبيكم في الحضر أربعًا وفي السفر ركعتين، وفي الخوف ركعة. * أخرجه مسلم (٦٨٧).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٢٦٧، ٢٦٨) كتاب مناقب الأنصار (٦٣) باب التاريخ (٤٨)، الحديث (٣٩٣٥).

وينتظرها قائمًا ليتموا منفردين ويذهبوا إلى العدو فيتم بالأخرى الثانية وينتظرهم قاعدًا ليسلم بهم، كفعله- ﷺ- بذات الرقاع[١]، وروي في كيفيتها ستة وجوه أو سبعة[٢] بسطوها في الفقه، ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم﴾: عند صلاتكم بالقتال، ﴿مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾: مجتمعين، ﴿وَلَا جُنَاحَ﴾: لا وزر، ﴿عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ﴾: لثقلها، هذا يؤيد القول بوجوب حملها[٣]، ﴿وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾: تيقظكم بكلِّ حالٍ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾: غَلبوا أو غُلبوا، ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: أردتم أداءها في اشتداد الخوف، ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾: صَلُّوا، ﴿قِيَٰمًا﴾: مُسايفيْنَ، ﴿وَقُعُودًا﴾: مُرامين، ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾: مُثْخَنين، أو: إذا أديتم الصلاة فاذكروه في كل حال جبرًا لتخفيفاتها، ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ﴾ [سكنت قلوبُكُم و] زال خوفكم، ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: عدِّلُوا أركانها، وعند الحنفية: لَا يصلي حتى يطمئن[٤] ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ﴾ للدَّوام ﴿عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا﴾: مَفْروضًا، ﴿مَّوْقُوتًا﴾: مَحْدود الأوقات، ﴿وَلَا تَهِنُواْ﴾: لا تضعفوا، ﴿فِى ٱبْتِغَآءِ﴾: طلب قتال ﴿ٱلْقَوْمِ﴾: الكفار، ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ﴾: بالجرح، ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ﴾: من الثواب والنصر لعدم اعتقادهم بالبعث، وما أنزل إليكم، ﴿مَا لَا يَرْجُونَ﴾: فلكم هذا المزيد، فكونوا أصبر، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾: بضمائركم، ﴿حَكِيمًا﴾: فيما حكم، ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: القرآن ملتبسًا، ﴿بِٱلْحَقِّ

----

(١) رواه البخاري (٣٩٠٠) كتاب المغازي- باب: غزوة ذات الرقاع، ومسلم (٨٤٢) كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب: صلاة الخوف.

(٢) قال الإمام ابن نور الدين الموزعي اليمني:
وقد صلاها النبي ﷺ بصفات مختلفة بحسب اختلاف المواطن والأحوال يبلغ مجموعها ستة عشر وجهًا – ثم ذكرها بالتفصيل. * تيسير البيان لأحكام القرآن- للموزعي (٣/ ١٦، ١٧).

(٣) اختلف أهل العلم في المجاهد: هل يجب عليه حمل السلاح حال الصلاة ؟ فقال أبو حنيفة والشافعي في أحد قوليه: لا يجب.
* انظر: أحكام القرآن- للجصاص (٣/ ٢٤٦)، الأم (١/ ٢١٩)، الحاوي الكبير (٢/ ٤٦٨)، المغني (٢/ ١٣٧).

(٤) أحكام القرآن للجصاص (٣/ ٢٥٠)، المبسوط (١/ ١٤٤)، الكافي – لابن عبد البر (١/ ٣٤)، المجموع – للنووي (٣/ ٢١)، المغني – لابن قدامة (١/ ٢٣٣).

لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ﴾: عرَّفك، ﴿ٱللَّهُ﴾: بالوحي، ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ﴾: لأجلهم، كَطُعْمَةَ بن أبيرق إذ سرق دِرْع جاره، وأودعه عند يهودي، ثم اتهمه به[1]، ﴿خَصِيمًا﴾: للبرآء كهذا المتهم، ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾: من إرادة خصومة البريء، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾: لمن استغفره ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ﴾: يخونون، ﴿أَنفُسَهُمْ﴾: بالمعصية ويجعلونها خائنة كطعمة وعشيرته، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا﴾: كثير الخيانة، ﴿أَثِيمًا﴾: منهمكًا في الإثم كطعمة، ﴿يَسْتَخْفُونَ﴾: ذكر معاصيهم، ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾: والإخفاء عنه تركه، ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾: يدبرون، ﴿مَا لَا يَرْضَىٰ﴾: الله به، ﴿مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾: كرمي البريء، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾: بالعلم فيجازيهم، ﴿هَٰٓأَنتُمْ﴾ يا ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: الحمقى، يعني يا قوم طعمة، ﴿جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ﴾: عن طعمة وعشيرته، ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: إذا أخذهم، ﴿أَم﴾: بل، ﴿مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ۝ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا﴾: مع غيره، ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾: فقط، ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾: بالتوبة، ﴿يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾: عن ابن مسعود أنها من أرجى الآيات.

لكن ما تاب طُعْمة ثم ارتد ثم نقب حائطًا ليسرق فَسقط عليه ومات، ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾: فلا يضر إلا نفسه، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾: بفعله، ﴿حَكِيمًا﴾: في مجازاته، ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً﴾: صغيرة، ﴿أَوْ إِثْمًا﴾: كبيرة، ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ﴾: بأحدهما ﴿بَرِيٓـًٔا﴾ كما رَمي طُعْمَةُ [زيدًا] ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾: قوم طعمة، ﴿أَن يُضِلُّوكَ﴾: عن القضاء بالحق، ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾: لأنك معصوم، وهم ارتكبوا، ﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ﴾: فإن الله يعصمك، ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: القرآن، ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: السنة، ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾: ومنه نبوتك، ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ﴾: هو سِرٌّ بَيْن اثنين ﴿إِلَّا﴾ استثناء منهم، أو إلا

---

(١) رواه الترمذي (٥/ ٢٤٤، ٢٤٦/ ٣٠٣٦) وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٤/ ١٥/ ١٩٥٨) والطبراني في الكبير (١٩/ ١٦، ١٨/ ١٥) وسنده حسن.

نجوى، ﴿مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾: هو ما يَسْتَحْسِنُهُ الشرع ولا ينكره العقل، ومنه الإعانة والصدقة والقرض، ﴿أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾: الأمر، ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾: طلب، ﴿مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾: فكيف بفاعله، ﴿وَمَن يُشَاقِقِ﴾: يخالف، ﴿ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ﴾: الحق بمعجزاته، ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: كطعمة إذ هرب مرتدا بعد ما حكم عليه بقطع يده، ﴿نُوَلِّهِۦ﴾: نجعله واليًا ﴿مَا تَوَلَّىٰ﴾: من الضَّلال أي: نخليه وما اختار، ﴿وَنُصْلِهِۦ﴾: ندخله، ﴿جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾: هي، دلت على حرمة مخالفة الإجماع، وهذا إذا فسر سبيل المؤمنين بما هم عليه من الدين، وبسط بيانه في الأصول، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾: لمن لقيه مشركًا، ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾: ولو مظالم بأن ألقى في قلب مظلومه عفوه كما صح في الحديث، ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾: عن الحق، ﴿إِن﴾: ما، ﴿يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا﴾: بزعمهم إذ كانوا يزينون أصنامهم، ويسمونها أنثى بني فلان، أو ضعافا عجزة، ومنه: سَيْفٌ أنيثٌ، ﴿وَإِن﴾ ما ﴿يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا﴾: خارجًا بالكلية عن الطاعة، فإنهم أطاعوه بعبادتها ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾: بَعَّده عن رحمته، (وقال) الشيطان نطقًا أو فعلًا كـ:

* امْتَلأَ الحَوْضُ، وقال: قَطْنِي[1] *

والله، ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ﴾: بإضلالهم، ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾: مقطوعا معينا، قيل: من كل ألفٍ تسعمائة وتسعة وتسعين[2]، ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾: عن الصواب، ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾:

---

(١) صدر بيت من الرجز وعجزه:

* مهلا رويدًا قد ملأت بطني *

وهو بلا نسبة، ولايعرف قائله، واستشهد به الكازروني على الكلام بلسان الحال.

* وانظر: إصلاح المنطق (٥٧، ٣٤٢)، الإنصاف (١٣٠)، أمالي المرتضى، تخليص الشواهد (١١١)، الخصائص (١/ ٢٣)، رصف المباني (٣٦٢)، سمط اللآلي (٤٧٥)، شرح الأشموني (١/ ٥٧)، شرح المفصل (١/ ٨٢)، (٢/ ١٣١)، (٣/ ١٢٥)، اللامات (١٤٠)، لسان العرب (٧/ ٣٨٢)، مجالس ثعلب (١٨٩)، المقاصد النحوية (١/ ٣٦١).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٠٦٩/ ٥٩٨١) من كلام مقاتل - وهو متروك.

بأنواع الغرور، ﴿وَلَأُمُرَنَّهُمْ﴾: بالتبتيك، ﴿فَلَيُبَتِّكُنَّ﴾: يشُقُّون، ﴿ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾: ويجعلون زكاتها حرامًا، ويسمونها بحَائر[١]، ﴿وَلَأٓمُرَنَّهُمْ﴾: بتغيير خلق الله، ﴿فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾: صورة كالخصاء، والوَشْم، والوَشْر، أو صفة كتغيير الفطرة.

واعلم أن كل ما جعله كاملًا بفطرته، فجعَلَهُ ناقصًا بسوء تدبيره، فتغيير لخلقه وكذا كل ما خلقه لفضيلة فاستعمله في رذيلة[٢] كالشهوة في اللواط[٣]، ونتف اللحية[٤] ونحوه، وعدُّوا منه تحليل الحرام، وتحريم الحلال، ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: بإطاعته، ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾: بتضييع رأس ماله الفطري، ﴿يَعِدُهُمْ﴾: ولا يفي، ﴿وَيُمَنِّيهِمْ﴾: ما لا يجدون، ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾: هوإيهام النفع فيما فيه الضر، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾: معدلًا، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾: مصدران مؤكدان لنفسه ولغيره، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾: قولًا، ﴿لَّيْسَ﴾: الثواب ﴿بِأَمَانِيِّكُمْ﴾: بتمنيكم أيُّها العربُ ﴿وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا﴾: ولم يتب عنه ﴿يُجْزَ بِهِۦ﴾: ولو بمصائب الدنيا كما في الحديث[٥] ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾: يدفعان، ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ﴾: بعض، ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ﴾: ينقصون في أجرهم، ﴿نَقِيرًا﴾: قَدْر نُقْرة ظَهر نواة التمر، ﴿وَمَنْ﴾ لا ﴿أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ﴾: انقاد، ﴿لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: آت بالحسنات، ﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾: في أصول

---

(١) جمْعُ بحيْرَة وسيأتي معناها في سورة المائدة.

(٢) يعني وضع الشيء في غير موضعه.

(٣) هو إتيان الذكران- والعياذ بالله.

(٤) وهو حلقها وهذا حرم إجماعًا.

(٥) رواه عبد بن حميد (٧/ المنتخب)، والترمذي (٥/ ٢٤٨/ ٣٠٣٩)، والمروزي في مسند أبي بكر (٥٧، ٥٩/ ٢٠)، وأبو يعلى في مسنده (١/ ٢٩، ٣٠/ ٢١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٠٧١/ ٥٩٩٤) وسنده ضعيف لكن يشهد له ما في مسلم (٢/ ٤٨٢)، والترمذي (٤/ ٣١٤/ ٥٠٢٩)، والحميدي (٢/ ٤٨٥).

الدين، ﴿حَنِيفًا﴾: مائلًا إلى الحق، ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾: صفيًّا بكرامته ككرامة الخليل[1] عند خليله فإن الخلة ود يتخلل ويخالط النفس، ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾: عِلمًا وقُدرة فيجازي الكل، ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي﴾: مِيْراثِ ﴿النِّسَاءِ ۖ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾: الإفتاء: تبيين المبهم، ﴿وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾: يفتيكم وهو آيات المواريث حال كون المَتْلُوِّ ﴿فِي﴾: شأن، ﴿يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾: في ميراثهن أو صداقهن، ﴿وَتَرْغَبُونَ﴾: في، ﴿أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾: لمالهن وجمالهن، ولا تعطون صداقهن، ﴿وَ﴾: في، ﴿الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾: الصغار ﴿مِنَ الْوِلْدَانِ﴾: إذ كانوا لا يورثونهم كالنساء، ﴿وَ﴾: في، ﴿أَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ﴾: بالعَدْل، ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ۞ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾: ترفُّعًا عن صحبتها كراهة، ﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾: كَقِلَّةِ مُجالستها، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾: الزوجين، ﴿أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾: بحطٍّ بعض المهر، أو القسم أو النفقة، ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾: من الفرقة أو من الخصومة لا بمعنى التفضيل، بل بمعنى أنه خير من الخيور كما أن الخصومة شر من الشرور إذ لا مُزَكٍّ، ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ﴾: شدة البخل، أي: هي مطبوعة عليه، لا تغيب عنه، أو الخصومة، وهذا تمهيد عذر في مُماكستها وفي عدم مسامحته معها بنفسه إذا أحب غيرها، ﴿وَإِن تُحْسِنُوا﴾: في العشرة، ﴿وَتَتَّقُوا﴾: نقص الحقِّ، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾: فيثيبكم، ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ﴾: إذ العدل: أنْ لَا يكون مَيلٌ البتة، ولا بد من تفاوت في المحبة والشهوة والجماع، ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾: على العَدْل، ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾: إلى واحدة، ﴿فَتَذَرُوهَا﴾: الأُخْرى، ﴿كَالْمُعَلَّقَةِ﴾: التي ليست بذات بعل ولا مطلقة، ﴿وَإِن تُصْلِحُوا﴾: بالعدل، ﴿وَتَتَّقُوا﴾: الجور، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾: لما مضى من كل الميل أو بعضه، ﴿رَّحِيمًا﴾ فلا يضيق عليكم وعلى الثاني، لا يقال هذا مغفرة لما لا يستطاع تركه؛ لأنه يمكنه الاحتراز عنه بترك تزَوُّجه لعدة منهن، فهو كجناية السكران، ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا﴾: بالطلاق، ﴿يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا﴾: منهما

---

(١) في (ن): خَليل.

عن الآخر، ﴿مِّن سَعَتِهِۦ﴾: فَضْله الواسع، من العجائب أنَّ الغنى عُلِّق بمتقابلين: بالتفرق هنا، وبالنكاح في النور[١]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا﴾: فضله، ﴿حَكِيمًا﴾: فيما حكم، ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: فله كمال السعة، ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَ﴾: وصينا، ﴿إِيَّاكُمْ أَنِ﴾ بأن، ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: قائلين ﴿وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: لا عليه كفركم ولا له شكركم، إنما وصَّاكم لصلاحكم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا﴾: عن خلقه، ﴿حَمِيدًا﴾: مستحقًّا للحمد وإن كفرتموه ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: فله الغنى وله الحَمْدُ، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾: فتوكلوا عليه، ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ﴾: من الناس مكانكم، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ۝ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾: فلا يقتصرنَّ عليه، ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا﴾: للأقوال، ﴿بَصِيرًا﴾: بالأعمال فيجازي، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ﴾: دائمي القيام، ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾: بالعدل، ﴿شُهَدَآءَ﴾: خالصين، ﴿لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾: وهو الإقرار؛ لأن الشهادة بيان الحق، ﴿أَوِ﴾ على ﴿ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ﴾ المشهودُ عليه ﴿غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾: فيشهد عليه بلا رهبة ورحمة، ﴿فَٱللَّهُ﴾: فشرعه، ﴿أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾: جنسي الغني والفقير من رهبتكم ورحمتكم، ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ﴾: كراهة، ﴿أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟﴾: ألسنتكم بتغيير الشهادة، ﴿أَوْ تُعْرِضُوا۟﴾ عن أدائها ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾: فيجازيكم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟﴾: دُومُوا على إيمانكم، ﴿بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾: القرآن، ﴿وَ﴾: جنس، ﴿ٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾: أي: بشيء من ذلك، ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾: عن الحق، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: كاليهود بموسى، ﴿ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾: كعبادتهم العجل، ﴿ثُمَّ ءَامَنُوا۟﴾: بعده، ﴿ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾: ككفرهم بعيسى، ﴿ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا﴾: ككفرهم بمحمد - ﷺ -، ﴿لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا﴾: إلى الحق، لأنه يستبعد منهم التوبة، لا لأنها لا تقبل منهم أو معناه: من تكرر منه الكفر والإيمان لا يغفر له، وعن علي: يقتل ولا تقبل توبته، ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ ٱلَّذِينَ

---

(١) في قوله: ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾.

يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ ﴾: الغلبة على المؤمنين، ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾: لا يعز إلا من أعزه، ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: في سورة الأنعام: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون...﴾ الآية (أن) أنه، ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: حال كونها، ﴿يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ﴾: مع من يكفر ويستهزئ، ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ﴾: غير حديث الكفر والاستهزاء، ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾: لقدرتكم على الإعراض، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾: كاجتماعهم على الاستهزاء هنا، ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ﴾: ينتظرون وقوع أمر ﴿بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾: فأعطونا الغنيمة، ﴿وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ﴾ من الظَّفر عليكم، غير الأُسلوب تحقيرًا لهم ﴿قَالُوٓا۟﴾: للكافرين، ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ﴾: نستول بالممكن من القتل والأسْر، ﴿عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم﴾: نحجبكم، ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: بتثبيطهم عنكم، وعدم نصرتهم، ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: ببواطنكم، ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾: بالحجة، أو ظهورًا كليًّا في الدنيا، وفيه دليل فساد شراء الكافر المسلم، ودليل الحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد، وردوا بأنه لا ينفي أن يكون إذا عاد قبل العدة، ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾: بزعمهم، ﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾: مجازيهم على خداعهم، ﴿وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ﴾: متثاقلين كالمكره، ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾: ليحسبوهم مخلصين، ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ﴾: مطلقًا، أو لا يصلون، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: بحضرة الناس ولو أخلصوا في القليل لكان كثيرًا، ﴿مُّذَبْذَبِينَ﴾: مترددين، ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: بين الكفر والإيمان، ﴿لَآ﴾: منضمّين، ﴿إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: المؤمنين، ﴿وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: الكافرين، ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾: إلى الهداية[1]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: كالمنافقين، ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾: حُجَّةً، ﴿مُّبِينًا﴾: واضحًا على نفاقكم، ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ﴾: الطبقة السابعة وهي توابيت من حديد مقفلة في النار[2] أو بيوت مقفلة عليهم توقد من

---

(١) في (ح): إلّا الهاوية.

(٢) تفسير الطبري (٩/ ٣٣٩)، فتح الباري (٨/ ٢١٤)، الوسيط (٢/ ١٣٣) تفسير ابن كثير (١/ ٥٧٠).

فوقهم، ﴿مِنَ ٱلنَّارِ﴾: لضمهم الاستهزاء أو الخديعة إلى الكفر وقد مر بيان الدرجة والدركة.

واعلم أن حديث: «ثلاث من كن فيه فهو منافق»[1] ونحوه من باب التشبيه والتغليظ، ﴿وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾: يخرجهم منها، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾: من النفاق، ﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾: العمل، ﴿وَٱعْتَصَمُوا۟﴾: وثقوا، ﴿بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾: بلا رياء، ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: في الحشر، ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾: فيشاركونهم فيه، ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ﴾: نعمته، ﴿وَءَامَنتُمْ﴾: فإنه الغني المطلق، وأما معاقبة الكافر فلأنَّ إصراره كسُوء مزاج يُؤدِّي إلى مرضٍ، فإذا زال بالإيمان أَمِنَ من تبعته، وعطف الخاص[2] على العام[3] اهتمامًا، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا﴾: لأعمالكم ولو قلَّتْ، ﴿عَلِيمًا﴾: بأحوالكم، ﴿لَّا يُحِبُّ[4] ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا﴾: جهْر، ﴿مَن ظُلِمَ﴾: بالدعاء على ظالمه وقيل: الجهر بالسوء دائمًا مبغوض، فإلا بمعنى: ((ولا)) كما مَرَّ في «إلا خطأً»، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا﴾: لدعائه، ﴿عَلِيمًا﴾: بفعل الظالم، ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا﴾: برًّا، ﴿أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ﴾: من أخيكم، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾: على الانتقام، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾: بالإيمان به والكفر بهم ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ﴾: منهم، ﴿وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: الكفر والإيمان، ﴿سَبِيلًا﴾: واسطة، ولا واسطة ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: الكاملون في الكفر ﴿حَقًّا﴾: ثابتًا بلا شك، ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ۝ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾: في

---

(١) يشير إلى حديث: «ثلاث من كن فيه فهو منافق، وإن صام وصلى وحج واعتمر، وقال: إني مسلم: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان». رواه أحمد (٢/ ٥٣٦)، والبيهقي (٦/ ٢٨٨)، والخطيب (١٣/ ٤٣٧) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٥٥٤).

* قلت- أبو الحسن-: ولا أدري لماذا يلجأ الكازروني إلى الضعيف مع وجود أحاديث صحيحة كثيرة تدل على المراد.

(٢) الشكر.

(٣) الإيمان.

(٤) في هامش (ن): الجزء (٦).

الايمان به، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا﴾: لهم، ﴿رَّحِيمٗا﴾: بهم، ﴿يَسۡـَٔلُكَ﴾: تعنتًا، ﴿أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا﴾: جُملة بخطٍّ سماوي كالتوراة، ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾: فلا عجب منهم، ﴿فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾: عيانًا، ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾: نار من السماء، ﴿بِظُلۡمِهِمۡ﴾: وهو تعنتهم في السؤال، ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ﴾: إلهًا، ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾: المعجزات، ﴿فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَ﴾: بقبول توبتهم، ﴿وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَٰنٗا﴾: تسَلُّطًا، ﴿مُّبِينٗا﴾: عليهم مع نهاية عنادهم، فيه بشارة بنصرة حبيبه عليه الصلاةُ والسلامُ، ﴿وَرَفَعۡنَا فَوۡقَهُمُ ٱلطُّورَ﴾: حين أبوا قبول أحكام التوراة، ﴿بِمِيثَٰقِهِمۡ﴾: بسبب ميثاقهم ليقبلوه، ﴿وَقُلۡنَا لَهُمُ﴾: ابتداء، ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾: تواضعًا كما مَرَّ ﴿وَقُلۡنَا لَهُمۡ لَا تَعۡدُواْ﴾: لا تظلموا باصطياد السمك ﴿فِي ٱلسَّبۡتِ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا﴾ على ذلك، ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم﴾: أي: فعلنا بهم ما فَعَلْنَا بنقضهم، ﴿مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: المعجزات، ﴿وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ﴾: عندهم، ﴿وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢ﴾: أوعية للعلم كما مر ومتعلق الباء فعلنا بهم ما فعلنا ﴿بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ﴾: رَدٌّ لما قالوا، ﴿فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾: منهم المذكور، ﴿وَبِكُفۡرِهِمۡ﴾: بعيسى عطف على نقضهم ﴿وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا﴾: الزنا، ﴿وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾: أي: بزعمه، أو وصفوه به استهزاءً، أو وصفه تعالى تعظيما، ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡ﴾: وقع لهم التشبيه بين عيسى وشاب من أنصاره أو طيطانوس[1] اليهودي الذي قصد قتله وذمهم به لتبجُّحِهم به، لا لقولهم هذا حسب حسبانهم، ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾: في عيسى، ﴿لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ﴾: قال بعضهم: قتلناه، وقال آخر: بل وجهه وجهه، وبدنه غير بدنه، وآخر: هو ابن الله رفعه إليه، وآخر: صُلِبَ النَّاسُوْتُ[2]، ورفع اللاهوت[3] وغير ذلك أيضًا، ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾: هو هنا مجاز عن الشك فلا ينافي: ﴿لَفِي شَكّٖ﴾، أي: لكنهم يتبعون الظن، ﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾: قتلا، ﴿يَقِينَۢا﴾: كما زعموا، أو حال مؤكدة للنفي، ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾: فإن السماء

---

(١) في (ن): طيطابوس.

(٢) الناس والبشر.

(٣) الإله.

محل ظهور سلطانه[١][٢]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾: فيما دبَّر، ﴿وَإِن﴾: ما أحد، ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾: بعيسى، ﴿قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾: أي: الكتابي عند مُعاينة ملك الموت بأنه عبد الله ورسوله، فلم ينفعه أو أهل كتاب زمان نزوله يومئذٍ عند خروج الدجال فإنه يهلكه وتصير الملل واحدة وهي ملة الإسلام ويلبث أربعين سنة، ثم يموت ويصلِّي عليه المسلمون، وروي أنه يدفن بجنب عمر[٣] - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾: بكفرهم أو إيمانهم به على الثاني، ﴿فَبِظُلْمٍ﴾: عظيم صدر، ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾: إشارة إلى قوله: «وعلى الذين هادوا» في الأنعام.

واعلم أن التحريم لأحد ثلاث: الأول[٤]: للجناية وهذا يُحرِّمه الشرعُ والعقلُ، والثاني: لغلبة ضره على نفعه وإن ظن العقل خلافه: الثالث: لكسر شهوة بعض، وإن كان نافعًا جدًّا، فيحرمه الشرع على مَنْ يستحقُّ كما نحن فيه، ﴿وَبِصَدِّهِمْ﴾: منعهم، ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: صدًّا أوناسًا، ﴿كَثِيرًا ۝ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ﴾: في التَّوراة ﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾: كالرشوة، ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ﴾: دُوْنَ مَنْ آمن، ﴿عَذَابًا أَلِيمًا ۝ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ﴾: المتقنون، ﴿فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: كلهم، ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾: القرآن ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: نُصِبَ مَدْحًا[٥]، لا كَمَا يُروى عن عائشة- رضي الله تعالى عنه-: «أنَّه ممَّا أخطأَ فيه الكُتَّابُ»، ﴿وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾: أوْلادُ يعقوب، ﴿وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾: كتابه، وبضم الزَّاي جمع

---

(١) هذا تأويل أشعري قبيح، والصواب الذي عليه الأمة سلفًا وخلفًا أن الله في السماء، والأدلة عليه عدد الرمل والحصى- والحمد لله.

(٢) في (ن)، و(ع)، و(د): أي: إلى محل ظهور سلطانه وهو السماء.

(٣) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٠/ ٣٦٦/ ١١٣٥١) وسنده ضعيف جدًّا.

(٤) في (ن): ١ وكذا ما بعده: ٢، ٣.

(٥) قوله: «والمقيمين» قال الواحدي في الوسيط (٢/ ١٣٩): نُصِبَ على المدح، والعرب تقول: جاءني قومك المطعمين في المحل والمغيثون في الشدائد، على معنى: اذكر المطعمين، وهم المغيثون، وكذلك هذه الآية هنا، معناها: اذكر المقيمين، وهم المؤتون الزكاة.

«زبر» بمعنى زبور، أي: ءاتيناهُ صُحُفًا مزبُورة، وخصَّهم بالذِّكْر؛ لمزيد شرفهم، ﴿و﴾: أرسلنا، ﴿رُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾: في السور المكية، ﴿وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾: وهو منتهى مراتب الوحي، أي: شأنك في الوحي كشأنهم إذا أعطيت كل ما أعطوا، فمعاندك كمعاندهم، أَرسَلْنا ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ﴾: للمطيع، ﴿وَمُنذِرِينَ﴾: للعاصي، ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾: فيقولوا: ما أَرْسلت إلينا من ينبهنا، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾: فيما أراد، ﴿حَكِيمًا﴾: فيما دبر ولما نزل: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ﴾ إلى آخره، قالوا: ما نشهد لك، وهؤلاء المعاندون لا يشهدون، فنزل[1]: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ﴾: القرآن الدال على نبوتك، ﴿أَنزَلَهُۥ﴾: ملتبسًا، ﴿بِعِلْمِهِۦ﴾: معلومه مما يحتاج إليه الناس في معاشهم ومعادهم، أو بعلمه بأنك أولى بإنزاله عليك، ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: أيضًا، ﴿يَشْهَدُونَ﴾: بنبوتك، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾: بنبوتك فإنه أقام الحُجَجَ الواضحة عليها ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾: عن الصواب، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ﴾: مُطْلقًا أو بكتمان نبوتك وماتوا عليه، دَلَّ[2] بقوله: ﴿ظَلَمُواْ﴾ على أن الكافر مُخاطبٌ بالفُرُوع[3]، ﴿لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ۞ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾: أي: لا يدلهم إلا إليها، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ﴾: محمد عليه الصلاة والسلام، ﴿بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُواْ﴾: إيمانًا، ﴿خَيْرًا لَّكُمْۚ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: فهو غَنيٌّ عنكم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾: بأحوالكم، ﴿حَكِيمًا﴾: في أفعاله ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: النصارى أو مع اليهود، ﴿لَا تَغْلُواْ﴾ لا تجاوزوا الحَدَّ ﴿فِي دِينِكُمْ﴾: في عيسى بلا إفراطٍ ولا تفريطٍ، كما مَرَّ ﴿وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾: من التنزيه من نحو الولد، ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥ﴾: أوجده بكلمة «كُنْ» أو حجته، ﴿أَلْقَىٰهَآ﴾: الكلمة، ﴿إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾: وهو نفخ جبريل في جيب درعها بكلمته

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٦/ ٢٢) وسنده ضعيف.

(٢) في (ن): أفهم بقول.

(٣) في ذلك خلاف بين أهل الأصول.

حتى ولجت فرجها بمنزلة لقاح الأب الأم أو المراد: نفخ جبريل أو الروح الذي يحيى به الجسد، ﴿وَرُوحٌ﴾: صَدَر، ﴿مِّنْهُ﴾: بلا مادة، ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ﴾: آلهتنا، ﴿ثَلَٰثَةٌ﴾: الله والمسيح ومريم أو الأقانيم الثلاثة، كما سيجيء، ﴿ٱنتَهُواْ﴾: عن التثليث يكن، ﴿خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ﴾: تنزيهًا له عَنْ، ﴿أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: ملكًا وخلقًا، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾: فهو غنيٌ عن ولدٍ يكون وكيلهُ ﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ﴾: يأنف من نكفته: نحيته، ﴿ٱلۡمَسِيحُ﴾: من، ﴿أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾: مع أنه لا أب لهم ولا أم وقوتهم فوق البشر، فكيف بضعيف له أم، فلا يلزم تفضيلهم على الأنبياء، إذ أراد بالعطف المبالغة باعتبار القوة وعدم التولد لا العظمة، وأيضًا هي رَدٌّ على عبَدَة المسيح، والملك، وَإن سَلّمنا فلا يستلزم[1] تفضيل أحد الجنسين على الآخر مطلقًا، ﴿وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ﴾: والاستنكاف فوق الاستكبار؛ لأنه هو مع أنفه، وهذا من اللّفّ التقديري، أي: ومن يستنكف، ومن لا يستنكف، ﴿فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا﴾: للمجازاة، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: أي: لا يستنكفون، ﴿فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ﴾ عن عبادته ﴿وَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ عن الحَوْر ﴿فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾: محمَّد عليه الصلاة والسلام، ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾: القرآن، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ﴾: تمسكوا بالقرآن وتوكلوا على الله، ﴿فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ﴾: توجب النجاة، ﴿وَفَضۡلٖ﴾: زائد على أعمالهم، ﴿وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ﴾: إلى الله، ﴿صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾: إلى العلم والعمل والجنة، ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ﴾: في الكلالة، ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِ﴾: القرابة الغير البعضية، ﴿إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ﴾: مات، ﴿لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ﴾: ولا والد، ﴿وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ﴾: من الأبوين أو الأب، ومضى حكم الأميَّة، ﴿فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ﴾: المرء، ﴿يَرِثُهَآ﴾: الأخت في عكسه، ﴿إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞ﴾: ولا والد، ﴿فَإِن كَانَتَا

---

(١) في (ن): يلتزم.

﴿ٱثۡنَتَيۡنِ﴾: فصاعدًا، ﴿فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾: الأخ، ﴿وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ﴾: وأخوات، ﴿رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾: الحـق كراهـة، ﴿أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾: ومنه مصالحكم في محياكم ومماتكم- والله أعْلَمُ بالصَّواب.





«سورة المائدة» : مدنية(١)



لمَّا بَيَّنَ لنا الحَقَّ والضّلَال، كراهةَ الضّلالَ أمرنا بوفاء عهوده، وهي اتباع ما بيَّن لنا في الحال والمآل فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾: بكل عُقُوْدكم مع أنفسكم وما بينكم وبين الله، وما بين الله وبينكم، سواء أوجبها الشرع في الكتاب والسنة والعقل كما ذكره الله مع معرفته فينا، ونتوصل إليه بالبديهة أو بأدنى نظرٍ، كَمَا دَلَّ عليه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾(٢) إلى آخره، فذلك سنة، وكل إما يلزم ابتداء أو بالتزامنا، والثاني: إما واجبُ الوَفَاء أو مُسْتحبُّه، أو واجب الترك أو مُستحبُّه، فالملتزم أربعة وعشرون قسمًا، والوفاء والإيفاء: القيام بمقتضى العهد، ثم فَصَّل العُقُود بقوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ﴾: هيَ كلُّ حيٍّ لا يُميِّز، ﴿الْأَنْعَامِ﴾: إضافة بيانية كثَوْب خَزٍّ، أي: الإبل والبقر والغنم، وألحق بها الظباء وبقر الوحش، ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾: تحريمه في آية: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ﴾ - الآية، حَالَ كونكم ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾: جَمْعُ حرام بمعنى مُحرمون، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾: من التحليل والتحريم، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾: مناسك الحجّ، كالصَّيد في الإحرام أو دينه، ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾: بابتداء القتال فيه، وهذا منسوخ عند الأكثر، ﴿وَلَا الْهَدْيَ﴾: جمع هدية: ما أُهْدي إلى الكعبة من النَّعم، أي: لا تتعرَّضُوا له ولو غير مُقلَّد ﴿وَلَا الْقَلَائِدَ﴾: الهدي ذوات القلائد، جمع قلادة ما يُقلَّدُ به الهدي من نحو نخل أو لحاء شجر، ﴿وَلَا﴾: تحلوا، ﴿آمِّينَ﴾: قاصدين، ﴿الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا﴾: رزقًا، ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾: بالتجارة، ﴿وَرِضْوَانًا﴾: بزعمهم، فدخل الكافر، ولكنه نسخ بـ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ

---

(١) في هامش نسخة (د): سورة المائدة- مدنية، مائة وعشرون آية، وعند البصريين ثلاث وعشرون غير آية: «وعشرون غير آية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ﴾ ثم نزلت التوبة، كلماتها (٢٨٠٤)، حروفها (١١٩٣٠)، وفي هامش (ن): بلغ مقابلة.

وفي عدد سور القرآن (٢٢٠): أحد عشر ألفًا وسبعمائة وثلاثة وثلاثون حرفًا.

* وانظر: البصائر (١/ ١٧٨)، البيان (١٤٩)، القول الوجيز (١٨٥).

(٢) سورة الأعراف.

نَجَسٌ﴾[١] إلى آخره، ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾: إباحة، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ﴾: بغض، ﴿قَوْمٍ أَن﴾؛ لأن، ﴿صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: عام الحديبية، ﴿أَن تَعْتَدُوا﴾: بانتقام بصدهم عن العمرة، وهذا ثاني المَفْعولين، ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ﴾: ما أمرتم به، ﴿وَالتَّقْوَىٰ﴾: عن المنهي، ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ﴾: المعصية، ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾: الظلم، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۞ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾: ما فارقت الرُّوح بلا تذْكِيَة[٢]، ﴿وَالدَّمُ﴾: المسفوح، ﴿وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ﴾: رُفع الصَّوْتُ، ﴿لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ كما مَرّ، ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾: ما مات بالخنق، ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾: ما مات بضرب مثقل، ﴿وَالْمُتَرَدِّيَةُ﴾: ما مات بالتّردّي[٣]، ﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾: ما مات بنطح الآخر، ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾: منه فمات وإن كان جوارح الصيد، ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾: من الخمسة قبل موته بهذه الأسباب[٤]، وفيه حياة مستقرة، والذكاة قطع الحلقوم والمريء بمحدد وذكر الخمسة مع أنها ميتة لعد الكفرة ذلك ذكاة، ﴿وَ﴾: حُرِّمَ ﴿مَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾: أي: لها جمع نصاب، أَوْثانٌ حَوْل الكعبة كانوا يذبحون لها تعظيمًا، فحَرم وإن ذكر اسم الله عليه، ﴿وَ﴾: حرم، ﴿أَن تَسْتَقْسِمُوا﴾: تطلبوا معرفة ما قسم لكم من مقاصدكم، ﴿بِالْأَزْلَامِ﴾: جمع زلم، سهامٌ كتب في بعضها: أمرني ربي، وفي بعضها: نهاني ربِّي، وبعضها غير مكتوب، فبمجيء الأمر فعلوا، وبالناهي تركوا، أو الغفل أعادوها ثانيًا، أو هو استقسام الجزور على الأنصباء المعلومة وذكر الاستقسام مع البواقي لارتكابهم كلها عند البيت، ﴿ذَٰلِكُمْ﴾: الاستقسام، ﴿فِسْقٌ﴾؛ لأنه وإن أشبه القُرْعَةَ دخول في علم الغيب، وافتراء على الرب، إن أريد بربّي الله وشركٌ إن أُريد الصنم، وجهل بالثمن والمثمن على التفسير الثاني، ﴿الْيَوْمَ﴾: الأزمنة الحاضرة، ﴿يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن﴾ إبطال، ﴿دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾: من غلبتهم عليكم، ﴿وَاخْشَوْنِ﴾: فقط، ﴿الْيَوْمَ﴾: يوم عرفة حجة الوداع،

---

(١) سورة التوبة.

(٢) ذبح.

(٣) من مكانٍ عالٍ.

(٤) في نسخة (د): الأشياء.

﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾: فما نَزل[1] حلالٌ وحرام بعده، ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾: بإكمال الدين، ﴿وَرَضِيتُ﴾: اخترت، ﴿لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾: من بين الأديان، وهذه الجملة منقطعة من الأوليين، ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾: إلى تناول مُحرَّم منها، ﴿فِي مَخْمَصَةٍ﴾: مَجاعةٍ ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ﴾: مائل، ﴿لِّإِثْمٍ﴾: كأكلها مجاوزًا حد الرخصة، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾: له، ﴿رَّحِيمٌ﴾: به لا يؤاخذه به، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ﴾: ما لم تستخْبثْهُ الطباع السَّليمة بشرط أن لا يدل نص ولا قياس على حرمته، ﴿وَ﴾ صيد، ﴿مَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾: أي: كواسب الصَّيد مِن سباع وطيور حال كونكم ﴿مُكَلِّبِينَ﴾: مُعلمين إياها الصيد، والمكَلِّبُ: مُؤدبها، كالمُؤدِّب لمعلم الأدب؛ لأن كل سبع يسمى كلبًا، وهي بمعني مغريها وفي الحديث: «اللَّهُمَّ سَلِّطْ عليه كلبًا من كلابك»[2]، ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾: من الحيل، ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾: ما لم يأكلن منه وإن قتلنه، ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾: ندبًا ﴿عَلَيْهِ﴾، أي: ما علمتم عند إرساله أو على أكله، ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: في محرماته، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾: فيؤاخذ بما جَلَّ ودَقَّ ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ﴾: ذَبائح ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾: اليهود والنصارى، ﴿حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾: أي لكم أن تطعموهم ذبائحكم، ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ﴾: الحرائر، ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ﴾: الحرائر، ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: مهورهن، تقييد الحل به لتأكيد وجوبها وبالإحصان للبعث على الأولى ﴿مُحْصِنِينَ﴾ أَعِفَّاء بالنكاح، ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾: مُجاهرين بالزِّنا، ﴿وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾: أصدقاء يزنون بهن جَمْعُ خِدْنٍ، ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾: بالشرع بإنكارِه أو بمعنى يرتد عنه، ﴿فَقَدْ حَبِطَ﴾: ضَاعَ ﴿عَمَلُهُۥ﴾: إنْ مات عليه، ﴿وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ﴾: أردتم القيام، ﴿إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾: أي: مُحْدثين[3] للحديث، ولمقابلته بقوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا﴾، أو لقوله: ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم﴾ «إلى آخره، وقيل هو أمر للمحدث وجوبا، وللمتطهر ندبًا، وإعلام للنبي - ﷺ - ألا يترك كل الأعمال إن

---

(١) يعني: فلَمْ ينزل.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٣٩) كتاب التفسير سورة أبي لهب- وسنده ضعيف جدًّا.

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٢).

أحدث؛ لأنه - ﷺ - كان إذا أحدث امتنع من الأعمال كُلها ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾: أي: أمِرُّوا الماء عليهما بلا دَلْك، خلافًا لمالكٍ، ﴿إِلَى﴾: أي: مع، ﴿الْمَرَافِقِ﴾: للحديث[1]، ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾: الباء للإلصاق يُقيدُ[2] للتبعيض، فإنها الفارق بين: مسحت المنديل، أي: كله، وبالمنديل أي: بعضه، ونقل ابن مالك عن أبي علي[3] في التذكرة: أنها تجيء بمعنى «من» للتبعيض، وبه أخذ أبو حنيفة[4] - رضي الله عنه - إلا أنه لا يجعله للأقل[5]؛ لحصوله في ضمن الوجه، ويرده وجوب الترتيب، ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾: بالنصب واضح، وبالجر قيل بالجواز والواو تأباه[6]، وقال أبو زيد: المسح عند العرب: غسل ومسح فغاية الأمر أنها تصير بمنزلة المجمل وصِحَاحُ الأحاديث، بلغ التواتر في وجوب غسلها، فلا يردُ إمكانُ حمل النَّصْب على العطف على محل الممسوح وبعطفها على الممسوح نبه على ترك السرف في الصب بكونه مظنه فهو كـ:

* متقلِّدًا سيفًا وَرُمْحًا[7] *

---

(١) رواه الدارقطني (١/ ٨٣) والبيهقي (١/ ٥٦). * وانظر: تيسير البيان (٣/ ١٠٣).

(٢) يعني: حرف الباء يُفيد... إلخ.

(٣) يعني الفارسيّ.

(٤) أحكام القرآن للجصاص (٣/ ٣٤٥)، المبسوط للسرخسي (١/ ٦٣).

(٥) في (ن): للأكمل.

(٦) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وأبو بكر وأنس وعكرمة وابن عباس والشعبي «وأرجلكم» بالخفض.
* البحر المحيط (٣/ ٤٣٧)، السبعة (٢٤٢)، غيث النفع (٢٠٠).

(٧) عجز بيت من مجزوء الكامل، وصدره:

* يا ليت زوجك قد غدا *

وقائله: عبد الله بن الزبعري، والشاهد فيه قوله: «ورمحًا» حيث نصبه بعامل محذوف تقديره: حاملًا، ويجوز تضمين «متقلدًا» معنى «حاملًا» حين ذاك يصح تسليطه على «رمحا».

انظر: الأشباه والنظائر (٢/ ١٠٨)، (٦/ ٢٣٨)، أمالي المرتضى (١/ ٥٤)، الأنصاف (٢/ ٦١٢)، خزانة الأدب (٢/ ٢٣١)، (٣/ ١٤٢)، (٩/ ١٤٢)، الخصائص (٢/ ٤٣١)، شرح شواهد الإيضاح (١٨٢)، شرح المفصل (٢/ ٥٠)، المقتضب (٢/ ٥١)، معاني الفراء (١/ ١٢١، ١٢٣)، الزاهر (١/ ١٤٧)، مجاز القرآن (٢/ ٦٨)، معاني القرآن للزجاج (٢/ ١٦٨)، وللأخفش (٢/ ٤٦٦)، الكامل للمبرد (١/ ٣٣٤، ٣٧١)، أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٥٧٨).

لأن الغسلَ والمسحَ متقاربان معنى وقرينة المجاز أن لا غاية للمسح، وله غاية، فمراده: اغسلوا غسلًا خفيفًا وقيل: معطوف على مسح الرأس لفظًا ومعنى، ثم نسخ بالسُّنَّة وتوسيط الرأس بين الأيدي والأرجل دليل لوجوب الترتيب والفاء والسنة لوجوب النية، ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾: فاغتسلوا، ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾: فُسِّر مرَّةً، ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ﴾: كلها، ﴿وَأَيْدِيكُم﴾: أي: مع المرفقين بضربتين للسنة، وتفسير الآية مرَّ ﴿مِّنْهُ﴾: أي: ببعضه، فلا يتيمم بصخر صلد، وفي كون من ابتدئية تعسُّف، بينه في الكشاف وغيره، وكونها سببية والضمير للحدث خلاف الظاهر على أن الفاء أفادتها، ولعل تكرار الآية لبيان هذا الشرط مع اتصال بيان أنواع الطهارة، ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾: ذلك، ﴿لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾: ضيق، ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ﴾: ذلك، ﴿لِيُطَهِّرَكُمْ﴾: ظاهرًا وباطنا، ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾: ببيان مُطهِّرهما، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: نعمته فيزيدها، ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: دينية، ودنيويه، ﴿وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ﴾: ببيعة الرضوان، ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾: في المنشط والمكره، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: في نقض عهده، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: خفياتها، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ﴾: بالحقِّ، ﴿لِلَّهِ﴾: لا رياء، ﴿شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: يكسبنكم، ﴿شَنَآنُ﴾: بغض، ﴿قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا﴾: ولو مع العدو، وهو العدل، ﴿هُوَ﴾ العَدْلُ ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾: من قبيل ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ﴾ إلى[1] آخره، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: فيجازيكم، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۙ﴾: ثم بين الموعود في قوله، ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لو لهم سيئة ﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۞ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ﴾: قريش، ﴿أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾: بالقتل حين اشتغالكم بصلاة العصر، فجاء جبريل بصلاة الخوف، وأخبركم بمكرهم[2]، ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾

---

(١) سورة الفرقان.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٦/ ٩٣) وسنده ضعيف.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۞ وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ﴾: كفيلا من اثني عشر سبطًا بالوفاء على ما أمروا به من دخول الشام ومحاربة الجبابرة، ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ﴾: بالنصر والله ﴿لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ﴾: نصرتموهم، وأصله الرد فيستعمل في الردع عن القبيح، ورد الأعداء، وهو النصرة، واستعماله في التأديب من باب: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا»[1]، ﴿وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾: بالإنفاق في البر، ﴿لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾: الميثاق، ﴿مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾: طريق الحقّ، إنما خصَّهُ مع أن قبله كذلك؛ لأنه أقبحُ ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم﴾ فبنقضهم ﴿مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ﴾: أبعدناهم عن رحمتنا، ﴿وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ﴾: صلبة وقاسية مغشوشة، فإنها أصلب، ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ﴾: كلام الله، ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾: مر بيانه، ﴿وَنَسُواْ حَظّٗا﴾: نصيبًا لهم، ﴿مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾: من التوراة، فلم يعملوا بها، ﴿وَلَا تَزَالُ﴾: يا محمد، ﴿تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ﴾: خيانة، ﴿مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا﴾: كابن سلام وأصرابه[2][3]، ﴿مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡ﴾: أعرض، ونسخ بالسيف[4]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۞ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ﴾: أي: زعموا نصرة دين الله وقيل هم من ناصرة الشام، ﴿أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا﴾: نصيبًا وافرًا، ﴿مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾: في الإنجيل من اتباع محمد عليه الصلاة والسلام، ﴿فَأَغۡرَيۡنَا﴾: ألزمنا، ﴿بَيۡنَهُمُ﴾: بين فرقهم النسطورية واليعقوبية والملكانية، ﴿ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ﴾: كمال العداوة، ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾: بما قطع جزاء، ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: الكتابين، ﴿قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا﴾: محمد عليه الصلاة والسلام، ﴿يُبَيِّنُ لَكُمۡ

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٢٠١)، والبخاري في صحيحه (٥/ ٢٤٤٣)، والترمذي في جامعه (٤/ ٢٢٥٥).

(٢) الوسيط (٢/ ١٦٨).

(٣) في (د)، و(ن): أحزابه.

(٤) يعني بآية السيف. * تفسير الطبري (٦/ ١٠١)، تفسير ابن كثير (٢/ ٣٣)، الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (١٥٠).

﴿كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: كآية الرجم، وبشارة عيسى بأحمد[1]، ﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾: من تحريفكم وخيانتكم مما أمر بالعفو عنه، فلا يرد أنه لم يجب عليه إظهار حق كتموه، ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ﴾: القرآن، ﴿وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۞ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ﴾: أي: من في علمه أنه يتبع، ﴿رِضْوَٰنَهُۥ﴾: بالإيمان، ﴿سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾: النجاة[2]، ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: الكفر، ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾: الإيمان، ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾: بإرادته، ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: يوصل إلى الله، ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ﴾: يعقوبية[3] النصارى، القائلون بالاتحاد، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾: أو هم النصارى، مستدلين بصفاته من الإحياء والغيب على الإلهية، فهو مثل: الكريم زيد، ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ﴾: قدرة ﴿ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ مجاز عن الرد كلا أملك رأس الدابة ﴿إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾: إذ كلهم سواء تحت قهره، وهذا ينافي الألوهية، ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ١٠٣)، لباب النقول (١٠٤).

(٢) قال ابن عباس: يريد: دين الإسلام دين الله. * الوسيط (٢/ ١٦٩).

(٣) ويقال لهم: اليعاقبة وهم من كفرة النصارى- لعنهم الله- وهي فرقة يعقوب السروجي ويسمى البرادعي!!!! ادعت أن المسيح أصاره الاتحاد طبيعة واحدة وأقنومًا واحدًا، من طبيعتين: لاهوتية وناسيوتية- ومشيئة واحدة «المونوفيزتية» وأول من قال به أو طاخي «أوتيكيس»وهو رئيس دير بالقرب من القسطنطينية، وقد أنكر هذا القول فلافيان- بطريرك وأما البرادعي!!! فقد ظهر- لعنه الله- في القرن السادس الميلادي.

وقد أخذت بهذا المذهب ثلاث كنائس من الكنائش التي سمت نفسها الأرثوذكسية (OR-TODOXE). وهي كلمة يونانية معناها: الرأى الصحيح أو المستقيم، وقد استخدم القساوسة اليونانية هذا الاصطلاح في القرن الرابع الميلادي، وهذه الكنائس هي:

١- الكنيسة الأرثوذكسية في مصر والحبشة.

٢- الكنيسة الأرثوذكسية السريانية «أسيا».

٣- الكنيسة الأرثوذكسية والأرمنية «أرمينيا».

وهم يزعمون أن مريم ولدت الرب- تعالى الله عن كفرهم- وأنه صلب متجسدًا ومسرومات ودفن ثم صعد إلى السماء.

* الخطط (٢/ ٤٨٨)، الأسفار المقدسة (١٣٢، ١٣٣)، موجز تاريخ المسيحية (٣١٨، ٣٢٣).

﴿يَشَآءُ﴾: بلا أصل، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾: ممكن، ﴿قَدِيرٌ ۞ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ﴾: كأبنائه في عطوفته علينا أو خواصه نحو: أبناء الدنيا، أو المراد عزير وعيسى، كقول أقارب الملك: نحن الملوك، ﴿وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾: في الدنيا بنحو المسخ وفي الآخرة بأشد منه ولو أيامًا معدودة بزعمهم، والوالد والحبيب لا يعذبان كذلك، ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾: والقديم لا يلد مخلوقًا، ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ كالمؤمن ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾: كاليهود، فلا مزية لكم على أحد، ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾: فيجازي الكل، ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا﴾: محمد عليه الصلاة والسلام، ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾: الدين، ﴿عَلَىٰ﴾: حين، ﴿فَتْرَةٍ﴾: فتر الشيء: سكنت حدَّته، وصار أقل مما كان عليه، ﴿مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾: إذ بينه وبين عيسى، ستمائة سنة، وفيها ثلاث أنبياء من بنى إسرائيل ونبي العرب، خالد بن سنان[1] كراهة، ﴿أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾: فلا عذر، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: ومنه إرسال الرسل تترى أو على فترة، ﴿وَ﴾: اذكروا، ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ﴾: من وقت إبراهيم إلى عيسى أربعة آلاف نبي[2]، ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾: ذوي الخدم بعدما كنتم مملوكين، ﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾: ممن تقدمكم من الفضائل، فإن دين كل نبي أكمل من قبله، ﴿يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾: بيت المقدس أو الشام، ﴿ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ﴾: في اللوح أنها، ﴿لَكُمْ﴾: إن آمنتم وأطعتم، فلا ينافيه: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ﴾[3] أو بمعنى قسمة أو وهبة، إذ أربعين ظرف محرمة، ﴿وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ﴾: خوفا من الجبابرة، ﴿فَتَنقَلِبُواْ خَـٰسِرِينَ﴾: ثواب الدارين، ﴿قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾: متغلبين لا نقاومهم، والجبَّارُ: مَنْ جبر النَّاسَ على ما يُريدهُ، ﴿وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ۞ قَالَ رَجُلَانِ﴾: يوشع ابن أخت موسى،

---

(١) هذا من كذب المؤرخين وخرافاتهم، فخالد بن سنان ليس نبيًّا، ويشبه أن يكون رجلًا صالحًا.

(٢) الله أعلم ﴿وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾.

(٣) سورة المائدة.

وكالب[١] زوج أخت مريم[٢]، ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾: الله، ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾: بالثبات والعصمة، وهما من النقباء المذكورة، ﴿ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ﴾: من باب قريتهم، ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ﴾: لإنجاز وعد الله وضَعْفِ قُلوبهم، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: به، ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾: الجبارين[٣]، ﴿إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ۞ قَالَ﴾ موسى حينئذ ﴿رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾: لأن مالك طاعته كمالكه، ولم يقيد بالرجلين لما رأي من تلوُّن قومه، أو الأخ مؤاخيه دينا فيدخلان، ﴿فَٱفْرُقْ﴾: اقض، أو بَعِّدْ، ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ۞ قَالَ﴾: الله، ﴿فَإِنَّهَا﴾: الأرض المقدسة، ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾: دخولها أبدا، ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾: ظرف لقوله: ﴿يَتِيهُونَ﴾: يسيرون متحيرين، ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: فأهل[٤] التيه كلهم ماتوا فيه حتى موسى وهارون إلا يوشع وكالب، ويوشع سار بأولادهم الذين ما بلغوا عشرين يومئذ، وفتحها بعد موت موسى بشهرين، وقيل: هو ظرف محرمة، ﴿فَلَا تَأْسَ﴾: لا تحزن، ﴿عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: تسلية لموسى ﴿وَٱتْلُ﴾: يا محمد، ﴿عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ﴾: هابيل وقابيل[٥] تلاوة ملتبسة، ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: بالصدق، ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾: هو كل ما يتقرب به إلى الله، ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾: هابيل تقرب بكبش فأكلته النار، وهو الذي فدى به إسماعيل[٦] وقيل: بحمل سمين، ﴿وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ﴾: قابيل، تقرب بزرع، وهو أردأ قمحه، وسبب القربان: الاختلاف في تزوج توأمة هابيل، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن سببه: أنه لم يكن مسكين يقبل الصدقة، فقبلتها النار، فحسد أخاه، و ﴿قَالَ﴾: له، ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ﴾: هابيل، ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: فلم تقتلني لقبول قُرْباني، والله ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ

---

(١) هو ابن يُوْقَنّا.
(٢) غرر التبيان (٢٤٥)، تفسير القرطبي (٦/ ١٢٧).
(٣) في (ن): الجبابرة، وفي باقي النسخ كما أثبتُّ.
(٤) أرض التيه: ما بين أيلة والأرض المقدسة وهي ستة فراسخ.
* غرر التبيان (٢٤٥)، تفسير الطبري (٦/ ١٨٣)، القرطبي (٦/ ١٣١).
(٥) غرر التبيان (٢٤٥)، معالم التنزيل (٢/ ٣٢).
(٦) التعريف والإعلام (٣٣)، غرر التبيان (٢٤٥).

إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: وكان هابيل أقوى ومنعه الورع، ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ﴾: أن ترجع، ﴿بِإِثْمِي﴾: كله أو بإثم قتلى، ﴿وَإِثْمِكَ﴾: الذي لم يتقبل قربانك به، ﴿فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾: أراد إن كان ذلك واقعًا بيننا لا محالة، فأريد أن يكون لك لا لي، فليس من قبيل إرادة بغضه، وقيل: تقديره: لا تبوء، ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ فَطَوَّعَتْ﴾: سهلت، ﴿لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ﴾: وهو ابن عشرين سنة[1]، ﴿فَأَصْبَحَ﴾: فصار، ﴿مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾: فلما قتله ما درى ما يصنع به، ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا﴾: إلى غُرابٍ ميِّتٍ، ﴿يَبْحَثُ﴾: ينبش التراب، ﴿فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ﴾: الله أو الغراب، ﴿كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ﴾: جسد[2]، ﴿أَخِيهِ﴾: فإنه مما يستقبح في موته، ﴿قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾: يا هلاكي - تعالى - كلمة جَزع، والألف بدل من ياء[3] المتكلم، ﴿أَعَجَزْتُ﴾ عن ﴿أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾: على فقد أخيه لا على قتله فلا يكون توبة على أنها لا تؤثرُ في حق العباد، واسود جسده، وتبرأ عنه أبواه، ﴿مِنْ أَجْلِ﴾: سبب، ﴿ذَٰلِكَ﴾: أي: قتله أخاه، ﴿كَتَبْنَا﴾: حكمنا ﴿عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ﴾: قتل، ﴿نَفْسٍ أَوْ﴾: بغير، ﴿فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: كالشرك وقطع الطريق، ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾: لأنه سن القتل وجرى الناس عليه في الحديث: «على ابن آدم القاتل أولاً كفل من إثم كل قاتل»[4] أو معناه كل الناس خصومه إن لم يكن له ولي، ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾: تسبب إلى بقاء حياتها، ﴿فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾: لأنه سنة وأيضًا الناس كجسم واحدًا، فمؤذي البعض كمؤذي الكل، وصائنه كصائنه[5]، وكذا جاء في التفسير: إن المؤمنين خُصماء القاتل بغير حقّ، وأما قتل الكفرة فكقطع العضو الفاسد لإبقاء حياتها[6]، ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ﴾: بني

---

(١) كذا في جميع النسخ، واضطربت العبارة في (ن).

(٢) يعني: جيفته.

(٣) إذ الأصل: يا ويلتي، وفي (ن): ضمير المتكلم.

(٤) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ: «**لا تُقْتل نَفْسٌ ظُلْمًا، إلّا كان على ابن آدم كِفْلٌ من دمها؛ لأنه أول من سن القتل**». رواه البخاري (٢/ ٢٢٩) و(٤/ ١٨٦)، ومسلم (٢/ ٤١).

(٥) في (د) وصيانته كصيانته.

(٦) يعني النفس.

إسرائيل، ﴿رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: المعجزات، ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾: المجيء، ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ﴾: في القتل[١] ونحوه، ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: أي: أولياءهما أو بمخالفة أمرهما بقطع الطريق ونحوه، ﴿وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا﴾: للفساد، ﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ﴾: بلا صلب إن أفردوا القتل، ﴿أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ﴾: بعد القتل ثلاثًا إن قتلوا وأخذوا، كذا عند الشافعي، ﴿أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ﴾: اليمنى، ﴿وَأَرۡجُلُهُم﴾: اليسرى كما بينه، ﴿مِّنۡ خِلَٰفٍ﴾: إن أخذوا بلا قتل، ﴿أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾: إن أخافوا فقط، والنفي: أن يطلبوا فيحدوا أو يهربوا من دار الإسلام، وعند الحنفية هو الحبس، فأو للتفصيل لا للتخيير[٢]، كذا فسره ابن عباس وغيره، ﴿ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٌ﴾: فضيحة، ﴿فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: إن كانوا مشركين، وإلا فعقاب الدنيا كفارة[٣][٤]، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡ﴾: فإن كان مشركًا سقط عنه مطلقًا، وإن كان مسلمًا سقط عنه حق الله فقط كما يفهمه: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾: فالقتل يسقط وجوبه لا جوازه قصاصًا، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾: القربة بطاعته[٥]، ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ﴾: ليجعلوا كلًّا منهما فدية لأنفسهم، ﴿بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾: مؤلم، ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ﴾: فيه رد لمن يقول باعتيادهم على النار بعد مدة، ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾: أي: قدر ربع دينار، والسرقة: أخذ مال الغير من حرز مثله خفية بشروط معينة، ﴿فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾: أيمانهما[٦] من الرسغ، فإن عاد فرجله اليسرى من مفصل القدم ثم اليسرى

---

(١) في (ن): بالقتل.

(٢) الوسيط (٢/ ١٨١).

(٣) الوسيط (٢/ ١٨٢).

(٤) كذا في (ن)، و(د).

(٥) تفسير الطبري (٦/ ١٤٦)، الدر المنثور (٢/ ٢٨٠).

(٦) معاني القرآن- للزجاج (٢/ ١٨٩)، تفسير الرازي (١١/ ٢٢٧)، التبيان (١/ ٤٣٥)، الدر المنثور (٢/ ٢٨٠)، معاني القرآن- للفراء (١/ ٣٠٦).

ثـم رجلـه اليمنـي كلـه ثبـت بالـسنة [١]، ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا﴾: عقوبـة، ﴿مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾: في انتقامـــه، ﴿حَكِيمٞ﴾: في حكمـــه، ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ﴾: ســـرقته، ﴿وَأَصۡلَحَ﴾: العمل، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ﴾: يقبل توبته، أي: في سقوط عذاب القيامة لا قطع اليد عند الأكثرين، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ۞ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ﴾: يا من لـه علـم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾: لا تحزن بمسارعتهم إلى الكفر ﴿مِنَ﴾ المنافقين، ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾: بك، ﴿بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ﴾ هم ﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ﴾: من أخبارهم قبولا، ﴿سَمَّٰعُونَ﴾: منك، ﴿لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ﴾: تكبرا كقريظة سألوا حكم الرجم لأهل خيبر، ﴿يُحَرِّفُونَ﴾: ينقلـون، ﴿ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ﴾: أن وضعه الله في، ﴿مَوَاضِعِهِۦۖ﴾: كتبديلهم رجم الزاني بالجلد وتسويد الوجه [٢]، ﴿يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا﴾: المحرف، ﴿فَخُذُوهُ﴾: اقبلوه، ﴿وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ﴾: بل يفتي بخلافه كالرجم، ﴿فَٱحۡذَرُواْۚ﴾: قبوله، ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ﴾: عذابه أو ضلاله، ﴿فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ﴾: قدرة، ﴿ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ﴾: في دفعها كما مر، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ﴾: من الشرك، فيه رد للمعتزلة [٣]، ﴿لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ﴾: فضيحة كهتك ستر المنافق وجزية اليهودي ﴿وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۞ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ﴾: مع علمهم بكذبه، ﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ﴾: الحرام المسحوت البركة، خصَّ الأكل بالذكر لأنه معظم منافعه، ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ﴾: أنت مخير، وقيل: نسخت بقوله: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ﴾، ﴿وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ﴾: نسخت بقوله: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم﴾ إلى آخره، ﴿وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾: بالعـــدل، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۞ وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ﴾: بالرجم، فهم لا يريدون بتحكيمك حكم الله،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٦/ ١٧٢)، شرح معاني الآثار (٣/ ١٦١)، الاستذكار (٧/ ٥٤٦)، الحاوي الكبير (١٣/ ٣٢١)، الأم (٦/ ١٥٠)، الكافي – لابن عبد البر (١/ ٥٨١).

(٢) رواه مسلم (١٧٠٠)، وأحمد (١/ ٢٤٦)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٣٠٢/ ١٠٧٣٢).

(٣) يعني لقول المعتزلة.

﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ﴾: عن حكمك بالرجم، ﴿مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾: التحكيم، ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: لا بك ولا بكتابهم، ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى﴾: إلى الحق، ﴿وَنُورٌ﴾: يكشف المبهمات، ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ﴾: لا كاليهود فإنهم لم يسلموا وأنزلناها: ﴿لِلَّذِينَ هَادُواْ وَ﴾: يحكم بها، ﴿ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾: الزهاد، ﴿وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: أي: بسبب أمر الله هؤلاء الثلاثة بحفظ كتابه من التغيير، وأما القرآن فما وقع فيه تغيير إذ لم يكل حفظه إلى غيره، بل قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ[1] وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[2] ﴿وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾: رقباء؛ لئلا يبدل، ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ﴾: أيها الشهود في إظهار حكم الله كنعت محمد وآية الرجم، ﴿وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ﴾: تستبدلوا، ﴿بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: حطام الدنيا، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾: عنادا عمدا، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۞ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾: على اليهود، ﴿فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ﴾: مقتولة، ﴿بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ﴾: مفقوءة ﴿بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ﴾: مجدوع، ﴿بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ﴾: مصلومة[3]، ﴿بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ﴾: مَقْلُوعة[4]، ﴿بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾: ذات قصاص، فيما يمكن الاقتصاص فيه، ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ﴾: بالقصاص بالعفو عنه، ﴿فَهُوَ﴾: التصدق، ﴿كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾: كل الدية لكل خطاياه، ونصفها لنصفها، وهكذا كما صح في الحديث[5]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۞ وَقَفَّيْنَا﴾: اتبعناهم، ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾: أي: النبيين، ﴿بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾: كـالتوراة، ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾: لا تخالفه إلا في قليل، ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ وَ﴾: آتيناه لهم أو قلنا لهم: ﴿لْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ﴾: قبل نسخه، ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾: إليك، ﴿فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾: الخارجون عن طاعته، وصفهم بالكفر لإنكارهم[6]

---

(١) في (د): إلى آخره.

(٢) سورة الحجر.

(٣) مقلوعة مستأصلة.

(٤) في (س): مقدعَة!!.

(٥) يشير إلى حديث: «من تصدق من جسده بشيء كفر الله عنه بقدر من ذنوبه» رواه أحمد (٥/ ٣٣٠).

(٦) في (د): لارتكابهم.

له، ثم بالظلم لحكمهم بخلافه ثم بالفسق لخروجهم عنه، ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾: القرآن ملتبسا، ﴿بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ﴾: جنس، ﴿ٱلْكِتَٰبِ ﴾: ﴿مُهَيْمِنًا﴾ رقيبا وشاهدا من هيمن عليه: شهده وحفظه من الأمان كالمسيطر ﴿عَلَيْهِ﴾ على جنس الكتاب فما وافقه منها فحق، وغيره مُحَرَّف، ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم ﴾: بين كل متحاكمين، ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ إليك ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾: بالانحراف، ﴿عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ ﴾: لكل أمة، ﴿جَعَلْنَا مِنكُمْ ﴾: أيها الناس، ﴿شِرْعَةً ﴾: سبيلا، ﴿وَمِنْهَاجًا﴾ سنة أي: في الأحكام العملية، إذ لا خلاف في الأصول، فلا ينافى قوله: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ ﴾[1]، و﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾[2] إلى آخره؛ لأنه عنى به الأصول على أنه يجوز أن نتعبد بشرع من قبلنا بزيادة خصوصيات في ديننا[3]، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً ﴾: جماعة، ﴿وَٰحِدَةً ﴾: في الشريعة، ﴿وَلَٰكِن ﴾: لم يشأ، ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ ﴾: ليختبركم، ﴿فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾: من الشرائع، فيتميز المطيع من العاصي، ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ﴾: ابتدروا، ﴿ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾: بثواب الصادق وعذاب الفاسق، ﴿وَ﴾: أنزلنا إليك: ﴿أَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم ﴾ بين أهل الكتاب حيث قالوا: اقض لنا على خصمنا لنؤمن بك والناس تتبعنا[4]، ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ إليك ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ ﴾: مخافة، ﴿أَن يَفْتِنُوكَ ﴾: يُضلُّوك، ﴿عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ ﴾: عمَّا حكمت، ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم ﴾: بعقوبة الدنيا، كإجلاء بنى النضير وقتال قريظة، ﴿بِبَعْضِ﴾: بشؤم بعض ﴿ذُنُوبِهِمْ ﴾: ومنها إعراضهم عن حكمك، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾: خارجون عن طاعة الله، ﴿ أَفَحُكْمَ ﴾: الملة، ﴿ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾: يريدون، وهو اتباع الهوى، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾: اللام للبيان، نحو: ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾ أو للتخصيص؛ لأنهم المنتفعون به، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ﴾: لا تعاشروهم كالأحباب، ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾: وكلهم يعادونكم، ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ

---

(١) سورة الشورى.

(٢) سورة الأنعام.

(٣) في ذلك خلاف مسطور في كتب الأصوليين.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ١٧٧) وسنده ضعيف جدا؛ من أجل مقاتل.

مِنْهُمْ ﴾: يُحْشر ويعذَّبُ معهم وإن لم يكفر في الدنيا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾: أنفسهم بموالاتهم إلى طريق النجاة، ﴿ فَتَرَى ﴾: يا محمد، ﴿ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾: شَكٌّ، ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ ﴾: في محبتهم، ﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾: من الدوائر بأن تنقلب الدولة إلى الكفار، ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ ﴾: للمسلمين، ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ ﴾: كإجلاء بعضهم وأخذ أموالهم، ﴿فَيُصْبِحُوا۟ ﴾: هؤلاء، ﴿عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾: من النفاق، ﴿نَٰدِمِينَ ۝ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾: بعضهم لبعض تعجبًا من كذبهم، ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ ﴾: أغلظ، ﴿أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ﴾: ثم قال تعالى: ﴿حَبِطَتْ ﴾: بطلت، ﴿أَعْمَٰلُهُمْ ﴾: الخير، ﴿فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ ﴾: وقد ارتد ثلاث فرق في آخر عهد النبي عليه الصلاة والسلام، قوم العَنْسِيّ[١] المتنبئ، وقتله فيروز[٢]، وقوم مسيلمة[٣]، وقتلهم الصديق، وقوم طليحة[٤] المتنبي، وفر من خالد ثم أسلم، ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ ﴾: أبي بكر وأصحابه[٥]، أو الفرس[٦] أو الأشعريين[٧]،

---

(١) يعني الأسود- لعنه الله-.

(٢) يعني الديلمى.

(٣) الكذاب وقتله وحشي بن حرب- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٤) ابن خويلد- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٥) أخرجه الطبري (٦/ ٢٨٥).

(٦) كذا، وهو يعني الفرس- بضم الفاء وسكون الراء المهملة- وهو يشير إلى ما ورد في تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٦١/ ٦٥٣٩) عن أبي بكر بن عياش قال: أهل القادسية.

أقول: وهذا قول واه جدا، ولا دليل عليه؛ بل الصحيح خلافه، وهو أن الفتن والكفر والنفاق من فارس وإيران وما جاورها كالعراق.

وقد قال ﷺ: «**رأس الكفر نحو المشرق**» رواه البخاري (٦/ ٣٢٠١) ومسلم (١/ ٨٥) وحال هؤلاء من الكفر والمكر والزندقة والرفض والكيد للإسلام وأهله معروف بين.

(٧) هذا هو التفسير الصحيح، فعن عياض الأشعري قال: لما نزلت: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ ... الآية قال رسول الله ﷺ: «**هم قوم هذا**» وأشار إلى أبي موسى الأشعري».

رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٢/ ١٢٣/ ١٢٣١١)، وفي مسنده (٢/ ١٧٩/ ٦٦٤)، وابن سعد في الطبقات (٤/ ١٠٧)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٤/ ٤٦٠، ٤٦١/ ٢٥١٥)، والطبراني في الكبير (١٧/ ٣١٥/ ١٠١٥)، والطبراني في تفسيره (٦/ ١٨٣، ١٨٤) وسنده صحيح.

- وهذا هو اللائق بأهل اليمن، أهل الجهاد والنصر والنصرة والصبر، لا الفرس المنافقون- إلا من =

﴿يُحِبُّهُمْ﴾: بتوفيقهم وتعظيمهم[1]، ﴿وَيُحِبُّونَهُ﴾: بطاعته، وفسرت في: ﴿تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾، ﴿أَذِلَّةٍ﴾: خافضي أجنحتهم مع جلالتهم، ﴿عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ﴾: أشداء متغلبين، ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾: لصلابتهم في الدين، ﴿ذَٰلِكَ﴾: من الأوصاف، ﴿فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾: فضله، ﴿عَلِيمٌ﴾: بمستحقه، ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ﴾: أي: أصالةً، ﴿وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: أي: تبعا، ولذا لم يقل: أولياؤكم، ﴿ٱلَّذِينَ﴾: بدل، ﴿يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾: كعلي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، إذ طرح خاتمه للسائل في الصلاة[2]، وليس المراد إمامته كما ظهر من سَوْقه بإزاء منع موالاة الكفار، والاتيان بالجمع، ودل على جواز الفعل القليل في الصلاة[3]، وأن صدقة التطوع زكاة، ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: باتخاذهم أولياء، ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ﴾: أي: فهم، ﴿هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ بالحجّة دائمًا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَ﴾: لا، ﴿ٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: بترك موالاتهم، ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا﴾: الصلاة أو المناداة، ﴿هُزُوًا وَلَعِبًا﴾: فيه دليل لمشروعية الأذان ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾: إذ العقل يمنعُ الاستهزاء بمعقول مشروع، ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ﴾: لا، ﴿تَنقِمُونَ﴾: تنكرون، ﴿مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا﴾: أي: إيماننا، ﴿بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ﴾: بأن، ﴿أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ۝ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾: الإيمان المتقوّم ﴿مَثُوبَةً﴾: جزاءً، سمّاهُ مَثوبة تهكُّمًا، ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾: دين، ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾: بتحريفه، ﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ﴾ كشأن أهل السبت ﴿وَٱلْخَنَازِيرَ﴾ كشيوخهم ﴿وَ﴾ دين، ﴿عَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾: أي: العجل، أو: عَبَد كَخَدم[4] أي: جمع عابد فتقديره: ودين من عَبَدَ الطاغوت، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾: لأن مكانهم سقر، ﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾: والمراد: التَفضيل مُطلقًا كما

= رحم الله - والله النصير.

- وقد وردت أحاديث كثيرة في فضائل أهل اليمن والأشعريين خاصة.

(١) هذا من تأويل الحُبّ.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ١٨٦)، وابن أبي حاتم (٤/ ١١٦٢/ ٦٥٤٩) وابن مردويه (٢/ ٧٤/ ابن كثير) ولا يصح من وجه، وقد طار به الأرفاض كل مطارٍ، لكن للأسف بلا أجنحةٍ.

(٣) وضابطه ألا يظن أنه في غير صلاة.

(٤) وقد قرئ: (وعُبُد) بضم العين المهملة والباء الموحدة.

مرَّ، ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ﴾: أي: هؤلاء الملعونون المعاصرون لكم، ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾: بدينكم، ﴿وَقَد دَّخَلُواْ﴾: إليكم ملتبسين، ﴿بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ﴾: ملتبسين، ﴿بِهِۦ﴾: أي: لم يتأثروا بما سمعوا، ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ﴾: من كفرهم، ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ﴾: الحرام، ﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾: الظلم، ﴿وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾: الحرام، تخصيصه لخبثه، والله ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۞ لَوْلَا﴾: في مثله للتَّحضِيْض وفي الماضي للتَّوبيخ، ﴿يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾: زُهَّادهم، ﴿وَٱلْأَحْبَارُ﴾: علماؤهم، ﴿عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ﴾: الكذب ﴿وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾: الحرام، والله ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾: من ترك النهي، والصُّنعُ أبلغُ من العمل؛ لأنه[1] عملٌ بعد تحر كثير في إجادته، ولذا[2] ذمَّ خواصَّهُم، ولأن ترك الحسنة أقبح من مواقعة المعصية، ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾: حين ضيق عليهم بتكذيبهم النبي، ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾: كناية عن البخل، ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾: أي: هم البخلاء، أو دُعا عليهم فيكون حقيقة من باب المشاكلة، وكلاهما واقع عليهم، ﴿وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾: بكمال الجود، ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾: توسيعا وتقتيرا، ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾: القرآن، ﴿طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾: وحينئذ ففائدة إرساله إليهم إلزام الحجة، وتعميم رسالته وتعظيما له، ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ﴾: بين طوائف اليهود، ﴿ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ﴾: مع المسلمين، ﴿أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾: بوقوع نزاع بينهم، ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾: للفساد، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ۞ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: مع تلك الجرائم، ﴿ءَامَنُواْ﴾: بالقرآن، ﴿وَٱتَّقَوْاْ﴾: المعاصي، ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾: الماضية، يفهم أن الإيمان بلا تقوى لا يكفي[3]، ويؤيده الحديث، ﴿وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۞ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾: بالعمل بهما بلا تحريف، ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾: من كتب الأنبياء، ﴿لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ﴾: من بركات السماء، ﴿وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾: من الثمار والزرع، والمراد كثرة السعة، وهذا في أهل الكتاب القائلين: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾، الذين ضيق الله عليهم عُقوبةً لهم، فلا يرد كون كثير من المتقين

---

(١) يعني: الصنع.

(٢) في (د): وكذا.

(٣) في (ن)، و(ع): لم يكفي.

العاملين في غاية الضيق، فالتوسيع والتضييق[١] ليسا من باب الإكرام والإهانة، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ إلى قوله: ﴿كَلَّآ﴾[٢]، ﴿مِّنْهُمْ﴾: بعضهم ﴿أُمَّةٌ﴾ جماعة، ﴿أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾: غير غالية ولا مقصرة كمؤمنيهم[٣]، ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ﴾: كلَّ، ﴿مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾: ولو تعالت اليهود ولا تخف، ولعله فيما يتعلق بمصالح العباد دون بعض الأسرار الإلهية كما يفهم من الحديث، ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ﴾: بتبليغ الكل، ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾: كمُصلٍّ أضاع رُكْن صلاته، ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ﴾: أي: يحفظ روحك، فلا يشكل بشجّ رأسه- ﷺ-، على أنه قبل نزولها[٤]، ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾: فلا تخف، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: إلى ما يريدون بك ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾: دين يعبأُ به ﴿حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَ﴾: جميع، ﴿مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾: غير ما نسخ بلا تحريف وكتمان، ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ﴾: تحزن، ﴿عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: فإنَّهم لا يستحقون العناية، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: أظهروا الإيمان، ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾: عبدة الملائكة كما مر، عطف على محل اسم إن، ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ﴾: حقيقة، ﴿بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: عند الفزع الأكبر، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: على ما فات منهم في الدنيا، ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا﴾: ليذكروهم ميثاقهم، ﴿كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ﴾: تشتهي[٥]، ﴿أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا﴾: من الرسل،

---

(١) في (ن): والضيق.

(٢) سورة الفجر.

(٣) في (د): كمؤيديهم.

(٤) أشد الناس بلاء الأنبياء، ومعنى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ﴾، أي: يمنعك من أن يقتلوك.

قلت- أبو الحسن-: ويقوي هذا ما ورد عن أم المؤمنين الصديقة عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يحرس، فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾... الآية فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة، فقال: «**أيها الناس انصرفوا، فقد عصمني الله من الناس**». أخرجه سعيد بن منصور (٤/ ١٥٠٣، ١٥٠٤/ ٧٦٨)، والترمذي (٥/ ٢٥١/ ٣٠٤٦)، والطبري في تفسيره (٤/ ١١٧٣/ ٦٦١٥)، والحاكم (٢/ ٣١٣)، والبيهقي في السنن (٩/ ٨)، والدلائل (٢/ ١٨٤) وسنده جيد.

(٥) فلم يكن عن حق أو تبصر أو حجة، بل كان الهوى هو قائدهم ودليلهم فحق عليهم أن يكونوا في جهنم الهاوية- والعياذ بالله -.

﴿كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾: فسر مرَّةً ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ﴾: لهم بصنيعهم هذا، ﴿فِتْنَةٌ﴾: بلاءٌ وعذابٌ، ﴿فَعَمُواْ﴾: عن الهدى، ﴿وَصَمُّواْ﴾: عن الحق، حين عبدوا العجل، ﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: قبل توبتهم، ﴿ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ﴾: كرَّةً أُخْرى، ﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾: بدل من الضمير، ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾: فيجازيهم، ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾: عيسى بن مريم، فُسِّر مرة[1]، ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾: أي: أنا مثلكم، ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾: في عبادته، ﴿فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾: بالكفر، ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾: هو والمسيح وأمّه، وهم النّسطوريَّة والملكانية[2] منهم، القائلون بالأقانيم الثلاثة، الآب أي الذات، والابن أي الكلمة، ورُوْح القُدُس أي: الحياة، ويقولون: الكل واحد كالشمس، تتناول القرص والشُّعاع

---

(١) وهو قول اليعاقبة- لعنهم الله-.

(٢) أما النسطورية، فهي نسبة إلى نسطوريوس الذي ولد بسوريا (٣٨٠م) وهلك (٤٥١م) وأصبح بطريركا على القسطنطينية (٢٤٤٨) لمدة أربع سنين، وأعلن مذهبه الذي تأثر فيه بأستاذه ثيودور المبسوستياني، هلك (٤٢٨م) بأن مريم أم المسيح الإنسان وليست والدة الإله، ومن أجله عقد مجمع (آفسوس) (٤٣١م) ووضع في هذا المجمع الكفري والمؤتمر الشركي مقدمة قانون الإيمان وأن مريم والدة الله – والعياذ بالله – وأن للمسيح طبيعتان لاهوتية وناسوتية في أقنوم واحد، وتقرر أيضًا خلع نسطور من الكنيسة ولعنه ونفيه إلى مصر.

* محاضرات في النصرانية (١٥٧، ١٥٩)، قصة الحضاره (٢/ ١٠٠، ١٠١).

وأما «الملكية» أو الملكانية، فهي نسبه إلى المذهب الذي اعتنقه ملوك الرومان النصارى،وهو أن للمسيح طبيعتين ومشيئتين في أقنوم واحد، وبدأ إقرار هذا المذهب في مجمع «نيقية» (٣٢٥م) بتأييد الملك قسطنطين لمذهب تعدد الآلهة واعتبار المسيح ابنا وإلها مستقلا، ثم في مجمع القسطنطينية الأول (٣٨١م) تحددت هوية الثالثوث النصراني بالأب والابن في المسيح طبيعتين – خلافًا لليعقوبية – ثم أضيف إلى هذا المذهب القول بأن المسيح له طبيعتان ومشيئتان في مجمع القسطنطينية الثالث (٦٨٠م) خلافًا للمارونية القائلين بأن المسيح له طبيعتان ومشيئة واحدة.

ثم كانت لهم مجامع أخرى وتخبطات أفضت (٨٦٩م) في مجمع القسطنطينية الرابع إلى انفصال الكنيسة الشرقية رئاسة ومذهبا واسما عن الكنيسة الغربية (مذهب الملكية) حيث أصبحت الكنيسة الشرقية تسمى بكنيسة الروم الأرثوذكسية أو اليونانية، وأتباعها يعتقدون بأن الروح القدس منبثق عن الآب وحده وأكثرهم في الشرق باليونان وتركيا وروسيا وغيرها.

* موجز تاريخ المسيحية (٣١٣، ٣١٨)، الموسوعة الميسرة (٣٥٧).

والحرّ، ويجعلون الله تعالى أحد الأقانيم أي: أقنوم[1] الآب، ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ﴾: ﴿مِنْ﴾ بيانه، ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ﴾: عن هذه المقالة، ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: يقبل التوبة من هذا الذنب العظيم، ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ﴾: مَضَتْ، ﴿مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾: فهو مثلهم، ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾: صدقت بكلمات ربها، ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾: احتياجا، وهو ينافي الإلهية، ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ﴾: كيف، ﴿يُؤْفَكُونَ﴾: يصرفون عن الحق ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾: يدفعه عنكم، ﴿وَلَا نَفْعًا﴾: يوصله إليكم، وتأخر الضر عن النفع ظاهر لكن في مثل هذا يقدم اهتماما إذ كانوا يشركون لتشفع[2] في دفع الضر، ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: لأقوالكم، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بعقائدكم، ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ﴾ لا تتجاوزوا عن الحدّ ﴿فِي دِينِكُمْ﴾ حال كون دينكم ﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ﴾: قبل الإسلام، ﴿وَأَضَلُّواْ﴾: خلقا، ﴿كَثِيرًا وَضَلُّواْ﴾: بعدهُ ﴿عَن سَوَآءِ﴾: قصد، ﴿ٱلسَّبِيلِ﴾: أي: الإسلام، ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ﴾: في الزبور، أو بدعائه لاعتدائهم في السبت فمسخوا قردة، ﴿وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾: في الإنجيل، أو بدعائه لكفرهم بعد المائدة فمسخوا قردة وخنازير، ﴿ذَٰلِكَ﴾: اللعن، ﴿بِمَا عَصَواْ﴾: بعصيانهم، ﴿وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾: باعتدائهم، ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ﴾: لا ينهي بعضهم بعضا، ﴿عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾: أرادوا فعله، والله، ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ۞ تَرَىٰ﴾: تبصر، ﴿كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾: المنافقين، ﴿يَتَوَلَّوْنَ﴾: يوالون، ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: المشركين بغضا لك، ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾: هو ﴿أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ۞ وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ﴾: محمد عليه الصلاة والسلام، ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾: القرآن، ﴿مَا ٱتَّخَذُوهُمْ﴾: المشركين، ﴿أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾: أي: ولكنهم أو ما لكثير المشركون، ﴿فَٰسِقُونَ﴾: خارجون

---

(١) كلمة أقنوم كلمة يونانية معناها: الأصل أو الذات.

(٢) في (د): ليشفع.

عن دينهم، ﴿لَتَجِدَنَّ[1] أَشَدَّ النَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾: اليهود أعدى، ولذا قدمهم، وفي الحديث: «ما خَلَا يهوديَّان بمسلم إلَّا هَمَّا بقتله»[2]، ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ﴾: زعموا، ﴿إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾: لدين الله، ﴿ذَٰلِكَ﴾: القرب، ﴿بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ﴾: علماء من القَسّ بالفتح: التتبع، وبالكسر: رئيس النَّصارى، ﴿وَرُهْبَانًا﴾: عبادا، ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾: كاليهود، دل على أن التواضع، وتَرك الشَّهوة والعلم محمودة ولو من كافر، ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾: محمد- ﷺ- وهُمْ وفد النجاشي، ﴿تَرَىٰٓ﴾: تُبصرُ، ﴿أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ﴾: تسيل، ﴿مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾: فيه مجاز[3] للمبالغة، ﴿مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾: القرآن، ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾: بذلك، ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾: بأنه حق، ﴿وَمَا﴾: أي: شيء يحصل، ﴿لَنَا لَا نُؤْمِنُ﴾ غير مؤمنين ﴿بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ﴾: القرآن، ﴿وَ﴾: ما لنا لا، ﴿نَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: أمة محمد ﷺ، ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ﴾: بقولهم: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾ إلى آخره ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾: ككفرة أهل الكتاب، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ﴾: ما طَابَ، ولَذَّ من ﴿مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾: لا تظلموا أنفسكم في تحريم المباح كاللحم والدسم والنساء، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ

---

(١) في هامش (ن): الجزء (٧).

(٢) رواه بهذا اللفظ: الثعلبي في تفسيره (٢/ ٢١٤) وسنده ضعيف.

وبلفظ: «ما خلا يهودي»، بالإفراد: ابن مردويه (٢/ ٨٥/ تفسير ابن كثير)، والخطيب (٨/ ٣١٦) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٠٦٢)، والضعيفة (٤٤٣٩).

* وقال الإمام العجلوني- رحمه الله- في كشف الخفاء (٢/ ٢٤٤):

وقد أطال الكلام عليه السخاوي في بعض الحوادث، فأقول: ويؤيد ذلك ما ذكره شيخنا المرحوم يونس المصري أنه كان يقرأ على يهودي يوما في المنطق، فقال له وقد انفرد به: لا تأتني إلا ومعك سكين أو نحوها؛ لأن اليهودي إذا خلا بمسلم ولم يكن معه سلاح، لزمه التعرض لقتله.

وقال النجم (الغزي): واشتهر في كلام الناس أنه ما خلا قط رافضى بسني إلا حدثته نفسه بقتله، وهي من الخصال التي شاركت الرافضة فيها اليهود.

* قلت- أبو الحسن-: وانظر: بذل المجهود فيما أشبهت فيه الرافضة اليهود- فهو مهم جدا.

(٣) الحمل على الحقيقة أولى من الحمل على المجاز- فاحذر التدليس.

﴿ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ ﴿وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾: كما مرَّ ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾: هو ما سبق إليه اللسان بلا قصد، كلا والله، وبلى والله، كما صَحَّ في الحديث[1]، وعليه الشافعي[2] رضي الله عنه، ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ﴾: وثقتم، ﴿ٱلْأَيْمَٰنَ﴾: عليه بالنية إذا حنثتم، ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ﴾: كفارة نكثه التي تدفع إثمه، ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾: من لم يجد ما يكفيه، ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾: في بلدكم نوعا وقدرا، وهو مد لكل مسكين[3] عند الشافعي رضي الله عنه ونصفُ صَاع عندَ الحنفيَّةِ، ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾: ما يقع عليه اسمُهَا وهو ثوبٌ يغطي العورة ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾: أي: مؤمنة، قياسًا[4] على القتل، والخصال تخييرية، والأولى الثالث ثم الثاني، ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾: واحدًا منها، ﴿فَصِيَامُ﴾: فكفارته صيام، ﴿ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ﴾: ولا تتابع عند الشافعي[5]، ﴿ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾: وحَنَثْتم، ﴿وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ﴾: بأن لا تحلفوا، وعن الحنث إلَّا في ترك مندوب أو فعل مكروه للسنة، ﴿كَذَٰلِكَ﴾: البيان، ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: نعمهُ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾: أنواع القمار، ﴿وَٱلْأَنصَابُ﴾: حجارةٌ كانوا يذبحون قرابينهم عندها تعظيما لها ﴿وَٱلْأَزْلَٰمُ﴾: فسِّرت مرَّة، والمرادُ تعاطيها ﴿رِجْسٌ﴾: هو النَّجس إلَّا أنه غالبٌ في المُسْتقذر طبعا، والرجس عقلا وكذا فسر بالإثم والسخط، ﴿مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: لأنها مسببة تسويله[6]،

---

(١) سبق في سورة البقرة.

(٢) أحكام القرآن- لابن العربي (٢/ ١٤٧)، الجامع لأحكام القرآن (٦/ ٢٦٦).

(٣) قال: لأنه أقل ما وجد، كما في كفارة المفطر في شهر رمضان، وأخذ في تقديره بقول ابن عباس وزيد بن ثابت- رضي الله تعالى عنهم-. * الحاوي الكبير (١٥/ ٣٠٠)، المغني (٣/ ٢٧٤)، المحلى- لابن حزم (٨/ ٧٣)، الاستذكار- لابن عبد البر (٥/ ٢٠٠).

(٤) وهو مذهب مالك والشافعي وأحمد.

* الأم (٧/ ٦٥)، بداية المجتهد (٢/ ٨٣)، المغني (٨/ ١٨)، الاستذكار (٧/ ٣٤٤) وجوز أبو حنيفة الرقبة الكافرة المبسوط (٣/ ١٩٨)، أحكام القرآن للجصاص (٥/ ٣١٢).

(٥) اختلف العلماء في وجوب التتابع: فأوجبه أبو حنيفة والشافعي في أحد قوليه، واستحبه مالك والشافعي في القول الآخر ولم يوجباه. * أحكام القرآن – للجصاص (٤/ ١٢١)، الهداية – للمرغيناني (٢/ ٧٤)، الحاوي الكبير (١٥/ ٣٢٩)، الكافي – لابن قدامة (٤/ ٣٨٦)، الاستذكار (٣/ ٣٥٠).

(٦) في أنوار التنزيل (١٦١): لأنها مسبب عن تسويله.

﴿فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾: الرِّجْس، ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾: بالاجتناب، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ﴾: خَصَّهُما[1] بالإعادة لأنهما المقصود بالبيان[2]، إذ الخطابُ مع المؤمنين، وجمعهما معًا أولاً، تنبيها على شدة حرمتهما، ﴿وَيَصُدَّكُمۡ﴾: بالاشتغال بهما، ﴿عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ﴾ خصهما تعظيمًا ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾: مع علمكم بهذه المفاسد أم لا ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْ﴾: المخالفة، ﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾: وقد بلَّغ، ﴿لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ﴾: إثم، ﴿فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ﴾: الحرام، ﴿وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: استمروا عليها، ﴿ثُمَّ ٱتَّقَواْ﴾: ما حُرِّم بعدُ كالخمر، ﴿وَّءَامَنُواْ﴾: استمروا على الإيمان، ﴿ثُمَّ ٱتَّقَواْ﴾: استمروا على اتقاء المعاصي، ﴿وَّأَحۡسَنُواْ﴾: العمل، «**والإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه**» إلى آخره[3]، وقيل: التكرار باعتبار الماضي والحال والاستقبال، ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: الموصوفين، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ﴾: ليختبرنكم، ﴿ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ﴾: حقير، ﴿مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ﴾: كصغار الصيد وفراخه ﴿وَرِمَاحُكُمۡ﴾: ككباره، ﴿لِيَعۡلَمَ﴾: أي: ليرى، ﴿ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِ﴾: ولم يره، ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾: الإعلام، ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞ﴾: محرمون، أو في الحرم، فالمذبوح كالميتة بالاتفاق لأنه ممنوع من الذبح لمعنى فيه كذبيحة المجوسي، ويجوز قتل ما لا يؤكل؛ لأن المراد بالصيد ما يؤكل، ولذا في الحديث: «**خَمْسٌ يُقْتَلْنَ في الحلّ والحَرَم**» إلى آخره[4]: وقيْسَ عليها كل مؤذ[5]، والمعين كالقاتل في الحرمة، ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا﴾: هذا القيد خارج مخرج الغالب لا الشرط، ليس للتقييد لنزولها فيمن تعمد، وهو أبو اليسر فلا مفهوم له، وقيل: ثبت في العمد، وفي الخطأ بالسنة، ﴿فَجَزَآءٞ﴾: أي: فواجبه جزاء، ﴿مِّثۡلُ مَا قَتَلَ﴾: خلقة

---

(١) يعني الخمر والميسر.

(٢) في (ن): بالذات. والمثبت من باقي النسخ.

(٣) «**فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» رواه مسلم في صحيحه (١/ ٨)، وأبو داود في سننه (٤/ ٤٦٩٥)، والترمذي (٥/ ٢٦١٠)، وابن ماجة (١/ ٦٣).

(٤) رواه البخاري (٤/ ١٨٢٩)، ومسلم (٢/ ٧١)، الترمذي (٣/ ٨٣٧) والنسائي (٥/ ٢٨٨٧).

(٥) كالرتيلاء والبراغيث والبق.... إلخ.

وهيئة عند مالكٍ والشافعيّ، وبالإضافة لمثل مُقْحَم[١]، ﴿مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ﴾: بالمثل، ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾: أيها المسلمون حال كون المحكوم به، ﴿هَدْيَۢا بَٰلِغَ﴾: واصل حرم ﴿ٱلْكَعْبَةِ﴾: بذبحه والتصدق به فيها، ﴿أَوْ كَفَّٰرَةٌ﴾: هي، ﴿طَعَامُ مَسَٰكِينَ﴾: من غالب قوت البلد، يشتريه بقيمة الجزاء ويعطى كل مسكين مُدًّا، ﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ﴾: الإطعام، ﴿صِيَامًا﴾: فيصوم عن كل مُدٍّ يوما، وأو للتخيير عند الأكثرين[٢]، ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ﴾: ثِقل وسُوْء عاقبة، ﴿أَمْرِهِۦ﴾ قال ابن عباس: ما لا كفارة فيه فأمره أشد[٣]، ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾: قبل التحريم، ﴿وَمَنْ عَادَ﴾: إلى مثله ﴿فَيَنتَقِمُ﴾: فهو ينتقم، ﴿ٱللَّهُ مِنْهُ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾: غالبٌ، ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾: على المُصرِّ بالمعاصي، ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾: ممَّا لا يعيش إلَّا في الماء كله، وعند الحنفية: السَّمكُ فقط، وهذا في الإحرام وغيره، ﴿وَطَعَامُهُۥ﴾: ما تتزودون منه يابسا مالحا، أو ما لفظ ميتا، ﴿مَتَٰعًا﴾: تمتيعًا[٤]، ﴿لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾: المسافر ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ﴾: أي: الصيد فيه ولو إعانة، وهو صيد وحْشيٍّ مأكول يعيش فيه، ﴿مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ﴾: سميت بها لتكعبها، أي: تربعها[٥]، ﴿ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا﴾: ما يقوم به أمر الدين والدنيا من الأمن ونحوه، ﴿لِّلنَّاسِ وَ﴾: جعل، ﴿ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾: قياما لهم؛ لما فيه الحج والأمن من القتال، ﴿وَٱلْهَدْىَ﴾: ما يُهدى إلى الكعبة، ﴿وَٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾: ذوات القلائد كما مرَّ، إذ كانوا يأمنون بها، ﴿ذَٰلِكَ﴾: الجعل، ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾: إذ شرع الأحكام لدفع المضار قبل وقوعها، وجلب المنافع المترتبة عليه من دلائل كمال علم الشارع، ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ

---

(١) يعني الذي قرأ بإضافة المصدر (جزاء) لـ(مثل) فقد أقحم (مثل) كما في قولهم: مثلي لا يقول كذا، والمعنى: فعليه أن يجزي مثل ما قتل.

(٢) وبه قال الشافعي في الجديد ومالك وأبو حنيفة، وذهب ابن عباس وزفر والشافعي في القديم وأحمد إلى الترتيب؛ لما فيه من تقديم الأثقل فالأثقل كما ورد في حد المحاربة.
* الحاوي الكبير (٤/ ٢٩٩)، المبسوط (٤/ ٨٤)، بداية المجتهد (١/ ٢٦١)، المحلى (٧/ ٢٢١).

(٣) يعني شديد، أو مشدد فيه.

(٤) كذا في (د)، و(ن).

(٥) سميت الكعبة كعبة؛ لأنها مربعة، وكل بيت مربع فهو كعبة، وقيل: سميت كعبة؛ لارتفاعها، وكل ما ارتفع فهو كعبة، وفلان جالس في كعبته، أي: في غرفته وبيته، ومنه الكعاب والكاعب: من تكعب ثدياها أي: ارتفعا في صدرها والجمع كواعب. * عمدة الحفاظ (٣/ ٤٠٢/ كعب).

﴿ٱلْعِقَابِ﴾: للمُصرِّ على هتك محارمه، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: للمحافظ عليها والتائبين، ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾: وقد بلغ، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾: من التصديق والتكذيب، ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ﴾: الرديء كالحرام، ﴿وَٱلطَّيِّبُ﴾: الجيد كالحلال، ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: في الخبيث، ﴿يَٰٓأُوْلِى﴾: ذوي، ﴿ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: العقول السليمة، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: ثم بين نوعا من الخبيث بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ﴾: محمدًا عليه الصلاة والسلام، ﴿عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ﴾: تظهر، ﴿لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾: تغمكم، كما سأله ابن حُذَافة: من أبي؟ فقال: «حذافة»[1]، وهو يدعى لغيره[2].

وسأله[3] حين وجب الحج: أكلّ سنة[4]؟ وقد يكونُ السؤال واجبًا وهو فيما كلفناه، وقد يكون مندوبًا وهو فيما يستحب[5] ﴿وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا﴾: عن مسألتكم السالفة، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾: لا يعاجل بالعقوبة، ﴿قَدْ سَأَلَهَا﴾: سأل مثل الأشياء، فالمضاف محذوف، ﴿قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾: أنبياءهم، ﴿ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا﴾: بالأشياء، ﴿كَٰفِرِينَ﴾ ثم بين نوعًا آخر من الخبيث وهو آخر الشرع بقوله: ﴿مَا جَعَلَ﴾: شرع، ﴿ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ﴾: ناقة ولدت خمسة أبطن، فإن كان الخامس ذكرا أكلوه وبحروا، أي: شقوا آذانها وحرموا ركوبها، وإن كانت أنثى يخرم أذنها

---

(١) عن عكرمة في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ قال: ذاك يوم قام فيهم النبي ﷺ فقال: «لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به» قال: فقام رجل، فكره المسلمون مقامه يومئذ، فقال: يا رسول الله ! من أبي ؟ قال: «أبوك حذافة»؛ قال: فنزلت هذه الآية.

* رواه الطبري في تفسيره (٧/ ٥٢) وسنده حسن.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٢١٩/ ٦٨٨٢) وسنده ضعيف جدا.

(٣) يعني رجل آخر من الأعراب.

(٤) رواه الطبري (٧/ ٥٣) وابن حبان في صحيحه (٩/ ١٨/ ٣٧٠٤/ إحسان) وسنده صحيح.

(٥) يشير إلى حديث: «**إن الله – عز وجل – فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدودا فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها**».

* رواه الدارقطني (٤/ ١٨٤) والحاكم (٤/ ١١٥) وسنده لا بأس به.

دوامها[١]، وحرموا ركوبها وحلبها، ﴿وَلَا سَآئِبَةٍ﴾: ناقة نذر صاحبها ألا يركبها، إن حصل مراده، ﴿وَلَا وَصِيلَةٍ﴾: أنثى البطن السابع إذا جاءت مع ذكر تركوها لآلهتهم، ولم يذبحوا الذكر أيضًا وقالوا: وصلت الأنثى أخاها، وإن كان ذكرًا فقط حيًّا وميتًا أطعموه الرجال، وإن كان أنثى تركوها لآلهتهم، ﴿وَلَا حَامٍ﴾: فحل نتج من صُلْبه عشرة أبطن لم يحملوا عليه؛ لأنه حمى ظهرهُ، هذا تفسيرها المشهور، وقيل غير ذلك[٢]، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾: في تحريمها، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾: فيُقلِّدون رؤسائهم فيه، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ﴾: اتباع، ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى﴾: اتباع، ﴿ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَ﴾ حسبهم ذلك، ﴿وَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾: فلا يصحُّ التقليد إلَّا لمن عُلِم أنه عالم مهتد، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ﴾ الزموا ﴿أَنفُسَكُمْ﴾: بإصلاحها ﴿لَا يَضُرُّكُم﴾: ضلالُ، ﴿مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾: بشرط أن تجربوا أنه لا ينفعهم نصحكم كما صح في الحديث[٣]، لأنه لما سئل- ﷺ- أجاب عن ذلك، ومعنى ﴿أَنفُسَكُمْ﴾: أهل دينكم، ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: فيما فرض عليكم، ﴿شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ﴾: خبر بمعنى الأمر، والإضافةُ إلى الظرف اتساعًا، ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ﴾: بدل من إذا، ﴿ٱثْنَانِ﴾: فاعل شهادة، ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾: من المسلمين، ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾: كالنصارى[٤]، ﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أي: سافرتم يعني بشرط لإيصاء

---

(١) مُدة دوامها أي: حياتها.

(٢) معاني القرآن- للزجاج (٢/ ٢٣٥)، تفسير ابن كثير (٢/ ١٠٨)، الوسيط (٢/ ٢٣٥)، أحكام القرآن- لابن العربي (٢/ ٧٠١).

(٣) يشير إلى حديث: «**ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر،حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، ورأيت الأمر لا يدان لك به، فعليك نفسك ودع أمر العوام**»... الحديث. رواه الترمذي (٤/ ٣٢٣/ ٥٠٥١)، وأبو داود (٤/ ١٢٣/ ٤٣٤١) والحاكم (٤/ ٤٢٢) وصححه ووافقه الذهبي، والطبراني (٢٢/ ٢٢٠)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٠)، والبغوي في شرح السنة (١٤/ ٣٤٧، ٣٤٨) وسنده صحيح.

(٤) من غير أهل ملتكم، قال الواحدي: في قول عامة المفسرين. * الوسيط (٢/ ٢٤١).

قال شريح: إذا كان الرجل بأرض غربة ولم يجد مسلما يشهده على وصيته فأشهد يهوديا أو نصرانيا أو =

الكافر[١] كونكم في السفر، ﴿فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِ﴾: فإن ارتبتم، ﴿تَحۡبِسُونَهُمَا﴾: توقفونهما، ﴿مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾: صلاة العصر[٢]، ﴿فَيُقۡسِمَانِ﴾ يحلفان ﴿بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾: فيهما، ويقولان: ﴿لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ﴾: بالقسم أو بالله ﴿ثَمَنٗا﴾: عرضًا من الدنيا، ﴿وَلَوۡ كَانَ﴾: من يقسم له، ﴿ذَا قُرۡبَىٰ﴾: أي: قريبنا حاصله نصدق ولو علينا، ﴿وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ﴾: المأمورة، ﴿إِنَّآ إِذٗا﴾: إنْ كتمنا ﴿لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ۝ فَإِنۡ عُثِرَ﴾: اطلع، ﴿عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ﴾: اقتطعا، ﴿إِثۡمٗا﴾: بيمينهما الكاذبة، ﴿فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾: مقام الشاهدين في توجه اليمين إليهما ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ﴾: مجهولا أي: ارتكب الإثم، ﴿عَلَيۡهِمُ﴾: أي: بالنسبة إليهم، وهم الورثة، ﴿ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ﴾: بدل من الذين، وإما معروفا أي: من الورثة الذين استحق عليهم الأوليان الأحقان بالشهادة لمعرفتهما، وهما الآخران، ومفعوله محذوف، وهو التجرد للشهادة، واليمين، والمراد اثنان من أقارب

= أي كافر فشهادته جائزة.

وقال آخرون: لا تجوز شهادة أهل الذمة في شيء من أحكام المسلمين، ولا يقبل قولهم، ولا يثبت بشهادتهم حكم، وعليه الناس اليوم.

* معاني القرآن – للزجاج (٢/ ٢٣٧، ٢٣٨)، تفسير الطبري (٧/ ٦٨، ٦٩).

* قال الموزعي في تيسير البيان (٣/ ٢٢٢): إن هذه الآية استعصت على أهل العلم وصعبت عليهم، وذهبوا في تقرير أحكامها وتأويل ألفاظها كل مذهب، وربما أفردها بعضهم بالتصنيف، وما ذاك إلا لمخالفة ظاهرها القواعد المتقررة في الشريعة من ثلاثة أوجه:

- أحدها: قبول شهادة غير أهل ملتنا، والله – تعالى – يقول: ﴿وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾.

- ثانيا: إيجاب اليمين على الشاهدين، والشاهد لا يمين عليه إجماعا، سواء قامت ريبة أو لم تقم.

- ثالثها: اشتراط اثنين في اليمين من الذين استحق عليهما عند الاطلاع على إثم الشاهدين واشتراط تعدد الحالف في الشريعة غير معهود، واشتراط تعدد الحالف في الشريعة غير معهود وأما تعدد الحلف، فهو معهود، كما في القسامة، وإيمان اللعان .اهـ.

قلت– أبو الحسن–: والحاصل قبول شهادة الذمي إذا كان وصيا، أما إذا كان غير وصى فلا تقبل شهادته .اهـ.

(١) كذا.

(٢) وهو قول عامة المفسرين وأهل الأديان يعظمون ذلك الوقت ويتجنبون فيه الأكاذيب والحلف الكاذب. * تفسير الطبري (٧/ ٧٢)، أحكام القرآن (٢/ ٧٢٤)، تفسير القرآن العظيم – لابن كثير (٢/ ١١٢)، الوسيط (٢/ ٢٤١).

الورثة يقومان، ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾: على خيانة الشاهدين ويقولان: ﴿لَشَهَٰدَتُنَآ﴾: يميننا ﴿أَحَقُّ﴾ بالاعتبار، ﴿مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ﴾: ما تجاوزنا عن الحق، ﴿إِنَّآ إِذًا﴾: إن اعْتدينا ﴿لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وتخصيص العدد؛ لخصوص الواقعة؛ لأنه يصحُّ الإيصاء إلى واحد، والمستحقان المنزل فيهما: عمرو بن العاص والمطلب ابن أبي رفاعة السهميان، والميت بديل[1] مولى عمرو بن العاص والوصيان المرتابان: تميم الداري وعدي بن زيد حين نَصْرَانِيَّتِهما في سفر الشام[2].

وعن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: هذه الآية أعْضَلُ ما في هذه السورة من الأحكام[3].

وأجمع المفسرون على أنها في غاية الصعوبة إعرابا ونظما، وقد بان حَلُّها.

* رُوي أن تَميمًا وعديا في نصرانيتهما كانا في سفر إلى الشام مع بديل، وكان مسلما فمرض «بديل» فدَوَّن ما مَعهُ في صحيفة وطرحها في متاعه ولم يخبرهما به وأوصى إليهما أن يدفعا متاعه إلى أهله ومات ففتشاه وأخذا منه إناءً من فضة فيه ثلاثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فأصابَ أهله الصحيفة فطالبوهما بالإناء فجحدا فترافعا إلى النبي ﷺ فنزلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ﴾ ... الآية فحلفهما - ﷺ - بعد العصر عند المنبر وخلى سبيلهما ثم وجد الإناء في أيديهما فقالا: اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا عليه بينة فكرهنا أن نقربه فرفعوهما إلى النبيِّ - ﷺ - فنزلت: ﴿ فَإِنْ عُثِرَ ﴾ فقام عمرو والمطلب وحلفا[4] ﴿ذَٰلِكَ﴾: الحكم من رد اليمين، ﴿أَدْنَىٰٓ﴾: أقرب إلى ﴿أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ﴾: كما في نفس الأمر ﴿أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ﴾: إلى أولياء الميت، ﴿بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾: فيفتضحوا، حاصله ذلك أقرب إلى أحد الشيئين، إما: أداء الشهادة صدقا أو الامتناع عن أدائها كذبا ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟﴾: سمع إجابةٍ ﴿وَٱللَّهُ لَا

---

(١) ابن أبي مارية الرومي.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه (٣٠٥٩) وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٢٣١)، والطبري في الكبير (١٢٥٠٩)، والدارقطني (٤/ ١٦٨)، وأبو نعيم في المعرفة (٣/ ١٥١، ١٥٢/ ١٢٢٢، ١٢٢٣) وسنده باطل فيه الكلبي.

(٣) تيسير البيان (٣/ ٢٢٢).

(٤) سبق تخريجه وبيان بطلانه .اهـ.

﴿يَهۡدِي﴾ إلى طريق الجنة ﴿ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾: الذين لا يسمعون، اذكر ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ﴾: توبيخًا، ﴿مَاذَآ أُجِبۡتُمۡ﴾: من الإقرار والإنكار، ﴿قَالُواْ﴾: لدهشتهم من أهواله، ﴿لَا عِلۡمَ لَنَآ﴾: أي: لا نعلم باطن أمورهم التي يجازون عليها بقرينة، ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾: تعلم ما لا نعلم، ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ﴾: قويتك، ﴿بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ﴾: جبريل كما مرَّ، ﴿تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ﴾: تدعوهم إلى الله، ﴿فِي ٱلۡمَهۡدِ﴾ طفلا ﴿وَكَهۡلٗاۖ﴾: أي: بعد نزوله من السماء إذ رفع شابًا ﴿وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: الخطَّ، ﴿وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾: العلم والعمل به ﴿وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ وَإِذۡ تَخۡلُقُ﴾: تُشكِّلُ[1] ﴿مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي﴾: بأمري، ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا﴾: يطير ﴿بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾: من قبورهم بإحيائهم ﴿بِإِذۡنِيۖ﴾: كما مرَّ ﴿وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ﴾: عن قتلك، ﴿إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: المعجزات، ﴿فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ﴾ ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ۝ وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ﴾: بلسانك، ﴿إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ﴾ بأن ﴿ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ﴾: يا عيسى، ﴿بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ﴾: منقادون، اذكر، ﴿إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ﴾: يطيع ويجيب سؤالك، ﴿رَبُّكَ﴾: أو هو كقولك: أتستطيع أن تجيء معي مع علمك باستطاعته وبالخطاب، ونصب ربك[2] أي: بسؤال ربك، ﴿أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ﴾: خوانا[3] فيه طعام، ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ﴾: عيسى ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في سؤال الآية على هذه الكيفية، ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا﴾: فلا نطلبها آية، ﴿وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾: بزيادة علمنا، ﴿وَنَعۡلَمَ﴾: نشاهد، ﴿أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا﴾: في وعدك عناية الله علينا، ﴿وَنَكُونَ عَلَيۡهَا﴾: على تلك المائدة ﴿مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾: نشهد عند من لا يشهدها من بني إسرائيل، ﴿قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ﴾: يا ﴿رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدٗا﴾:

---

(١) في (د): الهيكل.

(٢) قرأ الكسائي وعلي ومعاذ وابن عباس وعائشة ومجاهد وابن جبير: (**هل تستطيع ربك**).

* البحر المحيط (٤/ ٥٤)، تفسير الطبري (١١/ ٢١٨).

(٣) الخوان: السفرة.

سرورا مجازا؛ لأنه سببه، ﴿لِأَوَّلِنَا﴾: مقدمينا، ﴿وَءَاخِرِنَا﴾: متأخرينا ولما نزلت[١] يوم الأحد[٢] اتخذت عيدا، ﴿وَءَايَةً مِّنكَ﴾: على كمال قدرتك ونبوتي ﴿وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۞ قَالَ ٱللَّهُ﴾: مجيبا له: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ﴾: لا أعذِّبُ به، ﴿أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: عالمي زمانهم، والأصح أنها نزلت[٣] قيل كانت سُفْرةً حمراء بين غمامتين فيها سمكة مشوية بلا فلوس[٤] وشوك وعند رأسها ملح، وعند ذنبها خل وحولها ألوان البقول سوى الكراث وخمسة أرغفة عليها الزيتون والعسل، والسمن والجبن والقديد فأكلوا ثم طلبوا آية أخرى في ذلك فقال: يا سَمكةُ احيى بإذن الله - تعالى - فاضطربت ثم قال: عودي كما كنت، فعادت مشوية، ثم طارت المائدةُ ولم يؤمنوا فمُسِخُوا قردة وخنازير، قيل: ما مسخ أحد قبلهم خنازير، ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ﴾ لعيسى حين رُفِع أو في القيامة والماضي للتقريب، ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وقيّدَ ﴿دُونِ﴾؛ لأن عبادته مع عبادة غيره كلا عبادة، أو ﴿دُونِ﴾ للقاصر عن الشيء إذ هم عبدوهما توصلا بهما إلى عبادته فلا يرد أنهما اتخذوهما إلهين لا دونه كسؤال الموؤدة: ﴿بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾[٥] توبيخًا لهم، أو لإعلامهم كيلا يشفع لهم، ﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾: تنزيهًا[٦] لك من الشريك، ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا﴾ أي: قولا، ﴿لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا﴾: أخفيه، ﴿فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا﴾: تخفيه، ﴿فِي نَفْسِكَ﴾: مشاكلة، أو النفس الذات، لا الجوهر القائم بذاته المتعلق بالجسم تعلق التدبير[٧]، ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾: أنكره بخمسة وجوه، خامسها: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ﴾ أي: في أمر التوحيد، ﴿إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ﴾: إذ الأمر أعم مما للوجوب أو الإباحة ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي

---

(١) يعني المائدة.

(٢) معاني القرآن - للزجاج (٢/ ٢٤٣)، وللفراء (١/ ٣٢٥، ٣٢٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ١١٤، ١١٥) تفسير الطبري (٧/ ٨٦)، معاني القرآن - للزجاج (٢/ ٢٤٣) الدر المنثور (٢/ ٣٤٦) فتح القدير (٢/ ٩٤).

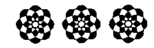
(٤) قشر.

(٥) سورة التكوير.

(٦) في (د): ننزهك من الشرك، وفي (س): تنزيهك.

(٧) قلت: الأولى الإثبات ثم التفويض، وهو سبحانه كما وصف نفسه.

وَرَبَّكُمْۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ﴾: مُشاهدا لأحوالهم، ﴿مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي ﴾: أخذتني وافيًا بالرَّفع إلى السماء، ﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡ ﴾: المراقب لأحوالهم، ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾: مطلع، ﴿ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَ ﴾: تسخيرا وقَهْرًا[1]، وللمالك أن يتصرف في عبيده كيف يشاء، ﴿وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ ﴾: مع كفرهم بلا عَجْزٍ ولا استقباح، ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ﴾: الغالب، ﴿ٱلۡحَكِيمُ ﴾: في الثواب والعقاب، دَلَّ بالترديد والتعليق بأن على جواز مغفرة الشرك وهي غير ممتنعة؛ لأن عدمها يقتضي الوعيد ﴿ قَالَ ٱللَّهُ ﴾: مجيبا له في تبريه: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ﴾ أي: يوم القيامة، وبالنَّصْب[2] ظرف لقال، ﴿يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾: في الدنيا، مقالا وفعالا بترك الرياء، ﴿صِدۡقُهُمۡۚ ﴾: فانتفاعهم به في الدنيا كلا انتفاع لفنائها، وأما صدق إبليس بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ ﴾.. إلى آخره[3] فلا ينفع كذبه في الدنيا التي هي دار العمل، ﴿لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ﴾: هذا نفعهم، ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۞ لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ ﴾: خَلْقًا وملْكًا، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ ﴾: غلب غير العقلاء فيما فيهن؛ تنبيهًا على قصورهم عن رتبة الربوبية- والله أعلم بالصواب.



---

(١) طوعا وكرها.

(٢) قرأ نافع وابن محيصن: (يَوْمَ) بالنصب. * السبعة (٢٥٠)، غيث النفع (٢٠٥).

(٣) سورة إبراهيم.



«سورة الأنعام»: مكية[1]

لمَّا بيَّن أن له مُلك السموات والأرض وما فيهن، أخبرنا بأنه الحقيق بالحمد على خلقهن فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾: جمع السموات لاختلاف أشخاصها ذاتا وآثارا دون الأرض، وخصهما بالذكر لأنهما أعظم الخلق في الحِسّ، ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾: عبّر بالجَعْل الذي فيه معنى التضمين أي: كونه محصلا من آخر كأنه في ضِمْنه دون الخلق الذي فيه معنى التقدير بيانا لعدم قيامهما بأنفسهما ردًّا على الثنوية[2]، وجمعها لكثرة أسبابها كالليل والكسوف، ولكثرة الأجرام الحاملة لها، فإن كل جرم ذو ظل، وظله ظلمة، ولأن النور مصدر كما في المفصل، ولأن المراد بها[3]: الضلال، وبه[4] الهدى، وهي كثيرة ﴿ثُمَّ﴾ للاستبعاد، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾: أي: به، ﴿يَعْدِلُونَ﴾: غيره في العبادة، ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم﴾: ابتداء، ﴿مِّن طِينٍ﴾: لأن النطفة من الغذاء وهو من الطين أو آدم منه، ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾: الموت، ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾: القيامة، أي: علمها، ﴿عِندَهُ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾: تشكون فيها، ﴿وَهُوَ اللَّهُ﴾: المستحق للعبادة، ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾: متعلق بالمعنى الوصفي الذي يتضمنه لفظ الله من صفات الكمال كهو حاتم في طيء، على تضمين معنى الجواد، ولا يتعلق بلفظِه؛ لأنه اسم لا صفة، أو متعلق بقوله: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾: ذكره للمقابلة، ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾: من خيرٍ وشرٍّ ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾: الدالة على وحدانيته وصدق رسله، ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا﴾: عن التفكر فيها،

---

(١) في هامش نسخة (د): سورة الأنعام مكية مائة وخمس وستون آية وست عند البصريين إلا ثلاث: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا﴾ إلى آخر الثلاث، ثم الصافات. كلماتها (٣٠٥٣) وحروفها (١٢٤٢٢).
وانظر: عدد سور القرآن – لابن عبد الكافي (٢٢٨).

(٢) القائلين بإلهين للعالم إله للنور: وإله للظلمة.

(٣) يعني: الظلمات.

(٤) يعني: النُّور.

﴿مُعْرِضِينَ ۞ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾: القرآن، ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاؤُا﴾: أخبار، ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: أي: القرآن، ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾: علمًا[1]، ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾: أمة مقترنة في قدر مدة مائة سنة، ﴿مَّكَّنَّاهُمْ﴾: أعطيناهم ما تمكنوا به من نحو العمر والمال، ﴿فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ﴾: المطر أو السحاب، ﴿عَلَيْهِم مِّدْرَارًا﴾: كثير الصب، ﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ﴾: تحت غرفهم، ﴿فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾: بنحو القحط والصواعق، ﴿وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾: بدلًا منهم فليعتبروا، ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا﴾: مكتوبا، ﴿فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾: وهو أبلغ في المعرفة من المعاينة، ﴿لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ﴾: ما، ﴿هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۞ وَقَالُوا لَوْلَا﴾: هلا، ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾: على محمد، ﴿مَلَكٌ﴾: يخبر بنبوته، ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا﴾: يرونه فكذبوه، ﴿لَّقُضِيَ الْأَمْرُ﴾: لحق هلاكهم؛ لأن سُنَّة الله جرت باستئصال من اقترح آية ثم لم يؤمن بعدها، ﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾: يمهلون، ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾: المرسل إلى محمد ﴿مَلَكًا﴾: يشهد على صدقه ﴿لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾: أي: في صورته؛ لأن البشر[2] غير الرسول لا يقدر على رؤية الملك في صورته، ونبينا -ﷺ- رآه كذلك مرتين[3]﴿وَ﴾ لو جعلناه رجلا، ﴿لَلَبَسْنَا﴾: لخلطنا، ﴿عَلَيْهِم﴾: فلا يدري أملك أم لا ؟ ﴿مَّا يَلْبِسُونَ﴾: يخلطون[4]، فينفون أنه ملك ويكذبونه، ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾: فاصبر مثلهم، ﴿فَحَاقَ﴾: أحاط، ﴿بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم﴾: من الرسل وَبَالَ[5] ﴿مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ۞ قُلْ﴾: لهم، ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾: فإنكم أميون ما جالستم العلماء، وبين في آل عمران، ﴿ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ﴾: مآل، ﴿الْمُكَذِّبِينَ﴾:، فاعتبروا، والفرق بينه وبين: فانظروا أن السير فيه لأجل النظر وهنا أمر إباحة لنحو التجارة، ثم إيجاب للنظر، ثم لتفاوت الأمرين، أو الأولى

---

(١) فالرؤية علميَّة. قلت: ولا مانعَ أن تكون بصريّة بالوقوف على آثار من تقدّمَ.

(٢) يعني العَادي.

(٣) سيأتي بيانه في سورة التكوير.

(٤) ولذا كان جبريل- عليه السلام- ينزل في صورة دحية بن خليفة- رضي الله عنه-.اهـ.

(٥) الوَبَالُ: السوء، والوبيل: الوخيم.

للوجوب أيضًا، كتوضَّأ ثم صلى، وثم لتفاوت الواجبين، ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾: خلقا ومُلْكا، ﴿قُل لِّلَّهِ﴾: فإنهم لا ينكرونه، ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾: التزمها تفضُّلا، ومنها الهداية إلى معرفته والإمهال على الكفر، ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ ﴾ في ﴿يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: فيجازيكم، ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾: في ذلك اليوم، ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾: بتضييعهم فطرتهم، ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞وَلَهُۥ مَا سَكَنَ ﴾: استقر، ﴿فِي ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾: أي: ما اشتملا عليه، يعني في كل الأزمنة، وقدم الليل؛ لأنه الأول، ومناسب لقوله تعالى: ﴿لِتَسْكُنُواْ فِيهِ ﴾ فيكون من السكنى أو من السكون، واكتفى بأحد الضدين[1]، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾: فلا يخفى عليه شيء ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا ﴾: معبودا، ﴿فَاطِرِ﴾: مبدع، ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾: أي: مُحتاجٌ إليه غير محتاج، عبر بالإطعام؛ لأن حاجتنا إليه أكثر، ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ﴾: وهو سابق أمته إسلاما، ﴿وَ﴾: قيل لي: ﴿لَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾: بمداهنتهم، ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾: تعريض باستحقاقهم ﴿ مَّن يُصْرَفْ ﴾: الله، أو يصرف العذاب ﴿عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ﴾: الصَّرف، ﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ۞وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾: كمرض قيل: الباء للتعدية إلى المفعول الثاني وإن كانت التَّعديةُ بالباء في المتعدي قليلًا أي: يجعلك مَاسّ الضر، وأصل المس تلاقي جسمين، ﴿فَلَا كَاشِفَ ﴾: مزيل، ﴿لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ ﴾: كصحة، ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾: ولا راد لفضله، ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ﴾: الغالب المستعلي، ﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾: استعلاء يليق بجلاله والقهر إما للغلبة، أو التذليل، وهذا من الأول، وكذا: ﴿ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾[2]، ومن الثاني: ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾[3]، ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾: في أفعاله، ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾: بخفياتنا، ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ﴾: شهيدا، ﴿أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾: بنبوتي، ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾: إذْ لا جواب غيره، هو ﴿شَهِيدٌۢ

---

(١) إذ كان معلوما كقوله تعالى: ﴿ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ﴾ أي: والبرد. اهـ.

(٢) سورة الأعراف.

(٣) سورة الضحى.

﴿بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾: ولا تظن منه جواز نداء الله تعالى بـ((ياشيء))؛ فإن صحة ندائه مخصوصة بما يدل على المدح والكمال[1]، ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ﴾: ناطقا بالحجج، ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِ﴾: يا أهل مكة، ﴿وَ﴾: أنذر، ﴿مَن بَلَغَ﴾: بلغهُ القرآنُ، ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّا أَشْهَدُ﴾: به، ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾: به، ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾: بنعوته المذكورة في كتبهم، ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾: من الكفرة، ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: به، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾: بُيِّنَ[2] مرة، ﴿مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: كالكفرة، ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾: كالقرآن والمعجزات، ﴿إِنَّهُ﴾: الشأن، ﴿لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾: فضلًا عَن[3] الأظلم، ﴿وَ﴾: اذكر، ﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾: العابد والمعبود، ﴿جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ﴾: توبيخا، ﴿لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ﴾: آلهتكم، ﴿الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾: أنهم شركاء، ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾: تخليصهم أنفسهم بزعمهم أي: عذرهم الذي يتخلصون به، ﴿إِلَّا أَن قَالُوا﴾: يوم القيامة، ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ وحينئذ يختم على أفواههم وتشهد جوارحهم ﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا﴾: بنفي الشِّرْك في الآخرةِ ﴿عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ﴾: غاب، ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: إلهيته، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾: إذا قرأت القرآن، ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾: أغطية كراهة، ﴿أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾: ثقلا وصَممًا عن قبوله، ﴿وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ﴾: مُعجزةٍ، ﴿لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ۚ حَتَّىٰ﴾: أي: بلغ عنادهم إلى أنهم، ﴿إِذَا جَاءُوكَ﴾: في حالة ﴿يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ﴾: ما[4]، ﴿هَٰذَا﴾: القرآن، ﴿إِلَّا أَسَاطِيرُ﴾: أحاديث، ﴿الْأَوَّلِينَ﴾: أي: أباطيلهم، ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ﴾: الناس، ﴿عَنْهُ﴾: عن الرسول، ﴿وَيَنْأَوْنَ﴾: يتباعدون، ﴿عَنْهُ﴾: بعدا، ﴿وَإِن﴾: ما، ﴿يُهْلِكُونَ﴾: بذلك التباعد، ﴿إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: كالبهائم، ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾: وعاينوا أهوالها لرأيت أمرا فظيعا[5]،

---

(١) من (ح)، و(س)، و(ع). وسقطت من (ن).

(٢) في سورة البقرة أي: لا أحد أظلم، فالاستفهام بمعنى النفي.

(٣) كذا وفي البيضاوي: فضلًا عمن لا أحمد أظلم منه.

(٤) فـ«إن» بمعنى «ما» كقوله تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾. اهـ.

(٥) هذا جواب «لو».

﴿فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ﴾: إلى الدنيا، ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: وبنصب الفعلين بضمير أن بعد الواو ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾: من قبائح أعمالهم، فتمنوا الإيمان ضجرا لا محبةً، ﴿وَلَوْ رُدُّواْ﴾: إلى الدنيا، ﴿لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾: من الكفر للحكم الأزلي به، ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾: فيما وعدوا في ضمن تمنيهم ﴿وَقَالُوٓاْ إِنْ هِىَ﴾ ما الحياةُ ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۞ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: كوقوف العبد الجاني بين يدي سيده، ﴿قَالَ﴾: الله، ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا﴾: البعث، ﴿بِٱلْحَقِّ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۞ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾: البعث وما يتبعه، ﴿حَتَّىٰٓ﴾: غاية تكذيبهم ﴿إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾: أي: مقدمتها وهي الموت ﴿بَغْتَةً﴾: فجأة، ﴿قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا﴾: تعالي فهذا أوانك ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا﴾: تقصيرنا ﴿فِيهَا﴾ في الدنيا، ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ﴾: آثامهم ممثلة بأقبح صورة منتنة، ﴿عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾: ونسوقهم إلى النار، ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾: يحملون، ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ﴾: ما يشغلك عما ينفعك إلى ما لا ينفعك، ﴿وَلَهْوٌ﴾: صرف النفس من الجد إلى الهزل يعني لا تعقب نفعا مثلهما، ﴿وَ﴾: الله، ﴿لَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾: لدوام لذاتها، وأما خيريتها لنحو المجانين والصبيان فبالتبع ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: أنه كذلك، ﴿قَدْ﴾: في مثل ذلك لمجرد التحقيق ﴿نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾: من التكذيب، ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾: حقيقةً ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: أي: لكنهم، ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾: هو كقولك لعبدك: ما أهانوك بل أهانوني، ومنه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾[1]، ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾: فاصبر حتى أتاك، ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾: مواعيده فلا تستعجل، وأمَّا وعيده فيمكن تبديله بالعفو، ﴿وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن﴾: بعض، ﴿نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: كيف صبروا، ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ﴾: شقَّ، ﴿عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾: عنك ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ﴾: تطلب، ﴿نَفَقًا﴾: منفذا، ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: تنفذ فيه، ﴿أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾: تصعد به إليها، ﴿فَتَأْتِيَهُم﴾: من أحدهما ﴿بِـَٔايَةٍ﴾: تلجئهم إلى الإيمان فافْعل، يعني: لا يغير حكمنا الأزلي فاصْبر ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ

---

(١) سورة الفتح.

لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾: بالحرص على ما لم نرد، وإنما خاطب نوحا بألين من هذا، وهو قوله: ﴿ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[١] لوضوح عذره؛ لأنه وعده إنجاء أهله، ونبينا عليه الصلاة والسلام علم أنَّ إيمانهم بمشيئة الله، ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ﴾ يجيب دعوتك، ﴿ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾: لا من ختم على سمعه، ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ﴾: مجاز عن الكفرة، ﴿يَبْعَثُهُمُ﴾: يجيبهم، ﴿ٱللَّهُ﴾: فيعلمهم حين لا ينفعهم، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾: للجزاء، ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا﴾: هلَّا، ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾: كملك يشهد له ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾: وفق طلبهم، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أنَّ إجابته تضرهم لعدم نفعهم ولإهلاكهم بعدها كما هو سنة الله، لا يقالُ: فلكل نبي أن يجيب كذلك فلا يحتاج إلى معجزة، لأن هذا الجواب بعد ثبوت نبوته بمعجزة، ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي﴾: جميع، ﴿ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ﴾ صنفان من جميع الطير ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾: فالوصفان لمزيد[٢] التعميم، أو لئلا يتوهم المجاز أوقد يقال: الدابة لغير معناها الحقيقي، وقد يقال: للمسرع[٣] طير ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ مقدرة أرزاقها وآجالها وأحوالها فيقدر على: «أن تأتيهم بآية» وجمع الأمم حملًا لها على المعنى، ﴿مَّا فَرَّطْنَا﴾: قصرنا، ﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾: اللَّوح المحفوظ ﴿مِن شَيْءٍ﴾: إذ فيه كل ما يجري في العالم، ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾: فيجزون ويقتص للجماء من القرناء، كما في الحديث[٤].

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنَّ موت البهائم حشرها[٥]، ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ﴾:

---

(١) سورة هود.

(٢) والإحاطة، كأنه قيل: وما من دابة فقط في جميع الأرضين السبع، وما من طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه. * الكشاف (٢/ ٢١).

(٣) يعني الذي يجري بسرعة.

(٤) يشير إلى حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لتؤدن الحقوق إلى أهلها حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء نطحتها**». رواه أحمد (٢/ ٣٢٣، ٣٧٢، ٤١١)، والبخاري في الأدب المفرد (١٨٣)، ومسلم في صحيحه (٢٥٨٢)، والترمذي (٢٤٢٠) وابن حبان (١٦/ ٣٦٣/ ٧٣٦٣/ إحسان) وهذا لفظه. والجماء: التي لا قرن لها، والقرناء: ذات القرون.

(٥) تفسير الطبري (٣/ ٤٣)، معالم التنزيل (٤/ ٤٥١).

عن سماع قبولها، ﴿وَبُكۡمٌ﴾: عن الحق، ﴿فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: ظلمات الكفر والجهل والعناد، ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ﴾: إضلاله، ﴿يُضۡلِلۡهُ﴾: فيميته على الكفر، ﴿وَمَن يَشَأۡ﴾: هدايته ﴿يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾: فيميته على الإسلام، ﴿قُلۡ﴾: يا محمد، ﴿أَرَءَيۡتَكُمۡ﴾: أبصروني وأعلموني وأخبروني، جعلوا طلب العلم والبصر موضع طلب الخبر؛ لا شتراكهما في الطلب، ﴿إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ﴾: قبل موتكم، ﴿أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾: وأهوالها، ﴿أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ﴾: في صرفه، ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾: في أن الأصنام آلهة، ﴿بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ﴾: تخصونه بالدعاء ﴿فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ﴾: إلى كشفه وعذاب الساعة، ﴿إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ﴾: فلا يذكرونه حينئذ ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ﴾: الرسل، ﴿إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ﴾: فكذبوهم ﴿فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ﴾: بالشدة كالقحط، ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾: كالأمراض ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ﴾: إلى الله تائبين، ﴿فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ﴾: أي: لم يتضرعوا مع موجبه ﴿وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾: ما لانت ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾: فأصروا عليه، ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾: من البأساء والضرَّاء ولم يتعظوا به ﴿فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ﴾: من مشتهياتهم استدراجا ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ﴾: وحسبوا أنهم على شيء، ﴿أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ﴾: فجأة ﴿فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾: آيسون[1] من كل خير ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ﴾: آخره وأصل، ﴿ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: علمنا الحمد على تخليصنا من شؤمهم ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ﴾: أخبروني ﴿إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمۡعَكُمۡ وَأَبۡصَٰرَكُمۡ﴾: أصمكم وأعماكم ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾: حتى لا تفهموا شيئا، ﴿مَّنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِهِ﴾: بأحد منها أو بذكر المذكور، ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ﴾: نُوضِّح ونكرِّرُ ﴿ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ﴾: يُعرضون عنها ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ﴾: أخبروني، ﴿إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغۡتَةً﴾: أي: على غفلة، ﴿أَوۡ جَهۡرَةً﴾: مع تقدمه، ﴿هَلۡ يُهۡلَكُ﴾: [ما يُهْلَكُ] به هلاك سخط، ﴿إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: كما فعل في الأمم، فلا يرد أن غيرهم يهلكون ﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ أي: لا نطلب منهم الآيات بعد وضوح دينهم بالمعجزات ﴿فَمَنۡ

---

(١) الإبلاس: الحزن المعترض من شدة البأس، قال بعضهم: وإبليس مشتق منه، وقيل: الإبلاس التحير واليأس. * عمدة الحفاظ (١/ ٢٢٧).

ءَامَنَ وَأَصْلَحَ﴾: العمل ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: عند الفزع الأكبر ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: على ما فات من دنياهم ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ﴾: يصيبهم ﴿الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾: ولما كان من تكذيبهم قولهم: إن صدقت فوسّع لنا وأخبرنا عن المستقبل فيما نأكل، نزلت[١]: ﴿قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾: لأوسع عليكم ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾: حتى أخبركم بمستقبل الأمور، ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾: فاقدرعلى ترك الأكل، وما قيد الثاني بالقول[٢]، لأن كثيرا من الناس يزعمونه فنفاه عن نفسه، ونفى زعم الآخرين، ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾: كالرسل قبلي، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ﴾: الضال، ﴿وَالْبَصِيرُ﴾: المهتدي، ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾: فتهتدون، ﴿وَأَنذِرْ بِهِ﴾: بالقرآن، ﴿الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾: هول ﴿أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: لا مُنكريه؛ فإنهم أشقياء لا ينتفعون به، ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ﴾: يتولّى أمُورَهُم، ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾: يشفعهم بدون إذنه، ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: المعاصي ﴿وَلَا تَطْرُدِ﴾: لا تبعد عن مجلسك بسؤال عظماء قريش، فقراء المؤمنين، ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾: أي: دائمًا، ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾: مخلصين لذاته، ﴿مَا﴾: أنزل، ﴿عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم﴾: حساب إيمانهم ﴿مِّن شَيْءٍ﴾: فيمكن أن يكون إيمانهم أعظم عند الله من إيمان من تطردهم ليؤمن، ﴿وَمَا﴾: أي: كما أنه ما، ﴿مِنْ حِسَابِكَ﴾: حساب إيمانك، ﴿عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾: والجملتان بمنزلة واحدة، عنى بها مؤدي: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، فمعناه: لا تؤاخذ أنت ولا هم بحساب صاحبه فلم تكف الأولى، أي: لم تكف جملة ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾، ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾: جواب النفي ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: الفتن، ﴿فَتَنَّا﴾ ابتلينا ﴿بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ كالشريف الكافر بالوضيع المؤمن، ﴿لِّيَقُولُوا﴾: في فقراء المؤمنين: ﴿أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا﴾: أي: لو مَنَّ لمَنَّ علينا، ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾: فيوفقهم لشكرهم، ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا﴾: الفقراء المنهي عن طردهم ﴿فَقُلْ﴾: منك، ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾: أو بلّغ سلامنا إليهم ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾:

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٧/ ١٢٧).

(٢) يعني: لم يقُل: ولا أقولُ: أعْلَمُ الغيب.

التزمها، ﴿أَنَّهُۥ﴾ وبالفتح بدلٌ من الرحمة ﴿مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾: جاهلًا بمفاسدها، وقال الحسن: كل من عمل معصية فهو جاهل، ﴿ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ﴾: عمله، ﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ﴾: له، ﴿رَّحِيمٌ﴾: به، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: التبيين، ﴿نُفَصِّلُ﴾: نُبيِّنُ، ﴿ٱلْءَايَٰتِ﴾: نوضح الحق ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾: ليظهر، ﴿سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: ويظهر منه سبيل المؤمنين، أو مثل: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾[1] ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ﴾: عن، ﴿أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾: تعبدونهم، ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ﴾: تأكيد لقطع أطماعهم، وبيان لمبدأ ضلالهم، ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا﴾: إن فعلتُ ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾: مثلكم، ﴿قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: حُجَّةٍ واضحةٍ ﴿مِّن﴾: جهة، ﴿رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ﴾: بالبينة باعتبار القرآن ﴿مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ﴾: من العذاب، أي: قولهم: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا﴾[2].. الآية، ﴿إِنِ﴾: ما، ﴿ٱلْحُكْمُ﴾: الفَصْل بيننا بالعذاب، ﴿إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ﴾ يتبع أو يقول وقرئ: (يَقْضِ) ﴿ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾: القاضين، ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ﴾: من العذاب، ﴿لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾: بتعجيله، ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾: بوقت عقابهم، ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ﴾: جمع مفتح بفتح الميم، أي: مخازن، ﴿ٱلْغَيْبِ﴾: الغيب، أي: هو المنفرد بعلم المغيبات، أو هي الخمسةُ التي في آخر لُقْمان ﴿لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾: أي: كل شيءٍ، ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾: لأنه يسقطها بإرادته، ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ﴾: بطنها، ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾: أي: كل شيء، ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾: اللوح المحفوظ وفي معنى الواو، وكذا كل أشبههما بعد استثناء بخلاف الاستثناء، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم﴾: ينيمكم، ﴿بِٱلَّيْلِ﴾: بقَبض أنفسكم ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم﴾: كسبتم، ﴿بِٱلنَّهَارِ﴾: جَرَى في القيدين على الغالب ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ﴾: يوقظكم، ﴿فِيهِ﴾: في النهار، ﴿لِيُقْضَىٰٓ﴾: ليستوفى، ﴿أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾: مدة العمر المقدر، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾: بالموت، ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: بالجزاء، ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ﴾: الغالب، ﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾: فوقية تليق بجلاله

---

(١) سورة النحل.

(٢) سورة الأنفال.

﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾: لأبدانكم، وهم المعقبات[١] أو لأعمالكم[٢] وهم الكرام الكاتبون، وحكمة إرسالهم أنا إذا عرفنا أن أعمالنا تكتب وتعرض علينا على رؤوس الأشهاد فهذا زجر لنا من أن يكون أمرنا بيننا وبين سيدنا الكريم معتمدين على لطفه[٣]، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾: مَلَكُ الموت وأعوانه ﴿وَهُمْ﴾: كل المذكورين ﴿لَا يُفَرِّطُونَ﴾: لا يُقصِّرون فيما أُمروا به ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ﴾: العباد المفهوم من أحدكم، ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ﴾: متولي أمورهم، ﴿ٱلْحَقِّ﴾: العَدْل، وأما قوله: ﴿وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾[٤] فبمعنى النَّاصر فلا منافاة، ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾: يومئذ لا لغيره ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾: يحاسبنا في قدر نصف نهار من أيام الدنيا كذا في الحديث[٥]، ﴿قُلْ﴾: توبيخًا، ﴿مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ﴾: شدائد، ﴿ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا﴾: إعلانًا ﴿وَخُفْيَةً﴾: قائلين والله، ﴿لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ﴾: الظلمات، ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۞ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا﴾: من الظلمات، ﴿وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾: ولا تشكرون ﴿قُلْ هُوَ﴾: وحده، ﴿ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾: كعذاب عادٍ أو الأُمراءِ السُّوْء ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾: بنحو الخَسْف أو الخَدَم السُّوْء، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ﴾: يخلطكم، ﴿شِيَعًا﴾: فرقا مختلفين متشايعين، ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ﴾ شِدَّةَ ﴿بَعْضٍ﴾: بتسليط بعضكم على بعض بالقتل ونحوه، ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ﴾: نوضِّح ونكرِّرُ ﴿ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾: يفهمون ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ﴾: بالقرآن الدال عليه الآيات، ﴿قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾: الصدق، ﴿قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾: مُوكَّلٌ عليكم لأمنعكم من التكذيب، ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ﴾: خبر من أخبار الله، ﴿مُّسْتَقَرٌّ﴾: وقت وقوع، ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: إمَّا في الدنيا أو في العقبى أو مُبعضًا[٦]، ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾: بنحو الطَّعن ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾: بترك مجالستهم، ﴿حَتَّىٰ

---

(١) كما في سورة الرعد: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ﴾ وستأتي.

(٢) في (ن): لأعمالهم.

(٣) في (د): فضله.

(٤) سورة محمد.

(٥) تفسير الطبري (٣/ ٣١٠)، ورواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٠٢)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٣٢).

(٦) بعضه في الدنيا وبعضه في الآخرة.

﴿يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾: غير الخَوْض ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ﴾: هو الذي يوسوسه، ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى﴾: التذكرة ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾: أي معهم ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم﴾: مما يحاسبون عليه ﴿مِّن شَيْءٍ﴾: من الإثم إن قعدوا معهم ﴿وَلَٰكِن﴾: عليهم، ﴿ذِكْرَىٰ﴾: وعظهم، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: الخوض أو نحوه، قيل نسخت بآية النساء[1]، ﴿وَذَرِ﴾: أعرض عن ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾: كعبادة الحجر، وتحريم البحائر، وكذا من جعل طريقته الخمر والزَّمْر والرَّقْص ونحوه، ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِ﴾: بالقرآن، مخافة ﴿أَن تُبْسَلَ﴾: تسلم إلى الهلكة، ﴿نَفْسٌ﴾: للعموم، أي: كل نفسٍ ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾: من سوء العمل ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾: يدفع عذابها، ﴿وَإِن تَعْدِلْ﴾: تفتد النفس، ﴿كُلَّ عَدْلٍ﴾: فداء يتصور، ﴿لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا﴾: سُلِّمُوا للعذاب ﴿بِمَا كَسَبُوا ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾: ماء مغلي يقطع الأمعاء، ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ۝ قُلْ أَنَدْعُوا﴾: نعبدُ ﴿مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾: كالأصنام ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا﴾: نرجعُ إلى الشِّرْك ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي﴾: كرر الذي، ﴿اسْتَهْوَتْهُ﴾: أذهبته ﴿الشَّيَاطِينُ﴾: عن الطريق المستقيم في مهامه[2] الأرض، ﴿فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾: مُتَحيِّرًا ضالًّا عن الطريق ﴿لَهُ أَصْحَابٌ﴾: رفقاء ﴿يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى﴾: الطريق المستقيم، قائلين: ﴿ائْتِنَا﴾ ولا تلتفت إليهم، ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ﴾: دينه ﴿هُوَ الْهُدَىٰ﴾: وغيره ضلال ﴿وَأُمِرْنَا﴾: بذلك ﴿لِنُسْلِمَ﴾: بإخلاصِ العبادةِ ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ وَأَنْ﴾: بأن، ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: فيجازيكم، ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾: بالحكمة لا عبثا، ﴿وَ﴾ خلق، ﴿يَوْمَ﴾: حين، ﴿يَقُولُ﴾: لما أراد تكوينه ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ فُسِّر مرة، أو يوم ظرف ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾: النافذ في الكائنات، ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾: قَرْنٌ يسع أهل السموات والأرض ينفخ فيه إسرافيل، خصَّهُ بالذكر لظهور تفرده به فيه، هو ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾: ما غاب، ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾: ما حضر ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾: في خلقه،

---

(١) يعني: ﴿فلا تقعد معهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾.

(٢) جمع مهمه وهي الصحراء القفر.

﴿ٱلْخَبِيرُ﴾: ببواطن الأشياء، ﴿وَ﴾: اذكر، ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾: لقب تارخ ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۞ وَكَذَٰلِكَ﴾: التبصير، ﴿نُرِىٓ﴾ نبصرهذا حكاية عن الماضي، ﴿إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ﴾: رُبُوبيتة، أي: عرفناه دلائل ربوبيته، ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أو عجائبهما ليستدل، ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ۞فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ﴾: ستره بالظلمة، ﴿ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا﴾: الزهرة أو المشتري[1]، ﴿قَالَ﴾: حجة على قومه، ﴿هَٰذَا رَبِّى﴾: قول من ينصف خصمه عالمًا ببطلانه، ثم يكر عليه فيبطله بالحُجَّة، فقوله هذا للاستدلال والحجة بقرينة: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ﴾ إلى آخره، و﴿يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ﴾، وكان قومه عابدي تمثال الكواكب، ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾: غاب، ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ﴾: عبادة، ﴿ٱلْءَافِلِينَ﴾: لتغيرهم، واحتج بالأفول لا البزوغ لتعدد دلالته؛ لأنه[2] انتقال مع احتجاب بالأستار، ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا﴾: طالعًا ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾: تعريض لقومه بضلالتهم، ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا﴾: ذَكَّرهُ[3] لتذكيره ﴿رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾: جرمًا[4] وضوءا، ﴿فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾: من الأجرام المفتقرة إلى مُحْدث، ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ﴾: أخْلصتُ ديني، ﴿لِلَّذِى فَطَرَ﴾: أبدعَ بلا سَبْق مثالٍ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: حَالَ كوني، ﴿حَنِيفًا﴾: مائلا عن الباطل، ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: أي: منكم، ﴿وَحَآجَّهُۥ﴾: جادله، ﴿قَوْمُهُۥ﴾: في التوحيد وخوفوه من آلهتهم، ﴿قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى﴾: وَحْدانيَّة ﴿ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ﴾: إليها، ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ﴾: بالله في وقت، ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا﴾: من المكروه يصيبني من جهتها، ﴿وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾: فتتركوا الشِّرْك ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ﴾: مع أنه جماد، ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ﴾: الحقيق بالخوف عنه، ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ﴾:

---

(١) غرر التبيان (٢٥٤)، زاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٧٣)، الوسيط (٢/ ٢٩٠).

(٢) في (ن): أَنَّهُ.

(٣) يعني لم يقُل: هذه.

(٤) جسما وحجما.

بإشراكه ﴿سُلۡطَٰنٗا﴾: حُجَّةً ﴿فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ﴾: من الموحد والمشرك، ﴿أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾: ما يجب الخوف عنه ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ﴾: لم يَخلطوا ﴿إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾: أي: بشرك، كذا في الحديث[1]، أو هو خلط باعتقاد فاسد، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ۞ وَتِلۡكَ﴾: المذكورات من قوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ﴾ ﴿حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ﴾: ألهمناها، ﴿إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ﴾: متعلق ﴿حُجَّتُنَآ﴾ ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾: بالرفع والخفض[2]، ﴿عَلِيمٞ﴾: بمن يستحقه، ﴿وَ﴾: من رفع درجاته أنا ﴿وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾: خصَّه بالذكر دون إسماعيل مع أنه أكبر؛ لأنه من عجوزٍ عقيم فالمنة فيه أظهر، ﴿كُلًّا﴾: منهما، ﴿هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُ﴾: قبل إبراهيم وشرف الوالد شرف الولد، ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾: أي: إبراهيم وقيل: أي: نوح بقرينه يونس ولوط، ﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ﴾: الجزاء، ﴿نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۞ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾: وولد البنت من الذرية ﴿وَإِلۡيَاسَ﴾: سبط هارون أخي موسى، ﴿كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: الكاملين في الصلاح، ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗا﴾: ابني هاران أخي إبراهيم، أُدخل تغليبًا، ولأنه هاجر معه، ﴿وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا﴾: بالنبوة، ﴿عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ۞ وَ﴾: فضَّلنا، ﴿مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ﴾ ومنهم سيد العالمين -عليهم الصلاة والسلام- ﴿وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ﴾: اخترناهم، ﴿وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۞ ذَٰلِكَ﴾: أي: صراطهم ودينهم، ﴿هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ﴾: مع جلالتهم ﴿لَحَبِطَ﴾: بطل ﴿عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾: بكفرهم، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: جنسه ﴿وَٱلۡحُكۡمَ﴾: الحكمة أي: العلم والعمل به ﴿وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا﴾: بالنبوة أو بالثلاثة، ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: أهل مكة ﴿فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا﴾: بمراعاتها، ﴿قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾:

---

(١) يشير إلى حديث عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: لما نزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ شق ذلك على أصحاب رسول الله -ﷺ- فقالوا: يا رسول الله! وأينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله -ﷺ-: «**ألا ترون إلى قول لقمان لابنه**: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾. رواه مسلم في صحيحه (١/ ٦٤).
وفي رواية: «**ليس ذلك، إنما هو الشرك**» رواه البخاري (١/ ١٥) و(٢/ ٢٣٥) و(٣/ ١٢٨)، ومسلم (١/ ٦٤).

(٢) يرفع أقوامًا ويضعُ آخرين.

هم الصَّحابة وتابعوهم، أو الفرس[١]، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: الأنبياء، ﴿ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾: الهاء للاستراحة للوقف، أي: فيما اتفقوا عليه في الأصول[٢] أو في التوحيد والأخلاق: الجهة لتَجتمع فضائل كل منهم فيه، فلم يدل على تعبده بشرعهم، إلَّا أن يقال من الفروع ما اتفقوا عليه، ثم المراد: الأخذ بهديهم من حيث إنه طريق العقل والشرع، فلا يرد أن الواجب في العقائد انتزاع الدليل من العقل والسمع، لا الاقتداء، ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾: على التبليغ، ﴿أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ﴾: ما القُرْآنُ، ﴿إِلَّا ذِكۡرَىٰ﴾: تذكرةً، ﴿لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ ﴿وَمَا قَدَرُواْ﴾: وما عرف اليهود أو المشركون ﴿ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾: معرفته، ﴿إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖ﴾: من الكتب، ﴿قُلۡ﴾: لهم، ﴿مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ﴾: يا يهود أو جعل المشركين كاليهود لتصديقهم له، وكذا كانوا يقولون: ﴿لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ﴾[٣]، ﴿قَرَاطِيسَ﴾: تجزؤنها جُزْءًا جُزْءًا، ﴿تُبۡدُونَهَا﴾: أي: بعضها ﴿وَتُخۡفُونَ﴾: بعضا، ﴿كَثِيرٗاۖ﴾: جعلوها ورقات كثيرة ليتمكنوا من إبداء بعض وإخفاء بعض، ﴿وَعُلِّمۡتُم﴾: بالقُرْآن ﴿مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ﴾: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ﴾[٤] إلخ، ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ﴾: أنزله فإنه متعين في الجواب، ﴿ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ﴾: أباطيلهم، ﴿يَلۡعَبُونَ﴾: لاعبين ولا عليك بعد التبليغ، ﴿وَهَٰذَا﴾: القرآن، ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ﴾: كثير النفع، ﴿مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾: من الكتب السماوية للبركات، ﴿وَلِتُنذِرَ﴾: به، ﴿أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ﴾ أهل مكة، فإن الأرض دُحِيتْ منْ تحتها ﴿وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ﴾ أهل المشرق والمغرب[٥]، ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾: إيمانًا يعتد به بخلاف بعض أهل الكتاب، ﴿يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ﴾: بالقرآن، ﴿وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾: فإن خوف الآخرة يحمله على التدبر حتى يؤمن بالنبيّ والكتاب ويحافظ

---

(١) درج المؤلف- رحمه الله- على الاحتفاء بالفرس، وسبق الرد على ذلك وأن بلاد فارس منبع الكفر ورأسه وأسه وأساسه وكيف لا، والدجال يخرج منهم، وحماته من الرفضة والزنادقة يملؤون بلادها .اهـ.

(٢) كما في الحديث: «**والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد**».

(٣) ستأتي في هذه السورة في آخرها.

(٤) سورة القصص.

(٥) في نسخة (د): الشرق والغرب.

على ما هو عِمَاد الدين[١]، ﴿وَمَنْ﴾ لا ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: بافتراء الأحكام، ﴿أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾: كمسيلمة، ﴿وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾: وهذا تخصيص بعد تعميم، ﴿وَ﴾ لمزيد قباحته، ﴿مَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾: كمن قال: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾[٢]، ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: كلهم، ﴿فِى غَمَرَٰتِ﴾: شدائد، ﴿ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾: بقبض أرواحهم كمتقاض مُلِظّ[٣]، قائلين زَجرًا ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾: في الحديث: «**أرواح الكفار تأبى الخروج فتضربهم الملائكةُ حتى تخرج**»[٤] ﴿ٱلْيَوْمَ﴾: يوم[٥] الموت، ﴿تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ الذل ﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ﴾: قولا، ﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾: فما آمنتم بها، ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾ جمع فريد[٦] منفردين عن الشفعاء والأهل والمال مجيئا، ﴿كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ﴾: تفضلنا عليكم من المال، ﴿وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ﴾: فيما بينكم، ﴿شُرَكَٰٓؤُا۟﴾: لله، ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾: وصلكم، وبالفتح[٧] ظرف لما المحذوفة ﴿وَضَلَّ﴾ ضاعَ ﴿عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾: أنه شريك وشفيع، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ﴾: شاق، ﴿ٱلْحَبِّ﴾: بإنبات الزرع، ﴿وَٱلنَّوَىٰ﴾: بإنبات الشجر، ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ﴾: كالنبات النامي الغاذي والحيوان، ﴿مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾: كالحب والنطفة، ﴿وَمُخْرِجُ﴾: عُطف على ﴿فَالِقُ﴾ لأن يخرج كمُبيّن لفالق إلى آخره، ومخرج لا يصلح لبيانه، ولذا غير

---

(١) يشير إلى حديث: «**الصلاة عماد الدين**» رواه البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٢٨٠٧)، والديلمي في الفردوس (٣٧٩٥)، وضعفه العلامة الألباني في ضعيف الجامع (٣٥٦١) وله شواهد.

(٢) سورة الأنفال.

(٣) مُلِّح، وفي (ن): مُسَلَّط.

(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ١٥٧).

(٥) في (د): بعد.

(٦) نحو أسارى وأسير.

وقال الفراء: قوم فرادى وفراد، لا يجرونها، أي: لا يصرفونها، قال: تشبيها بـ«ثلاث» و«رباع»، قال: وواحدها فرد وفرد وفردان. * عمدة الحفاظ (٣/ ٢١٢).

(٧) قرأ ابن كثير وأبو عمرو، وابن عامر وحمزة وعاصم ومجاهد (بينكم) بضم النون.

* السبعة (٢٦٣)، غيث النفع (٢١٢)، والنشر (٢/ ٢٦٠).

الأسلوب بخلاف غير هذا الموضع ﴿ٱلْمَيِّتِ﴾: كالحبِّ والنطف ﴿مِنَ ٱلْحَيِّ﴾: كالنبات والحيوان إن، ﴿ذَٰلِكُمُ﴾: الفاعل ﴿ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ﴾: كيف، ﴿تُؤْفَكُونَ﴾: تصرفون عن توحيده ﴿فَالِقُ﴾: شاق، ﴿ٱلْإِصْبَاحِ﴾: عمود الصبح عن ظلمة الليل، أو شاق ظلم الإصباح أو خالق الإصباح، وهو القَبَسُ ﴿وَ﴾ هو ﴿جَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا﴾: مسكونا فيه للاستراحة من تعب النَّهار، وقراءة (جاعل)[1] نُصِبَ بمعنى الدوام التجديدي، ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ للأوقات تعرف بدورها، مصدر «حسب» بالفتح، كما أن «حِسْبان» بالكسر مصدر «حَسب» وقيل: جمع حساب ﴿ذَٰلِكَ﴾: المذكور، ﴿تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾: الغالب، ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾: بما قدَّره ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ﴾: خلق، ﴿لَكُمُ ٱلنُّجُومَ﴾: غير النيِّرين[2] ﴿لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ﴾: الليالي في ﴿ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا﴾: بينَّا ﴿ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: فإنهم ينتفعون بها، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾: آدم، ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾: فلكم مستقرٌّ كالأرحام ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾: كالأصلاب، واعلم أن الأصلاب والأرحام والدنيا والقبر والمحشر إلى الجنة أوالنار، كل منها مستقر ومستودع بالنسبة، ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾: خصَّه بالفقه، وهو تدقيق النظر؛ لأن الاستدلال بالأنفس أدقّ[3] من الاستدلال بالنجوم بالآفاق؛ لظهوره، قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ﴾: جانب ﴿ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾: بسبب الماء، ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾: ينبت أو رزق كل ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾: من النبات، ﴿خَضِرًا﴾: شيئا أخضر، ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ﴾: من الخضر، ﴿حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾: بعضه يركب بعضا، وهو السنبل ﴿وَ﴾: أخرجنا، ﴿مِنَ ٱلنَّخْلِ﴾: نخلًا ﴿مِن طَلْعِهَا﴾: أكمامها، ﴿قِنْوَانٌ﴾: جمع قنو، عنقود، ﴿دَانِيَةٌ﴾: سهلةُ المجتنى لقصر النخل، خص القريبة بالذكر لزيادة النعمة فيها، وذكر الطلع مع النخل؛ لأنه طعام وإدام دون سائر

---

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو، وابن عامر: (وجاعل الليل).

* السبعة (٢٦٣)، غيث النفع (٢١٣)، والنشر (٢/ ٢٦٠).

(٢) الشمس والقمر.

(٣) في (س): أقوى.

الأكمام وتقديم النبات لتقديم[١] القوت على الفاكهة، ﴿وَ﴾: أخرجنا به، ﴿جَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا﴾: أوراقها، ﴿وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾: ثمارها، أو كلاهما في الثمرة كالرمان الحلو الأبيض الكبير، وبضدها، ﴿انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ﴾: ثمر كلٍّ منها ﴿إِذَا أَثْمَرَ﴾: أخرج ثمره ﴿وَيَنْعِهِ﴾: نضجه مستدلين به على قدرته ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ﴾: على كمال قدرته ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: إلا المعاندين، ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾: الملائكة المجتنة: أي: المختفية أو الشياطين لأنهم أطاعوهم كإطاعة الله، ﴿وَ﴾: الحال أنه، ﴿خَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا﴾: افتروا ﴿لَهُ بَنِينَ﴾ كعُزَير ومسيح ﴿وَبَنَاتٍ﴾: كالملائكة، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ وفكْر ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهه ﴿وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾: يصفونه به، ﴿بَدِيعُ﴾: مُبْدِع، ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: مرَّ بيانه، أي: هو خالق الأجسام والتوالد فيها فقط، ﴿أَنَّىٰ﴾: كيف ﴿يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ﴾: وإنما الولد من متجانسين، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: لم يقل به[٢] لتطرُّق التخصيص إلى الأول، ﴿ذَٰلِكُمُ﴾: الموصوف، ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾: مُتوليه فكلوا الأمر إليه، ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾: في الدنيا؛ لأن فيها لا يرى إلا ما في جهة والله خالقها، لكن إذا تجلى بوجهه يُمْكنُ رؤيته تدركه الأبصار كما صح في الأخبار[٣]، والتغير للرائي لا للجبَّار، والنفي لا يعم الأوقات ولا الأشخاص، لأنه سالبة[٤] جزئيه كقولنا: ليس كل بصر يدركه، فيمكن تخصيصه على أن النفي لا يوجب الامتناع، فزعم المعتزلة في غاية الاندفاع، ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾: لأنه خالقها وتخصيصها للمقام، ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾: فلا تدركه الأبصار ﴿الْخَبِيرُ﴾: فيدركها، ﴿قَدْ جَاءَكُم﴾: آياتُ القُرْآن هي ﴿بَصَائِرُ﴾: البصيرة للقلب كالبصر للعَيْن ﴿مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ

---

(١) كذا.

(٢) وإنما قال: «بكُلّ».

(٣) أحاديث رؤية الله- تعالى- في الآخرة كثيرة جدا بلغت مبلغ التواتر، بل أفردت بتأليف للدارقطني والنحاس وغيرهما .اهـ.

(٤) قضيَّة منطقية.

﴿أَبْصَرَ﴾: وآمن بها، ﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾: نفعه ﴿وَمَنْ عَمِيَ﴾: عنها ﴿فَعَلَيْهَا﴾: ضرها، ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾: إن أنا إلا رسول ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: التبيين، ﴿نُصَرِّفُ﴾: نُبيِّنُ ونكرِّرُ ﴿ٱلْءَايَٰتِ وَ﴾: نُصرِّفُها ﴿لِيَقُولُوا﴾ المشركون واللام للعاقبة ﴿دَرَسْتَ﴾: تعلمت من اليهود أو العجم، ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ﴾: القرآن، ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: مضمونه: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾[1]، ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾: بالعمل به، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: فيجب اتباع أمره، ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: قيل نسخت[2] بالسيف، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟﴾: لكن له حكمةٌ[3] في إضلالهم، ﴿وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾: تحفظُ أعمالهم ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾: تقوم بأمرهم ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾: يعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: أصنامهم، وهذا من الإعراض عنهم، ﴿فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا﴾: ظُلمًا، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: جاهلين، دَلَّ[4] على النَّهي عن طاعة تورث معصية راجحة بخلاف المعصية الموجودة ﴿كَذَٰلِكَ﴾: التزيين، ﴿زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾: كافرة، ﴿عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: بالمجازاة ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ﴾: أغلظ، ﴿أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾: كآيات موسى وعيسى، ﴿لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾: لا عندي، ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾: استفهام إنكاري أي: لا يشعرون ﴿أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ﴾: الآيةُ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: والله يعلم ذلك، ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ﴾: عن الحق لو جئنا بما اقترحوا فلا يفقهونه، ﴿وَأَبْصَٰرَهُمْ﴾: فلا يبصرونه، ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ﴾: بما جئنا به من الآيات كشق القمر وغيره، ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾: ضلالتهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾: يتحيرون، ﴿وَلَوْ[5] أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾: فرأوهم عيانا ﴿وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: في حقيقة القرآن، ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا﴾: مقابلةً ﴿مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟﴾ في حال، ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾: بتبديل طباعهم،

---

(١) سورة البقرة.

(٢) في (د)، و(ن): نسخ.

(٣) في (د): حكم.

(٤) يعني: دل الكلام.

(٥) في هامش (ن): الجزء (٨).

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾: أنهم إن أوتوا بها لم يؤمنوا فيقسمون كذلك، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: كما جعلنا لك عدُوًّا ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ﴾: مردة، ﴿الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي﴾: يلقي[1] ويوسوس، ﴿بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ﴾: أباطيله المزينة، ﴿غُرُورًا﴾: للغرور، فمردة الجن يُوْحُون إلى مردة الإنس يغرونهم أو بعض الإنس إلى بعض، وبعض الجن إلى بعض، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾: الإيحاء، ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾: من تكذيبك، ﴿وَلِتَصْغَىٰ﴾: لتميل: عطف على غرور ﴿إِلَيْهِ﴾: إلى زُخْرف القول ﴿أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ﴾: ليحبوه، ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا﴾: ليكتسبوا ﴿مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ من الآثام وكل منهما مسبب عما قبله فما أحسن ترتيبه، قل يا محمد: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي﴾: أطلب، ﴿حَكَمًا﴾: بيني وبينكم، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ﴾: القرآن، ﴿مُفَصَّلًا﴾: مبينا يغنيكم عن حُكم آخر، ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾: علماؤهم، ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾: لما بين في كتبهم، ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾: في علمهم به ﴿وَتَمَّتْ﴾: بلغت الغايةُ، ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: القرآن، ﴿صِدْقًا﴾: في الأخبار والمواعيد، ﴿وَعَدْلًا﴾: في أحكامه، ﴿لَّا مُبَدِّلَ﴾: مُغيِّر ﴿لِكَلِمَاتِهِ﴾: بالتحريف والنسخ ونحوه، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾: لأقوالهم، ﴿الْعَلِيمُ﴾: بضمائرهم، فلا يمهلهم، ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ﴾: وهم الجُهَّالُ ﴿يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾: لأنَّ الضَّال لا يأمر إلَّا بالضلال، ﴿إِن﴾: ما، ﴿يَتَّبِعُونَ﴾: في عقائدهم، ﴿إِلَّا الظَّنَّ﴾: ظن هداية آباءهم ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: يكذبون، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن﴾: بمن، ﴿يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾: لا غيره عليه عند ذبحه، ﴿إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾: فإن الإيمان يقتضي استحلال ما أحله فقط، ﴿وَمَا﴾: أيُّ غرضٍ ﴿لَكُمْ﴾: في، ﴿أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾: وتأكلوا من غيره، ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ في قوله: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ إلى آخره، ﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾: ممَّا حُرم ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ﴾: بالتحريم والتحليل[2]، ﴿بِأَهْوَائِهِم﴾: بتشهيهم ﴿بِغَيْرِ

---

(١) كذا في (ن)، و(د).

(٢) في نسخة (د)، و(ن): بالتحليل والتحريم. والمثبت من (ح)، و(س)، و(ع).

عِلۡمٍ﴾: دليل ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾: المتجاوزين الحق، ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ﴾: ما يُعْلن منه ﴿وَبَاطِنَهُۥٓ﴾: خفيَّه، أو ما بالجوارح والقلب، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ سَيُجۡزَوۡنَ بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ﴾: يكتسبون، ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾ وهو ما أُهِلَّ بهِ لغير الله بقرينة: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾: ما لم يذكر.. إلخ، ﴿لَفِسۡقٞ﴾: أي: ما أهل لغير الله به، والجملة حالية، وإن واللام لإنكارهم فسقيته وصرحوا بجوازه في نحو: لقيته وإنك لراكب فلا ينافيان الحالية، فما لم يذكر عليه ولو عمدا حلال عند الشافعي ومالك وابن عباس[1]، وأيضًا في الحديث: «**كُلُوا، فإنَّ تَسْمِيةَ الله في قلب**[2] **كُلِّ مؤمن**»[3]، حين سئل عن متروك التسمية، وفي الحديث أيضًا: «**ذبيحة المسلم حَلالٌ، وإن لم يذكر اسم الله عليه**»[4]، ولرجوع: ﴿وَقَدۡ فَصَّلَ﴾ إلى آية: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ﴾، ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ﴾: يوسوسون، ﴿إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾: الكفار، ﴿لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ﴾: في استحلال الحرام والله، ﴿إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ۞ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا﴾: بجهله وضلالته ﴿فَأَحۡيَيۡنَٰهُ﴾: بالهداية، ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا﴾: القرآن ﴿يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾: يهتدي كيف يسلك مع مجرميها كعمر وحمزة وعمار[5]، ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ﴾: صفته أنه، ﴿فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَا﴾: كأبي جهل ﴿كَذَٰلِكَ﴾: كما زُيِّن الإيمان للمؤمنين، ﴿زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۞ وَكَذَٰلِكَ﴾: كما ﴿جَعَلۡنَا﴾: في مكة ﴿أَكَٰبِرَ مُجۡرِمِيهَا﴾ كأبي جهل، ﴿جَعَلۡنَا﴾: صَيَّرنا، ﴿فِي كُلِّ قَرۡيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجۡرِمِيهَا لِيَمۡكُرُواْ فِيهَا﴾: بإضلال الناس، ﴿وَمَا يَمۡكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمۡ﴾: وباله عليهم، ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾: ذلك، ﴿وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ﴾: مصدقة لمحمد عليه الصلاة والسلام، ﴿قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾: بأن يأتينا وحي كما يأتيه، ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ﴾: أي: عالم ﴿حَيۡثُ﴾: مكانا، ﴿يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٧٤).

(٢) كذا في (ح)، و(د)، و(ع)، وفي (ن)، و(س): فَمِ.

(٣) رواه بنحوه: الدارقطني (٤/ ٢٩٥)، والبيهقي (٩/ ٢٤٠) وسنده باطل.

(٤) رواه الحارث ابن أبي أسامة (١/ ٤٧٨/ ٤١٠) وهو ضعيف.

(٥) تفسير الطبري (٨/ ١٧)، والوسيط (٢/ ٣١٩)، ابن كثير (٢/ ١٧٢)، الدر المنثور (٣/ ٤٣)، فتح القدير (٢/ ١٦٠).

فيه، أعلم أن أفعل لكل إلالام[١] وإضافة ومن يجوز كونه بمعنى اسم الفاعل أو الصفة المشبهة نحو: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ بمعنى: هين، فمعناه: الله عالم مكانا فلا يحتاج إلى تكلفات بعض في جعل الظرف الغير المتصرف هنا[٢] مفعولا به لأفعل التفضيل والله تعالى أعلم، ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ﴾: ذل، ﴿عِندَ اللَّهِ﴾: يوم القيامة، ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ۞ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ﴾: يوسع ﴿صَدْرَهُ﴾: وقلبه، ﴿لِلْإِسْلَامِ﴾: يجعله قابلا للتوحيد، ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾: زائد الضيق بحيث لا يدخله الحقُّ ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾: فإنه ممتنع، ﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ﴾: العذاب، ﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ وَهَٰذَا﴾: الإسلام ﴿صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾: حال مؤكدة عن معنى الإشارة بلا عوج، ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾: بالتدبر، ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ﴾: الجنة والإضافة تشريفية، أو السلام: السلامة خبره، ﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾: مولاهم[٣]، ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: بأعمالهم، ﴿وَ﴾: اذكر، ﴿يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾: قائلين، ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ﴾: إغْواء ﴿الْإِنسِ﴾: أو مثل: استكثر الأمير جنده ﴿وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم﴾: مطيعوهم، ﴿مِّنَ الْإِنسِ﴾: في الجواب، ﴿رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ﴾: انتفع، ﴿بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾: فانتفاع الإنس وصولهم بسببهم إلى مشتهياتهم، وانتفاع الجن قبول إغوائهم، ﴿وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا﴾: القيامة والبعث ﴿قَالَ﴾: الله، ﴿النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾: الله أعلم بتثنيه، أو المستثنى: الفساق، ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾: في أفعاله، ﴿عَلِيمٌ﴾: بأعمالكم، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: الإشقاء بالاستمتاع، ﴿نُوَلِّي﴾: نكل أو نُسلِّطُ ﴿بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾: إليهم أو عليهم، أو نجعله وليهم، ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: من المعاصي ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾: والصحيح أن الرسل من الإنس والجنُّ أتبع، أو الرسل رسل[٤] من الجن

---

(١) كذا. وفي هامش (ع): المستعمل بلَا لَام.

(٢) في (ع): هذا.

(٣) في (ن): مواليهم.

(٤) دعاة مبلغون لا يُوحَى إليهم؛ لأن الجن لا يتحمل رؤية الملَك.

إلـيهم ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾: القيامـة، ﴿قَالُواْ﴾: جوابـا ﴿شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾: بإنذارهم، أي: بلى ثم قال تعالى:، ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾: وهـذا في غيـر موقـف يقولـون فيـه: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، ﴿ذَٰلِكَ﴾: الإرسـال، ﴿أَن﴾: لأن، ﴿لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ﴾: أهـل، ﴿ٱلْقُرَىٰ﴾: ملتبسين، ﴿بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾: لـم يُنبهـوا برسـولٍ ﴿وَلِكُلٍّ﴾: مـن القائلين، ﴿دَرَجَٰتٌ﴾: ناشئات، ﴿مِّمَّا عَمِلُواْ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ۞ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ﴾: عـن خلقـه، ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾: أيهـا العـصاة إذا عـصيتم، ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾: مـن المطيعـين، ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾: فـأهلكهم، ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأَٰتٍ﴾ كـائن البتـة ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾: فـائتين الله، ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ﴾: أمـر تهديـد، ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: مكـانكم الذي أنتم عليه من الكفر، أي: دوموا عليه، ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾: على ما أنا عليه، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن﴾ أينا ﴿تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾: العاقبة المحمودة التي خلق لها هذه الدار، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: الميتون على الكفر، ﴿وَجَعَلُواْ﴾: مشركوا العرب، ﴿لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾: خلق ﴿مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾: وللأصنام نصيبا، ﴿فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾: أصل الزَّعم: حكاية قول يكون مظنة الكذب، ﴿وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾: فجعلوا مصرف نصيب الله الضيف، ومصرف نصيب الأوثان خدمها، فإن سقط من ثمار نصيب الأوثان شيء ردُّوه إليه، وإن هلك منه شيء جعلوا مكانه من نصيب الله، وإن هلك من نصيب الله شيء أو سقط منه في نصيب الأوثان خلُّوه، وقالوا: الله غنيٌّ وهي فقير خدمها محتاجون، وهذا قوله: ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾: حكمهم هذا، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: التزيين، ﴿زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾: الشياطين؛ فإنهم يعبدونهم حقيقة كما مر، ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾:

ليهلكوهم، ﴿وَلِيَلْبِسُواْ﴾: ليخلطوا، ﴿عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ إذْ كانوا على دين إسماعيل[١] فرجعوا، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾: على الله، ﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ﴾: أي: ما جعل لآلهتهم، ﴿أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾: حرامٌ ﴿لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ﴾: طعمته وهم السدنة[٢]، ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾: لا بأمر الله، ﴿وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾: كالسائبة ونحوها، ﴿وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾: في ذبحها بل يسمون آلهتهم ﴿ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ﴾: على الله، ﴿سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ۝ وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾: جنين البحائر والسوائب إن ولد حيا، ﴿خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾: نسائنا، ﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ﴾: فالذكور والإناث، ﴿فِيهِ شُرَكَآءُ سَيَجْزِيهِمْ﴾: الله، ﴿وَصْفَهُمْ﴾: الكذب جرأة عليه، ﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ﴾: في فعله، ﴿عَلِيمٌ﴾: بأعمالنا، ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ﴾: بناتهم بالوأد[٣]؛ لئلا تأكل رزقهم، ﴿سَفَهًۢا﴾ سفهاء ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: حجة، ﴿وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾: كالبحائر، ﴿ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾: إلى الحق بعد ضلالهم، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ﴾: أبدع، ﴿جَنَّٰتٍ﴾: بساتين الكرم، ﴿مَّعْرُوشَٰتٍ﴾: مرفوعات على ما يحملها وجه، أو مبسوطات على كالبطيخ ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾: متروكات على وجه الأرض أو مرتفعات على الساق كالنخل، ﴿وَ﴾: أنشأ، ﴿ٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾: أي: ثمر كل واحد منها طعما ولونا وشكلًا ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا﴾: في الشجر والمنظر ﴿وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾: في الثمر أو الطَّعم[٤]، وقد مر بيانه، ﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ﴾: ولو قبل النضج، ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ﴾: حق الله أي: صدقته، ﴿يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾: وهذا كان قبل وجوب زكاته عند الأكثر، ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾: في التصدق أو الأكل ليبقى حقكم، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ وَ﴾: أنشأ، ﴿مِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً﴾: تحمل الأثقال ﴿وَفَرْشًا﴾: تفرش

---

(١) يعني العرب؛ لأن إسماعيل أبوهم.

(٢) الخدام.

(٣) الوسيط – للواحدي (٢/ ٣٢٩).

(٤) في (د): المطعم.

للذبح صغار، ﴿كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾: من الثمار والزروع والأنعام ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ﴾: سُبُل ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: في التحريم والتحليل من عندكم ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۞ ثَمَٰنِيَةَ﴾: بدلٌ من حمولة وفرشا ﴿أَزْوَٰجٍ﴾: والزوج: ما معه ما يزاوجه من جنسه، ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ﴾: الكبش والنعجة، ﴿وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾: التيس[1] والعنز، ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾: منهما، ﴿حَرَّمَ﴾: الله، ﴿أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ منهما ﴿أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾: أي: ما حملته أنثاهما ﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ﴾ بدليل على الحرمة ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيه ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ﴾ فكيف يحرمون الذكر تارةً والأنثى تارة، والولد تارة، ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾: حاضرين، ﴿إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا﴾: التحريم أي: لا دليل لكم عقليا ولا حسيا[2]، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ بلا دليل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾: إلى تلك الغاية مما كانوا يستحلونه ﴿مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾: سائلا لَا كالكبد أو الطحال، وما يتلطخ باللحم ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ﴾ الخنزير ﴿رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا﴾: فُسِّر مرَّةً، ﴿أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾: صفة موضحة، ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾: إلى أكل شيء منها ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾: على مضطر مثله، ﴿وَلَا عَادٍ﴾: يتجاوز قدر الضرورة، ومرَّ بيانه ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: به لا يؤاخذه، والآية لا تنافي تحريم غيرها بعد ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾: ما ليس مشقوق القدم، كالإبل والنعامة والبط، وأظفار الإبل مناسم أخفافها، وأظفار السباع: براثنها، ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾: جميعـا، ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾: شَحم علق على الظهر ﴿أَوِ﴾: حملته، ﴿ٱلْحَوَايَآ﴾ جمع حاوياء، أو حاوية[3]، أي: الأمعاء ﴿أَوْ مَا﴾: أي: شحم، ﴿ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾: هو الألية، ﴿ذَٰلِكَ﴾: التحريم

---

(١) الجَدْيُ.

(٢) كذا، ولو قال: عقلا ولا حسا، لكان أحسن.

(٣) أو: حَوِيَّه، كسفينَة وسفَائِن.

والتضييق، ﴿جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ﴾: ظلمهم، وفي النساء بين حكمه ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾: فيه كما قالوا: حرمها إسرائيل بلا ذنبٍ منّا ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾: فيمهلكم، ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ﴾: عذابه، ﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: حين نزوله فلا تفتروا، ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾: إظهارا لأنهم على الحق لا اعتذارا ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ خلاف ذلك ﴿مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾: فإن ما شاء فهو مرضي له بزعمهم، فلم يفرقوا بين المشيئة وبين المأمور المرضي كالمعتزلة، والحاصل أن لهم مقدمتين: أن الشرك بمشيئة الله، فدعوة النبي مندفعة وإنما ذمهم على الثانية بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ التكذيب بهذه الشبهة، ﴿كَذَّبَ﴾: الرسل، ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: ولو كان ذمًّا على الأولى لقال: كذب بالتخفيف، فينهضُ دليلا للمعتزلة، وأيضًا لو قالوا اعتذارا لكان الرد سندا لهم، ﴿حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا﴾: فعلموا أنهم على دين غير مرضي لنا، ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ﴾: دليل على زعمكم، ﴿فَتُخْرِجُوهُ﴾: تظهروه، ﴿لَنَآ إِن﴾: ما ﴿تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾: فيه لَا العلم، ﴿وَإِنْ﴾: ما، ﴿أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾: تكذبون على الله ﴿قُلْ﴾: إنْ ظهر أنَّ لَا حُجَّة لكم ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾: غاية المتانة[1] والوضوح ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: لكن شاء إضلال بعض لحكم، ﴿قُلْ هَلُمَّ﴾: أَحْضِرُوا، ﴿شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا﴾: وهم قدوتكم لتلزمهم، ﴿فَإِن شَهِدُوا۟﴾: عنادًا، ﴿فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾: أي: لا تسلم، أقيم اللَّازمُ مقام الملزوم ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: أي: أهل الكتاب، ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾: المشركون، ﴿وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾: يجعلون له عديلًا ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ﴾: أقرأ، ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾: متعلق[2]: ﴿أَتْلُ﴾، ﴿أَلَّا﴾: أي: ﴿لَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ﴾: أحسنوا، ﴿إِحْسَٰنًا﴾: بمعنى لا تؤذوهما، ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم﴾ خشية ﴿مِّنْ﴾: أجل، ﴿إِمْلَٰقٍ﴾: فقر أنتم فيه ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾: خاطب هنا الفقراء، وكذا لم يقل: خشية، وقدم:

---

(١) في (ن): المصابة.

(٢) يعني الجار والمجرور، وقيل: «عليكم» اسم فعل أمْرٍ بمعنى: الزموا كقوله: ﴿كتب الله عليكم﴾، وفي الحديث: «فعليك خاصَّةَ نفْسِكَ».

نرزقكم، وفي الإسراء الأغنياء، فقيده بها وعكس ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾: كبائر الذنوب ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾: علانيتها، ﴿وَمَا بَطَنَ﴾: سرَّها ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾: قتلها بوجه، ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾: الشرعيّ ﴿ذَٰلِكُمْ﴾: المذكور ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾: بحفظه، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: ترشدون، ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي﴾: بالطريقة[1] التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾: وهي ما فيه صلاحه، وتخصيصه مع أن مال البالغ كذلك؛ لأن طمع الطامعين فيه أكثر لضعفهم ولعظم إثمه ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾: جمع شدَّة كأنعم جمع نعمة، وقيل: لا واحد له بمعنى بلوغه، أي: ثم سلِّموه إليه ﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾: بالعدل بمعنى لا تبخسوا، ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾: أي: ما يسعها، وفوقه معفو عنه، ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾: تكلمتم في شيء، ﴿فَٱعْدِلُواْ﴾: في القول بمعنى: لا تتركوه، أفهم أنه في الفعل أولى، ﴿وَلَوْ كَانَ﴾: المقول له أو عليه ﴿ذَا قُرْبَىٰ﴾ من قرابتكم ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ﴾: أي: لا تنكثوا، ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: خَصَّها بالذكر؛ لأنها خفية تحتاج إلى اجتهاد وتذكر بخلاف الخمسة الأول، فإنها يكفي فيها العقل لظهورها ﴿وَأَنَّ﴾: بالكسر استئناف وبالفتح[2] علة لقوله: فاتبعوه، ﴿هَٰذَا﴾ ما في الآيتين ﴿صِرَٰطِي﴾: ديني، ﴿مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ التي غيره ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ﴾: فتزيلكم، ﴿عَن سَبِيلِهِۦ﴾: المستقيم، ﴿ذَٰلِكُمْ﴾: الاتباع، ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: الضلال، ﴿ثُمَّ﴾: للتراخي في الأخبار عطف على وَصَّاكم ﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا﴾: للنعمة، ﴿عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ﴾: القيام به ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾: محتاج إليه، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم﴾: بني إسرائيل ﴿بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ﴾: بالبعث، ﴿يُؤْمِنُونَ ۞ وَهَٰذَا﴾: القرآن، ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾: كثير النفع،

---

(١) في (ن): بالطريق.

(٢) قرأ حمزة والكسائي والأعمش وخلف «وإن» بكسر الهمزة – وتشديد النون.

* السبعة (٢٧٣)، غيث النفع (٢٢٠)، البحر المحيط (٤/ ٢٥٣).

* وقرأ ابن عامر، وعبد الله بن إسحاق البصري، ويعقوب: «وأن» بفتح الهمزة وسكون النون.

* السبعة (٢٧٣)، غيث النفع (٢٢٠).

﴿فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا﴾: مخالفته، ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: باتباعه وأنزلناه كراهة ﴿أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ﴾: اليهود والنصارى، ﴿مِن قَبْلِنَا وَإِن﴾ إنه ﴿كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ﴾: قراءتهم، ﴿لَغَافِلِينَ﴾: ما فهمنا؛ لأنه ليس بلغتنا ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾: إن صدقتم فيه ﴿فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ﴾: [حجّة واضحة][1] تبيّنُ الحلال والحرام، ﴿مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾: لمن عمل بها، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: بعد معرفته صحتها، ﴿وَصَدَفَ﴾: صَدَّ أو أعرض ﴿عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾: بصدهم أو إعراضهم، ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾: ما ينتظرون، ﴿إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾: لقبض أرواحهم، ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾: يوم القيامة للفصل إتيانا يليق بجلاله، أو أمره[2] بالعذاب، ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾: أشراط الساعة ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾: كطلوع الشمس من مغربها والاحتضار، ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا﴾: ولا كسبها خيرًا فيه ﴿لَمْ تَكُنْ﴾: صفة نفسًا ﴿آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ﴾: لم تكن، ﴿كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا﴾: السابق، ﴿خَيْرًا﴾: فهو من اللّفِّ التقديري، يعني يومئذ لا يفيد إيمان الكافر وتوبة الفاسق، وهذا أولى من تفسيرها بما يشعر بدخول العمل[3] في الإيمان لحديث: «من قال لا إله إلا الله» إلى آخره، ولنزولها فيمن كذب بآيات الله وصدف عنها[4]، ﴿قُلِ انتَظِرُوا﴾: إحدى الثلاث، ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾: لها، ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾: آمنوا ببعض وكفروا ببعض، كأهل الكتاب وملحدي هذه الأمة، ﴿وَكَانُوا شِيَعًا﴾: فرقًا تتبع كل فرقة إماما، ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ﴾: من السؤال عنهم وعن تفرقهم ﴿فِي شَيْءٍ﴾: أو أنت بريء منهم، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾: بالجزاء ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾: وهذا أقل الموعود، ﴿وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا﴾:

---

(١) من البيضاوي.

(٢) لا والله فإن هذا من التأويل الممجوج والرأي الفاسد، فكن منه على حذر، ومذهب السلف إثبات الإتيان وتفويض معناه «إلى الله ا. هـ.

(٣) المذهب الصحيح أن الإيمان قول وعمل .اهـ.

(٤) الوسيط (٢/ ٣٤١).

لا تضاعف، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: بنقص ثواب وزيادة عقاب، ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ﴾: بالوحي، ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: أعني، ﴿دِينًا قِيَمًا﴾: ثابتا قائمًا، ﴿مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾: حال كونه، ﴿حَنِيفًا﴾: مائلًا عن الباطل ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: كما زعموا، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى﴾: ذبائحي والحج[1] والعمرة، إذ ذبائحهم كانت باسم أصنامهم، أو عبادتي، ﴿وَمَحْيَاىَ﴾: حياتي، ﴿وَمَمَاتِى﴾: موتي أي: ما فيهما من كل أعمالي خالصة، ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ﴾: الطريق ﴿أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: كما مر، ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى﴾: أطلب ﴿رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ إثْمًا ﴿إِلَّا عَلَيْهَا﴾: إثمها، ﴿وَلَا تَزِرُ﴾: نفس، ﴿وَازِرَةٌ﴾: آثمة ﴿وِزْرَ﴾ إثم ﴿أُخْرَىٰ﴾: أي: التحمل الاختياري، جواب لقولهم: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا﴾[2] الآية، فإذا كان الوزر مضافا إليها مباشرة أو تسببا فعليها، كما قال: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾[3]- إلخ، ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ﴾، وكذا ما ورد من حمل سيئات المظلوم والغريم ونحوه على الظالم والمديون ونحوه، ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ﴾: يوم القيامة، ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾: بمجازاة كل بعمله، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ﴾: خلفاء الأمم، أو خلفاء الله في ﴿ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾: في الغنى والشَّرف ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾: ليختبركم، ﴿فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾: من المال والجاه والفقر، أيكم يشكر وأيكم يصبر، ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾: للعصاة، لأن ما هُو آتٍ قريب، ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾: وصف ذاتهُ بالمغفرةِ الكثيرة المؤكدة، ووَصَف عقابه بلا إضافة إلى نفسه تنبيها على أنه غفور بالذات معاقب بالعرض مُبالِغٌ في الأوَّل مُسامحُ في الثَّاني.



---

(١) في (ن): في الحجِّ.

(٢) سورة العنكبوت.

(٣) سورة العنكبوت.



«سورة الأعراف»: مكية[١]، إلا آيات:

﴿ وَسْـَٔلْهُمْ ﴾ إلى: ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا ﴾، وقيل: إلى: ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾.

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ الٓمٓصٓ﴾: بُيّن مرَّة، هذا: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن﴾: بعد إنزاله ﴿فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾: ضيقٌ ﴿مِّنْهُ﴾: أي: لا تضيق من تبليغه مخافة التكذيب، ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾: الكافرين، ﴿وَذِكْرَىٰ﴾: موعظة، ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ ۞ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾: على لسان نبيكم كتابًا وسُنَّة، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾: فيضلوكم، ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾: تتَّعظون اتِّعاظًا قليلًا ﴿وَكَم﴾: كثيرًا، ﴿مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا﴾: أردنا إهلاكها[٢]، ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾: عذابنا، ﴿بَيَٰتًا﴾: بائتين كقوم لوط، ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾: في القيلولة استراحة نصف النهار ولو بلا نوم كقوم شعيب وهما[٣] وقتا الاستراحة فعذابهما أقطع، ﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ ﴾: دعاؤهم ﴿إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾: أي: إلا الإقرار بحقيقة العذاب، ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ ﴾: عن إجابتهم الرسل، ﴿وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: عن تبليغهم، وقوله: ﴿ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾[٤]، ليس للاستعلام أو هو في موقف آخر، ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم ﴾: على الرسل والأمم أعمالهم كلها، ﴿بِعِلْمٍ﴾: عالمين بكلها، ﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾: عنهم فيخفى علينا، ﴿وَٱلْوَزْنُ﴾: للأعمال، ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم السؤال، ﴿ٱلْحَقُّ﴾: العدل، فيوزن صحائفها بميزان له لسانٌ وكفتان، إظهارًا للمعدلة وقطعًا للمعذرة على كيفية يعلمها الله، وقيل: تجسم الأعمال بصور حسنة أو قبيحة، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: بالحسنات، جمع مُوْزونٍ أو ميزان، وجمعه لتعداد أجزائه،

---

(١) في هامش نسخة (د): سورة الأعراف مكية مائتان وست آيات وعند البصريين خمس إلا خمس آيات: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ﴾ إلى آخرهن ثم سورة الجن، كلماتها (٣٣٢٥) حروفها (١٤٣١٠).
* عدد سور القرآن- لابن عبد الكافي (٢٣٤، ٢٣٥).

(٢) الصحيح في تفسيرها: أهلكنا أهلها، فحذف المضاف. * الوسيط (٢/ ٣٤٨).

(٣) البيات والقيلولة.

(٤) سورة القصص.

كثوب أخْلاق؛ لقيامه مقام الموازين، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾: في الحديث: «**السيئة خفيفة وإن كثرت والحسنة الصالحة**[1] **ثقيلة وإن قلَّتْ**»، ﴿وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: بالسيئة، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم﴾: بتضييع الفطرة السليمة، ﴿بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ﴾: بإنكارها، ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ﴾: من التصرف، ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾: أسبابًا تعيشون بها، ﴿قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ﴾: أي: أباكم آدم، ﴿ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ﴾: بتصويره أو على ظاهره وهذا ما صحَّحه الحاكم، وثم لتأخير الأخبار، ﴿ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾: فُسِّر مرَّةً ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ﴾: عن، ﴿أَلَّا﴾: صلة فهو كما في «ص» ﴿تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾: أي: منعني أشرفية عنصري، عمي عن تشريف خلقه بيده، ونفخ روحه فيه، وسَنَّ[2] القول بالحسن والقبح العقليين، ﴿قَالَ﴾: الله بلسان الملك ﴿فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا﴾: الجنة أو السماء ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾: نبه بالقيد على أنَّ المتكبر بعيد من مكان المقربين فلا مفهوم له ﴿فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾: الذليلين، ﴿قَالَ أَنظِرۡنِيٓ﴾: أمهلني من الموت ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾: الخلق أو الصَّاغرون ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ﴾: جُمْلة ﴿ٱلۡمُنظَرِينَ﴾: كالملائكة إلى النفخة الأولى، قيل: ليس إجابة؛ لأنها كرامة، بل بيان لسابق التقدير، وقيل: يجوز استصلاحًا وعُمُومًا لتفضل الدنيا، ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي﴾: أقسم بإغوائك: أي: إضلالك أو تخييبك إياي، فهو قسم بفعل الله، ﴿لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ﴾: كما تقعد القُطّاع[3] للسَّابلة[4]، ﴿صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾: أي: على طريق الإسلام، ﴿ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ﴾: أراد كمال اجتهاده في إغوائهم، وترك الفوق؛ لأنه منزل الرحمة، والتَّحت؛ لأن الإتيان منه يُوحش[5]، ﴿وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾: لك بالطاعة،

---

(١) في نسخة (د): الخالصة.

(٢) يعني إبليس – لعنه الله – قلت: وقد أخطأ الملعون جهْلًا وكفرًا، فالطين خير من النّار من أكثر من ألفي وَجْه.

(٣) قطاع الطريق – حفظنا الله.

(٤) المسافرين السالكين السُّبل – أي الطرق.

(٥) أو لأنَّ الفَوق محلّ إجابة الدعاء، والتحتُ: محلّ السجُود.

قاله ظنًّا ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ ﴾[١] ﴿ قَالَ ﴾: الله، ﴿ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا ﴾: الذأم أشد العيب ﴿مَّدْحُورًا ﴾: مطْرُودًا، والله ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾: وغلب المخاطب ﴿وَ﴾ قلنا: ﴿يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾: فُسِّر مرة، وترك رَغَدًا اكتفاء بما مضى ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ ﴾: وسوسته وحديثه يلقيه في القلب وأصلها[٢]: الصوت الخفي والحمحمة والحشحشة ﴿لِيُبْدِىَ ﴾: ليظهر، اللام للعاقبة، ﴿لَهُمَا مَا وُۥرِىَ ﴾ ستر، ﴿عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا ﴾: كان عليهما نور يسترهما فانقشع بالأكل، دل على أن كشف العورة عند الزوج[٣] مذموم، ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ ﴾: أكل، ﴿هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ ﴾: كراهة، ﴿أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ ﴾: في القوة والاستغناء من نحو الأكل، ولا يدل على تفضيل المَلَك[٤]؛ لأن عدم انقلاب الحقائق كان معلومًا، ورغبا في أن يحصل لهما ما للمَلَك من الكمال الفطرية ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ ﴾: في الجنة، ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ ﴾: أقسم لهما ﴿إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴾: والقسم تأكيد الخبر بما سبيله أن يُعظَّم أي: حق الخبر كحق المحلوف به، ﴿فَدَلَّىٰهُمَا ﴾: فنزلهما عن منزلتهما أو جرَّأهما على الأكل، ﴿بِغُرُورٍ ﴾: منه، ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ ﴾: أي: ثمرتها، ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا ﴾: بتهافت لباسهما ﴿وَطَفِقَا ﴾: أخذا ﴿يَخْصِفَانِ ﴾: يلزقان، ﴿عَلَيْهِمَا ﴾: على عَوْراتهما ورقة فوق ورقة، ﴿مِن وَرَقِ ﴾: شجر، ﴿ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ ﴾: قائلًا، ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ ﴾: دلَّ على أن مُطْلق النهي للتحريم ﴿وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾: حيث قال: ﴿إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ ﴾[٥].. إلى آخره، ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾: هي التى تلقى آدم من ربه على الأصح[٦]، ﴿ قَالَ ﴾:

---

(١) سورة سبأ.

(٢) أي: الوسوسة.

(٣) يعني لغير حَاجة.

(٤) بل عموم الملائكة أفضل؛ لأنهم لا يعصون الله ما أمرهم وأما التخصيص ففيه تفصيل، والأولى ترك هذه المسائل المبتدعة المخترعة التي أولع بها أهل الكلام والرأي .اهـ.

(٥) سورة طه.

(٦) الوسيط (٢/ ٣٥٧) وهناك روايات أخرى غير صحيحة .اهـ.

الله، ﴿ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞ﴾: أي: متعادين كما مرَّ، ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ﴾: موضع قرار، ﴿وَمَتَٰعٌ﴾: تمتَّع ﴿إِلَىٰ حِينٖ﴾ أجل معلوم، كما مرَّ ﴿قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ﴾: للجزاء، ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا﴾: بأسباب من السماء كالمطر، ﴿عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي﴾: يستر، ﴿سَوۡءَٰتِكُمۡ﴾: فأغناكم عن خصف الورق، ﴿وَرِيشٗا﴾: لباسًا يتجملون به، وأصله الجمال والمال من «تَرَيَّش»: تموَّلَ، ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾: العمل الصالح الذي يقيكم العذاب[1]، ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾: فإنه يستر عن فضائح الآخرة، ﴿ذَٰلِكَ﴾: الإنزال، ﴿مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: دلائل رحمته، ﴿لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾: يتعظون، ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾: بالإضلال ﴿كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ﴾: بفتنته ﴿يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾: إذ هو بسببه، ﴿لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآ﴾: فإن كلًّا منهما ما رأى عورة صاحبه[2] قط، ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ﴾: جنوده ﴿مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡ﴾: فاحذروا من عدو يراكم ولا ترونه، وهذا لا ينافي إمكان تمثلهم لنا على أنه تواتر وصحَّ في الأخبار[3]، ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ﴾: أحبَّاء ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾: لتناسبهم، ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ﴾: ككشفهم عوراتهم في الطواف، ﴿قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾: إذ زعموا أنهم على دين إسماعيل ﴿قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾: كما تقولون ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾: من أنه أمره به، ﴿قُلۡ أَمَرَ﴾: ني، ﴿رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِ﴾: بالعدل، ﴿وَ﴾: بأن، ﴿أَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾: نحو القبلة، ﴿عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾: وقت سجوده أو موضعه، ولا تؤخروا الصلاة إلى مسجدكم كاليهود، كذا فسره ابن عباس[4] ﴿وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: الطاعة، ﴿كَمَا بَدَأَكُمۡ﴾: بالاختراع أوَّلًا ﴿تَعُودُونَ﴾: بإعادته فتجزون، فالتشبيه في مجرد الخلق بلا كيفية ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾: إلى الإيمان، ﴿وَفَرِيقًا﴾: نصب بنحو خذل الذي[5] يفسرهُ ﴿حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾: أي: خذلهم ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ

---

(١) في (ن): العِقَاب.

(٢) لَا دليل على هذا الكلام.

(٣) كحديث أبي هريرة في الصدقة، وغير ذلك.

(٤) تفسير الطبري (١٢/ ٣٨٢/ ١٤٤٨٥)، معالم التنزيل - للبغوي (٢/ ١٥٦).

(٥) في (ن): الهُدى.

ٱللَّهِ ﴾: فيتبعونهم ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ۝ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ ﴾: ثيابًا تستر عوراتكم ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾: كصلاة وطواف ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ﴾: بالتعدي إلى الحرام أو الإفراط، قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «كُلْ مَا شِئْتَ والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان: سَرفٌ أو مَخيْلَة»[1]. أو بتحريم الحلال، إذ كانوا يَطوفون عُراةً ولا يأكلون دسمًا في حجِّهم[2]، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ۝ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ ﴾: من النبات والحيوان والمعادن ﴿لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾: المستلذات، ﴿مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾: حيث حرَّمتم زينته في الطواف ورزقهُ في الحجّ ﴿قُلْ هِيَ ﴾: الطيبات مخلوقة، ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾: أصالة وللكفار تبعًا، ﴿خَالِصَةً ﴾: فهي حال والعامل اللَّام، للمؤمنين ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾: أو من له التنغيصات كما في الدنيا، ﴿كَذَٰلِكَ ﴾: التفصيل، ﴿نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ ﴾: ما تزايد قبحه كالكبائر، ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾: جهرها ﴿وَمَا بَطَنَ ﴾: سِرُّها ﴿وَٱلْإِثْمَ ﴾: كله تعميمٌ بعْدَ تخصيص، ﴿وَٱلْبَغْيَ ﴾: الظلم ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾: تأكيد للبغي، أو البغي: الكبر، ﴿وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ ﴾: بإشراكه ﴿سُلْطَٰنًا ﴾: برهانًا ﴿وَأَن تَقُولُواْ ﴾ تفتروا ﴿عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ ﴾: مكذبة للرُّسل كأهل مكة، ﴿أَجَلٌ ﴾: لنزول عذابهم ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾: استئناف؛ لأن «إذا» الشرطية لا يترتب عليها إلا مستقبل ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ ﴾: بين مرَّة ﴿رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي ۙ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾: الشرك، ﴿وَأَصْلَحَ ﴾: العمل، ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾: عند الفزع الأكبر ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾: على ما فات من دنياهم، ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾: منكم ﴿وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾: بقوله عليه ما لا يعلمه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾: مما كتب لهم من العمر والرزق والعمل، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا ﴾: ملك الموت وأعوانه ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ ﴾: أي: أرواحهم، ﴿قَالُوٓاْ ﴾: توبيخًا، ﴿أَيْنَ مَا ﴾: أي: الآلهة التي ﴿كُنتُمْ تَدْعُونَ ﴾: تعبدونها ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٨/ ٤٠٥)، وعبد بن حميد في تفسيره (٣/ ٤٤٣/ الدر المنثور)، والنسائي (١/ ٢٩٢/ ٢٥٦٠)، وابن ماجة (٢/ ١١٩٢/ ٣٦٠٥)، وأحمد (٢/ ١٨١)، والحاكم (٤/ ١٣٥).

(٢) الوسيط (٢/ ٣٦٣).

﴿قَالُواْ ضَلُّواْ﴾: غـابوا، ﴿عَنَّا﴾: فـلا ننتفـع بهـم، ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾: وقـولهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، بعـد الحـشر، ﴿قَالَ﴾: الله لهـم يـوم[1] القيامـة، ﴿ٱدْخُلُواْ﴾: كائنين، ﴿فِىٓ﴾: زمرة، ﴿أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ﴾: كُفَّار، ﴿ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ﴾: متعلق ادخلوا، ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾: في النار ﴿لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾: في الدين التي ضلت بالاقتـداء بهـا، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ﴾: تلاحقـوا واجتمعـوا ﴿فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ﴾: دخولًا، هي تأنيث آخر بكسر الخاء ﴿لِأُولَىٰهُمْ﴾: لأجلها مخاطبًا مع الله، ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾: سنُّوا لنا الضلال فاقتدينا بهم، ﴿فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾: مضاعفًا، ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ﴾: الله، ﴿لِكُلٍّ﴾: منكما عذابٌ ﴿ضِعْفٌ﴾: إلى غير النهاية، أو للقادة ضعف التابع للكفر والإضلال وعكسه للكفر والتقليد أو لكل ضعف ما يرى للآخر، فإن من العذاب ظاهرًا وباطنًا، وهما يدركان الظاهر فقط، ويؤيده، ﴿وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾: ذلك، ﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ﴾ اللام للتبليغ نحو قلت لك[2] ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾: رتَّبوه على قول الله تعالى، أي: فنحن مُتساوون في العذاب والضلال ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾: تتمَّة مقالتهم، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ﴾: لأرواحهم أو لأدعيتهم وأعمالهم، ﴿أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾: بل يهوى بها إلى السجين[3] ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ﴾: ثُقب ﴿ٱلْخِيَاطِ﴾: الإبرة، رتَّب دخولهم على محال[4]، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: الجزاء، ﴿نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ۝ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾: فراشٌ ﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾: لحاف جمع غاشية، ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: ذكر الجرم في حرمان الجنة، والظلم في دخول النار تنبيهًا على أنه أعظم الإجرام، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ﴾: مُعترضةٌ[5] أفهم أنه يمكن الوصول إلى تلك

---

(١) في (ن)، و(د): في القيامة.

(٢) أي: مبلغًا أو: أبلغتك.

(٣) سيأتي تفسيره في المطففين.

(٤) يعني: لن يدخلوها أبدًا.

(٥) يعني جملة اعتراضيَّة، وهي: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ﴾.

المرتبة بسهولة، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۞ وَنَزَعۡنَا﴾: أخرجنا ﴿مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ﴾: حقدٍ وحسدٍ كان بينهم في الدنيا ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ﴾ لما رأوا كرامتنا: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا﴾: وفقنا ﴿لِهَٰذَا﴾: لتحصيله، ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ ولنا هذه النعمة بإرشادهم، ﴿وَنُودُوٓاْ﴾: بعد دخول الجنة ﴿أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا﴾: من أهل النار ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾: أو حصلت لكم بلا تعب[1] كالميراث، ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾: شماتةً[2] بهم ﴿أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾: بلسان رسله، ﴿حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ﴾: من العذاب ﴿حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ﴾: نادى ﴿مُؤَذِّنُۢ﴾: مُنادٍ ﴿بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾ يمنعون النّاس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دينه، ﴿وَيَبۡغُونَهَا﴾: يطلبون لدينه، ﴿عِوَجٗا﴾: مَيلًا، بنسبتها إليه لئلا يتبعها[3] أحد أو بإلقاء الشبه[4] فيه، أو مصدر أي: يطلبونها طلب العوج، أو يريدون غيرها دينًا ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ۞ وَبَيۡنَهُمَا﴾: بين الجنة والنار، ﴿حِجَابٞ﴾: يمنع وصول أثر إحداهما إلى الأخرى ﴿وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ﴾: أعرافُ الحجاب أي: أعاليه، ونؤمن[5] به وإن كانت الجنة في الكرسي، والنار في أسفل السافلين، ﴿رِجَالٞ﴾: استوت حسناتهم وسيئاتهم، ﴿يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا﴾: من أهل الجنة والنار ﴿بِسِيمَىٰهُمۡ﴾: بعلامتهم، كبياض الوجه وسواده، ﴿وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ﴾: في دخولها، وعن حذيفة: أنهم في الآخرة يدخلونها ﴿وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ﴾: نعوذ بالله[6] ﴿رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: فيها، ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا﴾: من رؤساء الكفرة ﴿يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ﴾:

---

(١) يعني: بفضل الله ورحمته.

(٢) تبعَ الكازروني البيضاويَّ- رحمهما الله تعالى- في ذلك، وهذا لا يُقالُ عن أهل الجنّة، بلْ يقولونه تحدُّثًا بنعمَةِ الله وفضلِه عليهم، أمّا الشّماتةُ ونحو ذلك فقد صرفها الله عنهم، بل إنه تعالى نزعَ الغلّ من قلوبهم وصدورهم.

(٣) وهذا كحال الملاحدة وأعوانهم في زماننا.

(٤) في (ن): الشبهَة.

(٥) في (ن): يؤمنُ.

(٦) في (ن): تعوذوا باللهِ، وفي (س): تعوُّذًا باللهِ.

لهم ﴿مَآ أَغۡنَىٰ﴾: دفْع ﴿عَنكُمۡ﴾: العذاب، ﴿جَمۡعُكُمۡ﴾: المال، أو كثرتكم، ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ﴾: عن الحق، ثم يشيرون إلى ضعفاء المؤمنين، ويقولون للكفرة: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍ﴾: فيقولون للضعفاء: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ۝ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ﴾ صبوا ﴿عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾: من الأشربة غير الماء أو الطعام ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ﴾: الحق، ﴿لَهۡوٗا وَلَعِبٗا﴾: كما مرَّ، أو عادتهم، ﴿وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾: فنسوا الآخرة، ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ﴾: نعاملهم معاملة الناسي، فنخليهم في العذاب، ﴿كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا﴾: بإنكاره، ﴿وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾: «ما» فيهما مصدرية، ﴿وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ﴾: القرآن، ﴿فَصَّلۡنَٰهُ﴾: بينا أحكامه، ﴿عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾: منا بما فصل فيه حال كونه، ﴿هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝ هَلۡ يَنظُرُونَ﴾: ينتظرون، ﴿إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥ﴾ ما يؤول إليه من تبين صدقه ﴿يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ﴾: وهو يوم القيامة، ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ﴾: تركوا الإيمان والعمل به، ﴿مِن قَبۡلُ﴾: قبل ذلك اليوم، ﴿قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ﴾: وكذبناهم ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ﴾: اليوم، ﴿أَوۡ﴾: هل، ﴿نُرَدُّ﴾: إلى الدنيا ﴿فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ قَدۡ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾: بصرف عمرهم في الكفر ﴿وَضَلَّ﴾: بطل ﴿عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾: من نفع آلهتهم ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي﴾: مقدار، ﴿سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾: للدنيا إذ لم يكن حينئذ يوم أو ستة أوقات مثل: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ﴾[1]، والمكث للحث على التأني، ولتشاهد الملائكة شيئا بعد شيء فيعتبرون، ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾: كما يليق بجلاله بلا كيف، أو بمعنى: استولى[2]، والعرش هو الجسم المحيط بسائر الأجسام، وقيل: الملك، ﴿يُغۡشِي﴾: يلبس ويغطي، ﴿ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ﴾: وحذف عكسه للعلم به، أو لأن اللفظ يحتملهما، ﴿يَطۡلُبُهُۥ﴾: يعقبه، ﴿حَثِيثٗا﴾: سريعا، كالطالب له بلا فصل بينهما، ﴿وَ﴾: خلق ﴿ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓ﴾: بقضائه، ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ﴾: المذكور في خلق

---

(١) سورة الأنفال.

(٢) هذا كلام المتأولة الذين يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله فاحذر منهم .اهـ.

السماوات ﴿وَٱلۡأَمۡرُ﴾ بالتسخير المذكور ﴿تَبَارَكَ﴾: تعالى وتعظَّم، ﴿ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا﴾: ذوي تذلل، ﴿وَخُفۡيَةً﴾: والأصح أن الصياح في الدعاء مكروه[1]، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾: المتجاوزين ما أمروا به كطلب ما ليس في رتبتهم، وكإطنابه[2]، يؤيده الحديث، وكالصِّياح فيه، ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: بالمعاصي، ﴿بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾: بشرع الأحكام أو بعد خلقها على الوجه الأصلح، ﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا﴾: من عقابه ﴿وَطَمَعًا﴾: في ثوابه ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ﴾: ثوابه، أمرٌ ﴿قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: المطيعين، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا﴾: بالباء، جمع بشير: المطر وبنون مضمومة[3] جمع نُشور بمعنى: ناشر وبفتحها[4] مصدر بمعنى ناشرات للسحاب، ﴿بَيۡنَ يَدَيۡ﴾: قُدَّام، ﴿رَحۡمَتِهِۦ﴾: المطر، فإن الصَّبا[5] تثير السحاب، والشمال تجمعه، والجنوب تدره، والدبور تفرقه[6]، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ﴾: حملت الرياح

---

(١) بل هو من سوء الأدب مع الله تعالى، قال ابن المبرد في أدب المرتعى (٢٠٣):
ولا يجهر بالدعاء؛ لقول الله – عز وجل -: ﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا﴾ (الإسراء/ ١١٠).
قال البخاري عن عائشة: ﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا﴾، قالت: أنزل ذلك في الدعاء. رواه البخاري (٥٩٦٨)، ومسلم (٤٤٧).
وقال ابن مفلح في «الآداب الشرعية»: ويكره رفع الصوت بالدعاء مطلقًا.
قال المروزي: سمعت أبا عبد الله يقول: ينبغي أن يسر دعاءه؛ لقوله: ﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا﴾، قال: هذا في الدعاء.

(٢) تطويله وتفصيله.

(٣) بنون وشين مضمومتين: (نشرا) وهي قراءة نافع وأبي عمرو وابن كثير وأبي جعفر.
* السبعة (٢٨٣)، غيث النفع (٢٢٤)، إتحاف فضلاء البشر (٢٢٦).
وبنون مضمومة وشين ساكنة قراءة ابنا عباس ومسعود، والأعمش وابن عامر.
* إتحاف (٢٢٦)، السبعة (٢٨٣)، غيث النفع (٢٢٤).

(٤) قرأ مسروق: (نشرا) بفتح النون والشين. * الكشاف (٢/ ٦٦)، والبحر المحيط (٤/ ٣١٦).
وقرأ حمزة والكسائي وعبد الله والأعمش وخلف (نشرا) بفتح النون وسكون الشين – السبعة (٢٨٣)
وقرأ عاصم وابن عباس والسلمي وابن أبي عبلة ﴿بُشۡرَۢا﴾ بضم الباء والشين – الحجة لأبي زرعة (١٥٧)، البحر المحيط (٤/ ٣١٦).

(٥) ضرْبٌ من الريَاح، وكذا ما بعده.

(٦) أنوار التنزيل – للبيضاوي (٢٠٩).

﴿سَحَابًا﴾: سحائب، ﴿ثِقَالًا﴾: بالماء ﴿سُقْنَٰهُ﴾: أي: السحاب التفت؛ تنبيهًا على ما فيه من دلالة كمال قدرته وحكمته، وكذا في نظائره ﴿لِبَلَدٍ﴾: لأجل بلد، ﴿مَّيِّتٍ﴾: غير منتفع، ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ﴾: أي: فيه، ﴿ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ بالماءِ أو بالبلد ﴿مِن كُلِّ﴾: أنواع، ﴿ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ﴾: الإخراج والإحياء، ﴿نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: من قبورهم، أحياء بمطر كالمني[1]، ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: أن القادر عليه قادرٌ على ذلك، ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾: الكريم التربة ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ﴾: بمشيئة، ﴿رَبِّهِۦ﴾: سريعًا حسنًا كثيرًا، وهذا مثل المؤمن في انتفاعه بالوعظ، ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ﴾: ترابه وهذا مثل الكافر لا ينتفع به، ﴿لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾: قليلًا عديم النفع والكل بإذن الله، فالتفصيل لتعليم الأدب، ﴿كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ﴾: نبين ونكرر، ﴿ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ نعمه بالتفكر فيها، ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ أوّل نبيّ بعد إدريس بعثه الله وهو ابن خَمسين أو أربعين ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟﴾: وحِّدوا ﴿ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: القيامة، ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾: الأشراف، ﴿مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: بتركك ملة آبائك ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ﴾: أقل قليل من الضلال فضلًا عن سَنِّه[2]، ﴿وَلَٰكِنِّى﴾:

---

(١) يشير إلى حديث عبد الله بن مسعود- ر- موقوفًا: «**ثم يرسل الله ماءً من تحت العرش مني كمني الرجال، فتنبت لحمانهم وأجسامهم من ذلك الماء، كما تنبت الأرض من الثرى**» رواه حنبل في كتاب الفتن (١٥٩/ البشائر الإسلامية) وسنده صحيح.

* وفي حديث لقيط بن عامر عن النبي ﷺ: «**فأرسل ربك السماء تهضب من عند العرش، فلعمر إلهك ما يدع على الأرض من مصرع قتيل ولا مدفن ميت إلا شقت القبر عنه حتى يخلقه من قبل رأسه**». أخرجه أحمد (٤/ ١٣/ ١٦٢٥١)، والطبراني (١٩/ ٢١٢/ ٤٧٧) وسنده ضعيف.

وفي حديث أبي هريرة: «**ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل**» رواه البخاري (٤٨١٤، ٤٦٣٥)، ومسلم (٤/ ٢٢٧٠، ٢٢٧١/ ١٤١/ ٢٩٥٥).

وفي رواية: «**فيمطر الله في تلك الأربعين مطرًا فينبتون من الأرض، كما ينبت البقل**» رواه ابن أبي داود في البعث (٥٩، ٦٠، ٦١/ ٤٢) وابن مردويه (٥/ ٣٣٧/ الدر المنثور).

وفي رواية: «**ويرسل الله ماء الحياة، فينبتون منه نبات الخضير**» رواه ابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٤٣٢، ٤٣٣/ ٨٩١) وسنده جيد.

(٢) كذا في (ح)، و(د)، و(ن)، و(ع)، وفي (س): نفسه.

علـــى الهـــدى لأني، ﴿رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ﴾: جهـة ﴿ٱللَّهِ﴾: بـالوحي، ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: مـن صـفات لطفـه وقهـره، ﴿أَ﴾: كـذبتم، ﴿وَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ﴾: موعظـةٌ ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ﴾: لـسان، ﴿رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾: عاقبـة المعاصـي، ﴿وَلِتَتَّقُوا۟﴾: المعـصية، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: بـالتقوى ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ﴾: مـن الغـرق ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ﴾: هـم ثمـانون[1] أو تـسعة ﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ﴾ عُميٌ قلوبهم عن فهـم الآيات، ﴿وَ﴾: أرسلنا، ﴿إِلَىٰ﴾: قـوم، ﴿عَادٍ أَخَاهُمْ﴾: نـسبا أو واحـدًا منهم ﴿هُودًا﴾: بيانـه ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: الله، ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾: الأشـراف، ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ﴾: نبه على أن بعضهم آمنوا، ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ﴾: راسخًا ﴿فِى سَفَاهَةٍ﴾: خفَّـة عقـلٍ ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ﴾: نعلمـك ﴿مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۞ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى﴾: كامـل العقـل؛ لأني ﴿رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾: على الرسالة، ﴿أَ﴾: كـذبتم، ﴿وَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ﴾: لسان، ﴿رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟﴾ إنعامًـــا ﴿إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾: في الأرض أو مساكنهم، ﴿وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾: قامـةً وقـوَّة ومـالاً ﴿فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: بـذكرها ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا﴾: قـصدتنا، ﴿لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ﴾: نـترك، ﴿مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾: مـن الأصـنام، ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾: مـن العـذاب المفهوم من، ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: فيه، ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ﴾: وجب، ﴿عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ﴾: عـذاب، ﴿وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ﴾: خاليـة عـن المعـاني، ﴿سَمَّيْتُمُوهَآ﴾: آلهـة، ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا﴾: بهـذه التـسمية أو عبادتهـا، ﴿مِن سُلْطَٰنٍ﴾: حجـة ﴿فَٱنتَظِرُوٓا۟﴾: العـذاب، ﴿إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ۞ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ﴾: الـدَّابر: هـو الكـائن خلف الـشيء[2]،

---

(١) هذا هو المشهور- رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس (٥/ ١٥٠٦/ ٨٦٣٥، ٨٦٣٦).

(٢) والدابر: يقال للمتأخر وللتابع، إما باعتبار المكان أو باعتبار الزمان أو باعتبار المرتبة.

* عمدة الحفاظ (٢/ ٤/ دبر).

أي: أستأصلنا[١] ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ۝ وَ﴾: أرسلنا، ﴿إِلَىٰ﴾: قبيلة، ﴿ثَمُودَ أَخَاهُمۡ﴾: نسبًا ﴿صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ﴾: معجزة ﴿مِّن رَّبِّكُمۡ﴾: على صدقي ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ الإضافة تشريفية، خرجت[٢] يوم العيد من الصخرة بمحضرهم حين سألوا ذلك ليؤمنوا، ﴿لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ﴾: أذى ﴿فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ﴾ يوم، ﴿أَلِيمٞ ۝ وَٱذۡكُرُوٓاْ﴾: نعمه ﴿إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ﴾: في مساكنهم، ﴿وَبَوَّأَكُمۡ﴾: أسكنكم ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ تَتَّخِذُونَ﴾: تبنون، ﴿مِن﴾: في، ﴿سُهُولِهَا قُصُورٗا﴾: لسكنى الصيف ﴿وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ﴾ أي: منها، ﴿بُيُوتٗاۖ﴾: لسكنى الشتاء، ﴿فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ﴾: لا تبالغوا في الفساد ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: حال كونكم، ﴿مُفۡسِدِينَ﴾: قد مر بيانه، ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ﴾: الأشراف ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ عن الإيمان ﴿مِن قَوۡمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ﴾: الرعايا ﴿لِمَنۡ ءَامَنَ﴾: بدل البعض من الذين، ﴿مِنۡهُمۡ﴾ أي: من الذين استضعفوا: ﴿أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾: استفهام استهزاء، ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ﴾: عدلوا عن نعم[٣]؛ تنبيهًا على أنه[٤] أظهر من أن يسأل[٥]، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۝ فَعَقَرُواْ﴾ نحروا ﴿ٱلنَّاقَةَ﴾: برضا[٦] الجميع، ﴿وَعَتَوۡاْ﴾: استكبروا عن امتثال ﴿أَمۡرِ رَبِّهِمۡ﴾: هو[٧]: ﴿فَذَرُوهَا﴾ إلى آخره ﴿وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾: أي: بقولك: ولا تمسوها... إلى آخره، ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾: الزلزلة أولاً ثم الصيحة، لقوله: ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ فتقطعت قلوبهم في صدورهم ﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٥١١/ ٨٦٦٢) مقطوعًا.

(٢) يعني النّاقة.

(٣) يعني: لم يجيبوا بـ«نعم».

(٤) يعني: إرساله.

(٥) كذا في جميع النسخ، وفي البيضاوي: يشُكَّ فيه عاقِلٌ.

(٦) ولذا أسند الفِعْل إليهم؛ لأنهم رضوا الفعلة من الفاعل.

(٧) يعني أمرُ ربهم هو فذروها إلخ.

دَارِهِمْ﴾: أرضهم، ﴿جَٰثِمِينَ﴾: خامدين ميتين ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾: أعرض ﴿عَنْهُمْ وَقَالَ﴾ بعد هلاكهم: ﴿يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾: كخطاب نبينا عليه الصلاة والسلام[1] أهل قليب بدر[2]، أو قاله تحسرا ﴿وَ﴾: أرسلنا، ﴿لُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾: كنى بها عن اللّواطة، ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: إذ هم أول من فعلها، ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ﴾: لتغشون ﴿ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً﴾ للشهوة، نبه على أن داعي المباشرة يجب أن يكون طلبًا للولد لا الشهوة[3][4]، ﴿مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾: وإسرافكم دعاكم إليها ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم﴾: لوطًا وأتباعه ﴿مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾: من هذه الفعلة ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ﴾ ممّن آمن به ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾: الكافرة اسمها: واهلة ﴿كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾: الباقين في الديار فأهلكت ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾: من الحجارة، ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: فاعتبروا، ﴿وَ﴾: أرسلنا، ﴿إِلَىٰ﴾: آل، ﴿مَدْيَنَ﴾: ابن إبراهيم، ﴿أَخَاهُمْ﴾: نسبًا، ﴿شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ﴾: معجزة ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾: ما عيّنها[5] في القرآن، وما روي من محاربة عصا موسى عليه السلام التنين، وولادة الغنم التي دفعها إليه الدرع خاصة، وما اسود رأسه وأبيضّ باقي بدنه، وكانت الموعودة له من أولادها، فالأولى

---

(١) في (ن)، و(س)، و(ع): عليه السلام.

(٢) لما قتل صناديد الكفر بـ «بدر» قام النبي ﷺ على شفا الركية التي دفنوا بها فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: «**يا فلان بن فلان! ويا فلان بن فلان، أيسركم» أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟**» فقال عمر: يا رسول الله! ما تكلم من أجساد لا أرواح لها، فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم**».
رواه البخاري (١٥/ ١٦٧، ١٦٨/ ٣٩٧٦/ فتح)، ومسلم (٤/ ٢٢٠٤/ ٢٨٧٥)، وأحمد (١/ ٢٣٢).

(٣) بل كلاهما؛ لأن المقصد من النكاح قضاء اللذة في الحلال، وطلب الولد كما في حديث: «**وفي بضع أحدكم صدقة**».

(٤) في (ن)، و(د): طلب الولد لا الشهوة.

(٥) يعني لم يبينها اللهُ في كتابه.

كونها كرامة لموسى لنبوته لكونها بعد تقرر نبوة شعيب[١]، ﴿فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ﴾: ما يكال به، ﴿وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ﴾: لا تنقصوا، ﴿ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾: حقوقهم، قيل: كانوا مكاسين في كل شيءٍ ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: بالمعاصي، ﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾: مر بيانه ﴿ذَٰلِكُمْ﴾: العمل المأمور[٢]، ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: وأما الكافر فلا خير فيه ﴿وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ﴾: في كل ﴿صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ﴾: من أتى شعيبًا ليتبعه ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا﴾: تطلبون بها، ﴿عِوَجًا﴾: ميلًا، كما مرَّ ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ﴾: نعمه، ﴿إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا﴾: في العدد وغيره، ﴿فَكَثَّرَكُمْ﴾: مالًا وأولادًا، ﴿وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: فاعتبروا ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا﴾: بعذاب الكافرين ونصرتنا ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ ﴿قَالَ[٣] ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾: لتصيرنَّ، أو من باب التغليب، إذ شعيب ما كان على دينهم قطّ ﴿فِى مِلَّتِنَا قَالَ﴾ شعيب: ﴿أَ﴾ نصبر فيها ﴿وَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾: لها، ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا﴾: الآن، ﴿عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا﴾: هممنا بالعود، ﴿فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ﴾: يصح ﴿لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾: ارتدادنا، ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾: في تأييدنا، ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ﴾: اقض، ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾: أي: أنزل على كل منا ما يستحقه ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾: الحاكمين، ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾: لفوات مالكم من التطفيف، ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾: الزلزلةُ ﴿فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾: ميتين بأنواع العذاب، وهي سحابةٌ فيها شرر النار، وصيحة من السماء، ورجفة من الأرض، ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا﴾: في دارهم ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾: لا كما زعموا ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾: كما مر في قصة صالح،

---

(١) أنوار التنزيل (٢١٣).

(٢) في (ن)، و(د): المذكور.

(٣) في هامش (ن): الجزء (٩).

﴿وَقَالَ﴾: تحسرًا، ﴿يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾: فكفرتم ﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ﴾: أحزن ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ۞ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ﴾: فكذبه أهلها، ﴿إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ﴾: الجوع ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾: الأمراض ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾: أي: ليتضرعوا ولا يتكبروا[1]، ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ﴾: البلاء والشدة، ﴿ٱلْحَسَنَةَ﴾: السَّلامة والسعة، ﴿حَتَّىٰ عَفَوا﴾: كثروا مالًا وعددًا ﴿وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾: فنحن مثلهم، ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾: فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: بنزول العذاب، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾: المرسل إليهم ﴿ءَامَنُوا وَٱتَّقَوْا﴾: المعاصي ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي: من كل جانب ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُوا﴾: رسلنا ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۞ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا﴾: عذابنا ﴿بَيَٰتًا﴾: وقت بيتوتة ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ ۞ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى﴾: في ضَحْوة النهار ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾: لأن اشتغالهم بدنياهم حينئذ، ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ ٱللَّهِ﴾: هو استعارة[2] لأخذه العبد من حيث لا يشعر ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾: فطرتهم، ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾: يتبين، ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ﴾: ديارهم ممَّن قبلهم ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾: هلاك، ﴿أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم﴾: بالبلاء، ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾: بسببها كمَن قبلهم ﴿وَ﴾: نحن، ﴿نَطْبَعُ﴾: نختم ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾: الموعظة قبولًا، ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ﴾: المذكورة ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ﴾: بعض، ﴿أَنۢبَآئِهَا﴾: أخبارها، ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: المعجزات الواضحات ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾: عند مجيئهم بها ﴿بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ﴾: بل استمروا على كفرهم ﴿كَذَٰلِكَ﴾: الطبع ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: الوارثين والموروثين، ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم﴾: أكثر الأمم الماضية ﴿مِّنْ﴾: وفاء ﴿عَهْدٍ﴾: كان بينهم وبين الله أو رسله، ﴿وَإِن﴾: إنه، ﴿وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾: خارجين عن طاعتنا، ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم﴾: بعد الرُّسُل ﴿مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾: معجزاته ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾: أشراف قومه، فإنهم إن أسلموا اتبعهم الرعايا، ﴿فَظَلَمُوا﴾: بالآيات لكفرهم

---

(١) في (ن)، و(د) يستكبروا.

(٢) قوله: استعارة... إلخ هذا كلام الأشاعرة – ونحوهم، فكن منه على حذر .اهـ.

﴿بِهَا﴾ ﴿فَٱنظُرْ﴾: يـا مُحمَّـدُ ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ۞وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن﴾: أي: بـأن بتشديد اليـاء[1]، أي: حقيـق بالرسـالة على أن، ﴿لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ﴾: لا أنسب إليه، ﴿إِلَّا ٱلْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ﴾: مُعجزة، ﴿مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: لنـروح إلـى الأرض المقدسـة؛ فـإنَّ فرعـون كـان استخدمهم بالأعمال الشَّاقَّة ﴿قَالَ﴾ فرعونُ: ﴿إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ﴾: أحْضرها، ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۞ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ﴾: حيـة عظيمـة، ﴿مُّبِينٌ﴾: قيـل: كان أشعر[2] فاغرًا فاه، بين لحييه ثمانون ذراعًا، فقصد فرعون فازدحم مع قومه، فمات منهم خمسة وعشرون ألفًا[3]، ﴿وَنَزَعَ﴾: أخـرج، ﴿يَدَهُۥ﴾: مـن جيبه بعدما أدخلها فيه ﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ﴾: بحيثُ غلب شعاعها نور الشمس ﴿لِلنَّٰظِرِينَ﴾: أي: لا في جبلَّتها[4]؛ لأنه كان آدم[5]، ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾: مُوافقين لقوله كما في الشعراء: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ۞ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم﴾: يـا معـشر القِبطِ ﴿مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾: مـصر، ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾: تشيرون في أمره من المؤامرة، ﴿قَالُوٓاْ﴾: بعد اتفاقهم: ﴿أَرْجِهْ﴾: أخِّر أمرهُ، أصله: أرجئه، ﴿وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ﴾: مـدائن صـعيد مـصر[6]، رجـالًا ﴿حَٰشِرِينَ﴾: جـامعين سـحرتها، ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ۞ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾: بعـد طلـبهم، ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾: علـى موسـى، ﴿قَالَ نَعَمْ﴾ إن لكـم أجـرًا ﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۞ قَالُوٓاْ﴾: اعتمـادًا علـى غلبـتهم أو أدبًـا كأهـل

---

(١) قرأ نافع والحسن: (حقيق عَلَيَّ) بفتح الياء المشددة.

* السبعة (٢٨٧) إتحاف فضلاء البشر (٢٢٧)، النشر (٢/ ٢٧٠).

(٢) في (ن): أشقر.

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ١٦٤)، روح المعاني (٩/ ١٩)، الرازي (١٤/ ١٥٩)، الوسيط (٢/ ٣٩٢)، معالم التنزيل (٢/ ١٨٥)، البحر المحيط (٤/ ٣٥٧)، إرشاد العقل السليم (٣/ ٢٥٨)، تفسير الطبري (١٣/ ١٥، ١٦)، تفسير ابن كثير (٣/ ٤٥١) وسنده باطل موضوع؛ لأنه من خرافات الكلبي الوضاع الكذاب.

(٤) طبيعتها.

(٥) أسمر، وهي صفة سيدنا موسى - ﷺ -.

(٦) هذا كلام الحبر ابن عباس - رضي الله عنهما - معالم التنزيل (٢/ ١٨٦).

الصنائع[1]: ﴿يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ﴾: عصاك أولًا، ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ﴾: آلات سحرنا، ﴿قَالَ﴾: موسى كرمًا أو ازدراء بهم[2]، ﴿أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ﴾: أي: خيَّلوا إلى أعينهم ما لا حقيقة له، ﴿وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ﴾: خوّفوهم، كانوا خمسة عشر ألفًا[3] مع كلِّ واحد عَصا وحبال فجعلوها حيات، وبينَّا في البقرة أنه من السحر ﴿وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٍ ۝ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَ﴾: فألقاها، ﴿فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ﴾: تبتلع، ﴿مَا يَأۡفِكُونَ﴾: يزورونه ﴿فَوَقَعَ﴾: ثبت ﴿ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝ فَغُلِبُواْ﴾: فرعون وقومه، ﴿هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ﴾: صاروا، ﴿صَٰغِرِينَ﴾: ذليلين مغلوبين، ﴿وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾: وهذا لا ينافي سجودهم طوعًا، فإن المراد أن معجزة النبي ألجأتهم إلى السجود طوعًا ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾: لا رب القبط بزعمهم، واعلم أنه يجوز نبيان[4] في زمان لا إمامان[5]؛ لأن قيامهما بالاجتهاد قد يؤدي إلى اختلاف الكلمة في بعض الأمور ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ﴾: أُرخِّص ﴿لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٌ﴾: حيلة ﴿مَّكَرۡتُمُوهُ﴾: أنتم وموسى ﴿فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾: قبل الخروج منها، ﴿لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَا﴾: القبط لتختصَّ مصر بكم، ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾: عاقبة أمْركم وهي إني ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٍ﴾: مختلفات اليد اليمنى، والرجل اليسرى ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝ قَالُوٓاْ إِنَّآ﴾: بالموت، ﴿إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾: فلا نخافُ وعيدكم، ﴿وَمَا تَنقِمُ﴾: تنكرُ ﴿مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَا﴾: ثم توجهوا إلى الله تعالى قائلين، ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ﴾ أفض ﴿عَلَيۡنَا صَبۡرًا﴾: لنثبت على دينك ﴿وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ۝ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ﴾: إغراءً[6] له، ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾:

---

(١) أنوار التنزيل (٢١٧).

(٢) ووثوقًا على شأنه – أنوار التنزيل (٢١٧).

(٣) أقول: في هذه الأعداد التي يذكرها المفسرون المتلقاة عن أهل الكتاب مبالغة كبيرة، ولا معول في ذلك .اهـ.

(٤) بل رسولان كـ «إبراهيم» و«لوط».

(٥) أما إمامان أو رئيسان فلا يجوز قطعًا؛ لحديث: «**إذا بويع لخليفتين؛ فاقتلوا الآخر منهما**» رواه مسلم والأحاديث في ذلك كثيرة.

(٦) تحريضًا.

بدعوتهم إلى عبادة غيرك ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾: هي أصنامٌ صنعها لهم ليعبدوها تقربًا إليه وفي التوراة ما يدل على أنه كان له أمراء على كل قبيلة تُسمَّى آلهتهم ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ﴾: نترك أحياءً ﴿نِسَآءَهُمْ﴾: للخدمة كما فعلنا بهم أولاً، ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾: نغلبهم، ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾: بعد تضجُّرهم لمقالة فرعون، ﴿ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ﴾: الحسنى، ﴿لِلْمُتَّقِينَ ۞ قَالُوٓاْ﴾: قومه، ﴿أُوذِينَا﴾: بالقتل والاستحياء، ﴿مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا﴾: بالرسالة، ﴿وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَاۚ قَالَ﴾ موسى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: في ملكهم، ﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾: من الإصلاح والإفساد، ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ﴾: بالجُدوب[1] والقحط، ﴿وَنَقْصٍ﴾: عظيم ﴿مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾: ينتهون، ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ﴾: كالسعة، ﴿قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾: لا من فضل الله ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: بلاءٌ، عرَّف الحسنة مع أداة التحقيق؛ لكثرتها، وإرادتها بالذات بخلاف السيئة، ﴿يَطَّيَّرُواْ﴾: يتشاءموا ﴿بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ﴾: شؤمهم ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾: من عنده، والطائر اسم للجمع، أي: ما يجري به الطير من شَقاءٍ وسعادة ونفع وضُرٍّ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: ذلك، ﴿وَقَالُواْ﴾: لموسى، ﴿مَهْمَا﴾: أيُّ شيء ﴿تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ﴾: على زعمك، ﴿لِّتَسْحَرَنَا﴾: أي: أعيننا، ﴿بِهَا﴾: ذكَّر اللفظ وأنثَ المعنى[2]، ﴿فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾: فدعا عليهم، ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾: ما طاف بهم من سيل، غشيَ بيوتهم وأشجارهم فقط مع سلامة غيرهم سبعة أيام، ﴿وَٱلْجَرَادَ﴾: فأكل مالهم حتى مسامير بابهم ﴿وَٱلْقُمَّلَ﴾: كبار القِرْدان[3]، وأولاد الجراد قبل الجناح[4] أو السوس، أو القمل ﴿وَٱلضَّفَادِعَ﴾: امتلأ منها بيوتهم وقدورهم، فلم يقدروا على الأكل،

---

(١) في نسخة (ن)، و(د): بالجدب.

(٢) ذكر قبل التبيين باعتبار اللفظ وأنثه بعده باعتبار المعنى. * أنوار التنزيل للبيضاوي (٢١٩).

(٣) حشرة يُقالُ لها: القراد، وهي مؤذية تمصّ دماء الأنعام.

(٤) يعني قبل إنباته وظهوره.

﴿وَالدَّمَ﴾: فصار حصَّتهم من الماء دمًا، وإن كانوا يشربون مع المسلمين من إناء واحد، ﴿ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾: مُبيناتٍ ﴿فَٱسْتَكْبَرُواْ﴾: عن الإيمان ﴿وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ۞ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ﴾: كل واحد من الآيات والطاعون فهو سادسها ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ﴾: بحقِّ عهده ﴿عِندَكَ﴾: أي[1]: النبوة وإجابة دعوتك، والله، ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۞ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ﴾: كائنًا، ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ﴾: فمعذبون فيه، أو هو موتهم، ﴿إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾: فأجاؤا النكث[2]، ﴿فَٱنتَقَمْنَا﴾: أردنا الانتقام ﴿مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ﴾: البحر العميق[3]، ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ۞ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ﴾: أي: ذرية القوم، ﴿ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ﴾: بقتل الأنبياء وغيره ﴿مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ﴾: الشام ﴿وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾: بالسعة ﴿وَتَمَّتْ﴾: قُرِنَتْ[4] بالإنجاز، ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: بوعد النصر ﴿عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ﴾: على شدائد القبط، ﴿وَدَمَّرْنَا﴾: أستأصلنا، ﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ﴾: من العمارات ﴿وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ﴾: من الجنات، وهذا لا ينافي إيراثها لبني إسرائيل؛ لإمكان التدمير بعده ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ﴾: وأغرقنا أعداءهم ﴿فَأَتَوْاْ﴾: مَرُّوا ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ﴾: يقيمون، ﴿عَلَىٰٓ﴾: عبادة ﴿أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾: هم بقية العمالقة التي[5] أُمِر موسى بقتالهم ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾: مثالًا نعبده ﴿كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ﴾ موسى، ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾: عادتكم تجدد طريقة الجهل[6] فيكم ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: العابدين، ﴿مُتَبَّرٌ﴾: هالك، ﴿مَّا هُمْ فِيهِ﴾ أي: دينهم ﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۞ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ﴾: أطلب لكم، ﴿إِلَٰهًا﴾: معبودًا ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿وَ﴾: اذكروا، ﴿إِذْ

---

(١) في (ن): أعني.

(٢) الكشاف (٢/ ١٤٨) ومعنى: أجاؤا: بادروا.

(٣) الذي لا يدرك قعره. * الكشاف (٢/ ١٤٨).

(٤) في (ن): قربت.

(٥) في البيضاوي (٢٢٠): الذين.

(٦) يعني وصفهم بالجهل المطلق.

أَنجَيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ ﴾: يبغونكم، ﴿سُوٓءَ﴾: شدة ﴿ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ للخدمة ﴿وَفِى ذَٰلِكُم﴾: الإنجاء، ﴿بَلَآءٌ﴾: نِقمة[1] ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾: فُسِّر مرة ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ﴾: مُضيَّ ﴿ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً﴾: ذا القعدة لإرسال التوراة، فصام الشهر، واستاك في آخره فزال[2] خلوفهُ ﴿وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾: لذي الحجة[3] ليصومه ويكون لفمه خلوف، ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ﴾: بالغًا ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾: أو الإنزال والتكليم[4] كان في العشر، وذكر ﴿فَتَمَّ﴾، إلى آخره إما للتأكيد أو لرفع وهم كون العشر من الساعات أو كون العشر داخلة في الثلاثين كقوله في حم: ﴿فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾[5]، ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى﴾: كن خليفتي ﴿فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ﴾: ارفق في حثهم على الطاعة ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۞ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾: الذي وقتناه له وهو يوم عرفة، ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾: واشتاق إلى لقائه، ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ﴾: نفسك بتمكيني[6] من رؤيتك، ﴿أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾: فيه دليل جواز رؤيته تعالى، لأن طلب المستحيل مُحالٌ من الأنبياء، لا سيما فيما يقتضي الجهل بالله تعالى، والجواب بأنه قال تبكيتًا لمن قال: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ خطأ إذ حينئذ كان واجبًا عليه أن يجهلهم ولا يسيء الأدب، واعلم أن الرأي[7] رسين[8] العضو المخصوص ولا قوة فيه كما يظهر بأدنى نظر فيمكن أن يجعله الله مستعدًا لرؤيته، فحينئذ فلا نزاع إذ المنكر ينكر رؤيته بهذه العين، فالصلح خير ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾: أي: في الدنيا للحديث، وقد مرَّ بيانه في الأنعام، ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ﴾: مع شدته ﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾: عند رؤيتي ﴿فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾: أفهم إمكانها لتعليقها على الاستقرار الممكن، وعلى فرض إحالته؛ لأنه جمع بين الحركة

---

(١) كذا- ولو قال: ابتلاء، أو: امتحان، أو: اختبار؛ لكان أولى.

(٢) رائحة فمه المتغيّره.

(٣) تفسير الطبري (١٣/ ٨٦)، معالم التنزيل (٢/ ١٩٥).

(٤) في (ن): والتكلُّم.

(٥) سورة فصلت.

(٦) في (ن)، و(د): فتمكني.

(٧) النظر.

(٨) لازم، ولصيق.

والسكون، وهو استقرار حال الدرك لا يضرنا[١]؛ إذ لا يدل على التعميم، ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾: ظهر نوره له قدر نصف أنملة الخنصر[٢]، ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾: مدكوكًا: مفتتًا، وبالمد[٣] أي: أرضًا مستوية، ﴿وَخَرَّ﴾: سقط ﴿مُوسَىٰ صَعِقًا﴾: مغشيًّا عليه ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾: أنزهك عمَّا لا يليق بك ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾: عن المسألة بلا إذن، ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ من قومي، أو بأنك لَا تُرى في الدنيا ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ﴾: اخترتك ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: نَاس زمانك، وهارون ما كان كليمًا ولا ذا شرع، ﴿بِرِسَٰلَٰتِى﴾: وحيي ﴿وَبِكَلَٰمِى﴾ بلا واسطة ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ﴾: من الرسالة، ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾: عليه وأعطاه يوم النحر ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ﴾: ألواح التوراة، ﴿مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾: احتاجوا إليه في الدين، ﴿مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا﴾: تبيينًا، ﴿لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾: من الأحكام وغيرها قائلين: ﴿فَخُذْهَا﴾ الألواح ﴿بِقُوَّةٍ﴾: وعزيمة، ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ﴾: ندبًا ﴿يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا﴾: بأحسن ما فيها كالعفو والصبر أو مثل: الصيف أحر من الشتاء، ﴿سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: بمصر[٤] لتعتبروا، ﴿سَأَصْرِفُ﴾: أَمنعُ عن فهم ﴿عَنْ ءَايَٰتِىَ﴾: الآفاقية والأنفسية[٥]، ﴿ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: حال كونهم ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾: بخلاف تكبر المسلم على الكافر ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ﴾: مُنزَّلة، ﴿لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا﴾: عنادًا، ﴿وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ﴾ الهدى ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ﴾: الضلال ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ﴾: الصرف ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾: ما تدبروا فيها، ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ﴾: الدار، ﴿ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ﴾: بطلت، ﴿أَعْمَٰلُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۞ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ﴾: أي: السامري

---

(١) كذا.

(٢) عن أنس أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ (الأعراف/ ١٤٣).
قال حماد بن سلمة: هكذا، وأمسك سليمان بطرف إبهامه على أنملة إصبعه اليمنى، قال: فساخ الجبل ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾. * رواه أحمد (١٢٢٦٠)، الترمذي (٥/ ٣١٠/ ٣٣٢٨).

(٣) دَكّاءَ.

(٤) دار فرعون وقومه بمصر خاوية على عروشها، أو منازل عاد وثمود وأضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا، أو دارهم في الآخرة وهي جهنم – أنوار التنزيل (٢٢٢).

(٥) المنصوبة في الآفاق والأنفس – أنوار التنزيل (٢٢٢).

بإعانتهم، ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾: بعد ذهابه إلى الجبل ﴿مِنۡ حُلِيِّهِمۡ﴾: المستعار من القبط وكان معهم بعد هلاكهم، ﴿عِجۡلٗا جَسَدٗا﴾: بدنًا ذا لَحْم ودم، أو من[1] الذهب، ﴿لَّهُۥ خُوَارٌۚ﴾: صوت البقر أو شبيه صوته لدخول الريح في دبره وخروجها من فمه كذا عن ابن عباس، فحينئذ رمى تراب إثر فرس جبريل للحياة[2]، ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾: حين اتخذوه إلهًا ﴿أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ۞ وَلَمَّا سُقِطَ﴾ أي: وقع العضُّ ﴿فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ﴾: كناية عن ندامة توجب عضها، أي: ندموا، ﴿وَرَأَوۡاْ﴾: عَلموا علم الرأي، ﴿أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا﴾: بقبول توبتنا، ﴿وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۞ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ﴾: عليهم ﴿أَسِفٗا﴾: حزينًا لمَّا أعلمه الله تعالى كما في طه[3]، ﴿قَالَ﴾: لهم، ﴿بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي﴾: فعلتم أو أقمتم مقامي من عبادته ﴿مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ﴾: سبقتم، ﴿أَمۡرَ﴾: وَعْدَ ﴿رَبِّكُمۡ﴾: وهو الأربعين أو وعد بسخطه، اعلم[4] أن العجلة طلب الشَّيء قبل أوانه، وهي مذمومةٌ، وحيث تحمدُ في الخير، فالمراد بها: السرعة[5]، وهي عمل الشيء في أول أوقاته، ﴿وَأَلۡقَى﴾:

---

(١) جسدا من الذهب خاليا عن الروح – أنوار التنزيل (٢٢٢).

(٢) معالم التنزيل (٢/ ٢٠١).

(٣) سيأتي.

(٤) في (ن): واعلم.

(٥) يشير إلى حديث: «**التؤدة في كل شيء خير إلا في عمل الآخرة**». أخرجه أبو داود (٢/ ٤٨١٠)، والحاكم (١/ ٦٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٨٤١١)، وأبو يعلي في مسنده (٢/ ٧٩٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٠٠٩)، والصحيحة (١٧٩٤).

* وقال ﷺ: «**التؤدة والاقتصاد والسمت الحسن جزء من أربعة وعشرين جزءا من النبوة**». رواه الطبراني في الأوسط (١٠٢١)، والخطيب في تاريخه (٣/ ٦٦)، والديلمي في الفردوس (٢/ ٢٢٤٦)، وابن عدي في الكامل (٢/ ٥٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٠١٠)، والمشكاة (٥٠٥٩).

* قال العلامة المناوي- رحمه الله-: وقال الطيبي: معناه أن الأمور الدنيوية لا يعلم أنها محمودة العواقب حتى يتعجل فيها أو مذمومة حتى يتأخر عنها بخلاف الأمور الأخروية؛ لقوله سبحانه: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ (البقرة/ ١٤٨)، و﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ (الحديد/ ٢١).

* فيض القدير (٣/ ٣٦٥).

* وقال ﷺ: «**التأني من الله والعجلة من الشيطان**». أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٤٣٦٧)، والديلمي في الفردوس (٢/ ٢٢٥٩)، وأبو يعلى في مسنده (٧/ ٤٢٥٦)، والبيهقي في الشعب أيضا =

طرح، ﴿ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ﴾: شعر، ﴿أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾: لظنه تقصيره في نهيهم ﴿قَالَ﴾ هارون استعطافًا: ﴿ٱبْنَ أُمَّ﴾: كانا شقيقين، وهارون أكبر بثلاث سنين، ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى﴾: وجدوني ضعيفًا، ﴿وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِى﴾: حين نهيتهم، ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾: بأذيتي[١]، ﴿وَلَا تَجْعَلْنِى﴾: معدودًا ﴿مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: في العقوبة، فلمَّا علم براءته، ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى﴾ ما صنعْتُ بالألواح ﴿وَلِأَخِى﴾: إن قَصَّر ﴿وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾: ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ﴾ إلهًا ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾: بأمرهم[٢] بقتل أنفسهم ﴿وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: كاستمرار انقطاعهم من ديارهم، وحُرمة أولادهم ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾: أي: فرية فوق قولهم: ﴿هَـٰذَآ إِلَـٰهُكُمْ وَإِلَـٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ﴾[٣]، ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: بالشرك والمعاصي، ﴿ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ﴾: أخلصوا إيمانهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾: بعد التوبة والإخلاص، ﴿لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ وَلَمَّا سَكَتَ﴾: سكن وانقطع ﴿عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا﴾: منسوخها ومكتوبها، ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ يخافون ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾: من قومه، ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَـٰتِنَا﴾: ليعتذروا عن عبادة العجل أو طلب الرؤية، إذ قالوا: خُذْ منَّا من يشهد بأن الله يكلمك، فلما سمعوه يكلمة قالوا: أرنا الله جهرة فأخذتهم الصَّاعقةُ ﴿فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾: الصاعقة فماتوا، ﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ﴾: ما تصدق[٤]، أو قبل أن نرى ما نرى، ﴿وَإِيَّـٰىَ﴾: فلو للتمني، ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾: من عبادة العجل، أو طلب الرؤية ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾: ابتلاؤك حيث خلقت خُوار العجل، وأسمعتهم كلامك فطمعوا في الرؤية ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى﴾ بها ﴿مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا﴾: القائم بأمرنا، ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَـٰفِرِينَ﴾: تبدل السيئة بالحسنة، ﴿وَٱكْتُبْ﴾ أثبت ﴿لَنَا فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا

= (٢/ ١٢٣٠) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٠١١)، والصحيحة (١٧٩٥).

(١) في (ن): بأذى.

(٢) في (ن): من أمرهم.

(٣) سورة طه.

(٤) في (س)، و(ع): تفرق.

﴿حَسَنَةً﴾: عافية، ﴿وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾: حسنة بقربك[١]، ﴿إِنَّا هُدْنَآ﴾ رجعنا ﴿إِلَيْكَ﴾: رجعنا إليك، ﴿قَالَ﴾: الله مجيبًا لقوله: ﴿إِنْ هِيَ﴾- إلخ، ﴿عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ﴾: تعذيبهُ ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾: في الدنيا حتى الجماد ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾: أثبت رحمتي في الآخرة، ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾: المعاصي، ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: خصَّها؛ لأنها كانت أشق عليهم[٢]، ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا﴾: كلها، ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ هم ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ﴾: بالإضافة إلى الله، ﴿ٱلنَّبِيَّ﴾: بالإضافة إلينا، ﴿ٱلْأُمِّيَّ﴾: لا يقرأ ولا يكتب بخلاف كل الرُّسُل، ﴿ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ﴾: باسمه وصفته، ﴿مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: المستلذات المحرمة عليهم، ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾: ما تستخبثه الطباع السليمة، ﴿وَيَضَعُ﴾: يخفف، ﴿عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾: ثقلهم ﴿وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾: التكاليف الشاقة التي كانت كالغل على أعناقهم كتعيين القصاص في العمد والخطأ وقطع الأعضاء الخاطئة، وقرض[٣] موضع النجاسة، ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ﴾: عظموه[٤]، ﴿وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ﴾: القرآن، ﴿ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾: مع نبوته، أي: القرآن أو مع اتباعه عليه الصلاة والسلام، أي: سنته، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: الفائزون بالسعادة، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾: جميع كتبه، ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ﴾: جماعة من أهل زمانه كابن سلام[٥]، ﴿يَهْدُونَ﴾: الناس، ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: إليه، ﴿وَبِهِۦ﴾: بالحق، ﴿يَعْدِلُونَ﴾: في الحكم، ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ﴾: فرقنا بني إسرائيل، ﴿ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾: فرقة، ﴿أَسْبَاطًا﴾: أو بدل، ﴿أُمَمًا﴾:

---

(١) في (ن): بقربتك.

(٢) لأن اليهود بخلاء ممسكون.

(٣) بالمقراض وهو المقص.

(٤) وقروه – الوسيط – للواحدي (٢/ ٤١٧).

(٥) الوسيط (٢/ ٤١٩)، البحر المحيط (٤/ ٤٠٦)، الرازي (١٥/ ٢٧)، معالم التنزيل (٢/ ٢٠٦)، فتح القدير (٢/ ٢٥٥).

اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولدًا من أولاد يعقوب ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ﴾: في التيه ﴿قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾: فضرب ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ﴾: انفجرت[1]، ﴿مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾: سبط ﴿مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ﴾: لدفع الشمس، ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾: قائلين، ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾: فلم يشكروا، ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾: بكفرانه ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ و﴾: اذكر، ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾: بيت المقدس ﴿وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟﴾ مسئلتنا﴿حِطَّةٌ﴾ مغفرة، ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ثوابا، والاستئناف يدل[2] على أنه تفضُّلٌ محضٌ ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا﴾: عذابا، ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾: مضى تفسير الآيات ﴿وَسْـَٔلْهُمْ﴾: أي: اليهود توبيخا، ﴿عَنِ﴾: أهل ﴿ٱلْقَرْيَةِ﴾: أيلة[3]، ﴿ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ﴾: قريبة، ﴿ٱلْبَحْرِ﴾: قُلْزم[4]، ﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾: يتجاوزون حدود الله، ﴿فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾: ظاهرةً على الماء ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾: لا يعظمون

---

(١) الانبجاس: قريب من الانفجار، والحرث والانبجاس والانفجار والانفتاق والتفتق والانشقاق والتشقق متقاربات، إلا أن الانبجاس أكثر ما يقال في الخارج من ضيق، والانفجار أعم، ولذلك جاء اللفظان في الآيتين؛ لأن المكان ضيق. * عمدة الحفاظ - للحلبي (١/ ١٦٠/ بجس).

(٢) في (ن): ليدل، وسقطت من (س)، والمثبت من (ح)، و(د)، و(ع).

(٣) غرر التبيان (٢٦٤)، زاد الميسر (٣/ ٢٧٦)، الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٣٠٥)، الوسيط (٢/ ٤١٩).
وأيلة - بفتح الهمزة وسكون الياء المثناة التحتية بعدها لام مفتوحة- وتسمى الآن: «إيلات» وهي مدينة على ساحل البحر الأحمر- مصرية الأصل، وكانت ملتقى الحاج الشامي والمصري وهي الآن تحت سيطرة عصابات اليهود. * معجم بلدان فلسطين (١٣٦)، تقويم البلدان (٨٦)، المسالك والممالك - لابن خرداذبة (٨١)، البلدان - لليعقوبي (٣٢٩)، الأعلاق النفيسة - لابن رستة (١٨٣)، صفة جزيرة العرب - للهمداني (٢٧٣)، صورة العرب - لابن حوقل (١٨)، أحسن التقاسيم - للمقدسي (١١)، معجم البلدان (١/ ٢٩٢).

(٤) هو الأحمر ومعنى «قلزم» الداهية؛ لكثرة ما به من الأهوال .اهـ.

السبت وهو غير يوم السبت[1]، ﴿لَا تَأْتِيهِمْ﴾ شُرَّعًا ﴿كَذَٰلِكَ﴾: الاختبار، ﴿نَبْلُوهُم﴾: نختبرهم بإظهار السمك يوم حرمة صيده وإخفائه يوم حلِّه ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾: يخرجون عن طاعة الله، ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ﴾: جماعة منهم لجماعة نهوهم عن ذلك: ﴿مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾: لأنهم لا يتعظون، ﴿قَالُوا﴾ الناهون: موعظتنا ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾: وبالنَّصب أي: وعظناهم معذرة لئلا يؤاخذنا بترك النهي، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: عن الاصطياد فيه.

فكانوا ثلاث فرق، فاعلًا وناهيًا وساكتًا، ﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾: تركوا ترك الناسي، ﴿مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ﴾: لنهيهم عن المنكر، ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾: شديد، ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾: والأصح أن الفرقة الساكتة نجوا[2]، ﴿فَلَمَّا عَتَوْا﴾: تكبروا ﴿عَن مَّا﴾: عن ترك، ﴿نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ﴾: بحيث سمعوا مناديا قال: ﴿كُونُوا﴾: أمر تكوين، ﴿قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾: ذليلين، فصاروا قردةً صورةً ومعنى، ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾: أعلم ﴿رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾: على اليهود، ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ﴾: يعذبهم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾: بأنواع الإذلال[3]، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾: للمصر على المعاصي، أي: إذا جاء وقت عقابه، فلا ينافي حِلْمَهُ ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: لمن تاب، ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ﴾: فرَّقناهم ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ حال كونهم ﴿أُمَمًا﴾: لا تجتمع كلمتهم، ﴿مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ﴾: ناسٌ ﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾ مُخطئون عن الصلاح، ﴿وَبَلَوْنَاهُم﴾: امتحناهم ﴿بِالْحَسَنَاتِ﴾: النعم، ﴿وَالسَّيِّئَاتِ﴾: النقم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: إلى الطاعة، ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ﴾: بعد هذين القسمين، ﴿خَلْفٌ﴾: بدل سوء[4]، ﴿وَرِثُوا

---

(١) بل هو إجماعا – انظر: الكشاف (٢/ ١٧٠)، تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٥٩٨/ ٨٤٤٨، ٨٤٤٩)، تفسير الطبري (١٣/ ١٨٣، ١٨٤)، تفسير ابن كثير (٣/ ٤٩٢)،الجامع – للقرطبي (٧/ ١٩٤).

(٢) أخرجه الطبري (١٣/ ١٨٨، ١٩٠/ ١٥٢٧٢) عن ابن عباس.

وقال الحسن: نجت فرقتان وهلكت فرقة – الجامع – للقرطبي (٧/ ١٩٥)، معالم التنزيل (٢/ ٢٠٩).

(٣) من اليونان والرومان والنصارى وغيرهم .اهـ.

(٤) بفتح الخاء المعجمة وسكون اللام –: الردى من كل شيء ومنه قولهم: «**سكت ألفًا ونطق خلفًا**» أي: رديئًا من الكلام، وفرقوا بين الصالح والطالح بفتحة، فقالوا: خلف خير.

=

﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾: التوراة، ﴿يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا﴾: الشيء، ﴿ٱلۡأَدۡنَىٰ﴾: حطام الدنيا رشوة في تبديل حكم الله، ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَ﴾ الحال أنهم، ﴿إِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُ﴾: أي: يرجون المغفرة مع الإصرارعلى الذنوب ﴿أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: أي: في الكتاب، يعني التوراة ﴿أَن﴾ بأن ﴿لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ﴾: فهم ذاكرون الميثاق وتركوه ﴿وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾: المعاصي ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾: فينزجروا[1]، ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ﴾: يعتصمون، ﴿بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: خصّهما للاهتمام ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ﴾: أي: أجرهم ﴿وَإِذۡ نَتَقۡنَا﴾: رفعنا، ﴿ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ﴾ هي كل ما أظلّك ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ﴾: ساقط عليهم قائلين: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾: بجد في العمل، ﴿وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ﴾: فلا تنسوه، ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ القبائح ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ[2]﴾: أخرج ذريته بعضهم من ظهور بعض على ترتيب توالدهم ﴿وَأَشۡهَدَهُمۡ﴾: كل واحدٍ ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾: قائلا، ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡ﴾: وإنما أنشأنا ليصح الإخبار وفائدته علم آدم ومسرته بكثرة ذريته، وأكثر المفسرين على أن المراد بإشهادهم واعترافهم تمكُّنهم من معرفته وتمكينهم منها على طريقة التمثيل كما في: ﴿أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن﴾[3]، ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ﴾[4]، لأن إلف العامّة بالمحسوس أتمُّ ﴿قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآ﴾: بذلك كراهة ﴿أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا﴾: عن أنّك ربنا ﴿غَٰفِلِينَ﴾: وعلى الثاني، أي: لم ننبه بدليل.

* **تنبيه:** قيل: كلام أكثر المفسرين ينافي ظاهر الحديث، وأجيب بأن التحقيق أن لله تعالى ميثاقين معنى أحدهما: ما تهتدي إليه العقول من نصب الأدلة الباعثة على الاعتراف الحالي، والآية تبين هذا كما قرره أئمة المتأخرين.

= * عمدة الحفاظ (١/ ٥٢٢/ خلف).

(١) على قراءة: «يعقلون» وهي قراءة أبي عمرو وابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي وأبي جعفر.
* إتحاف فضلاء البشر (٢٣٢)، غيث النفع (٢٣٠)، الكشاف (٢/ ١٠٢).

(٢) في (ن): ذُرِّياتهم، وكتب في الهامش: «ذُرِّيتهم» حفص.

(٣) سورة النحل.

(٤) سورة فصلت.

وثانيهما: المقالي الذي لا يُهتدى إليه إلا بتوقيف، وهو ما صحَّ أنه سئل عليه الصلاة والسلام عن هذه الآية فقال: «**إنَّ الله تعالى خلَقَ آدمَ ثُمَّ مسَحَ ظهره بيمينه فاستخرج منه ذريته، فقَالَ: خلقت هؤلاء للجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره بشماله فاستخرج منه ذريته، فقال: خلقت هؤلاء للنار**»- إلى آخر الحديث[١]، فيكون هذا الجواب من أُسْلُوب الحكيم[٢] إذْ سُئل عن الميثاق الحالي، فأجاب عن المقالي وضَمَّن فيه الحالي على ألطف وجه، فلا إشكال إذ الحديث قرر الآية، وأخبر عمَّا سكتت عنه، ولا يرد أيضًا أنّ الواجب أن لَا يُنسبَهم العهد حتى لا يكون لهم حجَّة[٣]، والله تعالى أعلم، ﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ﴾: قبل زماننا، ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾: فقلدناهم، ﴿أَفَتُهْلِكُنَا﴾: تُعذِّبنا ﴿بِمَا فَعَلَ﴾: الآباءُ ﴿ٱلْمُبْطِلُونَ﴾: فتأثير الشرك والتقليد مع التمكُّن من تحصيل العلم ليس بعذر ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: التبيين، ﴿نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾: لفوائد كثيرة، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: عن الباطل، ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾: كتب السماء والاسم الأعظم.

هُو بَلْعَام[٤]، سُئل أن يَدْعو على موسى فأبى، ثم رُشِيَ فدعا عليه، فابتلى موسى في التيه[٥] فلما علم دَعَا عليه فنزع الإيمان[١]، ﴿فَٱنسَلَخَ﴾: بكفره، ﴿مِنْهَا﴾: من

---

(١) عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- سئل عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ الآية. فقال عمر بن الخطاب: سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها فقال: «**إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذريته، فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون.... الحديث**». أخرجه مالك (٢/ ٨٩٨)، الحاكم (١/ ٢٧)، (٢/ ٣٢٤، ٥٤٤)، وأبو داود (٤٧٠٣، ٤٧٠٤)، الترمذي (٣٠٧٥)، وأحمد (١/ ٤٤، ٤٥)، وابن أبي عاصم في السنة (١٩٦، ٢٠١).

(٢) أسلوب الحكيم: ذكر الأهم تعنيفًا للمتكلم على تركه الأهم تعريفات الجرجاني (٢٣)، تعريفات ابن الكمال (١٤)، الكليات (١/ ١٦٨)، التوقيف (٦٢).

(٣) سقطت من (ن).

(٤) ابن باعوراء – غرر التبيان (٢٦٥)، زاد المسير (٣/ ٢٨٧)، الوسيط (٢/ ٤٢٧)، تفسير البغوي (٢/ ٢١٣)، فتح القدير (٢/ ٢٦٥)، تفسير الفخر الرازي (٧/ ٤٥)، روح المعاني (٩/ ١١١، ١١٢).

(٥) ما هذا الهراء !!!! ؟؟؟ هل بلعام هذا أفضل من موسى – ﷺ – وهذه الإسرائيليات وتلك الخرافات =

الآيات ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: جعله تابعًا أو لحقه فأغواه ﴿فَكَانَ﴾: فصار، ﴿مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ﴾ إلى الدرجات العلى ﴿بِهَا﴾ بالآيات ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ﴾: مال أو سكن، ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ زخارفها ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾: في إيثارها على الآخرة فحططناه[2]، ويدل على ذلك ﴿فَمَثَلُهُۥ﴾ فصفتُهُ في انهماكه في الدنيا سواء وعَظْتَهُ أو تركته ﴿كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾: في أخَسِّ أحواله، وهو اللهثُ بالسكون أي: إدلاع[3] اللسان، وبالفتح[4]: العطش ﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ﴾: بالزجر والطرد، ﴿يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ﴾: بلا زَجْرٍ ﴿يَلْهَث﴾: روي أنه صار لَاهثًا كالكلب ﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ﴾: المذكورة على الكفرة، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾: فيعتبروا[5]، ﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ﴾: أي: مثل القوم ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾: ما ظلموا إلا أنفسهم ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾: وحَّد الأول، وجمع الثاني الوحدة الهداية، وكثرةِ طرق الضلالة ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾: خلقنا ﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾: وعلامتهم أنهم ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾: الحقّ ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾: اعتبارًا ﴿وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾: المواعظ، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾: في قصرهم مشاعرهم على الشهوات، ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾: فإنها تفعل ما خُلقت له طَبْعًا أو تسخيرًا ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾: أشد غفلة، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ لدلالتها على أحسن المعاني، وهي الألفاظ أو الصفات، وغير منحصرة في عدد[6]،

= متلقاة عن أهل الكتاب فاحذر منها .اهـ.

(١) في (ن): بنزع الآيات.

(٢) أنقصناه ووضعنا قدره.

(٣) في (ن): أي: إذلاع.

(٤) يعني: بفتح الهاء.

(٥) في (ن): فيعتذروا.

(٦) لحديث: ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أصاب أحد قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك، ابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحدا من خلقك أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي.. الحديث**». أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٢٥٣)، وأحمد (٣٧١٢، ٤٣١٨)، وأبو يعلي (٥٢٩٧) وابن حبا (٩٧٢)، والطبراني (١٠/ ١٠٣٥٢)، والحاكم (١/ ٥٠٩)، والبيهقي في الأسماء =

﴿فَٱدْعُوهُ﴾: سَمُّوهُ ﴿بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾: يزيغون، ﴿فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾: بتسميتهم إياه بما لا تَوقيف[1] فيه أو بلفظ لا يعرف معناه أو بتسمية أصنامهم بها مع تغيير كالعُزّى من العزيز ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: من الإلحاد، ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ﴾: أشار إلى قلتهم، ﴿أُمَّةٞ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ﴾: إليه، ﴿وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾: يعملون، في الحديث: «أنهم هذه الأمة»[2]، وفيها دليل صحة الإجماع؛ لأنَّ المُراد في كل قرن كما في حديث: «لا يزال من أمتي» إلى آخره[3]، ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾: سنستدنيهم إلى الهلاك قليلًا قليلًا أو من درج بمعنى: هلك، ﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾: فكلما جددوا معصية زيدوا نعمة، ونسوا الشكر، وعطف على سنستدرجهم ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾: أمهلهم، ﴿إِنَّ كَيْدِي﴾: أخذي، ﴿مَتِينٌ﴾: شديد، سماه كَيْدًا؛ لأن ظاهره إحسان وباطنه خذلان، ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ﴾: ليعلموا، ﴿مَا بِصَاحِبِهِم﴾: محمد ﷺ، ﴿مِّن جِنَّةٍ﴾: جنون، ﴿إِنْ﴾: ما، ﴿هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾: إنذاره ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ﴾: استدلالًا على التوحيد ﴿فِي مَلَكُوتِ﴾: عظيم ملك، ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أو عجائبهما ﴿وَ﴾: في، ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٖ وَ﴾ في، ﴿أَنْ﴾: أنه، ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾: فيسارعوا إلى ما ينجيهم ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعْدَهُۥ﴾: بعد القرآن، ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: إن لم يؤمنوا به، ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾: القيامة، سميت بها لسرعة حسابها ﴿أَيَّانَ﴾: متى، ﴿مُرْسَىٰهَا﴾: إتيانها، ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا﴾: يُظهر أَمْرها ﴿لِوَقْتِهَآ﴾: في وقتها، ﴿إِلَّا هُوَ﴾: أي: خفاؤها علينا مستمر إلى قيامها، ﴿ثَقُلَتْ﴾: عظمت وشَقَّت ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: على أهلهما لهولها، ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةٗ﴾: فجأة حين اشتغالكم بالعمارة والتجارة، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ﴾: شفيق لهم أو عالم بها ﴿عَنْهَا﴾ متعلق بيسألونك، ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أنه مختص به، ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعٗا﴾:

= والصفات (١/ ٢٧، ٢٨)، وفي الدعوات الكبير (١/ ٢٦٩/ ١٨٤)، وابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة (٤٩)، وكذا التنوخي (١/ ١٣٧) وسنده صحيح.

(١) دليلٌ نقليّ.

(٢) أخرجه ابن جرير (١٣/ ٢٨٦/ ١٥٤٦٠).

(٣) رواه مسلم، (١٩٢٤) وله طرق كثيرة.

أي: حيلة، ﴿وَلَا ضَرًّا﴾: أي: دفعه، فُسِّر مرَّةً ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾: تمليكي منهما ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾: فكنت رابحًا وغالبًا دائمًا ﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾: لم أكن في بعض الأوقات خاسرًا مغلوبًا، ﴿إِنْ﴾: مَا ﴿أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ﴾: كتب في الأزل أنهم ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: فإنهم المنتفعون، ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾: آدم، ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا﴾: من ضلعها، ﴿زَوْجَهَا﴾: حواء، ﴿لِيَسْكُنَ﴾: لتطمئن النفس باعتبار المعنى، ﴿إِلَيْهَا﴾: للجنسية والبعضية، ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾: جامعها ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾: عليها أي: النطفة، ﴿فَمَرَّتْ﴾: فاستمرت، ﴿بِهِۦ﴾: إلى وقت ولادته بلا إذلاق[1]، ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت﴾: صارت ذات ثقل لكبر الولد، ﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا﴾: ولدًا ﴿صَٰلِحًا﴾: سويًّا صلح بدنه، ﴿لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ لك ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾: ذا شرك، ﴿فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾: كتسمية ولدهما عبد الحارث بأمر إبليس[2] جاهلًا بأن الحارث اسمه، ولا شكَّ أنه ليس بشرك حقيقة، إذ الأعلام لا تفيد مفهومها اللغوية فأطلقه عليه تغليظًا ولأن الأعلام المضافة تلاحظ فيها المعاني الأصليَّة، وقريء: (شركاء)[3] بالجمع، فإنَّ من جوَّز شريكًا جوز عقد شُركاء ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: جليًّا أو خفيًّا، ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ﴾: الأصنام ﴿يُخْلَقُونَ﴾: أتى بضمير العُقَلاء بناء على اعتقادهم، ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ﴾: لعبدتهم، ﴿نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾: إن قُصِدُوا بمكروه ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ﴾: الشركاء، ﴿إِلَى ٱلْهُدَىٰ﴾: إلى أن يهدوكم ﴿لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾: لا يجيبوكم ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾: تعبدونهم، ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾: مملوكون مخلوقون، ﴿فَٱدْعُوهُمْ﴾: في نفع أو ضر، ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: أنهم آلهة،

---

(١) يعني: إسقاط.

(٢) يشير إلى حديث سمرة بن جندب عن النبي ﷺ قال: «**لما حملت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد، فقال: سميه عبد الحارث، فسمته عبد الحارث، فعاش، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره**». أخرجه الترمذي في جامعه (٥/ ٣١٣/ ٣٣٣٢) والطبري في جامع البيان (١٥٥٢٦، ١٥٥٢٧، ١٥٥٢٨) وإسناده ضعيف.

(٣) قرأ نافع وعاصم وأبو بكر وأبو جعفر وابن محيصن وابن عباس وشيبة وعكرمة ومجاهد وأبان بن تغلب والأعرج: «شركًا». * إتحاف فضلاء البشر (٢٣٤)، السبعة (٢٩٩)، النشر (٢/ ٢٧٣).

﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾: فأنتم أكمل منهم ﴿قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ﴾: في عداوتي، ﴿ثُمَّ كِيدُونِ ﴾: بالغوا في مكروهي، ﴿فَلَا تُنظِرُونِ ﴾: تمهلوني فإني لا أعبأ بكم ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾: القرآن، ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ﴾: يلي أمر ﴿ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾: فكيف برسله، ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ۞ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ﴾: ما هو صلاحهم ﴿لَا يَسْمَعُواْ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ ﴾: لأنهم مُصَوَّرون بالعين والأنف والأذن، ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾: لأنهم جماد، ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ من جملة الأخلاق بأن تعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ ﴾: ما يستحسنه الشرع، ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾: فلا تمارهم، ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ ﴾: ينخسنك مستعار من غرز السائق دابته، ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ ﴾: نخس أي: وسوسة تحملك على خلاف ذلك، ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ ﴾: لَمَّة[١] ووسوسة، ﴿مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ ﴾: أمرنا ونهينا، ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾: مواقع الخطأ فيحترزون، ﴿ وَإِخْوَٰنُهُمْ ﴾: إخوان الشياطين يعني: الكفرة، ﴿يَمُدُّونَهُمْ ﴾: يمدهم الشياطين ﴿فِى ٱلْغَىِّ ﴾: الضلال، ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾: ثم لا يُمْسكون عن إغوائهم ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ ﴾: من القرآن اقترحوها، ﴿قَالُواْ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ﴾: اختلقتها من نفسك كسائر ما تقرأه[٢]، ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى هَٰذَا ﴾: القُرْآن، ﴿بَصَآئِرُ ﴾: للقلوب، ﴿مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ فلو لكم بصيرة لكفاكم ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ ﴾: نزلت في ترك التكلم في الصلاة[٣]، ولا يفهم عدم وجوب القراءة على المأموم إذ لا منافاة

---

(١) يشير المصنف – رحمه الله – إلى حديث: «**إن للشيطان لمة وللملك لمة، فأما لمة الشيطان، فإيعاد بالشر، وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك، فإيعاد بالخير، وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليحمد الله، ومن وجد الأخرى، فليتعوذ من الشيطان**». أخرجه الترمذي (٢٩٨٨)، والطبري (٣/ ٨٨)، وابن حبان (٣/ ٢٧٨/ ٩٩٧/ إحسان) وسنده مقبول.

(٢) في (ن)، و(د): تقرءوه.

(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: كانوا يتكلمون في الصلاة؛ فنزلت: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٤٧٨)، وابن المنذر في الأوسط (٣/ ١٠٥/ ١٣١٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٤٥/ ٨٧٢٨) والطبري في تفسيره (٩/ ١١٠)، والبيهقي في القراءة (١١٤/ ٢٧٤) وسنده =

بين وجوب الاستماع والإنصات ووجوب القراءة، فإن الإمام مأمور بالسكوت حين قراءة المأموم الفاتحة[١]، ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۞ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ﴾: كل ذكر وقراءة، أي: أسمع نفسك فقط أو أمر للمأموم بالقراءة سرًّا بَعْد فَراغ الإمَام عَن قراءته[٢]، ﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾: خائفًا، ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾: بلا صِيَاح ﴿بِٱلْغُدُوِّ﴾ جمعُ غَداه ﴿وَٱلْآصَالِ﴾: العَشَايا جمع: أصيل، ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾: عن ذكرنا، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾: الملائكة المقربون ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ﴾: يُنزهونه، ﴿وَلَهُۥ﴾: فقط، ﴿يَسْجُدُونَ﴾: مع أمنهم من سوء العاقبة، هذا تعريض بمن عداهم من المُكَلَّفين.



= صحيح.

(١) تمسك بهذه الآية من منع القراءة خلف الإمام في الصلاة الجهرية، وبهذا قال مالك والشافعي في أحد قوليه، وذهب الحنابلة إلى أنه لا قراءة للمأموم فيما يجهر فيه الإمام،وذهب الحنفية إلى المنع من القراءة خلف الإمام مطلقًا. * الاستذكار (١/ ٤٦٢)، الأم (٧/ ٢٠٧)، الحاوي الكبير (٢/ ١٤١)، أحكام القرآن – للجصاص (٤/ ٢١٦)، المغني – لابن قدامة (١/ ٣٢٩).

(٢) معالم التنزيل (٢/ ٢٢٦) الجامع – للقرطبي (٧/ ٢٢٥)، الوسيط (٢/ ٤٤٠).



«سورة الأنفال» : «مدنية[١]»

قيل: إلا آية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾.

لمَّا علّمه العفو والأمر بالمعروف والإعراض عَن الجاهلين وطريقة دفع نزغ الشياطين ما يتعلق بها عقَّبه بقصة من جادله جهلا، وأمر لهم بالعرف وعفوه عنهم فقال: بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ﴾: حُكْـم ﴿ٱلْأَنفَالِ﴾ الغنائم حين اختلاف الشباب والشيوخ في غنائم بدر، ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ﴾: حُكْمًا ﴿وَٱلرَّسُولِ﴾: تبيينا لحكمه، ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: في مخالفته، ﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ﴾: أي: مَا في ﴿بَيْنِكُمْ﴾: من الأحوال بالمواساة، ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: حَقًّا ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: الكاملون في الإيمان ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ﴾ خافت ﴿قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾: لزيادة المؤمن به.

* **تنبيه[٢]**: قد عرفنا اختلافهم في حقيقة الإيمان، وهم لاختلافهم فيها اختلفوا في جواز زيادته ونقصانه[٣]، فعند من يُدْخل فيها[٤] العمل يَجُوْز، وعند بعض الأشاعرة: لا يجوز؛ لأن الواجب اليقين، فإن حصل فينا في التفاوت وإلا فلا إيمان، والأصح جوازهما لا باعتبار العمل بل بزيادة المؤمن به ونقصانه[٥]، أو برسوخ اليقين بتظاهر الأدلة وعدمه، ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: به يثقون، ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: يديمونها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾: في البرِّ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾: بلا شك، ثم رتّب على الأعمال الثلاثة القلبية والبدنية والمالية، ثلاثة فقال: ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ

---

(١) في هامش نسخة (د) سورة الأنفال مدنية خمس وسبعون آية وعند البصريين سبع إلا سبع آيات: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ﴾... إلى آخرهن ثم آل عمران كلماتها (١٢٣١) حروفها (٥٢٩٤).

* البيان (١٥٨)، القول الوجيز (١٩٦)، البصائر (١/ ٢٢٢)، عدد سورة القرآن (٢٤٣).

(٢) في هامش (ع): مطلب في بيان زيادة الإيمان ونقصانه.

(٣) الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية والأدلة على ذلك كثيرة جدًا.

(٤) حقيقته.

(٥) عجيب أمر هذا المصنف فالمعنى واحد.

عِندَ رَبِّهِمْ ﴾: في الجنة، ﴿وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾: فيها، وما مرَّ من حكم الأنفال ملتبسين بالحق، وإن كانوا كارهين له ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ ﴾: كإخراجك، ﴿رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ ﴾: بالمدينة لأخذ عير قريش أقبلت من الشام وتأييدك على المشركين ببدر ملتبسًا ﴿بِٱلْحَقِّ ﴾: بالحكمة والصواب، ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴾: الخروج، لما أقبلت عير قريش من الشام، خرج ﷺ لنَهْبِهِمْ[١]، وخرج المشركون لتخليصها فأراد عليه الصلاة السلام القتال، وترك العير[٢] ووعد بالظفر، فقيل له: هلَّا ذكرت لنا القتال حين نتأهب ثم تلاقوا ببدر فظفروا، ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِى ﴾: إظهار ﴿ٱلْحَقِّ ﴾: الجهاد، ﴿بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ ﴾: ظفرهم بإعلامك، ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾: إلى أسبابه لقلة عَددهم وعُددهم ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ ﴾: من العِير وعسكر مكَّة ﴿أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ ﴾: العير الخالي عن العسكر، ﴿تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ﴾: يُثبِّت ﴿ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾: بأوامره بقتالهم، ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ ﴾: يستأصل، ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾: وفعل ما فعل، ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾: ولا تكرار، إذِ الأوَّل للفرق بين الإرادتين، والثاني: لبيان الدَّاعي إلى حمله ﷺ[٣] على اختيار ذات الشوكة ونصره ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾: هو دعاؤه ﷺ[٤] حين رآهم في ألف وصَحْبه في ثلاثمائة رجالة، فيهم فارسان[٥] ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ

---

(١) هذا فيه سوء أدب مع رسول الله - ﷺ - فاحذر ذلك، والأصح أنه - ﷺ - خرج ليسترد للمسلمين كرامتهم وأموالهم التي سرقها الكفرة اللصوص. اهـ.

(٢) القافلة.

(٣) في (ن): عليه الصلاة والسلام.

(٤) في (ن): عليه السلام والسلام!!!.

(٥) ثبت دعاء النبي ﷺ في غزوة بدر في عدة أحاديث، منها:

* «**اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض**». رواه مسلم (٣/ ١٣٨٤/ ١٧٦٣).

* «**اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تشأ لا تعبد بعد اليوم**». رواه البخاري (١٨/ ٢٥٣/ ٤٨٧٥/ فتح)، وأحمد (٥/ ١٨).

* «**اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها، تحادك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني،** =

أَنِّي ﴾: بأني، ﴿مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾: متتابعين بعضهم على إثر بعض فأنزل «ألفا» فألفين فألفين كما مر آنفا، ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ ﴾: أي: الإمداد، ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ ﴾: بشارة، ﴿لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾: لا الملائكة، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ﴾: غالب ﴿ حَكِيمٌ ﴾: في أفعاله، اذكر، ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ﴾: الله، ﴿ٱلنُّعَاسَ ﴾: في البدر كما كان في أحد، ﴿أَمَنَةً ﴾: لأمنٍ حاصل ﴿مِّنْهُ ﴾: تعالى، ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ ﴾: من الحدثين[1]، ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ﴾: وسوسة، ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾: بأنكم لو كنتم على الحقِّ لما كنتم عطاشا محدثين، والمشركون على الماء ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ ﴾: بالوثوق به، ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ﴾: بهذا الربط أو المطر ﴿ٱلْأَقْدَامَ ﴾: في المحاربة، ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ ﴾: بالعونِ ﴿فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾: بالبشارة أو محاربة أعدائهم، والأصحُّ أنهم قاتلوا، إذ ورد: أن جبريل نزل في خمسمائة على الميمنة وفيهم الصِّدِّيقُ وميكائيل في خمسمائة على الميسرة، وفيهم عليٌّ المرتضى وقاتلوا ﴿سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ ﴾: الخوف، ﴿فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ ﴾: وهي المذابح أو الرءوس، ﴿وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾: أصابع وبها كانوا يعرفون قتيل الملائكة، ﴿ ذَٰلِكَ ﴾: الضَّربُ ﴿بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ ﴾: خالفوه، ﴿وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾: له الأمر ﴿ ذَٰلِكُمْ ﴾: أيها الكفرة، ﴿فَذُوقُوهُ ﴾: أي: العذاب، يعني معظمه بعده، ﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾: أي: لكم، ﴿عَذَابَ ٱلنَّارِ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا ﴾: كثيرين، ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴾: خُصِّصت بآية: ﴿ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2]، ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ ﴾: يوم اللقاء، ﴿دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ ﴾: بأن هزم ليري أنه خاف فيتبعه العدو فيكر عليه فيقتله، ﴿أَوْ

= اللهم أحنهم الغداة». * سيرة ابن هشام (٢/ ٣١٤).

(١) معالم التنزيل (٢/ ٣٢٤)، تفسير القرطبي (٧/ ٢٣٧)، تفسير الرازي (١٥/ ١٠٧)، فتح القدير (٢/ ٢٩١)، تفسير الوسيط (٢/ ٤٤٧).

(٢) سورة الأنفال.

مُتَحَيِّزًا ﴾: منضما من فئة، ﴿إِلَىٰ فِئَةٍ ﴾: من المسلمين يعاونونه، وأصله: متحيوز[١]، ﴿فَقَدْ بَآءَ ﴾: رجع، ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾: وحكم الآية مخصوصة ببدر، ولا يضُرّكون ما قبلها وما بعدها صريحين في النزول بعد بدر لإمكان نزولها قبلهما[٢]، ثم قال: إن افتخرتم بقتلاهم ببدرٍ ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾: كما مرَّ ﴿وَمَا رَمَيْتَ ﴾: يا محمد أعينهم ﴿إِذْ رَمَيْتَ ﴾: أي: أتيت بصورة الرمي، لأن كفًّا من الحصا لا يملأ عيون عسكر كثير من كفِّ بشرٍ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾: بإيصاله إليهم ليقهرهم ﴿وَلِيُبْلِيَ ﴾: لينعم، ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ ﴾: من الله، ﴿بَلَآءً ﴾: نعمة، ﴿حَسَنًا إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ ﴾: لدعائهم، ﴿عَلِيمٌ ﴾: بضمائرهم والمحدثون على أن الرمي كان بحنين فقط، والمفسرون على أنه في الموضعين الأمر، ﴿ ذَٰلِكُمْ وَ﴾: والأمر، ﴿أَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ ﴾: مبطل ﴿كَيْدِ ﴾: حيلة ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ ۞ إِن تَسْتَفْتِحُواْ ﴾: أيها المشركون بقولكم: اللهمَّ انصر أعلى[٣] الجندين ونحوه[٤]، ﴿فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾: هذا تهكمٌ[٥]، ﴿وَإِن تَنتَهُواْ ﴾: عن الشرك ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ ﴾: لقتاله، ﴿نَعُدْ ﴾: لنصرته ﴿وَلَن تُغْنِيَ ﴾: تدفع ﴿عَنكُمْ فِئَتُكُمْ ﴾: جماعتكم، ﴿شَيْـًٔا ﴾: من المضار،

---

(١) في (ن): متحيزون. وهو اسم فاعل من الثلاثي المزيد «تحيز» على وزن: «متفعل» أصله «متحيوز»، اجتمعت الياء والواو في كلمة واحدة وسبقت الأولى بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت الياء في الياء.
* معجم مفردات الإبدال والإعلال في القرآن الكريم – أحمد محمد الخراط صـ٨٨.

(٢) الناسخ والمنسوخ – للنحاس (٤٦١)، تفسير الطبري (٩/ ٢٠٣)، منهاج الطالبين (١٣٧)، مغني المحتاج (٤/ ٢٢٥)، الروضة – للنووي (١٠/ ٢٤٧)، تيسير البيان (٣/ ٢٧٤، ٢٧٥).

(٣) في ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٧٥/ ٨٩٢٠): أعز الفئتين وأكرم الفرقتين.

(٤) عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير؛ قال: كان المستفتح يوم بدر أبو جهل، وإنه قال حين التقى القوم: اللهم أينا كان أقطع للرحم وآتى لما لا نعرف، فافتح الغد، وكان ذلك استفتاحه؛ فأنزل الله تعالى: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾. أخرجه ابن أبي شيبة (١٤/ ٣٥٩، ٣٦٠/ ١٨٥٢١)، وأحمد (٥/ ٤٣١)، والطبري في جامعه (٩/ ١٣٨)، والنسائي (٦/ ٣٥٠/ ١١٢٠١)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١/ ٤٥٤، ٤٥٥/ ٦٣١، ٦٣٢)، والواحدى في أسباب النزول (١٥٧)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٧٥/ ٨٩١٧) والحاكم (٢/ ٣٢٨)، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٧٤) وسنده صحيح.
وانظر: أنوار التنزيل (٢٣٧).

(٥) في نسخة (ن)، و(د): هدايتكم.

﴿وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: بالنصر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ﴾: كلٌّ منهما، أو الرسول فطاعته طاعة الله، ﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾: القرآن إطاعة، ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾: إطاعة، ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ﴾: ما يدبُّ في الأرض، ﴿عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ﴾: عن الحق، ﴿ٱلْبُكْمُ﴾: عنه، ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾: الحقَّ، ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾: سماع تفهم، ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾: وقد علم أن لا خير فيهم، ﴿لَتَوَلَّواْ﴾: عنه عن القبول، أو هو إسماع قصي بن كلاب الذي طلبوا[1] إحياءه ليشهد على نبوته، ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾: عادتهم الإعراض، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾: بالطاعة، ﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾: وحد الضمير لما مر، ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾: بالعلوم، أو الأعمال التي بها حياةُ القلب، ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾: أي: نيته بفسْح عَزائمه، أو كنايةً عن غاية قربه، ﴿وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: فيجازيكم، ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً﴾: ذنبا، إن أصابتكم، ﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾ أي: وبالها ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾: كظهور البدع والمداهنة[2] في الأمر بالمعروف كما دلَّ عليه الحديث[3]، ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾: لمن لا يتقي، ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ﴾: أيها المهاجرون[4] ﴿إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: مكة قبل الهجرة ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ﴾: يذهب بكم بسرعة، ﴿ٱلنَّاسُ﴾: الكفار بالتعذيب، ﴿فَـَٔاوَىٰكُمْ﴾: بالمدينة، ﴿وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ﴾: على الأعداء ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: الغنائم، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: نعمتي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾: كأبي لبابة[5]، ﴿وَ﴾: لا، ﴿تَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ﴾: بينكم، ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: خيانتكم، ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾: اختبار لكم،

---

(١) أنوار التنزيل (٢٣٧) بلا سند ولا دليل.

(٢) التقصير والملاينة والمداراة.

(٣) سبق بيانه في سورة المائدة.

(٤) في (ن): المجاهدون، وفي (س)، و(ع): المهاجرين.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ١٤٦)، وسعيد بن منصور في سننه (٥/ ٢٠٥/ ٩٨٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٨٤/ ٨٩٧٥)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٦/ ٣٤٣٧، ٣٤٣٨/ ٧٨٢٨) وسنده حسن.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾: خير منهما، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾: هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل، ﴿وَيُكَفِّرۡ﴾ يستر ﴿عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾: متفضل بذلك، ﴿وَ﴾: اذكر، ﴿إِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: في دار الندوة ﴿لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَ﴾: من مكة فأمرناك بالهجرة ﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُ﴾: برد مكرهم عليهم، ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾: أعلمهم بالمكر، ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ﴾: عنادًا والقائل: نضر بنُ الحارثِ[1]، ﴿قَدۡ سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ إِنۡ﴾: ما، ﴿هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: مسطورات أو أكاذيب من القصص، ﴿وَإِذۡ قَالُواْ﴾: والقائل النضر[2] استهزاءً ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا﴾: القرآن، ﴿هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: قيَّده به؛ لإمكان إمطارها من نحو الجبال، والأول أقطعُ ﴿أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ۝ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡ﴾: أي: مقيم بمكة، فلا يرد تعذيبهم ببدر، أو المراد عذاب الاستئصال ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾: أي: وفيهم من يستغفر ممن لم يستطع الهجرة من مكة، ﴿وَمَا لَهُمۡ﴾: (أن) أي: كيف ﴿أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾: بعد خروجك مع المؤمنين، ﴿وَهُمۡ يَصُدُّونَ﴾: يمنعون المؤمنين ﴿عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾: كعام الحديبية، ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓ﴾: مستحقين ولايته، ﴿إِنۡ﴾: ما، ﴿أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ﴾: الشرك، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾: عدم ولايتهم، ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءٗ﴾: صفيرًا ﴿وَتَصۡدِيَةٗ﴾: تصفيقًا أو ضجا، أي: جعلوهما مكانهما ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ﴾: ببدرٍ، أو مطلقًا ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: هو استقراضهم لتجهيز غزوة أحد[3] ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ

---

(١) غرر التبيان (٢٦٩)، معالم التنزيل (٣/ ٢٣) جامع البيان (٩/ ١٥١، ١٥٢) وسنده ضعيف.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ١٥٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٨٩/ ٩٠٠١) بسند ضعيف والصحيح أن الآية نزلت في أبي جهل - أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ٣٠٨، ٣٠٩/ ٤٦٤٨، ٤٦٤٩) ومسلم (٤/ ٢١٥٤/ ٢٧٩٦).

(٣) رواه الطبري في جامع البيان (٩/ ١٥٩، ١٦٠) وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٩٧/ ٩٠٥٤) وسنده ضعيف.

عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ﴾: لذهاب المال، وعدم نيل المراد ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾: آخرًا، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾: ماتوا على الكفر ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ۞ لِيَمِيزَ﴾: يفصل، ﴿ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ﴾[1]: الشَّقيَّ، ﴿مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾: السَّعيد، ﴿وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ﴾: فِرَق[2] الأشقياء، ﴿بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: لازدحامهم، ﴿فَيَرْكُمَهُۥ﴾: يضمه، ﴿جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ﴾: الخبيثون، ﴿هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۞ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ﴾: عن الكُفر والمعاداة، ﴿يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾: من الذنوب، ﴿وَإِن يَعُودُواْ﴾: إلى الكفر والقتال ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: بنصر جُند الله كما في بدر، ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ﴾: توجد معهم، ﴿فِتْنَةٌ﴾: شرك، ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾: لا يعبد غيره، ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ﴾: عن الكفر، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: فيجازيهم وإياكم[3]، ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ﴾: ولم ينتهوا، ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ﴾: ناصركم، ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾: هو، ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ﴾[4] ﴿أَنَّمَا غَنِمْتُم﴾: أخذتم قَهْرًا من الكفار كما في بَدْرٍ[5] ﴿مِّن شَىْءٍ﴾: ولو حقيرا ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾: ذكره تعالى تبرُّكًا، ﴿وَلِلرَّسُولِ﴾: ويصرف الآن إلى ما كان يصرفه ﷺ[6] فيه، ﴿وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: منه وهم بنو هاشم وبنو المطلب ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾: الفقراء من المسلمين ﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾: منهم الذين لا يجدون ما يكفيهم، ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: المسافر والباقي من الخمس للمحاربين، امتثلوا ذلك، ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ﴾: بما، ﴿أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾: محمد ﷺ من الآيات والنَّصر ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾: بَدْر، الفارق بين الحق والباطل، ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾: المسلمون والكفار ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: ومنه نصر القليل على الكثير، ﴿إِذْ أَنتُم﴾: بدل من يوم ﴿بِٱلْعُدْوَةِ﴾: وسط الوادي ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: القربى من المدينة ﴿وَهُم﴾ الكفار، ﴿بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾: البعدى

---

(١) كذا، وكان يجب عليه تفسيرها مع ما قبلها لآمن اللّبْس.

(٢) كذا في (س)، و(ع)، و(ن).

(٣) في نسخة (د): فيجازيكم وإياهم.

(٤) في هامش (ن): الجزء (١٠).

(٥) وغيرها.

(٦) في (ن): عليه الصلاة والسلام.

منها، ﴿وَٱلرَّكۡبُ﴾: الجائي من الشام بمكانٍ ﴿أَسۡفَلَ مِنكُمۡ﴾: في ساحل البحر ﴿وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ﴾: أنتم والكفار للقتال بلا عون الله، ﴿لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ﴾: لقلتكم وكثرتهم، ﴿وَلَٰكِن﴾: تلاقيتم بلا ميعاد، ﴿لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا﴾: في علمه من نصر حزبه ﴿لِّيَهۡلِكَ﴾: ليكفر، ﴿مَنۡ هَلَكَ﴾: كفر، ﴿عَنۢ﴾: وُضوح ﴿بَيِّنَةٖ﴾: وهي نصر المؤمنين مع قلتهم، فلا يبقى له عذر، ﴿وَيَحۡيَىٰ﴾: يؤمن، ﴿مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖ﴾ بصيرة ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ﴾: بالأقوال، ﴿عَلِيمٌ﴾: بالنيات، ﴿إِذۡ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلٗا﴾: مع كثرتهم؛ تشجيعًا للمؤمنين والرؤيا تكون من رؤيا النبي أو من رؤيا الشيطان أو مِنْ غَلَبة الأخلاط ومن الأفكار، وهذه المخالفة لا تقدح في أن رؤياه حق إذ معناه أنها معتبرة لا أضغاث أحلام أو المنام محل النوم، أي: عينيك[1] ﴿وَلَوۡ أَرَىٰكَهُمۡ كَثِيرٗا لَّفَشِلۡتُمۡ﴾: لجبنتم ﴿وَلَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾: أمر القتال معهم، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾: حزبه من التنازع ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝ وَإِذۡ يُرِيكُمُوهُمۡ إِذِ ٱلۡتَقَيۡتُمۡ﴾: قبل الالتحام ﴿فِيٓ أَعۡيُنِكُمۡ قَلِيلٗا﴾: حتى حسبتموهم ما بين سبعين إلى مائة، وكانوا ألفا تثبيتًا لكم ﴿وَيُقَلِّلُكُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِهِمۡ﴾: لئلَّا يستعدوا بعد الالتحام أراهم مثليهم، ﴿لِيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا﴾: كما مرَّ ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ﴾: بالقتال، ﴿فِئَةٗ﴾: كفارًا ﴿فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾: في الحرب، ﴿لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾: تظفرون ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ﴾: باختلاف الآراء، ﴿فَتَفۡشَلُواْ﴾: تجبنوا، ﴿وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾: دولتكم أو نصركم ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: بالعناية، وأما المنازعة[2] بالحجة لإظهار الحق، فجائزٌ بل مأمورٌ بشروط منها: قصد إظهار الحقِّ على لسان أيّ الخصمين كان ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا﴾: فَخْرًا وطُغيانًا، ﴿وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾: ليثنوا على شجاعتهم كأبي جهل وأضرابه[1][3] إذ خرجوا إلى بدر، ﴿وَيَصُدُّونَ﴾: الناس، ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا

---

(١) انظر: الفيوض الإلهية في شرح الألفية الوردية- للإمام المناوي بتحقيقي- ط/ دار الفتح.

(٢) هذه لا تسمَّى منازعة، وإنما مناظرة، أو محاجة- فانتبه.

(٣) تفسير الطبري (١٠/ ١٣) وسنده ضعيف.

يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾: فيجازيهم، ﴿وَ﴾: اذكر، ﴿إِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾: في صورة سراقة بن مالك[٢] الكناني مع عسكر وراية ﴿أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ من معاداة الرسول ببدر ﴿وَقَالَ لَا غَالِبَ ﴾: حاصلٌ ﴿لَكُمُ ﴾ من بني كنانة الذين يخافونهم ﴿ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ ﴾: مُجيرٌ ﴿لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ﴾: التقت ﴿ٱلْفِئَتَانِ ﴾: وكان[٣] يده في يد حارث بن هشام، ﴿نَكَصَ﴾: رجع، ﴿عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾: هاربًا، فقال له الحارث: إلى أين فدفع في صدره ﴿وَقَالَ ﴾: لهم، ﴿إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ ﴾: من الملائكة، ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ﴾: أن يعذبني بهم، ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾: فانهزم المشركون، اذكر ﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: هم قوم أسلموا بمكة وخرجوا مع قريش إلى بدر، فلمَّا رأوا قلة المسلمين ارتدوا وقالوا: ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ﴾: حتى تعرضوا كثرتنا[٤]، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ ينصره ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالبٌ ﴿حَكِيمٌ ﴾: في أفعاله، هذا جواب لهم، ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾: ببدر لرأيت أمرا هائلا، ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ ﴾: إذا أقبلوا، ﴿وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴾: إذا أدبروا ﴿وَ﴾ يقولون، ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۞ذَٰلِكَ ﴾: العذاب، ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾: من المعاصي ﴿وَأَنَّ ﴾: بأنَّ ﴿ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ ﴾: ذي ظلم، ﴿لِّلْعَبِيدِ ﴾: بين في آل عمران، دأبهم ﴿ كَدَأْبِ ﴾: عادة ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ وَ﴾: الكفار، ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾: ودأبهم، أنهم ﴿كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ﴾: بالعذاب، ﴿بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ ﴾: لا يغلبه أحد، ﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۞ذَٰلِكَ ﴾: الأخذ ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾: إلى حال أسوأ منه كقريش غيروا المجاورة والالتئام مع النبي ﷺ[٥] وصحبه بقصد إهلاكهم، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾: ثم أكد بقوله، ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ

---

(١) في (ن)، و(د): حزبه. وفي (س): ضربه!! وكذا في (ع).

(٢) الوسيط – للواحدي (٢/ ٤٦٥) ولا يصح.

(٣) كذا في جميع النسخ.

(٤) يعني اغتروا بدينهم حتى تعرضوا لعددنا وعدتنا.

(٥) في (ن): عليه الصلاة والسلام. وسقطت تمامًا من (س)، و(ع).

﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾: معه ﴿وَكُلٌّ﴾: من الأولين والآخرين ﴿كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: وأصروا على الكفر ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: لا يتوقع الإيمان منهم، ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ﴾: أخذت العهد ﴿مِنْهُمْ﴾: ألا يُعينوا المشركين، ﴿ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾: كقريظة[1]، ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾: عاقبة الغدر، ﴿فَإِمَّا﴾ صلة ﴿تَثْقَفَنَّهُمْ﴾ إن تظفر بهم ﴿فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ﴾: فرّق ﴿بِهِم﴾: بعقوبتهم، ﴿مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾: من المحاربين، ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾: يتعظون ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾: نقض عهد بأمارة[2]، ﴿فَٱنۢبِذْ﴾: فاطرح عهدهم، ﴿إِلَيْهِمْ عَلَىٰ﴾ طريق ﴿سَوَآءٍ﴾: متوسطٍ بأن تخبرهم بقطع العهد؛ لئلا تنسب إلى الخيانة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ۞ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ﴾: فاتونا كمن أفلت يوم بدر وبالغيبة[3] فاعله أحد و ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ﴾ مفعولاه، ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾: لا يفوتونا، ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم﴾: لقتالهم، ﴿مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾: ما يتقوى به في الحرب، وفي الحديث: «إنها[4] الرمي»[5]، ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾: اسم خيل تربط في سبيل الله ﴿تُرْهِبُونَ﴾: تخوفون ﴿بِهِۦ﴾: بما استطعتم ﴿عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾: كفار مكة، ﴿وَ﴾: كفارًا ﴿ءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾: جزاؤه، ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾: بتضييع العمل[6] ﴿وَإِن جَنَحُواْ﴾: مالوا ﴿لِلسَّلْمِ﴾: للصلح ﴿فَٱجْنَحْ﴾: مِلْ ﴿لَهَا﴾: للمسالمة، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: فيها ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۞ وَإِن يُرِيدُوٓاْ﴾: بالصلح ﴿أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ﴾: محسبك وكافيك، ﴿ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ

---

(١) الوسيط (٢/ ٤٦٧)، معالم التنزيل (٢/ ٢٥٧)، الجامع للقرطبي (٨/ ٢٠)، تفسير الرازي (١٥/ ١٤٦)، البحر المحيط (٤/ ٥٠٨).

(٢) بدليل.

(٣) يعني كما هنا «يحسبَنّ» أي: لا يحسبن أحدٌ.

(٤) أي: القوة.

(٥) يشير إلى حديث: «**ألا إن القوة الرمي**» أخرجه مسلم في صحيحه (٣/ ١٥٢٢) (١٦٧/ ١٩١٧)، وأبو داود في سننه (٢٥١٤)، والترمذي (٣٠٨٣)، وابن ماجة (٢٨١٣).
وانظر: القول التام في الرمي بالسهام- للسخاوي (٤٨/ بتحقيقي).

(٦) في (ن): العلم.

﴿بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾: مع ضغائنهم ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾: على تآلفهم، ﴿مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾: مع ضغائنهم، كما كان بين الأوس والخزرج ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ﴾: غالب ﴿حَكِيمٌ﴾: في أفعاله، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ﴾: بالغ في حثِّ ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾: مع الكفار ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾: شرطٌ في معنى الأمر بمصابرة الواحد للعشرة، ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: بمعنى حكم القليل كالكثير، إذ ربما لا تقاوم العشرةُ المائة، وتقاوم المائة الألف وهكذا ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾: جاهلون بالله تعالى يقاتلون للدنيا فلا يثبتون في الشدة، ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ﴾: نسخٌ للأول، ﴿وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾: بدنيا، ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: بالنصر، لا يقال إنَّ مائة من الكفار قد تغلب مائة بل مائتين منا، لأن الله تعالى شرط فيه الصبر وكذا الموافقة بيننا ظاهرًا وباطنا على أنه يمكن كونه مخصوصا بالصحابة[١] ﴿مَا كَانَ﴾: ما صحَّ، ﴿لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾: ولا يقتلهم، ﴿حَتَّىٰ يُثْخِنَ﴾: يكثر القتل، ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: وبعد ذلك خيره بينه وبين المنِّ، إذ المقصود إذلال الكفر، ﴿تُرِيدُونَ﴾: تختارون، ﴿عَرَضَ﴾: حطام، ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: بأخذ فدائهم، ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ﴾: يختار، ﴿ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾: أي: ثوابها، ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾: غالب، ﴿حَكِيمٌ﴾: يعلم ما يليق بكل حالٍ ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾: في اللَّوح أنه لا يعاقب المخطئ في اجتهاده أو أهل بدر ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ﴾: من الفداء ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾: ومنه الفدية، أكلًا ﴿حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ﴾: في مخالفته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾: لما أسلفتم ﴿رَّحِيمٌ﴾: برحمته، أباح لكم الفداء، دلَّ على أن الأنبياء يجتهدون وقد يخطئون[٢] ولكن لا يقرون عليه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ﴾: كعباس ومن أُسِرَ معه[٣]، ﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾: إيمانًا وإخلاصا،

---

(١) وهذا جائز دلالة التخصيص «منكم» لكن كرم الله لا حدّ له.

(٢) هذه مسألة خلافية، والأولى أن يقال فيها: إنه فعل خلاف الأولى؛ احترامًا لمقام النبوّة.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/ ٣٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٧٣٧/ ٩١٧٨)، والبيهقي في

﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ﴾: مـن الفِـداء، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ وَإِن يُرِيدُواْ﴾: الأسارى ﴿خِيَانَتَكَ﴾: بنقض العهد ﴿فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ﴾: بخروجهم مع المشركين، ﴿فَأَمْكَنَ﴾: أمكنك، ﴿مِنْهُمْ﴾: يوم بدر، وإن يعودوا نعد، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بخيانتهم، ﴿حَكِيمٌ﴾: بتدبيرهم، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ﴾: أسكنوا المهاجرين منازلهم، ﴿وَّنَصَرُوٓاْ﴾: هم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾: في الميراث دون أقاربهم ثم نسخ بالمواريث[1]، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ﴾: بالفتح في النسب والنصرة، كما أنه بالكسر[2] في الإمارة ولا يرثونكم ولا يشاركونكم في الغنيمة، ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾: نصرتهم على المشركين، ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾: فلا تنقضوهُ بنصرتهم، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: فيجازيكم به، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾: في الإرث والنصرةِ ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾: أي: المأمور المذكور ﴿تَكُن﴾: تحصل ﴿فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾: في الدين بقوة الكفر، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: إيمانًا، ﴿حَقًّا﴾: صدقا، ﴿لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: في الجنَّة ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ﴾: بعد الهجرة الأُوْلى، وهي ما قبل الحديبية، ﴿وَهَاجَرُواْ﴾: بعدها، وقبل فتح مكَّة ﴿وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْۚ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ﴾: القرابات، ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾: في التَّوارُث من الأجانبِ، ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: القرآن، نسخ به حكمُ الآية السَّابقة والاستدلال به على توريث ذوي الأرحام ضعيف؛ لأنه قيَّده بما في القرآن، وليس فيه إلَّا أهل الفرائض والعصبات، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: ومنه إناطة[3] الإرث بنسبة الإسلام أولًا، وبالقرابة ثانيا. [والله أعلم

= الدلائل (٣/ ١٤٣) وسنده حسن.

(١) المستدرك (٤/ ٣٤٤، ٣٤٥)، تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٧٤٢، ١٧٤٣/ ٩٢٠٦).

(٢) قرأ حمزة والأعمش وابن وثاب والأخفش: «ولايتهم» بكسر الواو.

* إتحاف الفضلاء (٢٣٩)، السبعة (٣٠٩)، غيث النفع (٢٣٥)، النشر (٢/ ٢٧٧).

(٣) رَبْط.

بالصّواب][١].



---

(١) من (ن)، و(ح)، و(د)، وفي (ع): والله سبحانه وتعالى الموفِّقُ.



«سورة التوبة»(١) مكية وقيل: مدنية(٢)

الصواب أن النبي - ﷺ- أمر بوضعها بعد الأنفال وحذف(٣) التسمية وحيا(٤)، صرح به المحققون كالقاضي أبي بكر(٥)، والإمام(٦) وغيرهم، وَلما حكم بموالاة المؤمنين عقبه بالأمر بمعاداة المشركين فقال: هذه ﴿بَرَآءَةٌ﴾: انقطاع عصمةٍ، ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾: واصلة، ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: أي: هما بريئان من عهد عاهدتموه فانبذوه ولا عهد بعده، ﴿فَسِيحُوا۟﴾: سيروا أيها المشركون، ﴿فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾: من يوم النحر من سنة تسع إلى عاشر ربيع الآخر ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى﴾: فائتي، ﴿ٱللَّهِ﴾: وإن أمهلكم، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى﴾: مُذِلّ ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: في الدارين ﴿ وَأَذَٰنٌ﴾: إعلامٌ، أبلغ- ﷺ- أبا بكر وهو أمير الحاج بعلي ليقرأها على الحاج وقال: «**لا يُؤْدي عَنِّي إلَّا رجلٌ منِّي**»(٧)؛ لأن عادة العرب ألا يتولى العهد ونقضه إلَّا رجل منهم كما يفهمه بعض الروايات،، ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾: النحر أو عرفة أو أيام الحج والأصغر العمرة.

* **تنبيه:** قد اشتهر وصف الحج بالأكبر إذا كان الوقفةُ يوم الجمعة(٨)، ولعله

---

(١) في (ن): سورة بَرَاءَة مدنيَّة. وفي باقي النسخ: سورة التوبة: مدنيَّة.

(٢) في نسخة (د): مائة وتسع وعشرون آية، وعند البصريين ثلاثون، وهي آخر سورة نزلت بالمدينة غير آيتين: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ ﴾.. إلى آخر السورة كلماتها (٢٤٩٧) وحروفها (١٠٨٨٧).

* عدد سور القرآن (٢٤٧)، التبيان (١٦٠)، القول الوجيز (١٩٩) البصائر (١/ ٢٢٧).

(٣) في (ن): حَذف.

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه (٥/ ٢٥٤/ ٣٠٨٦) وابن حبان (١/ ١٢٥/ إحسان) وأبو داود (١/ ٢٠٨، ٢٠٩/ ٧٨٦) وأحمد (١/ ٥٧)، والحاكم (٢/ ٣٣٠) وصححه.

(٥) يعني: ابن العربي.

(٦) الفخر الرازي.

(٧) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٥٧/ ٣٠٩١)، وأحمد (٣/ ٢٨٣)، والطبري في جامع البيان (١٤/ ١٠٧، ١٠٨/ ١٦٣٧٧).

(٨) انظر: تثقيف الألسنة بتعريف الأزمنة- للعلامة الشبلي (١٤٦/ بتحقيقي).

لحديث: «**يوم الجمعة أفضل الأيام إلَّا يوم عرفة، وإن وافق يوم جمعة فهو أفضل من سبعين حجة في غير يوم الجمعة**»(١) أخرجه رزين ولحديث: «**إذا كان يوم جمعة غفر الله لجميع أهل الموقف**»(٢)، ولأن في يوم الجمعة ساعةَ الاستجابة، ولأن فيها موافقة النبي، فإن وقفة حجة الوداع كانت في الجمعة، وقد يستشكل الحديث الثاني بأنه ورد مثله في مطلق الحج، ويمكنُ حَمْلُ ذلك على مغفرتهم بلا واسطة، وحَمْلُ هذا على أن يهبَ قوما لقوم، والله تعالى أعلم، ﴿أَنَّ﴾: بأنَّ، ﴿ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبۡتُمۡ﴾: عن الشرك ﴿فَهُوَ﴾ فالتوب، ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾: عن التوبة ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي﴾: فائتي عقاب ﴿ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ إِلَّا﴾: لكن ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا﴾: من شروط العهد ﴿وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ﴾: يعاونوا ﴿عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا﴾: من أعدائكم، ﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ﴾: تمام ﴿مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ في نقض العهد ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ﴾: انقضى، ﴿ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ﴾: هي مدة عهد غير الناقض وأربعة أشهر لغيره، ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾: كافة، ﴿حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾: من حلٍّ أو حرم ﴿وَخُذُوهُمۡ﴾: وأسروهم(٣)، ﴿وَٱحۡصُرُوهُمۡ﴾: احبسوهم، ﴿وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖ﴾: ممر؛ لئلا ينبسطوا في البلاد ﴿فَإِن تَابُواْ﴾: عن الشرك ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡ﴾: دعوهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾: لمن تاب، ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾: بعد الانسلاخ، ﴿ٱسۡتَجَارَكَ﴾: استأمنك من القتل، ﴿فَأَجِرۡهُ﴾: أمنه، ﴿حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾: ويتدبر فيه ﴿ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥ﴾: أي: هو مستمرُّ الأمان إلى أن يرجع إلى بلاده إن لم يسلم، ﴿ذَٰلِكَ﴾: الأمان، ﴿بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ﴾: ما الإسلام، فأمنوهم ليعرفوا ﴿كَيۡفَ﴾: أي: لا ﴿يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾: يوم الحديبية، هم المستثنون قبل ﴿فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ﴾: بالوفاء ﴿فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ﴾: بالوفاء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾: كما مرّ ﴿كَيۡفَ﴾: لهم عهد، ﴿وَإِن يَظۡهَرُواْ﴾: يظفروا، ﴿عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ﴾: لا

---

(١) لا يصح.

(٢) فضائل الشهور والأيام (٢٩٠).

(٣) والأَخِيْذ: الأَسِيْر.

يراعونَ في شأنكم، ﴿إِلًّا﴾: حِلفًا وقرابة، ﴿وَلَا ذِمَّةً﴾: عهدًا، ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾: ما قالوا، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ﴾: متمردون ﴿ٱشْتَرَوْا۟﴾: استبدلوا، ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: هو اتباع الشهوات ﴿فَصَدُّوا۟﴾: الناس ﴿عَن سَبِيلِهِۦٓ﴾: دينه، ﴿إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۞ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا﴾: حِلفًا[1]، ﴿وَلَا ذِمَّةً﴾: عهدًا ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ﴾: المتجاوزون الحدَّ في الظلم ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾: فهم إخوانكم ﴿فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ﴾: نبين ونكرر، ﴿ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: فيتأملون فيها ﴿وَإِن نَّكَثُوٓا۟﴾: نقضوا ﴿أَيْمَٰنَهُم﴾: مواثيقهم، ﴿مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾: أي: قاتلوهم فإنهم أئمته، ﴿إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ﴾: عُهُودا موثوقا عليها، ﴿لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾: يرجعون، والاستدلال به على أن يمين الكافر ليس بيمين ضَعْفه ظاهرٌ ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ﴾: أهل مكة ﴿وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ﴾: كما مرَّ، ﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ﴾: بالقتال، ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: يوم بدر بعد ما نجا غيرهم، ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾: في قتالهم، ﴿فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾: بمقاتلتهم، ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: فإن المؤمن لا يخشى غيرهُ ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ﴾: يذلهم، ﴿وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾: الذين كانوا متأذين منهم، ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ﴾: كَرْب ﴿قُلُوبِهِمْ﴾: لما لقوا منهم ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾: كأبي سفيان[2] وأضرابه ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بالكائنات ﴿حَكِيمٌ﴾: في أفعاله، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾: أيها المؤمنون، ﴿أَن تُتْرَكُوا۟﴾: مُهْملينَ ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ﴾: بعد، علم ظهورٍ ﴿ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾: بطانة أولياء يفشون إليهم أسرارهم، ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۞ مَا كَانَ﴾: ما صَحَّ، ﴿لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟﴾: بالدخولِ والقعودِ ﴿مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾: فضلًا عن المسجد الحرام، ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾: كقولهم في الطواف: لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك[3].

---

(١) أنوار التنزيل (٢٤٨) والإل: الحال الظاهرة من عهد وحلف وقرابة. * عمدة الحفاظ (١/ ١٠٣).

(٢) وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو، تاب الله عليهم وهداهم للإسلام. * الوسيط (٢/ ٤٨٢).

(٣) تلبية العرب – لقطرب (١١٦)، إغاثة اللهفان (٢/ ٢٥٩)، المحبر (٣١١)، المفصل (٦/ ٢٦٦) وهي

مع قولهم: نحن نعبد اللات والعزى، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ﴾: بطلت ﴿أَعْمَٰلُهُمْ وَفِي ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ[1] ٱللَّهِ﴾: بنحو البناء والتزيين بالفرش والسُّرج والعبادة وترك حديث الدنيا، ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ﴾: سكت عن الرسول لأنه لا يتم إلا به، ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ﴾: أحدًا ﴿إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾: آيسهم وخوف المؤمنين بعسى ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: أي: أهلهما، ﴿كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ﴾: بل المجاهدون[2] أفضل، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: بالشرك، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾: رُتْبةً ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾: ممَّن لم يستجمعهما، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾: بالنجاة الكلية، ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾: دائم ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: يستحقرُ دونه كلُّ نعيم الدنيا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾: أصدقاء، ﴿إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ﴾: اختاروا ﴿ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾: أقاربكم، ﴿وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا﴾: اكتسبتموها ﴿وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾: عدم نفاقها[3]، ﴿وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ﴾: تستطيبونها، ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم﴾: حُبًّا اختياريًّا لا طبيعيا إذ لا يكلف به ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾: عقابه، قيل هو فتح مكَّة[4]، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي﴾: لا يُرشدُ ﴿ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: فيه تشديد، قلَّ مَن يتخلص عنه ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ﴾: أوقات الحرب، هذا

= تلبية قريش، وانظر: أديان العرب في الجاهلية- للعلامة محمد نعمان الجارم ص٣٦.
وزاد بعده: أبو بنات في فدك .اهـ.

(١) في هامش (ن): مَساجد: حفص.

(٢) في نسخة (ن)، و(د): المجاهد.

(٣) رواجها.

(٤) الوسيط (٢/ ٤٨٧)، معالم التنزيل (٢/ ٢٧٧)، البحر المحيط (٥/ ٢٣)، تفسير القرطبي (٨/ ٦٢).

كقولك مقتل حسين[١]، ﴿كَثِيرَةٖ وَ﴾: نصركم، ﴿يَوۡمَ﴾: قتالكم في، ﴿حُنَيۡنٍ﴾: مع هَوازن بعد فتح مكة، وهو[٢] وادٍ بين مكَّة والطائف ﴿إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ﴾: كانوا اثني عشر ألفا، والكفار أربعةُ آلاف، فقال أحدهم إعجابا: لن نغلب اليوم من قلةٍ ﴿فَلَمۡ تُغۡنِ﴾: لم تدفع الكثرةُ ﴿عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا﴾: من أمر العدوِّ ﴿وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ﴾: برحبها وسعتها خوفًا ﴿ثُمَّ وَلَّيۡتُم﴾: فررتم ﴿مُّدۡبِرِينَ﴾: منهزمين ولم يبق مع النبيِّ - ﷺ- إلا العباسُ وأبو سفيان بن الحارث[٣]، وقيل: إلا عشرة منهم الشيخان[٤] وعليٌّ والعباسُ، ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾: رحمة سكنوا بها، ﴿عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: فناداهم عباس بأمر النبي - ﷺ- فكرُّوا عُنقًا[٥] واحدًا قائلين: لبيك لبيك، ﴿وَأَنزَلَ﴾: من المَلك، ﴿جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾: لكن سمعوا أصواتًا من السماء ﴿وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: بالقتل والسبي[٦] فأُسر ستَّةُ آلاف ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۞ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾: لمن أسلم منهم، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾: لمن تاب، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ﴾: باطنا ودينًا، أو عينًا ﴿فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ﴾: أي: امنعوهم من الحرم، وظاهره تكليفهم بالفروع ﴿بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَا﴾: السنة التاسعة، ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ﴾: فقرًا بانقطاع المتاجر بمنعهم ﴿فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾: عطائه ﴿إِن شَآءَ﴾: فعوَّضَهُم بالجزية وأموال البلدان، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾: بأحوالكم، ﴿حَكِيمٞ﴾: في أفعاله، ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾: إيمانًا كما ينبغي، ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾: كالخمر والربا، ﴿وَلَا يَدِينُونَ﴾: يعتقدون، ﴿دِينَ ٱلۡحَقِّ﴾: الثابت الناسخ لغيره، ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ﴾: عن

---

(١) يعني: وقت مقتله.

(٢) يعني حُنين.

(٣) رواه البخاري (٦/ ١٠٥/ ٢٨٦٤)، مسلم (٣/ ١٤٠٠/ ١٧٧٦).

(٤) أبو بكر وعمر.

(٥) طائفةً أو جماعةً.

(٦) الوسيط (٢/ ٤٨٨).

غني أوَّلًا بالإرسال أو يدٍ قاهرةٍ عليهم، أي: أذلاء، ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾: ذليلون، وتؤخذ ممن له شبهة كتاب أيضًا كالمَجُوْس[1] لعمل النبي - ﷺ- كذا عند الشافعي[2]، ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾: أي: بعضهم مع سكوت الباقين، ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾: لأنه بعث بعد موته[3]، وأملى التوراة عليهم بعدما كانت مَنسيَّة لكلهم، ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾: أي: مهمل لا معقول له أو تأكيد لنفي التجوز، ﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾: يشابهون به، ﴿قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ﴾: أي: قُدماءهم فيقلدونهم، ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾: أهلكهم الله، تعجب من شناعة قولهم، ﴿أَنَّىٰ﴾: كيف، ﴿يُؤْفَكُونَ﴾: يُصرفون عن الحقِّ ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ﴾: علماء اليهود، ﴿وَرُهْبَٰنَهُمْ﴾: زُهَّاد النصارى ﴿أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: بإطاعتهم دونه في التحريم والتحليل، أو كما مر في الأنعام، ﴿وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾: بأنه هو أو ابنه، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ﴾: في كتبهم، ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾: هو الله، ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ﴾: تنزيها له، ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ﴾: دينه، ﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾: بتكذيبهم أو شبههم بمن يريد إطفاء نُوْر عظيم[4] بنفخة، ﴿وَيَأْبَى﴾: لا يرضى، ﴿ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ﴾: يظهر ﴿نُورَهُۥ﴾: دينه بإعلاء كلمته، ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: إتمامه، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ﴾: بالمعجزات، ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ﴾: ليُغلِّبهُ ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾: بنسخه، ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾: ذلك، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ﴾: يأخذون، ﴿أَمْوَٰلَ

---

(١) رواه البخاري (٣/ ١١٥١/ ٢٩٨٧) كتاب الجزية والموادعة - باب: ما جاء في أخذ الجزية من اليهود والنصارى والمجوس والعجم.

(٢) الأم (٤/ ١٧٣)، سنن البيهقي (٩/ ١٨٨)، معرفة السنن والآثار (١٣/ ٣٦٧) الحاوي الكبير (٩/ ٢٢٣)، شرح مسلم (١٢/ ٣٩) وذهب مالك إلى قبول الجزية من كل مشرك واستثنى أبو حنيفة مشركي العرب.

* الكافي لابن عبد البر (٢١٧)، أحكام القرآن - للجصاص (٤/ ٢٨٣)، البحر الرائق (٥/ ١٢٠).

(٣) مائة عام.

(٤) كنور الشمس.

﴿ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾: بالرشوة، في تغيير الأحكام، ﴿وَيَصُدُّونَ﴾: الناس، ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾: كالأحبار والرهبان، والكنز مال لم تؤد زكاته للحديث[1]، ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾: الكنوز أو الفضة فالذهب أولى ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ يَوْمَ يُحْمَىٰ﴾: يوقد، ﴿عَلَيْهَا﴾: على الكُنوز ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ﴾: تُحرقُ ﴿بِهَا﴾: بالكنوز ﴿جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾: خصَّها بالذِّكر؛ لاشتمالها على الأعضاء الرئيسة التي بها أصول الجهات الأربع ولعبوسهم عند السائل وميلهم وتوليتهم، فيوسع جلدهم حتى يسع الكل، يقال لهم: ﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا﴾: وبال، ﴿مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾: والآية عامة، ﴿إِنَّ عِدَّةَ﴾: مبلغ عدد، ﴿ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ﴾: أي: لا بابتداع الناس، ﴿ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾: كائِنٌ[2]، ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: اللوح، ثابت، ﴿يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾: رَجَب، وذو القعدة، وذو الحجة، ومحرم، ﴿ذَٰلِكَ﴾: التحريم، ﴿ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾: القويم، أي: الحساب المستقيم، لا ما يفعله العرب من نساء[3] الشهور ﴿فَلَا تَظْلِمُوا﴾: بالمعاصي، ﴿فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾: فإنَّ المعاصي فيها أعظم وزْرًا، فهو مثل: ﴿فَلَا رَفَثَ﴾... إلى آخره[4]، والجمهور على أن تحريم ابتداء القتال فيها منسوخ[5]، ﴿وَقَٰتِلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾: جميعا في كل الشهور ﴿كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ۞ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ﴾: تأخير تحريم شهر إلى شهر آخر بالمحاربة في الأول، وتركها في الثاني، ﴿زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ﴾: لزيادة ما يكفر به، فإنه تحليل حرام وعكسه،

---

(١) قال ابن عباس: لا يؤدون زكاتها، وما أُدِّي زكاته فليس بكنز- رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٠٥٢٠) وعن ابن عمر مرفوعا: «**كل مال أدي زكاته فليس بكنز وإن كان مدفونا تحت الأرض، وكل مال لا تؤدى زكاته فهو كنز وإن كان ظاهرًا**». رواه البيهقي في السنن (٤/ ٨٢)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٢٤٩)، والترغيب (١/ ٢٦٤).

(٢) كذا في (د)، و(ن).

(٣) التأخير.

(٤) سورة البقرة.

(٥) الجامع للقرطبي (٨/ ١٣٥).

﴿يُضَلُّ بِهِ﴾: بالنسيء، ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ﴾: أي: النسيء من الأشهر الحرم، ﴿عَامًا﴾: فيقاتلون فيه، ويُحرِّمون شهرا آخر بدلهُ ﴿وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا﴾: بتركه على حرمته، ﴿لِّيُوَاطِـُٔواْ﴾: ليوافقوا ﴿عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾: وهي أربعة أشهرٍ في كلِّ سنة من أي وقت يكونُ ﴿فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: في علمه، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ﴾: والقائل[1] النبي - ﷺ -، ﴿ٱنفِرُواْ﴾: اخرجوا ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: كغزوة تبوك ﴿ٱثَّاقَلۡتُمۡ﴾: تباطأتم مائلين ﴿إِلَى﴾ إقامة ﴿الأَرْضِ﴾ ، أرضكم، ﴿أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾: بدلًا ﴿مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ الجنَّة ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾: التمتع بها، ﴿فِي﴾: جَنْبِ ﴿ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: في الدارين ﴿وَيَسۡتَبۡدِلۡ﴾: منكم، ﴿قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾: مُطيعينَ ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗا﴾: بالتثاقل، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾: ومنه تبديلكم ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾: النبيُّ - ﷺ -، فينصره الله ﴿فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: من مكة، وإسناد الإخراج إليهم لهمِّهم به، أو لأنه بسببهم، حال كونه، ﴿ثَانِيَ﴾: واحد، ﴿ٱثۡنَيۡنِ﴾: هو وأبو بكر[2]، ﴿إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾: من جبل ثورٍ ثلاثة أيام، ﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾: أبي بكر حين طلع عليهم الكفار لطلبهما فأشفق على محمد - ﷺ -، ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾: بالعصمة، ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾: أمنته، ﴿عَلَيۡهِ﴾: على محمد أو صاحبه؛ لأنه حزن فاحتاج إليها[3]، ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾: الملائكة حرسوه في الغار وغيره، ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: أي: دعوة الشرك، ﴿ٱلسُّفۡلَىٰ﴾: المغلوبة، ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾: التوحيد، ﴿هِيَ ٱلۡعُلۡيَا﴾: الغالبة، ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في أمره ﴿حَكِيمٌ﴾: في تدبيره، ﴿ٱنفِرُواْ﴾: إلى تبوك ﴿خِفَافٗا﴾: من السِّلاح أو ركبانا،

---

(١) الوسيط (٢/ ٤٩٥) وكان ذلك في غزوة تبوك - أنوار التنزيل (٢٥٤)، وتثقيف الألسنة- للشبلي (٧٩/ بتحقيقي).

(٢) على رغم أنف الروافض.

(٣) يعني السكينة.

﴿وَثِقَالًا﴾: مع السِّلاح أو مشاةً ﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ﴾ الجهاد ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: من التَّثاقل ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أهل العلم فلا تثاقلوا، ثم لمَّا شقّت عليهم خصّت بقوله ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾ الآية، ونزل في المنافقين المخلفين: ﴿لَوْ كَانَ﴾: ما دُعُوا إليه، ﴿عَرَضًا﴾: نفعًا دنيويا، ﴿قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾: مُتوسِّطًا، ﴿لَّٱتَّبَعُوكَ﴾: المنافقون، ﴿وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ﴾: المسافة التي تقطع بمشقَّة ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾: بعد الرجوع، ﴿لَوِ ٱسْتَطَعْنَا﴾: بدنًا ومالًا، ﴿لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾: بالحلفِ الكاذبِ، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾: في إذْنهم للتخلف عفَا قبل بيان الحرم كما هُو دأْبُ الحبيب مع حبيبه، ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾: في القعود، وما توقفت، ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾: في العُذْر، ﴿وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾: فيه، ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ﴾: بمعنى النهي، كلا رفث، ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾: في التخلف كراهة ﴿أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾: فمثيبهم ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: في الدين ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾: يتحيَّرون ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ﴾: معكَ ﴿لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً﴾: من الزَّاد والمركب، فإنهم متمولون، ﴿وَلَٰكِن﴾: تثبطوا؛ لأنه ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾: نهوضهم للخروج وعلى هذا الحمل لا إيراد على الاستدراك، ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾: حَبَسهم عن الخروج ﴿وَقِيلَ﴾: لهم، والقائل: الشيطان بوسوسته أو بعضهم، ﴿ٱقْعُدُواْ﴾: أمر تهديد ﴿مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾: من نحو النِّساء ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾: فسادًا على فساد المنافقين الذين معكم ﴿وَلَأَوْضَعُواْ﴾: أسرعوا ركائبهم مجاز عن نمائمهم[1]، ﴿خِلَٰلَكُمْ﴾: بينكم، ﴿يَبْغُونَكُمُ﴾: يريدون لكم، ﴿ٱلْفِتْنَةَ﴾: فأمرهم بالخروج لقطع الحجة، وإظهار نفاقهم ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ﴾: مُطيعون، ﴿لَهُمْ﴾: لحديثهم، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾: فيجازيهم، ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ﴾: بتثبيط[2] أمرك، ﴿مِن قَبْلُ﴾: كيوم أحد، حين[1]

---

(١) جمع نميمة.

(٢) في نسخة (ن)، و(د): بتشتيت.

رجع ابن أبي وصحبه، ﴿وَقَلَّبُوا﴾: دبَّروا ﴿لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾: الحيل في كيدك، ﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾: النصر الإلهيُّ ﴿وَظَهَرَ﴾: غلب ﴿أَمْرُ ٱللَّهِ﴾: دينه، ﴿وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي﴾: في القعود، وهو الجدُّ[٢] بن قيسٍ، ﴿وَلَا تَفْتِنِّي﴾ ببنات الأصفر[٣] وهو اسم جنس ملك الروم ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾: بتخلفهم[٤]، ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ﴾: الآن لإحاطة أسبابها ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ﴾: كظفر وغنيمة ﴿تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾: كما في أُحُد ﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا﴾: من الحَزْم بالتخلف ﴿مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾: بما أصابكم ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ﴾: في اللّوح ﴿لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا﴾: متولي أمرنا، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: لا غير ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ﴾: تنتظرون، ﴿بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾: النَّصر أو الشهادة ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ﴾: أحد السُّوئيَيْن، ﴿أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ﴾: من السماء، ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾: بالإذن في قتالكم، ﴿فَتَرَبَّصُوٓا﴾: عاقبتنا، ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾: عاقبتكم، ﴿قُلْ﴾: لمن قال: ائذن، ﴿أَنفِقُوا طَوْعًا﴾: طائعين، ﴿أَوْ كَرْهًا﴾: كارهين، ﴿لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ﴾: خارجين عن الدين، ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ﴾: أي: قبولها، ﴿إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾ أي: إلَّا كفرهم بهما، ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ﴾: فإنها استدراج، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم﴾: أن يعذبهم، ﴿بِهَا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: بالتعب في جمعها وحفظها ثم تلفها بلا تمتعهم، ﴿وَتَزْهَقَ﴾: تخرج بالصعوبة، ﴿أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ﴾: سيأتي بيانها في آية ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ﴾، ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾: لنفاقهم ﴿وَلَـٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ

---

(١) في (ن): يوم.

(٢) في (ن): الحرّ.

(٣) وهو يطلق على أهل أوربا، فيقال لهم: بنو الأصفر.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٠٩/ ٩٦٠٠)، والطبراني في الكبير (٢/ ٣٠٨/ ٢١٥٤)، و (١٢/ ١٢٢/ ١٢٩٥٤) والأوسط (٥/ ٣٧٥/ ٥٦٠٤)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٢/ ٦٤٤/ ١٧٢٠) وسنده حسن صحيح.

يَفْرَقُونَ ﴾ يخافون الفريقين ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً ﴾ كحصن ﴿أَوْ مَغَارَاتٍ﴾: سراديب، ﴿أَوْ مُدَّخَلًا ﴾: نفقًا يدخلونه، ﴿لَوَلَّوْا﴾: أقبلوا، ﴿إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴾ يُسرعون كالفرس الجموح[1]، فرارا لضيقهم في أيديكم ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ ﴾: يعيبك ﴿فِي﴾: قسم[2]، ﴿ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾: يعيبون ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾: من الغنيمة والصدقة ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ﴾ كافينا ﴿ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ ﴾ غنيمة أو صدقة أخرى، ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾: في إغنائنا لكان خيرًا لهم، ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ﴾: الزكوات مصروفة، ﴿لِلْفُقَرَآءِ ﴾: من لا مال له، ولا كسبٌ يقع موقعا من حاجته كأنه أصيب فقاره، ﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾: من له مال أو كسب لا يكفيانه كأن العجز أسكنه، ﴿وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا ﴾: الساعين في تحصيلها كالجابي والقاسم والقيم والكاتب والحاسب، ﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾: من يعطى ليحسن إسلامه، أو ليسلم نظراؤه، ﴿وَفِي ﴾: فكِّ ﴿ٱلرِّقَابِ ﴾: بإعانة المكاتب، دل بفي على أن الاستحقاق للجهة، وتكرير العامل في الكل لتأكيد الحاجة ﴿وَٱلْغَٰرِمِينَ ﴾: المديونين الذين استدانوا لغير معصية، أولها[3] وتابوا، وليس لهم وفاء، أو لإصلاح ذات البين[4]، ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾: غُزاة لا حَقَّ لهم في الديوان ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾: المسافر المنقطع عن مال فرض لهم، ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ ﴾: بأعمالكم، ﴿حَكِيمٌ ﴾: فيما أمر.

* **تنبيه :** ظاهر الآية تخصيص استحقاقها بالثمانية ووجوب صرفها إلى[5] كل صنفٍ وُجِدَ منهم، والاشتراك يقتضي التسوية، وهو مذهب الشافعي لكن عن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم مِنَ الصحابة والتابعين جواز صرفها إلى صنف واحد،

---

(١) شديد السرعة.

(٢) بفتح القاف المثناة: تقسيم.

(٣) يعني استدان لمعصية ثم تاب.

(٤) بين متخاصمين.

(٥) في (ن)، و(د): في كل صنف.

وعليه الأئمة الثلاثة وبعض أصحابنا[١]، ويؤيدهم وجوب كون الآية هنا لبيان قصر جنسها على الثمانية مثل: «**إنما الخلافة لقريش**»[٢]، أي: لا تتعداهم، لا لتعلق كل فرد من أفراد الصدقة بكل فرد من أفراد المستحقين، وهو ظاهر، وظاهر الآية يؤيد الشافعي، إذ الشائع في المصرف تعلق الحكم بكل فرد من أفراد الواحد لكن دلالتها على وجوب إعطاء ثلاثة من كل صنف غير ظاهر، والله تعالى أعلم.

﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ ﴾: بقولهم ما لا ينبغي في شأنه، ﴿وَيَقُولُونَ﴾ حين نهوا عنه، ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾: سمَّاعٌ لكل كلام إن أنكرنا وحلفنا يصدقنا سمي بالجارحة مبالغة ﴿قُلْ﴾ نعم وَهُوَ ﴿أُذُنُ﴾ سماع ﴿خَيْرٍ لَّكُمْ﴾: ويقبله، لا أُذُن شرٍّ كما بينه، ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ﴾: يصدق وينقاد، ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: لعلمه بخلوصهم، واللام للفرق بين الإيمان التسليمي والأماني، ﴿وَ﴾: هو ﴿رَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: لمن أظهر الإيمان ﴿مِنكُمْ﴾: حيث لا يكشف عن ستره، ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ﴾: على معاذيرهم ﴿لِيُرْضُوكُمْ﴾ بيمينهم ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾: بالطاعة، وحَّد الضمير لوحدة رضاهما، ﴿إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾: صِدْقًا ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ﴾: يُخالف ﴿ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: بالكُفْر ﴿فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ﴾: الفضيحة، ﴿ٱلْعَظِيمُ ﴿يَحْذَرُ﴾: يخافُ، ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾: فيهم نحو: على مُلْك اليمن، أو مثل قوله تعالى: ﴿ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ﴾ أي: فيه، على المؤمنين ﴿سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم﴾: تخبرهم إخبارًا مُفضحًا ﴿بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾: من الكفر ﴿قُلِ﴾: تهديدا[٣]، ﴿ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ﴾: مُظهرٌ ﴿مَّا تَحْذَرُونَ﴾: ظهوره ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ﴾ عن استهزائهم حيث قالوا في طريق تبوك: هذا رجل يريد فتح قصور الشام:

---

(١) يعني الشافعية.

وانظر: الجامع – للقرطبي (٨/ ١٧٥)، الأم (٢/ ٧٨، ٧٩)، الحاوي الكبير (٨/ ٤٨١).

(٢) لهذا الحديث طرق كثيرة جمعها الحافظ ابن حجر في جزء كبير سماه: «لذة العيش بطرق حديث: الأئمة من قريش» وطبع بدار البشائر الإسلامية – ضمن لقاء العشرة الأواخر بتحقيق المحدث الفهامة تفاحة الكويت أبي ناصر محمد بن ناصر العجمي الصالحي – حفظه الله ووفقه.

(٣) فالأمر هنا في «استهزءوا» للتهديد.

هيهات[١] ! ﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ﴾: فيما يخوض فيه الرَّكْبُ، ﴿وَنَلْعَبُ﴾: لقطع الطريق به، ﴿قُلْ﴾ توبيخًا ﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾: فإنهم كاذبون فيه ﴿لَا تَعْتَذِرُواْ﴾: عنه، ﴿قَدْ كَفَرْتُم﴾: ظهر كفركم بهذا الطعن ﴿بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾: لتوبتهم، ﴿نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ﴾: منكم، ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾: مصرين على النفاق ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم﴾: مقارب، ﴿مِّنۢ بَعْضٍ﴾: مشابهة في الكفر كأبعاض شيء واحد، خصَّهم بمن دون المؤمنين ردًّا لحلفهم: ﴿إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾، ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ﴾: الكفر، ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾: الإيمان، ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾: عن البر لشُحِّهم ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ﴾، بترك طاعته، ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾: تركهم من لطفه ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾: الكاملون في التمرد ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ﴾ الخلص ﴿نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِىَ﴾: النار ﴿حَسْبُهُمْ﴾: كافيهم جزاءً ﴿وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: دائم فلا يعتادون عليه كما زعم بعض، أنتم أيها المنافقون ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ﴾: بنصيبهم من لذات الدنيا، ﴿فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ﴾: لا تكرار، إذ الأول لتمهيد التشبيه وتقبيحهم، والثاني: للتشبيه مع ضميمة قوله، ﴿وَخُضْتُمْ﴾: في أباطيلكم، ﴿كَٱلَّذِى﴾: مخفف الذين، أو كالفوج الذي خاضوا، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ﴾: بطلت، ﴿أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾: بعدم قبولها وخلوها عن أجر معجل من نحو حسن الثناء وإلقاء محبتهم في القلوب، ﴿وَٱلْءَاخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾: فأنتم مثلهم ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ﴾: أهلكوا بالطوفان، ﴿وَعَادٍ﴾: بالريح، ﴿وَثَمُودَ﴾: بالصيحة، ﴿وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ﴾: هلك سلطانهم ومعبودهم[٢] ببعوض[١]، ﴿وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ﴾: بنار الظلمة، ﴿وَ﴾: القريات،

---

(١) النمروذ – لعنه الله –.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/ ١١٩)، وعبد الرزاق (١/ ٢/ ٢٨٢)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٣٠) وسنده ضعيف.

﴿الْمُؤْتَفِكَاتِ﴾: المنقلبات بقوم لوط، ﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾: المعجزات الظاهرات فكذبوهم فأخذوا، ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾: أي: ما شأنه ظلمكم من العقاب بلا جرم، ﴿وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: بالتكذيب، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾: يتناصرون، ومرَّ بيان ترك الأسلوب الأول، ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾: السين للتأكيد[2]، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالب، ﴿حَكِيمٌ﴾: في أفعاله، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً﴾: تستطيبها النفس، ﴿فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾: إقامة، أو أعلى درجاتها، والعطف لتعدد الموعود لكل واحد، أو للجمع على سبيل التوزيع أو لتغاير الصفة، ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾: من كلها ﴿ذَٰلِكَ﴾: المذكور، ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ﴾: بالسنان، ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾: باللسان[3]، ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾: بالمقت، ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾: هي، ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾: ماقالوا من سبك، ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾: بتكذيبك، ﴿وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾: من قتلك في طريق تبوك حيث دفعهم عمَّار ﴿وَمَا نَقَمُوا﴾: أنكروا ﴿إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ﴾ حاصله: ما له ذنبٌ عندهم إلا أنَّ الله أغناهم ببركته، ﴿فَإِن يَتُوبُوا يَكُ﴾: التوب، ﴿خَيْرًا لَّهُمْ﴾: روي أن قائله[4] تاب[5]، ﴿وَإِن يَتَوَلَّوْا﴾: عن التوب ﴿يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ﴾: بهم ﴿فِي الْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا

---

(١) معالم التنزيل (٢/ ٣١٠)، الجامع – للقرطبي (٨/ ١٢٨)، البحر المحيط (٥/ ٦٩) تفسير الفخر الرازي (١٦/ ١٠٣)، تفسير ابن كثير (٥/ ١١٤).

(٢) يعني: رحمهم فضلا وتكرما.

(٣) فلم يسل رسول الله – ﷺ – سيفًا على المنافقين حتى لا يقال: إن محمدًا يقتل أصحابه. وانظر: الحكم الجديرة بالإذاعة– للحافظ ابن رجب الحنبلي ص٧٠.

(٤) الجلاس بن سويد.

(٥) أخرجه الطبري (١٤/ ٣٦٢، ٣٦٨) وفيه الكلبي – كذاب ورواه عبد الرزاق في المصنف (١٠/ ٤٦، ٤٧/ ١٨٣٠٣) وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٨٤٦/ ١٠٤٠٣) وسنده ضعيف.

نَصِيرٍ ﴾: ينجيهم فكيف بالآخرة، ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ ﴾: هو ثعلبة بن حاطب[١]، ﴿لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ ﴾: نتصدقن، ﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ ﴾: بدعاء النبي - ﷺ - بحيث ضاقَتْ بغنمهم المدينة، ﴿بَخِلُواْ بِهِۦ ﴾: بمنع الزكاة، ﴿وَتَوَلَّواْ ﴾: عن الطاعة، ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ ﴾: جعل عاقبتهم، ﴿نِفَاقًا ﴾: متمكِّنًا، ﴿فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ ﴾: تعالى بالموت، ﴿بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ ﴾: من التصدق والصَّلاح، ﴿وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾: ثم بعد نزولها جاء بزكاته إليه - ﷺ - فلم يقبل منه ثم إلى أبي بكر وعمر فلم يقبلا، ومات في زمن عثمان رضي الله عنه[٢]، ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ ﴾: من النِّفاق ﴿وَنَجْوَىٰهُمْ ﴾: ما يتناجون به من الطعن في الدين، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ﴾: يعيبون، ﴿ٱلْمُطَّوِّعِينَ ﴾: المتنفلين، ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾: يقولون في من أكثر منها: هو مُرَاءٍ كابن عوف، وفيمن أقل منها لفقره: هو يذكر بنفسه ليعطوه ﴿وَ﴾: يلمزون، ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾: طاقتهم كأبي عقيل الأنصاري جاء بصاع تمرٍ ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾: جازاهم على سخريتهم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾: ونزلت في ابن أُبيّ[٣] إذ مات: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾: فهما سيان في عدم النفع، ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ﴾: أي: كثيرًا من سبَّع إذا كثر.

* **تنبيه:** شَاع استعمال السبعة، والسبعين، والسبعمائة ونحوها في التكثير[٤]،

---

(١) كيف يكون ثعلبة وقد شهد ثعلبة - رضي الله عنه - بدرًا - أسد الغابة (١/ ٢٨٣).

والقصة إسنادها باطل باتفاق أئمة الحديث، أخرجها: الطبري في تفسيره (١٠/ ١٣٠، ١٣١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٤٧، ١٨٤٩)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٣/ ٢٧١/ ١٣٧٥)، والطبراني (٨/ ٢١٨، ٢١٩/ ٧٨٧٣)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٤/ ٢٥٠/ ٢٢٥٣)، وابن قانع في معجم الصحابة (١/ ١٢٤/ ١٢٧)، والبيهقي في الدلائل (١/ ١٢٤/ ١٢٧)، وفي الشعب (٤/ ٧٩، ٨٠/ ٤٣٥٧) وسندها لا يصح، والصحيح أنها في المنافقين.

(٢) هذه خرافة كبرى، وكم من أناس ارتدوا بعد رسول الله ﷺ ثم عادوا للإسلام وتاب الله عليهم .اهـ.

(٣) رأس الكُفر والنفاق.

(٤) فالعدد لا مفهوم له .اهـ.

لاشتمال السبعة على أكثر أقسام العدد كالزوج والفرد، والأول أي: ما لا بعده إلا الواحد والمركب، أي: ما بعده غيره، والفرد الأول كالثلاثة، والفرد المركب كالخمسة، والزوج الأول والمركب والمجذور وَحاصل المضروب في نفسه والجذر المضروب في الأصم بمعنى غير المجذور مثله كالستة، وبمعنى الأول أيضًا، والمنطق بمعنى مقابلهما كالأربعة، والتام: ما أجزاؤه مثله كالستة، والناقص ما تنقص أجزاؤه كالأربعة، قيل: والزائد ما زادت أجزاؤه عليه لاشتمالها على الثلاثة والأربعة الحاصل من ضربهما اثنا عشر ثم السبعين غاية الغاية، إذ الآحاد غايتها العشرات فكأَنَّ المعنى: لَا تستَغْفِرْ لَهمْ أبدًا، ﴿فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ﴾: التأييس، ﴿بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: لا ببخل منا أو قصور فيك، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: المتمردين بكفرهم إلى النجاة، قيل: لمَّا نزلت حمله ﷺ على العدد فقال: «**رَخَّصَ لي ربي فسأزيد على السبعين**»[1]، فنزلت: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾.. إلى آخره، فنسخت بها.

* **تنبيه:** اعلم أن جعله من باب أسلوب الحكيم، والمغالطة كقول القَبعثري[2]: مثل الأمير[3] يحمل على الأدهم[4] والأشهب[5]، في جواب: لأحملنك على الأدهم[6]، لا يخلو من سوء أدب[7]؛ لأنه للتنبيه على أن هذا المعنى هو الأولى بالقصد، وهذا مما تأباه آداب الأنبياء معه تعالى، على أن الحديث يأباه.

فإن قيل: كيف خفي عليه وهو أفصح الفصحاء؟ أجيب بأنها دلت على عدم

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ١٣٨)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٥٤) وسنده ضعيف، وفي لفظ: «**لو أعلم أني إن استغفرت له إحدى وسبعين مرة غفر له؛ لفعلت**». * الدر المنثور (٤/ ٢٥٥).

(٢) هو الغضبان بن القبعثري الشيباني البصري كان فصيحًا- تاريخ دمشق (٥١/ ٤٤/ ٥٦٦٤)، التاريخ الكبير (٧/ ١٠٨)، الجرح والتعديل (٧/ ٥٦) والقبعثري: الجمل العظيم.

(٣) هو الحجاج بن يوسف الثقفي.

(٤) الخيل الأسود.

(٥) الأبيض من الخيل.

(٦) يريد به القيد- والعياذ بالله.

(٧) لأنه غير مُراد والأسلوب الحكيم: إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر.

المغفرة لا ترك الاستغفار واستغفاره وإن لم يترتب عليه مغفرتهم يترتب عليه مصلحة أخرى، وهو[١] إظهار غاية رحمته بمن بعث إليهم[٢]، وحثنا على التراحم، وقوله: «لو رَخّصَ لي ربي فسأزيد على السبعين إن لم أُنْهَ»[٣] والله أعلم، ﴿فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ﴾: أي: عن تبوك، ﴿بِمَقۡعَدِهِمۡ﴾: بقعودهم ﴿خِلَٰفَ﴾ خلف ﴿رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ﴾ للمؤمنين: ﴿لَا تَنفِرُواْ﴾ لغزوة تبوك ﴿فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗا﴾ وقد اخترتموها بالمخالفة، ﴿لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ﴾: ذلك لما تخلفوا ﴿فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا﴾ أي: أيام الدنيا ﴿وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا﴾: أي: في الآخرة، ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾: من النفاق ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ﴾: من المخلفين ﴿فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ﴾: إلى غزوة تبوك ﴿فَقُل لَّن﴾ لا ﴿تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن﴾: لا ﴿تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾: في غزوة تبوك ﴿فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ﴾ المتأخرين من النساء ونحوهن، أو المفسدين ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ﴾: جنازة، ﴿أَحَدٖ مِّنۡهُم﴾: كابن أبي، أو لا تدع له، ﴿مَّاتَ أَبَدٗا﴾: أي: موتًا أبديًا؛ لأن إحياءه للتعذيب كعدمه يعني: مات كافرًا، وقيل: أي: لا تصل أبدًا ﴿وَلَا تَقُمۡ﴾: لنحو زيارة، ﴿عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ۞ وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ﴾: تخرج ﴿أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾: فسِّر مرةً، وكررها للتأكيد، أو هي في غير الأولين، وترك[٤] الفاء لارتباط الأولى بكراهتهم الإنفاق إعجابًا بكثرة أموالهم بخلاف هذا وترك: «لا» في: «ولا أولادهم» دفعًا لما يتوهَّم من تركيب الأولى، وهو أن إعجابهم بأولادهم فوق إعجابهم بأموالهم، وبدَّل «أنْ»[٥] باللَّام[٦] ليعلم أن فعله تعالى لا يُعلل، وترك الحياة؛ تنبيهًا على أن الحياة الدنيا بلغت مبلغًا لا يذكر حسنه[٧]،

---

(١) كذا في جميع النسخ.
(٢) في (ن): إليه.
(٣) من النهي.
(٤) في (ن): وتركت الفاءُ.
(٥) في (ن): (أن يُعذِّبهم).
(٦) في (ن): (ليُعَذِّبهم).
(٧) في نسخة (ن): خِسَّةً، وفي (س): خمسُهُ.

بل يقتصر عنها على ذكر الدنيا، ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾: بعضٌ من القرآن ﴿أَنْ﴾ بأن ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ﴾ الغنى ﴿مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾: بعذر، ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ﴾ النساء ﴿ٱلْخَوَالِفِ﴾: في البيوت، ﴿وَطُبِعَ﴾: ختم ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾: مصالحهم، ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾: قارن إيمانهم إيمانه، ﴿جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾: أي: إن تخلفوا فقد توجه إليه خير منهم، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ﴾: لا يعلمها إلا الله، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾: من عذَّر: قصَّر، أو: أظهر العذر أو اعتذر: مهّد العذر ﴿مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ المسلمين، ﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾: في القعود فأذن لهم ﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: في ادعاء الإيمان عن المجيء للاعتذار، ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾: كالمشايخ، ﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ﴾: في الجهاد، ﴿حَرَجٌ﴾: إثم في التأخر، ﴿إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: بالطاعة سرًّا وجهرًا ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: أي: إلى معاتبتهم، ﴿مِن سَبِيلٍ وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾: لتفريطهم، ﴿رَّحِيمٌ﴾: بهم، ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾: هم سبعةٌ من الفقراء[1]، ﴿قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ﴾: تسيل، ﴿مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾: دمعها، فيه تجوُّزٌ للمبالغة ﴿حَزَنًا﴾: للحزن، ﴿أَلَّا﴾: لئلَّا، ﴿يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾: في الغزو، ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ[2]﴾: بالمعاتبة، ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ﴾: النساء، ﴿ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ﴾: ختم، ﴿ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: لئلا يتعظوا، ﴿فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: كالمجانين، ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾: في التخلف ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾: لن نصدقكم؛ لأنه ﴿قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ﴾: بعض ﴿أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾: أتتوبون أم تُصرون؟ ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: بمجازاتكم، ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾: على عذر التخلف، ﴿لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ﴾: فلا تعاتبوهم، ﴿فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ﴾: دعوهم، ﴿إِنَّهُمْ

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ١٤٦) وسنده ضعيف.

(٢) في هامش (ن): الجزء (١١).

رِجْسٌ﴾: نجسٌ، لا يتطهرون من النفاق، ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۞ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ﴾: بتصديقهم، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: أي: عنهم إذ لا يلبس عليه هؤلاء المنافقون، كانوا ثمانين، منع المسلمون من مجالستهم ومكالمتهم، قاله ابن عباس ﴿ٱلْأَعْرَابُ﴾: البدويون، ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾: من الحضريين لقساوتهم وعدم مخالطتهم العلماء، في الحديث: «**من سكن البادية جفا**»[1]، ﴿وَأَجْدَرُ﴾: وأولى ﴿أَنْ﴾ بأن، ﴿أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بقلوبهم، ﴿حَكِيمٌ﴾: فيما صنع بهم، ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾: في الجهاد ﴿مَغْرَمًا﴾: غرامةً لا يرجوا بها ثوابًا ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ﴾: انقلاب أمركم ليخلص منكم، ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ﴾ دوران ﴿ٱلسَّوْءِ﴾ وهي اسم لعقوبة الزمان ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾: لأقوالهم، ﴿عَلِيمٌ﴾: بضمائرهم، ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾: سبب، ﴿قُرُبَٰتٍ[2] عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ﴾: دعوات، ﴿ٱلرَّسُولِ﴾: فإنه كان يدعوا للمُصدِّقين، ﴿أَلَآ إِنَّهَا﴾: نفقتهم ﴿قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ﴾: السين للتأكيد، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾: من صلى إلى القبلتين، أو من حضر بدرًا أو أسلم قبل الهجرة أو الصحابة، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾: بالإيمان والطاعة إلى القيامة أو بالترضي والثناء عليهم ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾: بما نالوا من نعم الدارين ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: قيل: الفرق بينه وبين المقيد بـ«مِنْ»[3] إفهامه أن منبعها منهُ ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۞ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم﴾: يا أهل المدينة، ﴿مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ﴾: قوم، ﴿مَرَدُوا۟﴾: تمهروا، واستصروا، ﴿عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ﴾: يا محمدُ بأعيانهم ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾: بفضيحة الدنيا وعذاب

---

(١) كذا وهي رواية فيه: «**من سكن البادية جفا، ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى السلطان افتتن**» أخرجه أحمد (١/ ٣٥٧)، وأبو داود (٣/ ٢٨٥٩)، والترمذي (٤/ ٢٢٥٦)، والنسائي (٧/ ٤٣٢٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٩٢٩٦)، والمشكاة (٣٧٠١) والأشهر منها: «**من بدا جفا**».

(٢) في هامش (ن): قربات- حفص.

(٣) يعني: لم يقل: من تحتها.

القبر[1] أو مرة بعد مرة، أي: كثيرًا ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾: في جهنم ﴿وَءَاخَرُونَ﴾: منهم ﴿ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ﴾: بتخلفهم عن تبوك بلا عذر ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾: كالندم والاعتراف بالذنب ﴿وَءَاخَرَ﴾: أي: بعمل آخر، ﴿سَيِّئًا﴾: كتخلفهم، فهذا كبعت الشاء شاةً ودرهمًا، أي: بدرهم، أو تدل على أن كلًّا منهما مخلوط بالآخر ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾: يقبل توبتهم أتى بعسى ليأملوا ولا يتكلوا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾: أي: المخلفين التائبين كأبي لُبابة وأحزابه ﴿صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾: عن الذنوب، ﴿وَتُزَكِّيهِم﴾: تنمي حسناتهم، ﴿بِهَا﴾: فأخذ ثلثها وتصدق به، ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾: ادع لهم، ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ[2] سَكَنٌ﴾: رحمة أو طمأنينة ﴿لَّهُمْ﴾ بقبول توبتهم ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾: لدعائك، ﴿عَلِيمٌ﴾: بأهله، ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ﴾ استفهام للتحضيض ﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ﴾: يقبل، ﴿ٱلصَّدَقَٰتِ﴾: بل تقع في يده قبل يد السائل[3]، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ﴾: ما شئتم أيُّها الحالفون ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: بأن يطلعهم الله عليه ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: بالمجازاة ﴿وَءَاخَرُونَ﴾: من المتخلفين، ﴿مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾: لحكمه في شأنهم، ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾: هم الثلاثة الذين خلفوا، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بأحوالهم، ﴿حَكِيمٌ﴾: فيما يفعل بهم، ﴿وَ﴾: منهم، ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ﴾ بنوا ﴿مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾: مُضارة لأهل قباء ﴿وَكُفْرًا﴾: لتقويته، ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: من مسجد قباء، ﴿وَإِرْصَادًا﴾: ترقبًا، ﴿لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ﴾: في بدر، هو أبو عامر الراهب، وفد بعد البدر إلى الشام؛ ليأتي بجنود قيصر[4] وبنوه له بأمره إرصادًا، لرجوعه، ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ﴾: ما، ﴿أَرَدْنَآ﴾: ببنائه، ﴿إِلَّا﴾: الخصلة، ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: كالصلاة،

---

(١) وهي أحد الآيات الدالة على عذاب القبر – عياذًا بك اللهم.

(٢) في هامش (ن): صلاتك: حفص.

(٣) لحديث أبي هريرة قال: سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: «والذي نفسي بيده ما من عبد يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا طيبًا إلا كأنما يضعها في يد الرحمن».. الحديث.

* أخرجه البخاري (٣/ ٣٢٦/ ١٤١٠) ومسلم (٢/ ٧٠٢/ ٦٣، ٦٤/ ١٠١٤).

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ١٨، ١٩) وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٧٨، ١٨٧٩) والبيهقي في الدلائل (٥/ ٢٦٢، ٢٦٣) وسنده ضعيف.

﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾: في حلفهم ﴿لَا تَقُمۡ﴾: للصلاة ﴿فِيهِ﴾: في مسجدهم، ﴿أَبَدٗا﴾: فأمر بهدمه ثم صار مطرح الجيف ﴿لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ﴾: من أيام وجوده ﴿أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾: هو مسجد قباء كما في البخاري[١]، ويؤيده نسقُ القصة وحديثٌ في ابن ماجة[٢]، أو مسجد المدينة كما في مسلم[٣] وغيره والتحقيق أن رواية نزولها في مسجد قباء لا يعارض تنصيصه- ﷺ[٤]- أنه مسجد المدينة فإنها لا تدل على اختصاص أهل قباء بذلك، ﴿فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾: بالجمع بين الاستجمار والماء في الاستنجاء كأهل قباء كما رواه ابن ماجة [٥] وغيره أو من المعاصي ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ﴾: ظاهرًا وباطنًا، ﴿أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ﴾: مبنيَّه ﴿عَلَىٰ﴾ قاعدة ﴿تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ﴾: طلب مرضاته، ﴿خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا﴾: طرف، ﴿جُرُفٍ﴾: جانب وادي من جهنم، ﴿هَارٖ﴾: متصدع مشرفٍ على السقوط، ﴿فَٱنۡهَارَ﴾: طاح، ﴿بِهِۦ﴾: مع بنائه أو بانيه، ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾: صحَّ أنهم رأوا الدخان حين حفروه[٦]، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: إلى ما ينجيهم ﴿لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ رِيبَةٗ﴾: شكًّا ونفاقًا ﴿فِي قُلُوبِهِمۡ﴾: إذ بتخريبه ازدادوا حسدًا، ﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡ﴾: في القبر بحيث لا يبقى لها قابلية الإضمار، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بنياتهم، ﴿حَكِيمٌ﴾: في الأمر بهدمه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ﴾: تمثيل لإثابتهم، ﴿يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَ﴾: استئناف

---

(١) صحيح البخاري (٧/ ٢٣٨، ٢٣٩/ ٣٩٠٦).

(٢) (١٤١١).

(٣) (١٣٩٨).

(٤) بل هو مسجد رسول الله ﷺ لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «تمارى رجلان في المسجد الذي أسس على ا لتقوي من أول يوم، فقال رجل: هو مسجد قباء، وقال الآخر: هو مسجد الرسول ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «**هو مسجدي هذا**» رواه الترمذي (٢/ ١٤٤/ ٣٢٣) وأصله في الصحيح.

(٥) في عزوه لابن ماجة فقط قصور، والحديث المشار إليه، قال رسول الله ﷺ: «**يا معشر الأنصار! إن الله قد أثنى عليكم خيرًا في الطهور فما طهوركم هذا**؟ قالوا: يا رسول الله! نتوضأ ونغتسل من الجنابة... الحديث». رواه الترمذي (٥/ ٢٦٢)، وأبو داود (١/ ١١)، وابن ماجة (١/ ١٢٧) وسنده ضعيف، لكن صح من غير وجه.

(٦) رواه الطبري (١١/ ١٩)، وانظر تفسير ابن كثير (٢/ ٣٩١).

لبيان الشري، ﴿وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا﴾: مصدران مؤكّدان لنفسه ولغيره، أي: ثابتا، ﴿فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ﴾: لا أحد ﴿أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ﴾: افرحوا غاية، ﴿بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾: هم، ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ﴾: بالإخلاص، ﴿ٱلۡحَٰمِدُونَ﴾: لله، ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾: الصائمون، أو طلبةُ العلم ﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾: المُصلون ﴿ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾: والواو بجعلهما مع ما يليهما كخصلة هو وقيل للثمانية؛ لأنَّ التعداد تَمَّ بالسبعة؛ لأنها تمامٌ عند العرب كالعشرة عندنا، والثامن ابتداء، وهذا لا أصل[١] له، ﴿وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾: شرائعه ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: أي: بشرهم، ﴿مَا كَانَ﴾: ما صح، ﴿لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾: كآمنة أو أبي طالب[٢]، ﴿وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾: بموتهم على الكفر، ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ﴾ إبراهيم ﴿إِيَّاهُ﴾: إن أسلم، بقوله: ﴿لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ﴾[٣] ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ﴾: بموته على الكفر ﴿أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ﴾: متضرع كثير التأوُّه ﴿حَلِيمٞ﴾: صبورٌ على الأذى ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا﴾: ليأخذهم أخذ الضالين ﴿بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ﴾: للإسلام ﴿حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾: ما يجبُ إتقاوه فلا يؤاخذكم بالاستغفار لهم قبل ذلك، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ﴾: فتوجهوا إليه معرضين عنهم ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾: أي: برأهم[٤] عن عُلقة الذنوب، مثل: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾[٥] ﴿فِي سَاعَةِ﴾: وقت، ﴿ٱلۡعُسۡرَةِ﴾: أي: غزوة تبوك في شدّة الحرِّ[٦] والضيق، ﴿مِنۢ بَعۡدِ

---

(١) كذا في (ح)، و(د)، و(ع)، وفي (س): صلة، وسقطت من (ن).

(٢) لو رود النصوص الصحيحة الصريحة فيهما.

(٣) سورة الممتحنة.

(٤) في (د): أبراهم.

(٥) سورة الفتح.

(٦) عسرة الظهر، وعسرة الماء، وعسرة الزاد. * الوسيط (٢/ ٥٢٩).

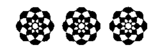
مَا كَادَ يَزِيغُ ﴾: يميلُ، ﴿قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ﴾: عن اتباعه، ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ﴾: تأكيد لما مر، ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾: ﴿وَ﴾: تاب، ﴿عَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ ﴾: خلّفَ الله أمرهم عن أمر الذين ربطوا أنفسهم بالسواري[١]، وعمّن اعتذر بالأكاذيب ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾: بسعتها مثلٌ لشدة الحيرةِ ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ ﴾: لكثرة الهم، ﴿وَظَنُّوٓاْ ﴾: علموا، ﴿أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ ﴾: من سخطهِ ﴿إِلَّآ إِلَيْهِ ﴾: بالتضرع ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ﴾: وفقهم للتوبة ﴿لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾: يقبل التوبة برحمته، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ في إيمانهم وعهودهم، ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا ﴾ أَنْ ﴿يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ﴾: أي: لا يجعلوا أنفسهم راغبة، ﴿عَن نَّفْسِهِۦ﴾: فليكونوا معه في البأساء والضراء، ﴿ذَٰلِكَ ﴾: النهيُ ﴿بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ ﴾: عطش، ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾: تعبٌ ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ ﴾: جُوعٌ ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا ﴾: مكانًا، ﴿يَغِيظُ﴾: يغضبُ ﴿ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا ﴾: من قتل وغيره، ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ﴾: بكل ممّا ذكر ﴿عَمَلٌ صَٰلِحٌ ﴾: استوجبوا به ثوابًا جزيلًا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿وَلَا يُنفِقُونَ ﴾: في سبيل الله، ﴿نَفَقَةً صَغِيرَةً ﴾: قليلًا ﴿وَلَا كَبِيرَةً ﴾: كثيرًا، ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا ﴾: بالسير، ﴿إِلَّا كُتِبَ ﴾: ثوابهما، ﴿لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾: جزاء، ﴿أَحْسَنَ ﴾: من، ﴿مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾: بمعنى حسن ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾: ما من شأنهم، ﴿لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾: جميعًا لغزوٍ؛ إذ كانوا ينفرون جميعًا حذرًا ممّا نزل في المتخَلفين، وهذا في السرايا وما قبلها فيمن خرج معه- ﷺ- ﴿فَلَوْلَا ﴾: هلّا ﴿نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ ﴾: جماعة كثيرة، ﴿مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ ﴾: جمع قليل ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ ﴾: القاعدون، ﴿فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ ﴾: بما نزل وأحكامه، ﴿إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ ﴾: من الغزو، ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾: منه، دلَّ على أن خبر الآحاد[٢] حُجَّة عنه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾: الأقرب فالأقرب، ﴿وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾: شدَّةً، أي: اغلظوا عليهم، ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾: بالإعانة، ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم ﴾: من المنافقين ﴿مَّن

---

(١) الأعمدة.

(٢) وهو مذهب أهل الحديث والأثر – والحمد لله.

يَقُولُ﴾: لبعضهم أو لضُعفاءَ المؤمنين استهزاءً ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾: تصديقًا، بزيادة المؤمن به، ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾: بنزولها ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: نفاق، ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا﴾ كُفْرًا ﴿إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ كفرهم ﴿وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ۝ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾: يبتلون بالقحط وغيره، ﴿فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾: ليتنبهوا، ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾: يعتبرون، ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾: تدبيرًا للفرار، قائلين: ﴿هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾: من المسلمين، فإن رآهم أقاموا وإلا قاموا، ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟﴾: عن النبي - ﷺ - ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾: عن الإيمان، ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾: لا يتدبرون، ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ﴾: شديد، ﴿عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾: عنتكم، أو ما أثمتم به ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾: على صلاحكم ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ﴾: شديد الرحمة، ﴿رَّحِيمٌ﴾: لهم، ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾: عن الإيمان بك، ﴿فَقُلْ حَسْبِىَ﴾: كافيَّ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾: به فقط وَثقْتُ ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾: المُحيطُ على جميع المَخْلوقات.





«سورة يونس»: مكية[1]

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ الٓر﴾: مرَّ بيانه، ﴿تِلْكَ﴾ السُّورةُ ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾: المشتمل على الحكمة[2]، أو الغير المنسوخ[3] بكتابٍ ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ﴾: قُريش ﴿عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾: الكفار، ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ﴾: بأن، ﴿لَهُمْ قَدَمَ﴾: سابقة، ﴿صِدْقٍ﴾: أي: ثواب ما قدّموا، والعرب تقول إذا مدحت شيئًا تضيف إلى صدق كما سيجيء ﴿عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا﴾: القرآن أو الرسول، ﴿لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾: بيّن[4] ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى﴾: قدر، ﴿سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: فسِّر في الأعراف ﴿يُدَبِّرُ﴾: يقدر، ﴿ٱلْأَمْرَ﴾: كله بحكمته ﴿مَا مِن﴾: صلة ﴿شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ﴾: الموصوف ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾: وحِّدوهُ ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: تتعظون ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾: بالموت ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾: مصدران مؤكدان لنفسه ولغيره ﴿إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ﴾: بعد له، أو بعدالتهم ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾: ماء حار وتُغْلي قطرة منه بحرًا[5]، ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾: غير الأسلوب مبالغة في استحقاقهم له، وخصَّ الأولين بالعدل مع أن الكل عدل؛ لمزيد عنايته ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً﴾: ذات ضياء جمع ضوءٍ، وهو ما يبصر به الأشياء ﴿وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾: ذا نور وهو ما يبصر به ذُو النور.

---

(١) في هامش (د): مائة وتسع آيات بالاتفاق إلا ثلاث آيات: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ﴾.. إلى آخر. ثم نزلت هود كلماتها (١٨٣٢)، وفي هامش (ن): بلغ مقابلة.

وعدد سورة القرآن (٢٥٣)، البصائر (١/ ٢٣٨) وفيه (١٤٩٩)، البيان (١٦٣)، القول الوجيز (٢٠٣)، وحروفها (٧٥٦٧)، وعدد سور القرآن (٢٥٣)، البصائر (١/ ٢٠٨)، القول الوجيز (٢٠٣).

(٢) في (ن)، و(د): الحكم.

(٣) أنوار التنزيل (٢٧٢).

(٤) هذا على قراءة: (سِحْر)، وفي هامش (ن): لسَاحِر: حفص.

(٥) أو هو ما يسيل من صديدهم والعياذ بالله.

* **تنبيه:** الضوء يطلق على الشعاع المنبسط والنور على ما للشيء في نفسه فالضوء فرعه، ولكنه أبلغ؛ لأن الإبصار إنما يتأتى به والنور يُبصر به ذُو النور فقط، ولذا جعل الشمس سراجًا فإنه يبصر به الأشياء، وجعل القمر نورًا ليبصر ويهتدى به، ﴿وَقَدَّرَهُۥ﴾: كُلًّا منهما أو القمر؛ لأنَّ المنازل تنسب إليه وحسابُ العامة بالشهور الهلالية ذا ﴿مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾: شهرًا ويومًا لمعاملاتكم، ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا﴾: مُلتبسًا ﴿بِٱلْحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: أي: هم ينتفعون بها ﴿إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: طُولًا ونورًا وضِدّهما ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾: العواقب، فإنه يحملهم على التفكر ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ﴾: لا يتوقعون ﴿لِقَآءَنَا﴾: لإنكار البعث ﴿وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: من الآخرة[1]، ﴿وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا﴾: سكنوا إليها ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا﴾: الكونيَّة والشرعيَّة ﴿غَٰفِلُونَ﴾: بترك النظر فيهما، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾: من المعاصي، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾: إلى ما يؤدي إلى الجنة، ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۞ دَعْوَىٰهُمْ﴾: دعاؤهم لما يشتهون[2] ﴿فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾: فإذا مطلوبهم عندهم ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ﴾ بينهم ﴿فِيهَا سَلَٰمٌۚ﴾ إذْ ملكهم سالم من الزّوال ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ﴾: حين أكلوا ﴿أَنِ﴾: أنه، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ﴾: حين دعوا على أنفسهم نحو: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ﴾[3].. إلى آخره، ﴿ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ﴾: حين دعوه، ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾: فيذهب طعامهم لكن يمهلهم ﴿فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾: استدراجًا لهم، ﴿فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: يتحيرون غايةً ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا﴾: لدفعه مضطجعًا، ﴿لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا﴾: أي: في كل حالاته، ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ﴾: مضى على

---

(١) فالباء بمعنى بدل.

(٢) في (ن): يشتهونه.

(٣) سورة الأنفال.

طريقته قبل الضر، ﴿كَأَن﴾: كأنه، ﴿لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ﴾: كشف، ﴿ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ﴾: من تزيين الحالتين له، ﴿زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾: بالكفر، ﴿مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ﴾: يا أهل مكة، ﴿لَمَّا ظَلَمُواْ﴾: بتكذيب رسلهم ﴿وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: على صدقهم، ﴿وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ﴾: أي: في صَددٍ أن يؤمنوا، ﴿كَذَٰلِكَ﴾: الإهلاك ﴿نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: فاحذروهم، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ﴾ منهم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾: فيجازيكم، ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾: بالبعث ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ﴾: المذكور فيه التوحيد ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾: بإزالة ما نكرهه عنه، ﴿قُلْ مَا يَكُونُ﴾ يصحُّ ﴿لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ﴾: قبل ﴿نَفْسِىٓ إِنْ﴾: ما ﴿أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى﴾: بالتبديل، ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: القيامة، ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾: أن لا أتلوه عليكم، ﴿مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم﴾: أعلمكم الله، ﴿بِهِۦ﴾: على لساني، و«لأدراكم»[1] أي: لأعلمكم على لسان غيري، ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾: أربعين سنة، ﴿مِّن قَبْلِهِۦٓ﴾: وكنتُ أُمِّيًّا ما شَهِدْتُ عالمًا، ولا أنشأت خطبة، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: أنه من الله، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: بالإشْراك، ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: بالشرك، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾: بتركه، ﴿وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾: بعبادته، ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: الأصنام، ﴿شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾: في الدنيا وفي الآخرة، إن كان بعث، ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ﴾: تخبرون، ﴿ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾: وهو أن له شريكًا حالة كونه لا ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: وما لا يعلمه لا يثبت، ونبَّه بالتخصيص على أن شركائهم إما سماوي أو أرضي وعلى التقديرين مقهورة حادثة مثلهم، ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: عن إشراكهم، ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ﴾: بين آدم ونوح[2]، ﴿إِلَّآ

---

(١) وهي قراءة ابن كثير وقنبل والبزي- غيث النفع (٢٤٠)، البحر المحيط (٥/ ١٣٢).

(٢) وقال الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٤٢): يعني من لدن إبراهيم- عليه السلام- إلى أن غيَّر الدِّيْن عَمرو بن لحي.

أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾: على الإسلام، ﴿فَٱخۡتَلَفُواْ ﴾: بالإشراك، ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ ﴾: بأن لكل أمة أجلًا معيَّنًا، ﴿لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ ﴾: عاجلًا، ﴿فِيمَا فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴾: بإهلاك المبطل، ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾: المشركون، ﴿لَوۡلَآ ﴾: هلَّا، ﴿أُنزِلَ عَلَيۡهِ ﴾: على محمد، ﴿ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ ﴾: مما اقترحنا، ﴿فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ ﴾: فلعله يعلم في إنزاله مفاسد، ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ ﴾: إنزاله، ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴾: ما يفعل الله بكم، ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ ﴾: كالرخاء، ﴿مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ ﴾: كشدة، ﴿إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ ﴾: بالطَّعْن، ﴿فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ ﴾: فيمكر إذ دبر عقابكم قبل، ﴿إِنَّ رُسُلَنَا ﴾: الحفظة، ﴿يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ ﴾: للمجازاة، ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ ﴾: يمكنكم من السير، ﴿فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ﴾: في السفن والغاية كأنه قيل: سيركم حتى إذا وقعت هذه الحادثة في مخرج الرياح وتراكم الأمواج وظنّ الهلاك والدعاء جاءتها ريح.. إلى آخره جميع ما في حيز إذا، فلا يردُ أنَّ الكون فيها ليست غاية التَّسْيير، ﴿وَجَرَيۡنَ بِهِم ﴾: فيه التفاتٌ ﴿بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا ﴾: السفن، ﴿رِيحٌ عَاصِفٞ﴾: ذاتُ عَصفٍ وشدَّةٍ والتذكير؛ لأنه من السبب، ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ ﴾: ظرف، ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ ﴾: أي: أهلكوا، ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ﴾: لله، ﴿ٱلدِّينَ ﴾: بترك الشرك قائلين: ﴿لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ ﴾: الشدة، ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۞ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ ﴾: يُفسدونَ ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ ﴾: احتراز عن نحو تخريب ديار الكفرة[1]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ ﴾: يحصلُ وبالهُ ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ﴾: هذا ﴿مَّتَٰعَ ﴾: منفعة بالنصب، أي: تتمتعوا متاعَ ﴿ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾: بالجزاء، ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾: في سُرعة تقضيها واغتراركم بها، ﴿كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ ﴾: اشتبك وتخالط، ﴿بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ ﴾: كالزرع، ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمُ ﴾: كالحشيش ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا ﴾: زينتها، ﴿وَٱزَّيَّنَتۡ ﴾: تزينت بأصناف النبات، ﴿وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ﴾: على منفعتها ﴿أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا ﴾: عذابنا، ﴿لَيۡلًا أَوۡ

---

(١) فإنه بحقٍّ، لا سيما في هذا الزمان فاللهُمّ خَرب ديار الكفرة.

نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا ﴾: أي: زرعها، ﴿حَصِيدًا ﴾: شبيهًا به في طرحه على الأرض، ﴿كَأَن ﴾: كأنها، ﴿لَّمْ تَغْنَ ﴾: لم تلبث، أي: زرعها، ﴿بِٱلْأَمْسِ ﴾: أي: قبيل ﴿كَذَٰلِكَ ﴾: التبيين، ﴿نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۞ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ كما مـرَّ ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ﴾ العمل ﴿ٱلْحُسْنَىٰ ﴾: الجنَّة، ﴿وَزِيَادَةٌ ﴾: النظرُ إلى وجه الله، كذا صحَّ في الحديث(١)، ﴿وَلَا يَرْهَقُ ﴾: يغشى، ﴿وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ ﴾: غبار، ﴿وَلَا ذِلَّةٌ ﴾: هوان، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ﴾ للذين ﴿كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ﴾: تغشاهم، ﴿ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾: عذابه، ﴿مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ ﴾: لكمال سوادها، ﴿قِطَعًا ﴾: لغة في قطع كضلع ﴿مِّنَ ٱلَّيْلِ ﴾: ولو كان جمعًا فقوله: ﴿مُظْلِمًا﴾: حالٌ من الليل ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۞وَ﴾: اذكر، ﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾: الزموا ﴿مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ﴾: لتجازوا وقفا غير موقف لا يكلمهم الله، ﴿فَزَيَّلْنَا﴾: فرَّقْنا، ﴿بَيْنَهُمْ ﴾: تواصلهم ﴿وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ۞ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن ﴾ إنّما ﴿كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴾: لأنا كنَّا جمادا، ﴿هُنَالِكَ ﴾: في ذلك المقام، ﴿تَبْلُواْ ﴾: تُخْبر ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ﴾: من العمل أضار أمْ نافع، ﴿وَرُدُّوٓاْ ﴾ أمرهم ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ﴾ متولي أمرهم ﴿ٱلْحَقِّ ﴾: لا شركائهم الباطل، ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾: أنه إلههم، ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾: بالمطر، ﴿وَٱلْأَرْضِ ﴾: بالنبات، ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ ﴾: أي: خلقهما ﴿وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ﴾: كالنطفة ﴿وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ ﴾: كالنطفة ﴿مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾: أمر العالم، ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ﴾: لوضوحه، ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾: من الشرك مع هذا الإقرار، ﴿ فَذَٰلِكُمُ﴾: المَوْصوفُ ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ﴾ الثابت ربوبيته ﴿فَمَاذَا﴾ ليس ﴿بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ ﴾: كيف، ﴿تُصْرَفُونَ ﴾: عن عبادته، ﴿كَذَٰلِكَ﴾: كما حقت الربوبية، ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ ﴾: حكم، ﴿رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ ﴾: تمردوا وخرجوا عن الاستصلاح بدل من كلمة حقّت أي: حقت ﴿أَنَّهُمْ ﴾: بأنهم، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ ۞قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾:

---

(١) والأحاديث في ذلك كثيرة، بل أفردها الدارقطني والنحاس، والفريابي.

جعلَ الإعادة كالإبداء وإن أنكروها؛ لظهور برهانها ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ فإنهم ينكرونه، ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾: تُصرفون عن الحق، ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ﴾: يهتدي ﴿إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾: هذا حال أشرافهم كالمسيح، فكيف بحجارة؟ أو هدى بمعنى: نقَل أي: يهدي الخلق إلى مراشدهم أحق أو من لا ينتقل من مكان إلا بإمداد الخلق، ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾: بما يبطل بديهة، ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ﴾: أي: كلهم، ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾: مستندًا إلى أقيسة فاسدة كقياس الخالق على المخلوق بمشاركة موهومة[1]، ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ﴾: العلم، ﴿ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾: من الإغناء، دل على أن علم الأصول[2] بلا تقليد واجب، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾: فيجازيهم، ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ﴾ افتراءً ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن﴾: كان، ﴿تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: من الكتاب، ﴿وَتَفْصِيلَ﴾: تبيين، ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾: ما كتب وأُثْبت من الشرائع، ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: مُنـزَّل، ﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ أَمْ﴾: بل، أ ﴿يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾: محمد ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾: في البلاغة افتراءً ﴿وَٱدْعُوا۟﴾: إلى معاونتكم ﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: أنه افتراه، فإنكم أشعر منه وأكتبُ ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾: وهو ما في القرآن ممَّا لم يعرفوا حقيقتها، والمرءُ عدو لما جهل، ﴿وَلَمَّا﴾: لم، ﴿يَأْتِهِمْ﴾: بعد، ﴿تَأْوِيلُهُۥ﴾: مَآل ما فيه من الوعيد، حاصله: فأحبُّوا إنكاره قبل التدبر فيه ومعرفة صدقه، ﴿كَذَٰلِكَ﴾: التكذيب ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: رسلهم ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: وقِسْهُم عليهم ﴿وَمِنْهُم﴾: من المكذبين، ﴿مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾: بعدُ ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾: المعاندين، ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ﴾: أصروا على تكذيبك ﴿فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾: أي: تبرأ منهم، ﴿أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ﴾: من الطاعة، ﴿وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾: من المعصية، نُسخَتْ

---

(١) لأنّ القياس مُركّبٌ من عدة قضايا إن سلمت أنتجت، وإن فسدت، فسدت نتائجه، فصار قياسًا فاسدًا.

(٢) يعني العقيدة.

بالسَّيف[1]، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾: إذا قرأت القرآن بلا قبول، ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾: أتقدر على إسماعهم؟ ﴿وَلَوْ كَانُواْ لَا يَعْقِلُونَ﴾: مع صممهم، نبَّه على أن حقيقة استماع الكلام فهم معناه ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾: ويعاين دلائل صدقك ﴿أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُواْ لَا يُبْصِرُونَ﴾: أي: ولو انضم إلى العمى عدم البصيرة، فهما تعليل للتبري، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا﴾: بسَلْب حواسِّهم وعقولهم، دلَّ على أنَّ للعبد كسبًا واختيارًا، خلافًا للمجبرة، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: بتضييعها، ﴿وَ﴾: اذكر، ﴿يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن﴾: كأنه ﴿لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾: في الدنيا أو القبر لهولِ المحشرِ ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾: يعرف بعضهم بعضًا، كأنهم لم يتعارفوا ﴿إِلَّا سَاعَةً﴾: قليلًا ثم ينقطع التعارف، ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾: بالبعث، ﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾: لمصالح هذه التجارة، ﴿وَإِمَّا﴾: صِلة، ﴿نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾: من العقوبة فذاك، ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾: قبلُ ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾: فنعاقبهم، فعقوبتهم مُتعينةٌ على كلِّ حالٍ ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾: أراد نتيجة الشهادة من الجزاء، ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾: يدعوهم إلى الحقّ، ﴿فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم﴾ مع أنبياءِهمْ ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾: بإهْلاك مكذبيه وإنجاء متبعيه، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ في تعذيبهم، فلا تكرار ﴿وَيَقُولُونَ﴾ المشركون استبعادًا: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾: من العذاب، ﴿إِن كُنتُمْ﴾: أي: الرسول وأتباعه، ﴿صَٰدِقِينَ ۞ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾: فكيف أملك لكم استعجاله؟ ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾: أنْ أملكهُ ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾: لهلاكهم ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾: فُسِّرَ مرَّةً ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾: أخبروني، ﴿إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا﴾ وقتُهُ ﴿أَوْ نَهَارًا﴾: حاصلهُ وقت غفلتكم بالنوم أو طلب المعاش، ولم يذكر ليلا؛ لأنَّ العذاب إذا فاجأ بلا شعور يكون أشد لأنه لا بيات في كله، ﴿مَّاذَا﴾: أي: شيء، ﴿يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ﴾: من العذاب، ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: إذ كله مكروه ﴿أَ﴾ كفرتم ﴿ثُمَّ إِذَا مَا﴾ أي: إن ﴿وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾ وقيل لكم: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ﴾ آمنتم به، ﴿وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾: استهزاءً ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ

---

(١) يعني بآية السيف.

عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ﴾: يستخبرونك، ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾: ما يقول من البعث وغيره، ﴿قُلْ إِى﴾: نعم، ﴿وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾: ثابت، ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾: فائتيه، ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾: غيره أو نفسه بالشرك، ﴿مَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: من الخزائن، ﴿لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾: من العذاب ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾: أخفوا حذرا من التعيير لو أظهروا لشدة الأمر، ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم﴾: مع أنبيائهم، ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾: بالعدل ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ في تعذيبهم، فلا تكرار ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: فيقدر على الكل، ﴿أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لغفلتهم، ﴿هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: بالموت، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: تبين محاسن الأعمال ومقابحها، وهو الحكمة العملية، ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾: من الشكوك، وهو الحكمة النظرية، ﴿وَهُدًى﴾: إلى الحقّ ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: بإنجائهم من الضلال، نزل بالعطف تغاير الصفات منزلة تغاير الذات، نحو:

إلى السيِّدِ القرم وابن الهُمَام[1] ....

﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ﴾: كالإسلام ﴿وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾: كالقُرآن، فليفرحوا، دَلّ عليه: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾: والفاء للربط والدلالة على أن مجيء الكتاب الموصوف موجبه وكررها تأكيدًا ﴿هُوَ﴾ الفرحُ بهما ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾: من المال، ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم﴾: أخبروني، ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ﴾: بأسباب سماوية، ﴿فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا﴾: كالبحائر[2]، ﴿وَحَلَٰلًا﴾: كالميتة، ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾: في هذا الجعل، ﴿أَمْ﴾: بل، ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾: في نسبته إليه، كفى به زاجرًا لمن أفتى بغير إتقان كبعض فقهاء هذا الزمان[3]، ﴿وَمَا﴾: أي: شيء، ﴿ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: أيحسبون عدم مجازاتهم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى

---

(١) صدر بيت من المتقارب، وعجزه:

* وليث الكتيبة في المزدحم *

والشاهد فيه عطف الصفات على بعض لما كان الموصوف بها واحدا.

* الإنصاف (٢/ ٤٦٩)، خزانة الأدب (١/ ٤٥١)، (٥/ ١٠٧)، (٦/ ٩١)، شرح قطر الندى (٢٩٥).

ويروى: * إلى الملك القرم وابن الهمام *

(٢) جمعُ بحيْرة، سبق الكلام عليها في سورة النساء.

(٣) هذا يدل على تقوى المؤلف وورعه - رحمه الله - .اهـ.

ٱلنَّاسِ﴾: بإمهالهم وغيره، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾: نعمته، ﴿وَمَا تَكُونُ﴾: يا محمد ﴿فِي شَأْنٍ﴾: أمْرٍ وقَصْدٍ ﴿وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ﴾: أي: لأجل هذا الشأن، ﴿مِن﴾: صلة أو بعض، ﴿قُرْءَانٍ﴾: أي: ما تتلوا من القرآن، بعضه، أضمر قبل الذكر تفخيما، ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ﴾: أنت مع أمتك، ﴿مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾: مُطلعين ﴿إِذْ تُفِيضُونَ﴾: تخوضون، ﴿فِيهِۚ وَمَا يَعْزُبُ﴾: يبعد ويغيب ﴿عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾: نملة صغيرة أو هباء، ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: قدمها؛ لأنّ الكلام في حال أهلها بخلاف ما في سبأ[1]، ﴿وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾: أي: في الوجود، خصهما بالذكر لعدم تجاوز حسهم عنهما، ﴿وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾: المثقال، ﴿وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾: أي: اللوح، ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾: الذين يتولونه طاعة ويتولاهم كرامة، ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: عند الفزع الأكبر، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: لفوات مأمول، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾: المعاصي، ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: كالرؤيا الصالحة يرونها وترى لهم، أو يرى الملائكة عند النزع، ﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾: بنحو الجنة، ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾: مواعيده ﴿ذَٰلِكَ﴾: المبشر به ﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾: تهديدُ هم، ﴿إِنَّ﴾: استئناف ﴿ٱلْعِزَّةَ﴾، أي: الغلبة والقدرة، ﴿لِلَّهِ جَمِيعًاۚ﴾ وهو معزك، وقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2] بمعنى القدرة وظهور الدين والنصر على الأعداء ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: لأقوالهم، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بقصدهم، ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾: فله العزَّةُ، خَصَّ أولي العقل ليعلم غيرهم من باب الأولى ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾: يعبدون، ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ﴾: حقيقة وإن سمَّوها «شركاء» ﴿أَنْ﴾ ما ﴿يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾: بأنهم آلهة، ﴿وَإِنْ﴾: ما، ﴿هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: يكذبون ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ﴾: لتستريحوا، ﴿فِيهِ﴾: من تعب النهار ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾: تبصرون فيه مكاسبكم، ذكر علَّة خلق الليل ووصف النهار؛ ليدل كل على محذوف مقابله، وترك: لتبصروا؛ تفرقة بين الظرف المجرد والسبب ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾: تدبُّرًا، ﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ

---

(١) حيث قدم السماء، وستأتي.

(٢) سورة المنافقون.

﴿وَلَدًا﴾: كالملائكة، ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ﴾: تنزيهًا له عن التبني ﴿هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾: والتبني للحاجة، ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنْ﴾ ما ﴿عِندَكُم مِّن سُلْطَـٰنٍۭ﴾: دليل، ﴿بِهَـٰذَآ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۞ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾: في الدارين، لهم ﴿مَتَـٰعٌ﴾: قليلٌ ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾: كافترائهم لحفظ رياستهم ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾: بالموت ﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾: ليعتبروا ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ﴾: عظم وشقَّ ﴿عَلَيْكُم مَّقَامِى﴾: إقامتي بينكم، ﴿وَتَذْكِيرِى﴾: إيَّاكُمْ ﴿بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ﴾: اعزموا عليه، ﴿وَشُرَكَآءَكُمْ﴾: مع شركائكم ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ﴾: في قصدي، ﴿عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾: مستورًا، بل أظْهِرُوهُ غايةً ﴿ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟﴾: أدُّوا ﴿إِلَىَّ﴾ إلى ما تريدون بي، ﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾: تمهلون، فإني لا أبالي بكم ثقة بالله[1]، ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن تذكيري ﴿فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾: يفوت بتوليكم فينصرني، ﴿إِنْ﴾: ما ﴿أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: المنقادين لأمر الله ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: أصرُّوا على تكذيبه، ﴿فَنَجَّيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ﴾: من الغرق ﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ خَلَـٰٓئِفَ﴾: من المغرقين، ﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾: المُكذِّبين، ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ بعد نوح ﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾: من المعجزات ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾: ما استقام لهم أن يؤمنوا، ﴿بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ﴾ مِن الحقّ ﴿مِن قَبْلُ﴾: قبل بعثة الرسل وهو تعودهم بتكذيب الحقّ ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ﴾: نختم، ﴿عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾: المجاوزين حدودَ الله، ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم﴾: بعد هؤلاء الرسل ﴿مُّوسَىٰ وَهَـٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ﴾: أشراف قومه، إذْ سفلتهم تبع ﴿بِـَٔايَـٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾: عادتهم الإجرام، ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾: معجزاته، ﴿مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَـٰذَا لَسِحْرٌ[2] مُّبِينٌ﴾: واضحٌ ﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ﴾: إنه أي: إنَّ هذا إلى آخره لسحر يدل على حذفه ما قبله، أو أتعيبونه من المقالة بمعنى

---

(١) في (د): من الله.

(٢) في هامش (ن): حفص: لساحِر.

الطعن ولا يجوز كون المقول، ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾: كلام[١] موسى إلا أن يكون استفهام تقرير، ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا﴾: لتصرفنا، ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا﴾: من عبادة الأصنام، ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾: العظمة، ﴿فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾: مصدقين ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾: حاذق يعارضه، ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾: لعدم مبالاته بهم، ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ﴾: هؤلاء ﴿ٱلسِّحْرُ﴾ لا ما جئت به، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾: يمحقهُ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ﴾: لا يقوى ﴿عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۞ وَيُحِقُّ﴾: يثبت، ﴿ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾: بأمره ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: ذلك، ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ﴾: نحو أولاد شبان، ﴿مِّن قَوْمِهِۦ﴾: موسى من قبل الأم أو فرعون من قبل الأب[٢]، ﴿عَلَىٰ﴾: مع ﴿خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ﴾: أشراف قومه جمع؛ لأنه ذُو صحب يأتمرون له، لا للفظة؛ إذ هو في التكلم فقط، وقيل: مطلقًا، ﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾: يعذبهم، ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ﴾ غالب ﴿فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: في الكبر، ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾: منقادين لأمره، فالإيمان شرط لوجوبه والإسلام لحصوله فليس من تعليق الحكم بشرطين، كإن دخلتها فأنت طالق إن كلمت، بل مثل: إن دخلتها فأنت طالق إن كنت زوجتي[٣]، ﴿فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: بتسليطهم فيفتنونا في ديننا فَيظن بنا الضلال، نَبَّهَ على أن تقديم التوكل على الدعاء يوجب الإجابة، ﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ﴾: كيد، ﴿ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا﴾: اتخذا مباءةً موضع إقامة[٤]، ﴿لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾: مُصلًّى، كانوا لا يصلون إلَّا في كنائسهم، وخافوا من فرعون ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: فيها، ﴿وَبَشِّرِ﴾: يا موسى ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: بالنصر،

---

(١) في (ن)، و(د): بل هي تتمة كلام موسى.

(٢) أنوار التنزيل (٢٨٦).

(٣) ونحوه: إن دعاك زيد فأجبه إن قدرت.

(٤) عمدة الحفاظ (٢/ ٢٣٩/ بوأ).

ثنى[١] أوَّلًا؛ لأنَّ التبوئة للرئيس، ثم جمع[٢]؛ لأن تحصيل مواضع الصلاة يجب على الكل ثم وحَّد؛ لأن البشارة لصاحب الشريعة، ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً﴾: ما يتزين به، ﴿وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ﴾: أي: استدرجتهم بإيتائها، ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾: أذهب نورها وبهجتها فصارت معادنهم مطموسة ودراهمهم حجارة منقوشة ﴿وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: أقسها ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا۟﴾: جواب الدعاء، ﴿حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾: دعا به غضبًا لله ولدينه بعد يأسه من إيمانهم، كلعنتنا[٣] على إبليس، ثم الرضا بالكفر من حيث إنه كُفْرٌ كُفر لا يكفر شخص معين بعقوبته، أو عطف على: ليضلوا، وقيل: بمعنى: فلا آمنوا، ﴿قَالَ﴾: الله، ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ لأن هارون أمن على دعائه، ﴿فَٱسْتَقِيمَا﴾: على الدعوة إليَّ ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: في الاستعجال، ثم حصل بعد أربعين سنة، ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ﴾: في أرضه، ﴿فَأَتْبَعَهُمْ﴾: لحقهم، ﴿فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا﴾: باغين، ﴿وَعَدْوًا﴾: ظالمين، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ﴾: بأنه، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: فدسَّ جبريل في فمه الحَمْأة[٤]؛ مخافة قبوله فقال الله أو جبريل: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ﴾: حين يأسكَ تؤمن: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ﴾[٥] ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾: مدة عمرك ﴿وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: المضلين ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾: نبعدك عن قعر البحر فنجعلك طافيا، ولم ير من الغرقاء غير فرعون ﴿بِبَدَنِكَ﴾: بلا روح أو بدرعك أو نلقيه على نجوةٍ[٦] من الأرض[٧]، قال ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: كان له درع من ذهب يعرف به ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ﴾: بعدك من القرون، ﴿ءَايَةً﴾: عبرة ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ

---

(١) في قوله: «تبوءا».

(٢) في قوله: «واجعلوا»، «وأقيموا».

(٣) في البيضاوي: كلعنة اللهُ إبليس.

(٤) الطين الأسود، الموجود في قاع البحر الأحمر، عند بركة الغرندل.

(٥) سورة غافر.

(٦) مُرتفع.

(٧) في قراءة: (نُنَحِّيْك) بالحاء المهملة.

ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾: لا يتفكرون فيها ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا ﴾: أنزلنا ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ ﴾: منزل، ﴿صِدْقٍ ﴾: الشَّام ومصر، وبين في: «قدم صدق»، ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾: اللذائذ، ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ ﴾: في دينهم، ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ﴾: التوراة، فصار سبب اتفاقهم سبب شقاقهم، ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾: بإقامة المحق، ومعاقبة المبطل ﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ﴾: هذا لتهييجه، أو على الفرض، أو لتوبيخ[١] الشاكين، كقوله لعيسى: ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ ﴾[٢] إلى آخره ﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ﴾: كابن سَلَام؛ فإنه محققٌ عندهم، فقال عليه الصلاة والسلام: «**لا أَشُكُّ ولا أَسْأَلُ**»[٣]، ﴿لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾: بالتزلزل عن يقينك، ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ ﴾: ثبتت، ﴿عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ ﴾: قضاءُ ﴿رَبِّكَ ﴾: بموتهم على الكفر ﴿لَا يُؤْمِنُونَ ۞ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾: وحينئذ لا ينفعهم إيمانهم، ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ ﴾: تحضيض[٤] يتضمن النفي، أي: ليست، ﴿قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ ﴾: أي: أهلها بعد معاينة العذاب، ﴿فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ ﴾: أهل نينوى[٥] من موصل[٦]، ﴿لَمَّآ ءَامَنُوا۟ ﴾: بعد ما عاينوه ففرقوا بين كلِّ حيوان وولده، ولبسوا المسوح[٧]، وتضرعوا إلى الله تائبين، ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ ﴾: دخان أسود غشيهم، ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾: وقت موتهم، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾: مجتمعين على

---

(١) في (ن): التوبيخ.

(٢) سورة المائدة.

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٣٢).

(٤) يعني: «لولا» بمعنى: هَلَّا.

(٥) شمال العراق حاليا وهي بكسر النون الأولى وسكون الأولى وسكون الياء المثناة التحتية بعدها نون مفتوحة. ❊ معجم البلدان (٥/ ٣٣٩)، تقويم البلدان (٢٨٥)، المسالك والممالك - للبكري (١/ ٢٦٨).

(٦) شمال العراق حاليًا- حرس الله أهل السُّنَّة فيها بعينه التي لا تنامُ، وكنفه الذي لا يُضَامُ آمينَ.

(٧) الثياب الخشنة.

الإيمان، فيه رد على القدرية ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ﴾ بما لم يشأ ﴿حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ۞ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: بإرادة الله ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ﴾: الخذلان ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾: حُجج الله ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ﴾: تفكروا ﴿مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: من الصنائع، ﴿وَمَا﴾: لا، ﴿تُغْنِي ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ﴾: الإنذارات، ﴿عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾: أي: لا تنفعهم، ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ﴾: مضوا ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾: فإنهم بارتكاب موجباته كمنتظريه، ﴿قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ۞ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا﴾: حكاية عن الماضي، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كَذَٰلِكَ﴾: الإنجاء، ﴿حَقًّا عَلَيْنَا﴾: أي: بحسب وعدنا، ﴿نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن﴾: صحة، ﴿دِينِي فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾: بقبض أرواحكم، خص التوفي إرهابا لهم عن الإشراك، ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ﴾: بأن، ﴿أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: بالله ﴿وَأَنْ﴾ بأن، ﴿أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾: أي: بالاستقامة فيه، ﴿حَنِيفًا﴾: مائلا عن الشرك، ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ﴾: إن عبدته، ﴿وَلَا يَضُرُّكَ﴾: إن تركته، ﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾: ذلك ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ وَإِن يَمْسَسْكَ﴾: يصبك، ﴿ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾: ذكر الإرادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازمهما؛ ليفهم أنَّ الخير مراد بالذات، والضر[1] ليس بالقصد الأول، وعدل عن الإرادة التي في الأنعام[2]؛ لأن الخير له فلا راد، وإنما الرد فيما يقع، والمَسُّ فيما وقع وما استثني؛ لأن مراده لا يمكن رده ووضع لفضله موضع له[3]؛ ليفهم أنه متفضل بلا استحقاق مِنَّا، ﴿يُصِيبُ بِهِۦ﴾: بالخير، ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾: فتعرضوا لرحمته[4] بالطاعة، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ﴾ القرآنُ ﴿مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾: به، ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦ﴾: نفعه لها، ﴿وَمَن ضَلَّ﴾:

---

(١) في (س): الضرر.

(٢) في قوله: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(٣) يعني: ما قال: فلا رادّ له.

(٤) في (د): للرحمة.

بالكفر به ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ﴾: وبَالُ ضلالهِ ﴿عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾: موكول إليَّ أمْركم ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾: امتثالًا وتبليغًا، ﴿وَٱصْبِرْ﴾: على أذاهم، ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ﴾: بجهادهم أو الهجرةِ ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾: لا يُخْطئُ[1] في حُكمه؛ لاطلاعه على السرائر كالظواهر جَلّ وعَلَا- سُبحانه وتعالى.



---

(١) في (ن): لخطأ.



«سورة هود» مكية[(١)]

لما قال[(٢)]: ﴿قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ﴾، أي: القرآن، ثم قال: و﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ أتبعه بمزيد وصفه فقال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ الٓر﴾: هذا، ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾: نظمًا بلا إخلالٍ لفظًا ومعنًى، أو ما نُسِخت[(٣)]، أو الكتاب آيات السورة فليس فيها منسوخ، ﴿ثُمَّ﴾: للتفاوت في الحكم ﴿فُصِّلَتْ﴾: لُخِّص فيها ما يحتاج إليه، مُنزَّلٌ ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ﴾: تقرير لأحكامها، ﴿خَبِيرٍ﴾: تقوية لتفصيلها ﴿أَنْ﴾ بأن، ﴿لا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ﴾: من الله، ﴿نَذِيرٌ﴾: للمعاصي، ﴿وَبَشِيرٌ﴾: للمُطيع ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾ من الذنوب ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ﴾: ارجعوا ﴿إِلَيْهِ﴾: بالطاعة، أو ثم للتفاوت بينهما، أو ثم توصلوا إليه بها أو الأول من السالفة[(٤)] والثانية من الآنفة[(٥)]، ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾: يُعيشكم في طاعة وقناعة أوسعة، وعلى هذا فلا يردُ تمتيع العاصي المُصِرّ، ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: موتكم، ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ﴾: حسنة ﴿فَضْلَهُۥ﴾ جزاء فضله في الدارين ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ يتولوا ﴿فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾: القيامة، ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: ومنه عذاب المعرض ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ﴾: يخفون، ﴿صُدُورَهُمْ﴾ أي: ما فيها من الثني الإخفاء يقال: ثنى يثني أي: أخفى ﴿لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ﴾: من الله بسرهم، ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾: يتغطون بها في فراشهم، ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ في قلوبهم ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: بأفواههم، ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ﴾: بما في، ﴿ٱلصُّدُورِ﴾: القلوب، ﴿وَمَا مِن[(٦)]﴾: صلة، ﴿دَآبَّةٍ﴾: خصَّها

---

(١) في (د): مائة وثلاث وعشرون آية غير ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وعند البصريين: أحد وعشرون، ثم نزلت يوسف، كلماتها (١٩١٥) القول الوجيز (٢٠٥) البيان (١٦٥) البصائر (١/ ٢٤٦)، وحروفها (٧٥٦٦) عدد سور القرآن (٢٥٨).

(٢) في هامش (ن): بلغ مُقابلة.

(٣) يعني آياتهُ.

(٤) الذنوب الماضية.

(٥) المستقبلة.

(٦) في هامش (ن): الجزء (١٢).

بالذكر؛ لأنها أكثر من الطير ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾: ومن ليس فيها فمستغن عن الرزق، أتي بصيغة الوجوب؛ حثًّا على التوكل، وقيل: بمعنى «من» نحو: ﴿ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[1]، ﴿وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا﴾: في الحياة، ﴿وَمُسۡتَوۡدَعَهَا﴾: في الممات، أو كما في الأنعام، ﴿كُلٌّ﴾: منها مع أحوالها، ﴿فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾: اللوح، فهو عالمٌ بالكلِّ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾: مرَّ بيانهُ ﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾: أي: لم يكن بينهما خلق حائل، دل على إمكان الخلاء، وأن الماء أوّل حادثٍ بعده ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ﴾: ليعاملكم معاملة المختبر، ﴿أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾: بالقلب والجوارح، وإحسانه: الإخلاص فيه، أتى بأفعل مع شموله الكفرة حثًّا على أحاسن المحاسن، وحاصله: ليظهر أفضليتكم لأفضلكم، ﴿وَلَئِن قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ﴾: ما ﴿هَٰذَآ﴾ القرآن الناطق بالبعث ﴿إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ۞ وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِلَىٰٓ﴾: مجيء، ﴿أُمَّةٖ﴾: جماعة من الأوقات والسنين، ﴿مَّعۡدُودَةٖ﴾: قليلة، ﴿لَّيَقُولُنَّ﴾: اسْتِهْزَاءً، ﴿مَا يَحۡبِسُهُۥٓ﴾: عن الوقوع قال تعالى: ﴿أَلَا يَوۡمَ يَأۡتِيهِمۡ﴾: العذاب، ﴿لَيۡسَ مَصۡرُوفًا عَنۡهُمۡ وَحَاقَ﴾ أحاط ﴿بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾: أي: العذاب ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ﴾: أعطيناه نعمة يجد لذَّتها، ﴿ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ﴾: لا يرجو بعده فَرَجًا ﴿كَفُورٞ﴾: مبالغ في كُفْران نعمهِ السابقة ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ بَعۡدَ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ﴾: المصائبُ ﴿عَنِّيٓ﴾: لا ينالني سوء بعده، نبَّه باختلاف الفعلين على أن النعمة مقصودة بالقصد الأول، بخلاف الضر، على مراعاة الأدب، ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ﴾: بَطِرٌ، ﴿فَخُورٌ﴾: على الناس بما أُوتي ﴿إِلَّا﴾: لكن، ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾: على الضراء، ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: شكرًا، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾: لذنوبهم ﴿وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾: فله الجنة، ﴿فَلَعَلَّكَ﴾: لكثرة تخليطهم عليك يتوهَّم أنك ﴿تَارِكُۢ بَعۡضَ﴾: أي: تبليغ بعض، ﴿مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ﴾: وهو ما فيه سبُّ آلهتهم، وطعن دينهم فتتركه مخافة زيادة كفرهم على ظاهره، ولا يلزم من توقعه لوجود ما يدعو إليه وقوعه؛ لجواز صارف كعصمته منه، ﴿وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ﴾: أي: عارضٌ لك أحيانا

---

(١) سورة المطففين.

بتبليغه ضيق صدر مخافة، ﴿أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ﴾: هلَّا، ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ﴾: إنما عليك الإنذار، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾: فتوكَّل عليه، ﴿أَمْ﴾: بل، ﴿يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُۖ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾: بلاغة، ﴿مُفْتَرَيَٰتٍ﴾: مُختلقات، فإنكم أشعرُ وأكتب مني، ثم لما عجزوا تحداهم بسورة كما مَرَّ[1] من كَوْن القرآن غير مُفْترى لا يضر بالمُماثلة إذ[2] الكلام على زعمهم، ﴿وَٱدْعُواْ﴾: إلى معاونتكم، ﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: أنه مفترى، ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ﴾: من دعوتموهم لمعاونتكم هُنا أيها المشركون، ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ﴾: ملتبسا ﴿بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾: بما لا يعلمه إلا الله، أي: لا يعلم بمواقع تأليفه في عُلوِّ طبقته إلا الله- تعالى- فلا يقدر عليه سواه ﴿وَ﴾ اعلموا، ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لظهور عجز آلهتكم، ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾: داخلون في الإسلام بعد قيام الحجة، ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ﴾: بإحسانه، ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾: فقط، ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾: أي: جزاءها، ﴿فِيهَا﴾: في الدنيا بالرخاء، ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ لا ينقصون ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ﴾: بطل أو فسد، ﴿مَا صَنَعُواْ فِيهَا﴾: لفقدهم ثواب الآخرة، ﴿وَبَٰطِلٌ﴾: في نفسه، ﴿مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: لأنه ليس كما ينبغي، ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: برهان، ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾: يهديه إلى الحق كالفطرة السليمة والعقل، وخبره محذوف أي: مثل هؤلاء، ﴿وَيَتْلُوهُ﴾: يتبع البرهان، ﴿شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾: من الله بصحته وهو القرآن، ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ﴾: قبل القرآن، ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾: التوراة، ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾: من الله لهم، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: الذين هم على بينة، ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾: القرآن ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ﴾: بالقرآن ﴿مِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾: أصناف الكفار، ﴿فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾: من الموعد أو القرآن، ﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: به، ﴿وَمَنْ﴾: لا، ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: كالمشرك ونافي القرآن[3]، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: في القيامة، ﴿وَيَقُولُ

---

(١) في سورة يونس.
(٢) كذا في جميع النسخ.
(٣) لأن نافي القرآن كافر.

﴿ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾: جمع شاهد وهم الحفظة أو جوارحهم، أو هُمْ أمةُ محمد- ﷺ-: ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾: الناس، ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دينه، ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾: يريدونها، ﴿عِوَجًا﴾: معوجة كما هم عليه، وَبُيِّنَ في الأعراف، ﴿وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ﴾: فائتين الله ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: الدنيا فتأخير عقوبتهم لحكمة، ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾: يمنعونهم عذابه، ﴿يُضَـٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾: لضلالهم وإضلالهم، أو لأنهم ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ﴾: للحق ﴿وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ﴾: فهم لفرط كراهتهم للحق كغير المستطيع، ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾: أي: سعادتهم باشتراء أسباب العذاب، ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾: من الآلهة وشفاعتها، ﴿لَا جَرَمَ﴾: بمعنى حقّ وفاعله، ﴿أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾: لا أخْسر منهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟﴾: اطمأنوا، ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: بلا شك في ربوبيته ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ مَثَلُ﴾: صفة، ﴿ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾: الكافر والمؤمن، ﴿كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ﴾: بآيات الله معتبرا، ﴿وَٱلسَّمِيعِ﴾: للحق، ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾، تمثيلًا ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: فتفرقوا بينهما، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى﴾: بأني أو قائلين ﴿لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَن﴾: مفسرة، ﴿لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾: وصف اليوم به مبالغة، ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ﴾: الأشراف، ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾: بُيِّنَ في الأعراف: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾: سفلتنا اتبعوك، ﴿بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾: أوله بلا فكر أو ظاهره بلا تعمق، ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾: مطلقًا، ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَـٰذِبِينَ﴾: في دعواكم ﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ﴾: أخبروني، ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: حجة واضحة، ﴿مِّن رَّبِّى﴾: على صدقي، ﴿وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً﴾: نبوة، ﴿مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ﴾: فخفيت البينة، ﴿عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾: الاهتداء بها، ﴿وَأَنتُمْ لَهَا﴾: للبينة، ﴿كَـٰرِهُونَ﴾: نافون، ﴿وَيَـٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على التبليغ، ﴿مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾: فلا تطلبوا مني طردهم، ﴿إِنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾: فيخاصمون طاردهم، ﴿وَلَـٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾: بمراتبهم، ﴿وَيَـٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ﴾: بدفع انتقامه،

﴿إِن طَرَدتُّهُمْ﴾: ظُلْمًا، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾: حتى تجحدوا فضلي لفقري، ﴿وَلَآ﴾ أقول: ﴿أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾: حتى تُكذِّبوني استبعادا، ﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ﴾: حتى تَقولوا: ما نراك إلا بشرا، ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ﴾: تستصغرهم، ﴿أَعْيُنُكُمْ﴾: لفقرهم، ﴿لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا﴾: مما أتاكم، ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾: من الكمالات، ﴿إِنِّىٓ إِذًا﴾: إن قلتُ ﴿لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ﴾: أطلت ﴿جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾: من العذاب، ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾: فائتين عذابه، ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾: يضلكم، تقريره: إنْ أراد الله أغواءَكم فإن أردت نصحكم لا ينفعكم كقولك: أنت طالق إن دخلت الدار إن كلمت زيدا، فلو دخلت ثم كلمت لم تطلق؛ لأن وقوع الطلاق مُعلق بدخول الدار عقب تكليم زيد ولكن دخلت أولا ثم كلمت، ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾: المتصرف فيكم ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: فيجازيكم، ﴿أَمْ﴾: بل، ﴿يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾: نوح، أي: ما أخبره عن الله[1]، ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ﴾ وبالُ ﴿إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ بتكذيبي، ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ لا تحزن، ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾: من تكذيبك، ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ﴾: ملتبسا، ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾: بحفظنا حفظ من يعاين، ﴿وَوَحْيِنَا﴾: إليك كيفية صنعته، ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى﴾: بالدعاء، ﴿فِى﴾: شأن، ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾: بالطُّوفان، ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ﴾: حكايةً عن الماضي ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ﴾: كقولهم: كان نبيًّا فصار نجَّارًا، ﴿قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ﴾: عند نزول عذابكم ﴿كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ منا ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾: يهينه في الدنيا، ﴿وَيَحِلُّ﴾ حلول الدين أو ينزل ﴿عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ دائم في الآخرة، وكان يصنعه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ﴾: فَارَ الماءُ من مكان النار مُعجزةً وغضبًا ﴿ٱلتَّنُّورُ﴾: نبع الماء منه وارتفع كقدر تفور، ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا﴾: في السفينة، ﴿مِن كُلٍّ﴾: من الحيوانات إلا المتولد من الطين كالبق ونحوه، ﴿زَوْجَيْنِ﴾: صنفين ذكر أو أُنثى ﴿ٱثْنَيْنِ﴾: تأكيد وبالإضافة ظاهر ﴿وَ﴾: احمل،

---

(١) أي: الذي أقوله إنما هو عن الله.

﴿أَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾: بهلاكه أي: امرأته وأهله وابنه كنعان، ﴿وَ﴾: احمل، ﴿مَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾: اثنا عشر أو ثمانون[1]، ﴿وَقَالَ﴾: نوح لهم، ﴿ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا﴾: يحتمل المصدر والوقت والمكان، ﴿وَمُرْسَىٰهَآ﴾: أي: مُسمِّين فيهما ﴿إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: برحمته نجانا، ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾: كلّ موجة كجبل ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾: كنعان[2] قبل جريها، ﴿وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ﴾: مكان مُنقطع من السفينة ﴿يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا﴾: في السفينة قبل جريها، ﴿وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: في البُعْد عنَّا، والظاهرُ أن معنى الآية: أسلم لتستحق الركوب معنا ولا تكن معهم في الكُفْر فتغرق، فلا يُشْكل قول نوح: ﴿وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ﴾، وجواب الله بأنه ليس من أهلك بأن الولد قَصَّرَ؛ لأنه ما ركب حين أُمِرَ والله أعلم ﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ﴾: عذاب، ﴿ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾: أي: الراحم أو إلَّا مكان من رحمهُ، وهو السفينة أو بمعنى ذي عصمة كما مرّ، أو معصوم كدائن[3] ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا﴾: نوحُ وولده ﴿ٱلْمَوْجُ فَكَانَ﴾: صار، ﴿مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ وَ﴾ بعد تناهي الطوفان ﴿قِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ﴾: النابع منك، ﴿وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى﴾: أمسكي عن المطر أمر إيجاد، ﴿وَغِيضَ﴾: نقص ﴿ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ﴾: تم الأمر الموعود ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ﴾: جبل شامخ بموصل[4]، روي أنهم لما خرجوا من السفينة بنوا قرية تدعى اليوم قرية «الثمانين»[5] بناحية موصل[6] أو الشام، ﴿وَقِيلَ بُعْدًا﴾: هلاكًا ﴿لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ﴾: أراد نداءه، ﴿فَقَالَ رَبِّ﴾: وفي مريم[7] النداء بمعناه فلا فاء ﴿إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ

---

(١) سبق.

(٢) الدر المنثور (٣/ ٣٣٢)، غرر التبيان (٢٨٢)، زاد المسير (٤/ ١٠٩)، الكشاف (٢/ ٢٧٠)، وقيل: اسمه يام.

(٣) بمعنى: مديون.

(٤) جنوب تركيا - غرر التبيان (٢٨٢) تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٣٧/ ١٠٩١٥).

(٥) وهي بالعراق - الوسيط (٢/ ٥٧٥) ومنها الإمام الثمانيني النحوي وهي من بلاد الجزيرة.

* معجم البلدان (٢/ ٨٤)، تقويم البلدان (٢٧٥)، معجم ما استعجم (١/ ٣٤٤)، الروض المعطار (١٥٠).

(٦) صانها اللهُ عن أيدي المجوس والملاحدة- آمين.

(٧) يعني في قوله: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾.

﴿ٱلۡحَقُّ﴾: بإنجاءهم المفهوم من الأمر بحملهم ﴿ٱلۡحَقُّ﴾ فلم لم ينج؟ ﴿وَأَنتَ أَحۡكَمُ﴾: أعدل ﴿ٱلۡحَٰكِمِينَ ۝ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ﴾: لقطع الموالاة بين المسلم والكافر ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ﴾: ذو عمل، أو هذا سؤال[1] ﴿غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ﴾ بصوابه ﴿عِلۡمٌۖ﴾ سمَّاهُ سؤالا باعتبار استنجازه الوعيد في شأن ولده ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ﴾ أنهاكَ ﴿أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾: وسمي سؤاله جهلا؛ لأن حب الولد أشغله عن تذكر استثناء من سبق إلى آخره، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ﴾: بعد ذلك، ﴿مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ﴾: بصحته ﴿وَإِلَّا﴾: إن لم، ﴿تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾: أعمالا، ﴿قِيلَ﴾: بعد استقرارها على الجودي: ﴿يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ﴾: من السفينة مصحوبا ﴿بِسَلَٰمٖ﴾: بأمن ﴿مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ﴾: خيرات تامات، ﴿عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ﴾: ناشئة، ﴿مِّمَّن مَّعَكَۚ﴾: من المؤمنين إلى يوم[2] القيامة، ﴿وَأُمَمٞ﴾ ممَّن معك ﴿سَنُمَتِّعُهُمۡ﴾: في الدنيا ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾: هم الكافرون، ﴿تِلۡكَ﴾: القصة، ﴿مِنۡ أَنۢبَآءِ﴾: أخبار، ﴿ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ﴾: يا محمدُ ﴿مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ﴾: مثل نوح، ﴿إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ﴾ الحُسنى ﴿لِلۡمُتَّقِينَ﴾: عن المخالفة ﴿وَ﴾: أرسلنا، ﴿إِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾: وَحدهُ ﴿مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ﴾: ما، ﴿أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ﴾ في إشراكه، ﴿يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾: على التبليغ ﴿أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓ﴾ خلقني ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾: فتعرفوا المُحقَّ من المبطل ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ﴾ عمَّا سلفَ ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ﴾: ارجعوا، ﴿إِلَيۡهِ﴾: بالطاعة ﴿يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا﴾: كثير الدَّرِّ ﴿وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ﴾: مع ﴿قُوَّتِكُمۡ﴾ بالمال والولد وشدة الأعضاء، عن الحسن رحمه الله[3]: «من كَثُرَ استغفاره كَثُر نَسلُه» ﴿وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ﴾: مُصرّين على إجرامكم، ﴿قَالُواْ﴾: عنادا، ﴿يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ﴾: حُجَّة واضحة على صدقك، وما كان محتاجا إلى معجزة، لكونه على شريعة غيره، وكان يأمرهم بالعقليات[4]، وقيل: بل معجزته

---

(١) يعني لا يصلح أن تسألني هذا السُّؤال.

(٢) سقطت من (ن).

(٣) في (ن)، و(د): رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٤) في (س)، و(ع): بالفعليَّات.

تسخير الريح الصرصر، ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي﴾: عبادة، ﴿ءَالِهَتِنَا﴾ صادرين ﴿عَن قَوْلِكَ﴾: بقولك، ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾: بمُصدقين[1]، ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ﴾: أصابك ﴿بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾: بجنون؛ لأنك تسبهم ﴿قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ﴾ على نفسي ﴿وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۞ مِن دُونِهِۦ﴾: به، ﴿فَكِيدُونِى﴾: أنتم مع كمال قوَّتكم وآلهتكم ﴿جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ لا تُمْهلون وهذا من معجزاته، ﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ تمثيل لقدرته عليهم وتصريفهم على ما يريده، ومن لطائفه أنه مادة اسم قائله على قاعدة[2] المُعمى[3]، ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: على العدل، فيجازي كُلًّا بعمله أو: يدل عليه[4] ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾: فتتولوا فلا شيء عليَّ ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ﴾: وما عليَّ إلَّا البلاغ، ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾: بعد استئصالكم، ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُۥ﴾: بإعراضكم ﴿شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ﴾: فلا تخفى عليه أعمالكم ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾: بهلاك عاد، ﴿نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾: من عذاب الدنيا، وهو سموم[5] دخل في أنوفهم وخرج من أدبارهم، وقطعهم عُضوًا عضوا، ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾: لا بأعمالهم، ﴿وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾: عذاب الآخرة ﴿وَتِلْكَ﴾: القبيلة، ﴿عَادٌ ۖ جَحَدُواْ﴾: كفروا ﴿بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ﴾ جمع لأن من عصى أحدهم فقد عصى كلهم

---

(١) في (ن)، و(د): مصدقين.

(٢) يعني «الدال» في «دابة» وكذلك قوله: «هو» فيكون «هُود»، وللحافظ مُرتضى الزبيدي كتاب نافع في المعمّى. اهـ.

(٣) «المعمى» فن شبيه بالإلغاز والأحجية، وقد ألف فيه الخليل، وذكره الثعالبي - والحريري أول من اخترع المعمى و استعار له اسم «الأحجية» في مقامته الثانية والثلاثين، وإنما اخترعها؛ لامتحان الألمعية والذكاء، وقال: وشرطها أن تكون ذات مماثلة حقيقية وألفاظ معنوية لطيفة أدبية.

وهو رياضة ذهنية، ولابن الحنبلي كتاب: «كنز من حاجي وعمى»، كقول الوطواط في البرق:

خُذِ القُربَ ثُمّ اقلِبْ جَميعَ حُروفِهِ ... فَذَاك اسمٌ من أقصى مُنَى القلب قربه

* المعجم المفصل في الأدب (٢/ ٨٠٩، ٨١٠).

وقوله «ومن لطائفِهِ.. إلخ، يعني في قوله: «مَا مِنْ دَابةٍ إلَّا هُوَ ءَاخِذٌ» فـ «هو» حرفان من «هود».

(٤) يعني أن الله يدُلُّ على الصراط المستقيم.

(٥) يعني الريح العقيم- والعياذ بالله .اهـ.

﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ﴾: أي: سفلتهم، ﴿أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾: طاغ أي: كبراءهم ﴿وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾: لعنوا على ألسنة كل نبي بعدهم، ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْۗ أَلَا بُعْدًا﴾: هلاكا ﴿لِّعَادٍ﴾: هذا بعد هلاكهم للتسجيل على استحقاقهم ﴿قَوْمِ هُودٍ﴾: هم الأولى[١]، ميَّزهم عن عاد الإرم وهم الثانية، وأومأ إلى سَبب استحقاقهم ﴿وَ﴾: أرسلنا ﴿إِلَىٰ﴾: قبيلة، ﴿ثَمُودَ أَخَاهُمْ﴾: واحدًا منهم ﴿صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم﴾ أباكم ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ﴾: أقدركم على عمارتها، دل على أنه -تعالى- يريد عمارتها لا التبتل، أو أطال عمركم ﴿فِيهَا﴾ إذ فيهم من له ألف سنة ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾: عمَّا[٢] مضى، ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ﴾: ارجعوا، ﴿إِلَيْهِ﴾: بالطاعة، ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ﴾: بالرحمة، ﴿مُّجِيبٌ﴾ لداعيه ﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا﴾: في الرشد والسداد، ﴿قَبْلَ هَٰذَآ﴾: الأمر، ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾: حكايةً عن الماضي ﴿وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾: من ترك الأصنام، ﴿مُرِيبٍ﴾: موقع في الريبة، فيه مبالغة، ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ﴾: أخبروني، ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: حُجَّة ﴿مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾: نبوة، ﴿فَمَن يَنصُرُنِي﴾: يمنعني، ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾: من عذابه، ﴿إِنْ عَصَيْتُهُۥ﴾: في التبليغ، ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي﴾: إذن باستتباعكم إياي، ﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾: في حسناتي أو أنسبكم إلى الخسارة، ﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾: فسر في الأعراف ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾: عاجل، ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ﴾: لهم صالح، ﴿تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾: من العقْر: الأربعاء، والخميس، والجمعة، ثم تهلكون ﴿ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾: فيه أو مصدر كالمخلود، ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾: بإهلاكهم ﴿نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾: لا بطاعتهم، ﴿وَ﴾: نجيناهم، ﴿مِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾: يوم هلاكهم بالصيحة، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ﴾: القادر، ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: الغالب، ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ﴾: مع زلزلة فتقطعت قلوبهم كما مرّ ﴿فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾: خامدين ميتين ﴿كَأَن﴾: كأنهم، ﴿لَّمْ يَغْنَوْاْ﴾: يقيموا، ﴿فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ

---

(١) في هامش (ن): عاد أولى.

(٢) في (ن): ممّا.

﴿كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدًا﴾: هلاكا، ﴿لِّثَمُودَ﴾: فسر في عاد وصرفه باعتبار أنه اسم جدهم وعدمه باعتبار القبيلة، ﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ﴾: اثنا عشر ملكًا، ﴿إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ﴾: بالولد والخلة [١] وإنجاء لوط، ﴿قَالُواْ﴾: سلمنا عليك ﴿سَلَٰمٗاۖ قَالَ﴾: إبراهيم عليكم، ﴿سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ﴾ في ﴿أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ﴾: مشويٍّ على الحجارة المحمَاة أو يقطر ودكُهُ ﴿فَلَمَّا رَءَآ﴾: إبراهيم، ﴿أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ﴾: أنكر ذلك منهم، ﴿وَأَوۡجَسَ﴾: أضمر ﴿مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ﴾: لأن من أتى بشرٍّ لا يأكل ﴿قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ﴾: بالعذاب، ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ﴾: ابنة عمته [٢] سارة، ﴿قَآئِمَةٞ﴾: لخدمتهم، ﴿فَضَحِكَتۡ﴾: سرورا بالأمن [٣] أو إنجاء لوط، أو حاضت لتوقِنَ بالولدِ ﴿فَبَشَّرۡنَٰهَا﴾: بلسانهم، ﴿بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ﴾: نُصب بحذف الباء ورُفع بالابتداء، والبشارة إما باسمهما كيحى أو بُشّر بهما. ثم سمَّاها بعدما سمِّيا حكاية، ﴿قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ﴾: يا عجبا، ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ﴾: ابنة [تسعين] أو تِسْعٍ وتسعين ﴿وَهَٰذَا بَعۡلِي﴾: زوجي، ﴿شَيۡخًاۖ﴾: ابن مائة وعشرين، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ۞ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ﴾: قدرة، ﴿ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ﴾: يا، ﴿أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ﴾ دُعاءٌ أو تذكيرٌ فلا عجب من تخصيصكم به، ﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٞ﴾: محمود، ﴿مَّجِيدٞ﴾: كثير الخير، ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ﴾: الخيفة، ﴿وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ﴾: أخذ ﴿يُجَٰدِلُنَا﴾: أي: رسلنا ﴿فِي﴾: تخليص، ﴿قَوۡمِ لُوطٍ﴾: من العذاب، ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ﴾: كثير التَّأوُّه للذنوب وللناس ﴿مُّنِيبٞ﴾: راجعٌ إلى الله، قالت الملائكةُ: ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ﴾: الجدال، ﴿إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ﴾ عذابه ﴿وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ﴾: بشفاعة ﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا﴾: بعد خروجهم من قرية إبراهيم، ﴿لُوطٗا سِيٓءَ﴾ حَزِنَ ﴿بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ﴾: بمكانهم، ﴿ذَرۡعٗا﴾: ضيقة، مثل في العجز كما أن رحبة مثل في القدرة، لأن [٤] الطويل الذراع ينال ما لا يناله

---

(١) يعني أن الله اتخذه خليلا.

(٢) كذا، وقيل: هي سارة بنت هاران بن ناحور بنت عمه. * الوسيط (٢/ ٥٨١).

(٣) يعني في قولهم: «لا تَخَفْ».

(٤) سقط من (س).

القصير، وهم جاءوا في أحسن صُور[١] الغلمان، فخاف عليهم من قومه، ﴿وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾: شَديدٌ وامرأته أخبرت القوم[٢] به، ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ﴾: يسرعون ﴿إِلَيْهِ﴾: لطلب الفاحشة معهم، ﴿وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: الفواحش، فصارت عادتهم، ولذا أسرعوا مُجاهرين فأغلق الباب دون ضيفه وقام وراء الباب يدفعهم[٣]، ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى﴾: تزوَّجوهُنَّ واتركوهم، إذ كانوا يطلبوهن فلم يجبهم لخبثهم، ﴿هُنَّ أَطْهَرُ﴾ حالًا ﴿لَكُمْ﴾: من نكاح الرجال أو مثل الميتة أطيب من المَغْصوب، ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾: لا تفضحوني، ﴿فِى﴾: شأن، ﴿ضَيْفِىٓ﴾ إذ إخزاء ضيفه إخزاؤه ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾: يعرفُ الحقَّ، ﴿قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾: حاجة ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾: من إتيانهم فلما تسوروا، ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ﴾: بدفعكم لا تتخلف[٤]، ﴿قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ﴾ أستند ﴿إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾: أي: قوي أتمنع به عنكم لدفعتكم، قالوا الأضياف: ﴿يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ﴾ إلى إضرارك بإضرارنا ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ﴾: في طائفةٍ ﴿مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ﴾ لا يتخلَّفْ ﴿مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ أو: لا يلتفت لما وراءه من متاعه؛ لئلَّا يتأخر[٥] عن الخروج ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾: فلا تَسر بها ﴿إِنَّهُۥ﴾: الشأن، ﴿مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ﴾: من العذاب، ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ﴾: موعد عذابهم ﴿ٱلصُّبْحُ﴾: فاستعجل فقالوا: ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾: فخرج بابنتيه عند الفجر وطويت له الأرض ونجا ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾: بعذابهم، ﴿جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا﴾: عالي مدائن[٦]، ﴿سَافِلَهَا﴾: أدخل جبريل جناحه تحتها ورفعها حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب ثم قلبها، وكانوا أربعة آلاف ألف[٧]، ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾ حِينَ الصَّعيد ﴿حِجَارَةً مِّن

---

(١) في (ن): صُورة.

(٢) وهذا من خيانتها مع كفرها.

(٣) في نسخة (د): ذكر هذا التفسير بعد قوله «معهم».

(٤) كذا في (ح) فقط.

(٥) في (ن): يأخر.

(٦) كذا- ولعلها: عَالي مدائنهم، أو: عالي المدائن، أو: عَالي مدائن لوط.

(٧) الطبري (١٥/ ٤٤٢)، معالم التنزيل (٢/ ٣٩٦)، الرازي (١٨/ ٣١)، الوسيط (٢/ ٥٨٤).

سِجِّيلٍ ﴾: أصله سنكل[١] حجر وطين فعُرِّب، أو هو السماء الدنيا كما أن السجين الأرض السفلى ﴿مَّنضُودٍ ﴾: متتابع أو نضد بعضها على بعض ﴿ مُّسَوَّمَةً ﴾: مُعلمة مكتوبًا فيها اسم من يقتل بها[٢]، ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾: في خزائنه ﴿وَمَا هِيَ﴾: هذه النقمة، ﴿مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾: ظالمي هذه الأمة[٣] كما في الحديث[٤]، ﴿بِبَعِيدٍ ﴾: ﴿وَ﴾ أرسلنا، ﴿إِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ﴾: من أشرفهم[٥] نسبا ﴿شُعَيْبًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾: كانوا عبدة الأصنام معتادين البخس، ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَۚ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾: موسرين فلم تطففون، ﴿وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴾: لا يفلت منه أحد، وصف اليوم به مجازا، ﴿ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ﴾: بالعدل، صرح به بعد النهي عن ضده ليبين وجوب الإيفاء ولو بزيادة لا يتأتى دونه، ﴿وَلَا تَبْخَسُواْ﴾: تنقصوا، ﴿ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ ﴾: تبالغوا في الفساد[٦]، ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: بقطع الطريق، حال كونكم ﴿مُفْسِدِينَ ﴾: في الدين، بُيِّن في البقرة ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ ﴾: ما أبقاه من الحلال بعد إيفاء الكيل والوزن ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾: من التطفيف، ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾: إذ لا خير في حلال بلا إيمان، ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾: بل ناصح، ﴿ قَالُواْ ﴾ تهكُّمًا: ﴿يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ ﴾: بتكليف، ﴿أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ ﴾: نترك، ﴿أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ﴾: من البخس أو تقطيع الدراهم، ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾: تهكموا به ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ ﴾: حجة وبصيرة، ﴿مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ ﴾: بلا كَدٍّ مِنِّي[٧] ﴿رِزْقًا حَسَنًا ﴾: حلالًا، فهل لي مخالفته، ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ ﴾: أسبقكم، ﴿إِلَىٰ مَآ ﴾: أي: عملكم الذي، ﴿أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُۚ إِنْ ﴾: ما،

---

(١) كذا، وقيل: هو معرب عن «سنك» و«كل». * الوسيط (٢/ ٥٨٤).

(٢) معاني القرآن - للزجاج (٣/ ٧٢)، الوسيط (٢/ ٥٨٥)، ابن كثير (٤/ ٢٧١).

(٣) يعني في حكم اللائط - ابن كثير (٢/ ٤٥٥).

(٤) يشير إلى حديث: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط، فاقتلوا الفاعل والمفعول به» أخرجه أبو داود (٤٤٦٢) والترمذي (١٥٢٣)، وابن ماجة (٢٥٦١) وسنده ضعيف.

(٥) في (ن): أشرافهم.

(٦) من العِثَّة التي تلحس الصوف ونحوه فتفسده، والعامة في مصر يسمونها: «عِتَّه» بالتاء المثناة.

(٧) في (ن): كدي.

﴿أُرِيدُ﴾: بنصحكم، ﴿إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ﴾: لإصابة الحق، ﴿إِلَّا بِٱللَّهِ﴾: بإعانته، ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾: أرجع بعد الموت ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: لا يكسبنكم، ﴿شِقَاقِىٓ﴾: مُعاداتي، ﴿أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾: من الغرق، ﴿أَوْ قَوْمَ هُودٍ﴾: من الريح، ﴿أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ﴾: من الصيحة، ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ﴾ مهلكهم ﴿مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾: زمانا[1] ومكانا فتذكروا، ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾: عمَّا سلف، ﴿ثُمَّ تُوبُوٓا۟﴾: ارجعوا، ﴿إِلَيْهِ﴾ بالطاعة ﴿إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ﴾: للتائبين، ﴿وَدُودٌ﴾: بليغُ المودة بهم ﴿قَالُوا۟﴾: استهانةً: ﴿يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾: لأنك أعمى[2] بلا خدم، ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾: أي: عزَّتهم؛ لأنهم على ديننا، وهو[3] من ثلاثة إلى عشرة، ﴿لَرَجَمْنَٰكَ﴾: لقتلناك برمي الأحجار، ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾: فتمنعنا عزتك عن الرَّجم ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ﴾ تعالى ﴿وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾: ذليلا كشيء ملقى وراء الظهر ﴿إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾: فيجازيكم، ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟﴾ قارين ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: حالكم التي أنتم عليها كالشرك، ﴿إِنِّى عَٰمِلٌ﴾: على ما أنا عليه، ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾: يفضحه ﴿وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟﴾: انتظروا ما أقول ﴿إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾: منتظر، ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾: عذابنا، ﴿نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾: لا بأعمالهم، ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾: صاح بهم جبريل فهلكوا ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾: ميتين وأصله[4] لزوم المكان ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟﴾: يُقيموا ﴿فِيهَآ أَلَا بُعْدًا﴾: هلاكا، ﴿لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾: فإنهم أهلكوا بالصيحة أيضًا لكن صيحتهم من تحتهم وصيحة هؤلاء من فوقهم مع رجفة وظلمة، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: مُعجزاته ﴿وَسُلْطَٰنٍ﴾: حجة ﴿مُّبِينٍ﴾: واضح، ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾: بتكذيب موسى ﴿وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾: مُرشد إلى الخير، وإنه، ﴿يَقْدُمُ﴾ يتقدَّمُ ﴿قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ﴾: جعلهم واردين،

---

(١) الوسيط (٢/ ٥٨٧)، الرازي (١٨/ ٣٩)، معالم التنزيل (٢/ ٣٩٩)، فتح القدير (٢/ ٥٢٠).

(٢) البحر المحيط (٥/ ٢٥٦)، الوسيط (٢/ ٥٨٧).

(٣) يعني: الرهط.

(٤) الجثوم.

﴿ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ﴾: الذي وردوه؛ لأنه[١] لتبريد الكبد، والنار بضده، ﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ﴾ العطاء ﴿ٱلۡمَرۡفُودُ﴾: المعطى رفدهم[٢] وهو اللَّعْنُ ﴿ذَٰلِكَ﴾: النبأ، ﴿مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ﴾: المهلكة، ﴿نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَۖ﴾: يا محمد، ﴿مِنۡهَا قَآئِمٞ﴾: آثاره، كحيطانه، ﴿وَ﴾ منها ﴿حَصِيدٞ﴾: عافي الأثر، ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ﴾: بإهلاكهم، ﴿وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡۖ﴾: فاستحقوه، ﴿فَمَآ أَغۡنَتۡ﴾ دفعت ﴿عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ﴾: شيئا من عذابه ﴿لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ﴾: عذابه، ﴿وَمَا زَادُوهُمۡ﴾: أي: الآلهة، إياهم، ﴿غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ﴾: هلاك، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: الأخذ، ﴿أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ﴾ أهل ﴿ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ﴾: تعليل لأخذه، ﴿إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾: غير مرجو الخلاص ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إهلاكهم ﴿لَأٓيَةٗ﴾: لعبرة، ﴿لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ ذَٰلِكَ﴾: اليوم الآخر، ﴿يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ﴾: فيه الخلائق، ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ﴾: اليوم، ﴿إِلَّا لِأَجَلٖ﴾: لوقت، ﴿مَّعۡدُودٖ﴾: معلوم متناهٍ، ﴿يَوۡمَ﴾: حين ﴿يَأۡتِ﴾ اليوم أو هو تعالى، ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾: هذا في موقف، وفي موقف آخر ﴿لَا يَنطِقُونَ﴾[٣] فتقسيمه لا ينافي الأعراف[٤]، ﴿فَمِنۡهُمۡ﴾: من أهل الموقف، ﴿شَقِيّٞ﴾: باستحقاق النار، ﴿وَ﴾: منهم ﴿سَعِيدٞ﴾: باستحقاق الجنة، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ﴾: في ذلك اليوم، ﴿لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ﴾: إخراج نفس، أو صوت في الحلق، أو أول نهيق[٥] الحمار، ﴿وَشَهِيقٌ﴾: ردها[٦] أو صوت في الصدر أو آخر نهيقه[٧]، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾: سموات الآخرة وأرضها، أي: ما يظلهم ويقلهم إذ وجودهما معلوم من الحديث ودوامهما معلوم من دوام الجنة والنار، أو عبر بذلك عن الدوام

---

(١) أي الوِرْد، وهو مكان الشرب.

(٢) المخصوصُ بالذّمِّ.

(٣) سورة المرسلات.

(٤) يعني التقسيمة الثنائية: شقيّ، وسعيد. لا تنافي الثلاثية: شقي، وسعيد، ومن أصحاب الأعراف.

(٥) في (س): شهيق!!.

(٦) يعني: ردّ النفس.

(٧) في (س): شهيقه.

كما هو دأب العرب، ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾: استثناء من الخلود، فإنَّ الفساق لا يخلدون أو لخروجهم من النار إلى الزمهرير وغيره، أو الله عالم بثنياه وقيل: من قوله: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾.. إلى آخره» وقيل: كقولك: والله لأضربنك إلَّا أن أرى غير ذلك، مع جزم عزمك على ذلك ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾: بلا اعتراضٍ عليه، ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ﴾ مجهولٌ[1] بمعنى أُسعدوا، أو من محذوف الزائد ﴿فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾: هو مُدة اتصالهم بِجَنَابِ القدس، أو مدة عذاب الفساق ويؤيده: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾: مقطوع، أو إلا فيهما بمعنى سوى، نحو: له عليَّ ألف إلا الألفان القديمان، أي: مُدة بقائهما سوى ما شاء ربك، أو هو زمان موقفهم للحساب أو «ما» فيهما بمعنى من وحينئذ ففي الثاني تعليل[2]، بل في الكل تكليف، وهو استثناء لا يفعله تنبيها على أنه إن شاء إلا يخلدهم لما أخلدهم، ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ﴾: شك، ﴿مِّمَّا يَعْبُدُ﴾: من عبادة، ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: المشركين أي: في أنها كفر مُؤَدٍّ إلى ما حلَّ بسلفهم، ﴿مَا يَعْبُدُونَ﴾: عبادةً ﴿إِلَّا كَمَا﴾: كان ﴿يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ﴾: فسيلحقهم ما لحقهم ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾: من الجزاء، ﴿غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾: للتأكيد، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾: آمن به بعض وكفر به بعض، كهؤلاء في القرآن، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾: بإنظارهم إلى القيامة، ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾: لفرغ من جزائهم، ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾: من كتابك ﴿مُرِيبٍ﴾: موقع في الريبة ﴿وَإِنَّ كُلًّا﴾: كل مؤمن وكافر، ﴿لَّمَّا﴾: بالتشديد، أصله لمن ما، أي: لمن الذين، وبالتخفيف ما صلة، أو بمعنى «من» مخففة عاملة أي: والله، ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾: أي: جزاءها، ﴿إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۞ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ﴾: أي: مثل الاستقامة التي، ﴿أُمِرْتَ﴾: بها بلا إفراط وتفريط، ﴿وَمَن تَابَ﴾: من الكفر وآمن، ﴿مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ﴾: لا تتجاوزوا ما[3] أمرتم، ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: دل على وجوب اتباع النصوص بلا تصرف بنحو قياس

---

(١) يعني الفعل الماضي مبني للمجهول «سُعِدُوا».

(٢) في (ن): نظر.

(٣) في (ن): عمَّا.

واستحسان، ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ﴾: لا تميلوا أدنى ميل ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم، ﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾: بذلك، ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾: أعوان يمنعونكم من عذابه، ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾: لا ينصركم الله بشؤم الركون إليهم، ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾: الصبح وبعد الزوال والعصر، ﴿وَ﴾: ساعات، ﴿زُلَفًا﴾: قريبة من النهار، ﴿مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾: المغرب والعشاء وفي الكل خلاف، ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ﴾: كلها، ﴿يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ﴾: القرآن ﴿ذِكْرَىٰ﴾: عظة، ﴿لِلذَّٰكِرِينَ﴾: للمتعظين[1]، ﴿وَٱصْبِرْ﴾: على الطاعة، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿فَلَوْلَا﴾: هلَّا للتعجب والتوبيخ، ﴿كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ﴾ ذوو ﴿بَقِيَّةٍ﴾ خير ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: لكن، ﴿قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾: نهوا عنه، ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: بترك النهي، ﴿مَآ أُتْرِفُواْ﴾: أنعموا، ﴿فِيهِ﴾: من الشهوات، معرضين عن غيرها، ﴿وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾: فيه استؤصلوا، وقيل: معناه اتبعهم آثارهم وديارهم في الهلاك، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ﴾: ما صَحَّ له ﴿لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾: بشرك، ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾: فيما بينهم بالاتباع لفرط مسامحته في حقوقه، ولذا تقدم حقوق العباد على حقه عند تزاحم الحقوق، وقيل: أي بظلم تفريع ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: مسلمين، ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾: في فواسد العقائد، ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾: فاجتمعوا على الحق، ﴿وَلِذَٰلِكَ﴾: الاختلاف، ﴿خَلَقَهُمْ﴾: اللام للعاقبة أو للتمكين نحو: ﴿لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾[2]، أو بمعنى على، نحو ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾[3] أو كذلك الرحمة والضمير لـ «من» ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ﴾ قضاءُ ﴿رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ﴾ مُتمردي ﴿ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾: أي: منهما لا من أحدهما، ﴿وَكُلًّا﴾: كل نبأ، ﴿نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ﴾: هو ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾: بزيادة يقينك، ﴿وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ﴾ الأنباء ﴿ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُواْ﴾: قارين[4] ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: حالتكم من التجرد ﴿إِنَّا عَٰمِلُونَ﴾: على حالنا،

---

(١) في (ن): المتعظين.

(٢) سورة غافر.

(٣) سورة الصافات.

(٤) في (س): قادرين.

﴿ وَٱنتَظِرُوٓاْ ﴾: بنا الدوائر، ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾: عقابكم ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾: لا يخفي عليه ما فيهما، ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ﴾ الأمور ﴿كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾: فيجازي كلًّا بما يستحقه جل وعلا سبحانه تعالى - والله أعلمُ.





«سورة يوسف»[١]: مكية[٢]

لما قال: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ ﴾... إلى آخره أتبعه بأحسن القصص فقال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿ الٓر تِلْكَ ﴾: الآيات التي في السورة، ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾: الواضح إعجازهُ ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ ﴾: الكتاب، ﴿قُرْءَٰنًا ﴾: مَجموعًا أو مقروءًا، ﴿عَرَبِيًّا﴾: بلغتكم ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾: تفهمون، ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾: فصاحةً أو: أحسن المقصوص حكمًا ونكتًا والظاهر: أحسنها في بابه لا من سائرها حتى قصة حبيب الله ﷺ أو: نُبيِّنُ أحسن البيان ﴿بِمَآ أَوْحَيْنَآ ﴾: بإيحائنا، ﴿إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾: عن هذه القصص، اذكر ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ ﴾: يعقوب، ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ﴾: من الرؤيا وهي انطباع الصورة المنحدرة[٣] عن أفق المتخيلة إلى الحس المشترك وصدقها باتصال النفس عند أدنى فراغه من تدبير البدن إلى الملكوت فيتصور بمعان فيه ثم تحاكيه المتخيلة بصورة تناسبه فيرسلها إلى الحس المشترك فتشاهد، فإن كانت شديدة المناسبة استغنت عن التعبير و إلا فتُعبَّر، ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾: عدل عن: ثلاثة عشر، وعطف لتفضيلهما، ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴾: جمع كالعقلاء؛ لأن السجود من خواصهم[٤]، ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ﴾: صُغِّر للشفقة ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ ﴾ لإهلاكك ﴿كَيْدًا﴾: لحسدهم لو علموا تأويلها وهو النبوة والغلبة عليهم، ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ وَكَذَٰلِكَ ﴾: الاجتباء بهذه الرؤيا، ﴿يَجْتَبِيكَ﴾ يصطفيك ﴿رَبُّكَ﴾: بالنبوة والملك، ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾: الرؤيا؛ لأن صادقها حديث الملك، وكاذبها حديث الشيطان، أو الكتب، ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ

---

(١) في (ن): سورة يوسُف- عليه السلام- مكيَّة.

(٢) في هامش نسخة (د): سورة يوسف مكية مائة وإحدى عشر آية بالاتفاق بشير اليسر (١٠٧)، البيان (١٦٧) كلماتها (١٩٩٦) عدد سور القرآن (٢٦٣)، البيان (١٦٧)، القول الوجيز (٢٠٩) وحروفها (٧١٧٦) في عدد سور القرآن (٢٦٣): (٧١٦٦) ثم الحجر.

(٣) انظر: الفيوض الإلهية شرح الألفية الوردية - للإمام المناوي (٩٥/ بتحقيقي- ط دار الفتح).

(٤) بل يسجد لله ما في السماوات وما في الأرض من دابة ا.هـ.

﴿وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾: بنيه، استدل بضوءِ الكواكب على نُبوتهم ﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ﴾: الجدِّ وأبي الجدِّ ﴿مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾: بمن يستحق، ﴿حَكِيمٌ﴾: في إعطائه، ﴿لَّقَدْ كَانَ فِى﴾: قِصَّةِ، ﴿يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ﴾ العلات ﴿ءَايَٰتٌ﴾: عظةٌ، ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾: للمستخبرين، ﴿إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾: من الأبوين[1] ﴿أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾: جماعة أقوياء نرافقه فنحن أحقُّ ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: بترك التعديل، ولا تجب عصمةُ الأنبياء عن مثله[2]، ﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾: فتكون بعيدة ﴿يَخْلُ﴾ يخلص ﴿لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾: عن إقباله إليه، ﴿وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: بعد قتله ﴿قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾: بالتوبة عنه، ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾: يهوذا[3]، ﴿لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ﴾: قَعْر ﴿ٱلْجُبِّ﴾: البئر، ﴿يَلْتَقِطْهُ﴾: يأخذه، ﴿بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾: المُسافرين ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾: بمشورتي فافعلوا، ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا﴾: تخافنا، ﴿عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾: نشفق عليه، ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا﴾: إلى الصحراء، ﴿غَدًا يَرْتَعْ﴾: يتَّسعُ في الملاذِّ، ﴿وَيَلْعَبْ﴾: بمثل الاستباق، سماه لعبًا لشبهه له، ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۞ قَالَ﴾: يعقوب ﴿إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ﴾: لقلة صبري عنه، ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾: لأن أرضهم مذئبه[4]، ﴿وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ﴾: بلعبكم، ﴿قَالُوا۟﴾: والله، ﴿لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾: جماعة أقوياء، ﴿إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾: لمغبونون، أعرضوا عن جواب العذر الأول؛ لأنه[5] الذي أغضبهم ثم أرسله معهم، ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ﴾ جوابه محذوف يدل عليه: ﴿وَأَجْمَعُوٓا۟﴾: اتفقوا، ﴿أَن يَجْعَلُوهُ﴾: يلقوه، ﴿فِى غَيَٰبَتِ﴾: قَعر ﴿ٱلْجُبِّ﴾: ببيت المقدس[6] أو غيره، ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾: في الجب صغيرًا كعيسى ويحيى، والله ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم﴾: لتخبرن إخوتك، ﴿بِأَمْرِهِمْ﴾: بصنيعهم، ﴿هَٰذَا﴾: ببشارة بنصرته عليهم، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: أنك يوسف لعلوِّك ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً﴾: آخر النهار،

---

(١) في (ن): للأبوين.

(٢) يعني الغيرة والغبطة.

(٣) غرر التبيان (٢٨٤)، زاد المسير (٤/ ١٨٥) الوسيط (٢/ ٦٠١).

(٤) مليئة بالذئاب.

(٥) في (د) لأمر.

(٦) غرر التبيان (٢٨٤)، زاد المسير (٤/ ١٨٥).

﴿يَبْكُونَ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾: نتسابق في[1] الرمي والعدو ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَـٰعِنَا﴾: ثيابنا، ﴿فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ﴾: مُصدِّق ﴿لَّنَا﴾: فيه ﴿وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ﴾: لسوء ظنك بنا، ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ﴾: فوقَ ﴿قَمِيصِهِۦ﴾: حال من، ﴿بِدَمٍ﴾: ذي، ﴿كَذِبٍ قَالَ﴾: ما أكله الذئب، ﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾: زَيَّنتْ ﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾: عظيمًا، ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾: أجمل وهو ما لا شكوى فيه إلى الخلق[2]، ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ﴾ تحمُّل ﴿مَا تَصِفُونَ﴾: من هلاكه ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ﴾: مسافرون من مَدين إلى مصر، ﴿فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ﴾: الذي يرد الماء ليستقي للقوم ﴿فَأَدْلَىٰ﴾: أرسل، ﴿دَلْوَهُۥ﴾: في الجُبِّ، فتدلى يوسف بالحبل فخرج، فلما رآه، ﴿قَالَ يَـٰبُشْرَىٰ﴾: تعاليْ فهذا أوانك أو اسم صاحبه، ﴿هَـٰذَا غُلَـٰمٌ﴾: وكان ابن سبعة عشر، ﴿وَأَسَرُّوهُ﴾: أخفى الواردون من أصحابهم لئلا يشاركوهم، ﴿بِضَـٰعَةً﴾: متاعًا للتجارة أو أخفى إخوته أنه أخوهم وباعوه منهم، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ وَشَرَوْهُ﴾: باعه الواردون أو الإخوة، ﴿بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ﴾: مَبخوس زيف أو ظُلْم ﴿دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾: عشرين، ﴿وَكَانُواْ﴾: البائعون، ﴿فِيهِ﴾: في يوسف، ﴿مِنَ ٱلزَّـٰهِدِينَ﴾: الراغبين عنه، لَاباعوه مخافة الانتزاع عنهم، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ﴾: قطفير[3] العزيز، ﴿لِٱمْرَأَتِهِۦٓ﴾: زُلَيْخا[4]، ﴿أَكْرِمِى﴾: أحسني ﴿مَثْوَىٰهُ﴾: بحسن التعهد ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾: إذ كان عقيمًا، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: التمكين، ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أرض مصر لمصالح، ﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾: الرؤيا، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾: لا رَادَّ لما أراد ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أن الأمر كله بيده، ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾: منتهى اشتداد قوته وهو سن الوقوف من ثلاثين إلى أربعين[5]، وَبُيِّن في الأنعام[6]، وقيِّدَ في قصة موسى بقوله ﴿وَٱسْتَوَىٰٓ﴾، وهو البلوغ إلى أربعين لبعثته بعده، ﴿ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا﴾: نبوة، ﴿وَعِلْمًا﴾:

---

(١) في (ن): إلى.
(٢) الوسيط (٢/ ٦٠٤).
(٣) غرر التبيان (٢٨٥).
(٤) غرر التبيان (٢٨٥)، فتح القدير (٣/ ١٥).
(٥) زاد المسير (٤/ ٢٠٠).
(٦) في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾.

بالدين والتعبير[١]، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: الجزاء، ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۞ وَرَٰوَدَتْهُ﴾: طلبته بهوى، أو كنى بها عن المخادعة، ﴿ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا﴾: زُليخا ﴿عَن نَّفْسِهِۦ﴾: بطلب موافقتها ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾: السبعة وتهيَّأتْ ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ﴾: تهيأت، أو: أقبل ﴿لَكَ﴾: لامه للتبيين، ﴿قَالَ﴾: يوسف، ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾: أعوذ به معاذًا لله ﴿إِنَّهُۥ﴾: تعالى، ﴿رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾: منزلتي فكيف أعصيه، أو الضمير للشأن، وربي أي: سيدي، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: بكفران النعمة، ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾: قصدت مخالطته ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾: قصد مخالطتها أي: قصدًا طبعيًّا لا يؤاخذ به لا إراديًّا، ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾: في قبح الزِّنا أو جبريل أو يعقوب عاضًا على أصبعه ضاربًا صدره فخرجت شهوته من أصبعه، قاله ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[٢] - أريناه ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ﴾: الخيانة، ﴿وَٱلْفَحْشَآءَ﴾: الزنا، ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾: أخلصناه لعبادتنا ﴿وَٱسْتَبَقَا﴾: يوسف للهرب وزليخا لمنعه ﴿ٱلْبَابَ﴾: أي: إليه، ﴿وَقَدَّتْ﴾: شقّت، ﴿قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ﴾: خَلف؛ لأنها اجتذبته ﴿وَأَلْفَيَا﴾: صادفا ﴿سَيِّدَهَا﴾: زوجها، ﴿لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ﴾: إيهامًا بأنها فرَّت منه: ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا﴾: زنا ﴿إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ قَالَ﴾: يوسف: ﴿هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾: صبي في المهد، وهو من أربعة تكلموا صغارا[٣]، فقال، ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾: لأنه تبعها وقدَّته، بدفعها إياه أو نحو ذلك، ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: فإنها تبعته وجذبَتْ ثوبه ﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ﴾: أي: قولها: ما جزاء من أراد- إلى آخره، ﴿مِن كَيْدِكُنَّ﴾: يا نسوة، ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾: إشارةً إلى تلك الفعلة عادة كلهن، ثم قال: يا ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾: اكتمه ﴿وَٱسْتَغْفِرِى﴾ يا زليخا ﴿لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾: كان قليل الغيرة بل قال في البحر[٤]: إن تربة مصر تقتضي[٥] هذا، ولذا لا ينشأ منها الأسد[١]، ولو

---

(١) يعني تفسير الأحلام.

(٢) الوسيط (٢/ ٦٠٨)، معالم التنزيل (٢/ ٤٢٠) وهذا لا يصح.

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٧٥) وسنده ضعيف.

(٤) البحر المحيط (٥/ ٢٩٧).

(٥) أقول: هذا من تحامل أبي حيان - رحمه الله - وكم في تفسيره من مخالفات ورمي الملك بعدم الغيره باطل؛ لأنه ثبت عنده بقرائن حالية وكلامية وشواهد قاطعة أن يوسف - عليه السلام - لم يعمل شيئا =

دخل فيها لا يبقى[٢]، ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾: مِصْر، ﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا﴾: عبدها، ﴿عَن نَّفْسِهِۦ﴾: تطلب منه الفاحشة، ﴿قَدْ شَغَفَهَا﴾: دخل في شِغاف قلبها، أي: غلافه، ﴿حُبًّا﴾: من جهة الحبِّ، ﴿إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾: غيبتهن في الخفية كالمكر، ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾: دعتهنَّ، ﴿وَأَعْتَدَتْ﴾: أعدت، ﴿لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾: ما يتكأ عليه أو مجلسًا فيه مفارش أو أطعمة تقطع بالسكين[٣]، ﴿وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾: لقطع ما يقطع، ﴿وَقَالَتِ﴾: بعد أخذهن السكاكين، ﴿ٱخْرُجْ﴾: يا يوسف، ﴿عَلَيْهِنَّ﴾: والخروج يستعمل بعلى في نحو غلبة أو ريبة أو آية، ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ﴾: هبن حُسنه لتلألؤ[٤] وجهه على الجدران، أو حِضن[٥] شَبقًا[٦]، ﴿وَقَطَّعْنَ﴾: جرحن، ﴿أَيْدِيَهُنَّ﴾: حيرة، ﴿وَقُلْنَ حَٰشَ﴾: تنزيهًا، ﴿لِلَّهِ﴾: من العجز، ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ﴾: ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾: في الحسن، إذ ركز في الطباع تناهي حسن الملك كتناهي قبح الشياطين، ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾: بالغ في عصمته لما بان عذرها اعترفت، ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ﴾: به، ﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾: الأذلَّاء، ولما قلن: أطع مولاتك، ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ﴾: آثر عندي ﴿مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ﴾: من إطاعتها، ﴿وَإِلَّا﴾: لم، ﴿تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ﴾: أمل ﴿إِلَيْهِنَّ﴾: لأنهن دعونه إلى أنفسهن أيضًا، ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾: بارتكاب القبائح ﴿فَٱسْتَجَابَ﴾: فأجاب، ﴿لَهُۥ رَبُّهُۥ﴾: دُعاءه، المفهوم من كلامه، ﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾: بالعصمة[٧]، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: للدعوات، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بالحالات، ﴿ثُمَّ بَدَا﴾: ظهر ﴿لَهُم﴾: للعزيز وأصحابه، ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟

= مما يعمله البطالون، ولذا كان حريصا على أن يستر الأمر وأن يكتمه؛ لدقة مركزه ا.هـ.

(١) تأثر المصنف هنا بالطبيب علي بن رضوان البغدادي في كتابه «دفع مضار الأغذية».

(٢) لأنّ الله قال: ﴿ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ يعني من نحو سبُع، أو ثعبان.. إلخ ولذا كان النبيُّ صصص حينما ينزل بأرضٍ يستعيد بالله من شرِّ الأسد، والأسود- الثعبان. ثم كم دخلَ مصر من أسدٍ دافع عن دين الله وكسر رأس الكفر كأحمد بن طولون، وصلاح الدين، وقطز، وبيبرس، وقلاوون... إلخ.

(٣) الوسيط (٢/ ٦١٠).

(٤) في (ن): لتلالي.

(٥) لأن الكابر من أسماء الحيض.

(٦) الشبقُ: شدَّة الشهوة.

(٧) في (ن): بالمعصية.

﴿ٱلْأَيَٰتِ﴾: الدالة على براءته أن يسجنوه يدل عليه: ﴿لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ﴾: إلى زمان، ليحسب الناس أنه المجرم لا امرأته، فسجنوه ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ﴾: ساقي الملك وخبازه[١] لذنب وهو قصدهما إهلاك الملك بالسمِّ ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ﴾: الساقي، ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ﴾: في النوم، ﴿أَعْصِرُ خَمْرًا﴾: عنبًا، ﴿وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ﴾: الخبَّازُ، ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا﴾: أخبرنا، ﴿بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۞ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ﴾: بتأويل[٢] ما ذكرتما، أو بتأويل الطعام الذي يأتيكما، ﴿قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا﴾: بما يؤول إليه مما غاب فهو كمُعجزة عيسى: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ﴾[٣]- إلى آخره وأصل التأويل الخبر عما مضى أي: بيان هيئته وكيفيته، وأراد به دعوتهما إلى الإسلام، ولذا قال: ﴿ذَٰلِكُمَا﴾: العلم، ﴿مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ﴾: لا من نحو كهانة[٤]، ﴿إِنِّى﴾: لأني، ﴿تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾: أي: أهل مصر، وأراد بالترك ترك إعراض لا ترك انتقال وكذا في نظائره، ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ﴾: ما صحَّ، ﴿لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ذَٰلِكَ﴾: التوحيد، ﴿مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا﴾: بالوحي، ﴿وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾: بإرسالنا إليهم لإرشادهم، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾: ذلك فيعرضون عنه، ﴿يَٰصَٰحِبَىِ﴾: ساكني، ﴿ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ﴾: متعددة، ﴿خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾: الغالبُ الذي لا يُعادِلُهُ أحد، ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً﴾: بلا معان، ﴿سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا﴾: بعبادتها، ﴿مِن سُلْطَٰنٍ﴾: حُجَّة، ﴿إِنِ﴾ ما ﴿ٱلْحُكْمُ﴾: في أمر العبادة، ﴿إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾: أي: وحِّدوهُ ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾: المستقيم، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: فيشركون، ﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا﴾: الساقي، فيخرج بعد ثلاث، ﴿فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا﴾: يعود إلى منصبه[٥]، ﴿وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ﴾: الخبَّازُ، فيخرج بعد ثلاث،

---

(١) غرر التبيان (٢٨٦).

(٢) في (ن): تأويل.

(٣) سورة آل عمران.

(٤) الإخبار بالمستقبل.

(٥) كذا في (ن)، و(د).

﴿فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ﴾: فقالا: كَذَبْنَا، فقال، ﴿قُضِيَ﴾ قُطِعَ ﴿ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ۞ وَقَالَ﴾: يوسف، ﴿لِلَّذِى ظَنَّ﴾: أيقن؛ لقوله: قُضِي - إلى آخره، ﴿أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾: أي: الساقي[1]، ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾: الملك الأعظم رَيَّان بن الوليد[2] ليخلصني من العزيز، ﴿فَأَنسَىٰهُ﴾: الساقي، ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ﴾: أي: ذكره عند، ﴿رَبِّهِۦ﴾: أو أنسى يوسف ذكر الله فاستعان بغيره، ﴿فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ﴾: ما بين ثلاث إلى[3] تسع، ﴿سِنِينَ﴾: كان لبثه سبعًا، ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ﴾: الأعظم، ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ﴾: في منامي[4]، ﴿سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ﴾: خرجن من نَهرٍ يابس، ﴿يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ﴾ من البقر ﴿عِجَافٌ﴾ في غاية الهزال، ﴿وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ﴾: انعقد حبها، ﴿خُضْرٍ وَ﴾: سبعًا، ﴿أُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾: استحصدت والتوت اليابسات على الخضر حتى غَلبَتْ عليها، اكتفى بذكر أحوال البقرات عن ذكرها، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ﴾: الأشراف، ﴿أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ﴾: عبروها، ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾: عالمين بعبارتها، وهي الانتقال من الصورة الخيالية إلى المعاني النفسانية التي هي مثالها، ﴿قَالُوٓا۟﴾: هذه، ﴿أَضْغَٰثُ﴾: تخاليط، ﴿أَحْلَٰمٍ﴾: جمع ضِغْثٍ، وأصله ما اختلط من الأمور وما حزم من أخلاط النبات، مستعار للرؤيا الكاذبة، جمع مبالغة في بطلانه، ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا﴾: الساقي، ﴿وَٱدَّكَرَ﴾: تذكر يوسف ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾: جماعة كثيرة من الزمان، ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ﴾: إلى عالم التأويل، فأرسله فجاء، وقال يا ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾: الكثير الصدق، ﴿أَفْتِنَا فِى﴾: رُؤيا ﴿سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ﴾: الملك وأهله، ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: تأويلها، ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾: دائمين مستمرين على عادتكم، هذا تأويل السبع السمان والسنبلات الخضر، ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ﴾: لئلَّا يفسد، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾:

---

(١) غرر التبيان ص ٢٨٦.

(٢) غرر التبيان (٢٨٧)، حسن المحاضرة (١/ ١٨).

(٣) في (د): أو.

(٤) في (د): نومي.

تلك السنة وهذا نصح[١]، ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾: السبع، ﴿سَبْعٌ﴾: سنين، ﴿شِدَادٌ يَأْكُلْنَ﴾: يؤكل فيها ﴿مَا قَدَّمْتُمْ﴾: أدخرتم ﴿لَهُنَّ﴾: بواسطة القحط، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ﴾: تحرزون للبذر، وهذا تأويل العجاف واليابسات، ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾: من القحط أو بمطر، ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾: ما يعصر كالعنب والزيتون أو ينجون أو يمطرون، وهذا إعلام بالغيب ولعله علمه بالوحي، ثم رجع الساقي بالتعبير، ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ﴾: من السجن، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ﴾: من الملك ﴿قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾: ليعلم الملك براءتهُ وسكت عن زليخا احترامًا، فيه أنه ينبغي الاجتهاد في نفي التهم، ﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾: حيث قلن: أطِع مولاتك، ﴿قَالَ﴾ الملك: ﴿مَا خَطْبُكُنَّ﴾: شأنكن، ﴿إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ﴾: هل وجدتن فيه سُوءًا، ﴿قُلْنَ حَاشَ﴾: تنزيهًا، ﴿لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾: ثم لما أقبلن إلى زليخا ليقررنها، ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ﴾: ظَهَر أو ثبت ﴿الْحَقُّ﴾: أقرت مخافة شهادتهن، ﴿أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾: فيما نسبه إليَّ، فرجع وأخبر به يوسف فقال: ﴿ذَٰلِكَ﴾: أي: رد الرسول قبل، ﴿لِيَعْلَمَ﴾ العزيزُ ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾: بظهر الغيب، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾: ثم قال له جبريل: ولا حين هممت فقال[٢]: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ[٣] نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ﴾: بطبعها ﴿لَأَمَّارَةٌ﴾: صاحبها، ﴿بِالسُّوءِ إِلَّا مَا﴾ من ﴿رَحِمَ رَبِّي﴾: من النفوس، أو لكن رحمة ربي تصرفه، ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: يتجاوزعن همِّها ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ﴾: أجعله خالصًا، ﴿لِنَفْسِي﴾: بلا شريك، ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ﴾: بعدما أتوا به، ﴿قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ﴾: ذو مكانة ومنزلة، ﴿أَمِينٌ﴾: مُؤْتمنٌ ﴿قَالَ اجْعَلْنِي﴾: ولِّني ﴿عَلَىٰ﴾: أمر، ﴿خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾: أرض مصر، ﴿إِنِّي حَفِيظٌ﴾: لها، ﴿عَلِيمٌ﴾: بوجوه التصرف فيها، دل على جواز طلب التَّولية وإظهار أنه مستعد لها وتولي المسلم من الكافر حيث لا سبيل إلى إقامة الحق إلا به، وطلبه لا ينافي نهاية

---

(١) وإرشاد وتعليم للمصريين كيفية الزراعة والتخزين؛ لأن مصر دولة زراعية وصناعية وكلاهما مكمل للآخر مساعد له فاللهم أصلح شأن مصر والطف بأهلها واهدهم إلى ما فيه صالحهم آمين.

(٢) الوسيط - للواحدي (٢/ ٦١٧).

(٣) في هامش (ن): الجزء (١٣).

زهد الأنبياء؛ لأنه لإمضاء حدود الله مع علمه بتعيينه لذلك، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: التمكين، ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾: أرض مصر؛ إذ توجه الملكُ بتاجه وعزل العزيز وولاه مكانه فمات العزيز وتزوج يوسف بزوجته فوجدها عذراء[1]، ﴿يَتَبَوَّأُ﴾: ينزل، ﴿مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾: أراد استيلاءه على جميعها، ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾: عاجلًا وآجلًا، ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾: كيوسف فحال آخرته خير من دنياه، ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾: غير بنيامين بعد أربعين[2] سنة في سنة القحط ليشتروا منه الطعام، ﴿فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾: لا يعرفونه، ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ﴾: أصلحهم، ﴿بِجَهَازِهِمْ﴾: بعدتهم وأصله ما يعد للسفر ولزفاف المرأة، أي: أوقر حمولاتهم بعد أن قال لهم حين الدخول: لعلكم جواسيس فقالوا: معاذ الله نحن بنو نبيٍّ صدِّيق، كنَّا اثني عشر فهلك أصغرنا وبقي أخوه عند أبيه بدله، ﴿قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ﴾: إنْ صدقتم، ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي﴾ أُتمُّ ﴿الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾: للضَّيف، ﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي﴾ ما لكم عندي طعام أكيله لكم بعد ذلك، ﴿وَلَا تَقْرَبُونِ﴾ لا تدخلوا بلادي ﴿قَالُوا سَنُرَاوِدُ﴾: نُخادعُ ﴿عَنْهُ أَبَاهُ﴾: نلحُّ في طلبه من أبيه ﴿وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾: ذلك، ﴿وَقَالَ﴾: يوسف، ﴿لِفِتْيَانِهِ[3]﴾: غلمانه الكيالين ﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ﴾: ثمن طعامهم وكانت وَرِقًا[4]، ﴿فِي رِحَالِهِمْ﴾: أوعيتهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا﴾: ليعرفوا حق ردها، ﴿إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إذا عرفوا ذلك فخلوا شمعون عنده رهنًا وخرجوا بالطعام ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾: بعد ذلك إن لم نذهب بأخينا ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ﴾: نحن وهو وإلَّا فلا كيل لنا ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ﴾: يوسف ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: إذ قلتم فيه كذلك، ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا[5]﴾: فاعتمد عليه، ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ

---

(١) الوسيط (٢/ ٦١٩)، معالم التنزيل (٢/ ٤٣٢) ولا يصح.

(٢) الوسيط (٢/ ٦٢٠)، الجامع للقرطبي (٨/ ٣٤٤٩)، معالم التنزيل (٢/ ٤٣٤).

(٣) في هامش (ن): لفتيانه- حفص.

(٤) الورق: الفضة. * الجامع (٨/ ٣٤٥٢)، الوسيط (٢/ ٦٢٠).

(٥) في هامش (ن): حافظًا: حفص.

﴿ٱلرَّٰحِمِينَ﴾: أسأله أن يرحمني بحفظه ﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا﴾: أيُّ شيءٍ، ﴿نَبْغِي﴾: نطلب فوق هذه الكرامة، ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾: فنستظهر بها ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾: نحمل إليهم الميرة أي: الطعام، ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾: عن المكاره ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ﴾: حمل، ﴿بَعِيرٍ﴾: من الطعام؛ لأنه كان يعطي لكل واحد وقْرًا ﴿ذَٰلِكَ﴾: الذي جئنا به، ﴿كَيْلٌ﴾ مكيل ﴿يَسِيرٌ﴾: قليل، ﴿قَالَ﴾: يعقوب، ﴿لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ﴾: تعطوني، ﴿مَوْثِقًا﴾: أثقُ به، ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: من عنده أي: عهدًا مؤكدًا بذكره، ﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ﴾: في كل حال، ﴿إِلَّآ﴾: حال، ﴿أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾: من كل جهة، فلا تقدروا[1]، ﴿فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ﴾: يعقوب، ﴿ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ﴾: من الموثق، ﴿وَكِيلٌ﴾: مُطلع ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ﴾: مصر، ﴿مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾: مخافة العين وما وصَّاهم أولًا؛ لأنهم كانوا مجهولين حينئذٍ، أو بلا بنيامين ﴿وَمَآ أُغْنِي﴾: أدفعُ ﴿عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾: مما قضى عليكم، ﴿إِنِ﴾: ما، ﴿ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ۞ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾: من أبواب متفرقة، ﴿مَّا كَانَ﴾: دخولهم متفرقين ﴿يُغْنِي﴾: يدفع، ﴿عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾: قضائه، ﴿مِن شَيْءٍ﴾: فقد أُصيبوا بنسبتهم إلى السرقَةِ وأخذ أخيهم، ﴿إِلَّا﴾: لكن ﴿حَاجَةً﴾: شفقةً[2]، ﴿فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا﴾: أظهرها، وهي إرادة دفع العين، ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾ بالوحي؛ ولذا قال: وما أغني - إلى آخره، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أي: أنه لا ينفع الحذر، ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ﴾: ضمَّ ﴿إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾: من أبويه إذ جعل كل اثنين في بيت على حده على مائدة واجلسه على مائدته وعانقه و﴿قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ تحزن ﴿بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: فينا ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم﴾: أصلحهم، ﴿بِجَهَازِهِمْ﴾: بعدتهم، ﴿جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ﴾: مشربة الملك من ذهب[3] أو

---

(١) وقال مجاهد: إلا أن تموتوا كلكم. * تفسير الطبري (١٦/ ١٦٣/ ١٩٤٨٢)، معالم التنزيل (٢/ ٤٣٧)، البحر المحيط (٥/ ٣٢٤)، الوسيط (٢/ ٦٢١).

(٢) عليهم وخوفا من العين.

(٣) تفسير الطبري (١٦/ ١٧٢/ ١٩٥١٩)، البحر المحيط (٥/ ٣٢٩)، معالم التنزيل (٢/ ٤٣٩).

زبرجد[١] كالوا بها الطعام، والسقاية، والصُّواع، والصَّاع: إناء يشرب فيه ويُكالُ أيضًا، ﴿فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾: بنيامين، ﴿ثُمَّ أَذَّنَ﴾: نادى، ﴿مُؤَذِّنٌ﴾: مُنادٍ ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ﴾: القافلة، ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾: لا يقال: كيف أمرهم ببهتان؛ لإمْكَانِ ندائهم بلا إذنه، أو هو من الحيل الشرعية التي يتوصل بها إلى حقوق شرعية، أو أراد سرقتهم يوسف من أبيه ﴿قَالُوا﴾: إخوة يوسف ﴿وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم﴾: على طالبي السقاية: ﴿مَاذَا تَفْقِدُونَ﴾: أي: شيء ضاع عنكم؟ ﴿قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ﴾: صاع، ﴿الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾: من الطعام، ﴿وَأَنَا بِهِ﴾: بالحمل، ﴿زَعِيمٌ﴾: كفيل، دل على جواز الجعالة[٢] وضمان الجُعْلِ قبل العمل[٣]، ﴿قَالُوا﴾ تَعَجُّبًا: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم﴾: بأعمالنا الصالحة وسدِّ[٤] أفواه الدواب الصالحة كردِّ بضاعة جُعلَتْ في رحالنا ﴿مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ۝ قَالُوا﴾: المؤذنون، ﴿فَمَا جَزَاؤُهُ﴾: السارقُ ﴿إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ﴾: في البراءة، ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ﴾: أي: استرقاقًا، ﴿فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾: فقط كما هو شرع يعقوب، فهو لتقرير الحكم، يعني أخذ السارق جزاؤه لا غير نحو: حق زيدٍ أن يُطْعَمَ ويكسى، فهذا حقه لا غير ﴿كَذَٰلِكَ﴾: الجزاء، ﴿نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾: بالسرقة، ﴿فَبَدَأَ﴾: المؤذنون، ﴿بِأَوْعِيَتِهِمْ﴾: بتفتيشها قبل وعاء أخيه من أبويه؛ لنفي التهمة ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ﴾: الكيد ﴿كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ﴾: ما صحَّ أخذ السارق، ﴿فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾: إذ جزاؤه عندهم الضرب والتغريم مثل المسروق، ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾: إلَّا بمشيئته استرقاقه على دين يعقوب على ألسنة إخوته إن جزاؤه الاسترقاق ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾: بالعلم، كرفع يوسف، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾: استؤنس به بأن علمه تعالى غير زائل[٥]، ورد بأن

---

(١) الوسيط (٢/ ٦٢٣).

(٢) وجيمها مثلثة كما قال ابن مالك - رحمه الله - النجم الوهاج - للعلامة الدميري (٦/ ٨٩)، الإقناع (٢/ ٩٥).

(٣) الوسيط في المذهب - للغزالي (٣/ ٢٣٨)، روضة الطالبين - للنووي (٤/ ٥٥)، (٤/ ٢٥٠)، المغني - لابن قدامة (٤/ ٣٤٥، ٣٤٦).

(٤) في البيضاوي: وكَعْم، وهو بمعنى سدّ.

(٥) في (ن)، و(د): غير زائد، ومعنى: غير زائد، يعني: بذاته- وهذا كلام الأشاعرة ونحوهم.

المراد ذي علم من الخلق، وبأن العليم من له العلم البالغ[١]، وهو الله تعالى، ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ﴾: بنيامين فلا بدع[٢]، ﴿فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُ﴾: أي: يوسف، فإن عمته لفرط محبته أرادت اختصاصه بها في صغره فعمدت إلى منطقة إبراهيم التي ورثتها فشدتها تحت ثيابه، ثم صاحت على منطقتها وفتشت فوجدتها على يوسف فقالت: هو سارقي فأخذته على دينهم[٣]، وقيل: سرق صنم أبي أمه فكسره، وقيل: أخذ عناقًا[٤] أو دجاجة من البيت وأعطى السائل، وقيل: سرق صنم أبي أمه فكسره[٥]، ﴿فَأَسَرَّهَا﴾: أي: الكراهة المفهومة من السياق، ﴿يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ﴾ سرًّا: ﴿أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗا﴾: منزلة في السرقة بسرقتكم[٦] أخاكم وظلمكم له ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾: في شأن أخيه، ﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ﴾: اسم نائب السلطان بمصر، ﴿إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا﴾: سنًّا أو قدرًا يستأنس به، ﴿فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: إلينا، فأتمم[٧]، ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾: من ﴿أَن نَّأۡخُذَ﴾: أحدًا، ﴿إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾: لم يقل: من سرق خوف الكذب، ﴿إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ﴾: إن أخذنا غيره ﴿فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ﴾: يئسوا منه ومن إجابته، ﴿خَلَصُواْ﴾: انفردوا ﴿نَجِيّٗا﴾: مُتناجين ﴿قَالَ كَبِيرُهُمۡ﴾: سنًّا، روبيل، أو رأيًا يهوذا أو رياسة شمعون[٨] ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ﴾: عهدًا وثيقًا بذكره، ﴿وَمِن قَبۡلُ مَا﴾: صلة ﴿فَرَّطتُمۡ﴾ قصرتم ﴿فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ﴾: أفارق، ﴿ٱلۡأَرۡضَ﴾ مصر ﴿حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ﴾ في الرجوع ﴿أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِي﴾: بخلاص أخي، ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾: لأنه إنما يحكم بالحقِّ ﴿ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا﴾: إذ خرج

---

(١) في (د): من له المانع.

(٢) ليس غريبًا ولا جديدًا.

(٣) الوسيط (٢/ ٦٢٤)، الجامع - للقرطبي (٨/ ٣٤٦٩)، البحر المحيط (٥/ ٣٣٣).

(٤) بفتح العين المهملة والنون -: أنثى المعز الصغيرة.

(٥) وألقاه أخرجه الطبري (١٦/ ١٩٥/ ١٩٦٠٠)، معالم التنزيل (٢/ ٤٤١).

(٦) في (ن)، و(د): لسرقتكم.

(٧) يعني: أتمم إحسانك علينا وإلينا.

(٨) فتح القدير (٢/ ٤٧)، الوسيط (٢/ ٦٢٥).

الصاع من رحله، ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾: أنه سرق أو دُسَّتْ في رحلهِ ﴿وَسْـَٔلِ﴾: عن القصةِ ﴿ٱلْقَرْيَةَ﴾: أهل مصر[1]، ﴿ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ﴾: القافلة، ﴿ٱلَّتِيٓ أَقْبَلْنَا﴾: توجهنا، ﴿فِيهَاۖ وَإِنَّا﴾: والله، ﴿لَصَٰدِقُونَ﴾: فلما قالوا: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾: زَيَّنَتْ ﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾: عظيما، ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾: أجمل، ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ﴾: بيوسف وإخوته، ﴿جَمِيعًا﴾: مجتمعين، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾: بحالي، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: في أفعاله، ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾: أعرض، ﴿عَنْهُمْ﴾: كراهةً، ﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ﴾: شدَّة حزني ﴿عَلَىٰ يُوسُفَ﴾: تعالي[2] فهذا أوانك، ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾: كناية عن كثرة البكاء من الحزن، ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾: مملوء من الغيظ على أولاده كاتمًا وما استرجع، لأنه مخصوص بهذه الأمة، كما في الحديث: «**لم تعط أمة إنا لله وإنا إليه راجعون إلَّا أمة محمَّد - ﷺ - ألا ترى إلى يعقوب حين أصابه ما أصابه لم يسترجع قال: «يا أسفى»**[3]، وتأسف عليه دون أخويه مع حدوث رزئهما[4]؛ لأن رِزئه كان قاعدة المصيبات وأعظمها، على أنه كان واثقًا بحياتهما دونه، ﴿قَالُواْ﴾: أولاده، ﴿تَٱللَّهِ﴾: لا، ﴿تَفْتَؤُاْ﴾: لا تزال، ﴿تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾: مشرفًا على الهلاك ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ۞ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي﴾: هَمِّي الذي لا صبر عليه ﴿وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾: فخلوني وشكايتي، ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: من حياته لخبر المَلَكِ[5]، ورؤياه سجود الكواكب له، ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ﴾: إلى مصر، ﴿فَتَحَسَّسُواْ﴾: تفحصوا، ﴿مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ﴾: تقنطوا، ﴿مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾: رحمته، ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: والمؤمن لا يزال يطمع في رحمته، ثم رجعوا إلى مصر، ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ﴾: على العزيز، ﴿قَالُواْ

---

(١) فهو على حذف مضاف تقديره: أهل القربة.

(٢) يعني: يا أسفي تعالى.

(٣) يروي مرفوعا إلى ابن عباس عن النبي - ﷺ- رواه الثعلبي في تفسيره بسند ضعيف، ورواه الطبراني في الدعاء (٦/ ١٣) بسند ضعيف أيضا.

ويروي من كلام سعيد بن جبير - رواه عبد الرزاق (٦٣/ ١٢٩٨) والطبري (١٣/ ٣٩) والبيهقي (٣/ ٢/ ٢٧٨) في الشعب، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٨٥/ ١١٨٨١) وسنده حسن.

(٤) الرزء: المصيبة.

(٥) يعني ملك الموت، كما ورد في الإسرائيليات.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ﴾: شدة الجوع، ﴿وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ﴾: مدفوعة يدفعها كل أحد لرداءتها وفي تعيينها خلاف، ﴿فَأَوۡفِ﴾: أتم لنا، ﴿ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآ﴾: بردِّ أخينا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾ فلما رأى عجزهم، ﴿قَالَ﴾ شفقةً وحثًّالهم على التوبة: ﴿هَلۡ عَلِمۡتُم﴾: قبح ﴿مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾: إذ فرَّقتم بينهما وذللتموه ﴿إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ﴾: قبحه للصّبيّ، وذرفت عيناهُ رِقّةً ﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾: عرفوه؛ لأنه وضع التاج وكانت في جبهته شامةٌ بيضاءُ، كما كانت ليعقوب وسارَة، ﴿قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآ﴾: بالاجتماع ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ﴾: الله، ﴿وَيَصۡبِرۡ﴾: على مصائبه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ أي: أجره ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ﴾: اختارك، ﴿ٱللَّهُ عَلَيۡنَا﴾: بالعلم والصبر والملك، ﴿وَإِن﴾: إنه، ﴿كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ۝ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ﴾ تغيير ﴿عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ﴾: فكيف بما بعده، ﴿يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾: يغفر الصغائر والكبائر ﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي﴾ ملبوسي ﴿هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ﴾: يأتني، ﴿بَصِيرٗا﴾: كان من نسج الجنة، ألبس إبراهيم حين ألقي في النار، ما وقع على سقيم إلَّا عوفي، وعلقه عليه يعقوب في التعويذ[1]، ﴿وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾: نسائكم وذريَّاتكم[2]، ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ﴾: خرجت ﴿ٱلۡعِيرُ﴾: من مصر[3] إلى جانب يعقوب، ﴿قَالَ أَبُوهُمۡ﴾: لمن حضره: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾: وكانت مسيرة ثمانية أيام ﴿لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾: تنسبوني إلى الفَند[4]، حدوث[5] فساد عقل للهرم، ولا يجوز: عجوزة مفندة[6]، وجوابه: لصدقتموني، ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ﴾: من حبه، ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ﴾: يهوذا الذي بقميص الدَّم، ﴿أَلۡقَىٰهُ﴾: الثوب، ﴿عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ﴾: عاد، ﴿بَصِيرٗاۖ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ

---

(١) أنوار التنزيل (٣٢٣).

(٢) في (ن): ذراريكم.

(٣) والعِيْر - بكسر العين -: القافلة، وبفتحها: الحمارُ.

(٤) الفند: الفساد والخبل وضعف الرأي، وقيل: معناه: تلوموني، وقيل: معناه: تخرفون أي: تقولون: قَدْ خَرِفْتَ.
* عمدة الحفاظ (٣/ ٢٥٣).

(٥) في (ن): وحدوث.

(٦) لأن نقصان عقلها ذاتي.

إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ ﴾: بتعليمه، ﴿مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۞ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ﴾: من ربنا، ﴿ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ۞ قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓ ﴾: أَخَّرَهُ إلى السَّحَرِ أو سحر الجمعة[1] أو الاستحلال من يوسف، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۞ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾: حين استقبلهم مع أربعة آلاف من عُظماء مصر[2]، ﴿ءَاوَىٰٓ ﴾: ضمَّ، ﴿إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ ﴾: أباه وأمه أو خالته، ﴿وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾: من المكاره والمشيئة متعلقة بالدخول مع الأمن فجلس على سريره ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾: سريره، ﴿وَخَرُّواْ ﴾: أبواه وإخوته، ﴿لَهُۥ سُجَّدٗا ﴾: للتواضع لجوازها في دينهم، ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ ﴾: الشمس والقمر لأبويه وأحد عَشَرَ كَوْكَبًا لإخوته، ﴿قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗا ﴾ صدْقًا، كان بينهما أربعون أو ثمانون سنة، وقيل: خمسٌ وأربعون ﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ ﴾: سكَتَ عن الجُبِّ[3] لقوله: لا تثريب ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ ﴾: إذ كانوا أهل بادية ومواشي، ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ﴾ أفسدَ ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ ﴾: تدبيره، ﴿لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ﴾: بالمصالح ﴿ٱلۡحَكِيمُ ﴾: في الأفعال، فبقي يعقوب عنده أربعًا وعشرين سنة، فمات ونقلوه إلى الشَّام[4]، فبقي يوسف ثلاثًا وعشرين سنةً ثم اشتاق إلى الملك المخلد وقال: ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ﴾ بعض ﴿ٱلۡمُلۡكِ ﴾ أي: مصر ﴿وَعَلَّمۡتَنِي مِن ﴾: بعض، ﴿تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ ﴾: الرؤيا، ﴿فَاطِرَ ﴾: مبدع، ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ ﴾: ناصري، ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي ﴾: اقبضني، ﴿مُسۡلِمٗا ﴾: ودعاؤه هذا لإظهار العبوديَّة وتعليم الأمة هو تمني الموت على الإسلام[5]، لا تمني الموت، ﴿وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾: من آبائي فمات بعد أسبوع وله مائة وعشرون سنة، فتخاصموا في مدفنه ثم تصالحوا على جعله في صندوقٍ مرمر[6] ودفنه[1] في أعلى

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٦١) مرفوعا- وسنده ضعيف.

(٢) الوسيط (٢/ ٦٣٤)، معالم التنزيل (٢/ ٤٤٩، ٤٥٠)، تفسير الرازي (١٨/ ١٦٧، ١٦٨).

(٣) الوسيط (٢/ ٦٣٥).

(٤) في مدينة الخليل.

(٥) تفسير الطبري (١٦/ ٢٧٨)، معالم التنزيل (٢/ ٤٥١)، تفسير الرازي (١٨/ ١٧٥)، الوسيط (٢/ ٦٣٦).

(٦) في الوسيط (٢/ ٦٣٦): رخام.

النيل لتعمَّ بركته، ففعلوا ثم نقله موسى- عليه السلام- إلى مدفن آبائه، ﴿ ذَٰلِكَ ﴾: نبأ يوسف، ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾: يا محمد ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ ﴾: إخوة يوسف، ﴿إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ ﴾: عزموا على أمرهم ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾: فإنما ذلك بالوحي، إذ قال في موضع آخر: ﴿ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ ﴾[٢].. إلى آخره، ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ ﴾: على إيمانهم، ﴿بِمُؤْمِنِينَ ﴾: لشقاوتهم الأزلية، ﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ ﴾: على تبليغ الوحي، ﴿مِنْ أَجْرٍ ﴾: جعلٍ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾: عظةٌ ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾: عامة ﴿وَكَأَيِّن ﴾: كم ﴿مِّنْ ءَايَةٍ ﴾: دليل على وحدانيته وصفاته الحسنى، ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا ﴾: يرونها، ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾: لا يتفكرون فيها، ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ ﴾: حين إقرارهم بأنه خالق الكل، ﴿إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾: بإشراكهم، فالمراد إيمان المشركين أو بالنظر إلى الأسباب وقيل: منه قول الرجل: لولا الله وفلان لهلكت[٣]، ﴿ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ ﴾: عقوبة تغشاهم ﴿مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ﴾: في الدنيا، ﴿أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً ﴾: فجأة، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾: فلا يستعدون لها، ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ﴾: الدعوة، ﴿سَبِيلِىٓ ﴾: وهو أني، ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾: حجة واضحة، ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾: فهم يدعون إلى الله ﴿وَسُبْحَٰنَ﴾: تنزيه، ﴿ٱللَّهِ ﴾: عن الشرك ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا ﴾ رد لقولهم: ﴿ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً ﴾[٤] ﴿نُّوحِىٓ إِلَيْهِم ﴾ مثلك ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾: فإنهم أذكى من أهل البدو، ودل على منع نبوة النساء[٥] ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾: من المكذبين فيعتبروا، ﴿وَلَدَارُ ﴾: الحيوة، ﴿ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ ﴾: الشرك ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾: أفلا تستعملون عقولكم فتعرفوا ذلك، ثم هؤلاء الأمم استمروا على التكذيب، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ﴾: أيس، ﴿ٱلرُّسُلُ ﴾: عن إيمانهم أو النصر، ﴿وَظَنُّوٓاْ ﴾ القوم أنَّ الرسل ﴿أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ ﴾: بالتخفيف، وعلى

---

(١) في (ن): ودفن.

(٢) سورة هود.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٠٨/ ١٢٠٣٩) عن الباقر.

(٤) سورة فصلت.

(٥) لأن النبوة في الرجال.

التشديد[١] أي: ظن الرسل بمعنى تيقنوا، أو ظنوا الرسل أنهم قد كذبوا بالتخفيف أي: في وعد النصر، ﴿جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ﴾: أتباع الرسل ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا﴾: عذابنا، ﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۞ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ﴾: الأنبياء وقومهم، أو يوسف وإخوته، ﴿عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: العقول السليمة ﴿مَا كَانَ﴾: القرآن، ﴿حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: من الكتاب، ﴿وَتَفْصِيلَ﴾: تبيين، ﴿كُلِّ شَىْءٍ﴾: ديني بواسطة أو بغير واسطة، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: يصدقونه- واللهُ أعلمُ.



---

(١) قرأ ابن كثير وابن عامر، ونافع، وأبو عمرو، والحسن وابن مسعود: «كذبوا».
* إتحاف فضلاء البشر (٢٦٨)، والسبعة (٣٥١)، النشر (٢/ ٢٩٦).



«سورة الرعد»[١]: مدنية وقيل: مكية[٢]



إلَّا: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ ﴾ إلى آخر السورة.

لما قال: ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ ﴾ ... إلخ، بين أنه الحق وقال:

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ الٓمٓرۚ ﴾ فُسِّر مرَّةً ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ﴾: السورة آيات، ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾: القرآن ﴿وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾: صريحًا أو ضمنًا فيشمل نحو القياس والإجماع ﴿ٱلْحَقُّ﴾: أو معناه أن له وصف الحقية لا البطلان، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: لجهلهم، ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾: جمع عمادٍ ﴿تَرَوْنَهَا﴾: بلا عمد، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: كما مر، ﴿وَسَخَّرَ﴾: ذلل ﴿ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾: لما أراد، ﴿كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ﴾ مدة ﴿مُّسَمًّى﴾: ينقطع دونها سَيْرُهُ، ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾: أمر ملكه من الإيجاد والإعدام ونحوه، ﴿يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾: القرآنية، ﴿لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾: قياسًا للإعادة على البدء، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ﴾: بسط، ﴿ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا﴾: جبالًا، ﴿رَوَٰسِىَ﴾: ثوابت، ﴿وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ﴾: نوعين ﴿ٱثْنَيْنِ﴾: كالحلو والحامض والأسود والأبيض والنافع والضار، ﴿يُغْشِى﴾: يلبس ﴿ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾: يجعل الجو مظلمًا بعد إضاءتها ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾: في أن تخصيصها بوجه دون وجه يدل على الصانع، ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ﴾: بقاع مختلفة، طيبة وسبخة وغيرهما، ﴿مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾: متلاصقة، ﴿وَجَنَّٰتٌ﴾: بساتين، ﴿مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ﴾: ذوات رأسين أو مجتمعة متشاكلة[٣]، ﴿وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾: بل قد كثرت من أصل واحد، ﴿وَنُفَضِّلُ

---

(١) في هامش (ن): بلغ مقابلة.

(٢) في هامش نسخة (د): سورة الرعد مدنية ثلاث وأربعون آية غير آيتين ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ﴾ فإنها نزلت بمكة ثم الرحمن، كلماتها (٨٠٥٥) عدد سور القرآن (٢٧٠)، البصائر (١/ ٢٦٢)، البيان (١٦٩)، القول الوجيز (٢١٢)، وحروفها (٣٥٠٦)، البصائر (١/ ٢٦٢).

(٣) وهو أن يكون الأصل واحدا وتتفرع منه النخلتان والثلاث فأكثر، وقيل: هو الغصن الخارج من أصل الشجرة، يقال: هما صنوا دوحة، والظاهر اختصاص ذلك بالنخل والبقل.

=

﴿بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾: في الثمـر طعمًا وغيره، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يستعملون عقولهم بالتفكر فيها، خصه بالعقل والأول بالفكر؛ لأن الاستدلال باختلاف الثمار أسهل ﴿وَإِن تَعْجَبْ﴾: من إنكارهم البعث، ﴿فَعَجَبٌ﴾: فحقيق بالتعجب ﴿قَوْلُهُمْ أَءِ﴾ نحشرُ ﴿إِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: فإن من قدر على إنشاء ما ذكر فعلى إعادته أقدرُ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: الكاملون في الكفر، ﴿بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ﴾: يسحبون بها إلى جهنم، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾: بالعذاب، ﴿قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾: العافية استهزاءً بوعيدك ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ﴾: عقوبات أمثالهم المثلة- بفتح الثَّاء وضمها-: العقوبة؛ لأنها مثل العافية، ومنه: المثال للقصاص ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ﴾ مَعَ ﴿ظُلْمِهِمْ﴾: فيجوزُ العفو قبل التوبة؛ لأن التائب ليس على ظلمه ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾: لمن يشاءُ ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ﴾ هـلَّا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾: مما نشتهيها ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾: لا الآتي بمشتهاهم ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ﴾: نبيٌّ ﴿هَادٍ﴾: فلست بأوحدي ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾: أي: حقيقته وصفته، ﴿وَمَا تَغِيضُ﴾: وما تنقص ﴿ٱلْأَرْحَامُ﴾ من نحو جُثة الحَمل[1] ومدته وعدده ولا حَدَّ له[2] عند الشافعي، وكإتمام الحمل وأقصاها أربع سنين عنده، وعن مالك خمس، وعند الحنفية سنتان ﴿وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾: تقتضيه الحكمة لا يتجاوزه فهو عالم بكميته، ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾: ما غاب عن الحس، ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: ما حضر ﴿ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾: عما لا يليق بكماله، ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم﴾: في علمه، ﴿مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ﴾: مستتر ﴿بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌ﴾: ظاهر ﴿بِٱلنَّهَارِ ﴿لَهُۥ﴾: ضميره لمن ﴿مُعَقِّبَٰتٌ﴾: ملائكة يعقب بعضهم بعضا[3]، وهم غير الكرام الكاتبين أو يعقبون أحواله فيكتبونها

= * عمدة الحفاظ (٢/ ٣٥٦/ صنو).

(١) يعني: الجنين.

(٢) يعني: الحمل.

(٣) قال الواحدي: وهم الملائكة الحفظة في قول عامة المفسرين.

=

﴿مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ﴾: قدامه، ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ﴾: بأس، ﴿ٱللَّهِ﴾ أو بأمره ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ﴾: نعمة أو نقمة، ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾: خيرًا أو شرًّا، ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾: يلي دفعه عنكم[1]، ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا﴾: تخويفًا من أذاه، ﴿وَطَمَعٗا﴾: تطميعًا في المطر، ﴿وَيُنشِئُ﴾: يخلق، ﴿ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾: من كثرة الماء، ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ﴾: «ملك معه مخاريق[2] من النار يسوق بها السحاب[3]» ملتبسًا، ﴿بِحَمۡدِهِۦ﴾ أي: يقول: سبحان الله وبحمده، ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ﴾: تعالى، أو الرعد، ﴿وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ﴾: نار[4] تنزل من السحاب، ﴿فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾: فيحرقه، ﴿وَهُمۡ﴾: حالة كونهم ﴿يُجَٰدِلُونَ فِي﴾: صفات، ﴿ٱللَّهِ﴾: ككافر قال: ممَّ ربُّك؟ من ذهب أو من فضَّة[5]، ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ﴾:

= * الوسيط (٣/ ٧)، تفسير الطبري (١٦/ ٣٦٩) معالم التنزيل (٣/ ٩) تفسير الرازي (١٨/ ١٦)، تفسير ابن كثير (٤/ ٣٥٩)، فتح القدير (٣/ ٧١).

(١) سقطت من: (ن).

(٢) جمعُ مِخْراق وهو آلةٌ معروفة.

(٣) يشير إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: أقبلت يهود إلى النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم! أخبرنا عن الرعد ما هو؟ قال: ملك من الملائكة موكل بالسحاب، معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله»... الحديث. أخرجه الترمذي (٥/ ٣٣٨٠/ ٣٤٨)، والنسائي (٩٠٧٢)، وأحمد (٢٤٨٣).

(٤) في (ن): بان ينزل.

(٥) يشير إلى حديث أنس رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ رجلا من أصحابه إلى رجل من عظماء الجاهلية يدعوه إلى الله- تبارك وتعالى- فقال المشرك: أيش ربك الذي تدعوني إليه؟ من حديد هو؟ من نحاس هو؟ من فضة هو؟ من ذهب هو؟ فتعاظم مقالته، فأتي النبي ﷺ فأخبره فأعاده النبي ﷺ الثانية، فقال مثل ذلك، فأتى النبي ﷺ فأخبره، فأرسله الثالثة، فقال مثل ذلك، فأتي النبي ﷺ فأخبره؛ فأرسله الله - تبارك وتعالى- عليه صاعقة فأحرقته، فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله- تبارك وتعالى- قد أرسل على صاحبك صاعقة فأحرقته**؛ فنزلت هذه الآية: ﴿وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ﴾. أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٣٠٤/ ٦٩٢)، والبزار (٣/ ٥٤/ ٢٢٢١/ كشف) وأبو يعلى (٦/ ٨٧، ٨٨/ ٣٣٤١)، والدينوري في المجالسة (٣/ ١١٤٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٧/ ٦٠٥)، ودلائل النبوة (٦/ ٢٨٣)، والهروي في ذم الكلام (٣/ ٢٠٥، ٢٠٦/ ٦٤٤)، والضياء المقدسي في المختارة (٥/ ٨٨، ٨٩/ ١٧١٠، ١٧١١) وسنده صحيح.

الحول أو القوة أو المماحلة أي: مكايدة[١]، ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ يحقُّ أنْ يُعبد، أو الدعاء المجاب، فمن دعاه أجاب[٢]، ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾: الأصنام، ﴿مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ﴾: الأصنام، ﴿لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ﴾: كاستجابة باسط، ﴿كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ﴾: يدعوه ﴿لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾: بارتفاعه من البئر، ﴿وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ﴾؛ لأنَّ الماء جماد لا يشعر به أو كناشر أصابعه ولا يبقى الماء حينئذ في كفه فلا يبلغ فاه، ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: أي: عبادتهم لأصنامهم، ﴿إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾: ضياع لا يجدي نفعًا، ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ﴾: حقيقة، ﴿مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا﴾: كالمؤمنين، ﴿وَكَرْهًا﴾: كالكفرة في الشدة أو ينقادون لإحداث ما أراد فيهم ﴿وَظِلَٰلُهُم﴾ بالعرض أو بتصريفها مدًّا وتقليصها ﴿بِٱلْغُدُوِّ﴾: الغدو: جمع غداة، كفتى وفتاة[٣]: أول النهار، ﴿وَٱلْـَٔاصَالِ﴾: جمعُ أصيل، وهُوَ بينَ العصْرِ والمغرب، و«الغدوّ» أوّل النهارِ والآصَال آخره[٤] أي: دائمًا. وخَصَّهُمَا؛ لأن المد والتقليص فيهما أظهر ولا ستر فيهما ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾: فإنهم معترفون به، ﴿قُلْ﴾: إلْزامًا لهم: ﴿أَفَٱتَّخَذْتُم﴾ مع هذا الإقرار، ﴿مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾: فكيف لكم، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ﴾: إلهٌ غافل عنكم، ﴿وَٱلْبَصِيرُ﴾: إلهٌ مطلع عليكم، ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ﴾: الكفر، ﴿وَٱلنُّورُ﴾: الإيمان، ﴿أَمْ﴾: بل أ ﴿جَعَلُوا۟﴾: أي: ما جعلوا ﴿لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ﴾: تعالى، ﴿فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ﴾: خلقها، ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بخلقه فيقولوا: خلقوا كخلقه فاستحقوا العبادة مثله، ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾: فأي شيء تعبدونه؟ ﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ﴾: المتوحد بالألوهية، ﴿ٱلْقَهَّٰرُ﴾: الغالب على الكل ﴿أَنزَلَ مِنَ﴾: جانب، ﴿ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ﴾: أنهار كبار، ﴿بِقَدَرِهَا﴾: الذي[٥] علم الله أنه نافع، ﴿فَٱحْتَمَلَ﴾: حمل، ﴿ٱلسَّيْلُ زَبَدًا﴾: رغوةً ﴿رَّابِيًا﴾: مرتفعًا على السيل ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ﴾: من

---

(١) المكايدة للأعداء.

(٢) قال البيضاوي: ويؤيده ما بعده.

(٣) في أنوار التنزيل (٣٢٩): كقنى جمع قناة.

(٤) جمع أصيل.

(٥) في (ن): أي: علِمَ الله... إلخ.

جواهر الأرض، ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾: لطلب، ﴿حِلْيَةٍ﴾: للنساء، ﴿أَوْ مَتَٰعٍ﴾: كالأواني يكون ﴿زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾: مثل زبد الماء في الوسخ وهو خبثها ﴿كَذَٰلِكَ﴾: المذكور، ﴿يَضْرِبُ﴾: يمثل، ﴿ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ﴾: منها، ﴿فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾: كائنًا[1] بجُفاء السيل أي: رميه، ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾: من صافيهما، ﴿فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: لينتفع به ﴿كَذَٰلِكَ﴾: المثل ﴿يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ للتبيين ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ﴾: حين دعاهم للتوبة ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: الجنة، ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ﴾: حين دعاهم، ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: الدنيا، ﴿جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ﴾: للتخلص من عذابه ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾: بأن يحاسب ولا يغفر بشيء من ذنبه، ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ﴾: مرجعهم، ﴿جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾: المقر هي، ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾: فيستجيب كحمزة رضي الله عنه ﴿كَـ﴾ صُنْع ﴿مَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾: قَلْبًا كأبي جهل ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾: حين قالوا: بلى، ﴿وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾: مطلقًا، ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾: كالرحم، ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾: وعيده، ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ۝ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾: على مخالفة الهوى، أتى بالماضي فيه فقط، وكذا حيث وقع في القرآن إشارة إلى تقدمه على سائر التكاليف ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾: طلب مرضاة ﴿وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾: بلا رياء ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ﴾: يدفعون، ﴿بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾: فتمحوها أو يجازونها بها، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ﴾: ما ينبغي أن يكون ﴿عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾: هي، ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾: إقامة، ﴿يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾: تبعًا وإن لم يبلغوا مراتبهم، وأفهم بـ«صَلَحَ» أن مجرد النسب لا يكفي، وأن الدرجة تعلو بالشفاعة، ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾: لمنازلهم معهم هِدَايَةً من الله تعالى قائلين: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾: هذا، ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾: على الطاعة ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾: جنة العدن[2]، ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾: بعدما أوثقوه، ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ﴾: عاقبة، ﴿ٱلدَّارِ﴾: أي: جهنم، ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ﴾: يُوسع ﴿ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾: يضيقه، فليسا بالكفر والإيمان كما

---

(١) فهو منصوبٌ على الحال.

(٢) كذا – وهو جائز.

ظنوا ﴿وَفَرِحُواْ﴾: مشركوا مكة، ﴿بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: بما بسط لهم فيها، ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى﴾: جنب، ﴿ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾: متعة لا تدوم كعجالة الراكب وزاد الراعي، ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ﴾: هلَّا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾: مما نشتهي، ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾: كما أضلكم وإن أنزلت كل آية، ﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ﴾: إلى دينه، ﴿مَنْ أَنَابَ﴾: رجع عن العناد ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ﴾: تسكن ﴿قُلُوبُهُم﴾: أنسًا ﴿بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أو هو اطمئنانك بحلف أخيك فيما تشك ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾: عن القلق ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: لهم، ﴿طُوبَىٰ﴾: فرحٌ مصدر طاب أو مؤنث أطيب وشجرة في الجنة ﴿لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾: منقلب، ﴿كَذَٰلِكَ﴾: كإرسال الرسل قبلك، ﴿أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ﴾: مضت ﴿مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾[1] ﴿قُلْ هُوَ﴾ الرحمن ﴿رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾: مرجعي، ولما سألوه تسيير جبال مكة وتفجير الأنهار فيها والإحياء، نزل[2]: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾: عن مقارها ﴿أَوْ قُطِّعَتْ﴾: شققت ﴿بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: فتسمع أو تجيب؛ لكان هذا القرآن أو لما آمنوا ﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ﴾: من الهداية والإضلال، ﴿جَمِيعًا﴾: ولما طمع الصحابة حصول مقترحهم طمعا في إيمانهم، نزل: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ﴾: يعلم، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن﴾: أنه، ﴿لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ﴾: من سوء الأعمال، ﴿قَارِعَةٌ﴾: داهية تقرعهم ﴿أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾: ليتعظوا ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ﴾: الموت، أو القيامةُ، أو الفتحُ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: أطلت مدتهم ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ بالعقوبة ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ أَفَمَنْ﴾: أي: فالله الذي هذه أفعاله، ﴿هُوَ قَآئِمٌ﴾: رقيب، ﴿عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾: فيجازي، وحذف خبره وهو: لم يوحدوه وعطف عليه: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ﴾ أي: لهُ ﴿شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾: صفوهم

---

(١) سورة الفرقان.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٨٥/ ١٢٦١٧) والضياء المقدسي في المختارة (٩/ ٥٥٦، ٥٥٧/ ٥٥١) وسنده ضعيف.

فانظروا هل يستحقونها وعلى طريق الكناية الإيمانية نبه على أن لا أسماء لهم فضلًا عن المسمى ﴿أَمْ﴾: بل، أ ﴿تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا﴾: شركاء، ﴿لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: وما لا يعلم لا يكون، ﴿أَم﴾: بل أتسموهم شركاء، ﴿بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾: بلا اعتبار معنى كتسمية الظلمة نورًا، وقد يقال: هذا إلزام تقسيمي معناه: أتنبئونه بباطن لا يعلم، أم بظاهر يعلم، فإن قالوا بالأول أحالوا، وإن قالوا بالثاني يقول سموهم ليعلموا أن لا سَميَّ ولا شريك له، ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ﴾: تمويههم هذا ﴿وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: الحق، ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: بالقتل[1] وغيره، ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: لهم ﴿أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾: من عذابه أو رحمته، ﴿مِن وَاقٍ﴾: حافظ، ﴿مَّثَلُ﴾: صفة ﴿ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ مبتدأ خبره محذوف نحو «فيما يتلى» ومثل: صفة زيد أحمر[2] ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا﴾: ثمرها ومأكولها، ﴿دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾: كذلك، ﴿تِلْكَ عُقْبَى﴾: مآل، ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: مؤمنوهم، ﴿يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾: لموافقته لكتبهم[3]، ﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾: الكفرة منهم ﴿مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾: مما يخالف دينهم، ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ﴾: وإنكاركم بعضه ترك لعبادته ﴿إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ﴾: مرجعي[4]، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: الإنزال على الرسل بلغتهم ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ القرآن حال كونه ﴿حُكْمًا﴾: يحكم بما يقتضيه الحكم، ﴿عَرَبِيًّا وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾: بكتمان ما ينكرونه، ﴿بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾: بحقيقته[5]، ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ﴾: ينصرك، ﴿وَلَا وَاقٍ﴾: من عذابه، فيه تهديد لمزالق[6] العلماء، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾: فلم يقولون: لو

---

(١) في (ن): القتل وغيره.

(٢) في البيضاوي: أسْمَر.

(٣) في (ن): لموافقة كتبهم.

(٤) على قراءة: «مآبي» وهي قراءة يعقوب- النشر (٢/ ٢٩٨)، إتحاف فضلاء البشر (٢٧٠).

(٥) في (ن): تحقيقه.

(٦) في (ن): لمذاهب، وفي (س)، و(ع): مَداهِق.

كان نبيًّا لشغلته النبوة عن النساء[١]، ﴿وَمَا كَانَ﴾: ما صح، ﴿لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ﴾: تطلب منه، ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ﴾: وقت، ﴿كِتَابٌ﴾: حكم يكتب على العباد ما يقتضيه إصلاحهم[٢]، ﴿يَمْحُوا۟﴾: ينسخ، ﴿ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾: يديم ما يشاء، ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾: الذي لا يغير، وهو اللوح، أو علم الله تعالى، ويؤيده قول ابن عباس: الكتاب اثنان، كتاب يمحو ما يشاء فيه، وكتاب لا يغير وهو علم الله جلَّ وعَلَا والقضاء المبرم[٣]، والجمهور ومنهم ابن عباس على أن السعادة والشقاوة ومدة الحياة لا تغير، وظواهر الأخبار تنازعه ﴿وَإِن مَّا﴾ صلة ﴿نُرِيَنَّكَ بَعْضَ﴾: العذاب، ﴿ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾: قبل ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾: لا غير ﴿وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾: فلا تستعجل بعذابهم والجزاء، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى﴾: نقصد، ﴿ٱلْأَرْضَ﴾: أرض الكفرة، ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾: ممَّا[٤] يفتح على المسلمين، ويزيد في دارهم وهو الموعود في: وإما نرينك، ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ﴾: رادّ ﴿لِحُكْمِهِۦ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾: سيحاسبهم قريبًا، ﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: بأنبيائهم كهؤلاء، ﴿فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا﴾: كُلُّ مَكْرٍ عِنْدَ مَكْرِهِ كَلَا مَكَرٍ، ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَ﴾ بعد جزاءه، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ[٥] لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾: أي: العاقبة الحسنى ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: السماوي فإنهم يعرفونه كابن سلام[٦] وسلمان وغيرهما- واللهُ أعلمُ بالصّواب.

❁ ❁ ❁

---

(١) الوسيط (٣/ ١٩)، أسباب النزول - للواحدي (٢٧٩) من طريق الكلبي - وهو متروك.

(٢) في (س): استصلاحهم.

(٣) الوسيط (٣/ ٢٠) وانظر بالتفصيل: إفادة الخبر بنصه - للجلال الأسيوطي.

(٤) في (ن): ما يفتح.

(٥) في (ن): الكافر، وهي قراءة. وكتب في الهامش: الكفارُ: حفص- يعني قرأها حفص: «الكُفّار».

(٦) عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: قد أنزل الله في القرآن: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ﴾. أخرجه الطبري في جامع البيان (١٣/ ١١٨) وسنده ضعيف.



«سورة إبراهيم» عليه الصلاة والسلام[١]: مكية[٢]

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿الٓر﴾: هذا، ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ﴾: بدعوتهم إلى مضمونه[٣] ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: الضلالات، ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾: الهدى، ﴿بِإِذْنِ﴾: بتوفيق، ﴿رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ﴾: بدل من: إلى النور، ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾: الغالب، ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾: المستحق للحمد، أفهم بتخصيص الوصفين أنه لا يذل سالكه، ولا يخيب سائله، ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾: هم، ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ﴾: يختارون ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ﴾: الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دينه، ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾: يطلبون لها، ﴿عِوَجًا﴾: ليقدحوا فيه، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾: عن الحقّ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ﴾ لُغةِ ﴿قَوْمِهِۦ﴾: الذينَ هو منهم ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾: ما أمروا فيفهموا[٤] فيترجموا لغيرهم، ﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾: بعد البيان ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾: باتباعه، ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: الغالب فيما أراد[٥] ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: فيما فعل[٦]، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ﴾: بأن، ﴿أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: الضلالة ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾: الهدى ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾: وقائعه على الأُمَم من النعم والنقم أو عليهم من نحو فلق البحر ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾: التذكير، ﴿لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾: على بلائه، ﴿شَكُورٍ﴾: على نعمائه ﴿وَ﴾: اذكر، ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ

---

(١) كذا في (ح)، و(ن)، وفي (س): عليه السلام، وكذا في (ع).

(٢) في هامش (د): سورة إبراهيم- مكية، اثنتان وخمسون آية، غير آيتين: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ - الآية﴾ وعند البصريين أحد وخمسون ثم الأنبياء كلماتها (٨٣١) في عدد سور القرآن (٢٧٥): (٨٨١)، البيان (١٧١)، البصائر (١/ ٢٦٨) وحروفها (٣٤٣٤) عدد السور القرآن (٢٧٥)، البيان (١٧١).

(٣) يعني مضمون الكتاب.

(٤) في (ن): ليفهموا.

(٥) في (ن): أراده.

(٦) في (ن): يفعل.

إِذۡ أَنجَىٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ ﴾: يبغونكم، ﴿سُوٓءَ ﴾: أفظع[1] ﴿ٱلۡعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ ﴾: أفاد بالواو أن العذاب هنا غير الذبح، وهو الاستعباد ونحوه، بخلاف البقرة والأعراف، إذ فسره به، وبالتقتيل، ﴿وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴾: فسر مرَّةً[2] ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ ﴾: أعلم، ﴿رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ ﴾: بطاعتي ﴿لَأَزِيدَنَّكُمۡ ﴾: نعمتي، ﴿وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ ﴾: نعمتي، ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ﴾: لمن كفرها ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ﴾ فضررُ كُفركُم عليكم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ ﴾: عن العالمين، ﴿ حَمِيدٌ ﴾: يستحق الحمد في ذاته وإن لم يحمد ﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ ﴾: من الأمم المكذبة، ﴿لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾: لكثرتهم ﴿جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴾: بالمعجزات الواضحات، ﴿فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ ﴾: أنفسهم أو أفواه الرسل، على سبيل المثل في عدم إجابتهم أو إسكاتهم أو غضوها غيظًا ﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ ﴾: على زعمكم، ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ﴾: فسر مرة، ﴿قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ﴾: تفرد ﴿ٱللَّهِ ﴾: بالعُبودية، ﴿شَكّٞ فَاطِرِ ﴾: مُبدع ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ ﴾: إلى عبادته ﴿لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ﴾: بعض، ﴿ذُنُوبِكُمۡ ﴾: وهو ما بينكم وبينه لا المظالم، وإنما جاء بـ﴿ مِن ﴾ أينما خاطب الكفرة بخلاف المؤمنين إبقاء للبعض على الاحتمال؛ لئلا يتكلوا على مجرد الإيمان؛ لأن المغفرة إنما جاءت في خطابهم مرتبةً على الإيمان، وفي خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة وترك المعاصي، فيتناول المظالم، وجوَّز ابن الحاجب كون معنى مغفرة كل الذنوب من خواص هذه الأمة وحينئذ فلا إشكال، ﴿وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ﴾: فلا يعاجلكم بالعقوبة، ﴿قَالُوٓاْ إِنۡ ﴾: ما، ﴿أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ ﴾ دليل ﴿مُّبِينٖ ﴾: على فضلكم علينا، ﴿قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن ﴾: ما ﴿نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ ﴾: جنسًا وصورةً ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ ﴾: كما مَنَّ علينا بالنبوة، أفهم أن النبوة

---

(١) في (س)، و(ع): أفضح.

(٢) في سورة البقرة.

عطائية، ﴿وَمَا كَانَ لَنَآ﴾: لا نستطيع، ﴿أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: مشيئته، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: فنتوكل عليه في الصبر على [معاندتكم و]معاداتكم، ﴿وَمَا﴾: أيُّ عذر، ﴿لَنَآ﴾: في، ﴿أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾: طرق الرشاد ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾: أي: ليثبتوا على توكلهم المسبب عن إيمانهم فالأول[1] للاستحداث، والثاني للتثبيت، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾: لتَصيرنَّ[2]، ﴿فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾: إلى رسلهم، ﴿رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾: أرضهم ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ﴾: الوعد، ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِى﴾: موقفه عندي في القيامة، ﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾: تخويفي[3]، ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟﴾: طلب الرسل الفتح على أعدائهم ﴿وَخَابَ﴾: خسر ﴿كُلُّ جَبَّارٍ﴾ متكبر ﴿عَنِيدٍ﴾: معاند للحقِّ ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ﴾: قدامه، ﴿جَهَنَّمُ﴾: يلقى فيها ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾: ماء يسيل من جلود أهل النار من القيح والدم أو من فروج الزناة[4]، ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾: يتكلف جرعه ﴿وَلَا يَكَادُ﴾: لا يقارب، ﴿يُسِيغُهُۥ﴾: يجوز على حلقه بسهولة ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ﴾: أي: أسبابه ﴿مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ من جسده، ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾: ليستريح، ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ﴾: قدامه بعد ذلك العذاب، ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾: آخر، أي: لا نهاية لأنواع عذابه، ﴿مَّثَلُ﴾: صفة ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾: فيما يتلى عليكم، ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾: من نحو إعتاق وصلة[5]، ﴿كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾: شديد الريح، فلا ينتفعون بأعمالهم كما لا تبقى ذرة من الرماد، وحينئذٍ ﴿لَّا يَقْدِرُونَ﴾: في القيامة، ﴿مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ﴾: أي:

---

(١) يعني: الأمر الأول بالتوكل.

(٢) فالعودُ بمعنى الصيْرُورة؛ لأنهم لم يكونوا على ملتهم قط- تفسير البيضاوي ص٣٣٨.

(٣) على قراءة: (وعيدى) وهي قراءة ورش عن نافع وصلا، ويعقوب وصلا ووقفا- النشر (٢/ ٣٠١)، السبعة (٣٦٤)، إتحاف فضلاء البشر (٢٧١)، غيث النفع (٢٦٥).

(٤) الوسيط (٣/ ٢٦)، تفسير الطبري (١٦/ ٥٤٨)، معالم التنزيل (٣/ ٢٩)، تفسير ابن كثير (٤/ ٤٠١).

(٥) وصدقة وغير ذلك مما ظاهره فعل بر وخير، فلا يقبل منهم أبدا، لكن يخفف عنهم العذاب يوم القيامة في النار ا.هـ.

ضلالهم مع حسبانهم أنهم على شيء، ﴿هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ﴾: عن الحقّ ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾: يا محمد، ﴿أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ﴾ بمَا يحقُّ أن يخلق عليه ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ﴾: يعدمكم[1] ﴿وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾ إذْ من قدرعلى خلقها قدر على ذلك، ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ﴾: بمتعسر ﴿وَبَرَزُواْ﴾: خرجوا من قبورهم، أتى بالماضي للتحقيق، ﴿لِلَّهِ جَمِيعٗا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ﴾: الأتباع، ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ﴾: عن عبادة الله من رؤسائهم، ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا﴾: في الدين، ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ﴾: دافعون، ﴿عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ قَالُواْ﴾: الرؤساء اعتذارًا، ﴿لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾: طريق النجاة ﴿لَهَدَيۡنَٰكُمۡ﴾: طريقها، لكن سُدَّ علينا طريقها، ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا﴾: هما مستويان ﴿مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ﴾: مهرب، فلا ينفع جزعكم هذا ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ ودخل كل منزله من الجنة أو النار، يقُولهُ خطيبًا في الأشقياء: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ﴾ بنفيها ﴿وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ﴾: المنجز، من البعث وغيره، ﴿وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡ﴾: تبين خلفه، ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ﴾: تسلط، ﴿إِلَّآ﴾: لكن، ﴿أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِي﴾ جعل الدعوة من جنس التسلط مبالغة فاستثنى منه، ﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾: بإطاعتي ومخالفته، ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ﴾: مغيثكم، ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ﴾: بمغيثي، ﴿إِنِّي كَفَرۡتُ﴾: اليوم، ﴿بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ﴾: بإشراككم إياي لله بإطاعتي، ﴿مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ تتمة كلامه ﴿وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ﴾ والمدخل الملائكة ﴿تَحِيَّتُهُمۡ﴾: من الملائكة ﴿فِيهَا سَلَٰمٌ ۞ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ﴾ وضع ﴿ٱللَّهُ﴾ ﴿مَثَلٗا﴾: بأن جعل، ﴿كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ﴾ التوحيد ونحوه ﴿كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ﴾: النخلة[2]، ﴿أَصۡلُهَا ثَابِتٞ﴾: في الأرض، هي قلب المؤمن ﴿وَفَرۡعُهَا﴾: غصنها وهو صوالح أعماله[3]، ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ إليه يصعد الكلم الطيب ﴿تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا﴾: ثمرها وهي ثواب الله في الدارين

---

(١) في (ن)، و(د): يعذبكم.

(٢) الوسيط (٣/ ٢٩).

(٣) في نسخة (ن)، و(د): وهو صوالح الأعمال.

﴿كُلَّ حِينٍ﴾: دائمًا، ﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾: بإرادته، ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: إذ فيه زيادة الإفهام، ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾: الشرك، ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾: كالحنظلة، ﴿اجْتُثَّتْ﴾: استؤصلت، ﴿مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ﴾: لقرب عروقها، ﴿مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾: كالكفر لا أصل له ولا فرع ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾: الإيمان في قلوبهم كالشجرة الطيبة، ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾: يلقنهم في قبرهم جواب المنكر[1] والنكير، ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾: فلا يلقنهم جوابهما، ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾: من التثبيت والإضلال، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ﴾: هم كفار قريش كبني المغيرة وبني أمية[2] ﴿بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾: أي: شكر نعمته كمحمد وما جاء به، ﴿كُفْرًا﴾: فسلبت عنهم وقحطوا وأسروا وقتلوا ﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ﴾: تابعيهم، ﴿دَارَ الْبَوَارِ﴾: الهلاك ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾: داخلين فيها، ﴿وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾: المقر هي، ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾: أمثالًا، ﴿لِيُضِلُّوا﴾: الناس ﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾: دينه، واللام للعاقبة، ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا﴾: بدنياكم ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ۞ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا﴾: ليقيموا أو هو جواب لقل[3] ﴿الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾: إنفاقًا، ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾: والأحب إعلان الفرض[4] وإخفاء السنة ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ﴾ فيشتري المتروك ﴿وَلَا خِلَالٌ﴾: مودة طبيعية، لكن محبة المتقين المصلين المزكين تنفعهم، ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ﴾: جانب ﴿السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ

---

(١) كذا.

(٢) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: هم كفار أهل مكة رواه البخاري في صحيحه (٣٩٧٧، ٤٧٠٠).

وعن علي رضي الله عنه قال: هم كفار قريش يوم بدر. أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٢/ ٣٤٢)، والنسائي (١/ ٦٢٢/ ٦٨٧/ تفسيره)، والطبري (١٣/ ١٤٦)، والحاكم (٢/ ٣٥٢)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٤٦) وسنده صحيح.

وعن عمر رضي الله عنه قال: هما الأفجران من قريش: بنو المغيرة وبنو أمية، فأما بنو المغيرة، فكفيتموهم يوم بدر، وأما بنو أمية فمتعوا إلى حين. أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٨/ ٣٧٣)، والطبري (١٣/ ١٤٦)، ورواه الواحدي في الوسيط (٣/ ٣١) من كلام علي رضي الله عنه وسنده ضعيف.

(٣) في (ن)، و(د): قل.

(٤) للتأسي والقدوة.

ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾: بإرادته ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ﴾: لانتفاعكم، ﴿ٱلْأَنْهَٰرَ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾: دائمين في السير لمصالحنا بلا اختيار منهما كالمسخر لنا، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ﴾: لسباتكم، ﴿وَٱلنَّهَارَ﴾: لمعاشكم، ﴿وَءَاتَىٰكُم﴾: أعطاكم، ﴿مِّن﴾: بعض ﴿كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾: فإن الموجود من كل صنف بعض ما في قدرة الله تعالى، ولكنه أصلح، والمراد السؤال الحالي أي: ما شأنه أن تسألوه لاحتياجكم، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾: لا تحصروها، فضلًا عن شكرها، دل على أن المفرد بالإضافة يستغرق ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ﴾: بترك شكرها، ﴿كَفَّارٌ﴾: شديد الكفران، ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ﴾: مكة، ﴿ءَامِنًا﴾: ذا أمن، ﴿وَٱجْنُبْنِي﴾: بعدني، ﴿وَبَنِيَّ﴾: من صُلْبي، ﴿أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾: دعا لنفسه في مقام الخوف أو قصد به الجمع بينه وبين بنيه ليستجاب ببركته، يا ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ﴾: الأصنام، جعل السبب مكان المسبب كسيف قاطع، ﴿أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي﴾: دينًا، ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: تقدر على مغفرته، دل على إمكان مغفرة كل ذنب حتى الشرك، إلَّا أن الوعد فرق، ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن﴾: بعض، ﴿ذُرِّيَّتِي﴾: إسماعيل ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾: لعدم الماء فيها، فهذا دعاء بحصول الماء، ﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾: الذي حرمت التهاون به ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: عنده، ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً﴾: جَمْع وفد، أو فؤاد ﴿مِّنَ﴾ أفئدة ﴿ٱلنَّاسِ تَهْوِيٓ﴾: تسرع ﴿إِلَيْهِمْ﴾: شوقًا، ولو قال: أفئدة الناس لا زدحم كلهم[1]، ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾: نعمتك ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ﴾: فدعاؤنا إظهار لعبوديتك، ﴿وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن﴾ للاستغراق ﴿شَيْءٍ﴾: كائن ﴿فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾: لاستواء نسبته تعالى إلى الكل، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ﴾: في تسع وتسعين سنة، ﴿وَإِسْحَٰقَ﴾ في

---

(١) قال مجاهد: لو قال: أفئدة الناس؛ لازدحمت عليه فارس والروم والترك والهند. * الوسيط (٣/ ٣٤)، معالم التنزيل (٣/ ٣٨)، تفسير الرازي (١٩/ ١٠٨).

وقال سعيد بن جبير: لو قال: أفئدة الناس؛ لحجت اليهود والنصارى والمجوس ولكنه قال: أفئدة من الناس، فهم المسلمون. * الوسيط (٣/ ٣٤).

مائة واثني عشرة، دل على أن دعاءه بعد البناء وزمان الدعاء والحمد مختلف، فإن الدعاء في طفولية إسماعيل، ولم يكن إسحاق حينئذ ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ﴾: مجيب ﴿الدُّعَآءِ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ﴾: مواظبًا على، ﴿الصَّلَوٰةِ وَ﴾: اجعل، ﴿مِن ذُرِّيَّتِي﴾ مقيمًا بعض لعلمه بكفر بعض بإعلام الله أو استقراء عادته في الأمم، ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾ كله أو عبادتي[1]، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾: كانت أمه مؤمنة وأبوه مرجو الإسلام ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾: استعارة من توبته، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ﴾: بإمهاله الظالمين، ﴿غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّٰلِمُونَ﴾: أراد تثبيته عليه الصلاة والسلام على عقيدته، أو أراد بالغفلة تركهم سدى ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾: أي: عقوبتهم، ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ﴾: ترتفع، ﴿فِيهِ الْأَبْصَٰرُ﴾: لا تقر في أماكنها من هوله، ﴿مُهْطِعِينَ﴾: مسرعين إلى الحشر، ﴿مُقْنِعِي﴾: رافعي ﴿رُءُوسِهِمْ﴾: إلى السماء، ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾: يديمون النظر بلا تحريك الأجفان، ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾: خالية عن الفهم أو كالهواء في الاضطراب، ﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: بالشرك ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ﴾: أمهلنا وردنا ﴿إِلَىٰ﴾: الدنيا إلى، ﴿أَجَلٍ﴾: حد من الزمان، ﴿قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾: فتقول الملائكة لهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓا أَقْسَمْتُم﴾ حلفتم ﴿مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا﴾ بينّا ﴿لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾: من أحوالهم وإنكم[2] مثلهم فما اعتبرتم، ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ﴾: غاية لإبطال الحق، ﴿وَعِندَ اللَّهِ﴾: مكتوب، ﴿مَكْرُهُمْ﴾: فيجازيهم ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ﴾: في الشدة مهيئا، ﴿لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ على حقيقته أو مجاز عن الدين الثابت، وبفتح اللام و «إن» مخففة، ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾: من نصرهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالب، ﴿ذُو انتِقَامٍ﴾: لأوليائه، ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾: فتكون من فضة، ﴿وَالسَّمَٰوَٰتُ﴾: غير السموات

---

(١) قرأ أبو عمرو وحمزة وابن كثير ونافع وعاصم وورش وأبو جعفر وقنبل وحفص «دعائي».

* إتحاف (٢٧٣)، السبعة (٣٦٣)، غيث النفع (٢٦٦)، النشر (٢/ ٣٠١).

(٢) في (ن): فإنكم.

فتكون من ذهب[١] هذا قول علي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وفي مسلم[٢]: «أن الخلق يومئذ على الصراط» قيل: هي تلك الأرض، وإنما تتغير صفتها[٣]، وقيل: تصير خبزة بيضاء يأكلها المؤمن من تحت قدمه[٤]، ﴿وَبَرَزُوا﴾: من قبورهم، ﴿لِلَّهِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾: الغلَّاب الغير المغلوب[٥] ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ﴾: مع مشاركيهم في العمل والعقيدة، أو شياطينهم، ﴿فِي ٱلْأَصْفَادِ﴾: الأغلال، لمقارنتهم في الضلال ﴿سَرَابِيلُهُم﴾: قمصهم ﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾ ما يتحلّبُ[٦] منَ الأبْهل[٧]، وهو أسود منتن يطلى به الإبل الجربى[٨] فيخرق الجلد بحدته، ﴿وَتَغْشَىٰ﴾: تعلو ﴿وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ۝ لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ﴾: متعلق ببرزوا ﴿كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾؛ لأنه لا يشغله حساب عن حساب ﴿هَٰذَا﴾: القرآن، ﴿بَلَٰغٌ﴾: كفاية في الوعظ، أنزل ﴿لِّلنَّاسِ﴾: ليتعظوا ﴿وَلِيُنذَرُوا بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾: بالتأمل في الآيات، ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا

---

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٢٥٤)، معالم التنزيل (٣/ ٤١)، زاد المسير (٤/ ٣٧٦) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٣٩)، الوسيط (٣/ ٣٧).

(٢) يشير إلى حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: قلت: يا رسول الله! أرأيت قول الله: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ أين الناس يؤمئذ؟ قال: على الصراط. أخرجه مسلم (٤/ ٢١٥٠/ ٢٩/ ٢٧٩١)، الترمذي (٥/ ٢٩٦/ ٣١٢١) و (٥/ ٣٧٢/ ٣٢٤٢)، وابن ماجة (٢/ ١٤٣٠/ ٤٢٧٩)، والدارمي (٢/ ٤٢٣، ٤٢٤/ ٢٨٠٩)، وأحمد (٦/ ٤٠/ ٢٤١٢٤)، والحاكم (٢/ ٣٥٢).

(٣) في (ن): صفاتها.

(٤) يشير إلى حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة، يكفؤها الجبار بيده كما يكفؤ أحدكم خبزته في السفر نزلا لأهل الجنة**». أخرجه البخاري (١١/ ٣٧٩/ ٦٥٢٠)، ومسلم (٤/ ٢١٥١/ ٣٠/ ٢٧٩٢).

وعن سعيد بن جبير قال: «**تكون الأرض خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه**». أخرجه الطبري (١٣/ ٢٥٤)، معالم التنزيل (٣/ ٤١)، تفسير ابن كثير (٤/ ٤٣٩)، زاد المسير (٤/ ٣٧٦).

أقول: ولا مانع من ذلك؛ تخفيفا على المسلمين في هذا الموقف.

(٥) في (ن): مغلوب.

(٦) يسيل.

(٧) شجر الأرز.

(٨) التي أصابها الجرب- والعياذ بالله.

ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾: العقول السليمة فينزجروا.





«سورة الحجر»[1]: مكية[2][3]

لما قال: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ ﴾ إلى آخره، بيَّن أنه المكتوب في اللوح المحفوظ فقال: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ﴾: السورة، آياتُ ﴿ٱلۡكِتَٰبِ ﴾: اللوح الجامع لجميع الكائنات، ﴿وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ﴾: للرشد من الغيّ، قدَّمَ الكتاب هنا باعتبار الوجود الخارجي، وأخَّر القرآن في النمل[4] باعتبارعلمنا به ﴿ رُّبَمَا ﴾: للكثرة من استعارة أحد الضدين للآخر مبالغة، ﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾: حين يجتمعون مع العصاة في النار فيقولون لهم: ما أغنى عنكم الإسلام، فيغضب الله عليهم ويخرج العصاة[5]، ﴿لَوۡ ﴾: أن، ﴿كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۞ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ ﴾: بدنياهم، ﴿وَيُلۡهِهِمُ ﴾: يشغلهم ﴿ٱلۡأَمَلُۖ ﴾: عن الاستعداد للمعاد، ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾: سوء صنيعهم، نسخت بالقتال ﴿ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا ﴾: ﴿وَ﴾ هي، ﴿لَهَا كِتَابٞ ﴾: أجل، ﴿مَّعۡلُومٞ ﴾: مؤقت لإهلاكها، ﴿ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ﴾: عنه، فسر مرة، ذكَّر وجمع للمعنى ﴿ وَقَالُواْ ﴾ استهزاءً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ ﴾: القرآن، ﴿إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ٦ لَّوۡ مَا ﴾:

---

(١) في هامش (ن): الجزء (١٤).

(٢) في قولهم جميعا- عدد سور القرآن (٢٧٧).

(٣) في هامش نسخة (د): سورة الحجر مكية، تسع وتسعون آية بالاتفاق ثم الأنعام، كلماتها (٦٥٤) عدد سور القرآن (٢٧٧)، والبيان (١٧٣)، القول الوجيز (٢١٨)، البصائر (١/ ٢٧٢) وحروفها (٢٧٧١) البيان (١٧٣).

(٤) القرآن وكتاب.

(٥) يشير إلى حديث أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: «إذا اجتمع أهل النار في النار، ومعهم من شاء الله من أهل القبلة، قال الكفار للمسلمين: ألم تكونوا مسلمين؟ قالوا: بلى، قالوا: فما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا في النار؟ قالوا: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها، فسمع الله ما قالوا «فأمر الله من كان في النا من أهل القبلة فأخرجوا، فلما رأى الكفار قالوا: يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج من النار كما أخرجوا، قال: ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ١ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾.

* أخرجه الحاكم (٢/ ٢٤٢)، والطبري (١٤/ ٣)، والنسائي (٦/ ٣٧٣) وسنده ضعيف.

هلًا، ﴿تَأْتِينَا بِالْمَلَٰٓئِكَةِ﴾: ليصدقوك، ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: فأجاب الله عنه ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا﴾: ملتبسا ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: بالحكمة، ولا حكمة فيه[1]؛ لأنكم تستأصلون، وفي أصلابكم من حكم بإيمانه ﴿وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ﴾: مؤخرين ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾: عن التغيير، فجعلناه معجزة، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾: رسلًا، ﴿فِى شِيَعِ﴾: فرق، ﴿ٱلْأَوَّلِينَ ۞ وَمَا﴾: كان، ﴿يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: كقومك، ﴿كَذَٰلِكَ﴾: كإدخال الاستهزاء في قلوب هؤلاء، ﴿نَسْلُكُهُۥ﴾: ندخل الاستهزاء، ﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۞ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾: بالرسول، ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ﴾: الله في، ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾: بإهلاك المكذبين، ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾: فينظروا إلى الملائكة طول النهار ﴿لَقَالُوٓا۟﴾: عنادًا، ﴿إِنَّمَا سُكِّرَتْ﴾ سُدّتْ بالسحر ﴿أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾: سحر محمد عقولنا كما قالوه في غيره من المعجزات ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا﴾: خلقنا، ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾: اثني عشر، مختلفة الهيئات والخواص[2] مع وحدة حقيقة السماء، ﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾: بالنجوم، ﴿لِلنَّٰظِرِينَ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾: فلا يقدر أن يطلع على أحوالها ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ﴾: اختلس سرًّا منها، ﴿فَأَتْبَعَهُۥ﴾: لحقه ﴿شِهَابٌ﴾: شعلة نار ساطعة، ﴿مُّبِينٌ﴾: ظاهر للمبصرين، وما ورد أنها بولادة[3] محمد- ﷺ[4]- لا يقدح بكونها قبله لجواز كونها بأسباب أُخر، وورد أنهم منعوا بولادة عيسى عن ثلاث، وبولادة نبينا- ﷺ- عن البواقي[5]، ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾: بسطناها، ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا﴾: جبالًا، ﴿رَوَٰسِىَ﴾: ثوابت، ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا﴾: في

---

(١) يعني في نزول الملائكة عيانًا؛ لأنها لو نزلت ستنزل على صورة بشر مما يزيدكم لبسًا.

(٢) على ما دل عليه الرصد والتجر به مع بساطة السماء. * أنوار التنزيل (٣٤٥).

(٣) أرسلت على الشياطين لما ولد النبي ﷺ.

(٤) الوسيط (٣/ ٤١).

(٥) هذا مروي عن ابن عباس. * الوسيط (٣/ ٤١)، معالم التنزيل (٣/ ٤٥)، الجامع للقرطبي (١٠/ ٨/ ٩)، إرشاد العقل السليم (٥/ ٧١) تفسير الرازي (١٩/ ١٣٤) زاد المسير (٤/ ٣٨٩).

الأرض، ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾: مُقدَّرٌ بمقتضى[1] الحكمة، ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾: ما تعيشون به، ﴿وَ﴾: جعلنا لكم، ﴿مَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾: من نحو العيال الذين تظنون أنكم ترزقونهم ﴿وَإِن﴾: ما، ﴿مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ﴾: تمثيل لكمال قدرته، شبه قدرته على كل شيء بالخزائن المودعة فيها الأشياء المعدة لإخراج كل شيء بحسب المصلحة، ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾: اقتضته حكمتنا ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾: حوامل بالماء من السحاب، ثم نُجْريها في السحاب حتى تَدُرُّ كَدَرِّ اللِّقْحَة[2] أو بمعنى الملاقح، أي: للشجر، ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾: جعلناه لكم سُقْيا، ﴿وَمَا أَنتُمْ لَهُ﴾ المطر ﴿بِخَازِنِينَ﴾: بل هو في خزائننا، ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾: الباقون بعد فناء الخلق ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ﴾: من لَدُنْ آدم، ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾: من سيأتي إلى آخر الدنيا، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾: للجزاء، ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾: في أفعاله، ﴿عَلِيمٌ﴾: بالكلِّ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ﴾: آدم، ﴿مِن صَلْصَالٍ﴾: طين يابس يُصَوِّت إذا نُقر، أو طين منتن كائن ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾: مُصوَّر أو مصبوب أو منتن، ﴿وَالْجَانَّ﴾: أبا الجن أو أبليس أو الشياطين، ﴿خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ﴾: قبل آدم، ﴿مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾: الحر الشديد، أو نار بلا دخان، وهي بالإضافة إلى نارنا هذه كالجمد إلى الماء، والحجر إلى التراب، ﴿وَ﴾: اذكر، ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾: عدَّلت خلقه، ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾: إضافة تشريف، والنفخ تمثيل لتحصيل[3] ما يحيى به فيه، ﴿فَقَعُوا﴾: اسقطوا ﴿لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾: تأكيد آخر لزيادة تمكين المعنى أو يفيد معنى الاجتماع، ﴿إِلَّا﴾: لكن، ﴿إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾: فسر مرة ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا﴾: أيُّ غرض،

---

(١) كذا في (ن)، و(د).

(٢) اللقحة- بكسر اللام وسكون القاف المثناة - الناقة ذات اللبن، والملاقيح: التي في بطونها أولادها، ومعنى لواقح: التي تلقح النخل، أي: تحمل ريح الذكر إلى الأنثى فتطلع، وضدها العقيم. * عمدة الحفاظ (٤/ ٣٥).

(٣) في (ن): ليحصل.

﴿لَكَ﴾ في ﴿أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ قَالَ لَمْ أَكُن﴾: ما صح لي، ﴿لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾: ولما تكبر ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا﴾: من منزلتك، فسر مرة ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾: مطرود من الخير، ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ﴾: تلك، ﴿ٱللَّعْنَةَ﴾ المتصلة ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ حدَّه به؛ لأنه يناسب أيام التكليف، وأما قوله: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ﴾ - الآية[1]» فبمعنى آخر ينسى عندها هذه؛ لأنه أبعد غاية يضربُها[2] الناس ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ﴾: أَخِّرْ أجلِيْ، ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾: أراد به أن لا يموت، ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾: فيه أجلك وهو النفحة فيموت أربعين سنة، ﴿قَالَ رَبِّ﴾: أُقسمُ ﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾: فسر مرة، ﴿لَأُزَيِّنَنَّ﴾: المعاصي، ﴿لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: الدنيا، ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾: أخْلَصْتَهمْ لطاعتك، ﴿قَالَ هَـٰذَا﴾ أي: تخليصهم عنك ﴿صِرَٰطٌ عَلَىَّ﴾: رعايته، ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾: لا انحراف عنه، أو هذا الإخلاص طريق عليَّ بلا عوج، وقُدِّمَ[3] أن المخاطبة بواسطة الملك أو نحوه، ﴿إِنَّ عِبَادِى﴾: كلهم، ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ تصديق له، والاستثناء يدفعان اشتراط أقلية المستثني من الثاني للزوم التناقض، إلا أن يجعل الثاني منقطعا ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ﴾: الغاوين، ﴿أَجْمَعِينَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ﴾: لأنها سبعة أطباق[4] جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية لكل طبقة باب، وسر حصره انحصار المهلكات في الركون إلى المحسوسات والشهوية والغضبية ﴿لِّكُلِّ﴾: طبقة باب لكل، ﴿بَابٍ﴾: منها، ﴿مِّنْهُمْ﴾: من أتباعه، ﴿جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ له، لأعلاها عصاة الموحدين ثم اليهود ثم النصارى ثم الصابئون ثم المجوس ثم المشركون ثم المنافقون[5]، ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ﴾: يقال لهم:

---

(١) سورة الأعراف.

(٢) يُسافر إليها.

(٣) يعني: تقدم قبل ذلك.

(٤) الوسيط (٣/ ٤٦).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٢٦٥/ ١٢٣٩٥) عن الضحاك.

﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ﴾: سالمين أو مُسلَّمًا عليكم ﴿ ءَامِنِينَ ﴾ من الزوال، ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ ﴾: حقدٍ دنيوي، أو تحاسد على درجات الجنة، ﴿إِخۡوَٰنًا ﴾: في المودة، ﴿عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾: لا ينظر بعضهم قفا الآخر لدوران الأسِرَّة بهم، ﴿ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ ﴾: تعبٌ، ﴿وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۞ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴾ لم يقل: أني أنا المعذب؛ لرجحان رحمته، ونبه بذكر المغفرة أنه لم يرد بالمتقين من يتقي كل ذنب[1] ﴿ وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ۞ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ ﴾ نُسلّم عليك ﴿سَلَٰمٗا قَالَ ﴾ إبراهيم بعد رد سلامهم: ﴿إِنَّا مِنكُمۡ وَجِلُونَ ﴾:، خائفون، وفسر في هود، ﴿ قَالُواْ لَا تَوۡجَلۡ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴾: إسحاق، ﴿ قَالَ أَبَشَّرۡتُمُونِي ﴾: بالولد، ﴿عَلَىٰٓ ﴾: مع، ﴿أَن مَّسَّنِيَ ٱلۡكِبَرُ ﴾: وهو محال، ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾: فإنه كبشارة بغير شيء، ﴿ قَالُواْ بَشَّرۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ ﴾: بما يكون لا محالة، ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡقَٰنِطِينَ ﴾: الآيسين، ﴿ قَالَ ﴾: إبراهيم، ﴿وَمَن ﴾: لا، ﴿يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾: أي: هذا مني لم يكن قنوطًا بل استبعادًا عاديًا، ﴿ قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ ﴾: شأنكم الذي أرسلتم له ﴿أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾: علم أن إرسالهم ليس لمجردها[2]؛ إذ يكفيها واحد كما في عيسى ويحيى، ولأنهم ذكروها في أثناء كلامهم لإزالة الوجل، ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ﴾: قوم لوط، ﴿ إِلَّآ ﴾: لكن، ﴿ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۞ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴾: الباقين مع الكفرة لتهلك معهم، ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۞ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴾: أنكركم مخافة شركم، قالوا: ما جئناك بالشر، ﴿بَلۡ جِئۡنَٰكَ بِمَا كَانُواْ ﴾: أصحابك، ﴿فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴾: يشكُّون من العذاب، ﴿ وَأَتَيۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ ﴾: باليقين من عذابهم، ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ۞ فَأَسۡرِ ﴾ اذهب في الليل[3]، ﴿بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ ﴾: في طائفة، ﴿مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَٱتَّبِعۡ أَدۡبَٰرَهُمۡ ﴾: سر خلفهم، ﴿وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ

---

(١) في (ن): كل الذنوب.

(٢) البشارة.

(٣) من السرى وهو السير ليلا.

﴿أَحَدٌ﴾: إلى وراءه إذا سمع الصيحة، ﴿وَٱمْضُواْ﴾: إلى، ﴿حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾: وهو الشام[(١)]، ﴿وَقَضَيْنَآ﴾: أوحينا، ﴿إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾: مبهمٌ يبيِّنه: ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ﴾: أي: يستأصلون ﴿مُّصْبِحِينَ﴾ داخلين في الصبح ﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ﴾ سدوم[(٢)] قرية لوط، ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾: بأضيافه طمعًا فيهم، ذكر القصة في هود بترتيب الوقوع وهنا أخر ذكرهم عن قول الرُّسل: بل جئناك، مع تقدمه ليستقل الأول ببيان كيفية[(٣)] نصرة الصابرين، والثاني: بمساوئ الأمم ﴿قَالَ﴾ لوط: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ﴾: بفضحهم ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾: لا تخجلون ﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ﴾: أن تخبر أحدا من ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ﴾: تزوجوهنّ ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾: قضاء وطركم، فسر مرة، ﴿لَعَمْرُكَ﴾: حياتك يا محمد قسمي ﴿إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: يتحيرون، المضارع لاستحضار عمههم، أو هذه معترضة في قريش ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾: الهائلة من جبريل، ﴿مُشْرِقِينَ﴾: داخلين في وقت شروق الشمس أي: طلوعها، والإشراق: إضاءةٌ فيها فامتد[(٤)] من طلوع الصبح إليه، ﴿فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا﴾: عالي قراهم ﴿سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾: فسر مرة، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ المتفرسين[(٥)] ﴿وَإِنَّهَا﴾: تلك المدينة، ﴿لَبِسَبِيلٍ﴾: طريق، ﴿مُّقِيمٍ﴾: تسلكونه وترونه، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَإِن﴾: إنه، ﴿كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ﴾: شَجَرةٌ بقرب مدين، وهم قوم شعيب[(٦)]، أهلك الله أهل الأيكة بالظلة، وأهل مدين بالصيحة، ﴿لَظَٰلِمِينَ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾: كما مر ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ سدوم والأيكة، ﴿لَبِإِمَامٍ﴾: طريق، ﴿مُّبِينٍ﴾: واضح، تسلكونها، ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ﴾:

---

(١) وهو مروي عن ابن عباس. * الوسيط (٣/ ٤٨)، معالم التنزيل (٣/ ٤٨)، معالم التنزيل (٣/ ٥٤)، الجامع للقرطبي (١٠/ ٢٦)، تفسير الرازي (١٩/ ١٦٠)، روح المعاني (١٤/ ٦٩).

(٢) الوسيط (٣/ ٤٨)، غرر التبيان (٢٩٨).

(٣) في (د): ببيانه كبقية.

(٤) كذا في (ح)، و(س)، و(ع). وغير واضحة في (ن).

(٥) سقطت من: (ع).

(٦) غرر التبيان (٢٩٨)، المعارف (٤٢)، معالم التنزيل (٣/ ٥٥)، الجامع القرطبي (١٠/ ٣١)، روح المعاني (١٤/ ٧٥)، تفسير الرازي (١٩/ ١٦٢)، فتح القدير (٣/ ١٤٠).

واد بين المدينة والشام، وهم ثمود، كذبوا صالحا فكأنهم كذبوا المرسلين كما مر، ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا ﴾: كالناقة ﴿فَكَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾: فاستدلوا[1] على صدقهم ﴿ وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴾: من عذاب الله، ظانين أنها تمنع، ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴾: داخلين في الصباح، ﴿ فَمَآ أَغْنَىٰ ﴾: دفع عنهم العذاب، ﴿مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾: من البيوت[2] وغيرها، ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا ﴾: خلقًا ملتبسًا، ﴿بِٱلْحَقِّ ﴾ فَما يدُوْمُ الشّرور[3] [والفساد][4] ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٌ ﴾: فننتقم من المكذبين، ﴿فَٱصْفَحِ ﴾: أعرض عنهم، ﴿ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾: بلا جزع، نُسخت بالقتال، ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ﴾: لكل شيء، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بكل حال، ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ﴾: الآيات الفاتحة ﴿ٱلْمَثَانِي ﴾: بيان للسبع من التثنية أو الثناء[5] كما مرَّ في الفاتحة، ﴿وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾: عطف الكل على البعض ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ﴾: لا تنظر نظر راغبٍ ﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا ﴾: أصنافا، ﴿مِّنْهُمْ ﴾: من الكفار واستغن بالقرآن، ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾: إن لم يؤمنوا ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ ﴾: تواضع، ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾: كناية عن حسن التدبير والإشفاق من خفض الطائر جناحه على الفروخ وضمها إليه، ﴿ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴾: البين بعذاب، ﴿ كَمَآ ﴾: كعذاب، ﴿أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴾: الإثنا[6] عشر الذين اقتسموا مداخل مكة في الموسم ينفرون الناس عن محمد- ﷺ- فأهلكوا يوم بدر وفيه نظر[7]؛ لأن السورة مكية، فالأولى أن يجعل المقتسمين المتقاسمين على إهلاك صالح والمتخالفين[8] مع الأنبياء بجعل مفعول التدبر: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴾

---

(١) في (ن): ما استدلوا.

(٢) في (ن): الذنوب.

(٣) في (ن)، و(س)، و(ع): فما يديم الشرور.

(٤) ما بين المعكوفتين من تفسير البيضاوي.

(٥) في (د): والثني.

(٦) في (د): الإثني.

(٧) بل لا يصح؛ لأنه من تفسير مقاتل وهو متروك - الوسيط (٣/ ٥٢).

(٨) كذا.

أجزاء كهانة وسحر أو نحوه والله تعالى أعلم، ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾: ومنه اقتسامهم، وأما قوله: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ ﴾ إلى آخره، ففي موقفٍ آخر، وهو الاستعلام، وهذا للتوبيخ، ﴿ فَٱصْدَعْ ﴾: اجهر ﴿بِمَا تُؤْمَرُ﴾: به من الشرائع، ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞ إِنَّا كَفَيْنَـٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾: خمسة[1] كانوا يُؤْذون النبي - ﷺ- فأهلكوا سريعًا، ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾: عاقبتهم ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾: من الطعن في دينك، ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾: قُلْ: سبحان الله وبحمده، أي: نزِّهه عن مقالتهم حامدا على ما أعطاك، ﴿وَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴾: المُصلين ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ ﴾: دائما، ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾: الموت المتيقن اللُّحوق لكل. واللهُ أعلمُ بالصّواب، وإلَيْه المرجعُ والمآب.



---

(١) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن المستهزئين « الوليد بن المغيرة، وأبو زمعة- وهو الأسود بن عبد المطلب-، والأسود بن عبد يغوث، والعاص بن وائل، قال: كلهم قتل ببدر بموت أو بمرض، والحارث بن قيس وهو من العياطل. * أخرجه الطبري (١٤/ ٥١)، والطبراني (١١/ ٩٣، ٩٤/ ١١٢١٥).



«سورة النحل»(١) : مكية(٢)

لمَّا منعهُ عن ضيق الصدر، استعجالًا للنصر وعذابهم الموعود قال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ أَتَىٰٓ﴾: تحقَّق وقوعًا ﴿أَمْرُ ٱللَّهِ﴾: وعده من القيامة وغيرها، ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾: أيها المشركون، فإنه واقع، ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَن﴾ مشاركة ﴿مَا يُشْرِكُونَ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾: جبريل، ﴿بِٱلرُّوحِ﴾: بالوحي المحي للقلوب، ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾: بأمره، ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ﴾: بـأن، ﴿أَنذِرُوٓاْ﴾: اعلمـوا، ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾: بالحكمة، ﴿تَعَٰلَىٰ عَن﴾ مشاركة ﴿مَا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ﴾: حين استقلّ، ﴿خَصِيمٌ﴾ لربه ﴿مُّبِينٌ﴾: ظاهر الخصومة، ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾: ما يُدَفِّئ ويقي من البرد، ﴿وَمَنَٰفِعُ﴾: بالنسل وغيره، ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾: أفاد بالتقديم أن الأكل من الصيد والطير كالتَّفَكُّهِ مع مراعاة الفاصلة، ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾: زينة، ﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾: تردونها إلى مراحها ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾: تخرجونها إلى المرعى، قدَّم الإراحة؛ لأن الجمال فيها أظهر لملء بطنها، ودَرِّ ضَرْعِها، ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾: أحمالكم، ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ﴾: بلا أنعام، ﴿إِلَّا بِشِقِّ﴾: بمشقة ﴿ٱلْأَنفُسِ﴾: فضلًا عن أن تحملوها على ظهوركم إليه، ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: برحمته خلقها لكم، ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾: اللام للتمكين نحو: ﴿لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾(٣) ﴿وَزِينَةً﴾: للزينة، غير الأسلوب لسعتها.

* **تنبيه**: الاستدلال على حرمتها(٤) بترك ذكر أكلها في معرض الامتنان مع ذكر

---

(١) في هامش (ن): بلغ مقابلة.

(٢) في هامش نسخة (د): سورة النحل- مكية، مائة وثمان وعشرون آية بالاتفاق غير أربع آيات ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ﴾، و﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ إلى آخر السورة كلماتها (١٨٤١) البيان (١٧٥)، والقول الوجيز (٢٢٠) وحرفهما (٧٧٠٧) البصائر (١/ ٢٧٨).

(٣) سورة يونس.

(٤) يعني الخيل.

أدنى النعمتين مدفوع بأنها معظم منافعها عُرفًا لا أكلها بخلاف النعم، وذكر أغلب المنافع دَأب[١] اختصارات القرآن، على أنه صَحَّ في الصحيحين حل الخيل وأن الآية مكية، وحرمة الحمير الأهلية عام خيبر[٢]، ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ﴾: بيان المستقيم من جنس، ﴿السَّبِيلِ وَمِنْهَا﴾: بعض السبيل ﴿جَائِرٌ﴾: مائلٌ عن الحق، ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: إلى قصد السبيل، ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ﴾: إذ العيون منه، ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾: قيل: هو كل نباتٍ ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾: ترعون أنعامكم، قدمه على الزيتون وما بعده؛ لصيرورته غذاء حيوانيًا، وهو أشرف الأغذية، ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ﴾: بالماء، ﴿الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ﴾: بعض، ﴿كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾: إذ كلها إنما توجد في الجنة ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾: على كمال قدرته، ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَسَخَّرَ لَكُمُ﴾: هيَّأ لمنافعكم ﴿اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ﴾: أي: نفعكم بها حال[٣] كونها ﴿مُسَخَّرَاتٌ﴾ أو تسخيرات أو أنواعا من التسخير، ﴿بِأَمْرِهِ﴾: بتقديره، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: ﴿وَ﴾ سخر لكم ﴿مَا ذَرَأَ﴾ خلق ﴿لَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: من الحيوان والجماد، ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾: أشكاله، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾: أن اختلاف طباعه وأشكاله مع اتحاد مواده إنما هو بصنع حكيم عليم، أفرد آية هنا ليطابق ما ذرأ وإن كثر ما صدقه، وكذا في الأول؛ لأن الاستدلال بإنبات الماء واحد، وجمع في الثاني؛ لأن الاستدلال فيه متعدد، وجعل العقل فيه والفكر في الأول؛ لأن دلالات العلويات ظاهرة، ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾: السَّمك، خصه به؛ لأنه أرطب[٤] اللحوم، واستدل به مالك على حنث من حلف لا يأكل اللحم فأكله[٥]، ورد بأن مبنى

---

(١) عادة.

(٢) عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية، وأذن في لحوم الخيل» أخرجه البخاري (٥٥٢٠) ومسلم، (١٩٤١)، وأبو داود (٣٧٨٨) وللعلائي: «توفية الكيل لمن حرم لحوم الخيل» ا.هـ.

(٣) في (ن)، و(د): حين.

(٤) في (ن): رطب.

(٥) الجامع - للقرطبي (١٠/ ٥٧).

اليمين على العرف، وإطلاقه لا يفهمه فيه كركوب الكافر فيمن يحلف لا يركب دابة مع تسمية الله إياه بها، ﴿وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً﴾ اللؤلؤ والمرجان ﴿تَلْبَسُونَهَا﴾ تلبسها[١] نساؤكم لكُمْ ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ﴾: تمخر الماء أي: تشقه بصدرها أو المخر صوت جريها[٢] أو مواقر ﴿فِيهِ﴾ أي: مثقلات فيه ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾: سعة رزقه، حيث تركبونها للتجارة، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: نعمه، ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: جبالًا ﴿رَوَاسِىَ﴾: ثوابت كراهة، ﴿أَن تَمِيدَ﴾ تميل ﴿بِكُمْ﴾ ﴿وَ﴾: جعل فيها، ﴿أَنْهَٰرًا وَسُبُلًا﴾: طُرُقًا، ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: إلى مقاصدكم، ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾: تستدل[٣] بها السابلة[٤] كالجبال والتلال، ﴿وَبِٱلنَّجْمِ﴾ بجنسه ﴿هُمْ يَهْتَدُونَ﴾: في البر والبحر، ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾: من شركائكم، وأصله عكسه لكن شنع به على أن[٥] جعلوه تعالى كمخلوق عاجز ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: فتعرفون فساده، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾: فكيف بشكرها؟ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: لا يعاقبكم بتقصيركم في شكرها ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾، ﴿وَ﴾: الآلهة، ﴿ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾: تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾: دفع بالوصف وهم المجاز والمآل إليه كالنطفة، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾: وقت بعثهم، والإله حيٌّ علام الغيوب ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾: تنتجه[٦] الحُجج[٧]، ﴿فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾: لا تتأمل في الحجج ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾: عن اتباع الرسل، ﴿لَا جَرَمَ﴾: حقًّا، ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: فيجازيهم، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾: مُطلقًا فضلاً عنهم، ونزل في نضر بن الحارث[٨]، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم﴾

---

(١) في (ن): يلبسها.

(٢) عمدة الحفاظ (٤/ ٧٧).

(٣) في (ن): يستدل.

(٤) المسافرون في السبل وهي الطرق.

(٥) في (ن): أنهم.

(٦) في (ن): نتيجة.

(٧) الأدلة العقلية والنقلية ا.هـ.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٢٨١/ ١٢٥٠٤) عن قتادة قال: إن أناسا من مشركي العرب =

سألهم الحجاج الواردون: ﴿مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ﴾: على محمدٍ ﴿قَالُوٓاْ﴾: ما زعم نزوله، ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: لا مُنزلٌ من اللهِ ﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ﴾: اللام العاقبة، ﴿أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ﴾: بعض، ﴿أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍ﴾ حال من المفعول أي: جاهلين بأنه ضلال، نبّه بالقيد على وجوب البحث والتمييز بين المحق والمبطل ثم الاقتداء به، ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾: فعلهم ﴿قَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾: لهدم بناء دين الله ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ﴾: أي: أمره[1] ﴿بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ﴾ جهةِ ﴿ٱلۡقَوَاعِدِ﴾: التي بنوا عليها، ﴿فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ﴾: هذا مثل لتدميرهم أو في صرح نمروذ وانهدامه عليهم عن ابن عباس - رضي الله عنهما -: أنَّ نمرُوذ إذ بنى الصرح ليصعد إلى السماء[2] طولها[3] خمسة آلاف ذراع، فألقت الريح رأسها في البحر وخر عليهم الباقي وهم تحته[4] ﴿ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُخۡزِيهِمۡ﴾: بالنار، ﴿وَيَقُولُ﴾: توبيخًا، ﴿أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تُشَٰٓقُّونَ﴾: تخالفون المؤمنين، ﴿فِيهِمۡ﴾: في سبيلهم، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ ممن كان يدعوهم إلى الهدى شماتة، ﴿إِنَّ ٱلۡخِزۡيَ ٱلۡيَوۡمَ وَٱلسُّوٓءَ﴾: العقاب ﴿عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ﴾: انقادوا بملائكة العذاب قائلين، ﴿مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭ﴾: كفر، فتقول الملائكةُ: ﴿بَلَىٰٓ﴾: عملتم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾: فيجازيكم، ﴿فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾: كل صنف لبابه، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى﴾ منزل ﴿ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾: عن عبادته جهنم، ﴿وَقِيلَ﴾: القائل الحُجَّاج[5] ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ﴾: أنزل، ﴿خَيۡرٗاۗ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞ﴾: حياة طيبة، ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ﴾: لهم، ﴿وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ

= كانوا يقعدون بطريق من أتى نبي الله ﷺ فإذا مروا سألوهم فأخبروهم بما سمعوا من النبي ﷺ فقالوا: إنما هو أساطير الأولين.

(١) تأويل، والمعنى ظاهرٌ.

(٢) ويحارب أهلها بزعمه.

(٣) يعني المسافة.

(٤) الوسيط (٣/ ٦٠)، معالم التنزيل (٣/ ٦٦)، تفسير القرطبي (١٠/ ٦٥)، روح المعاني (١٤/ ١٢٥).

(٥) جمع حاج - تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٨٢/ ١٢٥١٠)، تفسير الرازي (٢٠/ ٢٠)، الوسيط (٣/ ٦١)، تفسير القرطبي (١٠/ ٦٦).

جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ﴾: ويشتهون، ﴿كَذَٰلِكَ ﴾: الجزاء، ﴿يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ﴾: طاهرين من الظلم أو فرحين، ﴿يَقُولُونَ ﴾: الملائكة، ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ﴾: لا يلحقكم بعد مكروه، ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ ﴾: حين تبعثون أو الآن، كذا صح في الحديث[1]، ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ هَلْ يَنظُرُونَ ﴾: ما ينتظر الكفار، ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾: لقبض أرواحهم، ﴿أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾: القيامة أو العذاب المستأصل ﴿كَذَٰلِكَ ﴾: الفعل من التكذيب، ﴿فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ ﴾: بتعذيبهم، ﴿وَلَٰكِن ﴾: جزاء ما، ﴿كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ بعملهم ما استحقوه به ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ ﴾ أي: وبالها ﴿وَحَاقَ ﴾ أحاط ﴿بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾: استهزاءً؛ لأنهم لم يعتقدوا قبح أعمالهم ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ ﴾: أن لَا نعبد غيره، ﴿مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ﴾: من نحو البحائر، ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾: فُسِّرَ مرة في الأنعام، ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾: الظاهر لاهتدائهم ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ﴾: بأن، ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾: الأوثان[2]، ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ ﴾: إلى الإيمان، ﴿وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾: إن لم يوفقهم، ﴿فَسِيرُواْ ﴾: يا قريش، ﴿فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ ممَّن قبلكم ﴿ إِن تَحْرِصْ ﴾: يا محمد، ﴿عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ ﴾: فلا نفع فيه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ﴾: يريد ضلاله، ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾: بإنجائهم، ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ ﴾: أغلظ، ﴿أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ ﴾: يبعثهم ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ ﴾: إنجازه، ﴿حَقًّا ﴾: مصدر إن مؤكد لنفسه ولغيره، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾: أنهم يبعثون ببعثهم، ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ﴾: لمن يبعث، ﴿ٱلَّذِى

---

(١) يعني أن الجنة والنار مخلوقتان الآن، وقد سبق بيان هذا.

(٢) بل كل ما عبد من دون الله فهو طاغوت قال المسلمين: وليس هذا تفسير لموضوع اللفظ، بل أطلق عليه مبالغة، وأصل الطاغوت مصدر بني على «فعلوت» مبالغة كالملكوت والرغبوت، وأصله: طغووت أو طغيوت، فقلبت الكلمة بأن أخرت عينها إلى موضع لامها، ولا مها إلى موضع عينها فصارت طغيوتا أو طيغوتا فتحرك حرف العلة وانفتح ما قبله فقلبت الفاء، فوزنه بعد القلب: «فلعوت» وقيل: هو فعلوت. * عمدة الحفاظ (٢/ ٤٠٧/ طغو).

يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ ﴾: وهو الحق، ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴾: في حلفهم: «لا يبعث الله»، ثم بين وضوح إمكانه بقوله، ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ ﴾: أي: إيجاده، ﴿أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن ﴾: احْدُثْ ﴿فَيَكُونُ ﴾: فيحدث بلا حاجة إلى مادة ومدة، فكيف وله مادّة؟ ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ ﴾: لوجهه، ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ ﴾: بالإيذاء وغيره، ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ ﴾: لننزلنهم ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا ﴾: تبوئة، ﴿حَسَنَةً ﴾: بتمكينهم في البلاد حاكمين على العباد ﴿وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُ ﴾: منه لهم ﴿لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾: الكفار لوافقوهم ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ﴾: على الأذى ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا ﴾: فكيف يقولون: اللهُ أكبر من أن يكون رسوله بشرًا، وأفهم أنه لم يُبْعَثْ امرأة ولا ملك يوحى إليهم، ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ ﴾: الكتابين، ﴿إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾: دَلَّ على وجوب مراجعة العلماء فيما لا يعلم، أرسلناهم ﴿ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴾: المعجزات الظاهرات، ﴿وَٱلزُّبُرِ ﴾: الكتب، ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ ﴾ القرآنَ ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ ﴾: فيه برسالتك ﴿وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾: فيه فيهتدوا، ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ﴾ المكرات ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾: في صد الصحابة عن الإيمان ﴿أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ ﴾: كقارون ﴿أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ ﴾: جهة، ﴿لَا يَشۡعُرُونَ ﴾: بمجيئه منه، كقتلهم في بدر[1]، ﴿أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ ﴾: في المعاش ﴿فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴾: الله، ﴿ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ ﴾: تَنقُّص، بأن ينقصهم شيئًا فشيئًا حتى يستأصلوا، ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾: لا يعاجلهم بعقوبته، ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ ﴾: بيان ما ﴿يَتَفَيَّؤُاْ ﴾: يتميل ويدور ﴿ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ ﴾: يمين الفلك، أي: شرقيه كما في أول النهار والتوحيد[2] للفظ ما، والجمع لمعناه كتوحيد ضمير ظلاله والجمع في ﴿وَٱلشَّمَآئِلِ ﴾: وما بعده غربيه ويعني بها كما في آخر النهار، أو هما جانبا كل شيء استعارة من يمين الإنسان وشماله، ﴿سُجَّدٗا ﴾: منقادين، ﴿لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ﴾: ذليلون تحت قدرته ﴿ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ ﴾: ينقاد ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ ﴾: والدبيب: الحركة الجسمانية فيشملهما وغلب بما ما لا يعقل لكثرته،

---

(١) في (ن)، و(د): ببدر.

(٢) يعني قوله: «ظِلَالُهُ، فقد قرئ: «ظِلُّهُ».

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: أسند بعطفه من يجعلهم مُجرَّدين[١]، وردَّ بأنه خصهم تعظيمًا، ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾: عن عبادته ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم﴾: أن ينزل عليهم عذابًا[٢] (من فوقهم)، أو وهو فوقهم بالقهر، ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾: به، ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾: وصفه به تنبيهًا على أن مساق النهي إليه أو أن الإثنينية تنافي الإلهية كما نبَّه بقوله: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾: على أن المقصود إثبات وحدته أو أنَّ الوحدة من لوازمها وإنما الله الإله الواحد، ﴿فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾: لا غير، ﴿وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ﴾: الطاعة[٣]، ﴿وَاصِبًا﴾: دائما؛ فإنه المستحق للعبادة، ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ وَمَا﴾: أيّ شيء اتَّصلَ ﴿بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾: ترفعون أصواتكم بالدعاء، ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُواْ﴾: واللام للعاقبه أو أمر تهديد، ﴿بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾: من النِّعم ﴿فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبتكم ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا﴾: لآلهتهم الذين، ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾: لأنهم جماد، ﴿نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾: فيقولون: هذا لله بزعمهم- إلى آخرِه كما مر، ﴿تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ﴾ توبيخًا ﴿عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾: من إشراكها، ﴿وَيَجْعَلُونَ﴾: يثبتون يعني: كنانة وخزاعة، ﴿لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ﴾: أي: الملائكة مع كراهتهم البنات، ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾: تنزيهه منها، ﴿وَلَهُم﴾: خير، ﴿مَّا يَشْتَهُونَ﴾: أي: البنون أو تقديره: ويجعلون لهم ولا يلزم ذكر النفس إذ الفعل ما وقع على الجاعلين نحو: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ﴾، و: ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ﴾ ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ﴾: صار، ﴿وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾: كنايةً عن شدَّة الغمِّ ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾: مَمْلُوءٌ من الغيظ على المرأة ﴿يَتَوَٰرَىٰ﴾: يختفي، ﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ﴾: مُحدثًا نفسه ﴿أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ﴾: ذل، ﴿أَمْ يَدُسُّهُۥ﴾: يخفيه، ﴿فِى ٱلتُّرَابِ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾: في هذه النسبة إليه تعالى، ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ﴾: صفة ﴿ٱلسَّوْءِ﴾: النقص ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: فهو المتعالي عن كل نقصٍ ﴿وَهُوَ

---

(١) يعني: أرواح مجردة، وهذا من فاسد الكلام.

(٢) هذا تأويل غير سديد، والصحيح علو الله على خلقه.

(٣) قال السمين: والدين: الشريعة، والدين: الملة، لكن الدين يقال اعتبارا بالطاعة والانقياد للشريعة، وقوله: «وله الدين واصبا» أي: الطاعة. * عمدة الحفاظ (٢/ ٣٥)، تفسير ابن كثير (٢/ ٥٩٣).

ﵟٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُﵞ: المنفرد بكمال الحكمة والقدرة[١] ﵟوَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَاﵞ: على الأرض بقرينة ﵟمِن دَآبَّةٖﵞ: بشؤمهم، أضاف الظلم إليهم باعتبار الأكثر، فلا يلزم دخول الأنبياء ولا بُعْدَ في إهلاك البرئ مع الظالم بشؤمه كما وقع في كثيرٍ من الأمم، أو المراد: دابة ظالمة أو لأنه لو أهلك الآباء بكفرهم لم يكن الأبناء ﵟوَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىﵞ: وقت موتهم ليتوالدوا ﵟفَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَﵞ: فسر مرة، ﵟوَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكۡرَهُونَﵞ: لأنفسهم، كالبنات وشركاء الرئاسة[٢]، ﵟوَتَصِفُ أَلۡسِنَتُهُمُ ٱلۡكَذِبَﵞ: وهو ﵟأَنَّ لَهُمُ ٱلۡحُسۡنَىٰﵞ: الجنة هو قولهم: و«لئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى»[٣] ﵟلَا جَرَمَﵞ: حقًّا، ﵟأَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفۡرَطُونَﵞ: مقدمون إليها، ﵟتَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡﵞ: فأصرُّوا عليها، ﵟفَهُوَ وَلِيُّهُمُﵞ: ناصرهم، ﵟٱلۡيَوۡمَﵞ: في الدنيا، أو يوم القيامة، لا ناصر لهم، ﵟوَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞﵞ: في الآخرة، ﵟوَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُﵞ: للناس، ﵟٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِﵞ: فترشدهم إلى الحق، ﵟوَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآﵞ: فسر مرَّةً، ﵟإِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَﵞ: سماع تدبر، ﵟوَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗﵞ: اعتبارًا، ﵟنُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦﵞ: ذكره وأفرده للفظه، فإنه اسمُ جمع وأنثه[٤] في المؤمنين[٥] للمعنى أي: جمع لصحة وقوع الجنس مقام الجمع، ﵟمِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖﵞ ثفلٌ في الكرش ﵟوَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗاﵞ: من لون الدم ورائحة الفرث، ﵟسَآئِغٗاﵞ: سهل المرور في الحلق، ﵟلِّلشَّٰرِبِينَﵞ: والبينيَّة مجازيَّة؛ لأنَّ ما في المعدة: ثفل الفرث وصفوه يَهْضِمهُ الكبد ثانيًا فيحدث أخلاطًا أربعة معها: مَائِيَّة، فالقوة[٦] المميزة تدفعها بما زاد من المرتين إلى الكُلْيَةِ والمرارة والطحال، ثم توزع الباقي على الأعضاء بحسب حِصَصها وفي الأنثى تزيد أخلاطها على قدر غذائها لغلبة

---

(١) في (ن)، و(د): القدرة والحكمة.

(٢) في (ن): الرياسة.

(٣) سورة فصلت.

(٤) بطونها.

(٥) سورة المؤمنون.

(٦) في (ن): بالقوة.

برودتها ورطوبتها فيندفع الزائد أولًا إلى الرحم للجنين فإذا انفصل انصب ذلك الزائد أو بعضه إلى الضروع، فيبيضُّ بمجاورة لحومها الغددية البيض فتصير لبنًا[(١)]، ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ ﴿وَمِن﴾ أي: بعض، ﴿ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ﴾: من ذلك البعض أو من جنسها كما مر ﴿سَكَرًا﴾: خَمْرًا، وهذا نزل قبل تحريمها[(٢)]، ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾: كالدبس[(٣)]، وقيل: السكر ما شربت، والرزق: ما أكلت، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يستعملون عقولهم في النظر فيهما ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ إلْهامًا ﴿أَنِ ٱتَّخِذِى﴾: التأنيث لمعنى الجمع أو بلغة الحجاز، ﴿مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾: عجز عنها حُذّاقُ المهندسين إلا بآلات وأنظار دقيقة[(٤)]، ﴿وَمِنَ﴾: بعض، ﴿ٱلشَّجَرِ﴾: بيوتا ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾: يبنون لها، ﴿ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: التي تشتهيها، ﴿فَٱسْلُكِى﴾: ادخلي، ﴿سُبُلَ رَبِّكِ﴾: التي ألهمك في عَمَل العَسَل، أو الرعي حَال كون السبل أو كونك، ﴿ذُلُلًا﴾: مُنقادةً لك أو لأمره، جمع ذَلُوْل، ولذا يُقسِّمُ يعسوبها[(٥)] أعمالها بينها، فبعض يعمل الشَّمع، وبعض يعمل العسل، وبعض يبني البيوت، وبعض يستقي الماء ويصبه في البيت، فسبحان من أعطى كل شيءٍ خلقه ثم هدى ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾[(٦)]: على هذا يؤيد القول بأنه قيئه، وأما من قال إنه أجزاء طلية تلتقطها بالفم وتدخرها فيؤول[(٧)] البطنُ بالفمِ ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾: بياضًا[(٨)] وغيره، ﴿فِيهِ شِفَآءٌ﴾: عظيم، ﴿لِّلنَّاسِ﴾ في البلغمي بنفسه وفي غيره مع ضمّه أو تنكيره للبعضية ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾: في صُنْع الله[(٩)]، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ﴾ آخر ﴿ٱلْعُمُرِ﴾: الهرم والخرف،

---

(١) أنوار التنزيل (٣٦٠).

(٢) أحد مراحل تحريمها.

(٣) عسل التمر.

(٤) في (ن)، و(د): وأنظارها.

(٥) الذكر من النحل - وانظر: نحل عبر النحل - للعلامة المقريزي صـ١٢ فهو من أمتع الكتب في ذلك ا.هـ.

(٦) في (ح) عسل.

(٧) وهو الصحيح - والله أعلم.

(٨) فللعسل أنواع وألوان مختلفة.

(٩) انظر: البرهان في دلالة خلق الإنسان والحيوان على وجود الصانع الرحمن - للعلامة المناوي =

روي أنّ قاريء القرآن لا يرد إليه[1]، وقيل: هو في الكافر ويؤيده آخر التين[2]، ﴿لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾: فيصير كالطفل في الفهم، أفهم أن تفاوت الآجال ليس إلا بتقدير [قادرٍ حكيم] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾: بصنْعِه، ﴿قَدِيرٌ﴾: على ما يشاء، ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ﴾: لحكمة[3] ﴿فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟﴾: في الرزق، ﴿بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ﴾: أي: لا يعطون رزقهم مماليكهم، ﴿فَهُمْ﴾: المماليك والموالي، ﴿فِيهِ﴾: في الرزق، ﴿سَوَآءٌ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾: بإنكار أمثال هذه الحجج بعدما أنعم بإيضاحها، ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ﴾: جنس، ﴿أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ﴾: تَركَ البنات؛ لكراهتهم[4] لها والمقام للامتنان، ﴿وَحَفَدَةً﴾ أولاد أولاد، أو البنات، وقيل: الربائب؛ لسرعة خدمتهن، إذ الحافد المسرع في الخدمة، ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ﴾: المستلذات، ﴿أَفَبِٱلْبَـٰطِلِ﴾: الأصنام، ﴿يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾: بإضافتها إلى غيره، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾: تملكه، أفرد[5] ثم جمَع[6] للفظ والمعنى ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟﴾: لا تجعلوا، ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ فتقيسوه عليها؛ فإنّ ضرب المثل تشبيه حال بحال أو: لا تضربوا له المثل بحَالٍ[7] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ﴾: فساد ضربكم أو ضربها ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: ذلك، وعلى الثاني: فيه إشارة إلى أن الأسماء توقيفية[8] فضرب مثلاً لمن عبد دونه ومثلا لنفسه فقال، ﴿ضَرَبَ﴾: جعل، ﴿ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾: لآخَرَ[9] ﴿لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ

= (٤٨/ بتحقيقي).

(١) قال عكرمة: من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر حتى لا يعلم بعد علم شيئا.

* الوسيط (٣/ ٧٣) روح المعاني (١٤/ ١٨٨)، زاد المسير (٤/ ٤٦٨)، فتح القدير (٣/ ١٧٩).

(٢) ثم رددناه أسفل سافلين.

(٣) في (ن): والحكم، وفي (د): والحكمة.

(٤) الأولى أن يقال: قدّم البنين؛ لأنهم الأصلُ.

(٥) يملك لهم.

(٦) يستطيعون.

(٧) يعني: مطلقًا.

(٨) أسماء الله وصفاته توقيفية على الصحيح، فلا يشتق لله أسماء وصفات إلا ما أخبر هو عن نفسه سبحانه ا.هـ.

(٩) في (س): كالأجير!!!.

شَيْءٍ﴾: من التصرف، لا كالمأذون، هذا مثل الأصنام، وقيل: مثل كافر لم يقدم[١] خيرًا، ﴿وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾: مثلٌ له تعالى، وقيل: للمؤمن[٢] فإنه كالحر يعمل بنفسه لله تعالى، ﴿هَلْ يَسْتَوُۥنَ﴾: جنسهما، أي: العبيد والأحرار، ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ كلُّه ﴿لِلَّهِ﴾: فقط ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: ذلك، فيعبدون غيره، ﴿وَضَرَبَ﴾: جعل، ﴿ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ﴾: وُلِدَ أخرس، ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾: من الصنائع، ﴿وَهُوَ كَلٌّ﴾: ثقيل، ﴿عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾: أفهم أنه مملوك، ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ﴾: سيده، ﴿لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾: هذا مثل الأصنام أو الكفار، ﴿هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن﴾ هو منطيقٌ رشيد، ﴿يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ﴾ نفسهُ ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: أينما توجه بلَغَهُ، هذا مثله تعالى أو للمؤمنين ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ﴾: عِلْمُ ما غاب في ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَآ أَمْرُ﴾: قيام، ﴿ٱلسَّاعَةِ﴾: سرعة وسهولة، ﴿إِلَّا﴾: كما يقولون فيه هو[٣]، ﴿كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾: كرجع الطرف من أعلى الحدقة إلى أسفله، ثم قال تعالى: ﴿أَوْ﴾ بل ﴿هُوَ أَقْرَبُ﴾ في السرعة، وعلى هذا لا يردُ أنَّ (أو) للشك، و«بل» للرجوع عن الإخبار وهما محال على الله تعالى، وكذا نظائره، نحو «مائة ألف أو يزيدون[٤]»، «أو أشد قسوة[٥]» أي: كونوا فيها على هذا الظن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: ومنه بعثهم ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ﴾: أنشأ، ﴿لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾: أي: أدوات معارفكم الجزئية والكلية، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: بصرفها في المعارف كما بيَّنه بقوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ﴾: مُذلّلات للطيران بما خُلق له من الأجنحة، ﴿فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾: هذا العلو، ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾: فيه، ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾: فإن ثقلها بلا علاقة ودعامة يقتضي سقوطها، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾: الخلق والتسخير والإمساك، ﴿لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾: مسكونًا موضعًا تسكنونه

---

(١) في نسخة (د): يقدر.

(٢) في (ن)، و(د): للمؤمنين.

(٣) في (ن): حزرًا.

(٤) سورة الصافات.

(٥) سورة البقرة.

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾: وما عليها من الشعر، ﴿بُيُوتًا﴾: كما لأكثر العرب، ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾: تجدونها خفيفة، ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾: ترحالكم[1]، ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾: حضركم، أو وقت نزولكم ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا﴾ للضَّأْن، ﴿وَأَوْبَارِهَا﴾: للإبل ﴿وَأَشْعَارِهَآ﴾: للمعز ﴿أَثَٰثًا﴾: أمتعة لبيوتكم كالفُرش ﴿وَمَتَٰعًا﴾: ما يتجر به، ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾: مُدَّةً مديدةً ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ﴾: من الشجر ونحوه ﴿ظِلَٰلًا﴾: تستظلون بها ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾: جمع كِنٍّ[2]، ما يستكنُّ فيه كالغار ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ﴾: ثيابًا[3]، ﴿تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾: اكتفى بأحد الضِّدين[4]؛ لأهميته عندهم ﴿وَسَرَٰبِيلَ﴾: للحرب كالدروع، ﴿تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾: حربكم من الطَّعْنِ ونحوه ﴿كَذَٰلِكَ﴾: الخلق، ﴿يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾: بخلق ما تحتاجون إليه، ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: تنظرون فيها و﴿تُسْلِمُونَ﴾: تنقادون لحكمه ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾: عن الإسلام (فـــ) أنت معذورٌ، ﴿إِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾: بأنها منه، ﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾: بالإشراك، ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: وأقلهم الجاهلون بأنها منه، ﴿وَ﴾: اذكر ﴿يَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾: رَسُولها الشاهد عليهم، ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: في الاعتذار، ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: لا يُطْلَبُ منهم إرضاء الله؛ لأنه ليس يوم عمل ﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾: في جهنم، ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: يمهلونَ ﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟﴾: غَيْظًا على آلهتهم ودُنْياهُم ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟﴾: نعبدهم ﴿مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ﴾: أي: قالوا لهم: ﴿إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ بل عبدتم أهواءكم، ﴿ وَأَلْقَوْا۟﴾: الكُفَّار ﴿إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ﴾: استسلموا لحكمه، ﴿وَضَلَّ﴾: ضاع، ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾: من نصرة آلهتهم، ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟﴾: الناس، ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دينه، ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ

---

(١) سفركم، وفي (س): مرحًا لكم.

(٢) بكسر الكاف وتشديد النون الموحدة.

(٣) في (د): تقايا.

(٤) إذ كان معلوما أي: والبرد.

﴿ٱلْعَذَابِ﴾: الذي استحقوه بكفرهم، وهو عقاربُ أنيابها كالنخل الطوال[١]، ﴿بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ﴾: بضلالهم وإضلالهم، ﴿وَ﴾: اذكر ﴿يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾: نبيهم، ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا﴾: يا محمدُ ﴿عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: أمتك، ﴿وَ﴾: قَدْ ﴿نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا﴾: بيانًا بليغًا، ﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾: يحتاجون إليه في الدين، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾: للجميع، وإنما يُحرم من فرّطَ ﴿وَبُشْرَىٰ﴾: بشارة، ﴿لِلْمُسْلِمِينَ﴾: فقط هذه الآية كبيان لكون القرآن تبيانًا تفصيلًا أو إجمالًا بالإحالة إلى السُّنَّة أو القياس ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾: بالتوسط في الاعتقاد، كالتوحيد لا التعطيل والتشريك وفي العمل كالتعبد لا البطالة والترهب وفي الخلق كالجود لا البخل والتبذير، ﴿وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾: في العمل، أو إلى كلِّ الخلق، ﴿وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: صلة الرَّحم ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾: ما غلظ من المعاصي كالزنا والمنكر شرعًا، ﴿وَٱلْبَغْيِ﴾: الظلم، خصه اهتمامًا، أو الأول الإفراط في متابعة القوة الشهوية، والثاني: إثارة القوة الغضبية، والثالث: الاستعلاء على الناس، وهو مقتضى الوهمية ولا شرّ فيها[٢] إلَّا بواسطة أحد منها[٣]، ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: تنتبهون، ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾: ببيعة[٤] الإسلام أو مطلقًا، ﴿إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾: بذكر الله، ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾: شاهدًا حيث حلفتم به، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾: من النقض، ﴿وَلَا تَكُونُواْ﴾: في نقضها، ﴿كَٱلَّتِى نَقَضَتْ﴾ أفسدت ﴿غَزْلَهَا﴾: ما غزلته، ﴿مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾: إحكامها له وقيل: حال كون غزلها، ﴿أَنكَٰثًا﴾: جمع نِكْث[٥] أي: طاقات من نكث[٦] أي: حل فتلها، وهي مكية حمقاء قيل: اسمها ريطة بنت سعد القرشية كانت تغزل طول يومها ثم تنقضه[٧]،

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه (٢/ ٣٥٥) موقوفا على عبد الله بن مسعود وسنده ضعيف.

(٢) في النفس.

(٣) أي: لا يوجدُ من الإنسان شرٌّ إلّا وهو مندرج في هذه الأقسام. * البيضاوي (٣٦٤).

(٤) في (ن)، و(د): بيعة الإسلام.

(٥) بكسر النون الفوقية الموحدة وسكون الكاف، كـ«حِمْل»، و«أحمال».

(٦) كذا في جميع النسخ.

(٧) غرر التبيان (٣٠٤)، مقحمات الأقران (٢٨)، تفسير الطبري (١٤/ ١٦٦)، المحرر الوجيز =

﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًا﴾ دَغَلًا[1] وغرورًا ﴿بَيْنَكُمْ﴾: وأصله ما يدخل الشيء ولم يكن منه بسبب، ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ﴾: جماعة ﴿هِيَ أَرْبَىٰ﴾: أكثر عددًا، ﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾: أُخْرى كانوا إذا حالفوا قبيلة أو وجدوا قبيلة أخرى أقوى حالفوها وغدروا الأضعف، ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ﴾: يختبركم، ﴿ٱللَّهُ بِهِۦ﴾: بالأمر بالإيفاء أو بكونهم أربى لينظر: أتفُوْن أم لا، ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾: في الدنيا بالمجازاة، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: متفقة في الدين، ﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾: لحكمة، ﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: للمُجازاة، ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًا﴾: مكرًا، ﴿بَيْنَكُمْ﴾: في كل حال ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ﴾: أي: أقدامكم عن محجة الإسلام، ﴿بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾: عليها، وَحَدَّ القدم ليدل على الأقدام من باب أولى، ﴿وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ﴾: عذاب الدنيا، ﴿بِمَا صَدَدتُّمْ﴾: غيركم ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: فإنَّ من نقض البيعة وارتدّ جعَل ذلكَ سُنّةً لغيرهِ ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: في الآخرة، ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ﴾: لا تستبدلوا، ﴿بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ كله ﴿ثَمَنًا﴾: عرضًا[2] من أعراض الدنيا ﴿قَلِيلًا إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾: من الأجر، ﴿هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: منه، ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ مَا عِندَكُمْ﴾: من أعراض الدنيا، ﴿يَنفَدُ﴾: ينقضي، ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾: دائم، ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ﴾: على طاعته، ﴿أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ﴾ بجزاء أحسن مِن ﴿مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: أو أرجى كالواجبات أو بمعنى حسن، ﴿مَنْ عَمِلَ﴾: عمَلًا ﴿صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾: برزقٍ حلالٍ، أو قناعة، أو الجنة، ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾: لنعطينهم، ﴿أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: كما مرّ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ أَرَدْتَّ قِراءَته ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ﴾ وسوسة ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ أمْر ندْبٍ، يدل على استحباب تكرارها في الركعات، أي: قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بهذه الصيغة، رَوَى رسول الله ﷺ عن جبريل - عليه السلام

= (١٠/ ٢٢٦)، ترويح أولي الدماثة (١/ ٢٧٦)، الكشاف (٢/ ٤٢٦) زاد المسير (٤/ ٤٨٥)، القرطبي (١٠/ ١٧١).

(١) فسادا.

(٢) في (س)، و(ن): عوضًا.

عن القلم عن اللوح[١] والمراد: قلم نسخ به من اللوح ونزل به جبريل إلى السماء الدنيا، فإنّ القلم الأعلى مقدم الرتبة على اللوح ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ﴾: تسلط، ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ﴾: يطيعونه، ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ﴾: بالله، ﴿مُشْرِكُونَ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾: بالنسخ ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾: من الصالح ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ﴾: على الله، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: حُكْمَ الأحكام ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾: جبريل، ﴿مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾: بالحكمة[٢]، ﴿لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: على إيمانهم، فإنهم يعلمون أن في النسخ مصالح ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ وَلَقَدْ﴾: للتحقيق، ﴿نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾: أي جَبْرٌ الرومي[٣] غُلامُ عامر بن الحضرمي، ﴿لِّسَانُ﴾: لغة، ﴿ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ﴾: يميلون[٤]، ﴿إِلَيْهِ﴾: أنه يعلمه، ﴿أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا﴾: القرآن، ﴿لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾: ذو بيان وفصاحة، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: في علمه ﴿لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ﴾: فيتفوهون بأمثاله، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: في الآخرة، ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾: حقيقة أكد بالتكرار وإن وغيره مقابلة لـ «إنما أنت» ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾: على كلمة الكفر ﴿وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾: خبر من محذوف دلّ عليه ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾: نَفْسًا، ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ذَٰلِكَ﴾: الكفر أو[٥] الغضب،

---

(١) رواه مسلسلا بقراءة البسملة بالاستعاذة:
السخاوي في الجواهر المكللة (٣٦/ ١٩٩/ الكتانية)، و (٣٦/ ٣٠٠، ٣٠١/ الفتح)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٨٣، ٨٤)، واللنكاتي في الآيات المفضلات (٤١/ ١٤٩)، والأيوبي في المناهل السلسلة (٥٤/ ١٤٣) والسندي في حصر الشارد (٢/ ٥٦٩/ ١٢١٥) ولا يصح مسلسلا.

(٢) في (ن): بالحكم.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٤/ ١٢٠)، وبحشل في تاريخ واسط (٤٩، ٥٠، ٩٩)، والواحدي في أسباب النزول (١٩٠)، وفي الوسيط (٣/ ٨٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ١٥٩، ١٦٠/ ١٣٨)، وسنده صحيح.

(٤) في (ن): تميلون، وهو مبنيٌّ على قراءة: «تلحدون».

(٥) في (ن)، و(د): و.

﴿بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا﴾: اختاروا، ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: في علمه تعالى، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ﴾: ختم، ﴿ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾: عن فَهْم الحق وسماعه وإبصاره، ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾: حقيقة، ﴿لَا جَرَمَ﴾: حقًّا، ﴿أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾: لتضييعهم[1] فطرتهم، ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا﴾: أي: لَهُم لا عليهم، أو خبره محذوف دلّ عليه خبر إنّ الثانية، ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾: عُذِّبُوا ليرتدوا كعمّار[2]، ﴿ثُمَّ جَٰهَدُوا وَصَبَرُوٓا﴾: على المشاق لله، ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾: بعد الثلاثة، ﴿لَغَفُورٌ﴾: ذنوبهم، ﴿رَّحِيمٌ﴾: بهم، ﴿يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾: ذاتها لخلاصها، فالنفس الأولى لمجموع الذات وصاحبها، ﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ﴾: جزاء، ﴿مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: في أجرهم، ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً﴾: جعلها مثلاً لمن أنعم عليه فكفر بنعمته[3] فنزل[4] به نقمة، ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً﴾: كمكّة، ﴿مُّطْمَئِنَّةً﴾: لا يزعج أهلها الخوف[5] ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا﴾: قوتها، ﴿رَغَدًا﴾: واسعًا ﴿مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾: من نواحيها، ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾: بترك طاعته، ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ﴾: فقحطوا سبع سنين بدعاء النبي[6] ﷺ، ﴿وَٱلْخَوْفِ﴾: من سطوة سرايا المسلمين، فالذوق مستعار لإدراك أثر الضرر[7] واللباس لما غشيهم من الجوع والخوف وأوقع الإذاقة عليه بالنظر إلى المستعار له، ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ۝ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ﴾: نسبًا، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾: المذكور، ﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ۝ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾: تطيعون، ﴿إِنَّمَا

---

(١) في (ن)، و(د): بتضييعهم.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ٢٤٨) من طريق الواقدي والواقدي متروك، وأخرجه الطبري في جامع البيان (١٤/ ١٢٤) وسنده ضعيف.

(٣) في (د): نعمته.

(٤) في (ن): فبدل.

(٥) في (د): خوف.

(٦) قال فيهم النبي ﷺ: «**اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف**» وفي رواية: «**اللهم اشدد وطأتك على مضر**».

(٧) في (د): الضرورة.

﴿حَرَّمَ عَلَيْكُمُ﴾ أي: الآن ﴿الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾: وباقي المُحرَّمات حرمت بعدها بالسنة[1]، ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:[2] بُيِّن مرَّةً، ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ﴾: أي: لا تقولوا، ﴿هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾: بقولكم: «ما في بطون هذه الأنعام[3].... إلخ»، لوصف ألسنتكم الكذب، وهذا مبالغة في كذبهم، كأن حقيقة الكذب مجهولة توصف وتعرف بكلامهم، ﴿لِتَفْتَرُوا﴾: اللام للعاقبة، ﴿عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾: لا ينجون، ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾: في الدنيا، ﴿وَلَهُمْ﴾: في الآخرة، ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾: في الأنعام، ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾: بالتضييق بتحريمه، ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: فاستحقوه مَرَّ بيانه، ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾: حالهم، ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾: بعد التوبة، ﴿لَغَفُورٌ﴾: لذنوبهم، ﴿رَحِيمٌ﴾: بهم، ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾: مأمومًا[4] مقصودًا للناس بالتحية مؤتمًّا أو لكثرة فضائله، كأنه أمة، ﴿قَانِتًا﴾: مطيعًا، ﴿لِلَّهِ حَنِيفًا﴾: وإنما جاز اتباع الأفضل المفضُول لسبقه القول بالحق والعمل به مائلًا عن الباطل، ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: كما زعمت قريش[5]، ﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ﴾: القلائل[6] فكيف بكثيرها، ﴿اجْتَبَاهُ﴾: بالنبوة، ﴿وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: في الدعوة إليه، ﴿وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: بنحو نبوة أولاده وتحبيبه إلى الخلق، ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: الكاملين في الصَّلاح؛ اعتناءً به في الصَّلاح ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ﴾: بأن، ﴿اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾: في المناسك والعقائد، وأكثر الفروع كما هو حال كونه ﴿حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ

---

(١) بل وبالقرآن أيضًا ا.هـ.

(٢) في (د): فسر مرة.

(٣) سورة الأنعام.

(٤) في (ن): مأمونًا.

(٥) وكذا اليهود والنصاري وكانت قريش تزعم أن إبراهيم- عليه السلام- يستقسم بالأزلام ولما دخل النبيُّ ﷺ الكعبة عام الفتح فوجد المشركين قد رسموا إبراهيم وإسماعيل يستقسمان بالأزلام فقال ﷺ: «**كذبوا، والله ما استقسما بالأزلام قط**».

(٦) فـ«أنْعُم» جمع قلّة لـ«نعمة».

﴿ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: كما زعمت[١] قريش، ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ﴾: فَرْضُ تعظيمه، ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾: أي: اليهود، إذ أمروا بتعظيم الجمعة كما هو ملة إبراهيم فقال أكثرهم: نريد السبت؛ إذ فرغ الله فيه من الخلق وأطاع شرذمة منهم فلمَّا أمروا بالسبت ما أطاع إلّا تلك الشِّرذمة ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: بالمجازاة، ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾: دينه، ﴿بِٱلْحِكْمَةِ﴾: بالدليل الموضح للحق أو القرآن، ﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾: القول اللين، أو مواعظ القرآن، ﴿وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى﴾ بالطريقة[٢] التي ﴿هِىَ أَحْسَنُ﴾: رفْقًا، فالأول لخواص الأمة والثاني لعوامها، والثالث للمعاندين، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾: فما عليك إلا البلاغ، وهذا قبل أمر القتال، ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾: فإنه من الحكمة والمجادلة الحسنة، ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ﴾: وعفوتم، ﴿لَهُوَ﴾: للصبر، ﴿خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ﴾: من الانتقام، ﴿وَٱصْبِرْ﴾: يا محمد على المشاقّ، ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾: بتوفيقه، ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾: على الكفرة، أو على المؤمنين بما فعل بهم، ﴿وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ﴾: ضيق صدر، ﴿مِّمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ ٱللَّهَ﴾: بالمعونة، ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾: المعاصي، ﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾: في أعمالهم معك- والله أعْلَمُ بالصّوابِ وإليه المرجعُ.



---

(١) في (ن): زعَمَ.

(٢) في (ن): بالطريق.



«سورة بني إسرائيل[١]»: مكية[٢][٣]



قيل إلَّا قوله: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ ﴾ ... إلى ثمان آيات.

لَمَّا قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾ ... إلى آخره» بَيَّنَ قرب سيد المتقين والمحسنين فقال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾: أُسبِّحُ ﴿سُبْحَٰنَ ﴾: أي: تسبيحًا وهو التقديس والتنزيه والتبعيد من السوء في الذات والصفات والأفعال والأسماء والأحكام من سَبَّحَ في الماء وقَدَّس في الأرض إذا ذهب فيها وأبعد، يصدر به لتنزيه فاعل ما بعده عن النقائص وحاصله: ما أبعد الذي له هذه القدرة عن جميع النقائص ولذا لا يستعمل إلا فيه[٤]-تعالى- ﴿ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾: الباء للتعدية لأنه بمعنى سرى، وذكّر، ﴿لَيْلًا ﴾: المفهوم من أسرى ليفهم بتنكيره تقليله، أي: في بعضه، ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾: في الحِجْر ببدنه[٥] في اليقظة بعد البعثة، وكان قبلها في المنام كما أنه رأى فتح مكة في سنة ست[٦]، وتحقّق سنة ثمان، ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾: بيت المقدس، إذ لم يكن يومئذ وراءه مسجد، وهو مسافة ثلاثين يوما عادة، ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾:

---

(١) كذا في جميع النسخ عدا (ع) ففيها: سورة الإسراء، وفي هامش (ن): بلغ مقابلة، ثم: الجزء (١٥).

(٢) وقال الحسن: إنها مكية إلا خمس آيات: ﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ﴾، ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ ﴾، ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾، ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ ﴾، وعن ابن عباس وقتادة: غير ثمان آيات نزلن بالمدينة في خبر وفد ثقيف وفي اليهود حيث جاءت إلى النبي ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ ﴾ إلى آخر الآيات الثمان. * روح المعاني (١٥/ ٢)، النكت والعيون (٣/ ٢٢٣)، زاد المسير (٥/ ٣)، عدد سور القرآن (٢٨٧).

(٣) في هامش (د): سورة الإسراء مكية- مائة وإحدى عشر آية، وعشر عند البصريين إلا ثمان آيات ﴿ وَإِن كَادُواْ ﴾... الخ- ثم يونس كلماتها (١٥٣٥) في عدد سور القرآن (٢٨٩): ١٥٣٣، البصائر (١/ ٢٨٨): ١٥٦٣، البيان (١٧٧)، القول الوجيز (٢٢٣) وحروفها (٦٤٦٠) عدد سور القرآن (٢٨٩)، البيان (١٧٧)، القول الوجيز (٢٢٣)، البصائر (١/ ٢٨٨).

(٤) يعني في حقِّه تعالى.

(٥) أما الإسراء فوقع مرة واحدة بروحه وجسده ﷺ وأما المعراج فمرة بروحه وجسده، وما لا يحصى بروحه كما يدل عليه مجموع الأحاديث.

(٦) لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق.

بركات الدين والدنيا، ثم منه إلى سِدْرة المُنتهى كما صح في الحديث[١]، وإنما نقله إليه أولًا ليخبر الناس من صفاته فيصدقوه في الباقي، ولأنه مجمع أرواح الأنبياء ومحشرُ الخلائق فيحصل[٢] لهم وله بركتهُ، وإنَّما قالَ: حوله؛ لأنَّ الأشجار والأنهار ليس إلَّا حوله أو؛ لأنه الأصل ففيه أولى وعكسه لا يفيد بركات ما حوله ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾: عَجائب السَّماوات والأرض، قال ﷺ[٣]: «**رأيت ربي عز وجلَّ**»[٤] رواه الحاكم، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: لأقوال المصدِّقين والمكذبين، ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ بهم فيجازيهم ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ﴾: الكتاب، ﴿هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنْ﴾ بأَنْ ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا﴾: تكلون أُمُوركم إليه[٥]، ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾: كثير الحَمْد فاقتدوا به، ﴿وَقَضَيْنَآ﴾: أوحينا، ﴿إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: التوراة، ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: الشَّام بالمعاصي، ﴿مَرَّتَيْنِ﴾: أولهما[٦] قتل زكريا، أو شِعْيا، وآخرهما حبس أرميا، أو قتل زكريا ويحيى، ﴿وَلَتَعْلُنَّ﴾: لتستكبرنَّ أو لتظلمن ﴿عُلُوًّا كَبِيرًا ۝ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ﴾: عقاب، ﴿أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ﴾: بختنصر بتشديد الصاد[٧] عامل لهراسف[٨] على بابل مع جنوده أو جالوت وجنوده، ﴿أُو۟لِى بَأْسٍ﴾: قُوَّة ﴿شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟﴾: ترددوا لطلبكم، ﴿خِلَٰلَ﴾: وسط ﴿ٱلدِّيَارِ﴾: للقتل والسَّبْي ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾: لأنه قضاء مبرم، ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ﴾: الدولة والغلبة، ﴿عَلَيْهِمْ﴾: بعد مائة سنة، بتسليط دانيال على جنود بَخْت نَصْر، أَوْ دَاودُ على جالوت،

---

(١) انظر: الابتهاج - للنجم الغيطي (٤٥) ففيه معظم الروايات.

(٢) في (ن): فيصلُ.

(٣) في (ن): عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢٨٥)، و (١/ ٢٩٠)، وابن أبي عاصم في السنة (٤٣٣/ ٢٠٠)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٩٣٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٤٦٦)، والسنة (٤٣٣).

(٥) في (ن)، و(د): يكلون أمورهم إليه.

(٦) كذا في (ن)، و(د).

(٧) بخت نصر: بسكون الصاد وفتح النون الموحدة، وأما تشديد الصاد فخطأ، ويُدعى: نابوخذنصر - لعنه الله -.

(٨) في (د): لهراسم، وفي (ن): لفراسف، وفي (س): لهم آسف!!!.

﴿وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾: حتى عدتم كما كنتم، ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾: جمع نفر، أو: هو من ينفر معك من قومك، ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ﴾: بالطاعة، ﴿أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾ بالفسادِ ﴿فَلَهَا﴾: عليها، ذكر اللام ازدواجا أو مثل ﴿لِلْأَذْقَانِ﴾، و﴿لِلْجَبِينِ﴾ ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ﴾ عُقُوْبة المَرَّة ﴿ٱلْآخِرَةِ﴾: بعثناهم، ﴿لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾: ليهينوكم بالقَتْل والسَّبْي، أو سادتكم، ﴿وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ﴾: الأقصى[١] ويخربوه[٢]، ﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: وخربوه، ﴿وَلِيُتَبِّرُوا۟﴾: يهلكوا، ﴿مَا عَلَوْا۟﴾: ما استولوا عليه، أو مُدة عُلوهم ﴿تَتْبِيرًا﴾: فسلط عليهم جوْذر[٣] ملكٌ من ملوك الفرس، أو بخت نصر، فعملوا بهم كالأول، ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾: يا بني إسرائيل، ﴿أَن يَرْحَمَكُمْ﴾: بردِّ الدولة إليكم ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ﴾: إلى المعصية، ﴿عُدْنَا﴾: إلى العقوبة، فعادوا بتكذيب محمد ﷺ، فسُلِّطَ عليهم بالقتل وغيره، ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾: مَحْبسًا أو بساطًا، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى﴾: للطريقة التي، ﴿هِىَ أَقْوَمُ﴾: أَسدُّ الطرق ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ﴾: بأن، ﴿لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا﴾ أعددنا ﴿لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ وَيَدْعُ﴾: الله، ﴿ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ﴾: عليه وعلى أهله في غضبه، أو يدعوهُ بما يحسبه خيرًا وهو شرّ ﴿دُعَآءَهُۥ﴾: كدعائه، ﴿بِٱلْخَيْرِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾: بالدعاء بلا ملاحظة ما له، ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾: تدُلّان[٤] على قدرتنا ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾: هو المحو[٥] الذي على القمر أو انتقاص نوره إلى المحاق ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾: مضيئة أو بينة، ﴿لِّتَبْتَغُوا۟﴾: فيه، ﴿فَضْلًا﴾: أسباب مَعَاشكم، ﴿مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟﴾ بهما، أو بآية الليل، ﴿عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾: ولا تكرار إذ العَددُ موضوع الحساب، ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ﴾: تحتاجون إليه، ﴿فَصَّلْنَٰهُ﴾: بيناه بلا التباس ﴿تَفْصِيلًا ۝ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ﴾: عمله، أو ما قُدِّر له ﴿فِى عُنُقِهِۦ﴾: كلزوم الطوق لا ينفك

---

(١) انظر: نور المسرى في شرح آية الإسراء - لأبي شامة (٨٠)، وزوال العُسْرى من تأليفي (١/ ١٢٣).
(٢) في (ن): ويخربونه.
(٣) وقيل: حردوش أو خردوس - أنوار التنزيل (٣٧١). وفي (ن): جوذر.
(٤) في (د): يدلان.
(٥) في (د): المحق.

عنه، ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ يقال له: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ﴾ ذكر بتأويله شَخْصك ﴿ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾، مُحاسبًا، وهذا في غير موقف يحاسبهم بنفسه[١]، حيث قال: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[٢] ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾: نفعه، وضره لا يتعديانه، ﴿وَلَا تَزِرُ﴾ تحمل نفس ﴿وَازِرَةٌ﴾: حاملة، ﴿وِزْرَ﴾: نفس، ﴿أُخْرَىٰ﴾: بُيِّنَ في الأنعام، ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾: فلا يؤمن به، فمن نشأ حيثُ لم يسمع برسول فمعذور ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا﴾: أَمْرًا قَدَريًّا، ﴿مُتْرَفِيهَا﴾: مُنعَّميها[٣] بالفسق أو كثرناهم، أو جعلناهم أُمَراء[٤]، أو أمرناهم بالطاعة، فلا ينافي إنّ الله لا يأمر بالفحشاء وتخصيصهم على الأول؛ لأنهم أسرع إلى الحماقة والفجور وغيرهم يتبعهم ﴿فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ﴾: كلمة العذاب ﴿فَدَمَّرْنَٰهَا﴾: استأصلناها، ﴿تَدْمِيرًا﴾: ومضى حكم الساكتين عن نهيهم في قوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً﴾ ...[٥] الخ، ﴿وَكَمْ﴾: كثيرا، ﴿أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ﴾: هو أوَّلُ من كذبوه، ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا﴾: ببواطنها، ﴿بَصِيرًا﴾: بظواهرها، ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ﴾: بطاعته، ﴿ٱلْعَاجِلَةَ﴾: الدنيا فقط كالمنافقين، فلا يفهم أن من لم يزهد فيها يكون من أهل النار، ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾: تعجيله له، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا﴾: مهانا، ﴿مَّدْحُورًا﴾: مطرودا، ﴿وَمَنْ أَرَادَ﴾: اختار ﴿الآخِرَة﴾ على الدنيا، ﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾: حق سعيها، ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾: الجامعون للثلاثة ﴿كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾: مُثابا عليه ﴿كُلًّا نُّمِدُّ﴾: بنحو الرزق والعافية، أعني، ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: المريدين للدنيا، ﴿وَهَٰٓؤُلَآءِ﴾: المريدين للآخرة، ﴿مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ﴾: في الدنيا، ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾: مَمنوعًا عن الكلِّ في الدنيا، أي: قدر الرزق لا مقادير الأملاك، ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ

---

(١) في (د): لنفسه.

(٢) سورة الأنبياء.

(٣) في (ن)، و(د): متنعميها.

(٤) بتشديد الميم المفتوحة «أَمَّرْنا» وهي قراءة عاصم وأبي عمرو والسدي، وابن عباس وأبي عثمان النهدي وغيرهم. * الحجة لأبي زرعة (٢١٤)، الكشاف (٢/ ٤٤٢).

(٥) سورة الأنفال.

فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾: غنًى وصحَّةً وغيرهما، ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾: فاعتنوا بها، ﴿ لَّا تَجْعَلْ ﴾ أراد به أمته ﴿مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ ﴾: فتصير، ﴿مَذْمُومًا ﴾: من الخلق، ﴿مَّخْذُولًا ﴾: من الله تعالى، أفهم أنَّ المُوَحِّدَ مَمْدُوحٌ منصور[١] ﴿وَقَضَىٰ ﴾: أمر ﴿رَبُّكَ ﴾: أمرًا قطعيًا ﴿أَلَّا﴾ بأن، ﴿لَا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَ﴾: أن تحسنوا، ﴿بِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا﴾: صلة، ﴿يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ﴾: قُيِّدَ[٢] به؛ لأنه الغالب، ولأن الكلية فيه أظهر، ﴿ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾: مَصدر للتضجُّر بمعنى: قبحًا، أي: فكيف بما فوقه ولذا نهى النبيُّ ﷺ حذيفة عن قتل أبيه وهو في صف المشركين[٣] ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾ لا تزْجُرهُما ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾: جميلًا ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ ﴾: تذلل لهما وضمهما إليك ضم الطير فرخه بجناحه، والإضافة بيانية، أي: جناحك الذليل، ﴿مِنَ ﴾: فرط ﴿ٱلرَّحْمَةِ ﴾: عليهما، ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا ﴾: رحماني، حين ﴿رَبَّيَانِي صَغِيرًا ۞ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ﴾: من قصد البرّ، ﴿إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ ﴾: قاصدين الصَّلاح ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ ﴾ التوابين أو الرجَّاعين إلى طاعته، ﴿غَفُورًا ﴾: ما فرط عنهم، ﴿ وَءَاتِ ﴾: أعْطِ منَ الصِّلةِ والبرّ ﴿ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾: هو[٤] تفريق المال في غير حقٍّ شرعيّ، والفرق بينه وبين الإسراف أنه تجاوز في الكمية، وهذه تجاوز في موقع الحق والمراد هنا المعنيان ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ﴾: أَمْثال أو أتباع، ﴿ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾[٥]: شرارةً ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾: كثير الكفر فلا تتبعوه، ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ﴾: أي: أن تعرض عن المستحقين المذكورين، ﴿ٱبْتِغَآءَ ﴾:

---

(١) والكافر والمشرك مخذول مهزوم مذموم ملعون فاللهم انصرنا على المشركين وأتباعهم في مصر وخارجها دفعا وطلبا آمين.

(٢) في (ن): قيده.

(٣) رواه مسلم (١٧٧٨) كتاب الجهاد - باب: الوفاء بالعهد، وأحمد (٥/ ٣٩٥) والمستدرك (٣/ ٣٧٩) وقُتِل اليمان والد حذيفة شهيدا في أحد، قتله بعض الصحابة غلطا - رواه البخاري (٧/ ٢٧٩) وابن سعد (٢/ ٤٥).

(٤) التبذير: التفريق، ومنه بَذَرْتُ الحب في الأرض، أي: فرقته فيها، وأصله من إلقاء البذر في الأرض وطرحه فيها فاستعير لكل مضيع ماله، والتبذير في العرف: السفه، وقوله: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ ﴾ النهي في الحقيقة لأمته، وإنما خاطبه؛ لأنه هو سيد خلقه. * عمدة الحفاظ (١/ ١٧١/ بذر).

(٥) أي: أمثالهم في الشرِّ.

لانتظار، ﴿رَحْمَةٍ﴾: رزق، ﴿مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾: أن يأتيك فتعطيهم ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾: لينا بالدعاء أو[١] الوعد لهم، ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾: عن[٢] غاية الإمساك، ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا﴾: بالبذل، ﴿كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ﴾: تصير، ﴿مَلُومًا﴾: بالبخل في الأول، ﴿مَّحْسُورًا﴾: مكسورًا نادمًا في الثاني، ويستثنى المتوكل حق التوكل كما يدل عليه سَوْقُ الكلام، ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾: يضيقه لمن يشاء، ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾: يعلم سرهم وعلنهم واستحقاقهم وعدمه[٣]، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾: فَاقَة، قد مرَّ بسطهُ في الأنعام ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ﴾: مطلقًا، ﴿كَانَ خِطْئًا﴾: ذنبًا ﴿كَبِيرًا﴾ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ﴾ قيده بالقرب؛ ليدخل مقدماته ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾: سبيله، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾: قتله، ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ وهو أحد ثلاث كما في الحديث[٤]، والمراد ما يقصد به القتل فلا يرد دفع الصائل[٥]؛ لأنه يقصد به الدفع ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا﴾: غير مستوجب للقتل، ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ﴾: وارثه ﴿سُلْطَانًا﴾: تسلطًا على القاتل بالقتل والدية والعفو، ﴿فَلَا يُسْرِف﴾: الوليُّ ﴿فِّي الْقَتْلِ﴾: بارتكاب مالا يجوز في المكافأة، ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾: نصره الله تعالى حيث[٦] أمر بإعانته، أو[٧] المقتول منصور بقصاص قاتله والثواب، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾: فضلاً عن التصرف فيه ﴿إِلَّا بِالَّتِي﴾: بالطريقة[٨] التي، ﴿هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾: بلوغه وبُيِّنَ في الأنعام، ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾: مطلقًا، ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾: عنه فيعاقب ناكثه، ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ﴾: بلا بخس، أفهم أن الكيل على البائع، ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ﴾:

---

(١) في (ن)، و(د): و.

(٢) في (ن): مِنْ.

(٣) ليست في (ن).

(٤) يشير إلى حديث: «**لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، و التارك لدينه المفارق للجماعة**». أخرجه البخاري (٩/ ٦)، ومسلم (٣/ ١٣٠٢).

(٥) المتعدي على الأموال والأعراض.

(٦) في (ن)، و(د): حين.

(٧) في (د): و.

(٨) في (د) بالطريق.

الميزان، ﴿ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾: العدل، ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾: عاقبة، ﴿وَلَا تَقْفُ﴾: لا تتبع بنحو التقليد والرجم بالغيب ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾: اعتقاد راجح من سند قطعي أو ظني فلا يدل على منع اتباع الظني[(١)] ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ كل هذه الأعضاء ﴿كَانَ عَنْهُ﴾: عن نفسه أي: عما فعل به، ﴿مَسْـُٔولًا ۞ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾: اختيالًا ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾: لشدة وطأتك، ﴿وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾: بتطاولك ورفع رأسك ونَصْب عُنقكَ، فكيف تختال وهذا تهكُّم ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ﴾ المذكور من قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ﴾: وهم خمس وعشرون خصلة أمرًا ونهيًا (كَانَ سَيِّئَةً) من سيئاته[(٢)]، وقرئ ﴿سَيِّئُهُۥ﴾ خبر كان، بإرادة منهياته ﴿عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ مبغوضًا غير مرضيّ وإن كان مراده ﴿ذَٰلِكَ﴾ الأحكام ﴿مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾ معرفة الحق لذاته والخير للعمل به ﴿وَلَا تَجْعَلْ﴾ أراد أمته، ﴿مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا﴾: من الحقّ والخَلق، ﴿مَّدْحُورًا﴾: مطرودا، ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ﴾: خصَّكم، يا مَنْ تصفونه تعالى باتخاذ البنات، ﴿رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا﴾ بناتا ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ۞ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾: بيَّنَّا مكرَّرًا هذا المعنى، ﴿فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟﴾: ليتعظوا ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ﴾: التصريف[(٣)] ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾: عن الحق، ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟﴾: لطلبوا ﴿إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾: بالمغالبة كما للملوك، أو بطاعته لعلمهم بقدرته، ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾: تنزيهًا له ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ وصف العلو بالكبر مبالغة في النزاهة ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ﴾ مضت نكتة إفرادها ﴿وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ﴾: ملتبسا، ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾: فيقول: سبحان الله وبحمده، فلا يسمعها إلا الكُمَّلُ كالنبيّ وبعضُ الصحابة، وجمهور السلف على أنه على ظاهره[(٤)] وقيل: الظاهر جعل التسبيح أعَمّ

---

(١) الظن: الاعتقاد الراجح مع استعمال النقيض ويستعمل في اليقين والشك.

* التوقيف (٤٩٢)، المفردات (٤٧٢)، تعريفات ابن الكمال (١١١).

(٢) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو، وأبو جعفر، والأعرج: «سَيِّئَةً».

* إتحاف فضلاء البشر (٢٨٣)، السبعة (٣٨٠)، غيث النفع (٢٧٣)، النشر (٢/ ٣٠٧).

(٣) في (ن)، و(د): التصرف.

(٤) وهو الصحيح وانظر: تحفة الأحباب في منطق الطير والدواب- لابن طولون (٥/ ٢٩٠/ بتحقيقي- ضمن مجموعة).

من الحالي والمقالي؛ لإسنادِهِ إلى مَا يتصوّرُ منهُ وإلى مَا لا يتصوّر، وعند المتأخرين: لكُلِّ شيء تَسبيح بلسان الحال وهو دلالته على صانع واحد، ﴿وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ﴾: أيها المشركون، ﴿تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا﴾: لا يعاجل بعقوبتكم، ﴿غَفُورًا﴾: لمن تاب، ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾: مطلقًا أو ثلاث آيات مشهورات من النَّحْل والكهف والجاثية، ﴿جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا﴾: لا يرونك[1] ﴿مَّسْتُورًا﴾: عن الحس وبعد نزولها كان المُؤذون يمُرُّون عليه ولا يرونه عند القراءة، ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾: أغطية كراهة، ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾: يفهموهُ ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾: يمنعهم عن استماعه، ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ﴾: بلا ذكر آلهتهم، ﴿وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾: نفرة من التوحيد، ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ﴾: إليك، ﴿بِهِۦٓ﴾: بسببه، وهو الهزؤ والتكذيب، ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ﴾: ذوو ﴿نَجْوَىٰٓ﴾: يتناجون بالتكذيب، ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: أي: يقولون، ﴿إِن﴾: مَا ﴿تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾: سُحِرَ فجُنّ ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾: مَثلوك بمسْحُور ومجنون وغير ذلك ﴿فَضَلُّوا۟﴾: عن الحق، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾: إلى طعن بوجه، ﴿وَقَالُوٓا۟﴾: دليلا على جنونك، ﴿أَءِذَا كُنَّا﴾: بعد الموت، ﴿عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾: كما تزعم[2]، ﴿قُلْ كُونُوا۟﴾: أمر استهانة أو تسخير، ﴿حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾: في الصَّلابة ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ﴾: يعظم، ﴿فِى صُدُورِكُمْ﴾: إحياؤه فإنه يُحْيِـيْكُمْ بقدرته، ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا﴾ إذا كنَّا حجارة أو حديدا ﴿قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ﴾: خلقكم، ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: وهو أعظم، ﴿فَسَيُنْغِضُونَ﴾ يحركون ﴿إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾: تكذيبا، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾: فإن ما هو آت قريب، اذْكُر ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾: ربكم من قبوركم، ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ﴾: دعوته أي: تُبعثون[3]، ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾: بأمره أو حامدين ولا ينفعكم بل ينفع المؤمنين، ﴿وَتَظُنُّونَ﴾: للهول، ﴿إِن﴾ مَا ﴿لَّبِثْتُمْ﴾: في الدنيا أو البرزخ ﴿إِلَّا قَلِيلًا ۝ وَقُل لِّعِبَادِى﴾: المؤمنين، ﴿يَقُولُوا۟﴾: ليقولوا في محاوراتهم الكلمة ﴿ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾: بلا غلظةٍ، كقولهم للكفار: أنتم أهل النار ﴿إِنَّ

---

(١) في (د): يرونكم.
(٢) كذا في (ن)، و(د).
(٣) كذا في (ن)، و(د).

﴿ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ﴾ يُفسدُ ﴿بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا﴾: ظاهر العداوة ﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِكُمۡۖ إِن يَشَأۡ يَرۡحَمۡكُمۡ﴾: بإنجائكم من أذى الكفار، ﴿أَوۡ إِن يَشَأۡ يُعَذِّبۡكُمۡ﴾: بتسليطهم، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا﴾: مَوْكولًا إليك أمرهم، ﴿وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: فيختار من يشاءُ لما يشاءُ فلا تستبعدوا من اصطفاء يتيم أبي طالب ﴿وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾: بالفضائل النفسانية فقط كمحمد عليه- ﷺ- كما أشار إليه بقوله: ﴿وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾: المكتوب فيه: ﴿أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾[1]، أي: أمة محمد ﷺ، ونهي التفضيل محمول على مجرد العصبية، فإن محمدًا أفضل، ثم إبراهيم ثم موسى عليهم الصلاة والسلام- ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ﴾: لكشف، ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم﴾: ألوهيتهم، كعيسى والملائكة، ﴿مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ﴾: لا يستطيعون، ﴿كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ﴾: بالكلية، ﴿وَلَا تَحۡوِيلًا﴾: تبديلا من حَوَّلْتُ القميص قباء؛ فإن كشف الضر تبديله بالعافية، فلا يرد أن تحويلا مستدرك، فإن من لا يملك كشفه لا يملك تحويله عنه إلى غيره، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ﴾: أي: يبتغي الذي هو، ﴿أَقۡرَبُ﴾: منهم إليه الوسيلة بالطاعة فكيف بغيره، ﴿وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ﴾: فكيف يستحقون الألوهية، ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا﴾: حقيقًا بأنْ يُحذر عنه، ﴿وَإِن﴾: ما، ﴿مِّن قَرۡيَةٍ إِلَّا نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾: بالموت ﴿أَوۡ مُعَذِّبُوهَا عَذَابٗا شَدِيدٗاۚ﴾: إن بقيت إلى يوم القيامة[2] الأول في قرى المؤمنين، والثاني في قُرى الكافرين، كذا عن بعض السَّلف[3] ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ اللَّوح ﴿مَسۡطُورٗا﴾ في الأزل ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ﴾: مجازٌ عن ترك إرسال الرسول، ﴿بِٱلۡأٓيَٰتِ﴾ المقترحة لهم بجعل الصَّفا ذهبًا[4]، ﴿إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا﴾:

---

(١) سورة الأنبياء.

(٢) في (ن)، و(د): إلى القيامة.

(٣) هو مقاتل - الوسيط (٣/ ١١٣)، معالم التنزيل (٣/ ١٢٠)، تفسير الرازي (٢٠/ ١٨٦) ومقاتل متروك.

(٤) عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبا، وأن ينحي عنهم الجبال فيزدرعوا، قال الله عز وجل: «إن شئت آتيناهم ما سألوا، فإن كفروا؛ أهلكوا كما أهلك من قبلك، وإن شئت نستأني بهم لعلنا ننتج منهم» فقال: لا، بل استأني بهم، فأنزل الله هذه الآية: ﴿وَمَا =

بالآيات المقترحة لا هذه ﴿ٱلْأَوَّلُونَ﴾: وقومك مثلهم طبعا، فلو أرسلنا لاستؤصلوا بتكذيبها لما مر بيانه وفي أصلابهم من يؤمن ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ﴾: بسؤالهم آية، ﴿مُبْصِرَةً﴾: بينة، ﴿فَظَلَمُواْ﴾: كفروا، ﴿بِهَا﴾: فعاجلناهم بالعقوبة، ﴿وَمَا نُرْسِلُ﴾: الرسول، ﴿بِٱلْـَٔايَٰتِ﴾ القرآنية و[1] المعجزات، ﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾: من عذابنا، ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾: فهم تحت تصرفه فخوِّفهُم ولا تخف منهم، ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا﴾: في المعراج وعلى اليقظة فهي بمعنى الرؤية، ﴿ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً﴾: اختبارا، ﴿لِّلنَّاسِ﴾: إذ ارْتَدَّ كثير بإنكاره وزاد إيمان آخرين، ﴿وَ﴾: ما جعلنا ﴿ٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ﴾: المؤذية أو المبعدة عن مكان الرحمة أو المذمومة، وهي شجرة الزقوم[2]، ﴿فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾: إلَّا فتنة للناس، فقال بعضهم: نار وقودها الناس والحجارة كيف تنبت فيها شجرة رطبة[3]؟ ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾: التخويف، ﴿إِلَّا طُغْيَٰنًا﴾: عتوًّا، ﴿كَبِيرًا﴾: ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾: فسر مرة، ﴿قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾: من طين ﴿قَالَ﴾ إبليس: ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾: أخبرني عن ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ﴾: فضَّلتهُ ﴿عَلَىَّ﴾: والله، ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ﴾: أخرت مماتي، ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ﴾: لأستأصلنَّ ﴿ذُرِّيَّتَهُۥ﴾: باغوائهم، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ علم سهولته من قول الملائكة[4]: «﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ إلى آخره[5]»، أو من خلقه ذاوهم في شهوةٍ وغضب ﴿قَالَ ٱذْهَبْ﴾: امض لما قصدت، ﴿فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ﴾: أنت معهم حال كونه ﴿جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾: مكملا، ﴿وَٱسْتَفْزِزْ﴾: استخفّ ﴿مَنِ

= مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾. أخرجه أحمد (١/ ٢٥٨)، والنسائي (١/ ٦٥٥/ ٣١٠)، والبزار (٣/ ٥٦/ ٢٢٥/ كشف) والطبرى (١٥/ ٧٤)، والحاكم (٢/ ٣٦٢)، والبيهقي في الدلائل (٢/ ٢٧١)، والضياء في المختارة (١٠/ ٧٨، ٨٠/ ٧١، ٧٢) وسنده صحيح.

(١) سقطت الواو من (ن).

(٢) الوسيط (٣/ ١١٤)، غرر التبيان (٣١٠).

(٣) الوسيط (٣/ ١١٤)، معالم التنزيل (٣/ ١٢٢)، تفسير القرطبي (١٠/ ١٨٤)، روح المعاني (١٥/ ١٠٦)، البحر المحيط (٦/ ٥٥).

(٤) في (ن)، و(د): الملك.

(٥) سورة البقرة.

﴿ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم﴾: أن تستفزه، ﴿بِصَوْتِكَ﴾: بدعائك بنحو الغناء وكل داع إلى المعصية، ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم﴾: صِحْ[1] عليهم لسوقهم ﴿بِخَيْلِكَ﴾: فرسانك في المعاصي، ﴿وَرَجِلِكَ﴾: ورجالك فيها، حاصله: تصرف فيهم بكل ما تقدر، والأمر تهديدي أو قدري، ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ﴾: بجمع الحرام والإنفاق فيه، ﴿وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾: ببعثهم على الزنا وقبائحهم وإضلالهم ونحوه، ﴿وَعِدْهُمْ﴾: الأباطيل كالاتكال على كرامة الآباء، ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾: هو تزيين الخطأ بما يوهم الصواب، ﴿إِنَّ عِبَادِى﴾: المخلصين ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾: تسلط، ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ لهم ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى﴾: يُجْري ﴿لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِي ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾: من الرزق وغيره، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾: برحمته سخَّرها لكم ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ﴾: خوف الغرق، ﴿ضَلَّ﴾: عن خاطركم كل ﴿مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾: تعالى، ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ﴾: من الغرق، ﴿إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾: عنه، ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ بالسجية ﴿كَفُورًا﴾: للنعم[2]، ﴿أَ﴾: نجوتم من البحر ﴿فَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾: أي: تقلبه وأنتم عليه، إذ البحر والبر عند قدرته سواء ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾: مطرا فيه الحجارة، أو ريحا ترمي بالحصْباء ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا﴾ ينجيكم ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾: في البحر، ﴿تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا﴾ كاسرًا ﴿مِّنَ ٱلرِّيحِ﴾: يكسر كل ما يمر عليه، ﴿فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾: بكفركم، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا﴾: تابعا[3] يطالبنا بانتصار أو صرف ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾: بحسن الصورة والعقل والنطق وغيره ﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ﴾: على الدَّواب ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾: على الفلك، ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: المستلذات، ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾: كثيرا، والمستثنى خواصُّ المَلَك[4]، ولا يلزم من عدم تفضيل جنس الإنسان عليهم عدم تفضيل خواصهم كتفضيل امرأة على رجل مع تفضيل جِنْسه على جِنْسها.

---

(١) من الصياح وهو الصوت العالي.

(٢) في (ن): للنعمة.

(٣) في البيضاوي: مُطالبًا بانتصارٍ أو صرفٍ.

(٤) الملائكة.

* **تنبيه:** اختلف أهْلُ السُّنّة في تفضيلهم، فابن عباس يفضل الملائكة، وعن أصحاب أبي حنيفة وكثير من الشافعية والأشعرية تفضيل رسل البشر مُطْلقًا ثم رسل الملائكة على من سواهم من البشر والملك، ثم عموم الملك على عموم البشر، وقيل: كُمَّلُ الإنسان أفضلُ[1].

وقال الإمام الرازي: الكَرُوبيُّون أفضل مطلقًا، ثم رسل البشر ثم الكُمَّل منهم، ثم عموم الملائكة على عموم البشر، وبه يشعر كلامُ الغزالي في مواضع.

اذكر، ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ﴾: مقتداهم أو كتاب أعمالهم، وكونه جمع[2] أم فيه تعظيم عيسى وغيره، ودفع فضيحة أولاد الزنا ليس بشيء، ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ﴾: كتاب عمله، ﴿بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ﴾: مسرورين، ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ﴾: لا ينقصون أجرهم، ﴿فَتِيلًا﴾: قَدر خطٍّ شق النواة، أي: أدني شيء، أفهم أن من أوتي كتابه بشماله لا يقرأ خجلًا وحيرةً وعمى يدل عليه: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ﴾ الدنيا ﴿أَعْمَىٰ﴾: عمى القلب لم ير رُشْدهُ ﴿فَهُوَ فِي ٱلْأٓخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾: لا يرى طريق النجاة أو أكثر عمى بمعْنَى فقْد البَصيرة، ولذا لا يميله أبو عمرو فإن ألفه[3] كمتوسط بينه[4] وبين من ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾: منه في الدنيا، لفقد الآلة والمهلة والاستعداد، ﴿وَإِن﴾: إنه، ﴿كَادُواْ﴾: قاربوا لمبالغتهم، ﴿لَيَفْتِنُونَكَ﴾: يوقعونك في الفتنة وهم ثقيف وقريش[5]، ﴿عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾: من الأحكام، ﴿لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ وَإِذًا﴾: إن اتبعتهم، ﴿لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ۞ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ﴾: قاربت، ﴿تَرْكَنُ﴾: تميل، ﴿إِلَيْهِمْ

---

(١) الأولى السكوت عن ذلك فهذا لا يتوقف عليه اعتقاد ولا ينبني عليه شيء، وهو علم لا ينفع وجهل لا يضر.

(٢) وعليه يكون «بأمهاتهم» أنوار التنزيل (٣٨٠).

(٣) فإن أفعل التفضيل تمامه بـ «من».

(٤) أمال أبو عمرو «أعمى» الأولى. * إتحاف (٢٨٥)، السبعة (٣٨٣)، غيث النفع (٢٧٥)، النشر (٢/ ٥٤).

ولم يمل «أعمى» الثانية، وإنما أمالها عاصم وحمزة والكسائي وشعبة وخلف وورش. * السبعة (٣٨٣)، غيث النفع (٢٧٥)، إتحاف (٢٨٥).

(٥) أخرجه الطبري (١٥/ ١٣٠)، والواحدي (٢٩٧) بسند ضعيف.

شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾ لكن عصمناك عن مقاربته ﴿إذنْ﴾ لو قاربت ﴿لَّأَذَقْنَٰكَ﴾ لنذيقك عذابا ﴿ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ﴾ أي: عذاب الدنيا ﴿وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ عذاب الآخرة، أي: ضعف ما يعذب به غيرك فيهما أن خطر الخطير أخطر ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ يدفع عنك عذابنا ولمَّا نزلت قال: «**اللهم لا تكِلْني إلى نَفْسِي طَرْفَةَ عين**»[1].

﴿وَإِن﴾ إنه ﴿كَادُواْ﴾ الكفار ﴿لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾ يستخفونك إزعاجًا ﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أرض العرب، إذ قالت اليهود: الحق إلى الشام فإنها أرض الأنبياء[2] ﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا﴾ لو خرجت ﴿لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ﴾ خَلْفَ إخراجك ﴿إِلَّا﴾ زمانا ﴿قَلِيلًا﴾ من الله، ذلك ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾: وهي إهلاك كل أُمَّة أخرجوا رسولهم ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾: تغييرًا، ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ﴾: اللام للتأقيت، أي في زوال، ﴿ٱلشَّمْسِ﴾ وأصله الانتقال، وكذا كل ما تركب من الدال واللام كدلح ودلج ودلع ودلف ﴿إِلَىٰ غَسَقِ﴾: ظُلْمة، ﴿ٱلَّيْلِ﴾: دخل صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء ودلّ ذلك على أنَّ الوقت يمتدُّ إلى غروب الشفق ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾: صلاته سَمّى الشيء باسم ركنه، لا يدل على وجوب القراءة فيها لجواز كون التجوز لندبها فيها ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾: يشهده ملائكة الليل والنهار، ﴿وَمِنَ﴾: بعض، ﴿ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ﴾: اترك الهجود أي: النوم، أو صَلِّ ﴿بِهِۦ﴾، بالقرآن فريضةً ﴿نَافِلَةً﴾: زائدة، ﴿لَّكَ﴾: دون أُمتك ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾: أي: في مقام الشفاعة العامة، فيحمدك الأولون والآخرون ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾: إدخالًا مرضيًّا، ﴿وَأَخْرِجْنِى﴾: منه، ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾: إخراجًا مرضيًّا، ﴿وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا﴾: حُجَّة أو قوة ﴿نَّصِيرًا﴾: لي على من خالفني، ﴿وَقُلْ﴾: بشارة، ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾: الإسلام، ﴿وَزَهَقَ﴾ ذهب ﴿ٱلْبَٰطِلُ﴾: الكفر ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾: مضمحلًّا ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ﴾ للبيان، ﴿ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾: من العلل الدِّينية والبدنية، ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: فيحصل لهم المعارف والحكم، ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾:

---

(١) لا يصح، لكن الدعاء صحيح.

(٢) سورة النبأ.

لكفرهم به، ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى﴾: جنس، ﴿ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ﴾: عن الشكر، ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾: لوى عطفه وولّى ظهره عن منعمه، أو كناية عن الاستكبار ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾: كمرض وفقر، ﴿كَانَ يَـُٔوسًا﴾: شديد اليأس عنَّا، وأما قوله: فَذُو دُعاءٍ عريض، ففي فرقة أخرى، فهنا لصنف وهناك لآخر، ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾: طريقته التي تُشَاكِلُ مَا جُبِلَ عليه، وهي الطبيعة العادة أو الدين، ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾: فيثيبه، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾: قريش[1] بتعليم اليهود، ﴿عَنِ﴾: هيئة، ﴿ٱلرُّوحِ﴾: الذي به حياة البدن، ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾: مما استأثر بعلمه أو معناه أنه موجود محدث بأمره بلا مادة، فهو مثل: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ إلى آخره » في جواب: وَمَا رَبُّ العالمين، ﴿وَمَآ أُوتِيتُم﴾: كلكم، ﴿مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾: تستفيدونه بحواسكم، ولعل أكثر الأشياء مما لا يدركه الحسُّ ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾: بمحو القُرآن عن مصاحفكم وصدوركم، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ﴾: باسترداده، ﴿عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾: تتوكَّلُ عليه ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾: فلعلها[2] تسترده عليك، ﴿إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾: ومنه إنزاله وإبقاؤه، ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾: بلاغةً وغيرها ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾: لعجزهم، ﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾: معينا، ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾: كرَّرنا وبيَّنَّا ﴿لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾: كل معنى هو كالمثل غرابة وحسنا، ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾: جحودا، فعجزوا عن الإتيان، ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾: أرض مكة، ﴿يَنۢبُوعًا﴾: عينا لا تنقطع يفعول من: ينبع، أي: يفور ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ﴾: بستان، ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا﴾: وسطها، ﴿تَفْجِيرًا أَوْ

---

(١) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قالت قريش ليهود: أعطونا شيئا نسأل هذا الرجل، فقال: سلوه عن الروح، قال: فسألوه عن الروح، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ... الآية﴾ أخرجه أحمد (١/ ٢٥٥) والترمذي في جامعه (٥/ ٣٠٤/ ٣١٤٠) والنسائي (٦/ ٣٩٢، ٣٩٣/ ١١٣١٤)، ابن حبان (١/ ٣٠١/ ٩٩/ إحسان) والحاكم (٢/ ٥٣١) والبيهقي في الدلائل (٢/ ٤٦)، وأبو الشيخ في العظمة (٣/ ٨٦٣/ ٤٠٣) وأبو يعلي (٤/ ٣٨٠، ٣٨١/ ٢٥٠١) وسنده صحيح.

(٢) أي: الرحمة.

تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا ﴾: قطعًا أرادوا قوله تعالى: «أو نسقط عليهم كسفا... إلى آخره، ﴿أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴾: مقابلا معاينا، ﴿أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ ﴾: ذهب، ﴿أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾: بسُلَّم ﴿وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ ﴾: وحدهُ ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا ﴾: واحدا واحدا، ﴿كِتَٰبٗا﴾: باسمه فيه تصديقك، ﴿نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي ﴾: تعجُّبًا من اقتراحهم، ﴿هَلۡ﴾: ما، ﴿كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴾: فالرسول إنما يأتي بإذن الله، ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ ﴾: بعد، ﴿إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴾: القرآن المعجز ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴾: أي: ما لهم شبهة إلَّا في إرسال بشرٍ ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ ﴾: كما تمشون، ﴿مُطۡمَئِنِّينَ ﴾: ساكنين فيها، ﴿لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ﴾: لتمكنهم من التلقي منه للتجانس بخلاف البشر، ﴿ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ ﴾: على صدقي، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُمۡ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ﴾: يهــــدونهم، ﴿وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾: يمشون أو يسحبون، ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ﴾: إلى النار، ﴿عُمۡيٗا﴾: عمَّا يقرُّ أعينهم ﴿وَبُكۡمٗا﴾: عن العذر، ﴿وَصُمّٗا ﴾: عما يلذ مسامعهم، ﴿مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ﴾ سكن لهبها بأن أكلت أجسادهم، ﴿زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا ﴾: تلهبا بتبديل لحومهم وجلودهم، ﴿ذَٰلِكَ ﴾: العذاب، ﴿جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾: مطلقًا، ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا ﴾: ترابًا ﴿أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدًا ﴾ جُوْزوا بكثرة الإعادة بعد الإفناء؛ لإنكارهم الإعادة ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ ﴾: يعلموا، ﴿أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۡ ﴾: بدءًا وإعادةً ﴿وَجَعَلَ لَهُمۡ﴾: لإعادتهم ﴿أَجَلٗا لَّا رَيۡبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾: بعد قيام الحُجَّة، ﴿إِلَّا كُفُورٗا﴾: جُحودًا ﴿قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ ﴾: نعمة، ﴿رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ﴾: لبخلتم، ﴿خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِ ﴾: النفاد به فلا ينفعكم تفجُّرُ[1] الأنهار ونحوه، ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾: جنسه بالطبع، ﴿قَتُورٗا﴾: بخيلًا ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ ﴾: السنين، ونقْصٍ من الثمرات، والطوفان، والجراد، والقُمَّل، والضفادع، والدم، واليد، والعصا، وقال

---

(١) في (ن)، و(د): تفجير.

رسول الله ﷺ حين سأله يهوديان عن الآيات: «**إنَّما النَّهي عن الشرك والسرقة**[١] **والزنا والقتل بغير الحق والسحر وأكل الربا والمشي بالبرئ إلى سلطان ليقتله وقذف المحصنات، والفرار من الزحف**» ثم قال: «**وعليكم خاصة اليهود: أن لا تعتدوا في السبت**»[٢].

فعلى هذا المراد بالآيات الأحكام العامة للملل، وقيل: لعلهما سألاه عن العشر كلمات فاشتبه على الراوي بالتسع وهو ابن سلام رضي الله عنه ﴿فَسۡـَٔلۡ﴾: يا محمد ﴿بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾: عنها، تقريرًا للمشركين على صدقك، ﴿إِذۡ جَآءَهُمۡ فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا﴾: متخبط العقل بالسحر، ﴿قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ﴾: بالحجج ﴿مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ﴾ عبرًا، فكيف تعاندني، وبضمير المتكلم[٣] ظاهر ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ﴾: أعلمك، أتى بالظنِّ ازدواجًا[٤]، ﴿يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا﴾: مصروفا[٥] من «ثبر» أي: صرف عن الخير ﴿فَأَرَادَ﴾: فرعون، ﴿أَن يَسۡتَفِزَّهُم﴾: موسى وقومه، ﴿مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ مصر ﴿فَأَغۡرَقۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعٗا وَقُلۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾: بعد إغراقه، ﴿لِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱسۡكُنُواْ ٱلۡأَرۡضَ﴾ مصر ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ﴾: الدار، ﴿ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا﴾: إلى الموقف، واللَّفيفُ: الجماعات من قبائل شتى، ﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ﴾: القرآن، ﴿وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَ﴾: أي: ما أنزلناه، وما نزل إلا بالحق، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا﴾: للمطيع، ﴿وَنَذِيرٗا﴾: للعاصي، ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ﴾: نزلناه مفرقا في ثلاث وعشرين سنة، ﴿لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ﴾: مهل، لتيسير حفظه، ﴿وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا﴾: نجما[٦] نجما على الوقائع، ﴿قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْ﴾: فإنَّ ذلك لا يرفع القرآن ولا يضعه، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ﴾: قبل نزول القرآن هم مؤمنوا أهل

---

(١) في (ن): السرق.

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٨٦/ ٣١٤٤) والحاكم في المستدرك (١/ ٩) وصححه ووافقه الذهبي وأحمد (٤/ ٢٣٩).

(٣) يعني بفتح تاء «علمتَ».

(٤) الازدواج: انضمام الشيء إلى نظيره.

(٥) بل: هالكا من الثبور وهو الهلاك، وهو أيضا: اللعن والطرد.

(٦) يعني: منجما، منجما - يعني: مفرقا.

الكتاب، ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾: القرآن، ﴿يَخِرُّونَ﴾: يسقطون، ﴿لِلْأَذْقَانِ﴾: أي: على وجوههم بحيث تتعفَّرُ لحاهم ﴿سُجَّدًا﴾: شُكْرا لإنجاز وعده، ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾: عن خلف الوعد، ﴿إِن﴾ إنَّه ﴿كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا﴾: في كتبه بنزوله ﴿لَمَفْعُولًا﴾: كائنًا ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾: لتأثرهم عن مواعظة، فالخُرور الأول للسجود، والثاني لشدة البكاء ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾: سماعه، ﴿خُشُوعًا﴾: خضوعا، ﴿قُلِ﴾: لهم حين يقولون أتنهانا عن دعوة إلهين وأنت تدعوا الله والرحمن، ﴿ادْعُوا﴾: اسمعوا، معبودكم، ﴿اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا﴾: منهما، فهو حسن يدل عليه، ﴿فَلَهُ﴾: فلمُسمَّاهما، ﴿الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾: وهما منها، ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾: بقراءتها أو الدعاء بحيثُ يسمع المشركون فيسبون إلَهك ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾: لا تخفها عمَّنْ خَلْفك من صحبك ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: من الجهر والمخافته، ﴿سَبِيلًا﴾ وسطا ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾: رَدًّا لليهود والمشركين، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾: الألوهية، رد للنصارى والمشركين ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ﴾ ناصر ﴿مِّنَ﴾ أجلِ ﴿الذُّلِّ﴾: رد للنصارى والمجوس ﴿وَكَبِّرْهُ﴾: عَظِّمه عن كل مَا لَا يليقُ به ﴿تَكْبِيرًا﴾: تعظيما تاما. والله أعْلَمُ





سورة الكهف: مكية[١] إلا آية[٢]: «واصبر نفسك[٣]»

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾: القرآن، رَتَّب الحمد عليه إشارةً إلى إنزاله من أعظم نعمائه، ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ﴾: لعبده، ﴿عِوَجَا﴾: شيئا من العوج عن الحق ﴿قَيِّمًا﴾: مستقيمًا فيما أمر ظاهرا، ﴿لِّيُنذِرَ﴾: الكافرين، ﴿بَأْسًا﴾: عذابا، ﴿شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾: من عنده، ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مَّٰكِثِينَ فِيهِ﴾: في الأجر[٤]، ﴿أَبَدًا وَيُنذِرَ﴾: كرره لعظم ذنب، ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾: خصهم استعظاما لكفرهم، ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾: لأنه محال بل يُقلدون فيه آبائهم، ﴿وَلَا لِءَابَآئِهِمْ﴾: الذين قالوه، ﴿كَبُرَتْ﴾: عظمت مقالتهم هذهِ ﴿كَلِمَةً﴾ تمييز ﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾: نبه[٥] به على أن[٦] شأنها ألا تتصف بقصد قلبي والخارج: حقيقة الهواء الحامل لها؛ لأن الحروف كيفيات تعرض للصوت، فالإسناد مجازي ﴿إِن﴾: ما ﴿يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ﴾: قاتل، ﴿نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾: إذا ولوا عن الإيمان، ﴿إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾: القرآن، ﴿أَسَفًا﴾: لفرط الحزن، ثم علَّل النهي بقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾: من الأموال ﴿زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ﴾: لنختبرهم ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: بالزهد فيها من غيره، ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا﴾ فتاتا ﴿جُرُزًا﴾: يابسا لا ينبت ولما تعجبت قريش من قصة أهل الكهف

---

(١) في هامش (د): سورة الكهف مكية مائة وعشر آيات، وإحدى عشر عند البصريين، غير آية: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ ثم النحل كلماتها (١٥٧٧) عدد سور القرآن (٢٩٦)، البصائر (١/ ٢٩٧)، البيان (١٧٩)، القول الوجيز (٢٢٥) وحروفها (٦٣٦٠) عدد سور القرآن (٢٩٦)، البصائر (١/ ٢٩٧).

(٢) سقطت من (ع).

(٣) عدد سور القرآن (٢٩٢)، تفسير الطبري (١٥/ ١٥٦)، شعب الإيمان (٧/ ٣٣٦).

(٤) في (ن): في الآخِرَة.

(٥) في (ن)، و(د): تنبيه.

(٦) ليست في (د).

وسألوا النبيَّ ﷺ امتحانا نزل[١]: ﴿أَمْ﴾: بل أ﴿حَسِبْتَ﴾: يا إنسان، ﴿أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ﴾: الغار في حياتهم نياما مُدةً مديدةً ﴿وَٱلرَّقِيمِ﴾: جبَل كهفهم أو لوح على بابه كتب فيه أنسابهم، أو هم ثلاثة دخلوا[٢] كهفا؛ حذرًا من المطر فانحطت صخرةٌ على بابه[٣] فتوسل كلٌّ منهم[٤] بحسنه عملها، ففرج عنهم، وحديثهم[٥] مشهور ﴿كَانُواْ مِنْ ءَايَٰتِنَا﴾ آيةً ﴿عَجَبًا إِذْ أَوَى﴾: سكن، ﴿ٱلْفِتْيَةُ﴾: الشبانُ السبعة والمختلفون فيها: إما أنفسهم كما ذكر في: «قال قائل منهم... إلى آخره» وإما أصل قريتهم حين هربوا من دِقيانوس إذ أكرههم بالشرك، ﴿إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾: تسترنا عنهم، ﴿وَهَيِّئْ﴾: يسر ﴿لَنَا مِنْ أَمْرِنَا﴾: الذي نحن فيه، ﴿رَشَدًا﴾: هداية، ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾: حجابًا يمنع السَّماع، أي: أنمناهم شديدا من ضربت على يده إذا منعته عن التصرف ﴿فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾: معدودةً ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ﴾: أيقظناهم، ﴿لِنَعْلَمَ﴾: مشاهدة، ﴿أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ﴾: من المختلفين في مدة لبثهم، ﴿أَحْصَىٰ﴾ أضبط ﴿لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا﴾ غاية حاصله ضبطُ أمد زمان لبثهم ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ﴾: بالصدق ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾: شبانٌ ﴿ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ﴾: بالتثبيت، ﴿هُدًى وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: قوَّيناهم[٦] بالصبر على المخوفات ﴿إِذْ قَامُواْ﴾: عند دقيانوس إذ أوعدهم[٧] بسبب ترك الأصنام، ﴿فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا﴾: لو دعونا غيره قولا ﴿شَطَطًا﴾: ذا شططٍ، أي: إفراطٍ في الكفر ﴿هَٰٓؤُلَآءِ

---

(١) الدر المنثور (٥/ ٣٧٦).

(٢) في (ن)، و(د): أدخلوا.

(٣) يعني: باب الكهف.

(٤) في (د): منهما.

(٥) في (ن): وحديثه.

والحديث صحيح، والاستدلال واه جدا، فالثلاثة الذين آواهم المبيت إلى الغار غير هؤلاء قطعا ويقينا.

(٦) في (ن): قويناها.

(٧) هددهم.

قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا ﴾ هلّا ﴿يَأْتُونَ عَلَيْهِم﴾: على عبادتهم، ﴿بِسُلْطَٰنٍ﴾: بُرْهان، ﴿بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: بالإشراك ﴿وَ﴾: قال بعضهم لبعض: ﴿إِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾: إذ كانوا يعبدون الأصنام مع الله تعالى، ﴿فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ﴾: يبسط ﴿لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾: في الدارين، ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم﴾: الذي أنتم فيه، ﴿مِّرْفَقًا﴾ ترتفقون أي: تنتفعون به من الغذاء ونحوه، ﴿فَأْوُۥٓاْ﴾ إليه وناموا، وأجيب دُعاؤهم ﴿وَتَرَى﴾: لو رأيتهم[1]، ﴿ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ﴾: تميل، ﴿عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾: جهة يمين الكهف ﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ﴾: تتجاوز عنهم ﴿ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ جهة شماله فلا يقع عليهم شعاعها لئلا يحترقوا، والكهف جنوبي، أعني بابه إلى بنات نعش[2]، ﴿وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ﴾: متسع، ﴿مِّنْهُ﴾: من الكهف ليتروحوا بالهواء ﴿ذَٰلِكَ﴾: المذكور، ﴿مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا﴾: منتبهين لانفتاح أعينهم لرُوح الهواءِ ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾: نيامٌ ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾: أي: جهتهما كل سنة مرة لحفظ جسدهم من الأرض[3]، ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾: يديه نائم مثلهم، ﴿بِٱلْوَصِيدِ﴾: بفناء الكهف، وهو كلب صيد لأحدهم طردوه فقال: أنا

---

(١) في (ن): لو رأيتُم.

(٢) مجموعة من الكواكب معروفة عند العرب يقال: بنات نعش الكبرى، وبنات نعش الصغرى.

وأصحاب النجوم يسمون الكبرى: الدب الأكبر، والصغرى: الدب الأصغر.

* فالكبرى سبعةُ كواكب: أربعة منها النعش، وثلاثة منها البنات، فالأول منها يسمى القائد، والأوسط يسمى عناق بوزن قطام، وإلى جانبه كوكب صغير هو السها، والثالث يسمى: الحور - بحاء مهملة مفتوحة، بعدها واو مفتوحة، بعدها راء مهملة.

* وأما الصغرى فعلى تأليف الكبرى، ثلاثة بناتها: أحدها الجدي الذي تعرف به القبلة، وأربعة نعشها، واثنان منها الفرقدان.

ويقال للواحد من بنات نعش: ابن نعش؛ لأن النجم مذكر، فإذا جمع قيل: بنات نعش، كما يقال: ابن عرس، وبنات عرس، وابن آوي وبنات آوي.

* ما يعول عليه - للإمام المحبي (١/ ٤٢٤/ ٢٣٥٦)، المرصع (٣٣٠)، المزهر (١/ ٥٢٥).

(٣) حتى لا يصابوا بقرحة الفراش أو النوم اهـ.

أحبُّ أحباء[1] الله، ناموا وأنا أحرسكم[2]، ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ﴾: رؤيةً، ﴿عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾: خوفا منع الله بهذا دخول الناس عليهم وأمر معاوية حين غزا الروم[3] ففتحوا[4] ليراهم فمنعه ابن عباس[5] مستدلًّا بهذه الآية، فأرسل جماعةً فلما دخلوا جاءتهم ريح فأحرقتهم[6] ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ﴾: مدة لبثهم فيزداد يقينهم، واللَّام للصيرورة والعاقبة ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ﴾: يوما، ﴿لَبِثْتُمْ﴾: نائمين، ﴿قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾: فإنه غالب مدة النوم، أو لدخولهم صُبحًا وتنبههم مغربا، فلما ترددوا في طول المدة لطول أظفارهم ونحوه، ﴿قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ﴾: فضَّتكم ﴿هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾: التي خرجتم منه اسمها طَرسُوس وفي الجاهلية: أُفْسوس[7]، ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ﴾: أي: أهل القرية، ﴿أَزْكَىٰ﴾: أحل، ﴿طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾: دل على أن التزود دأبُ المتوكلين، ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾: في المعاملة أو[8] الاختفاء، ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ﴾: لا يفعلن ما يؤدي إلى أن

---

(١) أولياء.

(٢) الوسيط (٣/ ١٣٩) معالم التنزيل (٣/ ١٥٤)، الجامع - للقرطبي (١٠/ ٢٤١).

(٣) غزوة المضيق.

(٤) في (ن): ففتحوها.

(٥) قال له: ليس لك ذلك قد منع الله ذلك من هو خير منك فقال: ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾، فقال معاوية: لا أنتهي حتى أعلم علمهم، فبعث رجالا فقال: اذهبوا فادخلوا الكهف.

(٦) أخرجه الواحدي في الوسيط (٣/ ١٤٠) وفيه: فأخرجتهم، بدل فأحرقتهم وسنده صحيح.

(٧) الوسيط (٣/ ١٤١)، ترويح أولى الدماثة (٢/ ٥)، غرر التبيان (٣١٧).

وطرسوس- بفتح الطاء المهملة والراء المهملة وضم السين المهملة-: بين سوريا وتركيا.

* تقويم البلدان (٢٤٨)، المسالك والممالك (٩٩)، معجم ما استعجم (٢/ ٨٩٠)، نزهة المشتاق (١/ ٦٥٢، ٨٠٨)، معجم البلدان (٤/ ٢٨)، آثار البلاد (٢١٩)، الجغرافيا - لابن سعيد (١٥٠)، مراصد الاطلاع (٢/ ٨٨٣) الروض المعطار (٣٨٨)، اللباب (٢/ ٢٧٩).

و«أفسوس» بضم الهمزة وسكون الفاء وضم السين: بلد بثغر طرسوس. * مراصد الاطلاع (١/ ١٠١)، معجم البلدان (١/ ٢٣١)، آثار البلاد (٤٩٨، ٥٠١)، الروض المعطار (٤٩).

(٨) في (ن)، و(د): و.

يشعر ﴿بِكُمْ أَحَدًا إِنَّهُمْ﴾: أهل المدينة ﴿إِن يَظْهَرُواْ﴾: يظفروا، ﴿عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾: يقتلوكم بالرجم، ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ﴾: يصيروكم، ﴿فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا﴾: إن كفرتم، ﴿أَبَدًا وَكَذَٰلِكَ﴾: البعثُ ﴿أَعْثَرْنَا﴾: اطلعنا، ﴿عَلَيْهِمْ﴾: أهل المدينة، ﴿لِيَعْلَمُوٓاْ﴾: أهلها، ﴿أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾: بالبعث، ﴿حَقٌّ﴾: كما في تلك[1] الرقدة ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ﴾ أعثرنا حين ﴿يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ أمْرَ دينهم في بعث الروح فقط أو مع الجسد، ﴿فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾: ملكهم ومؤمنوهم، ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾: نُصلي[2] فيه، ثم لما دخل المبعوث بالدرهم الدقيانوسي اتهموه بالعثور على الكنز، فأخبر بأن عهدي بهذه المدينة عشية أمس، فتعجبوا منه وأخذه[3] الملك النصراني وصدقه جمع سمعوا بتواريخهم فجاءهم الملك مع أهل البلدة وكلموهم بما جرى، ثم ودع الفتية الملك وماتوا ودفنهم الملك وبنى عليهم[4]، ﴿سَيَقُولُونَ﴾: اليهود في زمانكم، هم ﴿ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ والكلب ما كان لهم بل لراع تبعهم في الطريق ﴿وَيَقُولُونَ﴾: النصارى ﴿خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾: يرمون في القولين ﴿رَجْمًا﴾ رميًا ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾: بالخبر الخفي عنهم، ﴿وَيَقُولُونَ﴾: المسلمون ﴿سَبْعَةٌ وَ﴾ يقولون: ﴿ثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾: فكأنهم[5] أخبروا به مرتين لعلمهم به، وهذا القول مرضيٌّ بقرينة وصف الأولين بالرجم بالغيب «قالوا» وليست للثمانية، والمشهور أنها التي تدخل على جملة صفة للنكرة[6] كدخولها على الواقعة حالا من المعرفة، فهى لتأكيد لُصُوق الصِّفة بالموصوف، وقيل

---

(١) ليست في (ن)، و(د).

(٢) في (ن)، و(د): يُصلّى فيه.

(٣) في (س): فأخذه.

(٤) وقد نهي الإسلام عن هذا الصنيع الوثني اليهودي النصراني، فلا بناء على القبور لا مساجد ولا متاحف ولا غيرها ا.هـ.

(٥) في (س): فكانوا، وفي (ن): فكأنه.

(٦) في (ن)، ،(د): النكرة.

غير ذلك وهم يمليخا[١] مكثلينيا[٢]، ومرنوش وبرنوش وشاذنوقش وكفشطيطوش، و[٣]هم أصحاب يمين الملك وأصحاب يساره راعيهم وقطمير كلبهم، ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞ﴾: قال ابن عباس: أنا من القليل، هم سبعة[٤] وكذا عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٥] ﴿فَلَا تُمَارِ﴾: تجادل ﴿فِيهِمۡ﴾: في شأنهم ﴿إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا﴾: غير مُتعمق فيه[٦] فأخبرهم بذلك ولاتجهلهم، ﴿وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم﴾: في قصتهم ﴿مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا﴾: لا تعنتًا ولا استرشادًا ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ﴾: لأجل شيء تعزم عليه، ﴿إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ﴾: الشيء ﴿غَدًا﴾: أي: فيما يستقبل (إلا أن) أي: ملتبسا بأن، ﴿يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾: بأن تقول: إن شاء الله، إذ لما سألوه عنهم قال: أخبركم غدًا بلا استثناء فأبطأ الوحي بضعة عشر يوما وكذبوه، والاستثناء من النهي لا من ﴿فَاعِلٌ﴾؛ لعدم مناسبة المقصود ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ﴾: أي: مشيئته، ﴿إِذَا نَسِيتَ﴾: الاستثناء ثم تذكرت، فلما نزلت قال ﷺ: « إن شاء

---

(١) ويقال: إمليخا، أو تمليخا.

(٢) ويقال: مكسلمينا، أو: مكشلمينا وبالجملة ففي اللفظ بأسمائهم خلاف كبير.

* تاريخ الطبري (٢/ ٦)، المحرر الوجيز (١٠/ ٣٦٨)، الجامع - للقرطبي (١٠/ ٣٦٠)، عرائس المجالس (٤٢٦).

وقد نظم أسماءهم العلامة محمد مرتضى الزبيدي- رحمه الله- على الخلاف الوارد فيهم، فقال:

بتمليخ مكسلمين مشلين بعده ... بدبرنوش مرنوش أشداء للكهف

وخذ شادنوشا سادس الصحب ذاكرا ... كفشطيوش في رواية ذي العرف

نوانس سانينوس مع بطنيوشهم ... مكرطونش تلك الروايات فاستوف

وكشفوطط كند سلططنوس هكذا ... روينا وأرنوس على حسب الخلف

وبنيونس كشفيطط أربطانس ... ومركوكش عند الأجلة في الصحف

وكلبهم قطمير سابع سبعة ... فخذ وتمهل يا أخا الكرب والرجف

عجائب الآثار - للجبرتي (٢/ ٣١٠) بتصرف.

(٣) الواو ليست في (ن).

(٤) أخرجه الواحدي في الوسيط (٣/ ١٤٣)، تفسير القرطبي (١٠/ ٢٤٩).

(٥) وكذا ابن مسعود - رواه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٥٤/ ١٢٧٥٤).

(٦) وهو من العلم الذي لا ينفعُ والجهل الذي لا يضُرُّ.

الله»[١]، واستدل به ابن عباس على أنَّ للحالف الاستثناء ولو بعد سنة، وخالفه الجمهور؛ لظهور فساده، وأوله ابن خزيمة بأنه لأداء السنة، ورُوي[٢] عن ابن عباس أن عدم الحنث بعد نحو سنة مخصوص بالنبيّ ﷺ[٣] ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا﴾: الإخبار عن أصحاب الكهف، ﴿رَشَدًا﴾: هداية تدل على نبوتي، وقد هداه، وقيل: اذكر ربك إذا نسيت شيئا ثم تذكرته، وإن لم تذكره، فقل عسى أن... إلى آخره[٤] ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ﴾: من رقادهم إلى بعثهم، ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ﴾: شمسية بحساب اليهود، ﴿وَٱزْدَادُواْ﴾: بعضهم، ﴿تِسْعًا﴾: بحسابها قمرية إذا الشمسية ثلاثمائة وخمسة وستون يوما وكسرا، والقمرية ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوما وكسرا تفاوتهما في كل مائة سنة ثلاث سنين، و﴿سِنِينَ﴾ بدل لا عطف بيان كما مرَّ ﴿قُلِ﴾ حيث ينازعونك في هذا العدد ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيْبُ﴾ عِلْمُ غيب ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ أَبْصِرْ بِهِۦ﴾: ما أبصره، ﴿وَأَسْمِعْ﴾: به بما يعجب للعجب، فإن ادراكه خارج عن الإدراك، ﴿مَا لَهُم﴾: مَا لأهل السَّماوات والأرض، ﴿مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ﴾: يتولى أمورهم، ﴿وَلَا يُشْرِكُ﴾: الله ﴿فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾: منهم ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾: غيره، أو لا مغير لحكمه، فلا ينافي: وإذا بدلنا... الخ، ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ﴾: غيره، ﴿مُلْتَحَدًا﴾: ملجأ تعدل إليه إن لم تقل[٥] ﴿وَٱصْبِرْ﴾: احبس، ﴿نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾: أي: كل أوقاتهم، ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾: رضاه وهم فقراء الصحابة؛ إذ طلب أشراف قريش أن يفرد لهم مجلسا دونهم، ﴿وَلَا تَعْدُ﴾ لَا تصرف ﴿عَيْنَاكَ﴾ نظرك ﴿عَنْهُمْ﴾: إلى الأغنياء كعتيبة وصحبه، ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَا تُطِعْ﴾: في إبعادهم ﴿مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾: إسرافا، ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ﴾: كائنٌ ﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾: لا هواكم، ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ

---

(١) الدر المنثور (٥/ ٣٧٦).

(٢) في (ن): ويروى.

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٧٨، ٧٩).

(٤) في (ن): إلخ.

(٥) يعني: إذا هممتَ به.

﴿فَلْيَكْفُرْ﴾: أمر تهديد، ولا يفهم استقلالنا إذ مشيئتنا ليست بمشيئة، ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا﴾: هيأنا، ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾: الكافرين ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾: ما أحاط بها مجاز عن الفسطاط ودخانها ولهبها، ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ﴾: من العطش ﴿يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾: مُذاب النحاس أو دردي الزيت[1]، ﴿يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾: إذا قدم ليشرب ﴿بِئْسَ ٱلشَّرَابُ﴾: المهلُ ﴿وَسَآءَتْ﴾: النار، ﴿مُرْتَفَقًا﴾: متكأً، ذكره لمقابلة: ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾: منهم، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ﴾: يزينون ﴿فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ﴾: جمع أسورة أو جمع سوار، ﴿مِن ذَهَبٍ﴾: كدأب ملوك العجم في الدنيا، ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ﴾: رقيق الديباج، ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾: غليظه، أفهم بجمعهما أن فيها ما تشتهي الأنفس، ﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾: مضطجعين أو متربعين في الجلوس ﴿فِيهَا﴾ في الجنّات ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾: السرر في الحجلة وهي بيت يزين للعروس، ﴿نِعْمَ ٱلثَّوَابُ﴾: ذلك، ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾: متكأً، ﴿وَٱضْرِبْ﴾: اجعل، ﴿لَهُم﴾: للكافر والمؤمن، ﴿مَّثَلًا﴾: حال، ﴿رَّجُلَيْنِ﴾: أخوين، مُؤْمنٌ اسمه يهوذا، وكافر اسمه قطروس[2][3] ورثا مالًا فأحدهما اشترى به النخل وأمتعةَ الدنيا، والآخر صرفه في الخير، ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا﴾: الكافر، ﴿جَنَّتَيْنِ﴾ بستانين ﴿مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ﴾: جعلنا النخل محيطًا[4] بهما ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا﴾: بين الكرم والنخل ﴿زَرْعًا كِلْتَا﴾: مفرد يدل على التثنية ﴿ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا﴾: ثمرتها[5]، ﴿وَلَمْ تَظْلِم﴾: تنقص ﴿مِّنْهُ﴾: من أكلها، ﴿شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا وَكَانَ لَهُۥ﴾: لصاحبها، ﴿ثَمَرٌ﴾: أموال مثمرة غير الجنتين، ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ﴾: المؤمن، ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾: يراجعه في الكلام، في التفاخر، ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾: حشما وعشيرة، ﴿وَدَخَلَ

---

(١) اللون الذي يكون عليه من التعكير ونحوه.

(٢) ترويح أولي الدماثة (١/ ١٣)، غرر التبيان (٣١٩)، معالم التنزيل (٥/ ١٧١)، زاد المسير (٥/ ١٣٨، ١٣٩).

(٣) في (د): بطروس.

(٤) في (ن): محيطًا.

(٥) في (ن)، و(د): ثمرها.

جَنَّتَهُۥ﴾: أخذ بيد صاحبه، أفردها؛ لأن المراد بها ما متع به تنبيها على أن ماله جنة غيرها مما[1] وعد المتقون، أو لاتصالهما أو لدخوله في إحداهما، ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾: بكفره وعجبه، ﴿قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ﴾: تفنى ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾: الجنة، ﴿أَبَدًا﴾: لاغتراره وآماله، ولا شك أن أحوال أغنياء زماننا[2] كحاله، ولكن خوف سيف الشرع[3] أخرسهم عن مقاله، ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ﴾: القيامة، ﴿قَآئِمَةً﴾: كائنة، ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي﴾: فرضا، ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا﴾: من جنتي، ﴿مُنقَلَبًا﴾: مرجعا، لأنه إنما أعطاني لاستئهالي[4] ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ﴾: المؤمنُ ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ﴾: أي: أصل مادتك أو مادة أصلك، ﴿مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ﴾: عدلك ﴿رَجُلًا لَّٰكِنَّا۠﴾: لكن أنا، ﴿هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾: تعريض بإشراكه ﴿وَلَوْلَآ﴾: هلّا ﴿إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾: كائن، ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾: اعترافًا بالعجز ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا﴾: على جنتك، ﴿حُسْبَانًا﴾: صواعق ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ﴾: الجنة، ﴿صَعِيدًا زَلَقًا﴾: ملساء يزلق عليها ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا﴾: غائرًا في الأرض ﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ﴾: للماء، ﴿طَلَبًا وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾: مجاز عن الإهلاك، ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾: يضرب إحداهما على الأخرى يتحسرُ ﴿عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾: في عمارتها، ﴿وَهِىَ﴾: الأشجار، ﴿خَاوِيَةٌ﴾: ساقطة ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: دعائمها في الأرض ﴿وَيَقُولُ﴾: تأسفًا عليها: ﴿يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾: فلم يهلك بستاني، ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ﴾: جماعة، ﴿يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ﴾: أي: غير ﴿ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾: بنفسه ﴿هُنَالِكَ﴾: أي: مقام نزول عذابه، ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾: بفتح الواو والنصرة وبكسرها[5]: الملكُ

---

(١) في (ن)، ،(د): كما.

(٢) يعني في زمن الكازروني- رحمه الله-.

(٣) اللهم أعده فينا هذا الزمان- آمين.

(٤) في (ن): لاسمهالي.

(٥) وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف والأعمش وابن وثاب وشيبة وطلحة.

* إتحاف فضلاء البشر (٢٩٠) السبعة (٣٩٢)، غيث النفع (٢٧٩)، النشر (٢/ ٢٧٧).

﴿لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ صفة الله، وبالضم صفة للولاية[١] ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾: لمطيعيه، ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾: عاقبة لهم ﴿وَاضْرِبْ﴾: اجعل، ﴿لَهُم مَّثَلَ﴾: شبيه زينة ﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: في زهرتها وسيلانها وسرعة زوالها ﴿كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ﴾: التفَّ وتكاثف ﴿بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾: يابسا مكسورا، ﴿تَذْرُوهُ﴾: تفرقه، ﴿الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾: قادرًا ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: فزوالها سريع، ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾: الأعمال الصالحة الباقي أثرها، ومنه: «**سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر**[٢]»، والصلوات[٣] ونحوها أي: كالحج وصيام رمضان والكلمة الطيبة[٤] وقد فسرت بكل واحدة منها ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾: لأن صاحبها ينال ما يُؤمِّل بها ﴿وَ﴾: اذكر ﴿يَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾: في الجو بعد قلعها، ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾: ظاهرة مستوية بلا تلال ووهاد[٥] ويبرز ما فيها من الأموات والكنوز ﴿وَ﴾: قد ﴿حَشَرْنَاهُمْ﴾ دل بالماضي على أن الحشر قبل تسييرها ليعاينوه، ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ﴾: نترك، ﴿مِنْهُمْ أَحَدًا وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ﴾ عرض الجند على السلطان ليقضي بينهم، ﴿صَفًّا﴾: مصطفين قائلين لهم: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: عراة بلا شيء أو أحياء ﴿بَلْ﴾: للخروج من قصة إلى أخرى، ﴿زَعَمْتُمْ أَن﴾ أنه، ﴿لَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾: للبعث، ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾: صحف الأعمال في الأيدي أو في الميزان، ﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ﴾: خائفين ﴿مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا﴾: يا هلكتنا تعالي وتعجبي[٦] ﴿مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ

---

(١) وهي قراءة أبي عمرو والكسائي واليزيدي وحميد والأعمش.
* إتحاف (٢٩٠، ٢٩١)، السبعة (٣٩٢)، غيث النفع (٢٧٩)، والنشر (٢/ ٣١١).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٥٤١)، والطبراني في الصغير (١/ ١٤٥)، والخطيب في التاريخ (٩/ ٣٣٦)، وابن عدي في الكامل (٦/ ٢٠٨٥) والنسائي (٦/ ١٠٦٨٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٢١٩)، وآداب الزفاف (١٦٩)، والصحيحة (١٨٢٩) ولفظه: «**خذوا جنتكم من النار قولوا: سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**».

(٣) وهو تفسير ابن عباس - رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٣٦٥/ ١٢٨٣٤) وسنده صحيح.

(٤) في ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٦٤/ ١٢٨٣٢): الكلام الطيب.

(٥) جمع وهذه وهي المنخفض في الأرض.

(٦) في (ع): للتعجبي!!!.

صَغِيرَةً ﴾ من أعمالنا ﴿وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾: عدها[١]، وهذا لا ينافي إن تجتنبوا كبائر... الآية[٢]، إذ لا يلزمُ من العد عدم التكفير ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ﴾: في الصحف ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾: فيكتب عليه ما لم يفعل، ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ ﴾: فسر مرة، أفهم أن الملك[٣] لا يعصى، وإنما[٤] هو عصى؛ لأنه كان جنيا، لكن عن ابن عباس أنه كان من أشراف الملائكة خزَّان الجنان[٥]، ﴿فَفَسَقَ﴾: خرج، ﴿عَنْ أَمْرِ﴾: طاعة، ﴿رَبِّهِۦٓ﴾: بترك السجود ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ﴾: يا بني آدم، ﴿وَذُرِّيَّتَهُۥٓ ﴾: أولاده، قيل: سُمي بها أتباعه مجازا، وقيل: يتوالدون كبني آدم[٦] وقيل: يدخل ذنبه في دبره فيبيض[٧] فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين ﴿أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي ﴾: بإطاعتهم ومخالفتي ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾: من الله تعالى إبليس وذريته، ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ ﴾: أي: الشياطين، ﴿خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ ﴾: بإحضار بعضهم خلق بعض، ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ﴾: أي: متخذهم ﴿عَضُدًا﴾: أعوانا والمشاركة في الألوهية فرع[٨] المشاركة في الخالقية ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ﴾: الله، ﴿نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ ﴾: أنهم شركائي لإعانتكم[٩] ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴾: مهلكا يشتركون فيه وهو النارُ، أو بمنع تواصلهم ﴿ وَرَءَا ﴾: عاينَ ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ ﴾: تيقنوا، ﴿أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا ﴾: مخالطوها واقعون

---

(١) في (ن): عدلًا.

(٢) سورة النساء.

(٣) وإبليس لم يكُنْ من الملائكة قطّ.

(٤) في (ن): فأمّا.

(٥) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٥٩) ولا يصح وإبليس من الجن ليس من الملائكة أبدا.

(٦) وهذا هو الصحيح.

(٧) من الشياطين نوع يبيض لحديث: «**باض فيها الشيطان وفرخ**»، لكن كون إدخال الشيطان لذنبه في دبره... الخ من الخرافات والواهيات.

(٨) في (ن): نوع.

(٩) في (ن): لأعاقبهم!!. ويعني: أروني شُركائي وادعوهُم بجهدكم؛ ليخلصوكم ويعينُوكُم على خلاصِكُمْ من العذاب.

فيها من مسيرة أربعين سنة تعجيلا لغمهم ﴿وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾: معدلا ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾: بينًا مُكررًا ﴿فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾: أي: الكتاب، ﴿لِلنَّاسِ﴾: مثلا، ﴿مِن﴾: جنس، ﴿كُلِّ مَثَلٍ﴾: ليتعظوا، ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ﴾: يتأتي منهُ الجدل[1] ﴿جَدَلًا﴾: بالباطل إلَّا من عُصم ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ﴾: قريش من، ﴿أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ﴾: الرسول والقرآن، ﴿وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ﴾: انتظار[2] ﴿أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: من العذاب، ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾: عذاب الآخرة، ﴿قُبُلًا﴾: عيانا أو أنواعا ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾: للمؤمنين، ﴿وَمُنذِرِينَ﴾: للكافرين، ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ﴾: نحو: «أبعث الله بشرا رسولا[3]» ﴿لِيُدْحِضُواْ﴾: ليزيلوا، ﴿بِهِ﴾ بالباطل، ﴿ٱلْحَقَّ﴾: القرآن، ﴿وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي﴾: القرآن، ﴿وَمَآ أُنذِرُواْ﴾: به، ﴿هُزُوًا﴾: استهزاءً ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾: ولم يتدبرها، ﴿وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾: من المعاصي ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾: أغطية كراهة، ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾: القرآن، ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾: ثقلا عن استماع الحق قبولا، ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾ حقيقةً ولا تقليدًا ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ﴾: البليغ المغفرة، ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ﴾ تعالى في ذلك الموعد، ﴿مَوْئِلًا﴾: منجا وملجأً ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾: المجاورة لمكة كعادٍ ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾: أي: أصحابهم، ﴿لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم﴾: لهلاكهم[4] ﴿مَّوْعِدًا﴾ أو لزمان هلاكهم موعدًا[5] فاعتبروا، ﴿و﴾: اذكر، ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾: يوشع بن نون بن إفرايم بن يوسف[6]- عليه الصلاة والسلام- ﴿لَآ أَبْرَحُ﴾: لا أزال أسير، ﴿حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾: ملتقى

---

(١) في (ن): الجدال.

(٢) في (س): الانتظار.

(٣) سورة الإسراء.

(٤) في (د): هلاكهم.

(٥) في (ن): وَعْدًا.

(٦) غرر التبيان (٣٢١)، مفحمات الأقران (٣٠) تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٧٠/ ١٢٨٧٥).

بحري فارس والروم[١] موعد لقائه مع خضر وفسر بهما فإن موسى كان بحر علم الظاهر، وخضر للباطن[٢] ﴿أَوۡ أَمۡضِيَ﴾: أسير، ﴿حُقُبٗا﴾: دهرًا طويلًا، أو سنةً، وقصَّته: أنه[٣] خطب بعد هلاك القِبْطِ[٤]، فسئل: هل أحد أعلم منك: فقال: لا، فأوحى إليه: بلى عبدنا خضر وهو بمجمع البحرين[٥]، وهو الذي كان على مقدمة ذي القرنين الأكبر الذي لقي إبراهيم وبنى السد وطاف الدنيا لا الأصغر اليوناني[٦] الذي طلب ماء الحياة وما وجد، فسار موسى وفتاه ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا﴾: بين البحرين رقد موسى عند صخرةٍ فوثب الحوت المشويُّ في البحر من مكتلهما وهما لموسى أو الخضر، وقيل: كان حوتا مملحًا وصل إليه قطرة من ماء الحياة مما توضأ به يوشع فحيي منه ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾: نسي موسى طلبه، ونسي يوشعُ ذكر ما رأى من حياته ﴿فَٱتَّخَذَ﴾: جعل الحوت ﴿سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا﴾: سعيا[٧] طويلا لا منفذ له ككوة فجمد الماء حوله ولم يلتئم، وفي الآية تقديم وتأخير فلا عجب في نسيانه هذه المعجزة القرآنية؛ لأنه كان معتادا بمشاهدة معجزاته الغريبة، وصار إلفها سببا لقلة اهتمامه بها، ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾: الصخرة وسارا الليلة والغداة إلى الظهر، ﴿قَالَ لِفَتَىٰهُ﴾: يوشعُ ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾: مأكول أول النهار، ﴿لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا﴾: تعبا بعد المجاوزة منها، ولم يع موسى في سفره غيره كما أشار إليه هذا، ﴿قَالَ أَرَءَيۡتَ﴾: ما جرى عليَّ ﴿إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ﴾: التي رقدت عندها ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ﴾: أي: ذكر قصته، ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ﴾: أي: ذكره، ﴿إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥ﴾: بدل من الضمير، ﴿وَٱتَّخَذَ﴾: الحوتُ ﴿سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾: سبيلًا ﴿عَجَبٗا﴾: كما مرّ ﴿قَالَ﴾: موسى، ﴿ذَٰلِكَ﴾: فقد

---

(١) غرر التبيان (٣٢١)، فتح الباري (٨/ ٤١٠)، معالم التنزيل (٥/ ١٨٠).

(٢) الخضر نبي أيضًا، ولا دليل على ما ذكر المؤلف.

(٣) يعني سيِّدنا موسَى.

(٤) آل فرعون.

(٥) رواه البخاري (٨/ ٢٦٢/ ٤٧٢٥)، ومسلم (٤/ ٨٤٧/ ١٧٠/ ٢٣٨٠).

(٦) وهو المقدوني الكافر المشرك المسمى الكساندر.

(٧) كذا، وفي (ن) غير واضحة.

الحوت ﴿مَا كُنَّا نَبْغِ﴾: نطلبه، لأنه أمارة[١] المطلوب، ﴿فَٱرْتَدَّا﴾ رجعا ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا﴾: يقصان، أي: يتبعان آثارهما ﴿قَصَصًا فَوَجَدَا﴾: عند الصخرة، ﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾: خضر بثوب مستلقيا على الأرض واسمه بليا بن ملكان[٢] ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً﴾: نبوة أو ولاية وهو الأرجح[٣]، وهو باق إلى الآن[٤] ﴿مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا﴾: من قبلنا ممَّا لا يعلم إلَّا بتوفيقنا ﴿عِلْمًا﴾: بالمغيبات، ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾: أصحبك على شرط ﴿أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾: للرُّشد ويجب كون الرسول أعلم من المرسل إليه في أصول دينه وفروعه، فلا نقص لموسى في ذلك إذا[٥] لم يكن الخضر نبيا[٦]، ثم قال: كفاك بالتوراة علما، فقال موسى: أمرني به ربي ﴿قَالَ﴾: الخضر ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾: لما ترى مني مخالفة شرعك ظاهرا ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾: ببواطنه، ﴿خُبْرًا﴾: أي: لم تخبر به وظاهره منكر، ﴿قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾: معك ﴿وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾: ما استثني في المعصية[٧] فعصى ﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ﴾: أنكرته، ﴿حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾: أي: ابتديء ببيانه، ﴿فَٱنطَلَقَا﴾: يطلبان سفينة ومعهما يوشع تبعًا ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ﴾: فأخذ قدومًا[٨] وقطع لوحين منها حتى، ﴿خَرَقَهَا﴾: قيل: إن الماء لم يدخلها ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾: عظيما، ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا قَالَ﴾ موسى: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا

----

(١) علامة.

(٢) غرر التبيان (٣٢٢)، زاد المسير (٥/ ١٦٧)، التعريف والإعلام (٧٣، ٧٤)، المعارف (٤٢) تفسير القرطبي (١١/ ٣٤).

(٣) بل النبُوّة الأرجَح- وهو الذي عليه الجمهور. وانظر: الروض النضر في حال الخضر للإمام قُطب الدين الخيضريّ الشافعيّ، (ص١٠٤، ١٦٢- بتحقيقي/ ط دار الفتح).

(٤) هذه خُرافةٌ صُوفية لا دليل عليها، والخَضرُ مات؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾.

(٥) في (د): إذ.

(٦) بل هو نبي؛ لقوله في آخر القصة: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ وهذا هو الصحيح.

(٧) يعني لم يقُل: ولَا أعصي لك إن شاء الله أمرًا.

(٨) هو الفأس الصغير.

نَسِيتُ ﴾: بنسياني وصيتك، ﴿وَلَا تُرْهِقْنِى﴾: لا تكلفني، ﴿مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴾: بالمؤاخذة على المشي، ﴿ فَٱنطَلَقَا﴾: بعد خُروجهما من السفينة، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا ﴾: صبيا غضًّا[١] يلعب مع الغلمان اسمه حيسون[٢]، ﴿فَقَتَلَهُۥ﴾: قلع رأسه، دل بالفاء على عدَمِ التراخي والتروي، بخلافِ أمر السفينة ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ ﴾: طاهرةً قال أبو عمرو: الزاكية: التى لم تذنب قطُّ، والزكيةُ: التي أذنبت ثم غُفِرت[٣]، قال بعض أئمة التفسير: لعله اختار الأول كذلك فإنه كان صغيرا، ويردُّ عليه ما مرَّ اختيار الملك[٤] ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴾: منكرا[٥]، قال في الأول: «إمْرا»، أي: منكرًا عظيما؛ لأن قتل جماعة أعظمُ من قتل واحد، رُوي أنه لما سمعَ[٦] غضب واقتلع كتف الغلام الأيسر وقشَّرهُ، وإذا مكتوب فيه: كافر لا يؤمن بالله أبدا[٧] ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ﴾ زاد لك عقابا[٨] على نقضه العهد مرتين، ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا﴾: اعتراضًا ﴿فَلَا تُصَٰحِبْنِى قَدْ بَلَغْتَ ﴾: وجدت، ﴿مِن لَّدُنِّى عُذْرًا﴾: لما خالفتك مرارا، ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾: أنطاكية[٩]، ﴿ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا﴾: في الحديث: «**كان يمشيان على مجالسهم يستطعمانهم**»، وفيه تنبيه على هوان الدنيا على الله تعالى، ﴿فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا﴾ قائما ارتفاعه مائة ذراع[١٠] ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ يسقط، استعار

---

(١) طريًّا يانعًا.

(٢) كذا- والصواب: جيسور- غرر التبيان (٣٢٣)، فتح الباري (٨/ ٤٢٠) وهو في الصحيح (٤/ ١٧٥٦/ ٤٤٤٩)، تفسير الطبري (١٥/ ٢٨٦).

(٣) يعني: غُفِر ذَنبها.

(٤) في (س)، و(ع): ما مرّ في اختيار- أخبار- الملك.

(٥) في هامش (ع): ونصف القرآن بعد الحروف انتهى إلى النون من قوله: «نكْرا»- ابن عطية.

(٦) يعني لما سمعَ الخضرُ كلام موسى- عليهما السلامُ.

(٧) معالم التنزيل (٣/ ١٧٦)، روح المعاني (١٦/ ١١)، تفسير الرازي (٢١/ ١٣٧).

(٨) كذا.

(٩) غرر التبيان (٣٢٢)، الجامع للقرطبي (١١/ ٢٤).

قلت: وهو بعيدٌ جدًّا، لأنَّ أنطاكية في بلادِ الروم «تركيا حاليًا» وموسى والخضر- عليهما السلام- التقيا بمجمع البحرين.

(١٠) هذه من مبالغات المفسِّرين والإخباريين.

الإرادة لمداناة سقوطها، فمسحه بيده كذا عن ابن عباس ﴿فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ﴾: أخذ شيء، ﴿لَتَّخَذۡتَ﴾ افتعال من «اتخذ» وكذا قرئ: (لتخذت)[1] أي: أخذت ﴿عَلَيۡهِ أَجۡرٗا﴾: إذ نحن جياع، ﴿قَالَ هَٰذَا﴾: السؤال، ﴿فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَ﴾: أضاف المصدر إلى الظرف اتساعا، وإنما فارقه في الثالث دون لا الأولين؛ لأنه كان لشهوة بطنه، وهما لفرط صلابته في الدين، ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ﴾: مالا أو عجزا[2] عن دفع الظلم، ودلَّ الأول على أن المسكين من يملك مالا يكفيه، ﴿يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا﴾: أجعلها ذات عيبٍ ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ صحيحة ﴿غَصۡبٗا﴾: خالف الظاهر يعني الظاهر تأخير قوله: فأردت أن أعيبها عن قوله: «وكان وراءهم ملك» تقديما بالنسبة في تقديم: فأردت للعناية ﴿وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا﴾: يكلفهما[3] ﴿طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا﴾: أي: يحملهما حبهُ على متابعته في الكفر، وفي الحديث: «**إنه طُبع كافرا**»[4] وقد مرَّ[5] قصة كتفه ﴿فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾: يرزقهما، بدله ﴿خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ﴾: طهارة من الذنوب ﴿وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا﴾: رحمةً على والديه، فأعطيا جارية تزوجها نبيٌّ، فولدت نبيًّا هدى الله - تعالى - به أمة من الأمم ﴿وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي﴾: تلك، ﴿ٱلۡمَدِينَةِ﴾: اسمهما أصرم وصريم[6]، ﴿وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا﴾: لوح من ذهب[7]، كتب فيه نصائح[1]، ﴿وَكَانَ

---

(١) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ويعقوب وابن محيصن. * إتحاف (٢٩٤)، السبعة (٣٩٦)، النشر (٢/ ٣١٤).

(٢) في (ن): وعجزًا.

(٣) في (ن)، و(د): أي: يغشيهما.

(٤) عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا**» أخرجه مسلم (٤/ ١٨٥٠)، وأبو داود (٤٧٠٥).

(٥) يعني: مرَّ بكَ.

(٦) غرر التبيان (٣٢٣)، تفسير الطبري (١٥/ ٢٨٨)، (١٦/ ٥)، المحرر الوجيز (١٠/ ٤٣٨).

(٧) عن أم الدرداء، عن النبي ﷺ في قوله: «**وكان تحته كنزلهما وكان**» قال: «**ذهب وفضة**». أخرجه الترمذي (٥/ ٣٤٢٠/ ٣٧٦)، والحاكم (٢/ ٣٦٩)، والواحدي في الوسط (٣/ ١٦٢)، والبخاري في التاريخ الكبير (٨/ ٣٦٩)، وابن عدي في الكامل (٧/ ٢٧٢٣) بسند ضعيف وقال ابن عباس: «**كان لوحا من**
=

﴿أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾: نسَّاجًا أو سباحا اسمه: كاشح، بينهما وبينه سبعة آباء[٢]، ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ حلمهما وكمال رأيهما، ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾: ولو سقط الجدار لضاع ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾: بل بأمر الله تعالى وحيًا أو إلهامًا ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾: ومن فوائد القصة أن لا نعجب[٣] بعلمنا ولا نبادر إلى إنكار ما لا نستحسنه ونداوم على التعلم ونتذلل للمعلم، وننبه المجرم على جرمه حتى يتحقق إجرامه ثم نعفو[٤]: ونهاجر عنه.

أسند الأول إلى نفسه؛ لأنه بمباشرته، والثاني؛ إلى الإثنين؛ لأن التبديل بإهلاكه وإيجاد الله بدله، والثالث إلى الله، إذ لا دخل له في بلوغه.

وأيضا: الأول في نفسه شر، والثالث خير، والثاني خير، والثاني ممتزج وأيضا: العارف في أوله ينظر إلى نفسه وأعماله، ثم إلى نفسه وخالقه، ثم لا يرى إلا الخالق ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾: الأصح أنه إسكندر اليوناني[٥] الذي طافَ بالبيت مع إبراهيم وكان وزيره الخضر[٦]، وصفحتا رأسه من النحاس[٧]، وبلغ قرني الدنيا[٨]، أي: طرفيها، وقيل: هو الرومي الذي قبل المسيح بثلاثمائة[٩] سنة، ووزيره

= ذهب» أخرجه الطبري (١٦/ ٦).

(١) قيل: مكتوب فيه: عجبا لمن أيقن بالقدر ثم ينصب، عجبا لمن أيقن بالنار ثم يضحك، عجبا لمن يؤمن بالموت كيف يفرح، عجبا لمن يوقن بالرزق كيف يتعب؟. * الوسيط (٣/ ١٦٢) وسنده ضعيف جدا.

(٢) غرر التبيان (٣٢٣)، المحرر الوجيز (١٠/ ٤٣٨)، الكشاف (٢/ ٤٩٦)، زاد المسير (٦/ ١٨١)، الجامع للقرطبي (١١/ ٣٨).

(٣) في (ن): أن لا تعجب بعلمك، ولا تبادر... إلخ وفيها تقديم وتأخير.

(٤) إلا إذا كان حدا فيجب القصاص منه.

(٥) بل ذو القرنين نبي عربي من اليمن من الأذواء، وكان ملكا عادلا مسلما وإنما ينسبه مؤرخو الإفرنج إلى أنفسهم كذبا وزورا وبهتانا وحسدا للعرب، والسعي لتجريدهم من أي: فضل ا.هـ.

(٦) تاريخ القضاعي (١٥٨، ١٥٩) ولا أظن ذلك صحيحا فبين إبراهيم وذي القرنين قرون كثيرة.

(٧) تاريخ القضاعي (١٦٠)، وضعفه ابن كثير في البداية والنهاية (٢/ ١٠٣).

(٨) فتوح مصر (٥٩)، مروج الذهب (١/ ٢٨٨).

(٩) هذا باطل؛ لأن ذا القرنين مسلم مُوحِّدٌ، والمقدوني مشركٌ مُلْحد- لعنه الله-.

أرسطو[١]، ﴿قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ﴾: من ذي القرنين ﴿ذِكْرًا إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ﴾: أمره ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: بالتصرف[٢] فيها كيف شاء، ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾: أراده، ﴿سَبَبًا﴾: وصلة إليه من العلم والقدرة والآلة، ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾: وصلة إلى المغرب أو طريقا ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي﴾: مطمح نظره لا حقيقة؛ فإنَّ الشمس في السماء الرابعة[٣]، وهي مثل الأرض مائة وستين مرة[٤]، ولذا ما قال: كانت تغرب، ﴿فِي عَيْنٍ﴾: ذات، ﴿حَمِئَةٍ﴾: طين أسود، وحامية أي: حارة، ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا﴾: عندَ العين ﴿قَوْمًا﴾: كفَّارًا ﴿قُلْنَا﴾: له وحيا إليه أو إلى بني زمانه أو إلهاما: ﴿يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ﴾: بالقتل ونحوه ﴿وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾: بإرشادهم، فاختار الحسن حيث قال: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾: بإصراره على الكفر، ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾: بالقتل ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾: منكرًا لم يعهد مثله، ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي: الجنة والإضافة بيانية[٥]، ونصْبًا[٦] حال، أي: فله الحسنى مجزيًّا بها ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا﴾: ما نأمر به أمرا، ﴿يُسْرًا﴾: عملًا لا شاقًّا[٧] ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾: وصلة إلى الشرق ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ﴾: أول مكان طلوعها من المعمورات ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾: هم الزنج، ﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا﴾: دون الشمس، ﴿سِتْرًا﴾: من اللباس، أو من نحو الأبنية والأشجار، والمراد

---

(١) هو أرسطو أو أرسطا طاليس، أحد الفلاسفة الضالين، وهذا يوافق الكساندر المقدوني- لعنه الله- أما ذو القرنين- عليه السلام- فبعيد كل البعد عن نجاسات هؤلاء.

(٢) في (ن)، و(د): يتصرف.

(٣) الأنواء (٨٤).

(٤) الشمس أحد الأجرام السماوية، وتبعد عن الأرض بنحو ٩٢.٥ مليون ميل، وهي جسم ناري يتكون من غازات مضغوطة تحتوي على ما لا يقل عن (٦٠) عنصرا من العناصر المعروفة ويقدر قطرها بنحو (٨٦٤) ألف ميل، وتبلغ درجة الحرارة على سطحها نحو (٧٠٠٠) درجة وتقدر درجة حرارتها الباطنة بنحو (٤٠.٠٠٠٠٠٠) أربعين مليون درجة، نصيب الأرض من هذه الحرارة لا يزيد على ١/ ٣٢٥ مليون من مجموع حرارتها. *دائرة المعارف- ص٣٥٠ وانظر: الإعجاز العلمي (١/ ٣٨٠).

(٥) على قراءة: «جَزَاءَ الحُسْنَى».

(٦) على قراءة: «جَزَاء الحسْنَى».

(٧) في (د): شقاقا.

دوام طلوعها عليهم في الصيف فوق الأرض، هذا وراء بربرة[١] من تلقاء بلغار[٢] تدور الشمس فيه بالصيف ظاهرة فوق الأرض لكن لا تسامته[٣] رؤسهم أُسس ذي القرنين، ﴿كَذَٰلِكَ﴾: المذكور في الملك، ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾: من كثرة الأسباب، ﴿خُبْرًا﴾: علما، ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾: وصلة بين المشرق والمغرب، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾: جبلا أرمينية[٤] من أذربيجان[٥] المبنيّ بينهما السد، ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾: لقلة فطانتهم ﴿قَالُواْ﴾: القوم ﴿يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾: قبيلتين من ولد يافث، أو يأجوج من الترك، ومأجوج من الجبل ﴿مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أرضنا، ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾: جعلًا ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾: يمنعهم عنَّا ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي﴾: من المال والملك، ﴿خَيْرٌ﴾: من خرجكم ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾: ما اتقوى به من الآلات، ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾: حاجزا حصينا، وهو أكبر من السدِّ ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ﴾ قطع ﴿ٱلْحَدِيدِ﴾: أي: ناولوني، فلا ينافي ردَّ الخرج فأتوا به، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ﴾: امتلأ، ﴿بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾: جانبي الجبلين وازي رُؤسهما بجعل الفحم والحطب في خلال[٦] الزُّبر ﴿قَالَ﴾: للعملة: ﴿ٱنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾: كالنار بالإحماء ﴿قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾: نحاسا مُذابا ليشتدَّ ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ﴾: يعلوه لملاسته، ﴿وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾: لشدته وثخنه ﴿قَالَ﴾ ذو القرنين: ﴿هَٰذَا﴾: السد، ﴿رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾: على عباده، ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ﴾: أي: وقت وَعْدِ ﴿رَبِّي﴾: بخروجهم أو قرب الآخرة ﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ مدًّا: أرْضًا مستوية،

---

(١) بربرا: قاعدا بلاد الحبشة. * تقويم البلدان (١٥٨)، معجم ما استعجم (١/ ٢٣٩)، معجم البلدان (١/ ٣٦٩).

(٢) ويقال لها: بلاد بُلّار، وهي بلغاريا حاليا. * تقويم البلدان (٢١٦)، معجم البلدان (١/ ٤٨٥، ٤٨٨)، مراصد الاطلاع (١/ ٢١٩).

(٣) توافقه وتساويه.

(٤) إرمينية: دولة معروفة بجانب أذربيجان. * تقويم البلدان (٣٨٦)، صورة الأرض (٣٣١).

(٥) أذربيجان: إقليم معروف وراء العراق. * معجم البلدان (١/ ١٢٨)، آثار البلاد - للقزويني (٢٨٤)، الروض المعطار (٢٠)، أحسن التقاسيم (٣٧٥).

(٦) فوارق.

وقصرًا[1]: مدكوكًا، مستوٍ بالأرض، ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾: كائنا، تمت قصة ذي القرنين.

قال تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ﴾ بعض يأجوج ومأجوج، ﴿يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾: كموج الماء لكثرتهم، ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ القرن كما مرّ ﴿فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾: للمجازاة، ﴿وَعَرَضْنَا﴾: أظهرنا، ﴿جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ﴾: غشاوةٍ ﴿عَن﴾ رؤية، ﴿ذِكْرِي﴾ آياتي اعتبارا، ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾: لكلامي لصممهم عن الحق، ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا﴾: أي: اتخاذهم، ﴿عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾: لا يغضبني؟! ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾: أعددنا ﴿جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾: ما يُهيَّأُ للضيف أوَّل نُزُوْله[2]، فكيف بالضيافة؟ ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾: جمع التمييز لتنوع الأعمال هم ﴿الَّذِينَ ضَلَّ﴾: بطل ﴿سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾: لعجبهم وجهلهم، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾: لكفرهم، ﴿فَلَا نُقِيمُ﴾ نجعل ﴿لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾: قدرًا، أو: لا نزن أعمالهم لا نحباطها، وأما قوله: «وأما من خفت موازينه[3]» ففي العصاة، الأمر ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾: لم يعتبروها، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ﴾: أعلى الجنة ﴿نُزُلًا﴾: كما مرَّ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾: تحوُّلا ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ﴾: ماؤه، ﴿مِدَادًا﴾: ما يستمد به الكاتب الكلمات وهي الدالة على حكمه، ﴿لَنَفِدَ الْبَحْرُ﴾: ماؤه؛ لأنه متناه، ﴿قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾: لأنها غير متناهية، ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ﴾: بمثل البحر الموجود، ﴿مَدَدًا﴾: معونةً ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾: خُصصْتُ بالوحي، ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾: يطمعُ في حُسْن لقائه ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾: موافقا للشرع، ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ﴾ أي: فيها ﴿أَحَدًا﴾: بالرياء، أو طلب أجرٍ، كمن يسره أن يطلع على عمله والمراد: الشرك الخفي، ودل

---

(١) وهي قراءة ابن عامر ونافع وابن كثير وأبي عمرو وعاصم ويعقوب وحفص.
* إتحاف فضلاء البشر (٢٩٦)، السبعة (٤٠٢)، غيث النفع (٢٨٣)، النشر (٢/ ٢٧١).

(٢) في (د): نزوله.

(٣) سورة القارعة.

عليه الحديث[1].



---

(١) يشير إلى حديث: «**الشرك الخفي أن يعمل الرجل لمكان الرجل**». أخرجه الحاكم في مستدركه (٤/ ٣٢٩). وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٧٣٠)، وصحيح الترغيب (٢٧).



«سورة مريم[١]»: مكية[٢] إلا آية السجدة[٣]



لما نهى عن الشِّرك الخفيّ أعقبه بقصَّة من كان يُخفي مناجاته؛ حذَرًا من ذلك، وذكر ما أنعم الله عليه بسبب ذلك فقال:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ كٓهيعٓصٓ﴾: كما مرَّ، هذا المتلوُّ ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ﴾: مفعول رحمة، ﴿زَكَرِيَّآ ۞ إِذْ نَادَىٰ﴾: دعا ﴿رَبَّهُۥ نِدَآءً﴾: دُعاءً ﴿خَفِيًّا﴾: للإخلاص ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ﴾: ضعفَ ﴿ٱلْعَظْمُ مِنِّي﴾: وهو دعامةُ[٤] البدن فغيره أولى ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ﴾: منِّي ﴿شَيْبًا﴾: شبهه بالنار في بياضه وإنارته ثم باشتعالها[٥] في انتشاره[٦] في الشَّعر، وأسند إلى مكان الشعر مبالغة، ﴿وَلَمْ أَكُنۢ﴾: قبل، ﴿بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾: خائبًا، بل كنت مجابًا، وهذا الذي أطمعني فيه، ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ﴾: عصبتي، أن لا يحسنوا الخلافة، ﴿مِن وَرَآءِي﴾: بعد موتي، إذْ كانوا من الشرار، ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا﴾: لا تلدُ ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ﴾: مخترعا منك بلا سبب، ﴿وَلِيًّا﴾: من صُلْبي ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ بن إسحاق، أو أخي زكريا، أو عمران، يرث العلم والنبوة، إذ النبيُّ لا يُورثُ، وأتى بـ«من» في الثاني لنبوة بعضهم ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾: مرضيا عند الكلِّ فأجابه وقال: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ

---

(١) ترك ناسخ نسخة (د) بيان عدد الكلمات والحروف في كل سورة من هنا إلى آخر القرآن، وسأثبتها- إن شاء الله- من الكتب التي تعنى بذلك - فكلماتها: (٩٦٢) كلمة، وحروفها (٣٨٠٢) حرف.

* عدد سور القرآن (٣٠٠)، البصائر (١/ ٣٠٥) البيان (١٨١)، القول الوجيز (٢٢٩).

(٢) في (د): سورة مريم- عليها الصلاة والسلام- مكية.

(٣) في هامش (ن): بلغ مُقابلة.

(٤) بكسر الدال المهملة: عماد البيت الذي يقوم عليه، وقد أدعمت إذا اتكأت عليها.

* لسان العرب (٧/ ١٨٤/ دعم).

(٥) في (ن): باشتعالهما.

(٦) في (س): انتشاوره.

ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾: شبيها إذ ما هم بمعصية أو لم يُسَمَّ به أحد، ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ ﴾: كيف، ﴿يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾: يبسا في المفاصل، يعني: أَتهبني مع الشيخوخة والفقر، أو تردنا إلى حالة أُخْرى ﴿ قَالَ ﴾ المبشر: نهبك ﴿كَذَٰلِكَ ﴾: بلا تغيير، ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾: يسير، ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴾: أفهم أن المعدوم ليس بشيء، ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ﴾: علامةً لوقوعه ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ ﴾: مع أيامها، ﴿سَوِيًّا ﴾: في الخلق بلا نحو خَرس أوْ: كاملاتٍ، فلمَّا حملت أصبح لا يقدر على التكلم مع قدرته على قراءة التوراة، ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ ﴾: مصلاه أو غرفته، ﴿فَأَوْحَىٰٓ ﴾: أشار إليهم، ﴿أَن سَبِّحُوا۟ ﴾: صلُّوا ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾: طرفي النهار، ولما وهب وبلغ الفهم قال الله تعالى له: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ ﴾: التوراة، ﴿بِقُوَّةٍ ﴾: بجد، ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ ﴾: النبوة أو الحكمة وفهم التوراة، ﴿صَبِيًّا ﴾: له سبع سنين أو ثلاث، ﴿وَ ﴾: آتيناه، ﴿حَنَانًا ﴾: رحمة، ﴿مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ﴾: طهارة من المعاصي، ﴿وَكَانَ تَقِيًّا ﴾: ما أذنب وما همَّ بذَنْبٍ ﴿وَ ﴾: كان ﴿بَرًّۢا ﴾: كثير البر، ﴿بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا ﴾: متكبراً ﴿عَصِيًّا ﴾: عاصيا، ﴿ وَسَلَٰمٌ ﴾: من الله، ﴿عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ ﴾: من مس الشيطان، ﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ ﴾: من عذاب القبر، ﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ ﴾: من أهوال القيامة، ﴿حَيًّا ﴾: خصها لأنها أوْحَش أحوالنا ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ ﴾: القرآن، قصَّة ﴿مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ ﴾: اعتزلت، ﴿مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾: من المسجد الأقصى للعبادة، ﴿ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ ﴾: دون القوم ﴿حِجَابًا ﴾: استترت منهم لتغتسل من الحيض، ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾: جبريلُ ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا ﴾: بعد لبسها ثيابها، ﴿بَشَرًا ﴾: إنسانا، ﴿سَوِيًّا ﴾: تامًّا تمثل شابًّا أمرد لتستأنس به ﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾: فكيف إذا لم تتق، ﴿ قَالَ ﴾: جبريل، ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ ﴾: لأتسبب في هبة الله لك، ﴿غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴾: طاهرا ولا يلزم منه نبوتها، فإنه ليس وحي رسالة فيمكن في غير النبي وكذا قال مقاتل في أم موسى إنها أوحى إليها جبريل ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ ﴾: كيف، ﴿يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي ﴾: يباشرني،

﴿بَشَرٌ﴾: نكاحا، ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾: زانية ولا تاءَ فيه؛ لأنه مبالغة أو نسبة، وفيه ما في قصة زكريا، ﴿قَالَ﴾: يهبك[(١)] الولد ﴿كَذَٰلِكِ﴾: بلا مس بشر، ﴿قَالَ رَبُّكِ هُوَ﴾: وهب[(٢)] غلام بلا أبٍ ﴿عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾: يسير، ﴿وَ﴾: نهبك ﴿لِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾: على كمال قدرتنا، ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾: على العباد بهدايته، ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾: في علم الله تعالى، فنفخ في جيبها بحيث وَصلتْ[(٣)] فرجها ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾: ثمانية أشهر إرهاصًا[(٤)] لعيسى؛ إذ لا يعيشُ مولود ثمانية أشهر ﴿فَٱنتَبَذَتْ﴾: اعتزلت به ملتبسةً بالحمل، ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾: بعيدا، مخافة أن لا يعيش ﴿فَأَجَآءَهَا﴾: جاء لها أو ألجأها، ﴿ٱلْمَخَاضُ﴾: وجع الولادة ﴿إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾: لتعتمد عليه في الولادة، ﴿قَالَتْ﴾: استحياءً ومخافةً ﴿يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾: الأمر، ﴿وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾: شيئا شأنه أن يُنسى، أو ما يرمى بِهِ ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ﴾: عيسى أو جبريل إذ كان كالقابلة[(٥)] لها ﴿أَلَّا تَحْزَنِي﴾: سلاها بظهور معجزتين يدلان على عصمتها ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾: نهرًا أو سيدا، ﴿وَهُزِّيٓ﴾: أميلي، ﴿إِلَيْكِ بِجِذْعِ﴾: جذع[(٦)] ﴿ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ﴾: تتساقط النخلة، ﴿عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾: غضًّا، كانت نخلة يابسة بلا رأْسٍ فلمَّا هزتها أثمرت في غير أوانه، ﴿فَكُلِي﴾: من الرطب، ﴿وَٱشْرَبِي﴾: من النهر أو عصيره، ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾: طيبي نفسك من القر البرد، فإن دَمعة السرور باردة[(٧)] ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ﴾: إن ترى ﴿مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا﴾: يسألك عن ولدك، ﴿فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾: وكان يجب الصَّمت فيه[(٨)]، أو صمتا[(٩)]

---

(١) في (د): نهبك.

(٢) يعني: هبة.

(٣) يعني النفْخَةُ.

(٤) علامةً على نبوَّته.

(٥) يعني يسليها ويقوم بأمرها.

(٦) يعني: الباءُ في «بجذع» صلة.

(٧) عذبة، ودمعة الحزن حارة ملحة.

(٨) في صيامهم.

(٩) وقرئ به.

﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾: أي: بعد ذلك، أو قولي بالإشارة، فإن ولدك يكفيهم جوابا، ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾: فلما رأوه، ﴿قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾: بديعًا[1] منكرًا ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾: جَدّها[2] فهو مثل: يا أخا تميم[3]، أو صالح من بني إسرائيل تبع جنازته أربعون ألفا كلهم يُسمى هارون سوى سائر[4] الناس، أي: يا أخته صلاحا، ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ﴾: زانيا، ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾: زانية، ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾: إلى عيسى أن كلموهُ ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ﴾: وجد، ﴿فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ۝ قَالَ﴾: عيسى، ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ﴾: الإنجيل، قيل: درسه في بطن أمه[5] أو التوراة، ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾: نفّاعًا ﴿أَيْنَ﴾: حيث ﴿مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي﴾: أمرني، ﴿بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾: إن ملكت شيئا أو تطهير النفس، ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾: وتأخير التكليف في غيره إلى البلوغ لترقب عقله، وهو ولد تام العقل، بل قيل: استنبئ حينئذ (وَ) جعلني (برا) بارا (بوالدتى ولم يجعلنى جبارا) متكبرا (شقيا) عاصيًا (والسلام) عرَّفه للعهد، ولا يضر كونُ الأول من الله؛ لاتحادهما ماهيَّةً (عليَّ يوم ولدت) من مسِّ الشيطان (ويوم أموت) من سوء الخاتمة (ويوم أبعث حيًّا) من أهوال القيامة ﴿ذَلِكَ﴾: الموصوف، ﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾: لا كما يصفه النصارى[6] ﴿قَوْلَ﴾: كلمة، ﴿الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾: عند اليهود ساحر، وعند النصارى ابن الله، ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ﴾: تنزيهه عن ذلك، ﴿إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾: فلا يحتاج في اتخاذ ولد إلى إحبال أنثى، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا﴾ الطريق ﴿صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾: فسر مرة ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ﴾:

---

(١) جديدًا مُبتدعًا.

(٢) ليس صحيحا والصحيح ما رواه مسلم في صحيحه (١٦٨٥) عن المغيرة بن شعبة أن أهل نجران سألوه: ألستم تقرءون: يا أخت هارون، وقد علمتم ما كان بين موسى وعيسى؟! فلم أدرما أجيبهم فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم.

(٣) تفسير الطبري (١٦/ ٥٩)، الوسيط (٣/ ١٨٢).

(٤) باقي.

(٥) هذا لا يصحُّ.

(٦) في (ن): كما لا تصف النصارى.

اليهود والنصارى، أو فرق النصارى كما مرَّ ﴿مِنۢ بَيۡنِهِمۡ﴾: بين الناس، ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ﴾: شهود هول، ﴿يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾: القيامة، ﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ﴾ ما أسمعهم وما أبصرهم ﴿يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا﴾ ولا ينفعهم حينئذ ﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي﴾: الدنيا، ﴿ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾: لا يسمعون الحق ولا يبصرونه، ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ﴾: للمسيء على الإساءة، والمحسن على الإحسان، ﴿إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾: أمر القيامة، ﴿وَهُمۡ﴾: الآن، ﴿فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۞ إِنَّا نَحۡنُ نَرِثُ ٱلۡأَرۡضَ وَمَنۡ عَلَيۡهَا﴾: بفناء كلهم وبقائنا، ﴿وَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ﴾: للجزاء، ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾: القرآن قصَّة ﴿إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا﴾: ملازما للصدق كثير التصديق ﴿نَّبِيًّا إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ﴾: ما سماه استعطافًا ﴿لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي﴾ يدفع ﴿عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾: من المكاره أو لا ينفعك، ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ﴾: لم يصف نفسه بالعلم وأباه بالجهل رفقا ﴿فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا﴾: مستقيما، ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ﴾: لا تطع، ﴿ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا﴾: وتابعُ العاصي عاص ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾: مع كثرة رحمته، ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا﴾: قرينًا في اللعن أو العذاب، ﴿قَالَ﴾ أبوه: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ﴾: عن مقالتك فيها ﴿لَأَرۡجُمَنَّكَ﴾: بالحجارة، أو لأشتمنك فاحذرني، ﴿وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا﴾: زمانًا طويلًا ﴿قَالَ﴾ إبراهيم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكَ﴾: سلامُ متاركة[1]، ﴿سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾: ليوفقك لموجب المغفرة، ﴿إِنَّهُۥ﴾: تعالى ﴿كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾: بليغ البر، ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ﴾: تعبدون (من دون الله وأدعوا): أعبد، ﴿رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا﴾: خائبا كخيبتكم بدعاء آلهتكم ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: وهاجروا إلى الشام ﴿وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ﴾: ابنه ﴿وَيَعۡقُوبَ﴾: ابن ابنه، خصهما بالذكر ليذكر

---

(١) قال ابن العماد الإقفهسي: والسلام أنواع: سلام المودة، وهو سلام المؤانسة، وسلام المسالمة معناه: أنت سالم مني وأنا سالم منك، وسلام المفارقة: عند القيام من المجلس وهو سنة، وسلام المتاركة: مثل له العلماء بقوله تعالى: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ﴾، وبقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ الفرقان (٦٣)، المعنى: تركوهم ومضوا سالمين. * تسهيل المقاصد (٢٩٧).

إسماعيل بفضله منفردا، ﴿وَكُلًّا﴾: منهما، ﴿جَعَلْنَا نَبِيًّا ۞وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾: النبوة وغيرها، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾: ثناء حسنا في كل الملل عني باللسان ما يوجد به، ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾: قصَّة ﴿مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا﴾: اخلصناه لعبادتنا، وبالكسر ظاهر[١]، ﴿وَكَانَ رَسُولًا﴾: هو من يأتيه الملكُ بوحي الرِّسالة ﴿نَّبِيًّا﴾: هو من أوحي إليه ولو في النوم، أخّره مع أنه أعم؛ لإفادة إنباءه بكل مَا أمر ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾: الذي على يمين موسى أو من اليمن ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ﴾: تقريب تشريف ﴿نَجِيًّا﴾: مُناجيًا بتكليمه[٢] أو مرتفعا، إذ رفع فوق السموات فسمع صرير الأقلام[٣] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ﴾: أي: مؤازرته إجابة لدعائه، ﴿نَبِيًّا ۞ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾: قصَّة ﴿إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ قال: ستجدني[٤] الخ فوفى به ﴿وَكَانَ رَسُولًا﴾ إلى جُرْهُم ﴿نَّبِيًّا﴾: مرَّ بيانهما[٥] وعلى القول الأصحّ لا إنكار ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾: اشتغالًا بالأهم فالأهم أو قومه، ﴿وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ۞ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾: قصة ﴿إِدْرِيسَ﴾: أوّل من خطَّ وعلم النجوم والحساب، وخاط ولبس المخيط وأخذ السلاح وغزا[٦] ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۞وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾: النبوة أو السماء أو الجنة بعد أن أذيق الموت وأُحْيى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: المذكورون، ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾: يعني إدريس[٧] ﴿وَمِنْ﴾ ذُرية ﴿مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾: في سفينته، يعني إبراهيم، فإنه من سام، ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ﴾: يعني إسماعيل وإسحاق، ﴿وَإِسْرَٰٓءِيلَ﴾: يعقوب، يعني موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى، ﴿وَمِنْ﴾: جملة، ﴿مَنْ هَدَيْنَا﴾: إلى الحق، ﴿وَٱجْتَبَيْنَآ﴾: للنبوة، ﴿إِذَا تُتْلَىٰ

---

(١) يعني «مُخْلِصًا» وهي قراءة ابن عامر وابن كثير وأبي عمرو ونافع وعاصم وشعبة وأبي جعفر ويعقوب. * إتحاف (٢٩٩)، السبعة (٤١٠)، غيث النفع (٢٨٥)،النشر (٢/ ٢٩٥).

(٢) في (ن): بتكليم.

(٣) قال ابن عباس أدني حتى سمع صريف القلم. * تفسير ابن كثير (٣/ ١٢٤).

(٤) سورة الصافات.

(٥) في (ن): بيانها.

(٦) انظر: فردوس الجنان. * للمناوي (١٧/ بتحقيقي).

(٧) هذا خطأ وإدريس غير آدم.

عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟﴾: سقطوا ﴿سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾: باكين، في الحديث: «**اقرءوا**[١] **القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا**[٢]»، ﴿فَخَلَفَ﴾: عقب وجاء، ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾: يعني العقب السوء وبفتح اللام[٣] ضده ﴿أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: تركًا وتأخيرا ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾: شرًّا أو واديا في جهنم تستعيذ منه أوديتها، ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ﴾: ينقصون ﴿شَيْـًٔا﴾: من ثوابهم، ﴿جَنَّٰتِ﴾: بدل من الجنة ﴿عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ﴾: جمع عابد، ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾: غائبين عنه أو عنها ﴿إِنَّهُۥ﴾ تعالى ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ﴾: موعوده ﴿مَأْتِيًّا﴾: مفعولا، أو آتيا، ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾: فضول الكلام، ﴿إِلَّا سَلَٰمًا﴾: دُعاءٌ بالسلامة من الملائكة فإنَّ ظاهره لغو، وحقيقته إكرام أو مثل:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم[٤] .... إلى آخره.

أو بمعنى لكن، ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾: على التمثيل بعادة[٥] الدنيا أو دائما، ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾: من الشرك يرثونها من الكفار، ولما أبطأ جبريل بعدها سئل ﷺ عن الروح وغيره كما مرَّ، اشتكى إليه فقرأ، ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ

---

(١) في (ن)، و(د): اتلوا.

(٢) ذكره البيضاوي في أنوار التنزيل (٤٠٨) بلفظ: «**اتلوا القرآن**»، والصواب: «**إن هذا القرآن نزل بحزن، فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا وتغنوا به فمن لم يتغن به فليس منا**». أخرجه ابن ماجة (١٣٣٧)، وأبو يعلى (٦٨٩) والأجري في أخلاق أهل القرآن (٨٥)، والبيهقي (١٠/ ٢٣١) وفي الشعب (١/ ٢/ ٣٢٣) وسنده ضعيف.

(٣) خلف.

(٤) صدر بيت من الطويل وعجزه:

*** بهن فلول من قراع الكتائب ***

وقائله النابغة الذبياني- والشاهد فيه نصب «سلاما» على الاستثناء المنقطع، والشاهدُ هنا: تأكيد المدح. * ديوان النابغة (٤٤)، الأزهية (١٨٠)، إصلاح المنطق (٢٤)، خزانة الأدب (٣/ ٣٢٧، ٣٣١، ٣٣٤)، الدرر (٣/ ١٧٣)، شرح شواهد المغني (٣٤٩)، الكتاب (٢/ ٣٢٦)، معاهد التنصيص (٣/ ١٠٧)، همع الهوامع (١/ ٢٣٢).

(٥) في (د): لعادة.

رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا ﴾:[١] أمر الدنيا أو الأرض ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾: أمر الآخرة أو السماء، ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: بين النفختين أو الهواء ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾: تاركا لك، هو ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ﴾: اصبر، ﴿لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾: ولا تتضيق[٢] من بطء الوحي، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾: مثلاً أو أحدا سُمِّي بالله فإنهم لم يسموا به[٣] أصنامهم قط، ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾: إنكارا كأُبيّ بن خَلَف ﴿أَءِذَا مَا﴾: صلة، ﴿مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾: من الأرض، ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ﴾: يتفكر، ﴿ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾: فإعادته أهون، ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾: كل مع شيطانه في سلسلة، ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾: قعودا على الركب،و الظاهر أنهم يساقون جثيا في[٤] الموقف إليه؛ لقوله: «وترى كل أمة جاثية... الخ»[٥]، ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ﴾: لنخرجن، ﴿مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾: أمة شاعت دينا، ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾: جرأة ومعصية، أي: ينزع الأعصى فالأعصى فيطرح فيها، ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾: احتراقا فلا نظلمهم، ﴿وَإِن﴾ ما ﴿مِّنكُمْ﴾ أحد ﴿إِلَّا وَارِدُهَا﴾: جهنم وُرُوْد مرور ويكون[٦] على المؤمن برْدًا وسلامًا ويمر بها دون الكافر، وفسر بالصراط[٧]، ﴿كَانَ﴾: ورودهم ﴿عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا﴾: واجبا، ﴿مَّقْضِيًّا﴾: عليكم، ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾: الكفر ﴿وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكافرين، ﴿فِيهَا جِثِيًّا﴾: كما كانوا كيف لا، ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾: واضحات الإعجاز ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾: منا ومنكم، ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا﴾: مكانا،

---

(١) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟ فنزلت: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾. أخرجه البخاري في صحيحه (٣٢١٨، ٤٧٣١، ٧٤٥٥، ٣١٥٨).

(٢) في (ن): تضيق.

(٣) في (ن)، و(د): فإنهم ما سموا.

(٤) في (ن): من.

(٥) سورة الجاثية.

(٦) الورود.

(٧) أخرجه البخاري (٨/ ١٤٦)، ومسلم (١/ ١٨٧).

﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾: مَجْلسا تفاخروا بحظوظ الدنيا، ﴿وَكَمْ﴾: كثيرا، ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا﴾: متاع البيت، ﴿وَرِءْيًا﴾: هيئة فلم ينفعهم، ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ﴾: الكفر ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ﴾: ليمهله بالتمتعات، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾: لقطع معاذيره، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ﴾: في الدنيا ﴿وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ﴾ حينئذٍ ﴿مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾: فيه، ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى﴾: وهو خير مما أعطى الكفرة كما دل عليه، ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾: فُسِّرت مرة[1]، ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾: مرجعا، هذا مثل: الصيف أحر من الشتاء، ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾: أخبر بقصة، ﴿ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: عاص[2] بن وائل إذ طلب خباب[3] حقه منه فاستهزأ[4]، ﴿وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ﴾: حين أبعث، ﴿مَالًا وَوَلَدًا﴾: فأعطيكه، وبضم الواو[5] جمع أو لغة فيه، ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ فعلم أنه يؤتى ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ أن يؤتيه حينئذ ﴿كَلَّا﴾: ليس كما تصور، ﴿سَنَكْتُبُ﴾: سننتقم منه انتقام من يكتب ﴿مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ﴾: نُطَوّل ﴿لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾: أو مضاعفة ﴿وَنَرِثُهُۥ﴾: بموته، ﴿مَا يَقُولُ﴾: من المال والولد ﴿وَيَأْتِينَا﴾ ﴿فَرْدًا﴾: في القيامة بلا شيء، ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا﴾: يتعززون بشفاعتهم، ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ﴾: آلهتهم، ﴿بِعِبَادَتِهِمْ﴾: يجحدونها، ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾: أعداء يقولون ربنا عذب من عبدنا ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: للتعجب، ﴿أَنَّآ أَرْسَلْنَا﴾: سلطنا، ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: أي: خليناهم وإياهم، ﴿تَؤُزُّهُمْ﴾: تحركهم إلى المعاصي ﴿أَزًّا ۞ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾: بطلب عقوبتهم ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ﴾: أيام آجالهم، ﴿عَدًّا﴾: أعمالهم للجزاء أو أنفاسهم للفناء، اذكر، ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾: راكبين، ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾:

---

(١) في سورة الكهف.

(٢) كذا- وهو العاص بن وائل السهمي.

(٣) يعني ابن الأرت.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٠٩١، ٢٢٧٥، ٢٤٢٥، ٤٧٣٢، ٤٧٣٣، ٤٧٣٤، ٤٧٣٥) ومسلم (٢٧٩٥).

(٥) يعني: وُلْدا.

سوق البهائم ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ عطاشا ﴿لَّا يَمْلِكُونَ﴾: أطلق[١] المدلول للقسمين، ﴿الشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾: هو كلمة التوحيد ﴿وَقَالُوا﴾: المجرمون، ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۞ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا﴾: عظيمًا مُنكرًا ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾: يتشققن، ﴿مِنْهُ﴾: من هذا القول المجلب لغضب الله تعالى بتخريبهما[٢] لولا حِلْمهُ ﴿وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾: تهد، أي: تكسر مهدودة أي: مكسورة لأجل، ﴿أَن دَعَوْا﴾: نسبوا، ﴿لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۞ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾: أفادَ بالرحمن أن كل ما عداه نعمة أو مُنعم عليه فلا تجانس فيتخذ منهم ولد ﴿إِن﴾: ما ﴿كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾: يأوي إليه بالعبودية والانقياد، وبُيِّنَ في الفاتحة (لَقَدْ أَحْصَاهُم) أحَاطَ بهم علمًا (وَعَدَّهُم) شخصًا ونفسًا وغيرهما ﴿عَدًّا ۝٩٤ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾: عن الاتباع، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾: في القلوب بلا سعيهم والسين[٣] لنزولها بمكة حين كانوا ممقوتين أوفي القيامة ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ﴾: القرآن ملتبسا، ﴿بِلِسَانِكَ﴾: لغتك، ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾: أشد الخصومة، ﴿وَكَمْ﴾: كثيرا، ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾: أمة، ﴿هَلْ تُحِسُّ﴾: تجد، ﴿مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾: صوتا خفيا فليعتبروا، وتركيب ركز للخفاء[٤]- والله أعْلَمُ بالصواب وإليه المرجعُ والمآب.

❁❁❁

---

(١) في (ن): الخلق.

(٢) في (ن): ثم لتخريبهما.

(٣) في «سيجعل».

(٤) تركيب مادة «ركز» ولدلالته على الخفاء قيل: للمعدن: ركاز، ولدفين الجاهلية أيضا: ركاز.
* عمدة الحفاظ (٢/ ١٠٩/ ركز).

تفسير الكازروني

المسمى

الصراط المستقيم

في تبيان القرآن الكريم

للإمام العلامة الشيخ المفسر

نور الدين أحمد بن محمد بن خضر العمري الشافعي الكازروني

المتوفى سنة ٩٢٣هـ

تحقيق ودراسة

الأستاذ الشريف

أبي الحسن عبد الله بن عبد العزيز الشبراوي





«سورة طه[1]»: مكية[2]



لمَّا قال: «فإنما يسرناه بلسانك لتنذر وتبشر.. الخ» أكده بقوله:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ طه﴾: مرَّ بيانه، أو يا رجل[3]، ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾: لتتعب في العبادة أو تأسفا على كفر قريش، ﴿إِلَّا﴾: لكن أنزلناه، ﴿تَذْكِرَةً﴾: عظة، ﴿لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ الله، أنزلناه ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ﴾: قدمها للقرب ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾: جمع عليا، هو ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ بُيِّن في الأعراف ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾: تحت سبع أرضين ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ﴾: في دعائه فهو غنيٌّ عنهُ ﴿فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ منه، وهو ما لم تحدث به نفسك بعد فراغ الذكر والدعاء لتصور النفس بالذكر ورسوخه وهضمها بالتضرع لا لإعلامه، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: اسمه في الأسماء كذاته في الذَّوات ﴿وَهَلْ﴾: قد ﴿أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۞ إِذْ رَءَا نَارًا﴾: في رجوعه من بلد شعيب[4] إلى مصر ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ أبصرت إبصارًا يقينيا ﴿نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾: بشعلة، ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾: هاديا إلى الطريق ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾: وجد نارًا بيضاء على شجرة خضراء ﴿نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ۞ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾: رُوي أنه قال: عرفت أنه كلام الله تعالى؛ لأني أسمعته من جميع الجهات، وهو يدل على أنه تلق روحاني[5]، ﴿فَٱخْلَعْ﴾ تعظيمًا ﴿نَعْلَيْكَ﴾ أو لنجاستها ﴿نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ﴾: المطهر، ﴿طُوًى﴾: علمُ الوادي،

---

(١) كلماتها (١٣٤١) كلمة وحروفها: (٥٢٤٢) حرفا.

* البصائر (١/ ٣١٠)، القول الوجيز (٢٣٣)، البيان (١٨٣) عدد السور القرآن (٣٠٨).

(٢) في هامش (ن): بلغ مُقابلة.

(٣) لكن على كل فليس طه ولا يس من أسماءه ﷺ في شئ ا.هـ.

(٤) لكن ليس شعيبا النبي؛ لقوله: ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ ولوط كان في زمن إبراهيم، وبين إبراهيم وموسى قرون كثيرة.

(٥) أنوار التنزيل (٤١٤) والله كلم موسى- صلوات الله عليه- بحرف وصوت سمعه موسى وفهمه.

﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾: للنبوة، ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾: إليك، ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا﴾: تركيبه مقلوب[١] إذا أخذت الجلالة كما هو المَلفوظ ﴿فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾: لتذكرني، ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ﴾: أُريد ﴿أُخْفِيهَا﴾: أي: وقتها أو أظهرها (لتُجزى) متعلق أخفيها أو آتية (كُل نفسٍ بما تسعى) تعمله (فلا يصدنك عنها) عن التصديق بها (من لا يؤمن بها) أراد به نهي موسى عن الانصداد (واتبع هواه فتردى) فتهلك، ثم سأله استيعاظا؛ ليعلمه ما يمنحه في عصاه فقال: ﴿وَمَا تِلْكَ﴾: كائنة، ﴿بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ﴾ ولما فهم منه الأمر برفضها كنعليه بسط العذر[٢] إظهارا لكمال حاجته إليه ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ﴾: اعتمد، ﴿عَلَيْهَا﴾: في المشي وغيره، ﴿وَأَهُشُّ﴾ أخبط ورق الشجر ﴿بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾ لتأكله ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ﴾: حاجات، ﴿أُخْرَىٰ﴾: كحمل الزاد وغيره مثل أن تشتعل شعبتاه بالليل كالشمع[٣]، وتصير دلوي عند الاستقاء[٤] وتطول بطول البئر، وتحارب عنه عدوه وينبع الماء بركزها، وتنضب بنزعها وتورق وتثمر إذا اشتهى ثمره، فركزها[٥] وغير ذلك، ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ ۞ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ﴾: عظيمةٌ كالثعبان، كما مرَّ في الأعراف ﴿تَسْعَىٰ﴾: تمشي سريعا كالجان، أي: الثعبان الصغير، ولذا عبَّر عنها بالثلاث، ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا﴾: هيئتها، ﴿الْأُولَىٰ﴾: فادخل يده في فمها فعادت عصًا وفمها شعبتاها، ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ﴾: كفك، ﴿إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾: جنبك تحت العضد الأيسرِ ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ﴾: شعاعها كالشمس، ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾: كبَرصٍ وكان آدم[٦] ﴿آيَةً﴾: معجزة، ﴿أُخْرَىٰ﴾: فعلنا ذلك ﴿لِنُرِيَكَ

---

(١) يعني يقرأ طردا وعكسا مثل ﴿كل في فلك﴾، ﴿وربك فكبره﴾، وفي غير القرآن مثل: «حوت فمه مفتوح»، «كبر رجاء أجر ربك»، «دام علا العماد»، «سور حماه بربها محروس» وغيرها.

(٢) بل استئناسا بكلام الله، واسمه «الإطناب» ا.هـ.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٩/ ١٣٤٠٨) عن ابن عباس.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ١٣٤١٥/ ٢٤٢٠) عن السدي.

(٥) أنوار التنزيل (٤١٥) بلا إسناد.

(٦) كان موسى ﷺ أسمر اللون.

مِنْ ﴾: بعض، ﴿ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ۞ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ ﴾: بها[١] وادْعُهُ إلى الحقِّ ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾: عصى، خصَّهُ بالذكر لأنه الرئيس، ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ ﴾: افسح، ﴿لِى صَدْرِى ﴾: قلبي لتحمل أعباء النبوة، ﴿وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴾: الذي أنا بصدده، ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴾: هي لثغٌ به بسبب جمرة وضعها في فمه في صغره[٢] ﴿يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ۞ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا ﴾: معينا من الوزر: الثقل، أو الوزر الملجأ، أو الأزر القوة، فإنه يحمل ثقله ويلتجيء إلى رأيه ويتقوى به، ﴿مِّنْ أَهْلِى ۞ هَٰرُونَ أَخِى ﴾: الأكبر بأربع سنين ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴾: قوتي، ﴿وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴾: بالرسالة[٣] ﴿كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۞ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴾: فإنَّ التعاون يهيج الرغبة ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا ﴾: بأحوالنا، ﴿بَصِيرًا ﴾: فأعطنا الأصلح ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ ﴾: مسئولك، ﴿يَٰمُوسَىٰ ۞ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴾: في طفوليتك، ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ ﴾: إلهامًا، وقيل: بجبريل كما سيأتي حين ولدتك وخافت عليكَ ﴿مَا يُوحَىٰٓ ﴾: ما لا يعلم إلا بالوحي، ﴿أَنِ ﴾: بأن ﴿ٱقْذِفِيهِ ﴾: ألقيه، ﴿فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ ﴾: النِّيل ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ ﴾: وهو بُستانُ فرعون إذ كان [شرع] من البحر نهر إليه ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ﴾: فرعون وكان جالسا مع آسية فرآه فأمر بإخراجه فلما رأى وجهه أحبه عظيما كما قال: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً ﴾ كائنةً ﴿مِّنِّى ﴾: ليحبك كل من رآك، ﴿وَلِتُصْنَعَ ﴾: تُربَّي ﴿عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾: على حفظ وعناية مني[٤] ﴿ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ ﴾: مريم، ﴿فَتَقُولُ ﴾: حين مَا قبلت ثديَ أحدٍ ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ﴾: فجاءت بأمِّك فقبلت ثديها، ﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا ﴾: بلقائك، بين في مريمَ ﴿وَلَا تَحْزَنَ ﴾: بفراقك، ﴿وَ﴾: إذ، ﴿قَتَلْتَ نَفْسًا ﴾: قبطيا فغممت خوفا منا ومن فرعون، ﴿فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ ﴾: بالغفران والأمن، ﴿وَفَتَنَّٰكَ ﴾ ابتليناك ﴿فُتُونًا ﴾: ابتلاءً أو أنواع فتن، ﴿فَلَبِثْتَ ﴾: عشر ﴿سِنِينَ ﴾: أو عشرين، ﴿فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ﴾: منزل شعيب، ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ ﴾: قدرته في علمي لأن أكلمك ﴿يَٰمُوسَىٰ ۞

---

(١) يعني باليد.

(٢) لا يصحُّ.

(٣) في (ن): الرسالة.

(٤) هذا تأويل.

﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ﴾: اخترتك ﴿لِنَفْسِى﴾: لرسالتي، ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى﴾: بمعجزاتي، ﴿وَلَا تَنِيَا﴾: تفترا ولا تُقصِّرا ﴿فِى ذِكْرِى﴾: كما قلت: كي نُسبحك... إلى آخره، ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾: بلا منازعة، كما في النَّازعات احتراما لتربيته إياك ﴿لَّعَلَّهُۥ﴾: أي: راجين أنه ﴿يَتَذَكَّرُ﴾: يذعن الحق، ﴿أَوْ يَخْشَىٰ﴾: أن يكون الأمر كما تقولان، وفائدتهُ مع العلم بأنه لا يؤمن إلزام الحجة وقطع المعذرة وإظهار الآيات ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ﴾: يعجل، ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾: يزداد طغيانًا ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى﴾: بالحفظ، ﴿مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾: ما يجرى بينكم ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: إلى الشَّام ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾: بالأعمال الشاقة، ﴿قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ﴾: برهان على رسالتنا يعني جنسها، ﴿مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ﴾: السلامة من عذاب الله ﴿عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ۝ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ﴾: الرسل، ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾: عنهم، هذه من أرجى الآيات، فلما جاءا إليه وقالاه ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾: خصَّه؛ لأنه كان متكلما أو متبنيه ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ﴾: اللائق به[١] صورةً وشكلًا وقوة وكل شيء يحتاجون إليه أعطاه خلقه ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾: هداه إلى منافعه الدنيوية والأخروية فبهت لبلاغة كلامه وجامعيته فصرف الكلام، ﴿قَالَ فَمَا بَالُ﴾ حال ﴿ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾: مع أن أكثرهم عبدة الأصنام ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ﴾ اللوح، ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى﴾: هذا الكتاب، والضلال أن يخطئه في مكان فلم يهتد إليه ﴿وَلَا يَنسَى﴾: ما فيه، والنسيان أن تذهب[٢] عنه بحيث لا يخطر ببالك[٣].

تم كلام موسى، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا[٤]﴾: كالمهد، ﴿وَسَلَكَ﴾: حصل، ﴿لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾: تسلكونها، ﴿وَأَنزَلَ مِنَ﴾ جانب، ﴿ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا﴾: أصنافا، ﴿مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾: مُتفرقة[٥] جمع شتيت[١]، قائلين: ﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ﴾: فيها

(١) بالخلق.

(٢) في (ن): يذهب.

(٣) في (ن): بباله.

(٤) في (ن): مهادًا، وكتب في الهامش: «مَهْدًا» حفص.

(٥) أي: مختلفة الأنواع من لون وطعم وريح وطراوة وغير ذلك.

أمر إباحة، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَىٰ﴾: العقول الناهية عن القبيح، ﴿مِنْهَا﴾: من الأرض، ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾: إذ آدم أو النطفة منها، ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾: بتفكيك الأجزاء، ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾: في الحشر ﴿تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا﴾: مما أعطى موسى، ﴿فَكَذَّبَ﴾: الآيات، ﴿وَأَبَىٰ﴾: الإيمان، فلمَّا تحيَّر[2] ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾: مِصْر ﴿بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ﴾: فتملكها، ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ﴾: غرابةً ﴿فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ﴾ في الاجتماع فيه ﴿مَكَانًا سُوًى﴾: مُستويا ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ﴾: عاشوراء[3]، ﴿وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾: ليظهر للناس ما يقع، ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾: أدبر ﴿فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾: ما يكادُ به من السِّحر هذا من قبيل: ذهب بفعله أي: شرع فيه ﴿ثُمَّ أَتَىٰ﴾ الموعد ﴿قَالَ لَهُمْ﴾ للسحرة ﴿مُوسَىٰ﴾: كانوا ثمانين ألفا[4]، ﴿وَيْلَكُمْ﴾: كلمة زجر، ﴿لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: بتسمية آياته سِحرًا ﴿فَيُسْحِتَكُمْ﴾: يستأصلكم، ﴿بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ﴾: خسر، ﴿مَنِ افْتَرَىٰ﴾: عليه، ﴿فَتَنَازَعُوا﴾: السحرة، ﴿أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾: قال بعضهم: بنبوته وبعضهم بسحره، ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ﴾: بأنه إن غلبنا اتبعناهُ ﴿قَالُوا﴾ بعد التنازع: ﴿إِنْ هَٰذَانِ﴾: اسم «إنَّ» مشددة على لغة بلحارث وخثعم وكنانة وزبيد ومراد وبني عذرة[5]، أو بمعنى نعم وبالتخفيف مخففة[6]، ﴿لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ﴾: مذهبكم، ﴿الْمُثْلَىٰ﴾: الفضلى ﴿فَأَجْمِعُوا﴾: أَحكموا وبالوصل[7]: ظاهر، ﴿كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا﴾: مُصطفين؛ فإنه أهيب ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ﴾: فازَ ﴿الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ﴾ غلب ﴿قَالُوا﴾: على تأدُّب أهل الصنائع، ﴿يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ

---

(١) وقيل: اسم جمع لشتيت. * عمدة الحفاظ (٢/ ٢٥١).

(٢) في (ن): تجبَّر- وهو خطأ.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٦/ ١٣٥) عن سعيد بن جبير وهو بعيد؛ لأن ذلك اليوم نجى الله فيه موسى من بطش فرعون وجنوده.

(٤) هذه مبالغة كبيرة على عادة الإسرائيليات ا.هـ.

(٥) الوسيط (٣/ ٢١١).

(٦) تكون «إن» مخففة من الثقيلة وهي قراءة ابن كثير - السبعة (٤١٩) وتكون «إن» بمعنى «ما».

(٧) وهي قراءة أبي عمرو. * السبعة (٤١٩).

﴿تُلْقِيَ﴾: عصاك أولا، ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ۞ قَالَ﴾: لعدم مبالاته بهم، ﴿بَلْ أَلْقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ﴾: جمع عصا، ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾: إذْ لطخوها بالزِّئبق فاضطربت بحرِّ الشمس ﴿فَأَوْجَسَ﴾: أضمر، ﴿فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً﴾: من إضلالهم الناس بها، ﴿مُّوسَىٰ ۞ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾: لم يقل: عصاك تحقيرًا، أو تعظيما أو تفاؤلا باليمين[1]، ﴿تَلْقَفْ﴾: تبتلع، ﴿مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ﴾: زوروه، ﴿كَيْدُ سَٰحِرٍ﴾: جنسه، ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ﴾: جنسه، ﴿حَيْثُ أَتَىٰ﴾: توجه، فألقاه فتلقَّفه كما مرَّ، ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾ لله ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾: أُخِّر للفاصلة، قال فرعونُ: ﴿ءَامَنتُمْ﴾: بالله، ﴿لَهُۥ﴾: لموسى، واللام مع الإيمان في جميع القرآن لغير الله ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾: في اتباعه، ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ﴾: أستاذكم ﴿ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾: كما مرَّ ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي﴾: على ﴿جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ﴾: أنا وموسى أو ربه، ﴿أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ۞ قَالُواْ﴾ السحرة: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ﴾ نختارك ﴿عَلَىٰ مَا جَآءَنَا﴾: به موسى ﴿مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَا﴾: خلقنا، عطف أو قسمٌ ﴿فَٱقْضِ﴾: اصنع، ﴿مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾: صانعه، ﴿إِنَّمَا تَقْضِي﴾: تصنعه، ﴿هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾: أي: فيها، ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ﴾: فإنهم لما رأوه نائما وعصاه تحرسه، قالوا: ليس بساحر؛ فإنَّ السحر لا يُؤثر عند نوم الساحر فأكرههم على معارضته، ﴿وَٱللَّهُ﴾ لنا ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۞ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا﴾: كافرا، ﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾: موتة يستريح بها ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾: حياة مهنأة بخلاف من فيها لذنب[2]، فإنه يموت فيها ثم يدخل في ماء الحياة فينبت، ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾: جمع عليا ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾: تطهر من المعاصي، ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ﴾: بأن ﴿أَسْرِ بِعِبَادِي﴾: سِرْ بهم ﴿لَيْلًا﴾ من مصر، ﴿فَٱضْرِبْ﴾: اتخذ ﴿لَهُمْ طَرِيقًا﴾: بضرب عصاك، ﴿فِي ٱلْبَحْرِ يَبَسًا﴾: يابسا، فامتثل فانكشفت بضربه

---

(١) في (د): باليمن.

(٢) يعني من عُصاةِ المؤمنين.

الأرض وجففتها الصَّبا[١] فمروا فيها، ﴿لَّا تَخَافُ دَرَكًا﴾: أن يدركك فرعون، ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾: غرقا، وعلى قراءة: (لا تخف)[٢] فاستئناف أو كالظنونا، ﴿فَأَتْبَعَهُمْ﴾: اتبعهم، ﴿فِرْعَوْنُ﴾: ملتبسا، ﴿بِجُنُودِهِۦ﴾: فدخلوا طرقا سلكوها، ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ﴾: البحر[٣] ﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾: أبهم، أي: مالا يعرفه إلا الله تعالى ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾: لا كما قال: ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾[٤] قلنا: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ﴾: لمناجاة نبيِّكُم، أوْ مواعدته[٥]، ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ﴾: في التِّيْه ﴿ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾: فُسِّرا[٦] مرة قائلين: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ﴾ حلالات ﴿مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ﴾ بالكفران ﴿فَيَحِلَّ﴾: فيجب، ﴿عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾: هلَكَ ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾: عن[٧] الشرك ﴿وَءَامَنَ﴾: بما يجب الإيمان به ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾: استقام، ولما اختار موسى السبعين وذهب إلى الطُّور لأخذ التوراة تقدمهم شوقًا إلى ربه فقال تعالى إنكارًا لعجلته مع أنها نقيصة في ذاتها مع انضمام إغفال القوم إليها، ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ۞ قَالَ﴾: جوابا عنهما[٨] ﴿هُمْ أُو۟لَآءِ﴾: بالقرب مني يأتون[٩] ﴿عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾: فإن المسارعة إلى[١٠] امتثال أمرك يزيد رضاك، ﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ﴾: بعد خروجك وكانوا ستمائة

---

(١) الرياح.

(٢) وهي قراءة حمزة والأعمش وابن أبي ليلى.

* إتحاف (٣٠٦)، السبعة (٤٢١)، غيث النفع (٢٩١)، النشر (٢/ ٣٢١).

(٣) وهو البحرُ الأحمرُ.

(٤) سورة غافر.

(٥) في (ن): أو مواعدته مواعدَتهم.

(٦) في (ن): فُسِّر مرَّةً.

(٧) في (ن)، و(د): من.

(٨) في (ن)، و(د): عنها.

(٩) يأتوني في (د).

(١٠) في (ن): في امتثالِ.

ألف[١]، ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾: بدعوتهم إلى عبادة العجل، كان علْجًا[٢] من كرمان[٣] منسوب إلى سامرة، قبيلةٌ من بني إسرائيل ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ﴾: عليهم، ﴿أَسِفًا﴾ شديد الحزن لهم ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾: التوراة وخير الدارين، ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ﴾: في انتظار موعده ﴿أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ﴾: يجب ﴿عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾: وعدكم إيَّاي بالثبوت على الإيمان ﴿قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾: بقدرتنا، ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا﴾: أحمالا، ﴿مِّن زِينَةِ﴾: حُليّ ﴿ٱلْقَوْمِ﴾: القبط بما استعاروه منهم وخرجوا به ﴿فَقَذَفْنَٰهَا﴾: بأمر السامري في النار ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾: ما معه منها ﴿فَأَخْرَجَ﴾: السامريُّ ﴿لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا﴾: مُجسدا من تلك المذابة ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾: صوت العجل وبين في الأعراف ﴿فَقَالُوا۟﴾: السامري وأتباعه: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ﴾: موسى أنه هنا ليطلب من الطور، أو فنسي السامري أيمانه في تركه ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنْ﴾ أنه ﴿لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾: حين كلموه ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا﴾: إن تركوه، ﴿وَلَا نَفْعًا﴾: إن عبدوه ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ﴾: قبل رجوع موسى: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم﴾: ابتليتم ﴿بِهِۦ﴾: بالعجل، ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى﴾: في الدين ﴿قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ﴾: لن نزال ﴿عَلَيْهِ﴾: على عبادة العجل ﴿عَٰكِفِينَ﴾ مقيمين ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾: فلما رجع وعاتبهم ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟﴾: بعبادته «أن لا» صلة ﴿تَتَّبِعَنِ﴾: في الغضب لله تعالى أو مقاتلتهم أو تأتي

---

(١) الله سبحانه : يعلم الأعداد وتقديرها، ولست أسوغ حكاية الأعداد التي ترد في التواريخ والإسرائيليات فقد حرف أهل الكتاب من اليهود والنصاري الكلم عن مواضعه وكذبوا على الأنبياء وقتلوهم، أما ما ورد في صحيح الحديث فينبغي الأخذ به- والله أعلم-.

(٢) بكسر العين المهملة وسكون اللّام وفتح الجيم: الضخم من كُفّار العَجَم.

(٣) كذا في نسخة (د) وفي تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ١٣٥٠٥/ ٢٤٣٢): عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان السامري من أهل كرمان.

و«كرمان» بفتح الكاف وسكون الراء المهملة - مدينة في إيران حاليا.

* تقويم البلدان (٣٣٤)، البلدان لليعقوبي (٢٨٦)، أحسن التقاسيم (٤٥٩).

عقبي، ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾: أي: قولي: اخلفني في قومي إلى آخره[١]، ﴿قَالَ﴾ هارون: ﴿يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ﴾ كما مرَّ ﴿إِنِّي خَشِيتُ﴾: بالمقاتلة وتفرقهم بها، ﴿أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾: وأصلح... إلى آخره[٢]، أي: ارفق بهم، ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿فَمَا خَطْبُكَ﴾ طلبك بهذا العمل ﴿يَٰسَٰمِرِيُّ ۞ قَالَ بَصُرْتُ﴾: علمت ﴿بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ﴾: وهو مجيء جبريل إليك على فرس الحياة وإنه ما مس أثره شيئا إلا أحياه[٣]، ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ﴾: تربة، ﴿أَثَرِ﴾: موطئ فرس ﴿ٱلرَّسُولِ﴾: جبريل حين أرسل إليك يدعوك إلى الطور، ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾: ألقيتها على الحُليّ المُذاب ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ﴾: زيَّنت ﴿لِي نَفْسِي ۞ قَالَ﴾ موسى: ﴿فَٱذْهَبْ﴾ من بيننا ﴿فَإِنَّ لَكَ فِي﴾: مُدَّة ﴿ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ﴾: لمن جاءك: ﴿لَا مِسَاسَ﴾: أي: لا تمسَّني فكان لو مسَّه أحدهم حُمَّ[٤] الماس والممسوس ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾: لعذابك، ﴿لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾: بل نُنْجز[٥] ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلْتَ﴾: دمت أصله: ظللت ﴿عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾: مُقيما ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾: بالنار أو المبرد ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ﴾: نذرينه ﴿فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾: إهانة لعبدته، ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾: لا عجل هو مثلٌ في الغباوة لو كان حيًّا ﴿كَذَٰلِكَ﴾: الاقتصاص ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾: من الأحوال تنبيها لك ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾: قُرآنًا مشتملًا على ذكر كل ما يحتاج إليه ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾: عن العمل به، ﴿فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا﴾: عقوبة ثقيلةً، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهِ﴾: في الوزر، ﴿وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا﴾: وزرهم، ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾: ثانيةً ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: المشركين، ﴿يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾: زرق العيون مع سواد وجوههم، أو عُميًا، أو عطاشًا؛ فإن شدة العطش تجر إليها، ﴿يَتَخَٰفَتُونَ﴾: يتشاورون، ﴿بَيْنَهُمْ

---

(١) سورة الأعراف.

(٢) في (ن): إلخ.

(٣) الوسيط (٣/ ٢٢٠).

(٤) أصيب بالحمى، فكأنّ طرده كانَ حجرًا صحيًّا.

(٥) في (ن): بل يُنجَزُ.

إن﴾: ما، ﴿لَّبِثْتُمْ﴾: في الدنيا؛ لاستطالتهم مدة الآخرة أو في القبر، ﴿إِلَّا عَشْرًا﴾: من الليالي أو الأيام، ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾: رأيا فيه، ﴿إِن﴾: ما، ﴿لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ۝ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ﴾: حال، ﴿الْجِبَالِ﴾: في القيامة، ﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي﴾: يطيرها بالرياح بعد أن يفتتها كالرمل، ﴿نَسْفًا ۝ فَيَذَرُهَا﴾: نفسها[1] أو مقارها ﴿قَاعًا﴾: مُنبسطا خاليًا ﴿صَفْصَفًا﴾: مستويا، ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا﴾: مجازٌ عن الانخفاض، ومضى بيانه، ﴿وَلَا أَمْتًا﴾: نتوءًا ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: إذ نسفت، ﴿يَتَّبِعُونَ﴾: الخلق ﴿الدَّاعِيَ﴾: إلى المحشر، هو إسرافيل يقول: هلُمُّوا إلى العرض على الرحمن[2]، ﴿لَا عِوَجَ لَهُ﴾: للداعي إلى جانب، بل يسمعُ الكلَّ ﴿وَخَشَعَتِ﴾: سكنَتْ ﴿الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾: لمهابته، ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾: هو صوت وطء أقدامهم إلى المحشر كصوت مشي الإبل[3]، ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: إذ خشعت، ﴿لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ﴾: إلَّا شفاعة ﴿مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ﴾: فيها، ﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ هو قول: لا إله إلَّا الله ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: أُمور آخرتهم ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: أمور دنياهم، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ۝ وَعَنَتِ﴾: ذلت ﴿الْوُجُوهُ﴾: وجوه الخلق ﴿لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ﴾: خسر ﴿مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾: شِرْكًا ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾: زيادة على سيئاته، ﴿وَلَا هَضْمًا﴾: كسرا في حسناته، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: الإنزال، ﴿أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا﴾: كرَّرنا ﴿فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: المعاصي ﴿أَوْ يُحْدِثُ﴾: القرآن، ﴿لَهُمْ ذِكْرًا﴾: عظة، ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ﴾: عما يُماثلهُ ﴿الْمَلِكُ﴾: النافذُ الحكم ﴿الْحَقُّ﴾: الثابت، ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ﴾: بقراءته ﴿مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾: نهي عن مُساوقة جبريل في القراءة بعدما بيّن إنزاله استطرادًا ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾: بالقرآن ومعانيه[4] بدلًا من العجلة به، ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ﴾: أي: أمرناه أن لا يقرب الشجرة، ﴿مِن قَبْلُ﴾ قبل هذا الزمان، ﴿فَنَسِيَ﴾: يعني ترك العهد فلا

---

(١) في (ن): نسفها.

(٢) الوسيط (٣/ ٢٢٢).

(٣) وهذا قول أكثر المفسرين (٣/ ٢٢٢).

(٤) وهذا إنّما يحصُلُ بالتدبُّر لا العجلة.

يشكل بوصفه بالعصيان[١] ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾: تصميم رأي وثبات حتى غفل عنه، يعني فلا تكن مثله فترجع إلى العجلة بالقرآن، ﴿وَ﴾: اذكر، لبيان نسيانه ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾ عن السجود ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا﴾: لا تكونا على وجه يخرجكما بغوايته، ﴿مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾: فتتعب، خصَّه لأنه قيمها وتحصيل معاشها عليه، ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا﴾: في الجنة ﴿وَلَا تَعْرَىٰ ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟﴾: تعطش ﴿فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾: لا تصيبك الشمس وأذاها، ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾: أي: يخلد أكلها، ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾: لا يزول ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾: يلزقان ﴿عَلَيْهِمَا﴾ السوأتين، ﴿مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾: فسر مرةً ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾: بأكلها، ﴿فَغَوَىٰ﴾: ضلَّ عن المأمور به، أو عن المطلوب حيث طلب الخلد بأكله ووصفه بها مع صغر الزلة كما مرَّ، لأنَّ خطر الخطير أخطر، ولا يجوز لنا إطلاق اسم العاصي[٢] عليه بهذا، كما بُيِّن في موضعه ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ﴾: قرَّبهُ ﴿رَبُّهُۥ﴾: بتوفيق توبته، ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾: قبل توبته ﴿وَهَدَىٰ﴾: إلى ثباته عليها ﴿قَالَ﴾ الله: ﴿ٱهْبِطَا﴾: أي: آدم وحواء، ﴿مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾: في تجاذب المعاش ونحوه، وفُسِّر مرةً ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾: كتاب أو رسول ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ﴾: في الدنيا ﴿وَلَا يَشْقَىٰ﴾: في العقبى ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن﴾: اتباع، ﴿ذِكْرِى﴾: كتابي أو الهدى ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾: ضيِّقا بتسليط الحرص عليه وقد يضيق بالكفر ويوسع بالإيمان يدل عليه: «ولَوْ أنَّ أهل القُرى- إلى آخره» وغيره أو هي حياة في المعصية أو عذاب القبر للكافر[٣]، ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾: ببصره أو قلبه، ويؤيدُ الأول: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿قَالَ﴾ الله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾: فعلت ﴿أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾: تركتها بنحو عدم

---

(١) في السورة هذه كما سيأتي.
(٢) أدبا مع نبي الله وأبي البشر ولا صطفاء الله إياه، قال الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ﴾ ا.هـ.
(٣) تفسير الطبري (١٦/ ١٦٥)، الوسيط (٣/ ٢٢٦).

الإيمان، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: الترك، ﴿ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾: تُتْرك على عماك التي[١] كانت معك بعد الموت، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: الجزاء، ﴿نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ﴾: في المعاصي ﴿وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ﴾: من عذاب الدنيا، ﴿وَأَبْقَىٰٓ ۞ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾: فاعله ما يُفسرهُ: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَـٰكِنِهِمْ﴾: في مسيرهم إلى الشام ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾: العقول السليمة ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾: بتأخير عذابهم إلى القيامة ﴿لَكَانَ﴾: عذابهم ﴿لِزَامًا﴾: لازما لهم، كمن قبلهم[٢]، ﴿وَ﴾ لولا ﴿أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾: له لكان لزاما[٣]، ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ﴾: صلِّ أو على ظاهره ملتبسا، ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾: الصبح، ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآىِٕ﴾: ساعات ﴿ٱلَّيْلِ﴾: صلاتي المغرب والعشاء والتهجد، ﴿فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾: الظهر؛ لأنه نهاية النصف الأول وبداية الثاني، أو تطوعات النهار، ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾: طمعًا فيما يرضيك مني من المقام المحمود، ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ﴾: نظر، ﴿عَيْنَيْكَ﴾: ممتدا ﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا﴾: أصنافا، ﴿مِّنْهُمْ﴾: من الكفرة، ﴿زَهْرَةَ﴾ نُصِبَ ذَمًا أي: زينة، ﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ﴾: لنختبرهم، ﴿فِيهِ﴾: فيما متعنا، ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾: في العقبى ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۞ وَأْمُرْ أَهْلَكَ﴾: آلَكَ أو[٤] أمتك[٥]، ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ﴾: لئلا يلتفتوا إليهم ﴿وَٱصْطَبِرْ﴾: داوم ﴿عَلَيْهَا﴾: على الصلاة ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا﴾: بأن ترزق أحدًا ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾: فافرغ لعبادتنا ﴿وَٱلْعَـٰقِبَةُ﴾: المحمودة، ﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾: لأهله وبعد ذلك كان عليه الصلاة والسلام إذا أصابه خصاصةٌ يأمرهم بالصلاةِ ﴿وَقَالُوا۟﴾ المشركون: ﴿لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾: تدل على صدقه ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم

---

(١) يعني: هذه الصفة الملازمة لك وهي العمى- والعياذُ بالله تعالى-.

(٢) معنى الآية: ولولا كلمة وأجل مسمى سبقا من ربك لحق عليهم العذاب ا.هـ.

(٣) يعني: ولولا كلمةٌ سبقت من ربك وأجلٌ مسمًّى لكان العذاب لازمًا لهم بالاستئصال كما لزم الذين من قبلهم.

(٤) سقطت من (ن).

(٥) يشير إلى حديث: «**آل محمد كل تقي**» أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٣٥٦)، وابن عدي في الكامل (٧/ ٤١)، والبيهقي في الشعب (٢/ ١٥٩٢) وقال الألباني في ضعيف الجامع (١٢)، والضعيفة (١٣٠٤): ضعيف جدا.

بَيِّنَةُ﴾: قرآن يبين، ﴿مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾: وهي مِنْ أُمِيّ إعَجازٌ بيّنٌ ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ﴾: قبل محمد ﷺ ﴿لَقَالُواْ﴾ في القيامة: ﴿رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ﴾: بعذاب الدنيا، ﴿وَنَخْزَىٰ﴾: بعذاب الآخرة، ﴿قُلْ﴾ كل منا ومنكم ﴿مُّتَرَبِّصٌ﴾: مترقب عاقبة أمر صاحبه فتربصوا ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ﴾: سالكوا ﴿ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ﴾: المستقيم ﴿وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾: وَصَل إلى الحق- والله أعلمُ.

❁❁❁



«سورة الأنبياء[1][2]»: مكية

لمَّا أوهمهم بالتربص، أخبرهم بقرب الموعِدِ، فقال:

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ ٱقْتَرَبَ﴾: قَرُبَ ﴿لِلنَّاسِ﴾: الكفار، ﴿حِسَابُهُمْ﴾: بالنسبة إلى ما مضى، أو عند الله تعالى ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ عنه ﴿مُّعْرِضُونَ﴾: عن التأهب له، ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ﴾: طائفة من القرآن، ﴿مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾: تنزيله لتكرير عظتهم ﴿إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾: يستهزءون به ﴿لَاهِيَةً﴾: ذاهلة وطالبة للهو، ﴿قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى﴾: بالغوا في إخفائها، ﴿ٱلَّذِينَ﴾: بدل من الواو، ﴿ظَلَمُوا۟﴾ قائلين: ﴿هَلْ﴾ ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾: فرسالته محال ومعجزته سحر، ﴿أَفَتَأْتُونَ﴾: تتبعون، ﴿ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾: أنه سحر، ﴿قُلْ﴾[3] أو قال الرسول: ﴿رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ﴾ كائنا ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾: فلا يخفى عليه نجواهم، ﴿بَلْ قَالُوٓا۟﴾ بعضهم هو: ﴿أَضْغَٰثُ﴾: أخاليطُ، ﴿أَحْلَٰمٍ﴾: الرؤيا كما مرَّ، وبعضهم، ﴿بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ﴾: وبعضهم، ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾: كلامه شعري خيل إلى السامع معاني بلا حقيقة، ﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ﴾: بها ﴿ٱلْأَوَّلُونَ﴾: كالعصا ﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن﴾: أهل ﴿قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ﴾: بتكذيبهم ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾: لو جئتهم بها فلا نأتي بها لئلا يستأصلوا كما مر، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾: رد لقولهم: «هل هذا إلا بشر».. إلى آخره ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾: الكتاب، ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: أن الرسل بشرٌ فالمشركون وإن قالوا: لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه، لكن تواتر النقل يفيد العلم

---

(١) كلماتها (١١٦٨) كلمة، وحروفها (٤٨٥٠) حرفا. * عدد سور القرآن (٣١٣)، البيان (١٨٧)، الوجيز (٢٣٧)، البصائر (١/ ٣١٧).

(٢) في (د): عليهم الصلاة والسلام.

(٣) في هامش (ن): «قال»: حفص.

وهي قراءة ابن كثير ونافع، وابن عامر، وأبي عمرو، وعاصم وخلف وشعبة وأبي جعفر.

* إتحاف (٣٠٩)، السبعة (٤٢٨)، غيث النفع (٢٩٣)، النشر (٢/ ٣٢٣).

للكل، ﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ ﴾: الرسل، ﴿جَسَدًا﴾: جسما ذا لون أو تركيب ﴿لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ﴾: في الدنيا، والملكُ لصفائه[١] منزهٌ عن اللون والتركيب والموت فيها، ﴿ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ ﴾: المؤمنين منهم، ومن في إبقائه حكمه كترقب إيمانه أو إيمان ذريته ﴿وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾: بتكذيبهم ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ﴾: يا قريش ﴿كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾: عِظتكم أو وصيتكم، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾: فتؤمنوا ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا ﴾: كسرنا وأهلكنا ﴿مِن ﴾: أهل، ﴿قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً ﴾ كأهل حنظلة[٢]- عليه السلام- إذ بعث إلى بعض أهل اليمن فقتلوه[٣] ﴿وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا ﴾: مكانهم، ﴿قَوْمًا ءَاخَرِينَ ۝ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ ﴾: أدركوا، ﴿بَأْسَنَآ ﴾: شدة عذابنا إذْ سُلِّط عليهم بختنصر[٤] فدمرهم ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴾: دوابهم يهربون بسرعة فتقول لهم الملائكة: ﴿لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ ﴾: نُعِّمتم، ﴿فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴾: من أموالكم فتمنعون من شئتم أو تشاورون في المهام «فلما رأوا بأسنا»[٥]: العذاب، ﴿ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ ﴾: هلاكنا[٦] كما مر، ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝ فَمَا زَالَت تِّلْكَ ﴾: المقالة، ﴿دَعْوَىٰهُمْ ﴾: يدعون بها ﴿حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا ﴾: كزرع محصودٍ ﴿خَٰمِدِينَ ﴾: ميتين، ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾: بل تبصرةً وتذكرةً لكم ﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾: ما يلهى به كالزوجة والولد، ﴿لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ ﴾: ممَّا يليق بحضرتنا، لا مثل المسيح وأمه، ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾: لهوا، ﴿ بَلْ نَقْذِفُ ﴾ نرمي ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: الذي من جملته الجد، ﴿عَلَى ٱلْبَٰطِلِ﴾: الذي منه اللهو، ﴿فَيَدْمَغُهُۥ ﴾: يمحقه، استعارة عن شق دماغ حيوان يرمى بشيءٍ صلب ﴿فَإِذَا هُوَ ﴾: الباطل، ﴿زَاهِقٌ﴾: هالك، ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ

---

(١) يعني لصفاء جوهره؛ لأنه خُلِق من نورٍ.

(٢) هذا الرجل وخالد بن سنان العبسى من خرافات العرب والمؤرخين قال ابن كثير- رحمه الله-: إن السياق على أنه نبي، موقوف على ابن عباس والمرسلات التي فيها أنه نبي لا يحتج بها ها هنا والأشبه أنه كان رجلا صالحا. * البداية والنهاية (٢/ ٢١٢).

(٣) لا يوجد نبي ولا رسول بين عيسى ومحمد - عليهما السلام -.

(٤) الآية عامة فلا حاجة لبختنصر ولا غيره ا.هـ.

(٥) ليست في (د).

(٦) في (ن): هلاكًا.

﴿مِمَّا تَصِفُونَ﴾: الله تعالى به مما لا يليق بعزته ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ﴾: في محل كرامته من الملائكة، ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾: يعيون[١]، ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾: إذ التسبيح لهم كالتنفس لنا ﴿أَمِ﴾: بل، ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً﴾: كائنةً ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾: كالحجر، ﴿هُمْ يُنشِرُونَ﴾: يحيون الموتى، قل: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ﴾: غير الله، وصف للتأكيد لا للتخصيص، ولا يجوز البدلية لأنه في موجب، ﴿لَفَسَدَتَا﴾: إشارة إلى برهان التمانع[٢] وتقريره[٣]: أن تعدد الإلهين يستلزم إمكان تخالفهما، وإلَّا لم يكونا أو أحدهما مختارا والإله يجب كونه مختارا، وإمكان التخالف يستلزم إمكان أحد ثلاثة، إنجاح مراد كل منهما أو عدمه أو أحدهما فقط، والكل مُحالٌ؛ لاجتماع النقيضين أو عجزهما، أو عجز أحدهما وإمكان المحال محال[٤]، ﴿فَسُبْحَٰنَ﴾ تنزيه ﴿ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ﴾: المحيط بجميع الأجسام، ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾: من الشريك، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾: لتفرده بسلطانه[٥] ﴿وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾: فإنهم عبيدهُ ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ كرَّره استفظاعًا[٦] ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ﴾: على ذلك ﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ﴾: أُمتي يعني القرآن ﴿وَذِكْرُ مَن قَبْلِي﴾: الكتب السماوية، هل يجدون فيها إلا الأمر بالتوحيد، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ﴾: لا يُميزون بينه وبين الباطل، ﴿فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾: عن التوحيد ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾: وحدي ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾: كالملائكة، ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾: عن ذلك ﴿بَلْ﴾ هم ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾: عنده، وهذا ينافي الولادة، نبّه به على مدحهم، ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ لا يقولون حتى يقول كالعبيد وأنتم تقولون عليه ما لم يقل، ﴿وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: ما قدَّموا ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: ما أخَّروا ﴿وَلَا

---

(١) وهو الملل والكلل والتعب.
(٢) لو لزمَت ألوهيَّة أحدهما امتنعت ألوهيَّة الآخر.
(٣) في (ن): وتقديره.
(٤) أنوار التنزيل (٤٢٨) باختصار.
(٥) في (ن)، و(د): لتفرد سلطانه.
(٦) في (ن): قرره استقطاعًا.

﴿يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾: أن يشفعوا له، ﴿وَهُم﴾ مع كرامتهم ﴿مِّنْ خَشْيَتِهِۦ﴾: هي[(١)] خوف مع[(٢)] تعظيم، ﴿مُشْفِقُونَ﴾: لما رأوا أمر إبليس وغيره والإشفاق خوف مع اعتناء، ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ فرضًا: ﴿إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾: وهذا ينافي الولادة ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: المشركين، ﴿أَوَلَمْ يَرَ﴾: يعلم، ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾: من أخبار كتب الله، ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا﴾: أي: الجماعتان، ﴿رَتْقًا﴾: مرتوقتين، مسدودتين، أي: شيئا واحدا[(٣)]، ﴿فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾: فصلنا بينهما بالهواء للإمطار والإنبات وغيره، أو المراد كل منهما، فجعل كُلا منهما سَبْعًا بالفتق[(٤)]، ﴿وَجَعَلْنَا﴾: خلقنا ﴿مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾: من الحيوانات[(٥)] أو كل موجود بعضهم بلا واسطة، وبعضهم بواسطة كما بينه الحديث، ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: جبالا، ﴿رَوَٰسِىَ﴾: ثوابت كراهة ﴿أَن تَمِيدَ﴾: تميل، ﴿بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾: في الرواسي ﴿فِجَاجًا﴾: طُرقًا واسعةَ و﴿سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾: إلى مصالحهم ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا﴾: على الأرض، ﴿مَّحْفُوظًا﴾: من وقوعها عليها، أو من الشياطين ﴿وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا﴾: الدالة على كمال قدرتنا ﴿مُعْرِضُونَ ۝ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ﴾: قدم لتقدم الظلمة على النور ﴿وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ﴾: منهما، ﴿فِى فَلَكٍ﴾: أي: جنسه، ﴿يَسْبَحُونَ﴾: يسرعون على سطحه إسراع السابح جمع باعتبار المطالع أو نظرًا إلى المعنى جمع العقلاء؛ لأن السباحة فعلهم، ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾: البقاء في الدنيا قيل: دل على موت الخضر، والأصح

---

(١) يعني: الخشنة، وفي (س): هو.

(٢) في (ن): من تفظيع!!! وكتب بالهامش: لعله: مع.

(٣) انظر: الإسلام في عصر العلم للعلامة محمد أحمد الغمراوي ص٢٥٠.

(٤) قال العلامة محمد أحمد الغمراوي: إن الآية الكريمة من عجائب الإعجاز العلمي في القرآن؛ لأنها سبقت علماء الفلك المحدثين إلى ما قرروه من أن الكون كله، قبل أن تتشكل عوالمه ومجراته ونجومه كان كيانا سديميا غير متميز بعضه عن بعض، ثم أخذ يتميز ويتطور لا يدرون بالضبط كيف وإن نسبوه إلى فعل الجاذبية العامة حتى صار إلى ما هو عليه مما يشاهدون ويدرسون، ولا تزال السدم الهائلة منتشرة فيه على أبعاد فلكية مذهلة. * الإسلام في عصر العلم- محمد أحمد الغمراوي (٢٤٩).

(٥) كما قال: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ (النور: ٤٥).

أنه وإلياس سيموتان ولو بعد[(١)] حين، ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ﴾: فلم يقولون: نتربص به ريب المنون، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ﴾: مرارة ﴿ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم﴾: نختبركم، ﴿بِٱلشَّرِّ﴾: كالمصائب ﴿وَٱلْخَيْرِ﴾: كالنعم ﴿فِتْنَةً﴾: امتحانا لننظر الصابر والشاكر وغيرهما ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾: فنجازيكم، ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن﴾: ما ﴿يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾: مهزوءا به قائلين: ﴿أَهَـٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ﴾: أي: يعيب، ﴿ءَالِهَتَكُمْ﴾: فإن الذكر من العدو لوم كما أنه من الصديق ثناء، ﴿وَهُم بِذِكْرِ﴾: بصفات ﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ هُمْ كَـٰفِرُونَ﴾: فهم أحق أن يهزأ بهم ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾: كالنضر بن الحارث[(٢)] يتعجل[(٣)] بالعذاب هذا مبالغة لفرط استعجاله كخلقت من كرم[(٤)]، ﴿سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَـٰتِى﴾: نقماتي في الدَّارين ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾: بها، ﴿وَيَقُولُونَ﴾ استهزاء: ﴿مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ عذاب القيامة[(٥)] الموعود، ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾: أيها المؤمنون، ﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ﴾ يَذْرُوْنَ ﴿عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: منهُ، أي: لو يعلمون الوقت الذي يتعجلونه[(٦)] لما استعجلوا، ﴿بَلْ تَأْتِيهِم﴾: عدتهم، ﴿بَغْتَةً﴾: فجأة، ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾: تحيرهم، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: يُمْهلُون ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ﴾: أحاط أو نزل ﴿بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم﴾: من الأمم السالفة، جزاءَ ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: من العذاب، فهؤلاء مثلهم ﴿قُلْ﴾: للمستهزئين: ﴿مَن يَكْلَؤُكُم﴾ يحفظُكُمْ ﴿بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ﴾: عذاب، ﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ﴾: نبه بذكره على أن لا كاليء[(٧)] لهم إلا

---

(١) بل قد ماتا ولا دليل على حياتهما وصاحب هذه الخرافة هو علاء الدين البيابانكي الصوفي، وكلامه مردود بهذه الآية وبأحاديث النبي ﷺ. * وانظر: كشف الالتباس عن تعمير الخضر وإلياس ص٤٠.

(٢) الوسيط (٣/ ٢٣٧) وهي عامة، ولا داعي لتنزيلها أو تحديدها.

(٣) في (د): يستعجل.

(٤) في أنوار التنزيل (٤٣٠): كقولك: خلق زيد من الكرم.

(٥) في (د): القبر.

(٦) في (د): يستعجلونه.

(٧) حافظ، أو راعي.

رحمته العامة، ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾: فكيف يخافونه[١] حتى يسألوا عن كالئهم، ﴿أَمْ﴾: بل ﴿لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن﴾: العذاب من، ﴿دُونِنَاۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾: الآلهة، ﴿نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾: بالنصر، فكيف ينصرون غيرهم، ﴿بَلْ﴾: سبب غرورهم أنا[٢]، ﴿مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾: فقست قلوبهم ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ﴾: أرضهم ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾: بتسليط المسلمين، ﴿أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾: أم المؤمنون؟ ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ﴾: من الله، ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ أي: أنتم مثلهم، والتقييد؛ لأن الكلام في الإنذار، ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ﴾: أدنى رائحة، ﴿مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ﴾: كما مرَّ ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾: فكيف بسوط عذابنا ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ﴾: كما في الأعراف أو ﴿ٱلْقِسْطَ﴾: العدل، فيه مبالغة، ﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: فيه، ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾: من الظلم ﴿وَإِن كَانَ﴾: العمل، ﴿مِثْقَالَ﴾: زنة، ﴿حَبَّةٍ﴾: جُزْء من ثمانية وأربعين ﴿مِّنْ خَرْدَلٍ﴾: يعني أقل قليل، ﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾: أحضرناها للجزاء، أنث للمضاف إليه، ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾: لكمال عدلنا وعلمنا ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾: كتابا فارقا بين الحق والباطل ﴿وَضِيَآءً﴾: للقلوب، ﴿وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ﴾: القيامة ﴿مُشْفِقُونَ ۝ وَهَٰذَا﴾: القرآن، ﴿ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾: كثير الخير، ﴿أَنزَلْنَٰهُۚ أَفَأَنتُمْ﴾: ياقريشُ ﴿لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾: استفهام توبيخ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ﴾: هدى مثله، أفهم به عظمته، ﴿مِن قَبْلُ﴾: محمد أو بلوغه ﴿وَكُنَّا بِهِۦ﴾: بأنه أهل له، ﴿عَٰلِمِينَ ۝ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ﴾: الصور بلا روح، ﴿أَنتُمْ لَهَا﴾ على عبادتها ﴿عَٰكِفُونَ﴾: مقيمون، ﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾ فقلدناهم ﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ قَالُوٓا۟﴾: استبعادا لهذا: ﴿أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ۝ قَالَ﴾: لا لعب، ﴿بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ﴾: اخترعهنَّ ﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم﴾: التوحيد، ﴿مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾: المتحققين، ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ

---

(١) أي الجزاء وفي (ن): يخافون.

(٢) في (ن): إيّاهُ.

أَصْنَـٰمَكُم﴾: بكسرها، ﴿بَعْدَ أَن تُوَلُّوا﴾: عنها، ﴿مُدْبِرِينَ﴾: إلى عيدكم، قاله سرًّا فسمعه واحد وأفشاه فتولوا إلى عيدهم ﴿فَجَعَلَهُمْ﴾: الأصنام، ﴿جُذَاذًا﴾: مجذوذا مقطوعا، ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾: من ذهب وعلق الفأس على عنقه، ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ﴾: إلى كبيرهم، ﴿يَرْجِعُونَ﴾: فيعتقدونه كاسرهنَّ أو إلى إبراهيم فيبكتهم، فلما انصرفوا، ﴿قَالُوا مَن فَعَلَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝ قَالُوا﴾ هو الذي سمع مقالته: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾: يعيبهم كما مرَّ ﴿يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾: يسمى به فهذا فعله (قالوا فأتوا به على أعين الناس) بمرأى منهم (لعلهم يشهدون) عذابه أو عليه بفعله. فلما أتوا به ﴿قَالُوٓا ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝ قَالَ﴾: استهزاء أو تبكيتا أو إخبارا معلقا بالنطق، أو تم الخبر بقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾: مبتدأٌ، خبرهُ ﴿هَـٰذَا﴾: ولا ينافي حديث كذبه الثلاثة[1] إذ أراد أنَّ[2] صُورته صورته ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ۝ فَرَجَعُوٓا إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾: بالتفكر، ﴿فَقَالُوٓا إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾: بعبادتهم ﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾: اعوجُّوا بعدما استقاموا استعارة من المنتكس قائلين: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾: فكيف نسألهم، ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا﴾: إن عبدتموه، ﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾: إن تركتموه ﴿أُفٍّ﴾ نتنًا وقبحًا ﴿لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: قبحه، فلما عجزوا عن جوابه ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا ءَالِهَتَكُمْ﴾: بإهلاكه، ﴿إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ﴾: نصرتهم قاله رجل من الأكراد اسمه «هَيْزَن»[3] وخسف به الأرض، فلما أوقدوا نارا لم ير مثلها ورموه فيها بالمنجنيق، ﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا﴾: فصارت باردة بالنسبة إليه مضيئة ﴿وَسَلَـٰمًا﴾: قيد به، وإلا لهلك ببردها، ﴿عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾: قيد به، وإلا لما أحرقت نار بعدها، ثم مكث فيها خمسين يوما وهو ابن ست عشر، وما أحرقت إلا وثاقه، فإنه من السلام أيضًا، ﴿وَأَرَادُوا بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾: فصار سعيهم برهانا على بطلانهم، ﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا﴾: من العراق،

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٧١)، ومسلم (٤/ ١٨٤٠).

(٢) ليست في (ن).

(٣) غرر التبيان (٣٤٣)، مفحمات الأقران (٣٢).

﴿إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا﴾: ببعثة أكثر الأنبياء وكثرة الأشجار والأنهار فيها، ﴿لِلۡعَٰلَمِينَ﴾: يعني الشام، ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةً﴾: عطيةً أو ولد ولدٍ أو زيادة على ما سأل ﴿وَكُلًّا﴾: منهم، ﴿جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ﴾: الكاملين في الصلاح ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةً يَهۡدُونَ﴾: الناس، ﴿بِأَمۡرِنَا﴾: بديننا، ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾: بأن يحثوا على فعلها، ﴿وَإِقَامَ﴾: إقامة، ﴿ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ۞ وَلُوطًا ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمًا﴾: نبوةً ﴿وَعِلۡمًا﴾: بما ينبغي للأنبياء، ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعۡمَلُ﴾: أي: أهلها، ﴿ٱلۡخَبَٰٓئِثَۚ﴾: كاللّواطة والتضارط في مجالسهم[1]، ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَٰسِقِينَ ۞ وَأَدۡخَلۡنَٰهُ﴾ بإنجائه ﴿فِي﴾: أهل ﴿رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۞ وَ﴾: اذكر، ﴿نُوحًا إِذۡ نَادَىٰ مِن قَبۡلُ﴾: قبل المذكورين بقوله: «إني مغلوب»[2]... إلى آخره ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ﴾: أذى قومه، بالغرق ﴿وَنَصَرۡنَٰهُ﴾: جعلناه منتصرًا ﴿مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۞و﴾: اذكر ﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ﴾: الزرع أو الكرم، ﴿إِذۡ نَفَشَتۡ﴾: رعت ليلًا بلا راع فيه ﴿غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ﴾: فأفسدته ﴿وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ﴾: جمع باعتبارهما مع المتحاكمين ﴿فَفَهَّمۡنَٰهَا﴾: الحكومة، ﴿سُلَيۡمَٰنَ﴾: وهو ابن إحدى عشرة سنة، فإنَّ داود حكم بالغنم لصاحب الكرم كحكم الحنفية[3] في العبد الجاني أن يدفعه سيده بها أو يفديه، وسليمان بأن يدفع الكرم إلى صاحب الغنم؛ ليقوم عليه حتى يعود كما كان، ودفع الغنم إلى صاحب الكرم ينتفع بها إلى يومئذ، ثم يأخذ كل منهما ماله كحكم الشافعي بغرم الحيلولة في مغصوب آبق، فرجع داود إليه، وهما حكما اجتهادا، أو حكمه في شرعنا ضمان المتلف بالليل لا النهار عند الشافعي لقصة ناقة البراء وعدم الضَّمان إلَّا أن يكون معها حافظ لحديث: «**جُرْحُ العَجْمَاء جُبَار**»[4] أي:

---

(١) واللعب بالحمام والسب القبيح ومهارشة الديكة والمشي عراة.

(٢) سورة القمر.

(٣) في (ن): الحنيفية.

(٤) أخرجه مالك (٢/ ١٢)، والبخاري (٣/ ١٤٩٩)، ومسلم (٣/ ١٧١٠)، والنسائي (٥/ ٢٤٩٤)، والترمذي (٣/ ١٣٧٧)، وأبو داود (٤/ ٤٥٩٣)، وابن ماجة (٢/ ٢٥٠٩).

هدر ﴿وَكُلًّا﴾: منهما ﴿ءَاتَيْنَا حُكْمًا﴾: نبوة، ﴿وَعِلْمًا﴾: أفهم أن خطأ المجتهد لا يقدح فيه لا أن كل مجتهد مصيب لمنافاته مع فهمنا ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾: الله تعالى، معه لينشط كالحصى في كف نبينا ﷺ وأصحابه، ﴿وَٱلطَّيْرَ﴾: كذلك، ﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾: لأمثاله، فلا بدع، ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾: درع، ﴿لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم﴾: تَقِيْكُم ﴿مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾: حَرْبكم، قيل: كان لبوسهم صفائح، وهو حلقها وسَرْدها[1] ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾: أي: اشكروا ذلك، ﴿وَ﴾: سخرنا، ﴿لِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾: لاستخدامه، أتى هنا باللام وفي الأول مع؛ لاشتراكهما هناك واختصاصه بالنفع هنا و ﴿عَاصِفَةً﴾ صفَة، شديدة الهبوب، من حيث السرعة، رخاء من حيث عدم الإزعاج، أو كل منهما في وقت أراده فلا منافاة، ﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ﴾: حاملة لبساط بسطه مائة[2] فرسخ، أو فرسخ مع جنوده عليه مظللا بالطير ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا﴾: فيها للعالمين: الشام رواحًا بعدما سار منه بكرة، ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ﴾: فنجزيه على الحكمة، ﴿وَ﴾: سخرنا ﴿مِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾: [في البحر] فيخرجون له نفائسه[3] ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ﴾: سوى، ﴿ذَٰلِكَ﴾: كمحاريب وتماثيل[4] ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾: من أن يزيغوا عن أمره، ﴿وَ﴾: اذكر، ﴿أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى﴾: بأني ﴿مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ﴾: الشدة، ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾: كان رُوميًا ذا أموال وأولاد كثيرةٍ، فهلك الكل وابتلي بجسده ثمانية عشر سنة بحيث ما سلم إلَّا قلبه ولسانه ونفر عنه الخلق إلا زوجته، فشكر وصبر ثم دعا كذلك[5]، ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾: دعاءه الضمني، ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ﴾ بإحيائهم ﴿وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾: ولد منه نوافل ضعف ما كان وزيد في شباب زوجته، ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾: عليه، روي أنه أمطر الذهب على مخزن قمحه، والفضة على مخزن شعيره حتى فاضا ﴿وَذِكْرَىٰ﴾: تذكرة،

---

(١) المسامير.

(٢) كذا- وفي (س)، و(ع): فإنه.

(٣) واضحة هكذا في (ع) فقط، وهي محرَّفة في جميع النسخ.

(٤) سيأتي في سورة سبأ.

(٥) في (ن)، و(د): لذلك.

﴿لِلْعَٰبِدِينَ ۞ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾: إلياس أو يوشع أو رجل صالح، ﴿كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۞ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ﴾: النبوة، ﴿إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: كما مرَّ ﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾: صاحب الحوت يونس ﴿إِذ ذَّهَبَ﴾: من قومه بلا أمر منا ﴿مُغَٰضِبًا﴾: لهم لإضرارهم، ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ﴾: نضيق [أو] نقضي، ﴿عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: بطن الحوت والبحر والليل ﴿أَن﴾ بأن ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بالمبادرة إلى المهاجرة ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾: دعاءه الضمني ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾: الانتقام أو الخطيئة، بعد أربعين يومًا، قذفه الحوتُ في الساحل سالما، ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: إذا دعونا بهذا الدعاء، أو في شدة ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا﴾: بلا ولدٍ ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾: الباقي بعد فناء كلهم، ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾: للولادة، ﴿إِنَّهُمْ﴾: الأنبياء المذكورون أو زكريا وأهله، ﴿كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾: القربات، ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا﴾: راغبين في رحمتنا ﴿وَرَهَبًا﴾: راهبين من غضبنا، ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا﴾: فقط، ﴿خَٰشِعِينَ ۞ وَ﴾: اذكر مريم ﴿ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾: حفظته من الوطء، ﴿فَنَفَخْنَا﴾: في عيسى روحه ﴿فِيهَا﴾: في جوفها أجرينا فيه إجراء الهواء بالنفخ، ﴿مِن﴾: جهة، ﴿رُّوحِنَا﴾: جبريل، ﴿وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً﴾: أي: حبها دلالة على كمال قدرتنا، ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: وهي حملها بلا فحل ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ﴾: ملة الإسلام، ﴿أُمَّتُكُمْ﴾: ملتكم أيها المخاطبون، ﴿أُمَّةً﴾: ملة، ﴿وَٰحِدَةً﴾: حال لازمة، أي: لا يختلف فيها الأنبياء، ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ۞ وَتَقَطَّعُوٓا۟﴾: أي: تفرق بعض المخاطبين، ﴿أَمْرَهُم﴾: أمر دينهم، ﴿بَيْنَهُمْ﴾: كاليهود والنصاري، ﴿كُلٌّ﴾: منهم ﴿إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ﴾: فنجازيهم، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾: استعارة لمنع الثواب كالشكر في إعطائه، ﴿وَإِنَّا لَهُۥ﴾: لسعيه، ﴿كَٰتِبُونَ﴾: في صحيفته ﴿وَ﴾: العمل المذكور ﴿حَرَٰمٌ﴾: ممتنع، ﴿عَلَىٰ﴾: أهل، ﴿قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ﴾: حكمنا بإهلاكها ﴿أَنَّهُمْ﴾: لأنهم، ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾: بالتوبة، أو

حرام بمعنى واجب أو بمعناه، ولا صلة وأنهم إلى آخره[١] خبره، ﴿حَتَّىٰٓ﴾: غاية الامتناع، ﴿إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾: أي: سدهم، وحاصله لا يتوبون إلى مشاهدة أمارات القيامة، ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ﴾: مرتفع من الأرض، ﴿يَنسِلُونَ﴾: يسرعون، أراد كثرتهم، ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾: القيامة، ﴿فَإِذَا هِىَ﴾: القصَّة، ﴿شَـٰخِصَةٌ﴾: مفتوحه لا تطرف خبره: ﴿أَبْصَـٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ قائلين: ﴿يَـٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى﴾: الدنيا في، ﴿غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا﴾ اليوم ﴿بَلْ كُنَّا ظَـٰلِمِينَ﴾: بتكذيب الرسل، إذ نبهونا به، ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾: إلا ما سيستثنى، ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ﴾: وقود، ﴿جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ۝ لَوْ كَانَ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾: المعبودون، ﴿ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ﴾: من العابد والمعبود إلا ما استثنيَ ﴿فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾: إهانة لعابديهم ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾: أنين وتنفس شديد، ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾: زفير غيرهم لشدة عذابهم، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا﴾: الخصلة، ﴿ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾: من السعادة، فخرج نحو عزير[٢]، ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ عَنْهَا﴾: عن جهنم، ﴿مُبْعَدُونَ﴾: يعني بعد الورود لقوله تعالى: «وإن منكم إلا واردها... إلى آخره[٣]، قال عليٌّ رضي الله تعالى عنه في الخطبة: أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وابن عوف وابن الجراح، ثم أقيمت الصلاة فقام يجر رداءه ويقولُ[٤]: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾: صوتها ﴿وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ﴾: من التَّنعم ﴿خَـٰلِدُونَ ۝ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾: النفخة الأخرى أو إطباق باب النار على أهلها ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ﴾: تستقبلهم، ﴿ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾: بالتهنئة قائلين: ﴿هَـٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾: للثواب، اذكر ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ﴾: طيًّا ﴿كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ﴾: الصحيفة أو الكاتب[٥]، ﴿لِلْكُتُبِ[٦]﴾: لأجل الكتابة، أو ما كتب فيه أو اللام صلة،

---

(١) في (ن): إلخ.

(٢) والمسيح - عليهما السلام.

(٣) سورة مريم.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٤٦٩/ ١٣٧٤٨) وسنده ضعيف فيه ليث بن أبي سُلَيْم.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٤٧٠/ ١٣٧٥٣) والقول بأن السجل كاتب كان لرسول الله ﷺ أو هو ملك لا يثبت من وجه.

(٦) سقطت من (ب).

﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ﴾: من العدم ﴿نُّعِيدُهُۥ﴾: نعيد ما خلقنا إعادة ﴿وَعْدًا عَلَيْنَآ﴾: إنجازه، ﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾: ذلك البتة ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ﴾: لداود أو الكتب السماوية، ﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾: التوراة أو اللوح ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ﴾: أرض الكفار أو الجنة ﴿يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾: أُمَّة محمد أو عام[1]، ﴿إِنَّ فِى هَٰذَا﴾: القرآن، ﴿لَبَلَٰغًا﴾: كفاية، ﴿لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ﴾: لله، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: برًّا وفاجرًا، رُفع بك نحو[2] الخسف والمسخ عن الكفار، ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾: إذ المقصود من كل الوحي التوحيد، ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾: مخلصون العبادة له ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾: عن الإسلام، ﴿فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ﴾: أعلمتكم ما أمرت به على كوني، ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾: عدل واستقامة ﴿وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾: من العذاب لا الحشر، فإنه أخبر عن قربه، ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾: من الطعن في الدِّين، ﴿وَإِنْ﴾: ما ﴿أَدْرِى لَعَلَّهُۥ﴾: تأخير الموعود أو الجهل بوقته ﴿فِتْنَةٌ﴾: اختبار واستدراج، ﴿لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ﴾ تمتع ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾: أجل مقدر، ﴿قَٰلَ[3] رَبِّ ٱحْكُم﴾: اقض، بيننا وبينهم، ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: المقتضي لاستعجال عذابهم، وقد وقع ببدر[4]، ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ﴾: المسئول منه المعونة، ﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾: من قرب كسر راية الإسلام ورجوع الشوكة إليكم، كان عليه الصلاة والسلام إذا شهد حربا يقرأ هذه[5] الآية.



---

(١) والعموم هو الصحيح؛ لأن العجزة فاسدون مفسدون، والمسلمون في زماننا هذا تَخَلَّوا عن الصلاح والإصلاح فسادهم الكفرة- والأمر لله.

(٢) في (ن): للكتاب وكتب في الهامش: «للكتب»: حفص.

(٣) سقطت من (ن).

(٤) الوسيط - للواحدي (٣/ ٢٥٥) من طريق الكلبي.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٤٧١/ ١٣٧٦٦) عن قتادة - وسنده ضعيف.



«سورة الحج[١]»: مدنية



إلّا ستّ آياتٍ: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ إلى: ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾[٢].

لمَّا قال: واقترب الوعد الحقُّ إلى أن قال: وإن أدري أقريب أم بعيد... الخ، أمرهم بالتهيؤ له وخوفهم بأهواله فقال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ﴾: بإطاعته ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ﴾: للأشياء، إسناد مجازي فإنها من أشراطها، وبعدها طلوعُ الشمس من مغربها، أو هي النفخة الأولى ﴿شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾: أي: حين وجدت، كما دل على أن المعدوْمَ شيءٌ ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾: الزلزلة ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾: أي: حال ارتضاعها ﴿عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾: دهشة[٣] ولو كان للمطلق لكان مرضع ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾: لشدته ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ﴾: كأنهم ﴿سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾: حقيقة ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾: فأدهشهم ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى﴾: دين ﴿ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: كنضر بن الحارث[٤] ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ﴾: جني وإنسي ﴿مَّرِيدٍ﴾: متجرد للشر، أو عار عن الخير ﴿كُتِبَ﴾: قضي ﴿عَلَيْهِ﴾: على الشيطان ﴿أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ﴾: تبعه ﴿فَأَنَّهُۥ﴾: الشيطان ﴿يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ﴾: يحمله ﴿إِلَىٰ﴾: موجبات ﴿عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾: فانظروا في بدء خلقكم لتعلموا قدرتنا عليه ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾: كآدم ﴿ثُمَّ﴾: ذريته ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾: مني ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾: بصيرورتها دما غليظا ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾: بصيرورتها كلحم ممضوغ ﴿مُّخَلَّقَةٍ﴾: تامة الخلق ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾: ناقصة ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾: كمال قدرتنا ﴿وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ﴾: فلا نسقطه ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: وقت الوضع ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ﴾:

---

(١) كلماتها (١٢٩١) كلمة، وحروفها (٥١٧٥) حرفا. * البيان (١٨٩)، عدد سور القرآن (٣١٩)، البصائر (١/ ٣٢٢)، الوجيز (٢٤١).

(٢) عدد سور القرآن (٣١٦).

(٣) في (ن): دهشت.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٧٤/ ١٣٧٧٦) وسنده ضعيف.

نربيكم ﴿لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ﴾: كمال قوتكم بين ثلاثين وأربعين سنة[١] ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾: قبل الهرم ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ الهرم والخوف ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ كحال طفوليته ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾: يابسة كالميت ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ﴾: المطر[٢] أو غيره ﴿ٱهْتَزَّتْ﴾: تحركت بنباتها ﴿وَرَبَتْ﴾: انتفخت وطالت ﴿وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾: صنف ﴿بَهِيجٍ﴾: حسن ﴿ذَٰلِكَ﴾: الخلق ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾: الثابت الموجد ﴿وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: فأحيى النطفة والأرض ﴿وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾: فإن التغير مقدمة الانصرام ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ﴾: ليجازي الشكور والكفور ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي﴾: دين ﴿ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: نظري كأبي جهل ﴿وَلَا هُدًى﴾: دليل ﴿وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ دل على جوازه مع الثلاثة[٣]. ﴿ثَانِيَ﴾ لاوي عنقه إلى ﴿عِطْفِهِۦ﴾: جانب يمينه أو شماله كناية عن التكبر ﴿لِيُضِلَّ﴾: متعلق بـ«يجادل» ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾: كما في بدر ﴿وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾: المحرق، قائلين ﴿ذَٰلِكَ﴾: الخزي أو الإذاقة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾: بين مبسوطا ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾: طرف من الدين كمن على طرف عسكر إن ظفر وإلَّا فرّ عنه ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ﴾: استقر على دينه ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾: ما يكرهه ﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾: رجع إلى كفره ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ۞ يَدْعُواْ﴾: يعبد ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ﴾: أصنامهم ﴿ذَٰلِكَ﴾: الدعاء ﴿هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾: عن القصد ﴿يَدْعُواْ لَمَن﴾: لام قسم ﴿ضَرُّهُۥٓ﴾: بعبادته، وهو عذاب الدارين ﴿أَقْرَبُ﴾: وقوعا ﴿مِن نَّفْعِهِۦ﴾: يعنى الذي يتوقعه، وهو شفاعته فلا تناقض بين الآيتين ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾: الناصر ﴿وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾: الصاحب، هو ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾: لا يسئل عما يفعل ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ﴾: أي: نبيه ﴿فِي

---

(١) الوسيط (٣/ ٢٦٠).

(٢) في (س)، و(ن): مطرًا وغيره.

(٣) بشرط بيان الحق والخضوع له إذا ظهر.

﴿الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾: كبعض المسلمين حين[1] استبطأوا نصره، والكفرة استبطأوا الدوائر عليه ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾: بحبل ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾: سقف بيته ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾: ليختنق ﴿فَلْيَنْظُرْ﴾: فليتأمل ﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ﴾: من اختناقه ﴿مَا يَغِيظُ﴾: غيظه، هذا مثل يقال لمن يريد مالا يمكنه: دونك الحبل فاختنق ﴿وَكَذَلِكَ﴾: الإنزال للآيات السابقة ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾: القرآن كله ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾: لحكم ﴿وَأَنَّ﴾: لأن ﴿اللَّهَ يَهْدِي﴾: به ﴿مَنْ يُرِيدُ (١٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ﴾: يقضي ﴿بَيْنَهُمْ﴾: بالمجازاة ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: فيعلم ما يليق بهم ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ﴾: ينقاد ﴿لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾: غلب أولي العقل بمن ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾: خصها بالذكر لاستبعاده منها، ومن استعمل المشترك في معانيه يعطف، ويحمل سجود كل إلى ما يناسبه، وأما غيره فيجعل ﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾: مبتدأ خبره، حق له الثواب الدال عليه ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾: الكفار الممتنعون من السجود الموقوف على الإيمان، وصح سجود القمرين وسائر الدواب ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾: من الإهانة والإكرام ﴿هَذَانِ﴾: المؤمن والكافر فوجان ﴿خَصْمَانِ﴾: مختصمان ﴿اخْتَصَمُوا فِي﴾: دين ﴿رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾: منهما ﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾: كما تقطع الثياب بقدر القامة كناية عن إحاطتها عليهم ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾: ماء حار قطرة منه تذيب الجبال ﴿يُصْهَرُ﴾: يذاب ﴿بِهِ﴾: بالحميم ﴿مَا فِي بُطُونِهِمْ﴾: الأمعاء ﴿وَالْجُلُودُ وَلَهُمْ مَقَامِعُ﴾: سياط ﴿مِنْ حَدِيدٍ﴾: لو ضرب بمقمع منها جبل لتفتت[2] ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾: من النار بأن ترميهم إلى أعلاها ﴿مِنْ غَمٍّ﴾: غمومها ﴿أُعِيدُوا فِيهَا﴾: بالمقامع، (و) يقال لهم إهانة: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ﴾: النار ﴿الْحَرِيقِ﴾: البالغة في

---

(١) في (ن)، و(د): حيث.

(٢) يشير إلى حديث النبي ﷺ قال: «لو أن مقمعا من حديد وضع في الأرض فاجتمع عليه الثقلان ما أقلوه من الأرض، ولو ضرب الجبل بمقمع من حديد لتفتت ثم عاد كما كان». أخرجه أحمد (٣/ ٣٦/ ١١٢٣٩، ١١٧٩٢)، والحاكم (٤/ ٦٠٠)، والبيهقي في البعث والنشور (٢٩٩/ ٥٣٧) وسنده ضعيف.

الإحراق ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾: هذا فصل خصومتهم ﴿يُحَلَّوۡنَ﴾: يلبسون الحلي ﴿فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ﴾ جمع سوار ﴿مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ۝ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا﴾[١]... الآية ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ﴾: المحمود نفسه أو عاقبته وهو الجنة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ﴾: على الاستمرار ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَ﴾: عن ﴿ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ﴾: لمناسكهم ﴿سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ﴾: المقيم ﴿فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ﴾: الطاريء وكذا فسره بعض بمكة، وكذا ذهب بعض كعمر وابن عباس إلى أنه لا يجوز لأرباب بيوت مكة منع الحاج عن النزول فيها[٢]، واستدل بها الحنفية على منع بيع دورها ويأباه: الذين أخرجوا من ديارهم، وشراء عمر دار السجن فيها بلا نكير[٣] ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ﴾: مرادا كائنا ﴿بِإِلۡحَادِۢ﴾: بميل عَن القصد، كما يفسره: ﴿بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾: أي: وإن لم يفعلها على مذهب ابن مسعود وبعض والظاهر أن بظلم: صفة مصدر، أي: إرادة ملتبسة بظلم، وهو الإتيان بالمراد، فلا يحتاج إلى تكلفاتهم، ويطابق[٤] على مذهب الجمهور والله تعالى أعلم ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذۡ بَوَّأۡنَا﴾: عينا ﴿لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ﴾: بريح هفافة كنست مكانه، يقال لها الخجوج[٥] لا نطماسه بالطوفان، وقيل له: ﴿أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ﴾: من الشرك والأقذار ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾: حوله ﴿وَٱلۡقَآئِمِينَ﴾: العاكفين ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾: المصلين ﴿وَأَذِّن﴾: ناد ﴿فِي ٱلنَّاسِ﴾: آمرا ﴿بِٱلۡحَجِّ﴾: فقام على مقامه أو الصفا أو أبي قبيس وقال[٦]: إن ربكم اتخذ بيتا فحجوه فأجابه كل من كتب له الحج إلى يوم القيامة وهم

---

(١) سورة الزمر.

(٢) أحكام القرآن- للجصاص (١/ ٩٠)، الجامع (١٢/ ٣٣).

(٣) تلخيص الحبير (٣/ ٢٠).

(٤) كذا في جميع النسخ.

(٥) الشديدة السريعة.

(٦) تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٨٧/ ١٣٨٧٩)، وأخرجه ابن جرير في الجامع (١٧/ ١٠٦) وسنده ضعيف والحاكم (٢/ ٣٨٩).

في الأصلاب: لبيك اللهم لبيك ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾: مشاة ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾: بعير مهزول أتعبه السفر، قُدِّمَ الرَّاجلَ[١] لفضله، إذ «للراكب بكل خطوة سبعون حسنة وله سبعمائة من حسنات الحرم، كل حسنة مائة ألف حسنة»[٢]، وإبراهيم وإسماعيل حجا ماشيين ﴿يَأْتِينَ﴾: أي: الضامر باعتبار معناه ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ﴾ طريق ﴿عَمِيقٍ﴾: بعيد ﴿لِّيَشْهَدُوا﴾ يحضروا ﴿مَنَافِعَ﴾: دينية ودنيوية ﴿لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾: عشر ذي الحجة ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾: عند ذبح الهدي والضحايا ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾: إباحة في التطوع ﴿وَأَطْعِمُوا﴾ وجوبا ﴿الْبَائِسَ﴾: صاحب البؤس والشدة ﴿الْفَقِيرَ﴾: المحتاج ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا﴾: ليزيلوا ﴿تَفَثَهُمْ﴾: وسخهم، كقص الظفر ونحوه وليؤدوا مناسكهم ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾: من البر في حجهم ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا﴾: طواف الإفاضة[٣] ﴿بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾: القديم أو المعتق من تسلط الجبابرة[٤]، وأما الحجاج[٥] فإنما جاء لدفع ابن الزبير - رضي الله عنه -، أو الجند أو الزائر، الأمر ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ﴾: أحكامه التي يحرم هتكها ﴿فَهُوَ﴾: التعظيم ﴿خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾: ثوابا ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ وهو: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ﴾[٦]... إلى آخره، فلا تحرموا غيره ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ «من» بيانية ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾: الكذب، كحرمة البحائر ونحوها ﴿حُنَفَاءَ﴾: مخلصين ﴿لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ﴾: سقط ﴿مِنَ

---

(١) الماشي على رِجليه.

(٢) أخرجه الحاكم (١/ ٤٦١) وصححه.

(٣) الوسيط (٣/ ٢٦٨).

(٤) يشير إلى حديث: «إنما سمي البيت العتيق؛ لأن الله أعتقه من الجبابرة فلم يظهر عليه جبار قط» أخرجه الترمذي (٥/ ٣١٧٠)، والحاكم (٢/ ٣٨٩)، والبيهقي في الشعب (٣/ ٤٠١٠) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٠٥٩)، والضعيفة (٣٢٢٢).

(٥) يعني ابن يوسف الثقفي.

(٦) سورة المائدة.

ٱلسَّمَآءِ ﴾: لسقوطه من أوج[1] الإسلام إلى حضيض الكفر ﴿فَتَخۡطَفُهُ﴾: تسلبه ﴿ٱلطَّيۡرُ﴾: فتفرقه في حواصلها، فإن الأهواء توزع أفكاره ﴿أَوۡ تَهۡوِي﴾: تسقط ﴿بِهِ ٱلرِّيحُ﴾: حين عصفت به ﴿فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾: بعيد، فإن الشيطان أوقعه في الضلالة والأول: مثل لمن مات كافرا والثاني لمن أمكن إيمانه على بعد الأمر ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾: دينه أو الهدى المشعرة باختيار أعلاها، أو بتسميتها ﴿فَإِنَّهَا﴾: تعظيمها من: أفعال ذوي ﴿تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ۝ لَكُمۡ فِيهَا﴾: في الشعائر ﴿مَنَٰفِعُ﴾: كالدر وغيره ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾: يوم النحر أو إلى جعلها هديا ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ﴾: منحرها منتهية ﴿إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ﴾: أو عنده، وهو كل الحرم ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٖ﴾: أهل دين ﴿جَعَلۡنَا مَنسَكٗا﴾: بالفتح[2] قربانا، وبالكسر موضع نسك[3] ﴿لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ﴾: فقط ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ﴾: أي: المقصود من المناسك ذكره تعالى ﴿فَإِلَٰهُكُمۡ﴾: أنتم ومن قبلكم ﴿إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ﴾: فقط ﴿أَسۡلِمُواْۗ﴾: انقادوا ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ﴾: الخاشعين المتواضعين ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾: هيبة ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾: يتجدّدُ إنفاقهم في الخير ﴿وَٱلۡبُدۡنَ﴾: جمع بدنة، يعني الإبل لعظم بدنها ﴿جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾: اعلام دينه ﴿لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞۖ﴾: منافع الدارين ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا﴾: على نحرها ﴿صَوَآفَّۖ﴾: قائمات على ثلاث قوائم معقولة يسرى يدها أو رجلها ﴿فَإِذَا وَجَبَتۡ﴾ سقطت ﴿جُنُوبُهَا﴾: على الأرض بزوال روحها ﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا﴾: إباحة ﴿وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ﴾: المتعفف عن السؤال ﴿وَٱلۡمُعۡتَرَّۚ﴾: المتعرض له ﴿كَذَٰلِكَ﴾: كما وصف نحرها قائمة ﴿سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ﴾: مع عظمها ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾: نعمنا ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾: لن يتقبلهما[4] ﴿وَلَٰكِن يَنَالُهُ

---

(١) قمة.

(٢) كذا.

(٣) قرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو وخلف وابن سعدان «منسكا» بكسر السين المهملة.
* إتحاف (٣١٥)، السبعة (٤٣٦)، غيث النفع (٢٩٦، ٢٩٧)، النشر (٢/ ٣٢٦).

(٤) في (ن): لن يتقبلها.

﴿ٱلتَّقْوَىٰ﴾: إخلاص النية ﴿مِنكُمْ﴾: فلا تنضحوا الكعبة بلحمها ودمها تقربا[١] إليه ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾: كرره للتعليل ﴿لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ﴾: لتعظموه شكرا ﴿عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾: إلى التقرب إليه بها ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: أعمالهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ[٢]﴾: يبالغ في دفع المشركين ﴿عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾: في أمانة الله ﴿كَفُورٍ﴾: لنعمه ﴿أُذِنَ﴾: رخص في القتال ﴿لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾: يريدون قتال المشركين ومجهولا ظاهر[٣] ﴿بِأَنَّهُمْ﴾: بسبب أنهم ﴿ظُلِمُوا۟﴾: المشهور أنها أول آية في رخصتهم فيه، نسخت سبعا وسبعين آية في نهيه، ويشكل بأنها مكية[٤] ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم﴾: مكة ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾: بلا استحقاق إخراجهم ﴿إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ مثل.

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم... إلى آخره[٥].

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾: بالجهاد ونحوه ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ﴾: للرهبان ﴿وَبِيَعٌ﴾: للنصاري ﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾: كنائس اليهود معرب صلوثا بالمثلثة أي: المصلي بالعبرية ﴿وَمَسَٰجِدُ﴾: للمسلمين ﴿يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾: أي: لولاه، لهدمت معابد كل الأمم ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾: ينصر دينه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ﴾: على نصرهم ﴿عَزِيزٌ﴾: غالب ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: البلاد ﴿أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾: دل على صحة أمر الخلفاء الأربعة؛ إذ لم يستجمع ذلك غيرهم من المهاجرين ﴿وَلِلَّهِ﴾: إليه ﴿عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾: مرجعها

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٤٩٥/ ١٣٩٥٥) وسنده ضعيف.

(٢) كتبها: يَدْفع وكتب في الهامش: يُدَافع حفص.

(٣) قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وأبو عمرو وعاصم وشعبة وخلف ويعقوب: «يُقَاتِلُوْنَ» بكسر التاء.
* إتحاف (٣١٥)، السبعة (٤٣٧)، النشر (٢/ ٣٢٦).

(٤) عن ابن عباس أنه قرأ: «أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا» قال: وهي أول آية نزلت في القتال «أخرجه النسائي (٦/ ٢) والترمذي (٥/ ٣٢٥/ ٣١٧١) وأحمد (١/ ٢١٦) والطبري (١٧/ ١٧٢)، والحاكم (٢/ ٢٩٠) وأبو جعفر النحاس في الناسخ والمنسوخ (٢/ ٥٢٥/ ٦٨٥).

(٥) سبق تخريجه.

﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ۞ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ۞ وَأَصْحَـٰبُ مَدْيَنَ ﴾: رسلهم ﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ﴾: غير النظم؛ لأنه ليس من القبط ﴿فَأَمْلَيْتُ﴾ أمهلت ﴿لِلْكَـٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: إنكاري عليهم بإهلاكهم ﴿فَكَأَيِّن﴾: كثيرا ﴿مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا[1]﴾: بإهلاك أهلها ﴿وَهِىَ ظَالِمَةٌ﴾: أي: أهلها ﴿فَهِىَ خَاوِيَةٌ﴾ خالية ﴿عَلَىٰ﴾: مع سلامة ﴿عُرُوشِهَا﴾: سقوفها، أو ساقطة عليها ﴿وَ﴾: من ﴿بِئْرٍ﴾: عامرة ﴿مُّعَطَّلَةٍ﴾: متروكة الاستسقاء لهلاك أهلها ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾: رفيع أو مجصص محكم أخليناه ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: ليتفكروا فيما حل بالأمم ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾: ما يجب أن يعقل كالإيمان ﴿أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾: ما يجب سماعه كالتذكير ﴿فَإِنَّهَا﴾: القصة ﴿لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾: إذ لا خلل في مشاهدتهم ﴿وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾: الصفة للتأكيد ونفي التجوز ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾: لعمى قلوبهم ﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ﴾ أي: في تأنيه[2] وحِلْمه[3] أو تمادي عذابه ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾: أي: عندكم ﴿وَكَأَيِّن﴾: كثيرا ﴿مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾: بالعذاب، فأمهل ولا أهمل ﴿وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾: فأجازي ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ خص الإنذار؛ لأن مساق الكلام كان للمشركين ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾: عن فرطاتهم، إذ هم مخلصوا الإيمان ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: الجنة وكريم كل نوع جامع فضائله ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْاْ﴾: بالتكذيب ﴿فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ[4]﴾: ظانين أنهم يسبقونا ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ۞ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ﴾: بينا في مريم ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ تلا ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾: تلاوته، يشغله بخواطر دنيوية ليدخل عليه الوهم والنسيان فيما تلاه

---

(١) كتب: أهلكتُها وفي الهامش: أهلكناها: حفص.

(٢) يعني بطئه.

(٣) طوله.

(٤) كتب: مُعَجّزين وفي الهامش: مُعَاجزين: حفص.

وبإدخال سوء التأويل والتحريف ونحوه على أفهام السامعين ﴿فَيَنسَخُ﴾: يبطل ﴿ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: بكشف لبسه ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾: مراغمة له، كذا فسره الأكثرون أو الشيطان المشركون كانوا يلغون في القرآن لعلهم يغلبون كما سيأتي، فأبطل لغوهم وأثبت القرآن، وأما رواية أنه عليه الصلاة والسلام تلا: والنجم ووصل إلى «ومناة الثالثة الأخرى» فسبق لسانه بوسوسة الشيطان إلى قول تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى، ففرح المشركون وسجدوا معه، ثم نبهه جبريل ونزلت الآية، فمن وضع الزنادقة[1] كما بينه أجلة الأئمة، وإن اتصل في بعض الروايات إلى ابن عباس فيرده: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾[2]، وإنه يخل بالمنزل والمنزل إليه على أنه يروى على سبيل الشك ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: فيما يفعله، تمكن[3] الشيطان منه ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً﴾: ضلالة ﴿لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: نفاق ﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾: المشركين ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الفريقين ﴿لَفِى شِقَاقٍۭ﴾: خلاف ﴿بَعِيدٍ﴾: عن الحق ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾: القرآن والتوحيد أي: ليزيد علمهم ﴿أَنَّهُ﴾: بأن القرآن ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾: حيث أحكمه ونسخ ملقى الشيطان ﴿فَيُؤْمِنُوا۟﴾: فيزيد إيمانهم ﴿بِهِۦ﴾: بالقرآن ﴿فَتُخْبِتَ﴾: تخشع ﴿لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: دينه، «ما يوصلهم إلى الحق، وهو الجنة ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ﴾: شك ﴿مِّنْهُ﴾: من القرآن بسبب هذا الإلقاء ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾: القيامة ﴿بَغْتَةً﴾: فجأة ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ لا ينتجهم خيرًا، كبدر أو القيامة

---

(١) وهذا هو الصحيح ولذا قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٣/ ٢٢٩): قد ذكر كثير من المفسرين ههنا قصة الغرانيق وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة ظنا منهم أن مشركي قريش قد أسلموا، ولكنها من طرق كلها مرسلة.

وللعلامة المحدث أبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني رسالة ممتعة في نقضها سماها: «نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق» مطبوعة ا.هـ.

(٢) سورة النجم.

(٣) كذا، ولعلها: بتمكُّن.

﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾: بلا منازع ظاهر ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾: بالمجازاة ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: أفهم بالفاء أن أعمالهم سبب[1] عقابهم، والأول تفضُّلٌ ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟﴾: فيها ﴿أَوْ مَاتُوا۟﴾: بينا في آل عمران ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾: الجنة ونعْمَتها[2] ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾: بهم ﴿حَلِيمٌ﴾: لا يعاجلهم بالعقوبة، الأمر ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾: بلا زيادة، سمى الأول عقابا ازدواجا ﴿ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ﴾: بعقوبة أخرى ﴿لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾: فإنه مظلوم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾: للمنتصر حيث اتبع هواه في الانتقام وما عفى ﴿ذَٰلِكَ﴾: النصر ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾: لتعديل أمور خلقه فكيف لا يعدل بينهم ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ﴾: لأقوالهم ﴿بَصِيرٌ﴾: بأفعالهم فيجازيهم ﴿ذَٰلِكَ﴾: الاختصاص بكمال القدرة والعلم ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾: الثابت ألوهيته ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾: فلا قدرة له ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾: لا أعلى ولا أكبر منه ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾: دل بالمضارع على بقاء أثر المطر زمانا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾: يصل علمه أو لطفه إلى الكل ﴿خَبِيرٌ﴾: بالتدابير ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾: المستوجب للحمد مطلقًا ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم﴾: أعد لمنافعكم ﴿مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ﴾: من ﴿أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾: بمشيئته كما في القيامة، أفهم منع استمساكها بذاتها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: فهيأ لهم أسباب الاستدلال ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ﴾: وكنتم ترابا أو نطفة ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾: للفوز ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ﴾: لنعم ربه ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ﴾ لنبي ﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾: شريعة ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾:

---

(١) فالفاء للسببية.

(٢) كذا في (س)، و(ن)، وفي (ع): ونعيمها، وهو موافق لمافي البيضاوي.

عالموه ﴿فَلَا يُنَـٰزِعُنَّكَ﴾: أرباب الملل ﴿فِي ٱلْأَمْرِ﴾: أمر الدين، يعني لا تلتفت إلى منازعتهم فإن المفعول فاعل في أفعال المغالبة ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ﴾: عبادة ﴿رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾: موصل إلى الحق ﴿وَإِن جَـٰدَلُوكَ﴾: عنادا ﴿فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: من الجدال فيجازيكم ﴿ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾: أنت يا محمد مع مجادليك ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ﴾: أي: ما فيها ثابت ﴿فِي كِتَـٰبٍ﴾: اللوح ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾: الاثبات فيه ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾: لأن علمه مقتضى ذاته فيستوي تعلقه إلى الكل ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا﴾: حجة سماوية ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾: بدليل عقلي ﴿وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ﴾: أي: لهم ﴿مِن نَّصِيرٍ﴾: ينصرهم من نكاله ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ﴾: واضحات الدلالة[1] على الحق[2] ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ﴾: الإنكار للحق ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ﴾: يبطشون ﴿بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ﴾ الغيظ على التالين، هو ﴿ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: أن يطعمها إياهم ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾: النار ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ﴾: بين ﴿مَثَلٌ﴾: حال مستغربة كالمثل السائر في إشراككم ﴿فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: كالأصنام ﴿لَن﴾: يقدروا أن ﴿يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾: لخلقه لا يقدرون بل نترقى ونتنزل: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ﴾: يختطف منهم ﴿ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا﴾: مما يلطخونهم به كالطِّيْب[3] ﴿لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ﴾: عابد الصنم ﴿وَٱلْمَطْلُوبُ﴾: معبوده ﴿مَا قَدَرُوا۟﴾: ما عرفوا ﴿ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾: معرفته، حيث أشركوهم به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ﴾: قادر ﴿عَزِيزٌ﴾: غالب ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى﴾: يختار ﴿مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: ما وقع ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: ما يترقب، فلا يُسْأَلُ عمَّا يصطفي منهم ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾: فإنه مالكها

---

(١) في (د): الدالة.

(٢) أنوار التنزيل (٤٤٩).

(٣) وكالعجْوة والعَسَل!!!.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ﴾: وصلوا ﴿وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ﴾: بالعبادات ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ﴾: من مكارم الأخلاق أمر بخاص ثم عام ثم أعم ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩وَجَٰهِدُواْ فِي﴾: سبيل الله ﴿ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾: أي: جهادا فيه حقًّا خالصًا فعكس وأضيف مبالغة ﴿هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ﴾: اختاركم من الأمم ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾: ضيق بتكليف مالا تطيقون فلا يرد نحو المخاطرة بالنفس والمال في الحج والغزو، والزموا[1] ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَ﴾: لأنه أبو نبينا الذي هو أبو الأمة ﴿هُوَ﴾: الله ﴿سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ﴾: في الكتب السماوية ﴿وَفِي هَٰذَا﴾: القرآن ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ﴾: في القيامة بإطاعتكم ﴿وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى﴾: سائر ﴿ٱلنَّاسِ﴾: بتبليغ الرسل إليهم ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: شكرا ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ﴾: ثقوا ﴿بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ﴾: هو ﴿وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ هو - واللهُ أعلم.



---

(١) فقوله: «ملَّة» منصوبٌ على الإغراء بالمصْدَر.



«سورة[١] المؤمنون[٢]»: مكية[٣]

لما أمر بالصلاة والزكاة والاعْتِصام بالمولى، وَعَدَ الفاعلين له الفلاح والفِرْدوس الأعلى[٤] فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ قَدْ أَفْلَحَ﴾: ظفر بالمراد ﴿الْمُؤْمِنُونَ ۞ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾: خائفون بالقلب، ساكنون بالجوارح فلا يلتفتون يمينا ولا شمالا، وهذا من فروض الصلاة، وأول علم يرفع من الناس ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ﴾: مالا يعنيهم أو الشرك ﴿مُعْرِضُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ﴾: تقال لإخراجها ولقدرها، والمراد الأول بدليل ﴿فَاعِلُونَ﴾: ولإيجابها بالمدينة أو هي تطهير النفس ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾: من الوقوع على أحد ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ﴾: هذا كاحفظ عليَّ عنان فرسي ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾: سرياتهم[٥]، أفهم بها قلة عقلهن ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۞ فَمَنِ ابْتَغَىٰ﴾: طلب ﴿وَرَاءَ ذَٰلِكَ﴾: المستثنى ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾: الكاملون في العدوان، فكيف بفاعله، دل على حرمة الاستمناء بيد نفسه[٦] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾: بترك الخيانة والوفاء ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾: يواظبون، أتى بالمضارع لتجدد الداعي ﴿أُولَٰئِكَ﴾: الجامعون لهذه الصفات ﴿هُمُ الْوَارِثُونَ﴾: أحقاء بهذا الاسم ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ﴾: من الكفار ﴿الْفِرْدَوْسَ﴾: أعلى الجنة ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۞ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ﴾: آدم ﴿مِن سُلَالَةٍ﴾: خلاصة سُلّت[٧] من [بَيْنَ] الكَدَر

---

(١) في هامش (ن): بلغ مقابلة.

(٢) في (ن)، و(د): المؤمنين.

(٣) كلماتها (١٨٤٠) كلمة وحروفها (٤٨٠٠) حرف - عدد سور القرآن (٣٢٣)،البصائر (١/ ٣٢٩)، البيان (١٩١)، الوجيز (٢٤٣).

(٤) سقط من (س)، و(ع).

(٥) جمع سُرِّيَّة وهي الأمة.

(٦) وهو الصحيح.

(٧) كذا في (ن)، ،(د).

﴿مِن طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ﴾: نسل السلالةِ ﴿نُطْفَةً فِي قَرَارٍ﴾: مستقر ﴿مَّكِينٍ﴾: حصين، هو الرحم ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ﴾: البيضاء ﴿عَلَقَةً﴾: حمراء ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾: فسر مرة ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا﴾: بتصليبها ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا﴾: جمع العظام؛ لاختلافها هيئة وصلابة[1] ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾: فجعلناه سميعا بصيرا ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾: تعالى شأنه ﴿أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾: في الظاهر؛ لأنه خالق الكل ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾: الإنشاء ﴿لَمَيِّتُونَ﴾: صائرون إلى الموت ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾: للجزاء ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ﴾: سموات ﴿طَرَآئِقَ﴾: طرقا للملائكة والكواكب، أو من مطارقة النَّعْل ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ﴾ كل ﴿ٱلْخَلْقِ غَـٰفِلِينَ﴾: بل ندبر أمورهم ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾: بمقدار تقتضيه الحكمة ﴿فَأَسْكَنَّـٰهُ فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ﴾: وإزالته بنحو تنشيفه ﴿لَقَـٰدِرُونَ ۞ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ﴾: بالماء ﴿جَنَّـٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَـٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا﴾: في الجنات ﴿فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ﴾: بها تتفكهون رطبا ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾: يابسا تغذيا ﴿و﴾: أنشأنا لكم ﴿شَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾: جبل موسى زينونه أحسن إذ هو أول زيتون، نبت ﴿تَنۢبُتُ﴾: ملتبسا ﴿بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ﴾: إدام يصبغ فيه الخبز أي: يغمس ﴿لِّلْـَٔاكِلِينَ ۞ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا﴾: كما مر ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ كَثِيرَةٌ﴾: كالصوف وغيره ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾: بالذبح ﴿وَعَلَيْهَا﴾: في البر ﴿وَعَلَى ٱلْفُلْكِ﴾: في البحر ﴿تُحْمَلُونَ ۞ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾: وحده ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: عن الشرك ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟﴾: الأشراف ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾: لعوامهم ﴿مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾: بالرئاسة[2] ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾: رسولا ﴿لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً﴾: للرسالة ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا﴾: الذي تدعونا إليه ﴿فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ﴾: جنون ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ﴾: انتظروا ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾: لعله يفيق ﴿قَالَ﴾: نوح بعد يأسه منهم: ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِي﴾ بإهلاكهم ﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾: بإزاء تكذيبهم أو بسببه ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ

----

(١) فسُبْحان الله.

(٢) في (ن): بالرياسة.

﴿ٱلْفُلْكَ﴾: ملتبسا ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾: بحفظنا ﴿وَوَحْيِنَا﴾: بتعليم صنعته ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾: بعذابهم ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ﴾: أدخل ﴿فِيهَا مِن كُلٍّ﴾: من الحيوانات المنتفعة ﴿زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾: كما مر ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾: بهلاكه وهو ابنه وزوجته ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي﴾: إنجاء ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾: كما مر ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ﴾: استقررت ﴿أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى﴾: فيها أو منها ﴿مُنزَلًا﴾: إنزالا وبالفتح[1] أظهر[2] ﴿مُّبَارَكًا﴾: موجبا لمزيد الخير ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾: خصه بالأمرين إظهارا لشرفه فإن دعاءه يغني عن دعاء غيره ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾: المفعول بهم ﴿لَءَايَٰتٍ﴾: لانتقامنا ﴿وَإِن﴾: إنه ﴿كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾: مختبرين عبادنا لننظر من يعتبر ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾: ثمود ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾: صالحا ﴿أَنِ﴾: بأن ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: عذابه ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾: البعث ﴿وَأَتْرَفْنَٰهُمْ﴾: نعمناهم ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾: منه ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ﴾: في ترك دينكم ﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ۞ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا﴾: بلا لحم ﴿أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾: من القبر ﴿هَيْهَاتَ﴾ بعد ﴿هَيْهَاتَ﴾: بعد ﴿لِمَا تُوعَدُونَ﴾: اللام للبيان ﴿إِنْ هِىَ﴾: لا حياة ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ﴾: يموت بعضنا ﴿وَنَحْيَا﴾: يُولَدُ[3] بعضنا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۞ إِنْ هُوَ﴾: ما الرسول ﴿إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: في وعد البعث ﴿وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ﴾: مصدقين ﴿قَالَ﴾: يا ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِى﴾: بإهلاكهم ﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾: كما مر ﴿قَالَ﴾: الله ﴿عَمَّا﴾: عن زمان ﴿قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ﴾: على التكذيب ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾: فماتوا، كما مر ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: بالعدل لا ستحقاقهم ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً﴾: كما يحمله السيل من الأوراق البالية المسودة ﴿فَبُعْدًا﴾ هلاكا ﴿لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا﴾:

---

(١) قرأ شعبة والمفضل وأبو حيوة وابن أبي عبلة وأبان: «مَنْزِلا» بفتح الميم. * روح المعاني (١٨/ ٢٨).

(٢) في (ن)، و(د): ظاهر.

(٣) في (ن)، و(د): يتولد.

أمما ﴿ءَاخَرِينَ﴾: كبني إسرائيل، كان فيهم الرسل قبل موسى ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾: أَجَل إهلاكها[١] ﴿وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾: بين مرة ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾: متواترين واحدا بعد واحد، أصلها: وترى ﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾: أي: أكثرهم ﴿فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾: في الإهلاك ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾: جمع أُحْدُوْثة[٢] ما يتحدث به تلهيا وتعجبا، أو لحديث أي: ما بقي منهم إلا الحكايات ﴿فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ۞ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: التسع ﴿وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾: حجة واضحة ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ﴾: متكبرين ﴿فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا﴾: بنو إسرائيل ﴿لَنَا عَٰبِدُونَ﴾: خادمون ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ﴾: بالغرق ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: التوراة بعد غرقهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۞ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾: ذاته ﴿وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾: دالة على كمال قدرتنا أو كلاهما وهي ولادته بلا فحل ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾: مكان مرتفع ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾: مستقر من الأرض ﴿وَ﴾: ماء ﴿مَعِينٍ﴾: ظاهر جارٍ، هي بيت المقدس[٣]، قيل: هو أقرب الأرض من السماء[٤] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾: خاطب به كل نبي في زمانه ﴿كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: المستلذات الحلالات لا كالرهبانية ﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾: فإنه المقصود ﴿إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۞ و﴾: اعلموا ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ﴾: ملتكم ﴿أُمَّةً﴾: ملةً ﴿وَٰحِدَةً﴾: هي الدعوة إلى التوحيد ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾: في مخالفة الكلام ﴿فَتَقَطَّعُوٓا۟﴾ قطعوا ﴿أَمْرَهُم﴾: أمر دينهم ﴿زُبُرًا﴾: قطعا، أي: أديانا مختلفة ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ﴾: منهم ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾: من أمر دينهم ﴿فَرِحُونَ﴾: يظنون أنهم محقون ﴿فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ﴾: جهالتهم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾: حين هلاكهم ﴿أَيَحْسَبُونَ﴾: أنما ﴿نُمِدُّهُم بِهِۦ﴾: نجعله مددا لهم ﴿مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۞ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾: لا ﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾: أنه استدراج

---

(١) في (ن): أجل هلاكها.

(٢) كذا في (ن)، و(د).

(٣) الوسيط (٣/ ٢٩١).

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨/ ٢١) ولا يصح.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾: خائفون من عذابه ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾: الكونية والشرعية ﴿يُؤْمِنُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾: جليا وخفيا ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟﴾: أعطوه من الصدقات ﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾: خائفة من عدم قبولها ﴿أَنَّهُمْ﴾: لأنهم ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۞ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا﴾: إليها ﴿سَٰبِقُونَ﴾: أو لأجلها سبقوا الناس ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾: طاقتها، فسبقهم ليس بشاق ﴿وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ﴾: صحيفة أعمالهم ﴿يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ﴾: بالصدق ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: بنقص ثوابهم ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ﴾: أي: الكفرة ﴿فِى غَمْرَةٍ﴾: غفلة ﴿مِّنْ هَٰذَا﴾: الكتاب ﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ﴾: خبيثة ﴿مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾: الذي وضعناهم به كحث جواريهم على الزنا وغيره ﴿هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ۞ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم﴾: منعميهم[1] ﴿بِٱلْعَذَابِ﴾: كالقحط ﴿إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ﴾: يصرخون بالدعاء؛ إذ جاء أبو سفيان يستغيث إلى رسول الله ﷺ، ولا يرد عليه أن السورة مكية لإمكان إخباره من الغيب، يقال لهم: ﴿لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ۞ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى﴾: القرآن ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ﴾: ترجعون قهقرى أي: تعرضون ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ﴾: بالتكذيب المفهوم من النكوص أو بالبيت الحرام؛ لشهرتهم به حال كونكم ﴿سَٰمِرًا﴾: جماعة تتحدثون بالليل بالطعن فيها أو مصدر تسمرون بهم تتحدثون كما مر ﴿تَهْجُرُونَ﴾: من الهجر بالفتح: الهذيان، أو الإعراض ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾: القرآن ليعلموا حقيته[2] ﴿أَمْ﴾: بل أ ﴿جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: من الرسول أو الكتاب ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ﴾: بالصدق ونحوه ﴿فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۞ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾: جنون ويعرفون[3] أنه أعقلهم ﴿بَلْ﴾: لا سبب لإعراضهم إلا أنه ﴿جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾: وأقلهم لا يؤمنون استنكافا[4] أو بلادة[5] ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ﴾: بأن

---

(١) في (ن)، و(د): متنعميهم.

(٢) كذا في (ن)، و(د).

(٣) في (ن)، و(د): يعرفون.

(٤) استكبارا.

(٥) غباوة.

يكون له شركاء ﴿لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾: كما مَرَّ في الأنبياء[١] ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾: بكتاب هو عظتهم[٢] ﴿فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ۝ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا﴾: جعلا على التبليغ ﴿فَخَرَاجُ﴾: عطاء ﴿رَبِّكَ خَيْرٌ﴾: خصه بالخراج؛ لأنه أبلغ ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: يوصلهم إلى الجنة ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ﴾: المستقيم ﴿لَنَٰكِبُونَ﴾: منحرفون ﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ﴾: من القحط ونحوه ﴿لَّلَجُّوا۟﴾: تمادوا ﴿فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: متحيرين ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾: بالشدائد ليتضرعوا ﴿فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾: تواضعوا ﴿لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾: ليس من عادتهم الرغبة إلى الله تعالى ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا﴾: بهم ﴿عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾: من الجوع ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾: آيسون من كل خير ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾: لتحسوا آياته ﴿وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾: للتدبر فيها ﴿قَلِيلًا مَّا﴾: صلة ﴿تَشْكُرُونَ﴾: باستعمالها فيما خلقت له ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ﴾: خلقكم وثبتكم ﴿فِي ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: تجمعون في القيامة بعد تفرقكم ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ﴾: بقدرته ﴿ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: لا بالشمس ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: صنعه فتعتبروا ﴿بَلْ قَالُوا۟﴾: أهل مكة ﴿مِثْلَ مَا قَالَ﴾: الكفار ﴿ٱلْأَوَّلُونَ ۝ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾: كما مر ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ﴾: تأخير هذا؛ لأن المقصود بالذكر هو المبعوث ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: ذلك ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾: لاعترافهم بأنه خالق لكل ﴿قُلْ﴾: بعد اعترافهم: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أن فاطر الكل قادر على إعادته ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾: بلا لام[٣] واضح، ومعها[٤] لاتحاد مَن رَبُّهما

---

(١) يعني في قوله: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾.

(٢) في (ن)، و(د): عظيم.

(٣) يعني: الله.

(٤) يعني: لله.

وَلمنْ هما معنى ﴿قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: عبادة غيره ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: نهاية ملكه ﴿وَهُوَ يُجِيرُ﴾: يحمي ﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾: يحمى عنه ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: ذلك ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى﴾: من أين ﴿تُسْحَرُونَ﴾: تخدعون حتى يخيل إليكم أن توحيده باطل؟ ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ﴾: من التوحيد وغيره ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾: بإنكاره ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾: أي: شريك في الألوهية، هذا تفصيل لبرهان مضى في الأنبياء[1] تقريره أن تعدده يستلزم إمكان التخالف بل وقوعه كما في الشاهد[2] ويشير إليه: ﴿وَلَعَلَا﴾ إلى آخره، وإمكان التخالف محال لاستلزمه أحد ثلاث محالات: إما إنجاح مرادهما وهو ما أشار إليه ﴿إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾: أي: يستبد بما يريد خلقه ولو خالف الآخر فيلزم اجتماع النقيضين وإما إنجاح أحدهما وعجز الآخر كما يشير إليه ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ وإما عجزهما، فلا يكون الإله إلها وأشار إلى بطلانه: ﴿سُبْحَانَ﴾ تنزيه ﴿اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾: مما لا يليق به ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾: دليل آخر على توحيده لتوافقهم بتفرده به، ولذا قال[3]: ﴿فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ قُلْ رَبِّ إِمَّا﴾: ما صلة ﴿تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ﴾: من العذاب، أي: إن كان لابد منه ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾: أي: قرينهم في العذاب، فإن شؤم الظالم قد يسرى إلى غيره ﴿وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ﴾: من العذاب ﴿لَقَادِرُونَ﴾: ونؤخره لحكم ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي﴾: بالخَصْلة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾: الخصال، وهو الصفح ﴿السَّيِّئَةَ﴾: سيئتهم من أذاك، نسخت بالسيف ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾: يصفونك به، فكل أمرهم إلينا ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ﴾: وساوس ﴿الشَّيَاطِينِ﴾: وأصلها النزغ كما مر ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾: في حال حتى غاية يصفون، أي: لا يزالون على سوء الذكر ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾: إلى الدنيا، الواو لتكرير ارجعني

---

(١) وهو برهان التمانُع.

(٢) كذا في جميع النسخ.

(٣) في (د): وكذا. وصححها في هامش (ن).

كما في «قفا [١]» وقيل: للتعظيم ﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا﴾: في الإيمان الذي ﴿تَرَكۡتُۚ﴾: في الدنيا ﴿كَلَّآۚ﴾: ردع عن طلبه ﴿إِنَّهَا﴾: أي: رب ارجعون - إلى آخره ﴿كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾: ولو ردوا لعادوا... إلى آخره، والكلمة طائفة تنتظم[٢] من الكلام[٣] ﴿وَمِن وَرَآئِهِم﴾: أمامهم ﴿بَرۡزَخٌ﴾: حاجز بينهم وبين الرجوع ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۞ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾: ثانية ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ﴾: تنفعهم ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾: ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ﴾... إلى آخره[٤] ﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾: لا يسأل بعضهم بعضا، ﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ﴾[٥]، وقوله: «فأقبل بعضهم» إلى آخره في موقف آخر، ومفهوم الحديث أن نسبه ﷺ وصهره[٦] ينفع، وأوّل[٧] بعض وفاقا للآية ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بالحسنات ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۞ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: بالسيئات، بينا في الأعراف ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾: بإبطال استعدادها ﴿فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۞ تَلۡفَحُ﴾: تحرق ﴿وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾: خصت[٨]؛ لأنها أشرف الأعضاء ﴿وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾: متقلصوا الشفاه، «شفاههم العليا إلى وسط الرأس، وتسترخي السفلى إلى السرة» [٩]، يقال لهم تقريعا ﴿أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۞ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا﴾: سوء عاقبتنا ﴿وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ﴾: عن الهدى ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا﴾: إلى التكذيب ﴿فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ

---

(١) يعني: قف، فعل أمر من الوقوف ا.هـ.

(٢) في (د): منتظمة.

(٣) بعضها مع بعض - أنوار التنزيل (٤٦٠) وهذا بإجماع النحاة، وانظر: مبحث الكلمة والكلام في كتب النحو.

(٤) سورة عبس.

(٥) سورة عبس.

(٦) لحديث «كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي» ورواه الطبراني (٣/ ٢٦٣٤)، الحاكم (٣/ ١٤٢)، والبيهقي (٧/ ١١٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٤٥٢٧) والصحيحة (٢٠٣٦).

(٧) في (ن): وأوّلهُ.

(٨) يعني الوجوه.

(٩) أخرجه الحاكم (٢/ ٣٩٤) والواحدي في الوسيط (٣/ ٢٩٨).

﴿ قَالَ ﴾ الله: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟﴾ اسكتوا سكوت هوان ﴿فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾: في رفع العذاب، ثم مالهم إلا زفير وشهيق وعواء ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۞ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا ﴾: هزوا، والياء للمبالغة ﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى ﴾: لشغلكم بالهزؤ بهم ﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ۞ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ ﴾: على أذاكم ﴿أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾: بمطالبهم ﴿ قَٰلَ ﴾: الله لأهل النار أو للفريقين: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾: إحْياءً ﴿عَدَدَ سِنِينَ ﴾: تمييز لكم ﴿ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾: نسوا للهول ﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴾: الحفظة ﴿ قَٰلَ إِن ﴾ ما ﴿لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ ﴾: على فرض ﴿أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾: مدة لبثكم ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا ﴾: عابثين لاعبين ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۞ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ﴾: من[1] العبث ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ﴾: الثابت ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾: الذي ينزل منه رحمته ﴿ وَمَن يَدْعُ ﴾ يعبد ﴿مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ ﴾: صفة كاشفة بلا مفهوم ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ﴾: فيجازيه ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۞ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ﴾ المؤمنين ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾: فتح السورة بفلاح المؤمن وختمها بعدم فلاح الكافر وطلب فلاح المؤمن[2].



---

(١) كذا في جميع النسخ.

(٢) في هامش (ن): بلغ مقابلة.



«سورة النور[1]»: مدنية[2]

لَمَّا ذكَر قَاطعَ الأنسابِ في الآخرة بقولِهِ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ﴾، ثم ذكر أهواله، أتبعه بقاطع النسب في الدنيا وأحكامه فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾: هذه ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾: وفرضنا أحكامها، وشدد مبالغة ﴿وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: تتعظون ﴿الزَّانِيَةُ﴾: قدمها؛ لأنها أصل الفجور وزناها أفحش ﴿وَالزَّانِي﴾: الغير المحصن، حكمهما فيما يتلى عليكم ﴿فَاجْلِدُوا﴾: اضربوا ﴿كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾: ضربة ثم يغرب عاما[3]، والمحصن يرجم والرقيق على نصف الحر ولا يرجم كل ذلك بالسنة، والمحصن هو الحر البالغ العاقل المصيب بنكاح صحيح، ولا يشترط الإسلام خلافا للحنفية؛ لرجمه ﷺ اليهوديين، وفي الجلد إشارة إلى أنه لا ينبغي أن يتجاوز الألم إلى اللحم على طريق الإدماج في إشارة النص ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾: رقة القلب ﴿فِي دِينِ

---

(١) كلماتها (١٣١٦) كلمة، وحروفها (٥٦٨٠) حرفا.

* الوجيز (٢٤٥)، بشير اليسر (١٣٦)، البيان (١٩٣)، البصائر (١/ ٣٣٤)، عدد سور القرآن (٣٢٧).

(٢) في (ن)، و(د): مكية.

* **قلت**: - **أبو الحسن** -: هذا خطأٌ فهي مدنية في الأقاويل كلها. ا.هـ.

(٣) اختلف الفقهاء في وجوب التغريب مع الجلد:

- فأوجبه الشافعي؛ لحديث عبادة بن الصامت وأبي هريرة وزيد بن خالد الجهني ولثبوته عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الله وأبي الدرداء - رضي الله - تعالى - عنهم.

- ومنعه أبو حنيفة وأصحابه؛ بناء على أصلهم من أن الزيادة على النص نسخ، والكتاب لا ينسخ بخبر الواحد، وبأن عمر - رضي الله - تعالى - عنه - نفي رجلا، وقال: لا أنفي بعدة ورد بأن عمر نفى في الخمر، ثم رأى أنه بدعة، فليس الخمر كالزنا.

- وقال مالك: يغرب الرجل دون المرأة؛ لأنها تعرض بالغربة لأكبر من الزنا؛ بناء على أهله من العمل بالمصالح المرسلة التي هي ضرب من الاستحسان.

* الأم (٦/ ١٣٣)، المهذب (٢/ ٢٦٧)، مغني المحتاج (٤/ ١٤٧)، المغني (٩/ ٤٥)، كشاف القناع (٦/ ٩١)، الهداية - للمرغيناني (٢/ ٩٩)، بدائع الصنائع (٧/ ٣٩)، الاستذكار (٧/ ٤٨٠)، بداية المجتهد (٢/ ٣٢٦)، القوانين الفقهية (٢٣٢، ٢٣٣).

﴿ٱللَّهِ﴾: بترك شيء من حده ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾: فإن المؤمن صلب في دينه ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا﴾: جلدهما ﴿طَآئِفَةٌ﴾: هي فرقة يمكن حَفها[١] حول شيء من الطوف، وأقلها ثلاثةٌ ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: للعبرة والتخجيل أو الدعاء بالغفران ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾: بَيَّن بالأُولى[٢] أنه[٣] لا يرغب في العفائف بل فيهما، وبالثانية أنهما[٤] لا ترغب فيهما الاعفاء بل الفسقة، فحصل التقابل ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ﴾: النكاح ﴿عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ نسخه[٥]، ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ﴾[٦]، وبعض السلف على بقاء بطلانه، وبعض على بقاء تحريمه، ويردهما الحديث[٧] وعن مالك كراهته بشرط الشهرة به ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ﴾: يقذفون بالزنا ﴿ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾: المسلمات الحرائر العاقلات: البالغات العفيفات، خصهن بخصوص[٨] الواقعة ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾: على رؤيتهم بما[٩] رموا ﴿فَٱجْلِدُوهُمْ﴾: كلا منهم ﴿ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً﴾: ضربة أخف من ضرب الزنا ﴿وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً﴾ في شيء ﴿أَبَدًا﴾: ولو قبل الجلد ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾: والقاذف بغير ما ذكر يعزر ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾: القذف ﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾: عملهم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾: لهم ﴿رَّحِيمٌ﴾: بهم الاستثناء راجع إلى الكل، ومن التوبة الاستسلام للحد والاستحلال، فلا يلزم سقوط الحد ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ﴾: بالزنا ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ﴾: عليه ﴿إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ﴾: فعليهم شهادة ﴿أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ

---

(١) كذا.

(٢) في (ع): في الأولى.

(٣) يعني الزّاني.

(٤) أي: الزّانية والمشركة.

(٥) المصفى بأكف أهل الرسوخ (٤٥)، ناسخ القرآن العزيز (٤٢)، قلائد المرجان (١٣٣).

(٦) سورة النور (٣٢).

(٧) ما روي أن رجلا قال: يا رسول الله! إن زوجتي لا تَرُدُّ يَدَ لامس، فقال له النبي ﷺ: «**طلقها**»، فقال له: إني أريدها فقال له: «**فأمسكها**». أخرجه النسائي (٣٤٦٥) والشافعي في مسنده (٢٨٩١) والبيهقي (٧/ ١٥٤)، والخطيب في الجامع (٢/ ٢٩٦).

(٨) في (ن): لخصوص.

(٩) في (ن)، و(د): لما.

لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾: فيه ﴿وَ﴾: الشهادة ﴿الْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾: فيه، وحينئذ يسقط حده ويتفارقان فسخًا عند الشافعي[1] وبتفريق الحاكم طلاقا عند الحنفية[2] ﴿وَيَدْرَؤُا۟﴾: يدفع ﴿عَنْهَا ٱلْعَذَابَ﴾: الحد ﴿أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ﴾: الزوج ﴿لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ فيه ﴿ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾: فيه، خصت بالغضب؛ لأنها أصل الفجور ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾: لعاجلكم بالعقوبة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾: في أم المؤمنين مع صفوان[3] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إذ باعدت في غزوة بنى المصطلق لقضاء الحاجة وانقطع عقدها فمكثت تلتمسه فرجعت وقد رحلوا وحملوا هَوْدجها على أنها فيه، فمر صفوان السهمي فأناخ لها بعيره وساقه حتى أتاهم بعد ما نزلوا والإفك أشد الكذب[4] ﴿عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ هي من عشرة إلى أربعين ﴿لَا تَحْسَبُوهُ﴾ إفكهم ﴿شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لثوابكم ونزول ثماني عشرة آية ببراءتكم ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم﴾ جزاء ﴿مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ﴾ مُعظمهُ ﴿مِنْهُمْ﴾ ابن أُبيّ لعنه الله ﴿لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الدارين ﴿لَّوْلَآ﴾ هلا ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ أيها المؤمنون ﴿ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ﴾ أي: بعضهم ببعض ﴿خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ وقالوا ﴿لَّوْلَا جَآءُو﴾ العصبة ﴿عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: في حكمه ﴿هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ﴾ عاجلا ﴿فِى مَآ أَفَضْتُمْ﴾ خضتم ﴿فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ يأخذه بعضكم من بعض ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم﴾ بلا فكر ﴿مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا﴾ بلا تبعة ﴿وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ وزرا ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ﴾ للتعجب، أو تنزيهك عن كون حبيبك كشخانا[5]، فإنه لا يجوز للتنفير، بخلاف كفرها ﴿هَٰذَا بُهْتَٰنٌ﴾

---

(١) ومالك - الحاوي (٨/ ١٥٩)، الجامع - للقرطبي (١٢/ ١٩٣)، الاستذكار (٦/ ٩٧)، بداية المجتهد (٢/ ٩٠، ٩١).

(٢) أحكام القرآن للجصاص (٥/ ١٥٠)، الهداية (٢/ ٤٢)، بدائع الصنائع (٣/ ٢٤٤).

(٣) ابن المعطل.

(٤) قد أفرد حادثة الإفك المقدسي بجزء.

(٥) الكشخان: الديوث - والعياذ بالله.

كذب ﴿عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ﴾ كراهة ﴿أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فاتعظوا ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ لتتعظوا ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بالأحوال ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبيره ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ﴾ تنتشر ﴿ٱلْفَٰحِشَةُ﴾ باللسان ﴿فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بالحدود ﴿وَٱلْأَخِرَةِ﴾ بالنار، دل على أن الرِّضا بالفسق وإرادته فسق ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾: سرائركم[١] ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: فعاقبوهم في الدنيا بحكم الظاهر ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: لعاجلكم بالعقوبة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: وساوسه ﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: فهو غاوٍ ﴿فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾: ما أفرط قبحه ﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾: ما أنكره الشرع ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾: بتوفيق التوبة وشرع الحدود ﴿مَا زَكَىٰ﴾: ما طهر من الذنب ﴿مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى﴾ يطهر ﴿مَن يَشَآءُ﴾: بتوفيق التوبة ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾: لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾: بنياتكم ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾: لا يحلف ﴿أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ﴾ دنيا ﴿وَٱلسَّعَةِ﴾: مالا ﴿أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: كالصديق رضي الله تعالى عنه، حلف أن لا ينفق على ابن خالته مسطح من فقراء المهاجرين لدخوله في الإفك، وكان ينفق عليه قبل ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ﴾: بالإغماض عنهم، ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: فقال الصديق: بلى[٢] أحبه وحلف أن لا ينزع نفقته منه أبدا[٣] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾: العفائف ﴿ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾: عما قذفن به ﴿ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ﴾: إن لم يتوبوا، وقيل: مخصوص[٤] في زوجاته عليه الصلاة والسلام ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: خصهن؛ لأن قذفهن أشنع ولخصوص المادة ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: قولا وفعلا ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ﴾ جزاءهم ﴿ٱلْحَقَّ﴾: الواجب عليهم

---

(١) في (د) كتبت في الهامش.

(٢) في (ن): بَلْ.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ٤٨٧، ٤٨٨/ ٤٧٥٧)، ومسلم (٤/ ٢١٣٧، ٢١٣٨/ ٥٨).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٥٥٦، ٢٥٥٧) والطبرى في الجامع (١٨/ ٣٨) والطبراني (٢٣/ ١٣١/ ٢٣٤) وسفيان في تفسيره (٧١٨، ٧١٩)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٣١٤) وسنده ضعيف.

﴿وَيَعْلَمُونَ﴾: عيانا ﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾: العدل ﴿ٱلْمُبِينُ﴾ [ذُو الحق البيّن] النساءُ أو[١] الكلمات ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ﴾: كعائشة[٢] ﴿لِلطَّيِّبِينَ﴾: كمحمد عليه الصلاة والسلام[٣] ﴿وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾: قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «ولقد خلقت طيبة عند طيب ووعدت مغفرة ورزقا كريما»[٤] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: النبي وعائشة وصفوان ﴿مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾: الخبيثون ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: في الجنة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾: التي تسكنونها ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ﴾: وتستأذنوا ﴿وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾: بقوله: السَّلام عليكم أدخل؟ ثلاثَ مرَّاتٍ، فإن لم يُؤْذن لهُ فليرجع ولو من بيت أُمِّهِ ﴿ذَٰلِكُمْ﴾: الاستئناس مع السلام ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: هناء لكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۞ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ﴾: في البيوت ﴿أَحَدًا﴾: يأذن لكم ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾: فإنه تصرف فيها بلا إذن صاحبها ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ﴾: ولا تلحُّوا ﴿هُوَ أَزْكَىٰ﴾: أطهر ﴿لَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾: فيجازيكم ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ﴾: منفعة ﴿لَّكُمْ﴾: كالربط[٥] والخانات[٦] ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾: من قصدكم بدخول بيوتهم ﴿قُل

---

(١) في (د): أبا.

(٢) على رغْمَ أنف الشيعة الفجرة.

(٣) في (ن): ﷺ.

(٤) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «لقد أعطيت ستًّا ما أعطيتها امرأة بعد مريم ابنة عمران: لقد نزل جبريل - عليه السلام - بصورتي في راحته حتى أمر رسول الله ﷺ أن يتزوجني، ولقد تزوجني بكرا وما تزوج بكرا غيري، ولقد قبض ورأسه ﷺ في حجري، ولقد قبرته في بيتي، ولقد حفت الملائكة بيتي، وإن كان الوحي ينزل عليه في أهله فيتفرقون عنه، وإن كان لينزل عليه وإني لمعه في لحافه، وإني لابنة خليفته وصديقه، ولقد نزل عذري من السماء، ولقد خلقت طيبة وعند طيب، ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما». أخرجه أبو يعلى (٨/ ٩٠، ٩١)، والطبراني (٢٣/ ٣٠/ ٧٦)، والآجري في الشريعة (٥/ ٢٣٦٦/ ١٨٤٧)، والحاكم (٤/ ١٠)، والأصبهاني في الحجة (١/ ٣٧٢/ ٣٦٩)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٣١٤، ٣١٥)، وقال الذهبي في السير (٢/ ١٤١): إسناده جيد.

(٥) جمع رباط وهو بناء للعبادة للصوفية.

(٦) جمع «خان» وهو النزل، والدكّان ونحوه.

﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا﴾: كما مر في ﴿قُل لِّعِبَادِيَ﴾[1] ﴿مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾: عما يحرم فيهما، أفهم بـ﴿مِنْ﴾ أن أمر النظر أوسع، وقدم النظر؛ لأنه بريد الزنا ﴿ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾: فليحـــــذروا ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾: كما مر ﴿وَلَا يُبْدِينَ﴾: يظهرن ﴿زِينَتَهُنَّ﴾: كالخلخال فكيف بمواضعها ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾: عند المهنة كالخاتم والثوب أو الوجه والكفان[2] ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ﴾: جمع الخمار المقنعة ﴿عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾: لستر[3] العُنُق والصَّدر ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾: المخفيـة ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾: أي: المؤمنات لا الكافرات ترك العم والخال؛ لأنهما في معنى الإخوان إشارة إلى أولوية التستر منهما مخافة وصفهما إياهما لأبنائهما ولا كذلك أبو[4] بعولتهن لمكان الولد ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾: ولو عبدا ﴿أَوِ التَّٰبِعِينَ﴾ لفضل طعام ﴿غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ﴾ الحاجة إلى النساء ﴿مِنَ الرِّجَالِ﴾: بأن لا ينتشر ذكرهم كالفاني[5] والممسوح، قيل: وكذا المجنون والأحمق وفي الخصى والمجبوب خلاف[6] ﴿أو﴾ جنس ﴿الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا﴾: يطلعوا ﴿عَلَىٰ عَوْرَٰتِ النِّسَآءِ﴾: لا يعرفون ما العورة، والطفل من لم يراهق الحلم ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ﴾: الأرض ﴿لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾: من تقعقع الخلخال وفي معناه: تطيبهن في الخروج فإنه يورث ميلهم ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا﴾: من فرطاتكم ﴿أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: هذه أكثر الآي ضميرا لجمعها خمسة

---

(١) سورة إبراهيم.

(٢) الوجه والكفان عورة للرجال الأجانب، بل المرأة كلها عورة؛ لقوله ﷺ: «**المرأة عورة**». أخرجه الترمذي (١١٧٣)، وابن خزيمة (١٦٨٥) وسنده صحيح.

(٣) في (ن): بسَتْر.

(٤) في (د) أبا.

(٥) يعني الشيخ الفاني الكبير.

(٦) الوسيط للغزالي (٥/ ٣٢، ٣٣)، المغني (٧/ ٧٩)، كشاف القناع (٥/ ١٢)، شرح منتهى الإرادات (٢/ ٦٢٥)، الحاوي الكبير (٢/ ١٧١).

وعشرين ضميرا ﴿وَأَنكِحُوا﴾: ندبا أيها السادة والأولياء ﴿ٱلْأَيَـٰمَىٰ﴾: جمع أيم[١]، العُزَّب[٢] ذكرًا كان أو أنثى ﴿مِنكُمْ﴾: من أحراركم ﴿وَٱلصَّـٰلِحِينَ﴾: للنكاح ﴿مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾: أفهم عدم استبدادهم[٣] بالنكاح ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ﴾: بالتزوج ﴿مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾: لخلقه ﴿عَلِيمٌ﴾: بهم، ووعده الغنى مشروط بالمشيئة لقوله: فسوف يغنيكم - إلى آخره، فلا ينافي: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ﴾ ليجتهد في العفة عن الحرام ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ أي: أسبابه ﴿حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾: فينكحون ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾: الكتابة ﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾: أمانة وقدرة على نجومها[٤] ﴿وَءَاتُوهُم﴾: أيها السادة وجوبا ﴿مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾: ما يعينهم على أدائها ولو بحط أقل متمول منها ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟﴾: كابن أبي[٥] ﴿فَتَيَـٰتِكُمْ﴾: إماءكم ﴿عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾: الزنا ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾: تعففا لا مفهوم له؛ لأنه شرط للإكراة إذ لا يوجد بدونه أو شرط للنهي ويرتفع بارتفاع المنهي عنه لأن الإكراه ممتنع وقت عدم إرادة التحصين، وأشار بإن إلى ندرة الإرادة ﴿لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ﴾: عليه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ﴾: لهن ﴿رَّحِيمٌ﴾: بهن، لعل الإكراه كان دون الحد الشرعي أولهم وبهم بعد التوبة ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ﴾: فيها الأحكام وبالكسر[٦] أي: للأحكام ﴿وَمَثَلًا﴾: كقصة أم المؤمنين (من) جنس أمثال ﴿ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ﴾ كمريم ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾: الصائرين إلى التقوى ﴿ٱللَّهُ نُورُ﴾: هو الظاهر بنفسه المظهر

---

(١) في (ن)، و(د): الآيمة.

(٢) من لا زوج لها جَمعُ عزب، يقالُ للرجل: عَزَب، وللمرأة: عَزَب، وعَزباء، ولا يقالُ: رجُلٌ أعْزَبُ، وأجازهُ بعضهم. اهـ.

(٣) استقلالهم.

(٤) أدائها وسدادها في وقتها.

(٥) لعنه الله فقد كان ديوثا يأكل من عَرق البَغَايا، وكان يقول لجارية له: اذهبي فابغينا شيئا - فنزلت.

* أخرجه مسلم (٣٠٢٩/ ٢٦) واسم هذه الجارية: مسكية، والبزار (٣/ ٦١/ ٢٢٣٩/ كشف) والطبراني (١١/ ٢٢٦، ٢٢٧/ ١١٧٤٧) وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٥٨٩).

(٦) كسر الياء.

لغيره، أي: موجد أي: منور ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: خصهما لما مر ﴿مَثَلُ﴾: صفة ﴿نُورِهِۦ﴾: العجيبة في قلب المؤمن وإضافته كوجود زيد، وقراءة أبي مثل نور المؤمن[1]، قيل: إشارة إلى مثل القرآن، وقيل: مثل القوة العاقلة[2]﴿كَمِشۡكَوٰةٖ﴾: كصفة كوة إشارة إلى فم المؤمن ولسانه على الأول أو القوة الحساسة على الثاني، إذ محلها ككوة وجهها إلى الظاهر لا تدرك غير المحسوس وتضيء بالمعقولات[3] ﴿فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ﴾: كالقرآن أو القوة العاقلة المضيئة بإدراك المعارف ﴿ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ﴾: كقلب المؤمن أو القوة الخيالية لقَبُولها صور المحسوسات من الجوانب وضبطها للأنوار العقلية ﴿ٱلزُّجَاجَةُ﴾: لإضاءتها بما تشتمل عليه من أنوار القرآن أو الأنوار العقلية ﴿كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ﴾: يضيء كالدرة وبالهمزة[4] دافع[5] للظلمات ﴿يُوقَدُ﴾: الزجاجة وبالياء[6]: المِصْبَاح ﴿مِن﴾: زيت ﴿شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ﴾: كالوحى أو المفكرة المؤلفة للمعقولات لإنتاج المجهولات المؤدية إلى ثمرات غير متناهية ﴿زَيۡتُونَةٖ﴾: بدل منها أي: مثمرة للزيت الذي هو مَادَّة المصابيح ﴿لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ﴾: مصونة من الحر والبرد المفرطين، فزيتها أضوأ إشارة إلى وقوعها بين الصور والمعاني لعلاقتهما مع الجانبين أو المراد ليست من زيتونة الدنيا التي إما شرقية وإما غربية وحينئذ تأويلها ظاهر ﴿يَكَادُ زَيۡتُهَا﴾: لفرط صفائها ﴿يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ﴾: كحجة القرآن

---

(١) الطبري (١٨/ ١٠٥)، البحر المحيط (٦/ ٤٥٥).

(٢) القوة العاقلة: قوة روحانية غير حالة في الجسم مستعملة للمفكرة وتسمى بالنور القدسي والحدس من لوامع أنواره. * تعريفات الجرجاني (١٨٨)، والتوقيف (٥٩٢).

(٣) المؤلف متأثر بالبيضاوي والدواني ونحوهما من المتكلمين كالفخر الرازي والقرآن الكريم ينبغي أن يصان عن هذه النظريات الجامدة العجيبة وانظر في تفسير هذه الآية: تفسير سورة النور لشيخ الإسلام ابن تيمية.

(٤) دُرِئ، ودِّرئ فقراءة الكسر لأبي عمرو والكسائي وعاصم اليزيدي والضم لحمزة وعاصم والمطوعي وشعبة والأعمش. * السبعة (٤٥٦)، غيث النفع (٣٠٣)، النشر (٢/ ٣٣٢).

(٥) بدَرْئها.

(٦) يشيرإلى قراءة: «تَوَقّدَ».

تتضح وإن لم يقرأ وكالقوة القدسية[1] المدركة لأسرار الملكوت تكاد تضيء بالمعارف بلا تعلم وتفكر ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾: لتضاعف نور المصباح بصفاء الزيت وزهرة القنديل وضبط المشكاة لأشعته كنور القرآن والدلائل العقلية والبصيرة وعلى الثاني واضح ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ﴾: هذا ﴿مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ﴾: يبين ﴿اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾: تقريبا لأفهامهم ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: ومنه ضرب الأمثال في متعلق يسبح «أو كمشكاة» ﴿فِي بُيُوتٍ﴾: هي المساجد، إذ مصابيحها أعظم أو تمثيل لأبدان المؤمنين ﴿أَذِنَ﴾: أمر ﴿اللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾: قدرا بتطهيرها عما لا يليق بها ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ﴾: ينزهه أو يصلي ﴿لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ﴾: الصبح ﴿وَالْآصَالِ﴾: العصر ﴿رِجَالٌ﴾: فاعل يسبح إن بني للفاعل وإلا فجواب مقدر ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ﴾: معاملة للربح ﴿وَلَا بَيْعٌ﴾: عمم بعدما خصص مبالغة ﴿عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَ﴾: عن ﴿إِقَامَ﴾: إقامة ﴿الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾: ومع ذلك ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ﴾: تضطرب ﴿فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾: خوفا وهو القيامة ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ﴾: جزاء ﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾: ما لم يخطر ببالهم ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ﴾: في الآخرة لكونها لاغية غير نافعة بخلاف حسبانهم ﴿كَسَرَابٍ﴾: هو شُعاع يتكيف فيتسرب ويجرى كالماء ﴿بِقِيعَةٍ﴾: أراضٍ مستوية، جمع قاع ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ﴾: العطشان ﴿مَاءً﴾: خص العطشان، لتشبيه الكافر به في شدة الحاجة إليه ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾: مما ظنه ﴿وَوَجَدَ اللَّهَ﴾: أي: عقابه ﴿عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾: مجازاته ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾: كما مر ﴿أَوْ﴾:أعمالهم في الدنيا لخلوها عن نور الحق ﴿كَظُلُمَاتٍ﴾: كظلمة حال اعتقاده ومصيره إلى ظلمة النار ﴿فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾: عميق ﴿يَغْشَاهُ﴾: يعلو البحر ﴿مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾: أي: أمواج متراكمة ﴿مِّن فَوْقِهِ﴾: أي: الموج الأخير ﴿سَحَابٌ﴾: مظلم، هذه ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ﴾: الناظر ﴿يَدَهُ﴾: فيها ﴿لَمْ يَكَدْ﴾: لم يقرب أن ﴿يَرَاهَا﴾: لتكاثف الظلمات فضلاً عن رؤيته ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا﴾: أي: لم يهده ﴿فَمَا

---

(١) عاد المؤلف لهذه الغرائب.

﴿لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾: أي: لم يهتد ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تعلم علما كالمشاهدة ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: حالا أو مقالا غلب فيه ذوي العقول ﴿وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ﴾: باسطات أجنحتهن[1]، خصها؛ لأنها حينئذ ليست فيهما ﴿كُلٌّ﴾: منهم ﴿قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ﴾: دعاءه ﴿وَتَسْبِيحَهُۥ﴾: أو الصلاة للبشر، والتسبيح لغيره إلهاما أو علم الله ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ۝ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾: مرجع الكل ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي﴾: يسوق قليلا قليلا ﴿سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ﴾ يجمع ﴿بَيْنَهُۥ﴾: بين قطعه ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا﴾: متراكما بعضه فوق بعض ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾ المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾: فَتَسوقه لانْعِصارها بالتَّراكم ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ﴾: جانب ﴿ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ﴾: غيم كالجبال ﴿فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾: بردا ﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ﴾: بالبرد ﴿مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ﴾: هذا لا ينافي قول القائل بأن أبخرته[2] بلغت الطبقة الباردة من الهواء، وقوي بردها تصير سحابا، فإن لم يشتد البرد تقاطر المطر، وإن اشتد فإن وصل إلى الأجزاء البخارية قبل اجتماعها ينزل ثلجا، وإلا فبردًا وأنه قد يبرد الهواء مفرطا فينعقد سحابا ينزل منه المطر أو الثلج، لكن عن ابن عباس: أن في السماء جبال برد ينزل منه[3]، وكأنه نظر إلى ظاهر الآية فأول بما أولت به ﴿يَكَادُ سَنَا﴾: ضوء ﴿بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾: فسبحان من يخرج الماء والنار والنور والظلمة من شيء واحد ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ﴾: يصرفه اختلافًا وتعاقبًا ﴿ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: التقليب ﴿لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾: البصائر ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾: أي: غالبا أو كما مر في الأنبياء[4]، وخصها بالذكر؛ لأنها أعجب ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي﴾: يزحف كالمشي ﴿عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾: كالحية، ذكر الضمير تغليبا للعقلاء، وأتى بـ﴿مَّن﴾ ليوافق التفصيل الجملة، وقدم ما هو أدل على القدرة ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾: ولو كان له أكثر فإنه إنما يعتمد على أربع ﴿يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ

---

(١) في (ن)، و(د): أجنحتها.

(٢) في (ن)، و(د): أبخرة.

(٣) الوسيط (٣/ ٣٢٤) ولابن أبي الدنيا كتاب سماه: «المطر والبرق والريح» مطبوع.

(٤) يعني: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾.

مُّبَيِّنَٰتٍ﴾: كما مر ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾: هدايته ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: الإسلام ﴿وَيَقُولُونَ﴾: المنافقون ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا﴾: لهما ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ﴾: عن الطاعة ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾: الاعتراف ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ﴾: الفريق ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾: ذكره تعظيما ﴿وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾: إن كان الحق عليهم مخافة الحكم بالحق كمنافق خاصم يهوديا فدعاه اليهودي إلى النبي، وهو دعاه إلى كعب بن الأشرف[1] ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾: منقادين لعلمهم أنه يحكم لهم ﴿أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: كفر ﴿أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ﴾: في نبوتك ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ﴾: في الحكم، لا ﴿بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: إضراب[2] عن التقسيم ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾: لهم أو عليهم ﴿أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: الناجون ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ﴾: بسوالف ذنوبه ﴿وَيَتَّقْهِ﴾: فيما بقي ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾: الظافرون ببغيتهم، ثم رجع إلى حال المنافقين فقال: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ﴾ أي: أغلظ ﴿أَيْمَٰنِهِمْ﴾: كما مر ﴿لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ﴾: بالجهاد ﴿لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُواْ﴾: كذبا، طاعتكم ﴿طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾: أنها قول بلا عمل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾: يتولوا ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ﴾: على الرسول ﴿مَا حُمِّلَ﴾: من التبليغ ﴿وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾: من القبول ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾: التبليغ ﴿ٱلْمُبِينُ﴾: الموضح ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: بدلا من الكفار ﴿كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: كبني إسرائيل بدلا من الجبابرة[3] ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ﴾: بالأحكام ﴿دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ﴾: من أعدائهم ﴿أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾: استئناف كتعليل ﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾: الإنعام به ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾: الكاملون في

---

(١) أنوار التنزيل (٤٧٢).

(٢) في قوله: «بَلْ».

(٣) يعني العمالقة.

الفسق، أول من كفر به قتلة عثمان[١] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: عطف على أطيعوا الله ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾: كرره تأكيدا أو ليعلق به ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: راجين الرحمة ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ﴾: لنا في إدراكهم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾: النار ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾: أرقاؤكم ﴿وَ﴾: الأحرار ﴿ٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ﴾: البلوغ ﴿مِنكُمْ﴾: هذا أمر للأولياء بتأديبهم ﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ﴾ في ثلاثة أوقات ﴿مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ﴾: وقت طرح ثياب النوم ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم﴾: للقيلولة ﴿مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾: بيان للحين ﴿وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ﴾: وقت طرح ثياب اليقظة،هي ﴿ثَلَٰثُ﴾: أوقات ﴿عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ﴾: اختلالات لستركم، ونصب بدلا من ثلاث ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ﴾: بعد الثلاثة في ترك الاستئذان، وهذا لا ينافي الاستئذان فينسخها[٢]، هم ﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم﴾: للخدمة ﴿بَعْضُكُمْ﴾: طائف ﴿عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: في الحوائج[٣] فيغتفر فيهم مالا يغتفر في غيرهم ﴿كَذَٰلِكَ﴾: التبيين ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بأحوالكم ﴿حَكِيمٌ﴾: فيما أمركم ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ﴾: أيها الأحرار ﴿ٱلْحُلُمَ﴾: البلوغ ﴿فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟﴾: كل الأوقات، ولو على الأبوين ﴿كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ﴾: بلغوا ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾: أي: الرجال الأحرار ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: كرره تأكيدا ﴿وَ﴾: العجائز ﴿ٱلْقَوَٰعِدُ﴾: عن الحيض والحبل ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾: لكبرهن ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ﴾: في ﴿أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾: الظاهرة كالجلباب ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ﴾: أي: مظهراتها ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ﴾: فلا يضعنها ﴿خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾: لمقالتهن للرجال ﴿عَلِيمٌ﴾: بنياتهن[٤] ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾: في مؤاكلة

---

(١) الوسيط (٣/ ٣٢٧).

(٢) قلائد المرجان (١٣٧)، وقال أكثر الفقهاء: حكم هذه الآية باق لم ينسخ ولم يزل.

وقال الشعبي: ليست هذه الآية منسوخة، فقيل له: إن الناس لا يعملون بها، فقال: الله المستعان.

* الجامع - للقرطبي (١٢/ ٣٠٣)، المصنف لابن أبي شيبة (١٧٦١٤).

(٣) في (د): للحوائج.

(٤) في (د): بنياتهم.

مقابليهم، أو في أكلهم من بيت من يدفع إليهم مفتاحه عند خروجه إلى الغزو ويبيحه لهم أو في إجابة من يدعوهم إلى بيت أقاربهم المذكورين ليطعموهم ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾: التي فيها عيالكم، فدخل بيت الأولاد، وورد: «أنت ومالك لأبيك»[1] ﴿أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾: أي: خزنتموه لغيركم كالراعي والناظور مما يحفظانه أو بيوت[2] المماليك وهو القيم[3] من مال اليتيم بشروطه ﴿أَوْ﴾: بيوت ﴿صَدِيقِكُمْ﴾: من صدقكم في مودته ولو في غيبة هؤلاء بشرط العلم برضاهم ولو بقرينة فما دل على عدم قطع سارق مال المحرم ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُواْ جَمِيعًا﴾: مجتمعين ﴿أَوْ أَشْتَاتًا﴾: متفرقين، كانوا يتحرجون من أكل الرجل وحده ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا﴾: منها ﴿فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾: أي: أهلها الذين هم منكم دينا أو بيوتا خالية تقول: السلام علينا الخ ﴿تَحِيَّةً﴾: مشروعة ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾: تطيب للمستمع ﴿كَذَٰلِكَ﴾: التبيين ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾: معالم دينكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: تفهمونه ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ من صميم قلوبهم ﴿وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ﴾: مع الرسول ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾: كالجمعة والعيد والشورى والحرب ﴿لَّمْ يَذْهَبُواْ﴾: عن محضره ﴿حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾: فيأذن لهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: من صميم قلوبهم ﴿فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾: أمرهم ﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾: دل على أن بعض الأحكام مفوض إلى رأيه ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ﴾: إذ ربما يستأذنوا تقديما للدنيا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾: لهم

---

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه (٢/ ٢٢٩١)، والطبراني (٧/ ٦٩٦١) و (١٠/ ١٠٠١٩)، وابن حبان (١/ ٣١٦)، (٦/ ٢٢٧/ إحسان) وأبو يعلى (١٠/ ٥٧٣١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ١٤٨٦)، والإرواء (٨٣٨).

(٢) في (ن): أو ينوب المالك.

(٣) في (ن): المقيم في.

﴿رَّحِيمٌ﴾: بهم ﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾: في تجويز المساهلة في الجواب ولو في الصلاة، ولا تنادوه باسمه الشريف بل بلقبه المنيف[1] ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ﴾: ينصرفون عن الجماعة قليلا قليلا خفية ﴿لِوَاذًا﴾: ملاوذين يستتر بعضهم ببعض من محمد ﷺ[2] ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ﴾: يُعْرِضون[3] ﴿عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾: في الدنيا ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: في الآخرة، دَلَّ على أن الأمر للوجوب؛ لأنَّ مخالفته مقتضية لأحد العذابين ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾: من الإيمان والنفاق، وأفاد بـ﴿قَدْ﴾ تأكيد الوعيد ﴿وَ﴾: يعلم ﴿يَوْمَ يُرْجَعُونَ﴾: المنافقون ﴿إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ﴾: بالجزاء ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌۢ﴾: ومنه أعمالهم- واللهُ أعلمُ بالصّواب وإليْهِ المرجعُ والمآب.



---

(١) العالي القدر.

(٢) في (ن): عليه أفضَلُ الصَّلاة والسَّلام.

(٣) في (د): معرضين.



«سورة الفرقان[١]»: مكية[٢]

لمَّا أمَرَ بتعظيم الرَّسول بقولِه: ﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ﴾، افتتح السورة بما ينبئ عن كمال تكريمه فقال: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ تَبَارَكَ﴾: تكاثر خيرا أو تعالى أو دام ﴿ٱلَّذِي نَزَّلَ﴾: منجما ﴿ٱلۡفُرۡقَانَ﴾: القرآن الفارق بين الحق والباطل، أو المنزل مفرقا ﴿عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ﴾: العبد ﴿لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾: منذرا ﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ﴾: كما مر ﴿وَخَلَقَ﴾: أحدث ﴿كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ﴾: هيأه لما أراد منه أو سواه ﴿تَقۡدِيرٗا ۞ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ﴾: الأصنام ﴿لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا﴾: أي: دفعه[٣] ﴿وَلَا نَفۡعٗا﴾: أي: جلبه ﴿وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا﴾: إماتة ﴿وَلَا حَيَوٰةٗ﴾: إحياء ﴿وَلَا نُشُورٗا﴾: إحياء بعد موت ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ﴾ ما ﴿هَٰذَآ﴾ القرآن ﴿إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ﴾: محمد ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَ﴾: كما مر ﴿فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا﴾: افتراء ﴿وَقَالُوٓاْ﴾: هذا ﴿أَسَٰطِيرُ﴾: أكاذيب ﴿ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا﴾: انتسخها بغيره ﴿فَهِيَ﴾: الأساطير ﴿تُمۡلَىٰ﴾: تقرأ ﴿عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾: أي: دائما فإنه أمي لا يكرره من الكتاب ﴿قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: خصها لما مر ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا﴾: للمؤمنين ﴿رَّحِيمٗا﴾: بهم ﴿وَقَالُواْ﴾: تهكما ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾: فليس بملك ولا ملك ﴿لَوۡلَآ﴾: هلا ﴿أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ﴾: نراه ﴿فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾: يصدقه ﴿أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ﴾: يغنيه ﴿أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ﴾: بستان ﴿يَأۡكُلُ مِنۡهَا﴾: هذا على سبيل التنزل ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: أي: قالوا للمؤمنين ﴿إِن﴾: ما ﴿تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا﴾: سحر فغلب على عقله ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَٰلَ﴾: أي: المذكور ﴿فَضَلُّواْ﴾: عن الحق ﴿فَلَا

---

(١) كلماتها (٨٩٢) كلمة، وحروفها (٣٧٨٣) حرفا.

* البصائر (١/ ٣٤٠)، عدد سور القرآن (٣٣١)، الوجيز (٢٤٧).

(٢) ساقطة كلها من (د).

(٣) في (د): رفعه.

يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾: إليه ﴿ تَبَارَكَ ﴾: تكاثر خيره [١] ﴿ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾: الذي قالوا في الدنيا، ولكنه أخره إلى العقبي لأنها أبقى ﴿جَنَّٰتٍ﴾: بدل من خيرا ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ۞ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ﴾: القيامة ولذا يكذبونك ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾: نارا شديدة ﴿إِذَا رَأَتْهُم﴾: بعينها كما في الحديث[٢] ﴿مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾: مسيرة خمسمائة سنة[٣] ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا﴾: غليانا كما للغضبان[٤] ﴿وَزَفِيرًا﴾: هو صوت يسمع من جوف المغتاظ عند شدته ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا﴾: حال من ﴿مَكَانًا ضَيِّقًا﴾: كالوتد في الحائط ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾: قرنت أيديهم إلى أعناقهم بالسلاسل ﴿دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾: هلاكا، فيقال لهم: ﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا﴾: أي: مرة ﴿وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾: لدوام عذابكم ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ﴾ العذابُ ﴿خَيْرٌ﴾: ﴿أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾: أي: بين لهم جزاء ولغيرهم برضاهم تفضل، أو المراد: المتقون عن الكفر ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً﴾: على أعمالهم ﴿وَمَصِيرًا﴾: مرجعا ﴿ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ كَانَ﴾ ما يشاءون ﴿عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا﴾ بقولهم: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا﴾[٥]- إلى آخره[٦] بقول[٧] الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ﴾ إلى آخره ﴿وَ﴾: اذكر ﴿يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: من ذوي العقول، جاء بها تحقيرا ﴿فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾: بأنفسهم ﴿ قَالُوا۟﴾: تعجبا ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾: عن الشريك ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾: فكيف نأمر بعبادتنا ﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ﴾: بالنعم ﴿حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾: أي: ذكرك لانهماكهم في الشهوات،

---

(١) في (ن)، و(د): خيرا.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٦٧/ ١٤٩٩٩) وسنده ضعيف، لكن صَحّت أحاديثُ أخرى بهذا المعنى كحديث: «**يخرج عُنقٌ من النّار**».

(٣) الوسيط (٣/ ٣٣٥) وفيه: مائة سنة.

(٤) في (د): في الغضبان. قلت: يشير إلى قوله تعالى: ﴿تكاد تميز من الغيظ﴾.

(٥) سورة آل عمران.

(٦) في (ن): إلخ.

(٧) في (د): تقول.

حاصله: أنت حملتهم عليه حتى اكتسبوا، فهو حجة لنا لا للمعتزلة ﴿وَكَانُواْ قَوْمًا بُورًا﴾: هالكين أو فاسدين فيقول تعالى للكفار: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم﴾: آلهتكم ﴿بِمَا﴾: أي: فيما ﴿تَقُولُونَ﴾: يعني هؤلاء أضلونا وبالغيبة يعني: سبحانك - إلى آخره ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا﴾: للعذاب أو حيلة ﴿وَلَا نَصْرًا﴾: لكم ﴿وَمَن يَظْلِم﴾: يشرك ﴿مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ﴾: رسولا ﴿مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا﴾: والحال ﴿إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾: رد لقولهم ما لهذا إلى آخره ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ﴾: أيها الناس ﴿لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾: امتحانا كالفقير والصحيح والشريف بمقابليهم والنبي بأمته فيقول المقابل: مالي لست كالآخر ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾: على هذه الفتنة؟ أي: اصبروا ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾: بكم ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ﴾: لا يأملون ﴿لِقَاءَنَا﴾: البعث ﴿لَوْلَا﴾: هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ﴾: رسلا ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾: فنصدقك ﴿لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي﴾: شأن ﴿أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ﴾: طغوا ﴿عُتُوًّا كَبِيرًا﴾: لطلبهم ما لم يحصل إلا لآحاد الأنبياء، اذكر ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ﴾: ملائكة الموت أو العذاب ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾: أي: لهم ﴿وَيَقُولُونَ﴾: كعادتهم عند لقاء عدو أو شدة ﴿حِجْرًا﴾: عوذا ﴿مَّحْجُورًا﴾: تقديره: اسأل الله حجرا محجورا، أي: معاذا، وصف به للتأكيد أي: يعوذون من الملائكة مع طلبهم الآن ﴿وَقَدِمْنَا﴾: قصدنا ﴿إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾: كصلة ونحوها ﴿فَجَعَلْنَاهُ﴾: في التحقير وعدم النفع ﴿هَبَاءً﴾: كغبار يرى في الكوى التي عليها الشمس ﴿مَّنثُورًا﴾: بحيث لا يمكن نظمه ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ﴾: مطلقًا أو من مترفيهم في الدنيا ﴿مُّسْتَقَرًّا﴾: موضع قرار ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾: مكان استراحة، إذ القيلولة استراحة نصف النهار ولو بلا نوم وفيه إشعار بانقضاء حسابهم في نصف نهار كما ورد[1] ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ﴾: تنشق ﴿السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ﴾: بسبب طلوعه

---

(١) أخرجه ابن حبان (٢٥٨٧) وسنده حسن.

وقال ابن مسعود: لا ينتصف النهار من ذلك اليوم حتى يقيل هؤلاء وهؤلاء، ثم قرأ: ﴿**أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا**﴾، وقرأ: ﴿ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم﴾. رواه الحاكم (٢/ ٤٠٢) وصححه ووافقه الذهبي.

منها كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾[١]... إلى آخره ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: في الغمام، بصحائف الأعمال ﴿تَنزِيلًا ۞ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾: الثابت ﴿لِلرَّحْمَٰنِ﴾ ولا نزاع له ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾: وأخف على بعض المؤمنين من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا[٢] ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ﴾: كعقبة ابن أبي معيط، أسلم ثم ارتد بالتماس صديقه أبي بن خلف[٣] ﴿عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾: تحسرا ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾: إلى الهدى ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ﴾: كما مر ﴿لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا﴾: كناية[٤] عن علم، وقيل: عن نكرة عني به: أبي بن خلف ﴿خَلِيلًا ۞ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ﴾ القرآن ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: أي: الخل المضل للإنسان ﴿خَذُولًا﴾: تاركا لعونه[٥] عند البلاء ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ﴾: يومئذ ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى﴾: قريشا ﴿ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾: متروكا هذرا[٦] أو لغوا فيه، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: كجعل قومك عدوك ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: فاصبر مثلهم ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾: فلا تبال[٧] بهم ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا﴾: هلا ﴿نُزِّلَ﴾: أنزل ﴿عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً﴾: دفعة ﴿وَٰحِدَةً﴾: كالكتب الباقية، قال تعالى: نزلناه ﴿كَذَٰلِكَ﴾: مفرقا ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾: فتحفظه شيئا فشيئا أو ليقوي قلبك بعجزهم[٨] عن معارضة بعضه ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾: فصلناه على مهل تفصيلا بحسب الوقائع ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾: بسؤال عجيب

---

(١) سورة البقرة.

(٢) عن أبي سعيد الخدري قال: سئل رسول الله ﷺ عن يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ما أطول هذا اليوم؟! قال: «والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصليها في الدنيا». أخرجه أحمد (٣/ ٩٣/ ١١٧٢٣)، والبيهقي في الشعب (١/ ٣٢٤) وسنده مقبول.

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٥/ ٣٥٥، ٣٥٧/ ٩٧٣١)، وفي التفسير (٢/ ٦٨، ٦٩) والطبري (٢/ ٦٨)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٨٦/ ١٥١٠٦) وسنده ضعيف.

(٤) يعني كلمة «فُلان».

(٥) في (ن)، و(د): لمعونته.

(٦) في (ن): هذيانًا.

(٧) كذا.

(٨) في (ن)، و(د): لعجزهم.

في إبطالك ﴿إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾: الدافع له ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾: بيانًا منه ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ﴾: مسحوبين ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾: كما مر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾: منزلًا أو منزلةً ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ هذا كخير مستقرًا ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: الألواح، قبل التوراة إذ نزولها بعد غرق فرعون ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا﴾: معينا ﴿فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: فذهبا، فكذبوهما ﴿فَدَمَّرْنَٰهُمْ﴾: استأصلناهم ﴿تَدْمِيرًا ۞ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ﴾: نوحا ومن قبله ﴿أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ﴾: بعدهم ﴿ءَايَةً﴾: عبرة ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾: أي: لهم ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾: في الآخرة ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾: البئر الغير المطوية، كانوا عبدة الأصنام[1] فبعث إليهم شعيب فكذبوه، فبينما هم كانوا حول البئر انهارت بهم وبمنازلهم[2] ﴿وَقُرُونًا﴾: أهل أعصار ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: المذكورين ﴿كَثِيرًا ۞ وَكُلًّا ضَرَبْنَا﴾: بينا ﴿لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾، القصص العجيبة ليعتبروا: ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا﴾: فتنا[3] ﴿تَتْبِيرًا ۞ وَلَقَدْ أَتَوْاْ﴾: قريش في طريق الشام ﴿عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ﴾: أي: قوم لوط ﴿أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا﴾: فيعتبروا ﴿بَلْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾: فلذا[4] ما اتعظوا ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن﴾: ما ﴿يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾: مهزوءا به قائلين ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ۞ إِن﴾: إنه ﴿كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾: فيصرفنا ﴿عَنْ﴾ عبادة ﴿عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾: لصرفنا عنها، قال تعالى: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾: من الفريقين ﴿أَرَءَيْتَ﴾: أخبرني ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ﴾: قدمه اهتمامًا ﴿هَوَىٰهُ﴾: بالطاعة[5] ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾: حفيظا عن الشرك ﴿أَمْ﴾: بل أ ﴿تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾: الحق ﴿أَوْ يَعْقِلُونَ﴾: خصه لمكابرة بعضهم ﴿إِنْ﴾:

---

(١) كذا في النسختين ولعلها: أصنام.

(٢) تفسير الوسيط للواحدي (٣/ ٣٤١)، تفسير الطبري (١٩/ ١١).

(٣) في (د): فتناه.

(٤) في (د): فكذا.

(٥) في (د): بإطاعته.

ما ﴿هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَٰمِ﴾: في عدم التدبير[١] ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾: لأنها تنقاد بتعهدها ويتميز المحسن من المسئ وما لها إضلال ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ﴾: صنع ﴿رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ﴾: بسط ﴿ٱلظِّلَّ﴾: بين طلوع الفجر والشمس وهو أطيب الأحوال لاعتداله، فإن الظلمة الصرف تنفر، وشعاع الشمس يسخن ويحير البصر ﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾: ثابتا، أي: بإبطال حركة الشمس ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾: إذ لا يحصل إلا بوقوع ضوئها على بعض الأجرام، والظل لا يسمى ظلا إذا لم يدرك أطرافه، بل ظلاما ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا﴾: أزلناه[٢] بإيقاع[٣] الشمس موقعه ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾: قليلا قليلا، لبطء حركة الظل قرب نصف النهار، والظل مخصوص بالقبض كما أن الفيء مخصوص بالبسط، وأضاف إلى نفسه؛ لأن غاية قصره بوصول الشمس إلى غاية جِهَة منها: نزول الرحمة، وإليها ترفع أيدي السائلين وثم وثم لتفاضل الأمور ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾: ساترا كاللباس ﴿وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا﴾: موتا أوراحة ﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾: ذا نشور ينشر فيه الخلق ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾: المطر[٤]، كما مرَّ في الأعْراف ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾: هو اسم ما يتطهر به[٥] كالوضوء والوقود، أو صيغة مبالغة، ولما لم تكن الطهارة في نفسها قابلة للزيادة رجع المبالغة فيها إلى انضمام معنى التطهير إليها لا أن اللازم صار متعديا ومَنَّ به؛ لأنه أغنى للشارب ﴿لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾: تذكيره باعتبار الموضع ﴿وَنُسْقِيَهُۥ﴾: الماء ﴿مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا﴾: خصها لأنها ذخيرتنا، ومدار معاش أكثر البدوِ المخاطبين ولذا قدمها على ﴿وَأَنَاسِىَّ﴾: جمع إنسان أو إنسي ﴿كَثِيرًا﴾ وقدم الإثنين؛ لأن حياة الإنس بحياتهما ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ﴾: القرآن أو المطر ﴿بَيْنَهُمْ﴾: فإنه ما عام بأمطر من عام، ولكن الله يصرفه

---

(١) كذا في جميع النسخ. * وانظر: أنوار التنزيل (٤٨١).

(٢) في (ن): أنزلناه.

(٣) في (ن)، و(د): بارتفاع.

(٤) سقطت من (ن).

(٥) ليست في (د)، وهي في هامش (ن).

من بلدة(١) العصاة إلى غيره»(٢) ﴿لِيَذَّكَّرُواْ﴾: ليتعظوا ﴿فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا﴾: كفرا للنعم ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرٗا﴾: ولكن قصر الأمر عليك تعظيما لك ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: في هواهم ﴿وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ﴾: بالقرآن ﴿جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾: فإن جهاد السفهاء بالحجة أكبر(٣) من الجهاد بالسيف ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ﴾: أي: خلا ﴿ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾: متلاصقين بلا مرج ﴿هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ﴾: بليغ العذوبة ﴿وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞ﴾: بليغ الملوحة كدجلة والنيل يشقان البحر فراسخ ﴿وَجَعَلَ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٗا﴾: حاجزا من قدرته ﴿وَحِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا﴾: محدودا للتأكيد كموت مائت(٤) ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ﴾: النطفة ﴿بَشَرٗا﴾: من قدرته ﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا﴾: ذا نسب إليه كبني فلان ﴿وَصِهۡرٗا﴾: إناثا يُصاهرُ بهنَّ ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرٗا﴾: على ما يشاء ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمۡ﴾: بعبادته ﴿وَلَا يَضُرُّهُمۡ﴾: بتركها ﴿وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرٗا﴾: للشيطان ومعينا له أو عنده مهينا ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾: على التبليغ ﴿مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا﴾: فعل ﴿مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا﴾: بالطاعة، جعله أجرا من حيث إنه مقصوده والظاهر: أن طاعتنا تنفعه - ﷺ - والله تعالى أعلم أو بمعنى «لكن» ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾: في استكفاء شرهم ﴿وَسَبِّحۡ﴾: نزهه عن النقائص ملتبسا ﴿بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ۝ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾: كما مر ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾: خبر الذي ﴿فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ﴾: عما دل(٥) من الخلق وغيره ﴿خَبِيرٗا﴾: وهو الله ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾: لأنهم ما كانوا يطلقونه عليه تعالى ﴿أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا﴾: ولا نعرفه ﴿وَزَادَهُمۡ﴾: الأمر بالسجود(٦) ﴿نُفُورٗا

---

(١) في (د) بلد.

(٢) أخرجه ابن جرير (١٩/ ١٥)، والحاكم (٢/ ٤٠٣) موقونا والعقيلي (٣/ ٢٢٨) مرفوعا - وكلاهما - المرفوع والموقوف ضعيفان.

(٣) بل الجهاد بالنفس أعلى وهو ذروة سنام الإسلام.

(٤) ويومٌ أيْوم، وليلة ليلاء.

(٥) في (ن)، و(د): ذكر.

(٦) في (ن)، و(د): بسجوده.

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾: اثني عشر منازل السبعة السيارة ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا﴾: الشمس وسرجا الكواكب الكبار ﴿وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾: بالليل ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾: ذوي خلفة إذا مضى أحدهما تبعه الآخر، أو خلف كل منهما الآخر ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾: فمن فاته ورد أحدهما تداركه في الآخر، أو يتفكر فيه ﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾: على نعمه[١] ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: مبتدأ خبره: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ﴾... إلى آخره[٢] ﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾: هينين تواضعا ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ﴾: السفهاء بمكروه ﴿قَالُواْ سَلَٰمًا﴾: متاركة[٣] أي: تسلُّما منكم، والسنة أن يقول: سلام ولم يكرر الموصول؛ لأنه تتمة التواضع ولا ينافيه آية القتال فتنسخه، خلافا لأبي العالية ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ﴾: بإحياء أكثر الليل ﴿سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾: مصلين وعبادة الليل أخفى[٤] وأخلص، والبيتوتة إدراك الليل نمت أولا[٥] ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾: هلاكا أو لازما ﴿إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾: هي ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ﴾: بتبذير ﴿وَلَمْ يَقْتُرُواْ﴾: بتضييق أو إمساك في الطاعة ﴿وَكَانَ﴾: إنفاقهم ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ بينهما ﴿قَوَامًا﴾: عدلا ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾: قتلها ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ﴾: واحدا[٦] من ﴿ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾: جزاء إثم[٧] أو واديا في جهنم ﴿يُضَٰعَفْ﴾: بالجزم بدل من يلق ورفعه ظاهر ﴿لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: لضمه المعصية إلى الكفر ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ۝ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾: بمحوها وإثباتها مكانها بحيث يرجو إن كان سيئاته أكثر ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝ وَمَن

---

(١) في (ن): النعمة.

(٢) في (ن): إلخ.

(٣) سبق بيانه في سورة مريم: ﴿قال سلام عليك﴾.

(٤) في (ن)، و(د): أحمزُ.

(٥) في (ن)، و(د): أم.

(٦) في (ن)، و(د) واحدة.

(٧) في (ن)، و(د): إثمه.

تاب وعمل صالحا فإنه يتوب ﴾: يرجع ﴿إلى الله متابا ﴾: مرجعا مرضيا ﴿ والذين لا يشهدون الزور ﴾: الشهادة الباطلة أو لا يحضرون مجلس الكذب ﴿وإذا مروا باللغو ﴾: القبيح من كل شيء ﴿مروا كراما ﴾: من الكرام المعرضين ﴿والذين إذا ذكروا بآيات ربهم ﴾: القرآن ﴿لم يخروا ﴾ يقعوا ﴿عليها صما وعميانا ﴾: بل خرُّوا واعين متبصرين ﴿ والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذريتنا[1] قرة أعين ﴾: لنا كما مرَّ بأن نراهم في طاعتك ﴿واجعلنا للمتقين إماما ﴾ في الخير وحده بإرادة الجنس أو للمصدرية أو جمع إمام ﴿ أولئك يجزون الغرفة ﴾: الدَّرجة العالية بالجنة ﴿بما صبروا ﴾: على الطاعة ﴿ويلقون فيها ﴾: في الغرفة ﴿تحية ﴾: من الملائكة ﴿وسلاما ﴾: من الله ﴿ خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما ﴾ ﴿ قل ما يعبأ ﴾: يصنع أو لا يعتدُّ ﴿بكم ربي لولا دعاؤكم ﴾: عبادتكم فإن شرفكم بها ﴿فقد كذبتم ﴾: بما أخبرتم حيث خالفتموه ﴿فسوف يكون ﴾: جزاءُ التَّكذيبِ ﴿لزاما ﴾: لازما لكم، والله تعالى أعلم بالصّواب.



---

(١) في هامش (ن): وذرِّياتنا: حفص.

«سورة الشعراء[١]» مكية، إلا ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ﴾ إلى آخر السورة

لما أوعد المكذبين أتبعه بنهي رسوله عن الضَّجر بتكذيبهم، ثم بَيَّن سُوْءَ عاقبة المكذبين فقال: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ طسٓمٓ﴾: كما مر ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ﴾: السورة أو القرآن آيات ﴿ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾: الظاهر إعجازه ﴿لَعَلَّكَ﴾: أشفق أنك ﴿بَٰخِعٞ﴾: قاتل ﴿نَّفۡسَكَ﴾: خيفة ﴿أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ۞ إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ﴾: ملجئة إلى الإيمان ﴿فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ﴾: أفواجهم أو رؤساؤهم، يقال: جاءني عنق من الناس: أي: فوج منهم، أو مُقْحَمٌ[٢] أي: فظلوا ﴿لَهَا خَٰضِعِينَ﴾: فيؤمنون ﴿وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ﴾: قرآن[٣] ﴿مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ﴾: إنزاله ﴿إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ فَقَدۡ كَذَّبُواْ﴾: به بحيث أدى بهم إلى الاستهزاء به ﴿فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾: عند حلول العذاب ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى﴾: عجائب ﴿ٱلۡأَرۡضِ كَمۡ أَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ﴾: صنف ﴿كَرِيمٍ﴾: كثير النفع إذ ما من نبت إلا وله نفع[٤] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: الإنبات ﴿لَأٓيَةٗ﴾: على كمال قدرتنا ﴿وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ﴾: في علمنا، فلا ينفعهم ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾: في الانتقام ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: بالمؤمنين ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ﴾: بأن ﴿ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ﴾: استئناف للتَّعجب من إفراط ظلمهم، اعلم[٥] أن تكرار هذه القصص لتأكيد التحدي، ولذا سمي القرآن مثاني أو لتسلية النبي ﷺ وتحسير الكفار حالا بعد حال على أن الائمة بينوا أن لكل منها فائدة مختصة، وأما أكثرية قصة موسى[٦] فلأنه في إقامة الحجج

---

(١) كلماتها (١٢٧٧) كلمة وحروفها (٥٥٤٢) حرفا.

* البصائر (١/ ٣٤٤)، البيان (١٩٦)، الوجيز (٢٥٠)، عدد سور القرآن (٣٣٥).

(٢) يعني قوله: «أعناقهم».

(٣) في (ن): القرآن.

(٤) عَلمنا ذلك أو جَهلناه.

(٥) في (ن): واعلم.

(٦) فهو أكثر الأنبياء ذكرا في القرآن.

وإظهار المعجزات، وإصرار قومه أنسب[1] إلى محمد صلى الله عليها وسلم ﴿قَالَ﴾: طلبا للمعونة: ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ۝ وَيَضِيقُ صَدۡرِي﴾: انفعالا عنه ﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ﴾: جبريل ﴿إِلَىٰ هَٰرُونَ﴾: معي ﴿وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ﴾: قصاص كما مر ﴿فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ﴾: به ﴿قَالَ﴾: تعالى ﴿كَلَّا﴾: لا يقتلونك ﴿فَٱذۡهَبَا﴾: أنت وهارون ملتبسين ﴿بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم﴾: بالعون ﴿مُّسۡتَمِعُونَ﴾: لما يجري بينكم ﴿فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا﴾: كلا منا ﴿رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ أَنۡ﴾: بأن ﴿أَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾: إلى الشام، فلما أديا الرسالة ﴿قَالَ﴾: فرعون ﴿أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا﴾: في منازلنا ﴿وَلِيدٗا﴾: طفلا ﴿وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾: ثلاثين، ثم دعاهم ثلاثين وبقي بعد الغرق خمسين ﴿وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ﴾: من قتل القبطي، أجمله لفظاعته ﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: بنعمتي بقتله ﴿قَالَ فَعَلۡتُهَآ إِذٗا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾: الجاهلين بأن وكزتي تقتله[2] أو المخطئين ﴿فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ لَمَّا خِفۡتُكُمۡ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكۡمٗا﴾: نبوة وعلما ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝ وَتِلۡكَ﴾: التربية ﴿نِعۡمَةٞ تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾: وهي ﴿أَنۡ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾: وما عبدتني ولكنها لاتدفع رسالتي ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا﴾: أي: شيء ﴿رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآ﴾: بين الجنسين ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾: الأشياء علمتم أن لها صانعا نبه به على انتفاع بيان حقيقته ﴿قَالَ﴾: فرعون ﴿لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ﴾ قوله؟ سألته عن حقيقته فأجاب بخواصه!! ﴿قَالَ﴾: موسى ﴿رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: عدل إلى ما لا يشك في احتياجه إلى مصور حكيم ﴿قَالَ﴾ فرعون استهزاء: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ﴾ أسأله عن شيء ويجيبني[3] عن آخر ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾: من أهل العقل، فآمنوا به فإن الإتيان بالشمس من المشرق إلى المغرب كل يوم على مدار حد غير الأول، على وجه ينتظم به أمور الكائنات ممّا يستدل عليه بوجود الصانع من

---

(١) في (د): أشبه.

(٢) في (ن): وكزي يقتله.

(٣) في (ن): يجيبني.

له أدنى عقل لا يتهم؛ لأنه أتى أولا بوصفهم[١] بالإيقان، فلما رأى عنادهم عارضهم بمثل قولهم فيه فبهت فرعون و ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ﴾: أشار إلى سجن له تحت الأرض[٢] لا يبصر ولا يسمع فيه[٣] أحد ﴿قَالَ أَ﴾: أتفعله ﴿وَلَوۡ جِئۡتُكَ بِشَيۡءٖ مُّبِينٖ﴾: مظهر لصدقي ﴿قَالَ فَأۡتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: في دعواك ﴿فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ﴾: كما مر ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾: من جيبه ﴿فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾: كقطعة الشمس ﴿قَالَ﴾: فرعون ﴿لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ﴾: في السحر ﴿يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِۦ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ﴾: تشيرون ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ﴾: أخره ﴿وَأَخَاهُ﴾: يحبسهما ﴿وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾: جامعين ﴿يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٖ﴾: بين في الأعراف ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ﴾: لما وقت به من ﴿يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾: وهو الضحى ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ﴾: حثا على مبادرتهم ﴿هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ ۞ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ﴾: في دينهم، أي: لا نتبع موسى ﴿إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ۞ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ۞ قَالَ نَعَمۡ﴾: لكم الأجر ﴿وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ۞ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ﴾: لأبطله ﴿فَأَلۡقَوۡاْ حِبَالَهُمۡ وَعِصِيَّهُمۡ﴾: جمع عصا[٤] ﴿وَقَالُواْ﴾: نقسم ﴿بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ۞ فَأَلۡقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ﴾: تبتلع ﴿مَا يَأۡفِكُونَ﴾: يقلبونه عن وجهه بتزويرهم ﴿فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ۞ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۞ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾: بين في الأعراف ﴿قَالَ﴾ مكرا؛ لئلا يعتقد قومه أن إيمانهم عن بصيرة: ﴿ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَ﴾ فعلمكم شيئا دون شيء وغلبكم ﴿فَلَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾: ما أفعل بكم ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾: كما مر ﴿قَالُواْ لَا ضَيۡرَ﴾: لا ضرر فيه ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾: ولا يضيع أجرنا ﴿إِنَّا نَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن﴾: لأن ﴿كُنَّآ أَوَّلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: من القبط ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ﴾: بعد مدة ﴿إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِيٓ﴾: من

---

(١) في (س)، و(ع): بوصفه.

(٢) فسبحان الله كلُّ أعداء الدين والدعوة مخذولون.

(٣) في (ن)، و(د): لا يسمع ولا يبصر.

(٤) في (ن)، و(د): عصاة.

مصر إلى البحر ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾: يتبعكم فرعون وقومه فأغرقهم ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ﴾: حين علم بخروجهم[1] ﴿فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾: جامعين كان ألف مدينة واثني عشر ألف قرية[2]، قائلا: ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ﴾: طائفة ﴿قَلِيلُونَ﴾: عندنا كانوا ستمائة وسبعين ألفا ومقدمة جيش فرعون سبعمائة ألف، والنون باعتبار أنهم أسباط كل سبط منهم قليل ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ﴾: فاعلون ما يغيظنا ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ﴾ جمْع ﴿حَذِرُونَ﴾: مستعدون بالسلاح ونحوه حذرون[3] مستيقظون، وأصل «فَعِل»[4] للطبع، و«فاعل»[5] للتكلف أظهر أنا نجمع للتيقظ لا خوفا ﴿فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ﴾: بساتينهم على شاطئ النيل ﴿وَعُيُونٍ﴾ أنهارهم ﴿وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾: الأمر ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا﴾: أعطيناها ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ ۝ فَأَتْبَعُوهُم﴾: لحقوهم ﴿مُّشْرِقِينَ﴾: داخلين وقت شروق الشمس، أي: طلوعها ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ﴾: بمعنى تداني إدخال بينهما غيم منع الرؤية ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾: يدركوننا ﴿قَالَ﴾: موسى ﴿كَلَّا﴾: لن يدركوكم ﴿إِنَّ مَعِيَ﴾: بالنصرة[6] ﴿رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾: طريق النجاة ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾: القلزم[7] فضرب ﴿فَانفَلَقَ﴾: انشق اثنى عشر فرقا ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ﴾: جزء الفرق منه ﴿كَالطَّوْدِ﴾: الجبل ﴿الْعَظِيمِ ۝ وَأَزْلَفْنَا﴾: قربنا ﴿ثَمَّ﴾: هنالك ﴿الْآخَرِينَ﴾: قوم فرعون فدخلوه ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ﴾: بإخراجهم ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ۝ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾: لعبرة ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم﴾: القبط ﴿مُّؤْمِنِينَ﴾: إذ آمن بعضهم ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: الغالب على أمره ﴿الرَّحِيمُ﴾: بأوليائه ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾: على[8] قريش ﴿نَبَأَ

---

(١) في (ن)، و(د): خروجهم.

(٢) كل ذلك مما لا يثبت من وجه صحيح، وفيه ما فيه.

(٣) في الهامش: «حاذرون»: حفص.

(٤) يعني: حَذر.

(٥) يعني: حاذر.

(٦) في (ن)، و(د): بالنصر.

(٧) هو البحر الأحمر.

(٨) ليست في (د).

إبراهيم ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ﴾: قوم أبيه ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾: سؤال تبكيت ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ﴾ ندوم ﴿لَهَا عَاكِفِينَ﴾: بالعبادة ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۞ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾: فلما عجزوا عن جوابه ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ۞ قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۞ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ۞ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ﴾: أفرده للمصدريَّة ﴿لِّي﴾ تعريض بأنهم أعداء لعابديهم ﴿إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾: كان منهم من عبد الله ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾: إلى مصالح معاشي ومعادي ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ۞ وَإِذَا مَرِضْتُ﴾: ما أسنده إليه أدبا ولأنه في عد النعم ﴿فَهُوَ يَشْفِينِ ۞ وَالَّذِي يُمِيتُنِي﴾: والموت وسيلة السعداء إلى الفوز، ﴿ثُمَّ يُحْيِينِ ۞ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾: إن صدر عني صغيرة، ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾: كمال علم وعمل ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾: كما مر، ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ﴾: ثناء[1] حسنا ﴿فِي الْآخِرِينَ﴾: إلى القيامة، ومن أثره صلاة التشهد[2] ﴿وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾: كما مر ﴿وَاغْفِرْ لِأَبِي﴾: بتوفيق إيمانه ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ۞ وَلَا تُخْزِنِي﴾ تفضحني بمعاتبتي بما فرطت ﴿يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾: الناس أو الضالون، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾: أحدا ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾: عن الكفر، أو مسلم فصرفه المال في الخير وإرشاده أولاده إلى الخير ينفعانه ﴿وَأُزْلِفَتِ﴾: قربت ﴿الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾: بأن قربوا منها فيرونها ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾: غلب الوعد باختلاف الفعلين ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾: توبيخا ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۞ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ﴾: بدفع العذاب[3] ﴿أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾: بدفعه عنهم ﴿فَكُبْكِبُوا﴾: ألقوا[4] ﴿فِيهَا﴾: هم المعبودون ﴿وَالْغَاوُونَ﴾: العابدون ﴿وَجُنُودُ﴾: متبعوا ﴿إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ۞ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾: مع معبودهم ﴿تَاللَّهِ إِن﴾: إنه ﴿كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۞ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: في استحقاق العبادة ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾: الذين اقتدينا بهم ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ﴾: كما للمؤمنين ﴿وَلَا صَدِيقٍ

---

(١) الوسيط (٣/ ٣٥٦).

(٢) يعني في الدعاء «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم... الخ.

(٣) في (ن)، و(د): عذاب.

(٤) طرح بعضهم على بعض، وقال ابن قتيبة: ألقوا على رؤوسهم.

* تفسير غريب القرآن - لابن قتيبة (٣١٨)، الوسيط (٣/ ٣٥٦).

﴿حَمِيمٍ﴾: قريب أو مهتم بأمرنا وحده وجمعهم لقلته وكثرتهم عادة ﴿فَلَوْ﴾ للتمني ﴿أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾: رجعة إلى الدنيا ﴿فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ من قصة إبراهيم ﴿لَآيَةً﴾: عبرة للمستبصرين ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۞ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: القادر على تعجيل عقوبتهم ﴿الرَّحِيمُ﴾: بإمهالهم ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾: كما مر ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾: واحد منهم ﴿نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾: الله ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾: مشهور بالأمانة بينكم ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على التبليغ ﴿مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾ أي: ما ﴿أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: نبه باتحاد صدر قصته وقصة من بعده على اتحاد كلمتهم أصولا[1] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾: كرر ليدل على أن كلا من الأمانة وعدم الطمع يوجب الاتباع فكيف باجتماعهما؟ ﴿قَالُوا﴾: أشراف قومه ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾: السفلة للنِعْمَة ﴿قَالَ وَمَا عِلْمِي﴾: لا علم لي ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: إخلاصا أو طمعا ما أنا إلا مبلغ ﴿إِنْ﴾ أي: ما ﴿حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي﴾: فيجازيهم ﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾: ذلك ما عبتموهم ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ۞ إِنْ﴾: ما ﴿أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: للكل ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ﴾: عما تقول ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾: المقتولين بالحجارة ﴿قَالَ﴾: بعد يأسه ﴿رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ۞ فَافْتَحْ﴾: فاحكم ﴿بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: مما ينزل[2] عليهم ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾: المملوء ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾ بعد نجاتهم ﴿الْبَاقِينَ﴾: من قومه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ عبرة ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾: أفهم أنه لو كان شطرهم[3] مؤمنين لما أخذوا ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۞ كَذَّبَتْ عَادٌ﴾: أنث[4] باعتبار القبيلة ﴿الْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾: نسبا ﴿هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۞ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۞ فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: بالإيمان ﴿وَأَطِيعُونِ ۞ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: كما مر ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾: مكان مرتفع

---

(١) كما في الحديث: «**والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد**» يعني يعلون - يشربون - من منبع التوحيد الصافي الواحد ا.هـ.

(٢) في (ن)، و(د) نزل.

(٣) في (د): شرطهم.

(٤) يعني لم يقل: «كذب عاد» ويكون التقدير: كذب قوم عاد.

﴿ءَايَةً﴾: عمارة عالية علما للمارة[١] ﴿تَعۡبَثُونَ﴾: به بلا احتياج بمعنى على[٢] مَنْ يَبْني للتنعم ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾: مآخذ الماء، أو قصورا مستوثقة ﴿لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ﴾: راجين الخلود ﴿وَإِذَا بَطَشۡتُم﴾: سطوتم بسوط أو نحوه ﴿بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ﴾: متسلطين بلا رحمة ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: بترك ما ذكر ﴿وَأَطِيعُونِ ۞ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ﴾: من النعم ﴿أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ ۞ وَجَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ۞ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾: لعظم ما حل فيه ﴿قَالُواْ سَوَآءٌ﴾: مستو ﴿عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ﴾: وعظك وعدمه سواء كما مر ﴿إِنۡ﴾: ما ﴿هَٰذَآ﴾: الذي جئت به ﴿إِلَّا خُلُقُ﴾: بالفتح[٣] الكذب، وبالضم: عادة ﴿ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: في ادعاء الرسالة ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾: فلا نخاف وعيدك ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهۡلَكۡنَٰهُمۡ﴾: بريح صرصر ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ﴾: عبرة ﴿وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ﴾: كما مر ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۞ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾: هم بعد عاد بمائة سنة ﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ﴾: نسبا ﴿صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾: الله ﴿إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ۞ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: كما مر ﴿أَتُتۡرَكُونَ﴾ الهمزة للإنكار ﴿فِي مَا هَٰهُنَآ﴾: من النعم ﴿ءَامِنِينَ﴾: من المخاوف ثم فسره بقوله: ﴿فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ۞ وَزُرُوعٖ وَنَخۡلٖ طَلۡعُهَا﴾: هو ما يطلع منها كرأس السيف، وفيه[٤] العنقود ﴿هَضِيمٞ﴾: لطيف لين أو مَكْسورٌ[٥] من كثرة الثِّمار، وإفرادها لفضلها على الأشجار ﴿وَتَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا فَٰرِهِينَ﴾: بطرين[٦] ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: بترك ذلك ﴿وَأَطِيعُونِ ۞ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾: هم التسعة الذين عقروا الناقة ﴿ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ﴾: أي:

---

(١) كناطحات السحاب والأبراج ونحوها وهي حرام شرعا؛ لما فيها من الإسراف والتباهي بالدنيا والطمع فيها وكسر قلوب الفقراء ونشر الغلاء والتشبه بالكفرة والفراعنة.

(٢) يعني الباء في «بكل» بمعنى على.

(٣) قرأ أبو عمرو وابن كثير والكسائي وعبد الله بن مسعود وعلقمة والحسن وأبو جعفر ويعقوب «خَلْق».
* إتحاف (٣٣٣)، السبعة (٤٧٢)، غيث النفع (٣١٠)، النشر (٢/ ٣٣٥).

(٤) في (ن): وهو.

(٥) يعني سهل القطاف.

(٦) من البطر وهو شدة الفرح.

خلص فسادهم ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ﴾: الذين سحروا كثيرا فجنوا، أو ذوي السحر الرئة[١]، أي: من الناس كما بينه ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: فلما دعا باقتراحهم ناقة فخرجت من الصخرة ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ﴾: نصيب من مائكم ﴿وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾: هو[٢] يوم لا تشرب فيه الناقة ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾: كما مر ﴿فَعَقَرُوهَا﴾: تسعة برضا الكل ﴿فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ﴾: خوفا من العذاب أو توبة لا تنفع عند معاينته ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾: الزلزلة مع الصيحة كما مر ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ۞ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۞ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۞ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۞ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ۞ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: مضى بيان الكل ﴿أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ﴾: بين ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: مع كثرة الإناث، أو لا يشارككم فيه أحد[٣]، ﴿وَتَذَرُونَ﴾: إتيان ﴿مَا خَلَقَ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم﴾: من الإناث أو قبلهن إذ كانوا يلوطون[٤] بهن ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ﴾: متجاوزون[٥] عن حد الشهوة أو مفرطون في المعاصي ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ﴾: عن نهينا ﴿يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ﴾: من أرضنا كمن أخرجناه قبلك ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلۡقَالِينَ﴾: المبغضين غاية فلا أترك النهي ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهۡلِي مِمَّا﴾: شؤم ﴿مَا يَعۡمَلُونَ ۞ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ﴾: أتباعه ﴿أَجۡمَعِينَ ۞ إِلَّا عَجُوزٗا﴾: كائنة ﴿فِي ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾: الباقين كما مر ﴿ثُمَّ دَمَّرۡنَا﴾: استأصلنا ﴿ٱلۡأٓخَرِينَ ۞ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗا﴾: من الحجارة عند تقليب الأرض عليهم ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ﴾: مطرهم، اللام للجنس ﴿إِنَّ

---

(١) السَّحْر - بفتح السين المهملة المشددة وسكون الحاء المهملة آخرها راء مهملة -: طرف الحلقوم والرئة ومنه قول أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**مات بين سحري ونحري**» يعني النبي ﷺ. رواه البخاري (٤١٨٤، ٤١٨٥، ٤١٨٦) ومسلم (٢٤٤٣) وأحمد (٦/ ٤٨، ١٢٨، ٢٠٠) - عمدة الحفاظ (٢/ ١٧٨).

(٢) ساقطة من (ن)، و(د).

(٣) كما قال تعالى: ﴿ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾.

(٤) يعني ينكحون أدبار أزواجهن ومستحله كافر.

(٥) كذا في (ن)، و(د).

﴿فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۞ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۞ كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ﴾: شجرة كانوا يعبدونها قرب مدين أو غيضة تنبت بأعم الشجر هناك ﴿الْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾: وهو أجنبي عنهم ﴿أَلَا تَتَّقُونَ ۞ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۞ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ أَوْفُوا﴾ أتموا ﴿الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ حقوق الناس بالتطفيف ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ﴾: الميزان ﴿الْمُسْتَقِيمِ﴾: السوي ﴿وَلَا تَبْخَسُوا﴾: تنقصوا ﴿النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾: من حقوقهم ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾: كما مر ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ﴾: ذوي الجبلة[1] ﴿الْأَوَّلِينَ ۞ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾: كما مر ﴿وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾: دلوا بالواو على جمعه بين وصفين متنافيين للرسالة، وفي قصة صالح قصدوا واحدة وهو المسحورية، ثم قرروه بالبشرية، ولذا فسر بذوي الرئة[2]، ﴿وَإِن﴾: إنه ﴿نَّظُنُّكَ﴾: نعلمك ﴿لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ۞ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾: قطعة أوعذابا ﴿مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۞ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: فيجازيكم ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ﴾: على وفق طلبهم ﴿عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾: سحابة أظلتهم بعد حر شديد أخذهم، فأمطرت عليهم نارا أحرقتهم ﴿إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: كما مر ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾: كما مر ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۞ وَإِنَّهُ﴾: القرآن ﴿لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ نَزَلَ﴾: ملتبسا ﴿بِهِ﴾: وبالتخفيف[3]: الباء للتعدية ﴿الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾: جبريل لإحياء الأرواح بما ينزل ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾: روحك أو العضو لانتقاله منه إليه ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ۞ بِلِسَانٍ﴾: متعلق نزل ﴿عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾: واضح المعنى ﴿وَإِنَّهُ﴾: ذكره أو معناه ﴿لَفِي زُبُرِ﴾: كتب ﴿الْأَوَّلِينَ﴾: المنزلة ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً﴾: على صحته ﴿أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: كابن سلام أنه من الله ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾: الأعْجَم مَنْ لا يعرفُ[4] العربي[5]، أو جمع أعجمي على التخفيف[1] ﴿فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾:

---

(١) الجبلة: الخليقة يعني الأمم المتقدمين قبلهم. * الوسيط (٣/ ٣٦٢).

(٢) في (ن): الريبة.

(٣) يعني: «نزل» بتخفيف الزّاي.

(٤) في (س)، و(ن): يعمل.

(٥) يعني اللِّسان العربي.

استنكافا أو لعدم فهمه ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ﴾: أدخلنا الكفر ﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: أي: قلوبهم ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ۝ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: بإتيانه ﴿فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾: لنؤمن ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾: ثم يستمهلون حينئذ ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾: أخبرني ﴿إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ۝ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾: من العذاب ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم﴾: لم ينفعهم ﴿مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ﴾: أي: تمتعهم في دفع العذاب ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا﴾: في حالة ﴿لَهَا﴾: رسل ﴿مُنذِرُونَ ۝ ذِكْرَىٰ﴾: لعظتهم ﴿وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾: بإهلاكهم حينئذ ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾: كالكهنة ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾: إنزاله ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ﴾ لسماع كلام الملك ﴿لَمَعْزُولُونَ﴾: محجوبون بالشهب ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾: حثٌّ لنا على الإخلاص كما مر ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾: فإنهم[2] أهم ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾: تواضع ﴿لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ فَإِنْ عَصَوْكَ﴾: العشيرة ﴿فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾: أي: عملكم ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ﴾ يعلمك ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ إلى التهجد ﴿وَتَقَلُّبَكَ﴾: ترددك ﴿فِى﴾: تصفح أحوال ﴿ٱلسَّٰجِدِينَ﴾: المتهجدين، أو الأول في صلاته منفردًا، والثاني في الجماعة ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾: كثير الإثم كالكهنة ﴿يُلْقُونَ﴾: الأفاكون ﴿ٱلسَّمْعَ﴾: إلى الشياطين فيتلقون منهم ظنونا، ويزيدون عليها أشياء، وفي الحديث: «**الكلمةُ يحفظها الجنيُّ فيقرُّها في أذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة**»[3] ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ۝ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾: الضَّالون، وكل صحابته مَهديُّون[4] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ﴾: من فنون الكلام ﴿يَهِيمُونَ﴾: يتجارون أو يكذبون فيتجاوزون الحدَّ مَدْحًا وهَجْوًا[5] ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ﴾: فعلنا ﴿مَا لَا

=
(١) يعني الأعجمين.

(٢) في (ن)، و(ع): فإنه أهمّ.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١٠/ ٢١٦/ ٥٧٦٢)، و(١٠/ ٥٩٥/ ٧٥٦١)، ومسلم (٤/ ١٧٥٠/ ١٢٢، ١٢٣).

(٤) في (د): مهذبون.

(٥) ولذا قال القائل:

=

يَفْعَلُونَ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾: منهم ﴿وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾: في الشعر وغيره ﴿وَٱنتَصَرُوا۟ ﴾: من الكفار بِهَجْوهم ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ﴾: منهم ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ﴾: مطلقًا ﴿أَىَّ مُنقَلَبٍ ﴾: مَرْجع ﴿يَنقَلِبُونَ ﴾: يرجعون بعد موتهم، فويل لكل ظالم. واللهُ أعلم بالصّواب وإليْهِ المرجعُ والمآب.



= لا تحسبن الشعر فضلًا بارعا　　ما الشعر إلا محنة ووبال

فالهجو قذف والرثاء نياحة　　والعتب ضغن والمديح سؤال.



«سورة النمل[1]» مكية[2]

لمَّا بَيَّن أن القرآن تنزيلٌ من رب العالمينَ، وبَيَّن حِفْظهُ من الشَّياطين، وأنه ليس بقول شاعر، بَيَّن عظمة شَأْنه فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ طسٓ﴾: كما مر ﴿تِلْكَ﴾: الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾: اللوح المبين لناظريه ما هو كائن، نكره تعظيما، وبين في الحجر ﴿هُدًى﴾: مزيد هداية ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾: أفهم بتغيير الأسلوب قوة يقينهم ودوامه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾: القبيحة بخلق شهوتها، فلا ينافي ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾[3] أي: بوسوسته ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾: فلا يدركون قبحها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ۞ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى﴾ تُؤْتَى ﴿ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾: أشعر بأن من القرآن حكمة كالعقائد والشرائع ومنه غيرها كالقصص، وذكر المغيبات، اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ﴾: في مسيره من مَدْينَ[4] إلى مصر ﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ﴾: أبصرت ﴿نَارًا سَـَٔاتِيكُم﴾: أفهم بالسين بعد المسافة ﴿مِّنْهَا﴾: من أهلها ﴿بِخَبَرٍ﴾: عن الطريق ﴿أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ﴾: شعلة ﴿قَبَسٍ﴾: نار مقتبسة من نار ﴿لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾: تستدفئون بها، قاله من قوة الرجاء فلا ينافي طلبه ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ﴾: قدس ﴿مَن فِي ٱلنَّارِ﴾: عن ابن عباس وغيره أنه هو - تعالى -، والنار نوره، أي: أسمعه النداء من جهتها[5] ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾: الملائكة، ولكل تقديس يليق به، وفي التوراة[6]: «جاء الله من سيناء، وأشرق

---

(١) كلماتها (١١٤٩) كلمة، وحروفها (٤٧٩٩) حرفا.

* البيان (١٩٩)، الوجيز (٢٥٢)، البصائر (١/ ٣٤٨) عدد سور القرآن (٣٤١).

(٢) في هامش (ن): بلغ مقابلة.

(٣) سورة النمل، وسورة العنكبوت.

(٤) بالأُرْدُن.

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩/ ٨٢)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٤٥/ ١٦١٢٧).

(٦) سفر التثنية (٣٣/ ٣٠١) وقد تكرر معنى هذه البشارة في سفر حبقوق (٣/ ٣) كالآتي: (الله جاء من تيمان، والقدوس من جبال فاران، سلاه، جلاله غطى السماوات والأرض، امتلأت من تسبيحه وكان =

من ساعير، واستعلن من فاران»، أي: جاءت منها آيته ورحمته، وبعث عيسى من ساعير ومحمد عليهما الصلاة والسلام من فاران جبال مكة[1] ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾: عن كونه مكانيا ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ﴾: النار ﴿أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ﴾: القادر على ما يبعد من[2] الأوهام ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: في أفعالي[3] ﴿وَ﴾: نودي: أنْ ﴿أَلْقِ عَصَاكَ﴾: فألقاها ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾: تتحرك مضطربا ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾: حية خفيفة في السرعة مع عظمها ﴿وَلَّىٰ﴾: هرب ﴿مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾: لم يرجع نودي: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾: من شيء لاستغراقهم[4] في ﴿إِلَّا﴾: لكن ﴿مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ﴾: ظلمه ﴿حُسْنًۢا﴾: بالتوبة ﴿بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ به، تعريض بوكزة القبطي ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾: إذ كان درعه[5] بلاكم، أو قميصك ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ﴾: كقطعة قمر ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾: كبرصٍ ﴿فِي﴾: جملة ﴿تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾: كما مر، والأولى جعل الجدب والنقصان آية، والجراد والقمل آية، وإلا فهي إحدى عشر مرسلا ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ۞ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً﴾: بينة، مجاز للمبالغة ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۞ وَجَحَدُوا۟﴾: لم يقروا ﴿بِهَا وَ﴾: قد ﴿ٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾: أنها آيات الله ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾: تكبرا ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ۞ وَلَقَدْ

= لمعان كالنور).

فـ«سيناء» الجبل الذي كلم الله فيه موسى، و«ساعير» هو جبل الخليل بالشام، وكان المسيح يتعبد فيه ويناجي ربه، و«فاران» جبل بنى هاشم الذي كان رسول الله ﷺ يتحنث فيه ويتعبد.

- وقد ذكرت هذه النبوات الثلاثة في هذه البشارة نظير ذكرها في أول سورة: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾. * الدين والدولة (١٣٨)، والإعلام بمناقب الإسلام (٢٠٣)، أعلام النبوة (١٩٩)، الفصل (١٩٤)، الجواب الصحيح (٣/ ٢١٢)، هداية الحياري (١١٢)، الأجوبة الفاخرة (١٦٥)، تحفة الأريب (٢٦٥)، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٦٥٤، ٦٥٥).

(١) فاران: كلمة عبرانية معربة من أسماء مكة أو جبال الحجاز، وقيل: إن فاران اسم أحد العمالقة السبعة الذين اقتسموا الأرض، فجعلوا لفاران الحجاز. * معجم البلدان (٤/ ٢٢٥)، نزهة المشتاق (١/ ٣٤٦)، معجم ما استعجم (٢/ ١٠١٣)، الروض المعطار (٤٣٣).

(٢) في (ن): عن.

(٣) في (د): أفعاله.

(٤) يعني انشغالهم بعبادتي.

(٥) في (ن): مدرعه.

ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا﴾: عظيما، فشكرا ﴿وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا﴾ بهذه النِّعم ﴿عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ﴾ من عبادنا ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ﴾ من ﴿دَاوُۥدَ﴾: علمه ونبوته وملكه من بنيه التسعة عشر ﴿وَقَالَ﴾ تعدادًا للنِّعم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ﴾ المنطق: كل لفظ يعبر به عما في الضمير[1] وعنى به هنا ما يقصد بصوته كتفاهم بعضه عن بعض، وخصه مع كون كل حيوان وشجر كذلك؛ لكونه معه يظلله ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾: مجاز عن الكثرة، وجمع لنفسه ولأبيه، أو رعاية لقواعد السياسة كالمُلُوك[2] ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾: المؤتى ﴿لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾: الظاهر ﴿وَحُشِرَ﴾ جمع ﴿لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ﴾ قيل: كانوا في مائة فرسخ، خمسة وعشرين للإنس، وَمثله للجن ومثليه لغيرهما ﴿مِنَ ٱلْجِنِّ﴾: كانوا حول الإنْس ﴿وَٱلْإِنسِ﴾: كانوا حوله ﴿وَٱلطَّيْرِ﴾: كان يظلله ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾: يجمعون[3]، ثم يساقون، فساروا ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ﴾: بالشام[4] أو الطائف[5] ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾: ملكتهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾: لا تكونوا بحيث يحطمكم ويكسركم ﴿سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: بحطمكم ﴿فَتَبَسَّمَ﴾: إلى أن صار ﴿ضَاحِكًا﴾: أو متعجبا ﴿مِّن قَوْلِهَا﴾: قيل: سمعه من ثلاثة أميال فحبس جنده حتى دخلوا بيوتهم ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ﴾: ألهمني ﴿أَنْ﴾: أي: أو بمعنى بأن ﴿أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ﴾: بها ﴿عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى﴾: عداد ﴿عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: كما مر، قيل: لما أتم بيت المقدس حج ثم خرج من مكة صباحا ودخل صَنْعاءَ[6] ظهيرة فأعجبته وما وجد فيها

---

(١) مفردا كان أو مركبا.

(٢) يعني أتى بـ«نا» الدالة على التعظيم كـ«إنا حضرة الملك الفلاني»، أو: «قررنا كذا».

(٣) أو: يمنعون عن سوء التصرف لوازع، وهو أمْرُ سليمان ونظامه.

(٤) معالم التنزيل - للبغوي (٥/ ١١٤)، غرر التبيان (٣٧٩).

(٥) غرر التبيان (٣٧٩)، روح المعاني (١٩/ ١٧٥)، وقيل: بالشام مما يلي عسقلان بين بيت جبرين وعسقلان. * معجم البلدان (٥/ ٣٤٦)، مفحمات الأقران (١٥١).

(٦) باليمن.

الماء لوضوءه[١] ﴿وَتَفَقَّدَ﴾: تعرف ﴿الطَّيْرَ﴾: فلم يجد الهدهد وكان رائده ﴿فَقَالَ﴾: على ظن حضوره ﴿مَالِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾: فلما لاح غيبته قال ﴿أَمْ﴾: بل أ ﴿كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ۞ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا﴾: بنتف ريشه وإلقائه في الشمس أو بجعله مع ضده في قفص[٢] ﴿أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ﴾: برهان ﴿مُبِينٍ﴾: لعذره ﴿فَمَكَثَ﴾ الهدهد زمانا ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾: مديد، فجاءه بعذره ﴿فَقَالَ أَحَطتُ﴾ علما ﴿بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾: علما ﴿وَجِئْتُكَ مِن﴾: مدينة[٣] ﴿سَبَإٍ بِنَبَإٍ﴾: بخبر ﴿يَقِينٍ﴾: أبهم لتشوقه وتسكينه ثم قال ﴿إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً﴾: بلقيس ﴿تَمْلِكُهُمْ﴾: أهل سبأ ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾: مجاز عن الكثرة ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾: بالنسبة إلى عروش أمثالها، قيل: كان طوله ثمانين ذراعا وعرضه أربعين، وارتفاعه ثلاثين من الذهب والفضة مكلل بالجواهر قوائمه من الجواهر له سبعة أبواب[٤] ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾: الحق ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾: إليه ﴿أَلَّا﴾: مشددا، أي: لئلا ومخففا[٥] للتنبيه أي: ألا يا قوم ﴿يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ﴾: الغيب، ومنه كل ما أخرج من العدم إلى الوجود ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۞ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾: الحقير دونه كل جرم ﴿قَالَ﴾: سليمان ﴿سَنَنظُرُ﴾: سنعرف ﴿أَصَدَقْتَ﴾: فيه ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ﴾: نوع ﴿الْكَاذِبِينَ﴾: كالجن، ثم دلهم على الماء فصلوا ثم كتب سليمان كتابا إليها وختمه بالمسك وقال

---

(١) الوسيط (٣/ ٣٧٣).

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٩١)، الوسيط (٣/ ٣٧٤).

(٣) سبأ هي مدينة «مأرب» باليمن، سميت باسم بانيها سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

* تقويم البلدان (٩٦)، الأعلاق النفيسة (١١٣)، صورة الأرض (٣٩)، أحسن التقاسيم (٨٧)، معجم البلدان (٣/ ١٨١)، آثار البلاد (٤٠)، مراصد الاطلاع (٢/ ٦٨٧)، خريدة العجائب (٦٧)، الروض المعطار (٣٠٢).

(٤) أخرجه الطبرى (١٩/ ٩٣).

(٥) وهي قراءة الكسائي ورُوَيْس وأبي جَعْفر والحَسَن وطلحة ويعقوب.

* إتحاف فضلاء البشر (٣٣٦)، السبعة (٤٨٠)، غيث النفع (٣١١)، النشر (٢/ ٣٣٧).

له: ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾: تنح عنهم إلى حيث تسمع كلامهم ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾: يردون من الجواب، فأخذه وأتاها فألقاه على نحرها من كوة، فلما قرأته ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾: لوجازته وفصاحته وختمه، فإن كرامة الكتاب ختمه ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ﴾: وكان اسمه كاف على عنوانه أو قدمه مخافةً عن[1] استخفافها باسم الله، إذا لم تعرف أنه منه لكفرها ﴿وَإِنَّهُۥ﴾: مضمونه ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: المقصود ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟﴾: تتكبروا ﴿عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ۞ قَالَتْ﴾: استشارة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى﴾ أشيروا علـيَّ ﴿فِىٓ أَمْرِى﴾: هـذا ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً﴾: فاصلة ﴿أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾: تحضرون ﴿قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ﴾: عدد كثير ﴿وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾: شجاعة ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾: موكول ﴿إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾: نطعك ﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً﴾: عنوة ﴿أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾: هؤلاء ﴿وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ﴾ بأي شيء ﴿يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾: إن قبل فملك نحاربه، وإن رد فنبي نتبعه، قيل: أرسلت مع هديتها خدما ذكورا على زي الإناث، وبالعكس ودرة عذراء، وخرزة[2] مُعوجَّة الثقب[3] مختبرة بنبوته[4] بالتمييز[5] بينهم، وثقب الدرة مستويه، وسلك خيط في الخرزة، فأخبره جبريل فأمر فنفذت أرضه بشعرة في الذرة، ودورة تخيط في الخرزة وأمر الخدم بغسل الوجه، وكان الذكر كما يأخذ الماء يضرب به وجهه، والأنثى تأخذه بيد ثم تجعله في أخرى ثم تغسل، ثم ردها[6] كلها كما يبينه ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ﴾: الرسول بها ﴿قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾: من النبوة والملك ﴿خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾: فلا وقع لها ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ﴾: بما يهدى إليكم، أو بهذا الإهداء ﴿تَفْرَحُونَ﴾: لحبكم[7]

---

(١) ليست في (ن).

(٢) في (ن): جزعة.

(٣) في (ن)، و(س)ن و(ع): الثقبة.

(٤) في (ن): نبوته.

(٥) في (ن): بالتميز.

(٦) الكشاف (٣/ ٣٦٦)، أنوار التنزيل (٥٠٣)، وقال ابن كثير (٣/ ٣٦٣): وأكثره مأخوذ من الإسرائيليات.

(٧) في (د): بحبكم.

الدنيا ﴿ٱرۡجِعۡ﴾: بالهدية ﴿إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ﴾: طاقة ﴿لَهُم بِهَا﴾: بمقاومتها ﴿وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ﴾: من بلدتهم ﴿أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾: مهانون، أي: إن لم يأتوني كما مر، فلما سمعت جاءت مع عساكر كثيرة، فلما رأى فوج بلقيس من بعيد ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾: لأختبرها ولتعرف صدقي في النبوة، قيل: كان حينئذ في بيت المقدس[١]، وعرشها باليمن ﴿قَالَ عِفۡرِيتٞ﴾: قوى خبيث ﴿مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾: اسمه ذكوان[٢] أو صخر ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾: مجلس قضائك، كان مجلسه من الصبح إلى الظهر ﴿وَإِنِّي عَلَيۡهِ﴾: على حمله ﴿لَقَوِيٌّ أَمِينٞ﴾: على ما فيه، فقال: أريد أسرع ﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: السماوي، كاتبه: آصف بن برخيا[٣]، صديق عالم بالاسم الأعظم[٤]، ويجوز اختصاص الولي بكرامة لا يشاركه فيها الرسول كرزق مريم عند زكريا، على أن كرامة الولي معجزة لنبيه[٥]، وقيل: هو سليمان، قاله للعفريت إظهارا للمعجزة[٦] ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ﴾: إذا نظرت إلى شيء، فنظر إلى السماء فأجراه الله تحت الأرض حتى ارتفع عند كرسي سليمان قبل أن ينظر إلى الأرض ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ﴾: ليختبرني ﴿ءَأَشۡكُرُ﴾: فأراه من فضله ﴿أَمۡ أَكۡفُرُ﴾: بما رآني مستحقا له ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦ﴾: فوائده له ﴿وَمَن كَفَرَ﴾: نعمته ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ﴾: عن شكره ﴿كَرِيمٞ﴾: بالتفضل عليه ﴿قَالَ﴾: سليمان ﴿نَكِّرُواْ﴾ غيروا ﴿لَهَا عَرۡشَهَا﴾: بتغيير هيئته ﴿نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ﴾: إلى عرشها ﴿أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ﴾: إليه من البله إذ كانت أمها جنية[٧]، والجن قالوا له: هي بلهاء، رجلها كحافر

---

(١) في (ن)، و(د): ببيت.

(٢) أو كودن. * غرر التبيان (٣٨٢)، الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٠٣).

(٣) تفسير الطبرى (١٩/ ١٠٣) الوسيط - للواحدى (٣/ ٣٧٨).

(٤) سبق الكلام على الاسم الأعظم.

(٥) صحيح.

(٦) في (ن): لمعجزته.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/ ٢٨٩٣/ ١٦٤٣٠) موقوفا على مجاهد - وسنده ضعيف.

الحمار[١]، شعْراء الساقين لتنفيره مخافة أنها تفشي أسرارهم إليه ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ﴾: بعد تنكيره ﴿قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾: ما جزمت لذكائها ومقابلة لتشبيههم ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ﴾: بنبُوَّتك ﴿مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾: منقادين ﴿وَصَدَّهَا﴾: منعها عن الإيمان، أو صدها سليمان عن عبادة ﴿مَا كَانَت تَّعْبُدُ﴾: عبادتها الشمس ﴿مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ۝ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾: قصر صَحْنهُ[٢] زجاج شفاف تحته ماء فيه كل حيوان بحري ووضع سريره فيه وجلس عليه لينظر إلى سَاقيها ورجليها[٣] كما مر ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾: ماء راكد ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾: فرآها أحسن الناس رجلا ﴿قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾: مملس ﴿مِّن قَوَارِيرَ﴾: زجاج، فلما دعاها إلى الإسلام ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾: بالشِّرْك[٤] ﴿وَأَسْلَمْتُ﴾: موافقة ﴿مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: ثم تزوجها وكانت معه إلى موته[٥]، وقيل: زوجها من واحد من الأذواء أي: ملوك اليمن اسمه ذو تبع[٦] ملك همدان[٧] في اليمن بسكون الميم[٨] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ﴾: نسبا ﴿صَالِحًا أَنِ﴾: بأن ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ﴾: مؤمن وكافر ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾: كما مر ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ﴾: العذاب ﴿قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾: التوبة، بتأخيرها إلى معاينتها ﴿لَوْلَا﴾: هلا ﴿تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ﴾: قبله ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: فلما قحطوا بتكذيبه[٩]

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٩٣/ ١٦٤٣١) عن قتادة - ولا يصح.

(٢) وسطه وساحته.

(٣) في (س): رجلها.

(٤) يعني عبادة الشمس.

(٥) لم أقف على دليل صحيح يؤيد ذلك فعن عون بن عبد الله أن أباه سئل: هل كان سليمان تزوج المرأة صاحبة سبأ؟ فقال: عهدي بها وهي تقول: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.
* أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٩٨/ ١٦٤٤٩) وسنده حسن.

(٦) هذا هو الأقرب - والله أعلم.

(٧) هَمْدان- بفتح الهاء وسكون الميم ثم دال مهملة-: قبيلة عربية معروفة.

(٨) إنما ضبطها؛ للتفريق بينها وبين «هَمَذَان» بفتح الميم والذال المعجمة- وهي بإيران.
* تقويم البلدان (٤١٦)، المسالك (٤١)، البلدان (٢٧٢)، الأعلاق النفيسة (١٦٦)، صورة الأرض (٣٥٨)، أحسن التقاسيم (٣٨٦، ٣٩٢).

(٩) في (د): بتكذيبهم.

﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا﴾: تشاءمنا ﴿بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ﴾: شؤمكم ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾: آتيكم من عنده ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾: تختبرون، بالخير و الشر ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾: هم عاقروا الناقة ﴿يُفْسِدُونَ﴾: بالمعاصي ﴿فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾: بالطاعة ﴿قَالُواْ﴾: بعضهم لبعض ﴿تَقَاسَمُواْ﴾: احلفوا ﴿بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ﴾: لنقتلنه ليلا ﴿وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ﴾: ولي دمه ﴿مَا شَهِدْنَا﴾: حضرنا ﴿مَهْلِكَ﴾ إهلاك ﴿أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾: لأن الشاهد للشيء غير مباشره، أو لأنهم شهدوا مهلكهما ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا﴾: بتلك المواضعة ﴿وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾: بجزاءه عاجلا ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: بمكرنا ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ﴾: أهلكناهم، بتطبيق فم شعب دخلوه لقتل صالح عليهم حتى ماتوا ثمة ﴿وَقَوْمَهُمْ﴾ وأهلهم بالصيحة كما مر ﴿أَجْمَعِينَ ۞ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ﴾: خالية أو ساقطة ﴿بِمَا ظَلَمُوٓاْۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: فيتعظون ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: منهم ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۞ وَ﴾: أرسلنا ﴿لُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾: اللواط[1] ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾: بعضكم بعضا، خصها لأنها أقبح ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً﴾: لمجردها، أفهم قبح الوطء شهوة بل لابد من قصد نحو التناسل ﴿مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾: المخلوقة له ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾: سفهاء ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ﴾: كما مر ﴿مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾: من اللواطة ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾: الباقين ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾: من الحجارة ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾: كما مر ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: على نصرة عباده ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ﴾: الذي ينجي موحديه ﴿خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: مما لا ينفع عباده ﴿أَمَّ﴾ بل ﴿مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا﴾: النعت لرفع شُبهة[2] المشاركة ﴿بِهِۦ حَدَآئِقَ﴾: بساتين فيها الماء ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾: حسن ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾: يقدر عليه ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾: عن الحق ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾: مقرا لكم

---

(١) في (ن)، ،(د): اللواطة.

(٢) ليست في (ن).

﴿وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ﴾: وسطها ﴿أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا﴾: جبالا ﴿رَوَٰسِيَ﴾: ثوابت ﴿وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾: العذب والأجاج [1] ﴿حَاجِزًا﴾: مانعا كما مر ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِ﴾: يقدر عليه ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ۞ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ﴾: من أحوجه شدة الضرر إلى الالتجاء، والمراد به الجنس ﴿إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ﴾: ورثة ﴿ٱلۡأَرۡضِ﴾: في التصرف فيها ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِ﴾: يقدر عليه ﴿قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾: كما مر ﴿أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ﴾: مشتبهات طرق ﴿ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾: بالجبال والنجوم ونحوهما ﴿وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓ﴾: المطر ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِ﴾: يقدر عليه ﴿تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۞ أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾: جعل المبرهن كما اعترفوا به لوضوح حجته ﴿وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: بالمطر [2] ﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾: بالنبات [3] ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِ﴾: يقدر عليه ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ﴾: على إثبات شيء منها لغيره تعالى ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۞ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ﴾: علم حضور بخلاف علمنا بنحو الجنة ﴿إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ﴾: متى ﴿يُبۡعَثُونَ ۞ بَلِ ٱدَّٰرَكَ﴾: تكامل كأدرك ﴿عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَا﴾: أي: من الآخرة في الدنيا متحيرون في أمرها ﴿بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ﴾: بصيرة، فلا يدركون دلائلها هذا وإن اختص بمشركيهم أُسْنِد إلى كلهم إسناد فعل البعض إلى الكل والإضرابات [4] تنزيل لأحوالهم ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبٗا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ﴾: من القبور ﴿لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ﴾: قدم هذا؛ لأن المقصود بالذكر: البعث، لا كما مر ﴿إِنۡ﴾: ما ﴿هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ﴾ أكاذيب ﴿ٱلۡأَوَّلِينَ ۞ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾: كما مر ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾: على تكذيبهم ﴿وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ﴾: فالله يعصمك ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ﴾: العذاب الموعود ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۞ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾: تبعكم، واللام صلة

---

(١) في (ن)، و(د): المالح.

(٢) وغيره.

(٣) والمعادن وغيرها.

(٤) يعني بـ«بَلْ» حيث كُررت ثلاث مرات.

﴿بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾: كقتل بدر ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: ومنه تأخير عذاب مستحقيه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ۞ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ﴾: تخفي ﴿صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: فإمها لهم لا لغفلة ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ﴾: خافية ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾: اللوح، أو علمه تعالى ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: كأمر عيسى وغيره ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: ونقمة على الكفرة ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى﴾: يفصل ﴿بَيْنَهُم﴾: بين المختلفين ﴿بِحُكْمِهِۦ﴾: بما يحكم به، وهو الحق أو بحكمته ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: الغالب ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بما يحكم به ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: ثق به ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾: والحق يعلو ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: وهم كالموتى في عدم انتفاعهم بسماع الحق ﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ﴾: فإن الأصم المقبل المستمع قد يفهم ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾: بجعلهم هداة بصراء ﴿إِن﴾: ما ﴿تُسْمِعُ﴾: سماع انتفاع ﴿إِلَّا مَن﴾ كان في علمنا أنه ﴿يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾: منقادون ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾: دنا وقوع معناه كالحشر ونحوه ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾: من مكة بيدها عصا موسى فتنكت في مسجد[1] المؤمن فيبيض، وبالأخرى خاتم سليمان، فتنكت في أنف الكافر فيسود، لها قوائم وريش وجناحان ولحية لا يفوتها هارب، ولا يدركها طالب[2]، وفي الحديث: تخرج حُضْرَ[3] الفرس الجواد ثلاثا وما خرج ثلثاها[4] بعد ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ من الكلام أو تجرحُهُم[5] كما مر ﴿أَنَّ﴾: أي: أخرجنا، لأن ﴿ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ۞ وَ﴾: اذكر ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ﴾ نجمعُ ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾: جماعة ﴿مِّمَّن﴾: بيانية ﴿مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾: يجمعون ثم يساقون

---

(١) موضع سجوده.

(٢) أخرجه بنحوه لا بلفظه: الترمذي في جامعه (٥/ ٤٠٧/ ٣٤٦٤) وابن ماجة (٤٠٦٦) وأحمد (٧٩٣٧) وسنده ضعيف.

(٣) الحُضْرُ: العَدْو.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره موقوفا على علي بن أبي طالب (٩/ ٢٩٢٤/ ١٦٥٩٥) وسنده ضعيف لكن له شواهد كثيرة.

(٥) من الكلم وهو الجرحُ.

كما مر ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو﴾: إلى المحشر ﴿قَالَ﴾: الله، تبكيتا: ﴿أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا﴾: أي: بادي الرأي ﴿أَمَّاذَا﴾: أي: شيء[1] ﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: هذا مثل قولك لعبد أكل مالك: أأكلته أم بعتَهُ أم ماذا عملت؟! ﴿وَوَقَعَ﴾: حل ﴿ٱلْقَوْلُ﴾: العذاب الموعود ﴿عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾ بعذر ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟﴾: عبرة ﴿أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾: بالنوم ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾: مبصرا فيه، فيه مبالغة وترك التعليل؛ لأن السكون يتصورُ هناك دون الإبصار هنا ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ﴾: للتوحيد والبعث وبعثة الرسل ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ و﴾: اذكر ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾: قرن ينفخ فيه إسرافيل، آخر الدنيا ﴿فَفَزِعَ﴾: مات، عبر بالماضي لتحققه ﴿مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾: كالشهداء أو موسى وغيرهم، كما ورد، وعن أبي هريررضي الله تعالى عنه: «النفخ ثلاثة: نفخة فزع حياة الدنيا، ونفخة الصعقة، ونفخة البعث»[2] ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ﴾: الموقف ﴿دَٰخِرِينَ﴾: ذليلين ذل العبودية، إذ الأنبياء يأتون مكرمين ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾: واقفة ﴿وَهِىَ تَمُرُّ﴾: تسير ﴿مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾: سرعة؛ لأن حركة الأجرام الكبار في سمتٍ واحد لا تُتَبيَّنُ ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾: مصدر مؤكد لنفسه ﴿ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ﴾: أحكم ﴿كُلَّ شَىْءٍ﴾: كما ينبغي ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾: فيجازيكم ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾: الإيمان ﴿فَلَهُۥ خَيْرٌ﴾: ثواب حاصل ﴿مِّنْهَا﴾: كالجنة أو للتفضيل؛ لأنها سبعمائة وأكثر ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ﴾: فزع دخول النار ﴿يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ۝ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾: الشرك ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾: أنفسهم ﴿فِى ٱلنَّارِ﴾: وقيل لهم: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ قُلْ ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ﴾: مكة ﴿ٱلَّذِى حَرَّمَهَا﴾: صَيدًا ونباتا ولقطةً ونحوها، وأما ورود تحريم إبراهيم[3] فبمعنى[4]

---

(١) تبكيتا.

(٢) في حديث الصور الطويل. * أخرجه البيهقي في البعث (٦٠٩) وأبو الشيخ في العظمة (٣٨٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩/ ٢٩٢٩/ ١٦٦٢٧) وسنده ضعيف.

(٣) يشير إلى حديث: «اللهم إن إبراهيم حرم مكة فجعلها حرما، وإني حرمت المدينة حراما ما بين مأزميها أن لا يهراق فيه دم، ولا يحمل فيها سلاح لقتال... الحديث». * أخرجه مسلم (١٣٧٤)، والبيهقي (٥/ ٢٠١).

(٤) في (ن): بمعنى.

إخباره ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖ﴾: خَلْقا ومُلْكا ﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾: على الناس دعوه أو اتبعوه ﴿فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾: بالاتباع ﴿فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦ﴾: ثمرته له ﴿وَمَن ضَلَّ﴾: بتركه ﴿فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ۝ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾: على ما أعطاني ﴿سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾: في الدنيا كوَقْعة بدر[1] وغيرها ﴿فَتَعۡرِفُونَهَا﴾: حيث لا ينفعكم ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾: أنْ يُمْهل فلا يُهمل- واللهُ أعْلَمُ.



---

(١) الوسيط- للواحدي (٣/ ٣٨٨) من كلام مقاتل- وهو متروك.



«سورة القصص[١]»: مكية[٢]

لَمَّا بيَّنَ[٣] أنه مأْمورٌ بتلاوة القرآن وبَيَّن اهتداءَ مَنْ يتبعه، أتبعه بذكر شرف مَتْلُوِّه[٤] فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ طسم ۞ تِلْكَ﴾: الآيات ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾: القرآن أو اللوح ﴿نَتْلُوا﴾: نقص ﴿عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ﴾: ملتبسا ﴿بِالْحَقِّ﴾: الصدق ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: فإنهم ينتفعون به ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا﴾: تكبر[٥] ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: مِصْر[٦] ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾: فرقا، صرف كل فرقة لخدمته ﴿يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ﴾: هم بنو إسرائيل ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ﴾: لسماعه من الكهنة[٧] أن[٨] ذهاب ملكه بيد مولود منهم ﴿وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾: للخدمة ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۞ وَ﴾: الحال أنا ﴿نُرِيدُ أَن نَّمُنَّ﴾: نتفضل بعد ذلك ﴿عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ﴾: بإنقاذهم منه ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾: يُقْتَدَى[٩] بهم ﴿وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾: لملكه ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ﴾: استعارة للتسليط ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: مصر والشام ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم﴾: من بني إسرائيل ﴿مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾: من ذهاب ملكهم بما مر ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾: إلهاما ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾: ولا تسترضعي له ليأتيك فلا يقبل غيرك ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾: من جواسيس فرعون ﴿فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾: بحر النيل ﴿وَلَا تَخَافِي﴾: عليه من الغرق ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾:

---

(١) كلماتها (١٤٤١) كلمة، وحروفها (٥٨٠٠) حرف.

* عدد سور القرآن (٣٤٥)، الوجيز (٢٥٤)، البيان (٢٠١)، البصائر (١/ ٣٥٣)، بشير اليسر (١٤٢).

(٢) في هامش (ن): بلغ مقابلة.

(٣) في (س): البسملة ثم بيان المناسبة.

(٤) سقطت المناسبة كلها من (ع).

(٥) في (د): ظهر.

(٦) في (س): مصرا.

(٧) في (د): الكهان.

(٨) ساقطة من (د).

(٩) في (ن): مقتدين.

بهجره، ومضى الفرق بينهما ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾: فأرضعته ثلاثة أشهر، فلما خافت وضعته في تابوت وألقته في النيل ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ﴾: لام العاقبة ﴿لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾: فلا عجب في قتلهم أُلُوْفًا لأجله ثم تربيته ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾: حين وجد التابوت ورأت فيه غلاما بهيا وهم بقتله هو: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ﴾ إذ أحباه حين[1] رأياه ﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾: فإنه كبير ليس ابن تلك السنة ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾: إذ في جبينه أثر اليمن ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾: إذ مالنا ابن ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: بأنه مهلكهم ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا﴾: خاليا عن الصبر باستماعها أنهم التقطوه ﴿إِنْ﴾: إنها ﴿كَادَتْ﴾: قربت ﴿لَتُبْدِي﴾: القول ﴿بِهِ﴾: بأنه ابنها ﴿لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾: بالصبر، وجواب «لولا» مدلول كادت[2]... إلى آخره ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: المصدقين بوعدنا برده إليها ﴿وَقَالَتْ﴾: أم موسى ﴿لِأُخْتِهِ﴾ مريم: ﴿قُصِّيهِ﴾: اتبعي أثره، وتتبعي خبره ﴿فَبَصُرَتْ بِهِ﴾: أبصرته ﴿عَنْ جُنُبٍ﴾: بعد كأنها لا تريده ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: أنها أخته ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ﴾ منعناه ﴿الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾: قبل رده إلى أمها[3] ﴿فَقَالَتْ﴾: أخته ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾: بالإرضاع وغيره ﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾: لا يقصرون في تربيته، فأجيبت: فأتت بأمه فالتقم ثديها فسئلت عن سبب قبوله ثديها، والامتناع عن الغير فقالت: لطيب لبني ما أوتيت بصبي إلا قبلني فأعطوه إياها مع عطاء جزيل ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾: برؤيته كما مرَّ ﴿وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ﴾: مشاهدة ﴿أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾: هم الناس ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾: ذلك فيرتابون ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾: منتهى قوته ثلاثين سنة ﴿وَاسْتَوَى﴾: عقله ببلوغ أربعين ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾: أي: علم الحكماء والعلماء ﴿وَكَذَلِكَ﴾: الجزاء ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۞ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ﴾: مصر حين خرج من قصر فرعون ﴿عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ

---

(١) في (ن)، و(د): حيث.

(٢) في (ن): لكادت.

(٣) كذا.

﴿أَهْلِهَا﴾: وقت القيلولة ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا﴾: إسرائيلي ﴿مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا﴾: قبطي ﴿مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾: والإشارة على الحكاية ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾: فقال له موسى: خل سبيله، فلم يقبل ﴿فَوَكَزَهُۥ﴾: ضربه ﴿مُوسَىٰ﴾: بجميع كفه[1] ﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾: قتله، ثم دفنه في الرمل ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾: إذ لَمْ يُؤْمر بقتل الكفَّار ﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾: بين الضلال ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾: بقتله ﴿فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۞ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ﴾: بحق إنعامك ﴿عَلَيَّ﴾: اعصمني ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا﴾: معينا ﴿لِّلْمُجْرِمِينَ﴾: لمن أردت مظاهرته إلى الجرم ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾: ينتظر ما يناله من جهة القتل ﴿فَإِذَا﴾: الاسرائيلي ﴿الَّذِي اسْتَنصَرَهُۥ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾: يستغيثه على قبطي ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾: لما فعلت وتفعل ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾: أي: القبطي ﴿قَالَ﴾ الإسرائيلي: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾: ظن أنه يبطش به لما قاله له ﴿إِن﴾: ما ﴿تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾: فلما سمعه القبطي أخبر فرعون فأمر بقتل موسى ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ﴾: مؤمن من آل فرعون اسمه حزقيل[2] ﴿مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾: يسرع ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ الْمَلَأَ﴾: من قوم فرعون ﴿يَأْتَمِرُونَ﴾: يتشاورون ﴿بِكَ﴾ أي: فيك ﴿لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ﴾: من البلدة ﴿إِنِّي لَكَ مِنَ النَّٰصِحِينَ ۞ فَخَرَجَ مِنْهَا﴾: من البلدة ﴿خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾: لحوق شر ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ ۞ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ﴾: قبالة ﴿مَدْيَنَ﴾: قرية شعيب لم تكن تحت حكم فرعون وبينهما ثمانية أيام، وكان هناك ثلاث طرق، فتحير ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ السَّبِيلِ﴾: فأخذ الطريق الوسط الأعظم، وهم طلبوه من الآخرين ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾: بئرا لهم ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً﴾: جماعة ﴿مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ مواشيهم ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ﴾: قبل أن يصل إليهم ﴿امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾: تمنعان غنمهما من الماء لئلا تختلط بأغنامهم اسمهما: صفورا

---

(١) وقرأ ابن مسعود: «فلكزه» أي: ضربه في صدره. * البحر المحيط (٧/ ١٠٩).
(٢) في (ن)، و(د): حزبيل، وفي (ع): خربيل. * الوسيط (٣/ ٣٩٤)، روح المعاني (٢٠/ ٥٨).
وقيل: هو مؤمن آل فرعون وكان ابن عم فرعون. * مدارك التنزيل - للنسفي (٣/ ١٧٦).

وصفرا[(١)] ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾: أي: شأنكما: لا[(٢)] تسقيان؟ ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ﴾: يصرف ﴿الرِّعَاءُ﴾: مواشيهم ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾: لا يقدر على الخروج للسقي ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾: مواشيهما ورفع مع تعبه وجوعه حجرا حطوه على رأس البئر لم يكن يرفعه إلا عشرة أنفس ﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ﴾: من حر الشمس ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا﴾: أي: لأي شيء ﴿أَنزَلْتَ إِلَيَّ﴾: قليلا أو كثيرا ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾: طعام ﴿فَقِيرٌ﴾: محتاج سائل، إذ بات ثمان ليال خاويا[(٣)]، أو إني لما أنزلت إلى من خير الدين فقير في الدنيا، فيكون شكرا فرجعتا، وأخبرتا أباهما بما جرى فأرسل إحداهما تدعوه ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾: تَسْتُرُ وجهها بكُمِّ درعها وهي امرأة موسى ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾: فأجابها تبركا برؤية الشيخ لا للأجرة، ولذا امتنع من أكل طعامه إلى أن بين أنه ليس للأجرة، روي أنه أمرها بالمشي خلفه لما رأى أن الريح تكشف ساقها[(٤)] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾: ما جرى، مصدر بمعنى المفعول ﴿قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۞ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا﴾: المرسلة ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ﴾: لرعي غنمنا ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ﴾: كما شاهدته من أمر الحجر ﴿الْأَمِينُ﴾: كما شاهدته في المشي قدامها ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي﴾: تكون أجيرا لي في رعى غنمها، أشار إلى نفسه لولايته ﴿ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ﴾: عملت لي ﴿عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ﴾: تفضل، والظاهر أنه استدعاء عقده بالأجل الأول نظرا إلى شرعنا، ويمكن كونه عقدا صحيحا عندهم[(٥)] ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ﴾: للتبرك ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾: في الوفاء[(٦)] ﴿قَالَ﴾: موسى

---

(١) غرر التبيان (٣٩٠) التعريف والإعلام (٩٦)، مفحمات الأقران (٣٥).

(٢) كذا في (ن)، و(د).

(٣) في (د): طاويا.

(٤) أخرجه الدارمي في سننه (١/ ١٦٢/ ٥٦) باب: في إعظام العلم - وسنده موقوف على أبي حازم، والواحدي في الوسيط (٣/ ٣٩٦).

(٥) تيسير البيان لأحكام القرآن (٤/ ١٤٣).

(٦) في (ن)، و(د): للوفاء.

﴿ذَٰلِكَ﴾: العهد ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ﴾: المذكورين ﴿قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ﴾: بطلب الزيادة ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾: شاهد فتزوج ثم أمر شعيب بنته بأن تعطي موسى عصا من عصيه لرعي الغنم فوقع في يدها عصا آدم، وأعطته[1] ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾: الأطول ومكث عشرا أخر وعزم الرجوع ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾: زوجته ﴿ءَانَسَ﴾: أبصر ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾: في ليلة مظلمة وقد ضل الطريق ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ﴾: مر بيانه ﴿ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾: عن الطريق ﴿أَوْ جَذْوَةٍ﴾: عود غليظ[2] ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾: تستدفئون ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ﴾: جانب الواد ﴿ٱلْأَيْمَنِ﴾: كما مر ﴿فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾: العناب[3] أو العوسج[4] ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: هذا لا يخالف طه[5] والنمل في المقصود على أنه يمكن الجمع ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾: فألقاها ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾: تتحرك بسرعة ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾: حية صغيرة مع عظمها ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾: خوفا ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾: لم يرجع، فنودي ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ﴾: فرجع إلى المكان الأول ﴿ٱسْلُكْ﴾: أدخل ﴿يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾: كما مر ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾: عيب ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾: يديك المبسوطتين بإدخال اليمني تحت عضد اليسري وعكسه ﴿مِنَ﴾ أجل ﴿ٱلرَّهْبِ﴾، أو كناية عن التَّجلُّد[6] ﴿فَذَٰنِكَ﴾: العصا واليد ﴿بُرْهَٰنَانِ﴾: حجتان واضحتان، من بره إذا ابيض ﴿مِن رَّبِّكَ﴾: مرسلا ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾: بها ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾: كما مر ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا﴾: معينا ﴿يُصَدِّقُنِيٓ﴾: يصير سبب

---

(١) في (د): فأعطته.

(٢) الجذوة- بتثليث الجيم-: هي القطعة من الحطب بعد التهاب النار فيها جمعها «جذي» نحو: غرفة وغرف، وجذي. نحو: كسرة وكسر. * عمدة الحفاظ (١/ ٣١٤/ جذو).

(٣) غرر التبيان (٣٩٢)، معالم التنزيل (٥/ ١٤٣).

(٤) غرر التبيان (٣٩٢)، معالم التنزيل (٥/ ١٤٣).

(٥) في (د) ما في النمل.

(٦) التصبُّر.

تصديقي، فإن خبر الاثنين أوقع ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ۝ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾: نقويك ﴿بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا﴾: تسلطا ﴿فَلَا يَصِلُونَ﴾: بأذي[1] ﴿إِلَيْكُمَا﴾: ملتبسين ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ۝ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: اليد والعصا ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾: واضحات ﴿قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى﴾: مختلق لم يسبق إليه ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾: السحر أو الدعوى ﴿فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ۝ وَقَالَ مُوسَىٰ﴾: هذا العطف لإظهار الفرق ﴿رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ﴾: العاقبة المحمودة في ﴿ٱلدَّارِ﴾: تعم[2] الدارين ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ نفى العلم به؛ لعدم جزمه بعدمه أو لإرادة نفي المعلوم كما في العلوم الفعلية كعلمه - تعالى - ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾: ما قال: اطبخ الآجرّ؛ لجهلهم به، فإنه أول من صنعه ﴿فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا﴾: قصرا عاليا ﴿لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ﴾: انظر ﴿إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾: كأنه ظن بقوله: رب السموات.... إلى آخره، أنه فيها ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾: في وجوده ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾: كما مر ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾: بالبعث ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ﴾: طرحناهم ﴿فِي ٱلْيَمِّ﴾: كما مر ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: وحذر أمتك ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ﴾ بحملهم على الإضلال ووصفهم به ﴿أَئِمَّةً﴾: قدوة للكفار ﴿يَدْعُونَ إِلَى﴾: موجبات ﴿ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾: بدفع عذابهم ﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾: من كل لاعن ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾: المطرودين من الرحمة ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: التوراة ﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾: القبط وثمود وغيرهم ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾: أنوارا لقلوبهم ﴿وَهُدًى﴾: إلى الحق ﴿وَرَحْمَةً﴾: لمن عمل به ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: به ﴿وَمَا كُنتَ﴾: يا محمد ﴿بِجَانِبِ﴾: الطور ﴿ٱلْغَرْبِيِّ﴾: حاضرا، هو موضع تكليمه ﴿إِذْ قَضَيْنَآ﴾: أوحينا ﴿إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾: الرسالة ﴿وَمَا كُنتَ مِنَ﴾: جملة السبعين ﴿ٱلشَّٰهِدِينَ﴾: فلا تعرفه إلا بوحينا، فكيف

---

(١) في (د) بإذني، وفي (ن): بأدنى الظلم.

(٢) في (ن): نعم الدارين.

يكذبونك؟ ﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأۡنَا قُرُونٗا﴾: بعد موسى ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۚ﴾: فنسوا العهد واندرست العلوم، فلذا يكذبونك بجهلهم ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيٗا﴾: مقيما ﴿فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ﴾: قوم شعيب ﴿تَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا﴾: تعلما منهم لتحكي ﴿وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ﴾: إليك أخبارهم ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا﴾: موسى لإعطاء التوراة، ﴿وَلَٰكِن﴾: علمناك ﴿رَّحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ﴾: من زمان عيسى، وبينهما ستمائة سنة، أو زمن إسماعيل، إذ لم تعم دعوة موسى وعيسى ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿وَلَوۡلَآ﴾: امتناعية[1] ﴿أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ﴾: عقوبة ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾: من أعمالهم ﴿فَيَقُولُواْ﴾: حين أصيبوا ﴿رَبَّنَا لَوۡلَآ﴾: هلا ﴿أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: لما أرسلناك، فإرسالك لقطع عذرهم ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾: محمد ﴿مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ﴾: عنادا: ﴿لَوۡلَآ﴾: هلّا ﴿أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ﴾ كالعصا وغيره (أ) لم يؤت موسى ذلك ﴿لَمۡ يَكۡفُرُواْ﴾ أبناء جنسهم ﴿بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ﴾ في موسى وهارون ومحمد أو في كتابيهما: ﴿سِحۡرَانِ[2]﴾: على الأول للمبالغة ﴿تَظَٰهَرَا﴾: تعاونا في الخوارق ﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ﴾: منهما ﴿كَٰفِرُونَ﴾ ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبٖ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمَآ﴾: الكتابين[3] ﴿أَتَّبِعۡهُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾: فيه ﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ﴾: في طلب الإتيان به ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ﴾: لا الحجة ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى﴾: بلا أصل ﴿مِّنَ ٱللَّهِۚ﴾: للتأكيد أو التقييد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: باتباعهم هواهم[4] إلى النجاة ﴿وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ﴾: القرآن، اتبعنا بعضه بعضا في الإنزال ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾:

---

(١) يعني أن لولا هنا حرف امتناع شيء لوجود غيره.

(٢) في (ن): كتبها: «ساحران»، وكتب في الهامش: «سحران»: حفص.

(٣) عن رفاعة القرظي رضي الله عنه قال: نزلت هذه الآية في عشرة أنا أحدهم: «ولقد وصلنا لهم القول... إلى: ومما رزقناهم ينفقون». أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٠/ ٥٦)، والبغوي في معجم الصحابة (٢/ ٣٣٩/ ٦٩١)، والطبراني في الكبير (٥/ ٥٣/ ٤٥٦٣، ٤٥٦٤)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٨٧، ٢٩٨٨)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٢/ ١٨٠/ ٢٧٣٢) وسنده صحيح.

(٤) في (س): باتباع هواهم.

فيطيعون ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ﴾: قبل القرآن ﴿هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾: نزلت في مؤمني أهل الكتابين ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾: القرآن ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾: لما عرفنا حقيته في كتابنا ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟﴾: على الإيمانين ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾: منهم ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾: في الخير ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ﴾: كشتم الكفار لهم ﴿أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟﴾: للاعنين ﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾: سلام متاركة ﴿لَا نَبْتَغِى﴾: طريقة[1] ﴿ٱلْجَٰهِلِينَ ۝ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾: هدايته كأبي طالب ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾: بمن يستعد للهداية ﴿وَقَالُوٓا۟﴾: قريش عذرا ﴿إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ﴾: نخرج بسرعة ﴿مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ﴾: نجعل مكانهم ﴿حَرَمًا ءَامِنًا﴾: هم آمنون فيه من السطوات ببركة البيت مع كفرهم، فكيف إذا أسلموا ﴿يُجْبَىٰٓ﴾: يحمل ﴿إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾: مجاز عن الكثرة ﴿رِّزْقًا﴾: لهم ﴿مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: جهلة ولذا يعتذرون بذلك ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن﴾: أهل ﴿قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ﴾: طغت ﴿مَعِيشَتَهَا﴾: في معيشتها ﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا﴾: سكنا ﴿قَلِيلًا﴾: للمسافرة ﴿وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾: لا ستئصالهم ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ﴾: بظلم أهلها ﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا﴾: أصلها[2]؛ لتنشر الأخبار منها إلى القرى تتبعها ﴿رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾: فإن أنكروا نعذبهم ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾: بمعصية الرسول ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ﴾: دنيوي ﴿فَمَتَٰعُ﴾: فتمتعٌ في ﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾: ثوابه ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: أن الباقي خيرا ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا﴾: بحسن[3] الموعود كالجنة ﴿فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾: مدركه ﴿كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾: للحساب ﴿وَ﴾: اذكر ﴿يَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾: الله ﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾: شركتهم ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ﴾: وجب ﴿عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾: بالعذاب من رؤساء

---

(١) في (د): طريق.

(٢) هي مكة المشرفة.

(٣) في (ن)، و(د): لحسن.

الضلالة ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ﴾: فغووا ﴿كَمَا غَوَيۡنَا﴾: أي: باختيارهم بلا إكراه منا ﴿تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَ﴾: منهم ﴿مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ﴾: بل عبدوا أهواءهم ﴿و﴾: لما أجابوا غير مطابق ﴿قِيلَ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ﴾: آلهتكم لينجوكم ﴿فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ﴾: لعجزهم ﴿وَرَأَوُاْ﴾: كلهم ﴿ٱلۡعَذَابَۚ لَوۡ﴾: أي: تمنوا ﴿أَنَّهُمۡ كَانُواْ يَهۡتَدُونَ ۞ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ﴾: الله ﴿فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۞ فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ﴾: المنجية لا يهتدون إليها، وأصله: عموا عنها، فعكس مبالغة[1] ﴿يَوۡمَئِذٖ فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾: أي: بعضهم بعضا للدهشة ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ﴾: من الشرك ﴿وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلۡمُفۡلِحِينَ﴾: كما مر ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ﴾: للمشركين ﴿ٱلۡخِيَرَةُ﴾: التخيير إذ اختيارنا بخلقه - تعالى - أو اختيار شيء عليه إذ نزل لقولهم: ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا﴾[2]... إلى آخره ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۞ وَرَبُّكَ يَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ﴾: تخفي ﴿صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ ۞ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ﴾: الدنيا ﴿وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾: لأنه المنعم فيهما ﴿وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ﴾: القضاء النافذ ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾: بالنشور ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ﴾: أخبروني ﴿إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا﴾: دائما، من السرد: المتابعة ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾: بإسكان الشمس تحت الأرض أو تحريكها فوق الأفق[3] الغابر ﴿مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ﴾: سماع تبصر ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾: بجعل الشمس على ضد ما مر ﴿مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٖ تَسۡكُنُونَ فِيهِۖ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾: خصه بالوصف؛ لأن الضوء نعمة في ذاته مقصود في نفسه بخلاف الليل، وخص الأول بالسمع لأكثرية استعماله كالبصر في الثاني ﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ﴾: في الليل ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾: بالنهار ﴿وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۞ وَيَوۡمَ

---

(١) ودلالته على أن ما يحضر الذهن إنما يفيض ويرد عليه من خارج فإذا أخطأه لم يكن له حيلة إلى استحضاره، والمراد بالأنباء: ما أجابوا به الرسل أو ما يعمها. * أنوار التنزيل (٥٢٠).

(٢) سورة الزخرف.

(٣) نواحي السماء والأرض.

يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾: كرره ليبتني[١] عليه ﴿ وَنَزَعْنَا ﴾: أخرجنا ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾: هو نبيهم ﴿فَقُلْنَا﴾: للأمم ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ﴾: على صحة ما تدينتم به ﴿فَعَلِمُوا ﴾ حينئذ ﴿أَنَّ الْحَقَّ ﴾: في الإلهيَّة ﴿لِلَّهِ وَضَلَّ ﴾: ضاع ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾: من الأباطيل ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ ﴾: ابن عمه، نافق كالسامري؛ حسدا على رساله موسى، وأمامة هارون مع كونه احفظ بني إسرائيل للتوراة وأقرأهم ﴿فَبَغَىٰ﴾: ظلم ﴿عَلَيْهِمْ ﴾: بالكبر ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوأُ ﴾: تثقل ﴿بِالْعُصْبَةِ﴾: الجماعة ﴿أُولِي الْقُوَّةِ ﴾: قيل: سبعين، اذكر ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ﴾: بالدنيا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾: بها ﴿ وَابْتَغِ ﴾: اطلب ﴿فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ ﴾: من الدنيا ﴿الدَّارَ الْآخِرَةَ ﴾: بإنفاقه في البر ﴿وَلَا تَنسَ﴾: لا تترك حينئذ ﴿نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾: بأخذ كفايتك ﴿وَأَحْسِن﴾: إلى الناس ﴿كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ ﴾: بالمعاصي ﴿فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ في الأرض ﴿قَالَ﴾ قارون: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ﴾: المال ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ﴾: الكيمياء وهو الإكسير[٢] المزيل لعيوب حدثت لبعض الفلزات من معادنه أو علمه بالتوراه[٣] ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ ﴾ بعض ﴿الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ﴾: للمال ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾: فيدخلون النار بلا حساب لعلمه تعالى بهم ﴿ فَخَرَجَ ﴾: قارون ﴿عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾: في تسعين ألفا،عليهم المعصفرات والحلي، وقيل: غير ذلك ﴿قَالَ ﴾: المؤمنون ﴿الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا﴾: للتنبيه ﴿لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ ﴾: أي: لا عَيْنه[٤] حذرا من الحسد ﴿إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾: من الدنيا ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾: أحبارهم ﴿وَيْلَكُمْ ﴾: كلمة زجر ﴿ثَوَابُ اللَّهِ ﴾: في الآخرة ﴿خَيْرٌ﴾: من ذلك ﴿لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا ﴾: يعطى هذه النصيحة أو المثوبة ﴿إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾: على حكم الله،

---

(١) في (ن): ليبني.

(٢) الإكسير يسميه أهل الكيمياء: الحجر المكرم - قصد السبيل (١/ ٢٠٤).

(٣) في (ن)، و(د): علم التوراة.

(٤) بل أرادوا عينه وكلمة «مثل» تعني النظير والشبيه تمامًا.

فآذى موسى إلى أن أعطى[١] مالا لفاجرة[٢] لتنسبه إلى الزنا، بنفسها فرمته يوم العيد فناشدها موسى حتى صدقت، فأمر الأرض بأخذه بأمر الله[٣] ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ﴾: ﴿وَ﴾ كذا ﴿بِدَارِهِ﴾: لقولهم[٤]: إنما فعله[٥] ليرثه ﴿ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ﴾: أعوان ﴿يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾: بنفسه ﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ﴾: مرتبته ﴿بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ﴾: كلمة للتنبيه أصلها: ويك أن، أو: وي، اسم أعجب أنا والكاف للتعليل، أي: أعجب لأن ﴿ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ﴾: يضيق على من يشاء، لا لكرامةٍ [تقتضي البسط، ولَا لهوانٍ يُوجِب القبض] ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾: لأننا[٦] تمنينا مكانه ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: لنعم الله كقارون ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا﴾: غلبة ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾: ظلما، علق حصولهما على ترك الميل، فتنبه ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ﴾: الحسنى ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾: عن المعاصي ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾: ثوابها مع عشر أمثالها ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: أي: لا يجزون ﴿إِلَّا﴾: مثل ﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾: أي: تبليغه ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾: مكة، أو المقام المحمود ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن﴾: أي: بمن ﴿جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: فخروجي منها لا يدل على ضلالتي كما زعمتم ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾: القرآن ﴿إِلَّا﴾: لكن ألقي إليك ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾: فكذلك نعيدك إلى معادك ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾: بمداراتهم ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ﴾: الكفرة ﴿عَنْ﴾: تبليغ ﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَٱدْعُ إِلَىٰ﴾: توحيد ﴿رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: بمداراتهم ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾: هذا وما قبله للتهييج، وقَطْع طمع الكفرة عن مُداراته معهم ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ

---

(١) يعني قارون- لعنه الله-.

(٢) سماها السُدي: شيرتا.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/ ٣٠١٧/ ١٧١٥٤) مقطوعا على السدي - وسنده باطل.

(٤) يعني بني إسرائيل.

(٥) انتقم منه موسى ليأخذ ماله- فانظر إلى قبح اليهود- لعنهم الله-.

(٦) في (س): لتمنينا.

شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾: ذاته[1] تعالى أو ما عمل لوجهه لبقاء نفعه ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾: القضاء النافذ ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: للجزاء، والله أعْلَمُ بالصّواب.

❁❁❁

---

(١) هذا تأويل مرفوض، ومذهب السلف الصالح إثبات ما أثبته الله لنفسه- سبحانه- مع تفويض معناه إلى الله- تعالى.



«سورة العنكبوت[١]»: مكية[٢]

لمَّا[٣] أمر باتباع آيات الله تعالى ونهى عن الشِّرْك حَثَّ على التثبت والصبر بعد الإيمان فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ النَّاسُ﴾: حسب كظن إلا أنه محظور أحد النقيضين فقط، فالظن محظورهما وترجيح[٤] أحدهما ﴿أَن يُتْرَكُوا أَن﴾: بأن ﴿يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾: يختبرون بمشاق[٥] التكاليف والبليات ليتميز المخلص ولينال عالي الدرجات[٦] على صبره ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: كمن نصف[٧] بالمنشار ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ﴾: علم ظهور ﴿الَّذِينَ صَدَقُوا﴾: في إيمانهم ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ۝ أَمْ﴾: بل أ ﴿حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا﴾: يفوتوننا فلا نقدر عليهم ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾: حكمهم به ﴿مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ﴾: في الجنة ﴿فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ﴾: وقت لقائه ﴿لَآتٍ﴾: فليستعد له ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾: لأقوالكم ﴿الْعَلِيمُ﴾: بعقائدكم ﴿وَمَن جَاهَدَ﴾: نفسه أو الكفرة ﴿فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾: نفعه له ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾: فكلَّفكم[٨] رحمةً عليكم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: إذ أقله حسنة بعشرة أمثالها[٩] ﴿وَ﴾: مما فتناهم أنا ﴿وَصَّيْنَا﴾: أمرنا ﴿الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾: فعلا ذا حسن كالبر ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ﴾:

---

(١) كلماتها: (٩٨٠) كلمة وحروفها: (٤١٩٥) حرفا.

* الوجيز (٢٥٦)، البيان (٢٠٣)، البصائر (١/ ٣٥٩)، عدد سور القرآن (٣٤٩).

(٢) ساقطة من (د).

(٣) في (س): بدأ بالبسملة بعد قوله: مكية.

(٤) في (س): وترخيم.

(٥) في (ن)، و(د): لمشاق.

(٦) سقطت من (ن).

(٧) شق بالمنشار نصفين.

(٨) في (ن): فكلكم.

(٩) ليست في (د)، و(ن).

بإلهيته ﴿عِلْمٌ﴾: فكيف بما علم بطلانه ﴿فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾: فيه ﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: بالجزاء عليه، هذا وما في لقمان والأحقاف في سعد بن أبي وقاص[1] وأمه، إذ دعاه أبو بكر - رضي الله تعالى عنه - إلى الإسلام ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّلِحَتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي﴾: مدخل ﴿الصَّلِحِينَ﴾: الجنة ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ﴾: من الكفار ﴿فِي﴾: دين ﴿اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ﴾: أذى ﴿النَّاسِ﴾: في ترك الدين ﴿كَعَذَابِ اللَّهِ﴾: في ترك الكفر ﴿وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ﴾: كغنيمة ﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾: في الدين فأشركونا فهم يعبدونه على حرف ﴿أَ﴾: قولهم ينجيهم ﴿وَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَلَمِينَ﴾: من الإيمان والنفاق ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: حقيقة ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَفِقِينَ ۝ و﴾: من الفتن أنه ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ اتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا﴾: ارجعوا إلى ديننا ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَيَكُمْ﴾: إن كان خطيئة الأمر مجاز عن الخبر للمبالغة ﴿وَمَا هُم بِحَمِلِينَ مِنْ خَطَيَهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ﴾: في إنجاز وعدهم ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾: أوزارهم لضلالهم، وقد مر بيانه في الأنعام ﴿وَأَثْقَالًا﴾ أخرى ﴿مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾: لإضلالهم ﴿وَلَيُسْئَلُنَّ﴾: توبيخا ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾: على رأس أربعين سنة ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾: اختاره على تسعمائة وخمسين لما فيه من تخيل الطول تسلية للرسول واختلاف المميزين[2] لبشاعة التكرار بلا غرض، فكذبوه ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَلِمُونَ﴾: بالكفر ﴿فَأَنجَيْنَهُ وَأَصْحَبَ السَّفِينَةِ﴾: الثمانين وعاش بعده ستين سنة ﴿وَجَعَلْنَهَآ﴾: السفينة ﴿ءَايَةً﴾: عبرة ﴿لِّلْعَلَمِينَ﴾: إذ كانت على الماء ستة أشهر آخرها عاشوراء وما بقي في الدنيا ديار ﴿و﴾: أرسلنا ﴿إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: من

---

(١) عن سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه قال: نزلت فيَّ أَرْبَعُ آياتٍ... الحديث. أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ١٨٧٧/ ١٧٤٨)، والترمذي (٥/ ٣٤١، ٣٤٢/ ٣١٨٩)، والطيالسي (٢٠٨)، وعبد بن حميد (١٣٢)، وأحمد (١/ ١٨١، ١٨٥، ١٨٦)، وأبو عوانة (٤/ ١٠٤)، والبزار (٣/ ٣٤٧، ٣٤٨/ ١١٤٩)، والطبري في تفسيره (٩/ ١١٧، ٢١/ ٧٠)، والدورقي في مسند سعد (٤٣، ٤٤)، وأبو يعلى (٦٩٦، ٧٢٩، ٧٨٢)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٣/ ٢٩٧).

(٢) أنوار التنزيل (٥٢٦).

عبادتكم الأصنام ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: الخير والشر ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ﴾: تكذبون ﴿إِفْكًا﴾: في تسميتها آلهة ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾: قليلا، والمعبود هو الرازق ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾: كله ﴿وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ وَإِن تُكَذِّبُوا﴾: ني فلا بدع ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾: رسلهم ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾: البين، ثم اعترض بين قصة خليله قصة حبيبه تسلية له وتشبيها له به فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: قومك يا محمد ﴿كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾: من العدم ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾: عطف على أو لم يروا لعدم وقوع الرؤية أو على يبدئ بمعنى ينشيء كل سنة من النبات مثل ما في السنة السابقة ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾: الأمر ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾: لمن قبلكم ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ﴾: الخلق ﴿النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾: والإعادة أيضًا نشأة من حيث إن كُلًّا منهما اختراع، وآثر الإظهار[1] اهتمامًا بشأن الإعادة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: ومنه إعادتكم ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾: بشغله بالدنيا ونحوه ﴿وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ﴾: بحفظه منه ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾: تردون ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾: الله عن[2] إدراككم ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾: لو فررتم إلى أقاصيهما[3] ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾: يمنعانكم عن عذابه ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾: وكذبوا ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: كتبه ﴿وَلِقَائِهِ﴾: البعث ﴿أُولَٰئِكَ يَئِسُوا﴾ ييئسون ﴿مِن رَّحْمَتِي﴾: في القيامة ﴿وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: ثم رجع إلى قصة إبراهيم بقوله ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾: له ﴿إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾: بجعلها[4] عليه بردا وسلاما ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: الانجاء ﴿لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ﴾: لتوادوا بعبادته وبالرفع[5] أي:

---

(١) يعني لفظ الجلالة «الله».

(٢) في (ن)، و(د): على.

(٣) في (ن)، و(د): أقاصيها.

(٤) في (ن)، و(د): فجعلها.

(٥) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو والكسائي وابن محيصن واليزيدي والحسن ومجاهد ورويس.
* إتحاف فضلاء البشر (٣٤٥)، السبعة (٤٩٩)، غيث النفع (٣١٨)، النشر (٢/ ٣٤٣).

هي مودودة[(١)] ﴿بَيْنِكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾: يتبرأ المتبوع من الأتباع ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم﴾: الأتباع ﴿بَعْضًا﴾: المتبوعين ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ﴾: لإبراهيم ﴿لُوطٌ﴾: ابن أخيه هاران وهو أول من آمن به، فقول إبراهيم لامرأته: لا مؤمن غيرنا يعني زوجين مسلمين ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ﴾: حيث أمرني ﴿رَبِّيٓ﴾: فهاجر مع لوط وسارة من سواد الكوفة إلى الشام فنزل لوط بسدوم وهما بفلسطين ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: يدفع[(٢)] أعدائي ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: فيما أمر ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾: ولده، ذكرهما لحصولهما بعد يأسه من الولد ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ﴾: إبراهيم ﴿ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ﴾: منه الكتب الأربعة ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ أَجْرَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا﴾: كاستمرار النبوة في أولاده ومدحه في كل دين بلا نقص في أجر آخرته كما دل عليه ﴿وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ۞و﴾: أرسلنا ﴿لُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ﴾: أهل سدوم ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ﴾: اللواطة ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۞أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾: للمارين بكم ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ﴾: متحدثكم ﴿ٱلْمُنكَرَ﴾: اللواطة أو الضراطة، وقيل: العلك[(٣)] ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾: له ﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾: في الوعيد ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: أي: عليهم بتحقيق الوعيد ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾: كما مر ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾: مدينة سدوم المتبوعة لقرياتها الحاضرة في ذهن المخاطب ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ﴾: مستمرين على ظلمهم ﴿قَالَ﴾: إبراهيم ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾: وهو غير ظالم ﴿قَالُوا۟﴾: الرسل ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ﴾: منك ﴿بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ﴾: لوطا ﴿وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾: الباقين ﴿وَلَمَّآ أَن﴾: صلة[(٤)] ﴿جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا

---

(١) في (د): مودة.

(٢) في (د): بدفع.

(٣) وهو مضغ اللبان بتخنث وميوعة كالنساء ا.هـ.

(٤) «أن» صلة.

سِيٓءَ ﴾: حزن بهم ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾: صدرًا؛ لحسن صورتهم ﴿وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ﴾: علينا ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَ﴾: ننجي ﴿أَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾: الباقين في الشهوات ﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا ﴾: عذابا ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾: باستمرار فسقهم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾: كأنهارهم المسودة وأحجارهم الممطورة ﴿وَ﴾: أرسلنا ﴿إِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾: وحده ﴿وَٱرْجُواْ ﴾: خافوا ﴿ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْاْ ﴾: لا تفسدوا[1] ﴿فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾: كما مر ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ ﴾: الزلزلة كما مر ﴿فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾: نازلين على الركب ميتين ﴿وَ﴾: اذكر ﴿عَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن ﴾: بعض ﴿مَّسَٰكِنِهِمْ ﴾: باليمن والحجر ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾: المستقيم ﴿وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴾: ذوي البصائر، فقصروا في النظر ﴿وَ﴾ اذكر ﴿قَٰرُونَ﴾ قدمه[2] لشرف نسبه ﴿وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴾ فائتين عذابنا ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾: ريحا عاصفا فيها حَصْباء كعاد أو ملكا رماهم بها كقوم لوط ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ ﴾: ثمود ومدين ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾: قارون ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾: كقومي نوح وموسى ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ﴾: يعاملهم معاملة ظالم بعقابهم بلا جُرْم ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾: بفعل ما استحقوا به[3] غضبه ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ﴾:في الوهن ﴿ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ﴾: يعتمد عليه بالنسبة إلى رجل بنى بيتا مضبوطا بالحجر والحصباء ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾: وقاية وسترا ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾: لما اتخذوهم أولياء، وهذا أولى من جعل مثلهم كمثله إذ في بيته نفع ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا ﴾: الذي ﴿يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ﴾:

---

(١) ليست في (د).

(٢) في (ن)، و(د): قُدِمَ.

(٣) ليست في (د).

فيجازيهم ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: في الانتقام ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: في فعله ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ﴾: هذا ونظائره ﴿نَضْرِبُهَا﴾: نبينها ﴿لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ﴾: يعرف فائدتها ﴿إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾: المتدبرون ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾: محقا ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾: الخلق ﴿لَءَايَةً﴾: عظيمة ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: لأنهم المتفكرون ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن تقربا وتحفظا واستكشافا ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: مواظبتها ﴿تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾: ما تناهى قبحه ﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾: شرعًا ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ﴾: ومنه الصلاة ﴿أَكْبَرُ﴾: من بواقي الطاعات، وصلاة الجماعة أفضل الذكر؛ لأنها ذكر الله تعالى في النفس والملأ ذكره إيانا برحمته أكبر من ذكرنا إياه بطاعته ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾: فيجازيكم ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى﴾: بالطريقة[1] التي ﴿هِىَ أَحْسَنُ﴾: كالدعوة إلى الإسلام وبيان الحجج، ثم أخذ الجزية ثم السيف، وقيل: نسخ بالسيف ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾: بالامتناع عما يلزمهم شرعا ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾: لا تصدقوهم ولا تكذبوهم[2] ﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ﴾: خاصة ﴿لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾: وهذه مجادلة حسنة ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: الإنزال لكتبهم ﴿أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: المصدق للكتب ﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: مؤمنوهم ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: العرب ﴿مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾: مع ظهورها ﴿إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: المتوغلون في الكفر ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ﴾ قبل نزوله ﴿مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾: ذكر اليمين لنفي التجوز ﴿إِذًا﴾: لو كان شيء منهما ﴿لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾: أهل الكتاب المريدون لإبطال دينك لما في التوراة أن محمدا لا يخط ولا يقرأ ﴿بَلْ هُوَ﴾: القرآن ﴿ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾: المؤمنين، إذ أنا جيلهم في صدورهم[3] ﴿وَمَا يَجْحَدُ

---

(١) في (ن)، و(د) بالطريق.

(٢) يشير إلى حديث: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا... الحديث».

(٣) في الحديث: «وأمته الحمادون، يأتزرون على أنصافهم ويوضئون أطرافهم، أناجيلهم في صدورهم» أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٨٩/ ١٠٠٤٦) وهشام بن عمار في المبعث (١/ ١٢٩/ جامع الآثار) وقد توسع الإمام الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي في تخريجه وذكر طرقه في كتابه الماتع «جامع الآثار» (١/ ١٢٦) وما بعدها.

بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾: خصه بالظلم؛ لأنه جحد بعد الحجج[1] والأول بالكفر؛ لأنه قسيم المؤمنين ﴿ وَقَالُواْ ﴾: المشركون ﴿لَوْلَآ ﴾: هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾: كالعصا والناقة ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾: لا بقدرتي ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾: بالعذاب ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ ﴾: فيما طلبوا ﴿أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾: فإنه من أمي مثلك آية واضحة ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ ﴾: القرآن ﴿لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ ﴾: تذكرة ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ﴾ بتبليغي وتكذيبكم ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ ﴾: بتكذيب رسله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾: باشتراء الكفر بالإيمان ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ له ﴿لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ ﴾: عاجلًا ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ به ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ﴾ كرره تعجيبا ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ۝ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ﴾: الله تقريعا ﴿ذُوقُواْ ﴾: وبال ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ ﴾ فإن لم تتمكنوا من عبادتي في أرضٍ ﴿فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴾: في غيرها ومن فر بدينه ولو قدر شر فله الجنة ورفاقة إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما[2] وسلم ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾: فلا تخافوا من بعد الوطن ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم ﴾: بالنون، لننزلنهم، وبالثاء[3] المثلثة: لنقيمنهم ﴿مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾: ذلك هم [4] ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ﴾: على المشاق كالهجرة ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ وَكَأَيِّن ﴾: كثيرا ﴿مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ ﴾: معها ﴿رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴾: فهاجروا ولا تخافوا من فقد الزاد كسائر الحيوان المدخر منه[5]

---

(١) في (ن): بالحُجج.

(٢) في (د) عليه.

(٣) قرأ حمزة والكسائي وخلف وعلي والأعمش وطلحة «لَنُثْوِيَنَّهُمْ».

* إتحاف فضلاء البشر (٣٤٦)، السبعة (٥٠٢)، غيث النفع (٣١٩)، النشر (٢/ ٣٤٤).

(٤) في (ن)، و(د): لهم.

(٥) من الرزق.

النمل[1] والفأر والنسر ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: لقولكم[2] ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بكم فلا يغفل عنكم ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾: يصرفون عن توحيده ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ﴾: يضيق ﴿لَهُۥٓ﴾: الضمير لمن من باب: عندي درهم ونصفه أي: نصف[3] درهم آخر أو على التعاقب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: منه من يستحق البسط و التضييق ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: على ظهور حجتي ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾: فيشركون بعد هذا الإقرار ﴿وَمَا هَٰذِهِ﴾: إشارة للتحقير ﴿ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾: كما يلعب الصبي مبتهجا به وما معه إلا التعب ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ﴾: الحياة الحقيقية أي: دارها ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾: لعملوا لها ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: أي: صورة ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾: يعاودون إلى الشرك ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾: من نعمة النجاة ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا۟﴾: بتوادهم على عبادة الأصنام أو أمر للتهديد[4] ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾:

---

(١) يعني: كالنمل والفأر والنسر.

(٢) في (ن): لأقوالكم.

(٣) في (ن)، و(د): نصفه.

(٤) تأتي صيغة الأمر لمعان كثيرة، جمعها الإمام العلامة يوسف بن الحسين بن أحمد زَبَارة الحسني اليمني المتوفي سنة ١١٧٩هـ في قوله:

أَتَتْ لِمَعَانٍ صِيغَةُ الأَمْرِ فَلْتَكُن ... لها حافظا يا صاح غير مسهل

لندب وإرشاد وجوب إباحة ... دعاء كـ «يا رب اعف عنِّي وجمِّل»

ومنها احتقار وامتنان إهانة ... وتسوية تعجيزهم بالمنزل

كذلك تكوين تمن كقوله: ... ألا أيُّها الليل الطويل ألا انجلي

ومن ذاك إنذار كمثل تمتعوا ... قليلا وتأديب كـ «كل أنت مايلي»

وجاءت لتفويض وأيضا مشورة ... كذاك اعتبار والتماس المماثل

ومن ذاك تكذيب كهاتوا تلهفا ... كموتوا وتصبير كـذرهم فمهل

كذا خبر جاءت بمعنى رواية ... إذا أنت لم تستح ما شئت فاعمل

=

عاقبتهم ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا﴾: بلدهم ﴿حَرَمًا ءَامِنًا﴾: لا يغار[1] عليه ﴿وَيُتَخَطَّفُ﴾: يختلس ﴿ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾: قتلا وسبيا ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ﴾: كالصنم ﴿يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾: بالشرك، والتقديم فيهما للاهتمام ﴿وَمَنْ﴾: لا ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: كالإشراك ﴿أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ﴾: القرآن أو الرسول ﴿لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾: منزلًا ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾: والمفترى والمكذب منهم ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا﴾: في حقِّنا، ظاهرا أو باطنًا ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾: الموصلة إلينا أو نزيد هدايتهم وعلمهم ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: بالإعانة، وفي الحديث: «**الإحسان أن تعبد الله**»[2] إلى آخره، وقال عيسى عليه الصلاة والسلام: «**الإحسان: أنْ تُحْسنَ إلى مَن أَساءَ إليك**»[3]. واللهُ أعْلَمُ بالصَّواب، و إليْهِ المرجعُ والمآب.



= وجاءت لتسخير وأيضا تهدد وآخرها الإكرام والحمد للعلي.

* البدر الطالع (٢/ ٣٨٠/ ٤٣٩) الملحق التابع للعلامة محمد بن محمد بن يحيى بن زبارة الحسنى اليمني الصنعاني.

(١) من الغارة وهي الهجوم.

(٢) «**كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/ ٣٠٨٥/ ١٧٤٥٦) عن الشعبي قال: قال عيسى... فذكره.
وقد تحرف في المطبوع إلى: النبي، وهو على الصواب في تفسير ابن كثير (٣/ ٤٢٢)، وفي غرر الخصائص الواضحة.. للوطواط (٢/ ٣٧٠): ومن أحاسن الكلام الصادر عن الحكماء في شرف الحلم ومن تخلق به من الحلماء.



«سورة الروم[١]»: مكية[٢]

إلا آية: ﴿ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ ﴾... إلى آخره[٣].

لما بشر المحسنين بالإعانة، أعقبه بما ينبيء عن تبشيرهم بالنصر[٤] على الأعداء فقال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ الٓمٓ ۞غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾: عن مشركي فارس، وكانوا[٥] أهل الكتاب ﴿ فِيٓ أَدْنَى ﴾: أقرب ﴿ ٱلْأَرْضِ ﴾: من العرب أي: الشام ﴿وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ ﴾: مغلوبيتهم ﴿سَيَغْلِبُونَ ۞ فِي بِضْعِ سِنِينَ ﴾: ما بين الثلاث إلى التسع أو العشر، فغلبوا في السنة السابعة ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ ﴾: قبل غلبهم ﴿وَمِنۢ بَعْدُ ﴾: بعد غلبهم ﴿وَيَوْمَئِذٍ ﴾: يوم يغلبون على فارِس وكان يوم بدر ﴿يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۞ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ﴾: تفاؤلا بغلبة[٦] إخوانهم من أهل الكتاب كما أن المشركين تفاءَلواْ بعكسه.

※[**حُكْم المراهَنَة**]: واعلم أن مراهنة الصديق- رضي الله تعالى عنه- مع أُبيّ بن[٧]

---

(١) كلماتها: (٨١٩) كلمة، وحروفها: (٥٤٣٤) حرفا.

※ عدد سور القرآن (٣٥٣)، البصائر (١/ ٣٦٥) البيان (٢٠٥)، الوجيز (٢٥٨).

(٢) في هامش (ن): بلغ مقابلة.

(٣) عدد سور القرآن (٣٥٢).

(٤) في (ن)، و(د): بالنصرة.

(٥) في (س): فكانوا.

(٦) في (ن): بغلب.

(٧) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: ﴿الٓمٓ ① غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ② فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ ﴾ قال: غلبت وغلبت، كان المشركون يحبون أن يظهر أهل فارس على الروم؛ لأنهم وإياهم أهل أوثان، وكان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس؛ لأنهم أهل كتاب، فذكروه لأبي بكر فذكره أبو بكر لرسول الله ﷺ قال: «**أما إنهم سيغلبون**» فذكره أبو بكر هم.. الحديث. أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٢/ ٣٢٢/ ٢٦٢٠)، وخلق أفعال العباد (٣٨ - ٣٩/ ١١٥، ١١٦) والترمذي (٥/ ٣٤٣، ٣٤٤/ ٣١٩٣) وأحمد ((١/ ٢٧٦، ٣٠٤) وسنده صحيح.

وفي رواية: قال ناس من قريش لأبي بكر: فذلك بيننا وبينكم، زعم صاحبكم أن الروم ستغلب فارسا في بضع سنين، أفلا نراهنك على ذلك؟ قال: بلى وذلك قبل تحريم الرهان، فارتهن أبو بكر والمشركون وتواضعوا الرهان، وقالوا لأبي بكر «**كم تجعل؟ البضع ثلاث سنين إلى تسع سنين**... الحديث. أخرجه =

خلف في نجاز هذا الوعد بمائة قَلُوص[(١)]، وأخذه رَضِّيَ اللَّهُ عَنْهُ من تركته لا تدل[(٢)] على جواز العقود الفاسدة في دار الحرب لكونه قبل تحريم القمار ﴿يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: بالانتقام ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: بالنصر ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾: مصدرٌ مؤكد لنفسه ﴿لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: صحته ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: من التمتع بها لا باطنها من أنها مزرعة الآخرة[(٣)]، أو زائلا[(٤)] منها ﴿وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟﴾: يحدثوا التفكر ﴿فِىٓ أَنفُسِهِم﴾: فيعلموا ﴿مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا﴾: ملتبسا ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: لا عبثا ﴿وَأَجَلٍ﴾: بأجل ﴿مُّسَمًّى﴾: لها ينتهي عنده وهو القيامة ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ﴾: القيامة سماها بها؛ لأنها معظم نعيمها ﴿لَكَٰفِرُونَ ۝ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ﴾: المكذبين ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: كيف أهلكوا فيعتبروا ﴿كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟﴾: قلبوا ﴿ٱلْأَرْضَ﴾: للزراعة ﴿وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾: أي: أهل مكة ﴿وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: من الحجج فكذبوهم ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾: بإهلاكهم ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: بفعل ما استحقوه به ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟﴾: أي: عاقبتهم بعد الإهلاك العقوبة ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ تأنيث أسوأ لأن ﴿أَن﴾ لأن ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ۝ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟﴾: ينشيء ﴿ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾: بعد الموت ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: للجزاء ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ﴾: يسكت آيسا متحيرا ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ ۝ وَلَمْ

= البخاري في التاريخ الكبير (٨/ ١٣٩، ١٤٠/ ٤٢٨١)، والترمذي (٥/ ٣٤٤، ٣٤٥/ ٣١٩٤) وعبد الله بن أحمد في السنة (١/ ١٤٣، ١٤٤/ ١١٦)، والطحاوي في مشكل الآثار (٧/ ٤٤٢)، وابن خزيمه في التوحيد (١/ ٤٠٤، ٤٠٥/ ٢٣٧)، والأصبهاني في الحجة في بيان المحجة (١/ ٢٩١/ ١٥٢)، وابن قانع في معجم الصحابة (٣/ ١٧٣) وسنده حسن.

(١) هي الإبلُ الشابة، وجمعها: قُلُصٌ.

(٢) في (ن)، ،(د): يدل.

(٣) معناه صحيح لكنه ليس بحديث.

(٤) في (د): زيلا.

يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ ﴾: الأصنام ﴿شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ ﴾: بعد اليأس ﴿بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ ﴾: للتأكيد ﴿يَتَفَرَّقُونَ ﴾: المؤمنون والكفار ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ ﴾: أرض ذات أزهار وأنهار ﴿يُحْبَرُونَ ﴾: يسرون سرورا تهللت به وجوههم ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾: لا يغيبون عنه ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ ﴾: أي: سبحوه أو صلوا ﴿حِينَ تُمْسُونَ ﴾: تدخلون في المساء، وفيه[1] صلاتا العشاءين[2] ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾: فيه صلاة الصبح ﴿ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: اعتراض أي: بحمده أهلها ﴿و﴾: سبحوه ﴿عَشِيًّا﴾: صلاة العصر ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾: تدخلون في الظهيرة، أي: وسط النهار، أي: صلوا الظهر ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ ﴾ كالإنسان ﴿مِنَ ٱلْمَيِّتِ ﴾: كالنطفة ﴿وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ ﴾: كالنطفة ﴿مِنَ ٱلْحَيِّ ﴾: كالإنسان ﴿وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ ﴾: بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾: يبسها ﴿وَكَذَٰلِكَ ﴾: الإخراج ﴿تُخْرَجُونَ ﴾: إلى البعث ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ﴾: الدالة على كمال قدرته ﴿أَنْ خَلَقَكُم ﴾: أصلكم ﴿مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾: في الأرض ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ ﴾: جنس ﴿أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ ﴾: لتميلوا ﴿إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾: بمجرد الزواج بخلاف باقي الحيوانات ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾: فيه ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ ﴾: لغاتكم، أو أجناس نطقكم كيفية ﴿وَأَلْوَٰنِكُمْ ﴾: هيأتكم مع اتحاد الوالدين ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ۝ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ ﴾: لاستراحة القوى النفسانية والقوة[3] الطبيعية ﴿وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ﴾: للمعيشة فيهما، أو لف ونشر ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾: سماع اعتبار ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾: أنه[4] ﴿يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ ﴾:

---

(١) في (ن)، و(د): فيه.

(٢) يعني المغرب والعشاء.

(٣) في (ن)، و(د): وقوة.

(٤) في (ن)، و(ع): أن.

حال كونه ﴿خَوۡفٗا﴾: من الصواعق ﴿وَطَمَعٗا﴾: في المطر ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾: يستعملون عقولهم فيها ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦ﴾: بمجرد إرادته ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾: بنفخ الصور للبعث ﴿إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ﴾ أي: منها إلى[1] سريعا ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: خلقا وملكا ﴿كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾: منقادون ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ﴾: رجعه ﴿أَهۡوَنُ﴾: من البدء، نظرا إلى قياسكم أو: هين[2] ﴿عَلَيۡهِ﴾ وقيل: الضمير للخلق ﴿وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ﴾: الوصف ﴿ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾: كالتوحيد وكمال القدرة ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: بصفة ما فيهما دلالة ونطقا ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾: في ملكه ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾: في فعله ﴿ضَرَبَ﴾: جعل ﴿لَكُم﴾: في فساد الشرك ﴿مَّثَلٗا﴾: منتزعا ﴿مِّنۡ﴾: أحوال ﴿أَنفُسِكُمۡ﴾: هي ﴿هَل﴾: ترضون ﴿لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم﴾: مما ليككم ﴿مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ﴾: أي: فتكونون معهم مستويين في التصرف ﴿تَخَافُونَهُمۡ﴾: أن تستفيدوا بتصرف فيه ﴿كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾: أي: كخيفة الأحرار بعضهم من بعض، فكيف تجعلون عبيدي شركائي ﴿كَذَٰلِكَ﴾: التفصيل ﴿نُفَصِّلُ﴾: نبين ﴿ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾: يستعملون عقولهم فيها ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾: بالشرك ﴿أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾: يكفهم ﴿فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾: أراد إضلاله ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾: يخلصونهم من الضلالة ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ﴾ أي: أنت مع أمتك، وخصه؛ لأنه رأسهم ﴿لِلدِّينِ حَنِيفٗا﴾: مائلا عن غيره تمثيل للاستقامة عليه، الْزَمْ[3] ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ﴾: أي: خلقته ﴿ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ﴾ أي: قبولهم للحق أو ملة الإسلام إذ كل مولود يولد عليها[4] أي: ملة الإسلام ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِ﴾: أي: لا يقدر

---

(١) بتشديد الياء المفتوحة يعني إلى الله.

(٢) فـ«أهْون» بمعنى هيِّن.

(٣) فـ«فِطرت» منصوب بالإغراء.

(٤) لحديث: «**كل مولود يولد على الفطرة**» أخرجه الشيخان.

أحدٌ أو لا ينبغي له أن يبدله ﴿ذَٰلِكَ﴾: المأمور ﴿ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾: المستقيم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: ذلك لعدم تدبرهم ﴿مُنِيبِينَ﴾: أي: أقيموا راجعين مرة بعد أخرى، أو منقطعين ﴿إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: والجموع كما في: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾(١)، أو(٢) الخطاب له ولأمته ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ﴾: بدل من المشركين ﴿فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ﴾: لاختلاف أهوائهم ﴿وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾: فرقا ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾: ظنا بأنه الحق ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ﴾: شدة ﴿دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ﴾: راجعين ﴿إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً﴾: بالخلاص منه ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ۝ لِيَكْفُرُوا۟﴾: لام العاقبة أو أمر تهديد ﴿بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: عاقبتكم ﴿أَمْ﴾: بل ﴿أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا﴾: حجة ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾: ينطق ﴿بِمَا﴾: بصحة ما ﴿كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ۝ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً﴾: نعمة ﴿فَرِحُوا۟ بِهَا﴾: بطرا، ذاهلين به عن شكرها ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ﴾: شدة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: من المعاصي ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾: من الرحمة ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾: بسطه له ﴿وَيَقْدِرُ﴾: يضيق لمن يشاء اختبارا ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: فإنهم ينتفعون بها ﴿فَـَٔاتِ﴾: أنت مع أمتك ﴿ذَا ٱلْقُرْبَىٰ﴾: القرابة ﴿حَقَّهُۥ﴾: أي: من الصلة(٣) فلا يدل على وجوب النفقة للمحارم ﴿وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ من الصدقة ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾: ثوابه ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَآ ءَاتَيْتُم﴾: أعطيتم وبالقصر(٤) أي: جئتم به ﴿مِّن﴾: إعطاء

---

(١) سورة المؤمنون.

(٢) في (س): إذ.

(٣) لقوله ﷺ: «**الصدقة على المسكين صدقة، وهي على ذي الرحم اثنتان: صدقة، وصيلة الرحم**». أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٢١٤)، والترمذي في جامعه (٣/ ٦٥٨)، والنسائي في سننه (٥/ ٢٥٨١)، وابن ماجة في سننه (١/ ١٨٤٤)، والحاكم (١/ ٤٠٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٨٥٨)، والمشكاة (١٩٣٩)، وصحيح الترغيب (٨٨٣).

(٤) قرأ ابنُ كثير ومجاهد وحميد: «أتيتم».

* إتحاف (٣٤٨)، السبعة (٥٠٧)، غيث النفع (٣٢٠)، النشر (٢/ ٢٢٨).

﴿رِّبًا﴾: عطية لتعطوا أكثر منها ﴿لِّيَرْبُوَا۟﴾: ليزيد المربي ﴿فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ﴾: لا يثيب عليه، وإن لم يحرم، وقيل: هو في إعطاء الربا ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ﴾: صدقة ﴿تُرِيدُونَ﴾: به ﴿وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾: ذووا الأضعاف والالتفات للتعظيم ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: به ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ﴾:[1] من نحو الفتن وقلة البركة ﴿فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾: كالظلم والجدب والغرق، وموت دوابهما، وقلة اللؤلؤ، لقلة المطر أو في الصحاري والأمصار، أو في المدن والجزائر﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾: من المعاصي ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ﴾: جزاء ﴿ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾: والباقي في الآخرة ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: فلا نذيقهم الباقي ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾: ليعتبروا[2] ﴿كَانَ أَكْثَرُهُم﴾: به ﴿مُّشْرِكِينَ﴾: أهلكناهم بشركهم ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾: كما مر ﴿لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾: المستقيم ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾: من جهته متعلق[3] يأتي أو مرد ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾: يتفرقون إلى الجنة أو النار ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾: أي: وباله ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾: يسوون منازلهم في الجنة ﴿لِيَجْزِىَ﴾: متعلق يصدعون ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾: لا لموجب ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: أفهم محبته للمؤمنين ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ﴾: الشمال والصبا والجنوب[4] ﴿مُبَشِّرَٰتٍ﴾: بالمطر ليبشركم ﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾: بالمطر ونتائجه، وأما الدبور فريح عذاب، ومنه: «**اللهُمَّ اجعلها رياحًا لا رِيْحًا**»[5] ﴿وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ﴾: إذ لا تسير بلا رياح ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾:

---

(١) وهي الوحيدة في القرآن المبدوءة بحرف الظاء المعجمة.

(٢) في (ن): لتعتبروا.

(٣) يعني الجار والمجرور «من الله».

(٤) أنواع الرياح.

(٥) رواه البيهقي في الدعوات الكبير (١/ ٤٨٠/ رقم: ٣٦٩)، وفي معرفة السنن والآثار (٣/ ١٠٧، ١٠٨)، والشافعي في الأم (١/ ٢٥٣)، وهو في مسنده (١/ ١٧٥/ ٥٠٢)، وأبو يعلى (٢٤٥٦)، والطبراني في الكبير (١١٥٣٣)، ،الدعاء (٩٧٧)، وابن عدي في الكامل (٢/ ٧٦٣)، والخطيب في تاريخه (٧/ ١٠٠)
=

بإرادته ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾: بالتجارة فيه ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: نعمه ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: من المعجزات فكذبوهم ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ﴾: بالتكذيب ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: عليهم بتدميرهم ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ﴾: تخرج ﴿سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى﴾: جهة ﴿ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾: سائرا ومطبقا وغيرهما ﴿وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾: قطعا ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾: المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾: وسطه ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۞ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم﴾: المطر ﴿مِّن قَبْلِهِۦ﴾: تأكيد دل على بعد عهدهم بالمطر أو قبل الإرسال ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾: آيسين ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ[1] رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ﴾: المحيي ﴿لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: (و) الله ﴿لَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾: أي: مضرة كما مر ﴿فَرَأَوْهُ﴾: أي: أثر الريح وهو السحاب، مصفرة لا يمطر أو الزرع ﴿مُصْفَرًّا لَّظَلُّواْ﴾: صاروا ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ﴾: نعمه حاصله: يفرحون بالخصب يكفرون في الجدب ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ﴾: كما مر ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ﴾: قلوبا ﴿عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾: كما مر ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾: بالضم[2] والفتح لغتان، وقيل: للبدن والعقل، أي: جعل أسكم[3] من الضعف، أو من[4] نطفة ضعيفة أو أطفالا ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ﴾: ضعف النطفة أو الطفولية ﴿قُوَّةً﴾: قوة الحياة، أو الشباب ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا﴾: ضعف الكبر، ونكر؛ لأنه ليس عين الأول ﴿وَشَيْبَةً﴾: سن الهرم[5] ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾: ومنه الضعف

= وفي سنده مقالٌ.

(١) في (ن): أثر وكتب في الهامش: «آثار»: حفص.

(٢) قرأ الكسائي وابن كثير ونافع وحفص وابن عامر وأبو عمرو وأبو جعفر «ضُعْف» بضم الضَّاد.
* إتحاف (٣٤٩)، السبعة (٥٠٨)، غيث النفع (٣٢١)، النشر (٢/ ٣٤٥، ٣٤٦).

(٣) أصلكم وأساسكم.

(٤) ساقطة من (د).

(٥) في (ن)، و(د): سبب.

والشباب وضدهما ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾: بالكل ﴿ٱلْقَدِيرُ﴾: على الكل ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ﴾: يحلف ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: الكافرون المنكرون للبعث لدهشتهم[١] ﴿مَا لَبِثُواْ﴾: في قبورهم ﴿غَيْرَ سَاعَةٍۚ كَذَٰلِكَ﴾: الصرف عن الصدق ﴿كَانُواْ﴾: في الدنيا ﴿يُؤْفَكُونَ﴾: يصرفون عن الحق ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾: ردا عليهم: ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ﴾: على ما ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: وهو ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ﴾[٢]، أو هو متعلق العلم ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ﴾: الذي أنكرتموه ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: وقوعه ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ في إنكاره ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ أي: لا يطلب منهم إعتابهم، أي: إزالة العتب والغضب بالطاعة، أوعتباهم، أي: رجوعهم[٣] إليها ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا﴾: جعلنا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾: يرشدهم قطعا لمعذرتهم ﴿وَلَئِن جِئْتَهُم﴾: يا محمد ﴿بِـَٔايَةٍ﴾: كآيات موسى ﴿لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾: عنادا: ﴿إِنْ﴾: ما ﴿أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾: ذوو الأباطيل ﴿كَذَٰلِكَ﴾: الطبع ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لا يطلبون العلم ويصرون ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾: بنصرك ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ﴾: لا يحملنك على الخفة والطيش ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾: بالقيامة بإيذائهم، والله أعلم.



---

(١) كذا في (ن)، و(د).

(٢) سورة المؤمنون.

(٣) في (ن): أو رجعوا.



«سورة لقمان[١]»: مكية

إلَّا: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ إلى ثلاث آيات.

لمَّا قالَ: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ إلى آخره، وهدد بتكذيبه، اتبعه بما ينبيء، عن كمال عظمته تعالى فقال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ الٓمٓ ۞ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾: حال كونها ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: الفائزون ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي﴾: بالمال أو يختار ﴿لَهْوَ﴾: لهوا من ﴿ٱلْحَدِيثِ﴾: الغناء، أو اشتراء المغنية وفي معناه كل من اختار اللهو واللعب والمزامير والمعازف على القرآن[٢] ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ﴾: دين ﴿ٱللَّهِ﴾: وبالفتح[٣] ليثبت على ضلاله[٤] ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: بخسرانه ﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾: سبيل الله ﴿هُزُوًا﴾: سخرية ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: لإهانتهم دينه ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ﴾: أدبر ﴿مُسْتَكْبِرًا كَأَن﴾: كأنه ﴿لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾: ثقلا من استماعها ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ۞ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾: مصدران مؤكدان لنفسه ولغيره[٥] ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: في انجاز وعده ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: في فعله ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾: متعلق ﴿تَرَوْنَهَا﴾: كما مر ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: جبالا ﴿رَوَٰسِيَ﴾: شوامخ كراهة ﴿أَن تَمِيدَ﴾: تميل ﴿بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن

---

(١) كلماتها (٥٤٨) كلمة، وحروفها (٢١١٠) حرفا.

* عدد سور القرآن (٣٥٦)، البصائر (١/ ٣٧٠)، البيان (٢٠٦)، الوجيز (٢٦٠).

(٢) انظر أحكام الغناء بالتفصيل في كتاب: «الإمتاع بأحكام السماع» للإمام الأُدفوي- بتحقيقي.

(٣) يعني «ليضلَّ» بفتح الياء المثناة التحتية، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ورويس وابن محيصن ويعقوب. * إتحاف (٣٤٩)، غيث النفع (٣٢٢)، النشر (٢/ ٢٩٩).

(٤) قال ابن مسعود رضي الله عنه: هو الغناء والذي لا إله إلا هو- يرددها ثلاث مرات. أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٣٠٩/ ١١٧١)، والطبري (٢١/ ٣٩، ٤٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٢٧٨/ ٥٠٩٦) والحاكم (٢/ ٤١١) وسنده صحيح.

(٥) في (ن): مصدران مؤكدان لنفسه ولغيره.

كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾: كثير النفع ﴿هَٰذَا خَلْقُ﴾: مخلوق ﴿ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ﴾: الآلهة ﴿ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾: ليستحقوا العبادة ﴿بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: ظاهر ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ﴾: بن باعورا ابن أخت[1] أيوب، عاش مُفتيًا إلى زمن داود وصحبه، وأخذ عنه العلم وترك النساء، وليس بنبي عند الجمهور[2] ﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾: هي استكمال النفس الإنسانية باقتباس العلوم النظرية، ثم[3] اكتساب الملكة التامة على الأفعال الفاضلة بقدر طاقتها قائلين ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾: على هذه النعمة ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾: منفعتُهُ له ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ﴾: عن شكره ﴿حَمِيدٌ﴾: وإن لم يحمد ﴿و﴾: اذكر ﴿إِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ﴾: أنعم أو أشْكم أو ماتان[4]، كان مع امرأته كافرين، فما زال بهما حتى أسلما ﴿وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ﴾ تصغير إشفاق ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾: ببرهما ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ﴾: وهنت ﴿وَهْنًا﴾: ضعفا ﴿عَلَىٰ وَهْنٍ﴾: ضعف، فإنها لا تزال يزيد ضعفها ﴿وَفِصَٰلُهُۥ﴾: وفطامه ﴿فِي عَامَيْنِ﴾: اعترض الحمل والفصال في البين توصيه في خصوصهما قائلين: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾: قال سفيان: حق بر[5] الأول يؤدى بالصلوات الخمس، والثاني بالدعاء لهما أدبارها ﴿إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾: فأجازى ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ﴾: باستحقاقه للإشراك ﴿عِلْمٌ﴾: كما مر ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾: فيه ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا﴾: صحابا ﴿مَعْرُوفًا﴾: بنحو البر، وسئل الحسن: لو نهيَاهُ عن الصلاة بالمسجد فقال: فليطعهما، فإنه للشفقة ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ﴾ رجع ﴿إِلَيَّ﴾: بالطاعة كأبي بكر كما بُيّنَ في العنكبوت ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم

---

(١) هذه الأسماء ونحوها متلقاة عن أهل الكتابين.

(٢) الوسيط (٣/ ٤٤٢) وقال عكرمة والسدي والشعبي: كان نبيًّا وفسروا الحكمة ها هنا بالنبوة.
قال مجاهد: الحكمة ها هنا الفقه والعقل والإصابة في القول.

(٣) في (ن): واكتساب.

(٤) غرر التبيان (٤١١)، مفحمات الأقران (٣٦)، ولا يضر معرفة الاسم من عدمه والأصح أن لقمان كان نوبيا، من مصر.

(٥) يعني الشكر.

﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: بالجزاء، ولما اعترض الإتيان لتأكيد مَنْع[1] الشرك رجع إلى وصية لقمان حيث قال له ابنه: إن عملت خيرا خفيا كيف يعلمه الله؟ فقال: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ﴾: الخصلة حسنة كانت أو سيئة ﴿إِن تَكُ مِثْقَالَ﴾: مقدار ﴿حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾: صغرا ﴿فَتَكُن فِي﴾: جوف ﴿صَخْرَةٍ﴾: أخفى مكان أو السجين تحت الأرضين[2] ﴿أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: أعلاها ﴿أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أسفلها ﴿يَأْتِ بِهَا﴾: يحضرها ﴿ٱللَّهُ﴾: فيجازى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾: عالم بكل خفي ﴿خَبِيرٌ﴾: بكنهه ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾: من البلاء ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾: المذكور ﴿مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾: معزوم مفروضها ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾: لا تمله عنهم تكبرا ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: تمرح ﴿مَرَحًا﴾: اختيالا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾: ذي خيلاء أو متبختر في مشيه ﴿فَخُورٍ﴾: على الناس بغير الحق، وأخر مقابل التصغير؛ للفواصل ﴿وَٱقْصِدْ﴾: توسط بين الدبيب والإسراع ﴿فِي مَشْيِكَ﴾: في الحديث: «**سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن**»[3]، والإسراع الوارد في مشيه عليه الصلاة والسلام[4][1] محمول على ما فوق

---

(١) في (س)، و(ح)، و(د): معنى والمثبت من (ن)، و(ع). وهو موافق لمعنى ما في البيضاوي.

(٢) الوسيط (٣/ ٤٤٣).

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠/ ٢٩٠)، والديلمي (٢/ ٣٣٢٥) وابن النجار (١٥/ ٤١٦٢٠/ كنز) عن ابن عباس مرفوعا. وأخرجه الخطيب البغدادي في كتاب الجامع (٢/ ٢١٩١)، وابن عدي في الكامل (٥/ ١٣) عن ابن عمر - مرفوعا. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٢٦٥)، والضعيفة (٥٥).

(٤) لم تكن سرعة مشيه ﷺ مما يخل بالمشي،وإنما كانت الأرض تطوى له فعن أبي هريرة قال: ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله ﷺ كأن الشمس تجري في وجهه، ولا رأيت أحدا أسرع في مشيته من رسول الله ﷺ كأنما الأرض تطوى له، إنا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث». أخرجه الترمذي (٥/ ٦٠٤/ ٣٦٤٨)، وفي الشمائل (١٢٣/ ١٧٧)، وأحمد (٢/ ٣٥٠، ٣٨٠) وابن سعد (١/ ٣٧٩، ٣٨٠، ٤١٥).

- وعن الشفاء بنت عبد الله أنها رأت فتيانا يقتصدون في المشى رويدا، فقالت: ما هؤلاء؟ فقالوا: نساك، فقالت: كان والله عمر رضي الله عنه إذ تكلم أسمع، وإذا مشى أسرع، وإذا ضرب أوجع، وهو الناسك حقا. أخرجه ابن سعد (٣/ ٢٩٠).

- وقال السيوطي:

حدَّثنا شَيخنا الكناني ... عن أبه صاحب الخطابه

=

البطء المفرط ﴿وَاغْضُضْ﴾: اقصر ﴿مِن صَوْتِكَ﴾: كانت العرب تفتخر بجهارة الصوت ﴿إِنَّ أَنكَرَ﴾: أقبح ﴿ ٱلْأَصْوَاتِ لَـ﴾: جنس ﴿صَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾: خصصها؛ لأنها تختص بالجهر غاية وسعها، تمتِ الوصيَّةُ.

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: بأن جعلهما من أسباب منافعكم ﴿وَأَسْبَغَ﴾: أتم، وقريء في الشَّاذة بإبدال السين صادا[٢]، وجوازه مطرد في اجتماعها مع غين أو خاء أو[٣] قاف، ولو بفاصلة كصلخ وصقر ﴿عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً﴾: تعرفونها ﴿وَبَاطِنَةً﴾: لا تعرفونها أو محسوسة ومعقولة ﴿وَ﴾: مع هذا ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي﴾: دين ﴿ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى﴾: من رسول ﴿وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾: يضيء، بل بتقليد الجهلة ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَ﴾: وتتبعونهم[٤] ﴿وَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ﴾: آبائهم ﴿إِلَىٰ﴾: موجبات ﴿عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: في عمله ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾: الحبل الأوثق الموصل إلى الله تعالى بلا انفصام[٥] ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾: مرجعها ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ﴾: بالجزاء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: فضلاً عن غيرها، فيجازي عليها ﴿ نُمَتِّعُهُمْ﴾: في الدنيا ﴿قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ﴾: نلجئهم في الآخرة ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾: ثقيل عليهم ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن

= أَسْرِع أخا العِلْمِ في ثلاثٍ الأكل والمشي والكتابه

* الكواكب السائرة (١/ ٢٣٠).

(١) في (د): ﷺ.

(٢) قرأ ابن عباس ويحيى بن عمارة «وأصْبَغَ» بالصاد. * المحتسب (٢/ ١٦٨).

(٣) قال ابن جني في المحتسب (٢/ ١٦٨): أصله السين، إلا أنها أبدلت للغين بعدها صادا، كما قالوا في: سالغ: صالغ، وفي سالغ: صالخ وفي سقر: صقر، وفي السقر: الصقر.

وذلك أن حروف الاستعلاء تجتذب السين عن سفالها إلى تعاليهن والصاد مستعْلية، وهي أخت السين في المخرج، وأخرى حروف الاستعلاء. * وانظر: أنوار التنزيل- للبيضاوي (٥٤٥).

(٤) في (ن)، و(د): أيتبعونهم.

(٥) في هامش (ن): في نسخة: انصرام.

خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾: على تمام حجتي ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾: أنه يلزمهم ﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ﴾: عن عبادتهم ﴿ٱلْحَمِيدُ ﴾: المستحق للحمد وإن لم يحمد ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ ﴾ وحدها؛ لإرادة تفصيل آحادها ﴿أَقْلَٰمٌ ﴾: لكتابة معلومات الله ﴿وَٱلْبَحْرُ ﴾: المحيط بسعته مدادا[1] ﴿يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾: بعد نفاده ﴿سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ﴾: والسبعة للكثرة أي: لو كُتبت بها معلوماته ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ﴾: وقد أفاد بجمع القلة أنها لا تفي بقليلها، وبالغ في المداد لنفردها بالكتابة دون القلم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ﴾: لا يعجزه شيء ﴿ حَكِيمٌ ﴾: في أفعاله ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾: كخلقها وبعثها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾: بالكل لا يشغله إدراك بعض عن بعض، فكذا خلقه ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ﴾: كما مر ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ ﴾ منهما ﴿يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾: القيامة، والفرق بين إلى[2] واللام[3] إفادة منتهى الجري، والغرض منه ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ ذَٰلِكَ ﴾: الاختصاص بالقدرة التامة ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ﴾: الثابت ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ﴾ هو ﴿ٱلْبَٰطِلُ ﴾: الزائل ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ﴾: شأنا ﴿ٱلْكَبِيرُ ﴾: سلطانا ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ ﴾: مصحوبة ﴿بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ ﴾: أي: بسبب رحمته ﴿لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ ﴾:على بلائه ﴿شَكُورٍ ﴾: على نعمائه ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم ﴾: علاهم ﴿مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ ﴾: كما يظل من نحو الجبال ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ﴾: عدل موحد، والباقي يجحدون الحق ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾: ومنها الإنجاء ﴿إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ ﴾:غدار ﴿ كَفُورٍ ﴾: للمنعم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى ﴾: لا يقضي ﴿وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ ﴾: قاض ﴿عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ﴾: أفهم بتغيير النظم أنه أولى بأن لا يجزي عنه ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ ﴾:

---

(١) المداد: الحبر.

(٢) إلى أجلٍ.

(٣) لأجلٍ.

بـالجزاء [١] ﴿حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ﴾: برحمته الشيطان ﴿ٱلْغَرُورُ﴾: بترجية عفوه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ فقط [٢] هـذه الخمسة: ﴿عِلْمُ﴾ تعيين ﴿ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾: وقته ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾: ذكورة وأنوثة [٣] وغيرهما ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾: خيرًا أو شرًّا، جعل لنا الدراية التي فيها معنى الحيلة ولجنابه تعالى العلم تفرقة بين العلمين، وأفاد أن ما هو بحيلتنا لا نعرف عاقبته، فكيف بغيره ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾: خص المكان ليعرف الزمان من باب أولى، لأن الأول في وسعنا بخلاف الثاني وَتَخْصيص الخمسة لسؤالهم عنها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾: بالظواهر والبواطن، سبحانه وتعالى - واللهُ أعْلَمُ بالصَّوَاب.



---

(١) في (د): الجزاء.

(٢) يعني لا عند غيره.

(٣) ليست في (ن).



«سورة السجدة[١]»: مكية[٢]

إلَّا: ﴿ أَفَمَن كَانَ ﴾ إلى ثلاثِ آياتٍ[٣].

لمَّا ذكر اختصاصه تعالى بعلم الغيب، بينه بأن أعظم المغيبات وهو الكتاب المخبر عما كان، وعما سيكون منزل من عنده تعالى[٤] فقال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ﴿ الٓمٓ ﴾ ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: القرآن: مبتدأ ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: معترضة ﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: خبر ﴿أَمْ﴾: بل ﴿يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾: محمد ﴿بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾: من زمن عيسى أو إسماعيل[٥] ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: من الأحد إلى آخر الجمعة وتأويله صعب[٦] ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: استواء يليق به كما مر ﴿مَا لَكُم﴾: إذا عصيتموه ﴿مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ﴾: ينصركم ﴿وَلَا شَفِيعٍ﴾: إلا بإذنه ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾: تتعظون ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾: أمر الدنيا ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: بأسباب سماوية نازلة ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾: مدة الدنيا ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ﴾: يرجع ﴿إِلَيْهِ﴾: الأمر كله ﴿فِى يَوْمٍ﴾: وقت من أوقات القيامة ﴿ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾: في الدنيا، وكل يوم خمسون ألف سنة كما في «سأل»، هذا للكافر، وأما للمؤمن فأخف من صلاة[٧] مكتوبة، أو هو نزول الملك بتدبير الدنيا، من السماء ثم عروجه كل يوم، والمسافة خمسمائة، وفي المعارج عروجهم إلى العرش ﴿ ذَٰلِكَ﴾: المدبر ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾: ما غاب عنكم ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: ما حضر ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ﴿ ٱلَّذِىٓ

---

(١) كلماتها: (٣٧١) كلمة، وحروفها: (١٥١٨) حرفا. * البصائر (١/ ٣٧٣).

(٢) في أكثر الأقاويل. * عدد سور القرآن (٣٥٨).

(٣) وهي: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾ إلى تمام الثلاث آيات. * أخرجه ابن جرير (٢١/ ٦٨) بسند ضعيف جدا.

(٤) سقطت من (س).

(٥) وهذه الآية مع غيرها تنسف قول من قال بنبوة خالد العبسي، وحنظلة!!!!! والله المستعان.

(٦) بل سهل باتباع الحديث والأثر.

(٧) سبق تخريجه.

﴿أَحۡسَنَ﴾ أتقن أو علم ﴿كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾: فعلا وصفة واسما بدل اشتمال ﴿وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ﴾: آدم ﴿مِن طِينٖ ۞ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ﴾: ذريته الناسلة، أي: المتصلة ﴿مِن سُلَٰلَةٖ﴾: شيء مستل منفصل ﴿مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ﴾: حقير كما أن آدم من سلالة من طين ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ﴾: قومه[1] بتصوير أعضائه ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾: إضافة تشريف كما مر ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ﴾: لتشكروه بصرفها فيما خلقت له ﴿قَلِيلٗا مَّا﴾: كما مر ﴿تَشۡكُرُونَ ۞ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا﴾: غبنا ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭ﴾: كما مر ﴿بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ﴾: بالبعث ﴿كَٰفِرُونَ﴾: جاحدون ﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم﴾: لا يبقى منكم أحدًا ﴿مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ﴾: بقبض أرواحكم، وفي الحديث: «**إنه يتفحصنا[2] كل يوم خمس مرات**»[3]، وهو تعالى يتوفى الأنفس بخلق الموت، وأمر الوسائط والملائكة أعوان ملك الموت في جذب الروح، وهو يتناوله فلا ينافيها ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ﴾[4]، و﴿تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا﴾[5] ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ﴾: للجزاء ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾: الكفرة ﴿نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾: في القيامة خجلا قائلين ﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا﴾: ما كذبناه ﴿وَسَمِعۡنَا﴾: منك تصديقه ﴿فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾: لرأيت أمرا فظيعا[6] ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا﴾ ما تهتدي به ﴿وَلَٰكِنۡ حَقَّ﴾: ثبت ﴿ٱلۡقَوۡلُ﴾ القضاء ﴿مِنِّي﴾ وهو ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾: من هؤلاء المجرمين ﴿أَجۡمَعِينَ﴾: كما مر، ولو شاء لهدى المعتزلة بهذه الآية، يقال لهم ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ﴾: بترك الإيمان به ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمۡ﴾: تركناكم في العذاب ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ

---

(١) من التقويم وهو تسوية الخلق وتعديله.

(٢) كذا في جميع النسخ والصحيح: «يتصفحنا».

(٣) عن أبي أسامة زيد بن أسلم العدوي- رحمه الله- قال: يتصفح ملك الموت- عليه السلام- المنازل في كل يوم خمس مرات. * أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٣/ ٩١٠/ ٤٤٥) وسنده صحيح إلى زيد، لكنه مقطوع عليه، ومثله لا يقال بالرأي.

(٤) سورة الزمر.

(٥) سورة الأنعام.

(٦) جواب «لو».

﴿ٱلۡخُلۡدِ﴾: عذابا خالدا ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۞ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: إيمانا كاملا ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ﴾: وعظوا ﴿بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ﴾: نزهوا ربهم ملتبسين ﴿بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾: كقولهم: سبحان الله وبحمده ﴿وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾: عن طاعته ﴿تَتَجَافَىٰ﴾: تتنحى ﴿جُنُوبُهُمۡ﴾: أسند إليها مبالغة ﴿عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ﴾: فراش نومهم لصلاة التهجد ﴿يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا﴾: من عقابه ﴿وَطَمَعٗا﴾: في ثوابه ﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾: في البر ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾: ما تقربه عيونهم كما مر ﴿جَزَآءَۢ﴾: علة أُخفى ﴿بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾: خفيًّا بلا مُراءاة ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا﴾: كعلي رضي الله تعالى عنه ﴿كَمَن كَانَ فَاسِقٗا﴾: كافرا، كوليد[1] بن عقبة[2] ﴿لَّا يَسۡتَوُۥنَ﴾: شرفا ومثوبة ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾: كما مر ﴿نُزُلَۢا﴾: هو ما يعد للضيف أولا ﴿بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾: بمقامع النار كما مر ﴿وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾: سيبين في سبأ ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ﴾: مصائب الدنيا ﴿دُونَ﴾: قبل ﴿ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ﴾: عذاب الآخرة ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾: فلا يقعوا في الأكبر[3] ﴿وَمَنۡ﴾: لا ﴿أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾: القرآن ﴿ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآ﴾: ولم يتفكر فيها، بين في الكهف بالفاء[4] تكذيبهم بادي الرأي، وهنا بثم، وضوح الاستبعاد ﴿إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾: فكيف بالأظلم ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾: لقائك الكتاب،

---

(١) كذا في جمع النسخ، والمراد: الوليد.

(٢) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال الوليد بن عقبة ابن أبي معيط لعلي ابن أبي طالب رضي الله عنه: أنا أحد منك سنانا، وأبسط منك لِسانًا وأملأ للكتيبة منك، فقال له علي: اسكت؛ فإنما أنت فاسق؛ فنزل: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ﴾ قال يعني بالمؤمن: عليا، وبالفاسق: الوليد بن عقبة. أخرجه الواحدي في أسباب النزول (٢٣٦)، وابن عساكر (٦٦/ ١٧١) وابن عدي في الكامل (٦/ ٢١٣)، والخطيب في تاريخه (١٣/ ٣٢١) وسنده ضعيف.

(٣) في (د): الأكثر.

(٤) يعني «فأعرض عنها».

والظاهر أن المراد: أنا إذا[1] آتيناه الكتاب فأنت أولى به، والله تعالى أعلم أو لقاء موسى في المعراج ﴿وَجَعَلْنَٰهُ﴾: الكتاب ﴿هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ﴾: الناس ﴿بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟﴾: على أوامرنا ﴿وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ۝ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ﴾: يقضي ﴿بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: في الدين بالمجازاة ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾: للمشركين ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ﴾: في أسفارهم فيعتبروا ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾: على قدرتنا ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾: تدبرًا ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾: جُرز نباتها أي: قطع ﴿فَنُخْرِجُ بِهِۦ﴾: بالماء ﴿زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾: فيستدلون على البعث ﴿وَيَقُولُونَ﴾ استهزاء ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ﴾: فتحُ الحكم بيننا وبينكم، أي: فصله أو النصر ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ﴾: القيامة أو البدر[2] ﴿لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ﴾: حال العذاب أو القتل ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: يُمْهلون ليؤمنوا ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾: في الوعد ﴿وَٱنتَظِرْ﴾: النصر ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾: الغلبة عليك- واللهُ أعلمُ بالصّوابِ، وإلَيْه المرجعُ والمآب.



---

(١) في (د): إذ.

(٢) يعني: غزوة بَدْر.



«سورة الأحزاب[١]»: مدنية[٢]

لمَّا أُمِرَ ﷺ بالإعْراض عنهم، نهاه عن إطاعتهم، فقال ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾: اثبت على تقواه ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾: فيما فيه وهن دينك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾: بالمصالح ﴿حَكِيمًا﴾: فيما حكم به[٣] ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۞ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾: في كل الأمور ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾: لأنه معدن الروح الحيواني المتعلق للنفس الإنساني أولا ومنبع القوى بأسرها فيمتنع تعدده، رد به قول من قال: لي قلبان يعقل كل منهما أفضل من عقل محمد[٤]، وكانوا يقولون للبيب ذو القلبين[٥] ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ[٦] مِنْهُنَّ﴾: بقولكم: أنت كظهر أمي ونحوه ﴿أُمَّهَٰتِكُمْ﴾: حتى تجعلوه فرقة مؤبدة بينكما كما في الجاهلية وتخصيص الظهر؛ لأنه محل الركوب، وهي إذ غشيت تركب غالبا فمعناه: حرم علي ركوبك كركوب ظهر الأم ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ﴾: من تبنونهم ﴿أَبْنَآءَكُمْ﴾: حقيقة كزيد بن محمد بمجرد تبنيه والمتبنى المجهول النسب إن أمكن ثبوته سنًّا ينسب بشرط تصديقه إن كان بالغا، ويعتق بلا تصديق، وإن لم يمكن فلا يعتق خلافا للحنفية ﴿ذَٰلِكُمْ﴾: المذكور أو

---

(١) كلماتها (١٢٨٨) كلمة، وحروفها: (٥٧٩٦) حرفا.

* الوجيز (٢٦٣)، البصائر (١/ ٣٧٧)، البيان (٢٠٨)، عدد سور القرآن (٣٦١).

(٢) في الأقاويل كلها. * عدد سور القرآن (٣٦١).

(٣) في (د): فيه.

(٤) عن مجاهد قال: إن رجلا من بني فهر قال: إن في جوفي قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد! وكذب. أخرجه الطبري (٢١/ ٧٤، ٧٥)، والطحاوي في مشكل الآثار (٨/ ٤٤٦/ ٣٣٧٢) وسنده ضعيف وأخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣١١٢/ ١٧٥٧٣).

(٥) لم يذكره المحبيُّ في كتابه: «ما يُعولُ عليه».

(٦) في هامش (ن): تظاهرون: حفص.

الأخير ﴿قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾: بلا حقيقة؛ لأنه عليه الصلاة والسلام لما تزوج زينب قال المنافقون: تزوج امرأة ابنه[١] ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾: الحق ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ﴾: كزيد بن حارثة ﴿هُوَ﴾: دعاؤهم كذلك ﴿أَقْسَطُ﴾: أعدل ﴿عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾: فادعوهم أخي ومولاي بهذا المعنى ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾: إثم ﴿فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾: من النسبة ﴿وَلَٰكِن﴾: الجناح[٢] في ﴿مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: به، في الحديث: «**مَلعُونٌ من نُسبَ إلى غَير أبيه**»[٣]، وفي منسوخ القرآن: «لا ترغبوا عن آبائكم، فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آباءكم[٤]» ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۞ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾: في كل الأمور، فيجب كونه أحب ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾: حرمة واحتراما، فلا يقال لهن: أمهات[٥] المؤمنات وقرئ: (وهو أبٌ لَهُم)[٦]، أي: دينًا، فالمؤمنون إخوة ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ﴾: ذوو القرابات ﴿بَعْضُهُمْ

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ١٤٥)، ومسلم (١٨٨٤).

(٢) في (د): جناح.

(٣) هذا معنى الحديث، أما لفظه فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من ادعي إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**». أخرجه أحمد (١/ ٣٢٨)، وابن ماجة (٢٦٠٩)،وابن حبان (٢/ ١٦١/ ٤١٧/ إحسان) بسند صحيح.

(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٦٧) وعزاه لعبد الرزاق.

(٥) فعن عائشة رضي الله عنها أن امرأة قالت لها: «يا أمه»! فقالت: أنا أم رجالكم لست بأمك». أخرجه ابن سعد (٨/ ٦٧)، والبيهقي (٧/ ٧٠).

وحكى الماردي في تفسيره (٤/ ٣٧٤) خلافا في كونهن أمهات المؤمنات، وهو خارج على مذهب من أدخلهن في الخطاب تعظيما لحقهن، ووجه مقابله أن فائدة أمومتهن في حق الرجال مفقودة في حق النساء. وقال ابن الملقن في الخصائص (٢٥٠):

قال أصحابنا: فالأمومة ثلاث وأحكامها مختلفة:

أ - أمومة الولادة، ويثبت فيها جميع أحكام الأمومة.

ب- وأمومة أزواجه- عليه الصلاة والسلام- ولايثبت إلا تحريم النكاح.

جـ - وأمومة الرضاع متوسطة بينهما.

(٦) وهي قراءة ابن مسعود، وأبي وابن عباس. * البحر المحيط (٧/ ٢١٢)، تفسير الطبري (٢١/ ٧٧)، الجامع - للقرطبي (١٤/ ١٢٣)، الكشاف (٣/ ٢٥١) معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٣٥).

=

أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ﴾: في الإرث ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: فريضته ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: بحق الدين ﴿وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾: بحق الهجرة، نسخ الإرث بهما بهذه الآية، وبالأنفال ﴿إِلَّآ﴾: لكن ﴿أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم﴾ من أحبابكم ﴿مَّعْرُوفًا﴾: بوصية فجائز ﴿كَانَ ذَٰلِكَ﴾: الحكم ﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾: وخلافه شرع قبل لمصالح ﴿و﴾: اذكر ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ﴾: في التبليغ ﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾: ذكر أولي العزم لمزيد شرفهم ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾: شديدا ﴿لِّيَسْـَٔلَ﴾: الله ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾: في التبليغ تبكيتا للكفرة فأثابهم[1] ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾: حين اتفق المشركون وأهل الكتاب، وهم خمسة عشر ألفا، وحاصروا المدينة شهرا، والنبي ﷺ حفر الخندق بشَوْر[2] سلمان، ولم يقع بينهم إلا الترامي ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾: الصبا[3]، قلعت خيامهم ﴿وَجُنُودًا﴾: من الملائكة ﴿لَّمْ تَرَوْهَا﴾: فكبروا[4] من جوانبهم حتى انهزموا خائفين ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۞ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ﴾: أعلى الوادي ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾: أي: أحاطوا بكم ﴿وَإِذْ زَاغَتِ﴾: مالت ﴿ٱلْأَبْصَٰرُ﴾: عن مستوى نظرها حيرة ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ﴾: من الرعب ﴿ٱلْحَنَاجِرَ﴾: منتهى الحلقوم إذ الرئة تنتفخ بالروح فيرتفع بارتفاعها إليه، ولما اشتكوا منه قال عليه الصلاة والسلام: «**قُولُوا: اللّهُمّ اسْتُرعوراتنا وآمن روعاتنا**»[5] ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾: أنواع الظن المؤمنون إنجاز وعده والمنافقون إخلافه، وزيدت الألف تشبيها للفواصل بالقوافي ﴿هُنَالِكَ

= وانظر: غاية السول - لابن الملقن (٢٥٠، ٢٥١).

(١) يعني سؤال الصادقين لإثابتهم.

(٢) يعني إشارة سيدنا سليمان الفارسي رضي الله عنه.

(٣) لحديث: «**نُصرتُ بالصَّبا وأهلكت عاد بالدَّبُور**». أخرجه البخاري (٢/ ١٠٣٥)، ومسلم (٢/ ٩٠٠)، وأحمد (١/ ٣٢٤) والصبا ما تستقبل الإنسان من ظهره، وتسمى القبول لمقابلتها الكعبة.

(٤) في (ن): فكروا.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/ ١٧٥٩٩/ ٣١١٦).

﴿ٱبْتُلِيَ﴾: اختبر ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: فظهر المخلص من غيره ﴿وَزُلْزِلُواْ﴾: بالخوف ﴿زِلْزَالًا شَدِيدًا ۞ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: ضعف اعتقاد ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾: باطلا ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾: المنافقون ﴿يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ﴾: اسم المدينة قديما فغيرها[1] عليه الصلاة والسلام بطيبة، لما فيه معنى اللوم[2] ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾: هنا عند النبي ﷺ ﴿فَٱرْجِعُواْ﴾: هاربين أو مرتدين ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ﴾: للرجوع ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾: مُخْتلّة بلا حصن ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن﴾: ما ﴿يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۞ وَلَوْ دُخِلَتْ﴾: بيوتهم ﴿عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾: جوانبها ﴿ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلْفِتْنَةَ﴾: الشرك ﴿لَأَتَوْهَا﴾: فعلوها[3] ﴿وَمَا تَلَبَّثُواْ﴾: في إجابة الفتنة ﴿بِهَآ إِلَّا﴾: لبثا ﴿يَسِيرًا﴾ لحبهم الكفر ﴿وَلَقَدْ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾: في الزحف ﴿وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا﴾: عن الوفاء به ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا﴾: إن فررتم ﴿لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا﴾ زمانا ﴿قَلِيلًا﴾: بقية آجالكم[4] ﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا﴾: مصيبة ﴿أَوْ﴾: من يمنع إن ﴿أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾: يدفع الضر عنهم ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ﴾: المثبطين للمسلمين ﴿مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾: من ساكني المدينة ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾: تستريحوا[5]، إذ يهود المدينة طلبوا المنافقين ليستريحوا وهم خوفوا المؤمنين ليرجعوا ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ﴾: لا يقاتلون ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: رياء حال كونهم ﴿أَشِحَّةً﴾: بخلاء ﴿عَلَيْكُمْ﴾: بالإعانة والإنفاق ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ﴾: وقت الحرب ﴿رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾: في أحداقهم ﴿كَٱلَّذِي﴾: كنظر من ﴿يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ﴾:

---

(١) في (س): فيها قبره عليه السلام!! وهو تحريف.

(٢) من التثريب وقد كره رسول الله ﷺ تسميتها بهذا الاسم حيث قال: «**أمرت بقرية تأكل القرى، يقولون: يثرب، وهي المدينة**». أخرجه البخاري (٤/ ٨٧/ ١٨٧١)، ومسلم (١٣٨٢).

(٣) غير واضحة في (ن).

(٤) في (ن)، و(د): أجلكم.

(٥) في (ن)، و(د): لتستريحوا.

سكرات ﴿ٱلْمَوْتِ﴾: لواذا بك[١] ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم﴾: ضربوكم ﴿بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾: كالأسنة لأجل الغنيمة وغيرها ﴿أَشِحَّةً﴾: بخلاء ﴿عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾: كالغنيمة ﴿أُولَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟﴾: حقيقة ﴿فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾: من نحو الصلاة ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾: الإحباط ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۞ يَحْسَبُونَ﴾: هؤلاء لجبنهم ﴿ٱلْأَحْزَابَ﴾: المنهزمة ﴿لَمْ يَذْهَبُوا۟﴾: ما انهزموا، ففروا إلى المدينة ﴿وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟﴾: يتمنوا لخوفهم ﴿لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ﴾: كائنون مع البدو ﴿فِى ٱلْأَعْرَابِ﴾: ليسلموا من القتال ﴿يَسْـَٔلُونَ﴾: الناس ﴿عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ﴾: بلا مشاهدتكم جبناء ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم﴾: وكان قتال ﴿مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا﴾: رياء ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ﴾: خصلة حقها أن يؤتسى بها أو[٢] قدوة يتأسى به ﴿حَسَنَةٌ﴾: كالتصبر ﴿لِّمَن﴾: بدل من لكم ﴿كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ﴾: ثوابه ﴿وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾: نعيمه ﴿وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۞ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ﴾: بقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم﴾ الآية[٣] ﴿وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾: بإخباره وأظهرهما كراهة اتحادهما ضميرا أو للتعظيم ﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾: ذلك ﴿إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾: انقيادا ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾: فثبتوا وجاهدوا ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾: نذره بأن قاتل حتى استشهد كحمزة[٤] رضي الله تعالى عنه ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾: الشهادة كعثمان رضي الله تعالى عنه ﴿وَمَا بَدَّلُوا۟﴾: عهدهم ﴿تَبْدِيلًا﴾: كالمنافقين ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ﴾: بإماتتهم على النفاق ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾: بتوفيق التوبة وقبولها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾: لمن تاب

---

(١) يعني: يلوذون بك كالغريق.

(٢) في (ن)، و(د): إذ هو.

(٣) سورة البقرة.

(٤) الآية أعم من حمزة رضي الله عنه فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر- وفيه: فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون فما عرفة أحد إلا أخته ببنانه، قال أنس: كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾. أخرجه البخاري (٦/ ٢١/ ٢٨٠٥)، ومسلم (١٩٠٣/ ١٨).

﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ﴾: الأحزاب ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: عن المدينة ﴿بِغَيْظِهِمْ﴾: متغيظين ﴿لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا﴾ نفعا ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾: بالريح والملك ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾: فيما أراد ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم﴾: عاونوا الأحزاب، ونقضوا عهد النبي عليه الصلاة والسلام[١] ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾: بني قريظة ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾: حصونهم جمع صيصه[٢] ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾: الخوف ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾: منهم وهم المقاتلة ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾: وهم الذراري والنساء ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ﴾: مزارعهم ﴿وَدِيَٰرَهُمْ﴾: حصونهم ﴿وَأَمْوَٰلَهُمْ﴾: النقود والمواشي ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾: خيبر أو فارس والروم، والمضي[٣] لتحقق وقوعه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾: أي: سعتها ﴿وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾: متعة الطلاق، قدمه على ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ﴾: أطلقكن حثا على الكرم وحسن الخلق ﴿سَرَاحًا جَمِيلًا﴾: بلا ضرر ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾: فاخترن الآخرة ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾: من النشوز وسوء الخلق ﴿يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾: ضعفي عذاب غيرهن، إذ عظم الذنب بعظم المذنب ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾: التضعيف ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾: لا ينظر إلى أنكن نساء نبيه ﴿وَمَن يَقْنُتْ﴾: يطع ﴿مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾: لعظم شأنها ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾: في الدارين ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ﴾: أصله[٤] وحد، يستوي

---

(١) في (ن)، و(د): ﷺ.

(٢) وهي ما تُحصِّن به، وتقال لقروب الثور وشوكة الديك أيضًا.

(٣) يعني عبر بالماضي: «وأورثكم»؛ لتحقق وقوعه في المستقبل؛ لأن وعد الله حق لا يتخلف.

(٤) «أحد» صفة مشتقة على وزن «فعل» أصلها: وحد، قلبت الواو همزة سماعا على غير قياس، وهذا القلب لازم.

قال سيبويه: وقالوا: أحد، وأصله: وحد؛ لأنه واحد، فأبدلوا الهمزة لضعف الواو عوضا لما يدخلها من الحذف والبدل، وليس ذلك مطردا في المفتوحة.

وليس كل همزة في قولنا «أحد» مبدلة، فقد تكون أصلية، ففي العدد يكون قلب الواو همزة، وأما قولهم: «ما بالدار أحد» فالهمزة أصلية؛ لأنها للعموم لا للإفراد.

=

إفرادا وتذكيرا وغيرهما، أي: كجماعة واحدة ﴿مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾: فضيلة ﴿إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾: للرجال، بل غلظن الكلام ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾: فجور ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾: بعيدا عن الريبة ﴿وَقَرْنَ﴾: اسكن بكسر القاف وفتحها من أقررن بكسر الراء وفتحها[1]، أو وقريقر وقارا، أو اجتمعن من قار يقار: اجتمع ﴿فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾: تظهرن زينتكن، بنحو التَّبخْتُر[2] في المشي ﴿تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾: قبل الإسلام من إظهار النساء محاسنهن للرجال، والأخرى: الفسوق في الإسلام ﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾: الإثم[3] المدنس لعرضكم يا ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾: قال الأكثرون: أراد نساء النبي كما يدل عليه سابق[4] الآية ولاحقها، وفي الحديث: «**إن عليا وفاطمة والحسن والحسين رضي الله تعالى عنهم أجمعين أهل البيت**[5]»، ولا دليل على الحصر في أحد من

= وذكر السمين أن لفظ «أحد» في قوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ (البقرة: ١٣٦) يحتمل أن تكون همزته أصلية، وأن تكون مبدلة من واو بمعنى واحد.

* الكتاب (٤/ ٣٣١)، الأصول (٣/ ٣٠٧)، المقتضب (١/ ١٦٢)، سر صناعة الإعراب (١/ ٩٢)، الممتع (٣٣٥)، الدر المصون (٢/ ١٣٩)، اللسان (٣/ ٧٠/ أحد)، إعراب ثلاثين سورة (٢٢٨)، معجم مفردات الإبدال والإعلال - للخراط (٢٧٥) وهو كتاب مفيد جدا.

(١) قرأ الكسائي وحمزة وابن عامر وعاصم وأبو عمرو وابن كثير: «وقرن» بكسر القاف.

* إتحاف (٣٥٥)، السبعة (٥٢٢)، غيث النفع (٣٢٥)، النشر (٢/ ٣٤٨).

(٢) كذا في (ن)، و(د).

(٣) في (د): الذم.

(٤) كذا في (ن)، ،(د).

(٥) يشير إلى حديث الكساء: «**اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا**، قالت أم سلمة: فأدخلت رأسي البيت، فقلت: يا رسول الله ! وأنا معكم؟ قال: «**أنت على خير**» مرتين. أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٢٩٢، ٢٩٦)، وإسحاق (١٨٧٤) والترمذي (٥/ ٦٩٩/ ٣٨٧١) وابن أبي شيبة (١٢/ ٧٣/ ١٢١٥٣) والطبري (٢٢/ ٧٥٦)، وأبو يعلي (١٢/ ٣١٣/ ٦٨٨٨) وابن عدي (٥/ ١٩١٧) والطبراني في الكبير ((٣/ ٥٢، ٥٥/ ٢٦٦٢)، والدولابي في الكنى (٢/ ١٢٢)، والحاكم (٢/ ٤١٦)، والبيهقي (٢/ ١٥٠) والواحدي في أسباب النزول (٢٣٩)، والبغوي في معالم التنزيل (٦/ ٣٥١) وسنده صحيح.

الطرفين[1] ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾: منه ﴿تَطْهِيرًا ۝ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾: القرآن ﴿وَالْحِكْمَةِ﴾: السنة، ولا تنسين هذه النعمة ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا﴾: بمطيعه ﴿خَبِيرًا﴾: بخلقه ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ﴾: المنقادين لحكم الله ﴿وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾: المصدقين بما يجب تصديقه ﴿وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ﴾: المطيعين ﴿وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ﴾: في الإيمان ﴿وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ﴾: على الطاعة ﴿وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ﴾: المتواضعين لله ﴿وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ﴾: عن الحرام ﴿وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾: في الحديث: «من أيقظ امرأته في الليل فصليا فهما تلك الليلة منهم»[2]، والعطف لاختلاف جنسي الأنثى والذكر وأوصاف كل زوجين، والعطف في الأول واجب، وفي الثاني جائز ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً﴾: لذنوبهم ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا ۝ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾: أي: جنسهما ﴿إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾: الاختيار ﴿مِنْ أَمْرِهِمْ﴾: كعبد الله بن جحش حين خطب النبي عليه الصلاة والسلام[3] أخته زينب ابنة عمّة[4] النبي ﷺ لزيد بن حارثة فكرها ثم رضيا بعد نزولها[5] ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ۝ و﴾: اذكر ﴿إِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ

---

(١) وانظر: ذخائر العقبي في مناقب ذوى القربي للمحب الطبري، بتحقيقي، واستجلاب ارتقاء الغرف- للإمام السخاوي.

(٢) عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إذا استيقظ الرجل من الليل وأيقظ أمراته فصليا ركعتين كتبا ليلتئذ من الذكرين الله كثيرا والذاكرات**». أخرجه ابن ماجة (١/ ٤٢٣/ ١٣٣٥)، وابن حبان (٦/ ٣٠٨/ ٢٥٦٩/ إحسان)، وأبو داود (٢/ ٧٣/ ١٣٠٩) و (٢/ ١٤٧/ ١٤٥١)، والحاكم (١/ ٣١٦) وأبو يعلي (٢/ ٣٦٠/ ١١١٢)، والبيهقي في الشعب (٣/ ١٢٦/ ٣٠٨٣)، وفي السنن (٢/ ٥٠١)، وابن أبي الدنيا في التهجد وقيام الليل (٢٣٣/ ٢٩٤) وسنده حسن.

(٣) في (ن)، و(د): ﷺ.

(٤) في (ن): عمّ.

(٥) أخرجه الطبري (٢٢/ ٩) وابن أبي حاتم في تفسيره (٩/ ٣١٣٤/ ١٧٦٨٧) وسنده ضعيف.

﴿ٱللَّهُ عَلَيۡهِ﴾: بالإسلام ﴿وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ﴾: بالعتق، و[١]هو زيد حين رأى النبي عليه الصلاة والسلام[٢] زوجها زينب فوقع في نفسه الشريفة حبها، وفي نفس زيد كراهتها، فأراد فراقها فقال له: ﴿أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ﴾: زينب ﴿وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾: في طلاقها ﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ﴾: من إرادتك نكاحها لو فارقها ﴿وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ﴾: فليس العتب على اخفائه فقط بل بضميمة مخافتهم وإظهار ما ينافي إضماره ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا﴾: حاجةً وطلقها وانقضت عدتها ﴿زَوَّجۡنَٰكَهَا﴾: بلا واسطة عقد ﴿لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ﴾: تزوج ﴿أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾: قضاؤه ﴿مَفۡعُولٗا﴾: لا محالة ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنۡ حَرَجٖ فِيمَا فَرَضَ﴾ قسم ﴿ٱللَّهُ لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾: كسنته في الأنبياء ﴿فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ﴾: في رفع الحرج عنهم فيما[٣] أباح لهم ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾: فعله ﴿قَدَرٗا﴾ قضاء ﴿مَّقۡدُورًا﴾: مقضيا ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾: تعريض بعد تصريح ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا﴾: كافيا للمخاوف ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ﴾: كل موضع سماه باسمه الكريم، فهو لإثبات رسالته[٤] فلا يخل بتعظيمه ﴿أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ﴾: نسبا فبمجرد تبنيه لم تثبت أبوته، وأما طاهر وطيب وقاسم وإبراهيم فما بلغوا مبلغ الرجال ولو كان ولده رجلًا[٥] للاق به أن يكون نبيًا كما ورد في إبراهيم[٦] ﴿وَلَٰكِن﴾ كان ﴿رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾: والرسول أبو أمته شفقة ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾: أي: آخر من نبئ فلا يرد عيسى عليه

---

(١) الواو ساقطة من (د).

(٢) في (ن)، و(د): ﷺ.

(٣) في (س): فما!!.

(٤) في (د): رسالاته.

(٥) من (س)، وفي (ن)، و(ع): ولو كانَ رجلٌ ولدهُ.

(٦) يشير إلى حديث: «**لو عاش إبراهيم لكان صديقا نبيا**» أخرجه أحمد (٣/ ١٣٣)، وابن ماجة (١/ ١٥١١)، والباوردي في معجمه (١١/ ٣٢٢٠٤/ كنز)، وابن عساكر (٣/ ٧٦)، (٥٧/ ١٩)، وابن سعد (١/ ٩٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٥٢٧٢).

السلام[1] على أنه ينزل على دينه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۞ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً﴾: أول النهار ﴿وَأَصِيلًا﴾: أخره لمزيد شرفهما أو دائما ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ﴾: بالرحمة ﴿وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ﴾: بالاستغفار لكم، فالمشترك إرادة الخير ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ﴾: المعاصي ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾: الطاعة ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۞ تَحِيَّتُهُمْ﴾: منه ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ﴾: بلسان الملائكة ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾: كالجنة ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا﴾: على أمتك ﴿وَمُبَشِّرًا﴾: للمطيع ﴿وَنَذِيرًا﴾: للعاصي ﴿وَدَاعِيًا إِلَى﴾: طاعة ﴿ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ﴾: بأمره ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾: للقلوب فراقبهم، وإنما شبهه بالسراج لا الشمس لأنه يتفرع منه سرج لا تعد، وقد اقتبس منه عليه الصلاة والسلام الأنبياء والأولياء والائمة ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾: على الأمم ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾: ذُمْ على مخالفتهم ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾: بالمحاربة إلى أن تؤمر بها ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: في كل أمورك ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾: خصهن ترغيبا فيهن ﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾: تجامعوهن ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾: تستوفون عددها، أفهم أن العدة حقهم، وظاهره عدم وجوبها بمجرد الخلوة ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾: أعطوهن المتعة إن لم يفرض صداقهن، فإن فرض فنصف المفروض كما مر، وأمر بالمشترك بين الوجوب والندب فإنها سنة إن فرض ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ﴾: طلقوهن ﴿سَرَاحًا جَمِيلًا﴾: بلا ضرار ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾: مهورهن، ليس القيد للشرط بل لإيثار الأفضل ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾: غنمكه كصفية، فإن المشتراة لا يتحقق بدو أمرها ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ﴾: بخلاف النصارى فإنهم يحرمون من بينهم وبينها سبعة أجداد، واليهود يتزوجون بنات الأخ والأخت ﴿ٱلَّـٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾: إلى المدينة، ولو بلا رفاقة أو المعيَّة شرط

---

(١) في (د): عليه الصلاة والسلام.

مخصوص[1] به كما في قصة أم هانئ ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا﴾: يطلب نكاحها بلا صداق، خلص إحلالها ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾: خلوصا ﴿مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: أفهم أن نكاحها لا ينعقد بلفظها لأن اللفظ تابع للمعنى، وقد خص عليه الصلاة والسلام به ولو بلا ولي ومهر وشاهد[2]، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: لكن ما وقع له، وقيل: وقع في أربع و ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾: المؤمنين ﴿فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾: من شرائط العقد ووجوب القسم والمهر بالوطء ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾: من التوسيع[3] فيها، أفهم باعتراض هذه الجملة أن تخصيصه عليه الصلاة والسلام به لمعان فيه تقتضى الفرق بيننا وبينه فيه لا توسعة عليه ﴿لِكَيْلَا﴾: متعلق خالصة ﴿يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾: ضيق في النكاح ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾: لما يعسر التحرز عنه ﴿رَّحِيمًا﴾: بالتوسعة ﴿تُرْجِى﴾: تؤخر ﴿مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ﴾: تضم ﴿إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾: خيره في القسم بعدما كان واجبا عليه، ولكنه واعاه إلى موته ﷺ، أو تطلق وتمسك ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ﴾: إصابتها ﴿مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾: عن القسم أو طلقتها رجعية ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾: فيه ﴿ذَٰلِكَ﴾: التخيير ﴿أَدْنَىٰٓ﴾: أقرب إلى ﴿أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾: لأن حكم كلهن فيه سواء فإن سويت فرحن وإن رجحت عرفن[4] الله تعالى، فيرضين[5] ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾: من الميل إلى البعض[6] طبعا ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾: بالكل ﴿حَلِيمًا﴾: لا يؤاخذكم بما ليس في وسعكم ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾: بعد التسع ممن اخترته أو بعد اليوم ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾: بتطليق إحداهن ونكاح بدلها ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا﴾:

---

(١) تيسير البيان (٤/ ١٢٢).

(٢) انظر: توضيح فتح الرؤف المجيب- للمناوي (١/ ٦٥٠/ بتحقيقي).

(٣) في (د): التوسع.

(٤) في (د): عرفهن.

(٥) في (ن)، و(د): فيرضيهن.

(٦) في (د): بعض.

لكن ﴿مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾: فيحل لك، واختلف في نسخها بآية ترجي، ولكن ما تزوج عليهن بعد بلا خلاف، وتملك[١] مارية أم إبراهيم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا﴾: فلا تعتدوا حدوده[٢] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾: في الدخول بدعائكم ﴿إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ﴾: منتظرين ﴿إِنَىٰهُ﴾: وقته أو نضجه ﴿وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا﴾: أي: و[٣]غير ﴿مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾: بينكم في بيته والخطاب لجماعة معينة بلا عموم، وكان يوم وليمة تزوجه بزينب[٤] ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ﴾: المكث ﴿كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ﴾: أن يخرجكم ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾: لا يترك بيانه ترك المستحي ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾: أي: أزواجه ﴿مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾: ستر ﴿ذَٰلِكُمْ﴾: السؤال هكذا ﴿أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾: من الخواطر الشيطانية ﴿وَمَا كَانَ﴾: ما صح ﴿لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾: بفعل ما يكرهه ﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾: بعد وفاته أو فراقه بشرط الدخول ﴿أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ﴾: من الايذاء أو النكاح ﴿كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ۞ إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا﴾: كنكاحهن[٥] ﴿أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ۞ لَّا جُنَاحَ﴾: إثم ﴿عَلَيْهِنَّ فِىٓ﴾: ترك الاحتجاب عن ﴿ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾: ترك الخال والعم لأنهما بمنزلة الوالدين، ويؤيده: ﴿وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ﴾[٦] أو لما مر في النور ﴿وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾: أي: المؤمنات ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ﴾: عبيدا أو[٧] إماء ﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ﴾: فيما أمرتن به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا﴾: لا يخفى عليه شيء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ

---

(١) في (ن)، و(د): وملك.

(٢) في (د): فلا: يقدر أحد رده.

(٣) ليست في (ن)، و(د).

(٤) أخرجه البخاري (٤٧٩١)، ومسلم (١٤٢٨/ ٩٢).

(٥) في (ن)، و(د): لنكاحهن.

(٦) سورة البقرة.

(٧) كذا في (ن)، و(د).

﴿عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾: يعتنون[1] بتعظيم شأنه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ﴾: اعتنوا به أيضا ﴿وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾: قولوا اللهم صلى[2] على محمد وسلم، وهما[3] فرض غير مؤقت عند الأكثرين، ويجب في تشهد الصلوات فقط عند الشافعي رحمه الله تعالى[4] ويكرهان على غير الرسل والملائكة إلا تبعا[5] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: بأن ينسبوا إليهما ما لا يليق بهما ﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾: أبعدهم من رحمته ﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ۝ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ﴾: من جناية استحقوها ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا﴾: كذبا ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾: ظاهرا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ﴾: يرخين ﴿عَلَيْهِنَّ مِن﴾: بعض ﴿جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾: بأن يرخين بعض الجلباب على وجوههن إذا خرجن لحاجة إلا عينا واحدة[6] ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ﴾: أقرب إلى ﴿أَن يُعْرَفْنَ﴾: بأنهن[7] حرائر ﴿فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾: إذ فسقتهم كانوا يتعرضون للإماء ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾: لما سلف ﴿رَّحِيمًا﴾: بكم فيراعي مصالحكم ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾: عن نفاقهم ﴿وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: ضعف إيمان كالفسقة ﴿و﴾:

---

(١) كذا في (ن)، و(د).

(٢) كذا- وهو جائز وقد ألف العلماء كتبا وأجزاء في الصلاة على النبي ﷺ كابن أبي عاصم، والجهضمي والفيروزابادي، وابن بشكوال، وابن القيم والسخاوي والسيوطي والنبهاني- وغيرهم.

(٣) في (ع): وهذا.

(٤) في (ن): رضي الله عنه.

(٥) وهذا هو الصحيح.

(٦) وهذا هو النقاب الشرعي وهو القناع على مارن الأنف والجمع نقب، وقد تنقبت المرأة وانتقبت، وما ذكره المصنِّفُ هو الوصوصة. * النهاية (٥/ ١٠٣)، تاج العروس (نقب).

وقال القسطلاني: هو الخمار الذي تَشُدُّهُ المرأة على الأنف أو تحت المحاجر، فإن قرب من العين حتى لا تبدو أجفانها فهو الوصواص- بفتح الواو وسكون الصاد الأولى- فإن نزل إلى طرف الأنف فهو اللفام- بكسر اللام وبالفاء- فإن نزل إلى الفم، ولم يكن على الأرنبة منه شيء فهو اللثام- بالمثلثة. * إرشاد الساري (٣/ ٣١٢)، شرح الزرقاني على الموطأ (٢/ ٢٣٣).

* وانظر بالتفصيل: مائة دليل على وجوب النقاب (١٤/ من تأليفي).

(٧) في (د): أنهن.

المؤمنون ﴿الْمُرْجِفُونَ﴾: المخبرون بالكذب ﴿فِي الْمَدِينَةِ﴾: عن أراجيفهم في المسلمين ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾: لنسلطنك عليهم ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا﴾: في المدينة ﴿إِلَّا﴾ جوارا ﴿قَلِيلًا﴾: حال كونهم ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا﴾: وجدوا ﴿أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا﴾: والثلاثة قوم واحد، سن الله تعالى ذلك ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي﴾: منافقي الأمم ﴿الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۞ يَسْأَلُكَ النَّاسُ﴾: أهل مكة استهزاء ﴿عَنِ﴾: وقت ﴿السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ﴾ أي: يعلمك بها، أي: لا تعلمها ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ﴾: وقتا ﴿قَرِيبًا ۞ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾: نارا شديدة ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾: ينجيهم عنها ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ﴾: تصرف من جهة إلى جهة ﴿وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾: كلحم يشوى ﴿يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ۞ وَقَالُوا﴾ الأتباع منهم: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾: والألفين[1] كما في الظنونا ﴿رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ﴾: مثلي عذابنا ﴿وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾: عظما وعددا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا﴾: في إيذاء رسولكم ﴿كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ﴾: بنسبته إلى الزنا[2] أو الأدرة[3] أو قتل هارون[4] ﴿فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾: بخسف قارون أو نهب الحجر ثوبه عند غسله حتى رأوه سليمًا، أو إحياء هارون حتى أخبر ببراءته ﴿وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾: ذا جاه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾: صوابا ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾: بقبولها ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ﴾: ظفر بكل خير ﴿فَوْزًا عَظِيمًا ۞ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾: الطاعة المذكورة فإنها واجبة الأداء كالأمانة ﴿عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾: فقلن أي: شيء فيها؟ فأجبن: إن احسنتن أثبتن، وإن أسأتن

---

(١) في (ن)، و(د): والألف، وفي (ع): والألفان.

(٢) سبق كما في قصة قارون- لعنه الله-.

(٣) بضم الهمزة وسكون الدال المهملة وفتح الراء المهملة-؛ وهي انتفاخ الخصية؛ لأنه كان يستتر في الغسل. * رواه البخاري (١/ ٧٨) ومسلم (٤/ ١٨٤١).

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٣٧)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٤٨٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٥٧/ ١٧٨٠١) وسنده ضعيف.

عوقبتن [١] ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ﴾: خفن ﴿مِنْهَا﴾: فضججن إلى الله تعالى ثلاثة أيام ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾: آدم مع ضعفه بعد عرضها عليه ﴿إِنَّهُۥ﴾: جنسه ﴿كَانَ ظَلُومًا﴾: بنفسه يتحمل ما لا [٢] يطيقه ﴿جَهُولًا﴾: بوخامة عاقبته، وعن الحسن وغيره: إن الأمانة في غير ذوي العقول انقياد مُرادِه [٣] تعالى وفهم طاعته، والإباء عن حملها أداؤها وحملها الخيانة فيها من حمل الأمانة، أي: لم يؤدها، والظلم والجهالة [٤] الخيانة والمبالغة [٥] لعظمة الموصوف أو لتعديه إلى غيره ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ﴾: متعلق العرض على آدم المُقدّر ﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾: بتضييعهم لها، ﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾: بحفظها، أفهم بالتوبة مكان الإثابة أن ظلومية طبيعتهم لا تخليهم عن الفرطات: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ للتائبين [٦] ﴿رَّحِيمًا﴾: بالمطيعين- واللهُ أعْلَمُ بالصّواب.



---

(١) الوسيط (٣/ ٤٨٤).

(٢) في (ن)، و(د) لم.

(٣) في (ن): إنفاذ أمره، وكتب في الهامش: انقياد مراده، وهي كذلك في (ع).

(٤) في (س): وإطالة.

(٥) يعني: ظلوم، جهول فهما صيغتان للمبالغة على وزن فعول.

(٦) في (د): للناس.



«سورة سبأ[(١)]»: مكية[(٢)]

إلَّا آيه: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ ﴾.

لمَّا أخبر عن تعذيب المنافقين وتكريم المؤمنين في القيامة، بيَّن أنه يستحقُّ الحمد على ذلك، وبين قدرته عليه، وهدَّد منكريه بقوله: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: خلقا ونعمة ﴿وَلَهُ﴾ عُطفَ على له ﴿ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأَخِرَةِ﴾: لأن ما فيها منه أيضًا، وقدم الصلة هنا؛ لأن النعم الدنيوية قد تكون بواسطة من يستحق الحمد لها ظاهرا ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾: في فعله ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾: بخلقه ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾: يدخل ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: كالغيث وغيره ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾: كالزرع وغيره ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: من الأقضية كالرزق وغيره ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾: كالأعمال ﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾: للمقصرين ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ﴾: القيامة ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾: الساعة ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾: جرا صفة، ورفعا[(٣)] مبتدأ خبره ﴿لَا يَعْزُبُ﴾: لا يغيب ﴿عَنْهُ مِثْقَالُ﴾: مقدار ﴿ذَرَّةٍ﴾: نملة صغيرة[(٤)] ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾: اللوح ﴿لِّيَجْزِىَ﴾: متعلق لتأتينكم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: الجنة كما مر ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ﴾: إبطال ﴿ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾: مقدرين عجزنا ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ﴾: سيء العذاب ﴿أَلِيمٌ﴾: مؤلم ﴿وَيَرَى﴾: يعلم[(٥)] ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾:

---

(١) كلماتها (٨٨٣) كلمة، وحرفها (٣٥١٢) حرفا.

* البصائر (١/ ٣٨٢)، الوجيز (٢٦٤) البيان (٢٠٩)، عدد سور القرآن (٣٦٤).

(٢) في قولهم جميعا. * عدد سور القرآن (٣٦٤).

(٣) قرأ نافع وابن عامر ورويس «عالم» بالرفع.

* إتحاف (٣٥٧)، الحجة (٢٩١)، السبعة (٥٢٦)، غيث النفع (٣٢٦).

(٤) في (ن)، و(د): أصغر نملة.

(٥) فالرؤية علمية.

الصحابة[١] وتبعهم ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾: القرآن ﴿هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ﴾: القرآن ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ﴾: دين الله ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: تعجبا بعد إنكار الساعة لبعضهم: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾: هو محمد ﷺ ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾: بأعجوبة ﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ﴾: بليتم ﴿كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾: تمزيق فصرتم ترابا ﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: فيه ﴿أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾: جنون يوهمه ذلك والافتراء أخص من الكذب فلم يثبت واسطة بينه وبين الصدق ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ﴾: فيهما ﴿وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾: عن الصواب في الدنيا، والإسناد مجازي ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾ كما خسفنا بمن كان قبلهم ﴿أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا﴾: قطعا ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: كيوم الظلة ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾: المرئى ﴿لَءَايَةً﴾: دالة ﴿لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾: راجع إلى ربه ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾: بجمع النبوة والملك وغيره[٢] قائلين ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى﴾: رَجِّعي[٣] ﴿مَعَهُۥ﴾: التسبيح أو النوحة[٤] على الذنب ﴿وَٱلطَّيْرَ﴾: أي: معه، فكانا يسبحان معه بحيث يفهمه السامعون ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾: كالشمع بإلانته أو[٥] قوته بلا نار ومطرقة قائلين: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ﴾: دروعا ﴿سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾: في نسجها بحيث تتناسب حلقها، وهو أول من صنعها[٦]، ولم يكن درعه مسمرا[٧] ﴿وَٱعْمَلُوا۟﴾: يا داود وآله ﴿صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: فأجازيكم ﴿وَ﴾: سخرنا ﴿لِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا﴾: سيرها غدوة ﴿شَهْرٌ﴾: مسيرته ﴿وَرَوَاحُهَا﴾: سيرها

---

(١) زاد المسير (٦/ ٤٣٣)، غرر التبيان (٤٢٥). على رغم الأرفاض.

(٢) كالكتابة والصوت الحسن.

(٣) رددي التسبيح ونحوه.

(٤) وردت أحاديث وآثار كثيرة في ذلك.

(٥) في (ن): أي.

(٦) انظر: غاية الوسائل إلى معرفة الأوائل- للعماد ابن باطيش (١/ ٢٨٠/ بتحقيقي).

(٧) الوسيط (٣/ ٤٨٨).

من الزوال إلى الغروب ﴿شَهْرٌ﴾: مسيرته ﴿وَأَسَلْنَا﴾: أذبنا[١] ﴿لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾: النحاس، فأجريت ثلاثة أيام بلياليهن[٢]، أو باليمن، وقيل: وراء أندلس، وبنى منه[٣] قصرا بلا باب حبس فيه المردة ﴿وَ﴾: سخرنا له ﴿مَنْ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ﴾: بأمر ﴿رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ﴾: يعدل ﴿مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾: الذي هو طاعته ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾: تدركه صاعقة تحرقه، أو عذاب الآخرة ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ﴾: أبنية مرتفعة ﴿وَتَمَٰثِيلَ﴾: صور الملائكة والأنبياء على هيئة عباداتهم فيقتدي[٤] الناس بهم، وكان يومئذ مباحا ﴿وَجِفَانٍ﴾: صحون[٥] ﴿كَٱلْجَوَابِ﴾: جمع جابية حوض كبير، كان يأكل من صحن واحد ألف ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾: كالجبال، قلنا: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ﴾: لنايا ﴿ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾: لنا بطاعتنا بالقلب واللسان والجوارح ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾: المتوقر على أدائه[٦] بالثلاثة[٧]، إذ هو نعمة تستدعي شكرا[٨] آخر ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ﴾: على سليمان ﴿ٱلْمَوْتَ﴾: وعمره ثلاث وخمسون سنة ﴿مَا دَلَّهُمْ﴾: أي: الجن ﴿عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾: مصدر أرضت بالبناء للمفعول أي: أكلتها الأرض، وهي الأرضة ﴿تَأْكُلُ﴾ من ﴿مِنسَأَتَهُۥ﴾: عصاه، وَمفضولا طرف عصاه، إذ سأل الله تعالى أن يعمى موته على الجن ليتموا عمارة بيت المقدس الذي ابتدأه داود في موضع فسطاط موسى، ويبطل[٩] دعواهم علم الغيب، فدخل محرابا من قوارير واتكأ على عصاه ومات والجن يحسبونه قائما حيا ويعملون له حتى أكلت الأرضة عصاه، فخر فعرفوا

---

(١) في (ن): وأذبنا.

(٢) في (ن): بلياليها.

(٣) من النحاس.

(٤) في (ن)، و(د): ليقتدي.

(٥) كبيرة جمع جفنة.

(٦) أي الشكر.

(٧) بالقلب واليد واللسان.

(٨) في (ن)، و(د): شيئا.

(٩) في (ن)، و(د): وليبطل.

موته فوضعوا[١] أرضه على عصاه فأكلت يوما وليلة فحسبوا عليه وعرفوا أنه مات منذ سنة، كذا عن المفسرين[٢]، وضعف هذا [عقلًا][٣] ظاهر والله تعالى أعلم، روي أن الجن يأتون الأرضة بالماء والطين في أي: موضع هي، شكرا لها ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾: سليمان ميتا ﴿تَبَيَّنَتِ﴾: علمت ﴿الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ۞ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾: قبيلة[٤] كانوا بعد عيسى ﴿فِي مَسْكَنِهِمْ[٥]﴾: باليمن اسمها «مأرب[٦]» بينها وبين صنعاء[٧] مسيرة ثلاثة أيام ﴿ءَايَةٌ﴾: دالة على كمال قدرتنا هي ﴿جَنَّتَانِ﴾: بستانان أي: لكل واحد منهم جنة ﴿عَن يَمِينٍ﴾: يمين مسكنه ﴿و﴾: جنة عن ﴿شِمَالٍ﴾: منه، قيل[٨]: لهم: قالا أو حالا ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾: بلدتكم ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾: من كل رديء حتى حشرات الأرض ونحو القمل ﴿وَ﴾ ربكم ﴿رَبٌّ غَفُورٌ﴾: لمن شكر ﴿فَأَعْرَضُوا﴾: عن شكره إلى عبادة الشمس وغيرها[٩] ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾: أي: الصعب أو هو نوع من الفأر[١٠] نقب سدهم أو سيل واديهم الممسوك، جمع عرمة[١١]، ما يمسك الماء، وهو الذى بنته بلقيس بينهم وبين ما ملأ بين الجبلين، وكان يخرج الماء من ثقبه قدر حاجتهم فأغرق جناتهم وأموالهم ﴿وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ﴾: هذا من المشاكلة للتهكم ﴿ذَوَاتَيْ﴾: تثنية ذات، برد الواو

---

(١) في (ن): فوصفوا.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣١٦٤/ ١٧٨٨٤) عن السدي، ولا يصح.

(٣) من (ن) فقط.

(٤) منسوبة إلى «سبأ الأكبر».

(٥) في (ن): مساكنهم، وكتب في الهامش: «مسكنهم»: حفص.

(٦) سبق التعريف بها.

(٧) عاصمة اليمن حاليا.

(٨) في (ن): وقيل لهم.

(٩) من الأوثان والأصنام.

(١٠) الوسيط (٣/ ٤٩١). قيل: وأسنانه من حديد- والعياذ بالله.

(١١) والعرمة: الكدس؛ وهو حصيد الزرع.

الأصلية ﴿أُكُلٍ﴾: ثمر ﴿خَمْطٍ﴾: مر فيه حموضة ﴿وَأَثْلٍ﴾: طرفاء[١] ﴿وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾: قلله لنفع ثمرته ﴿ذَٰلِكَ﴾: التبديل ﴿جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ﴾: بكفرهم ﴿وَهَلْ نُجَٰزِيٓ﴾: بمثله ﴿إِلَّا ٱلْكَفُورَ ۝ وَجَعَلْنَا﴾: قبل كسر سدهم ﴿بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾: قرى الشام ﴿قُرًى ظَٰهِرَةً﴾: متواصلة ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾: مبيتهم[٢] في قرية، ومقيلهم[٣] في قرية قائلين لهم قالا أو حالا ﴿سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ۝ فَقَالُواْ﴾: بطرا للنعمة ﴿رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾: وبلفظ الخبر[٤] شكوى من البعد كفرانا[٥] ﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾: بالبطر ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾: ضرب مثل لمن بعدهم ﴿وَمَزَّقْنَٰهُمْ﴾: فرقناهم في أطراف الأرض ﴿كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾: فلحق كل قبيلة منهم ببلدة[٦] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾: عن المعاصي ﴿شَكُورٍ﴾: على النعم ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ﴾: حقق ﴿عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾: في قوله: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾... إلى آخره[٧]، ونصبه مع تخفيف صدق بنزع الخافض ﴿فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: هم الصالحون ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾: تسلط ﴿إِلَّا﴾: لولا تحليته ابتلاء[٨] ﴿لِنَعْلَمَ﴾: علم ظهور ﴿مَن يُؤْمِنُ بِٱلْأٓخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾: محافظ ﴿قُلِ﴾: للمشركين ﴿ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾: ألوهيتهم ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: لإعانتكم ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾: من خير وشر ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾: شركه ﴿وَمَا

---

(١) بفتح الطاء المهملة وسكون الراء المهملة: شجرٌ صحراوي.

(٢) ليلهم.

(٣) وقت قيلولتهم.

(٤) يعني برفع «ربنا» وهي قراءة يعقوب ومحمد بن الحنفية، وسلام،وابن أبي ليلى، والباقر.
* إتحاف (٣٥٩)، النشر (٢/ ٣٥٠).

(٥) نعوذ بالله من ذلك.

(٦) حتى لحق غشان منهم بالشام، وأنمار بيثرب، ،جُذام بتهامة، والأزدُ بعمان- أنوار التنزيل.

(٧) سورة النساء.

(٨) في (ن): ابتداء.

﴿لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾: عون في الخلق[1] ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ﴾: لأحد ﴿عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾: فيتربص المشفعون أوهم والشافعين فزعين خوفا ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ﴾: أزيل الفزع ﴿عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟﴾: بعضهم لبعض ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟﴾: في جوابه قال القول ﴿ٱلْحَقَّ﴾: وهو الإذن فيها ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾: فلا يتكلم إلا بإذنه ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ﴾: فإنهم لا يجحدونه ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ﴾: الموحدون أو المشركون ﴿لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: هذا كقولك للكاذب: إن أحدنا الكاذب[2]، وهذا أبلغ من التصريح لوضوحه، واختلاف الحرفين لعلو المهتدين وانحباس الضال في الظلمات ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: اسناد الجرم إلى نفسه فقط، أدخل في الإنصاف ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾: بالحشر ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ﴾: يحكم ﴿بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾: فيجازي كلا بعمله ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ۝ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ﴾: بأي صفة ألحقتموهم به ﴿كَلَّا﴾: ردعهم عن الإشراك ﴿بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾: فأين هؤلاء الأذلاء منه ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً﴾: جامعا ﴿لِّلنَّاسِ﴾: في الإبلاغ، والتاء للمبالغة أو عامة ﴿بَشِيرًا﴾: للمؤمنين ﴿وَنَذِيرًا﴾: للكافرين ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَيَقُولُونَ﴾: إنكارا ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾: الموعود ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ﴾ الإضافة بيانية ﴿لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾: عليه وهو القيامة ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: أي: قالوا ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: من الكتب الدالة على البعث ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: بالكفر ﴿مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾: في القيامة ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ﴾: في التلاوم، لرأيت عجبًا ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾: الأتباع ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾: المتبوعين: ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ۝ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾: المتبوعون ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾: باختيار الضلالة ﴿وَقَالَ

---

(١) في (ن)، ،(د): خلقها.

(٢) في (ن): لكاذب.

﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ﴾: كـم في ﴿ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: سـبب ضـلالنا ﴿إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ﴾: أظهـروا أو أضـمروا ﴿ٱلنَّدَامَةَ﴾: كلهـم ﴿لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ﴾: مخافة التعيير ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: أي: أعناقهم ﴿هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا﴾ علـى ﴿مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ﴾: متنعموها ﴿إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۝ وَقَالُواْ﴾: المترفون ﴿نَحۡنُ أَكۡثَرُ﴾: منكم ﴿أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾: كـذلك ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ﴾: لا لرضـا ﴿وَيَقۡدِرُ﴾: يضيق لمن يشاء لا لسخط ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾: فيحسبون التنعم شرفًا ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي﴾: بالخـصلة التـي ﴿تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ﴾: قربـة ﴿إِلَّا﴾: اسـتثناء ﴿مَنۡ﴾: كم ﴿ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾: فإن نفقته خير وولـده الـصالح يقربانـه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ﴾: من الحسنات من عشر إلى سبعمائة إلى أكثر ﴿وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ﴾: مـن الجنـة ﴿ءَامِنُونَ﴾: مـن المكـاره ﴿وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ﴾: إبطـال ﴿ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ[1]﴾: مقدرين عجزنـا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ۝ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥ﴾: لمـن يـشاء، كمـا مـر[2] في الـروم ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ﴾: لوجهـه ﴿فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥ﴾: يعوضـه عـاجلا أو آجـلا ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾: لأنـه يـرزق بـلا عـوض وغـرض ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ﴾: الكفـرة ﴿جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ﴾: توبيخـا لهـم ﴿لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ۝ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ﴾: تنزيها لـك عـن الـشريك ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾: نواليك فقـط ﴿مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ﴾: بإطاعتهم ﴿أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ﴾: مـصدقون فيمـا يقولـون لهـم ﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يَمۡلِكُ بَعۡضُكُمۡ﴾: المعبـودون ﴿لِبَعۡضٖ﴾: العابـدين ﴿نَّفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: الكفــرة ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا﴾: القرآنيـة ﴿بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ﴾: الـذي يقـرؤه ﴿إِلَّا رَجُلٞ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمۡ عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُكُمۡ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٞ مُّفۡتَرٗى﴾: علـى الله تعـالى ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ﴾: القـرآن ﴿لَمَّا

---

(١) في (ن): معجزين، وكتب في الهامش: «معاجزين»: حفص.

(٢) ليست في (ن).

جَآءَهُمْ إِنْ ﴾: ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾: ظاهر سحريته لاعجازه وتأثيره في النفوس ﴿ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم ﴾: أي: قريشا ﴿مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ﴾: كاليهود ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴾: فبأي شبهة يكذبونك؟ ﴿ وَكَذَّبَ ﴾: الكفار ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ ﴾ هؤلاء ﴿مِعْشَارَ ﴾ عشر ﴿مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ﴾: من نحو المال والعمر والقوة ﴿فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾: إنكاري عليهم بتدميرهم، وكذب الأول للتكثير أو مطلق والثاني للتكذيب أو مقيد فلا تكرار[١] ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ﴾: من الخصائل[٢] ﴿أَن تَقُومُوا۟ ﴾: تتبصروا في أمر محمد ﷺ خالصا ﴿لِلَّهِ ﴾: بلا تقليد ومراء ﴿مَثْنَىٰ ﴾ في المناظرة ﴿وَفُرَٰدَىٰ ﴾: في التفكر، فإن الازدحام يشوش الخاطر[٣] ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ مَا ﴾: أي: شيء ﴿بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ﴾ جنون ﴿إِنْ ﴾ أي: ما ﴿هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ ﴾: قدام ﴿عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿قُلْ مَا ﴾: أي: شيء ﴿سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ﴾: على الرسالة ﴿فَهُوَ لَكُمْ ﴾: لا أطمع ﴿إِنْ ﴾ أي: ما ﴿أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾: فيعلم صدقي ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ ﴾: يلقيه إلى رسله هو ﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ ﴾: الإسلام ﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾: كناية عن زهوقه، أو لا تُنْشيء آلهتكم[٤] شيئًا، ولا تعيده ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ﴾: وباله عليها ﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ﴾: اهتديت ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾: يدرك أقوالنا وأفعالنا ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ ﴾: الكفار ﴿إِذْ فَزِعُوا۟ ﴾: في البعث لرأيت فظيعا[٥] ﴿فَلَا فَوْتَ ﴾: لهم منا ﴿وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾: من قبورهم، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه أنه في خسف البيداء[٦] ﴿ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾: أي: بمحمد الدال عليه صاحبكم ﴿وَأَنَّىٰ ﴾: من أين ﴿لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ ﴾: تناول الإيمان سهلا ﴿مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾:

---

(١) أنوار التنزيل (٥٧٣).

(٢) في (ن)، و(د): الخصال.

(٣) والخلو يجمعه.

(٤) في (ن): آلهتهم.

(٥) هذا جواب لو.

(٦) قال ابن كثير (٣/ ٥٤٤): والصحيح أن المراد بذلك يوم القيامة وهو الطامة العظمى.

أي: الاخرة ومحلّه الدنيا ﴿وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾: في الدنيا ﴿وَيَقْذِفُونَ﴾: يرمون ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾: أي: رمي من يرمي إلى ما غاب عنه ﴿مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾: لا يمكن لحوقه وهي رميهم النبيَّ صلى ﷺ بالسحر والكهانة ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم﴾: أشباههم الكفرة ﴿مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾: موقع في الريبة، أو ذي ريب نحو شعر شاعر.





«سورة فاطر[١]»: مكية[٢]

لمّا[٣] بيّنَ انتقامه من اعدائه، وهو إنعامه على أوليائه، حمد ذاته تعالى على الآية فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ﴾ مُبْدع ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: بلا سبق مثال ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾: بينه وبين خلقه للوحي أو الإلهام أو الرؤيا أو لإيصال آثار صنعه ﴿أُولِي أَجْنِحَةٍ﴾: متعددة ﴿مَّثْنَىٰ﴾: اثنين اثنين، أي: ذا جناحين ﴿وَثُلَاثَ﴾: ثلاثة ثلاثة ﴿وَرُبَاعَ﴾: أربعة أربعة، قيل: الأوزان[٤] لتكرير تلك الأعداد، فيندفع قولهم صاحب الأجنحة الثلاثة لا يطير إذ الثالث فيها عون للجناحين ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ﴾: صورة ومعنى ﴿مَا يَشَاءُ﴾: رأى عليه الصلاة والسلام جبريل في المعراج بسبعمائة جناح بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿مَّا يَفْتَحِ﴾: ما يرسل ﴿اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ﴾: بعد إمساكه، أفاد بتخصيص تفسير الأول سبق رحمته ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في أموره ﴿الْحَكِيمُ﴾ في فعله ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا﴾: ولا تنسوا ﴿نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ﴾: لا موصوف بالخالقية ﴿غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ﴾: فمِنْ أيّ وجهٍ ﴿تُؤْفَكُونَ﴾: تصرفون عن التوحيد ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾: فليس ببدع ﴿فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾: فاصبر كما صبروا ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾: فيجازي الكل ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾: أي: لذاتها عن الآخرة ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ﴾ بمغفرته، الشيطان ﴿الْغَرُورُ﴾: فتعصوه فإنه كأكل السم اعتمادا على دفع الطبيعة ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾: عظيم[٥]

---

(١) وكلماتها (٧٧٧) كلمة، وحروفها: (٣١٣٠) حرفا.

* عدد سور القرآن (٣٦٧)، البصائر (١/ ٣٨٦)، البيان (٢١٠) الوجيز (٢٦٦).

(٢) في (س): سورة الفاطر.

(٣) في (س): بسم الله الرحمن الرحيم، لما بيّن... إلخ.

(٤) كذا.

(٥) فالتنكير للتعظيم.

﴿فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾: بمخالفته ﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ﴾: أتباعه إلى الهوى ﴿لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾: فيشاركوه في منزله ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۞ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾: أي: كمن وفق فرأى الباطل باطلا، دل عليه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ﴾: فلا[1] تهلك ﴿نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ﴾: على غيهم ﴿حَسَرَٰتٍ﴾: للحسرات عليه، أفهم بجمعها تضاعف اغتمامه المقتضية لها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾: فيجازيهم ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ﴾: تزعج ﴿سَحَابًا﴾: وهذا حكاية عن الماضي ﴿فَسُقْنَٰهُ﴾: التفت كما مر ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ﴾: الإحياء ﴿ٱلنُّشُورُ﴾: وفي الحديث: «**ينزل من تحت العرش مَطرٌ يعمُّ الأرض وينبت الأجساد من قبورها**[2]» ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ﴾: الشَّرف فليطلبه من الله تعالى بطاعته ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾: في الدارين ﴿إِلَيْهِ﴾: بلا واسطةٍ ﴿يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾: التوحيد أو كل ذكر ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾: الله تعالى، خصه به؛ لما فيه من الكلفة، أو فاعلهُ الكلِمُ، أو العمل ﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ﴾: المكرات ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾: يفسد ولا ينفذ، ومضى في آية: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ﴾[3] ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾: كآدم ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾: كذريته ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا﴾: ذكورا وإناثا ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾: إلا معلوما له ﴿وَمَا يُعَمَّرُ﴾: يمد في العمر ﴿مِن مُّعَمَّرٍ﴾: طويل عمر ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾: نفسه، نحو: إن عمل كذا فعمره ستون، وإلا فأربعون[4]، ويؤيد ذلك ما ورد في أسبابهما[5] أو من عمر آخر، من باب: لي درهم ونصفه، أو المعمر[6]: الصائر إلى التعمير ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾: اللوح أو علم الله تعالى ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾:

---

(١) في (ن)، و(د) لا.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣١٧٣/ ١٧٩٣٥) وسنده ضعيف.

(٣) سورة الأنفال.

(٤) الوسيط (٣/ ٥٠٢)، الدر المنثور (٥/ ٣٤٧) وللإمام السيوطي رسالة ماتعة سماها: «إفادة الخبر بنصه في زيادة العمر ونقصه» تراجع.

(٥) من صلة الرحم وبر الوالدين ونحو ذلك. اهـ.

(٦) في (د): العمر.

الحفظ ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ﴾: بيان قدرة أخرى ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾: شديد العذوبة[1] أو كاسر العطش ﴿سَآئِغٌ﴾: سهل الانحدار ﴿شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾: محرق بملوحته ﴿وَمِن كُلٍّ﴾: منهما ﴿تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾: السمك ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ﴾: عطف على من كل ﴿حِلْيَةً﴾: كاللؤلؤ والمرجان ﴿تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ﴾ في كل ﴿مَوَاخِرَ﴾: تمخر الماء، تشقه كما مر ﴿لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾: بالتجارة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: نعمه ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾: فيزيد ﴿وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ﴾: فيزيد ﴿وَسَخَّرَ﴾: لكم ﴿ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ﴾: منهما ﴿يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: القيامة ﴿ذَٰلِكُمُ﴾: القادر الله ﴿رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾: وحده ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾: بالألوهية ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾: قشرة النواة ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ﴾: لأنهم جماد ﴿وَلَوْ سَمِعُوا۟﴾: فرضا ﴿مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾: لعجزهم ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾: بإشراككم إياهم بتبريهم عن عبادتكم ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ﴾ بالأمور مُخْبِرٌ ﴿مِثْلُ خَبِيرٍ﴾: وهو الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾: في كل أمر عرف، مُبالغة[2] في احتياجنا ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾: عن الخلق ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾: على إنعامه، فإن الغنيّ بلا جود مذموم ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾: لغناه عنكم ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: مطيعين أو بعالم آخر ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾: شديد ﴿وَلَا تَزِرُ﴾: تحمل نفس ﴿وَازِرَةٌ وِزْرَ﴾: نفس ﴿أُخْرَىٰ﴾: كما مر في الأنعام ﴿وَإِن تَدْعُ﴾: نفس ﴿مُثْقَلَةٌ﴾: أثقلها الوزر ﴿إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾: أحدا ليحمل بعضه ﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ﴾: من وزره ﴿شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾: قريبها ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾: وما رأوه ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: فإنهم المنتفعون بإنذارك[3] ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ﴾: تطهر عن المعاصي ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾: نفعه له ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾:

---

(١) الفرات: الحلو البليغ في العذوبة من فرت الشيء أي: شقة، فكأنه فرت العطش، والفرات يقع على الواحد والجمع، يقال: ماء فرات ومياه فرات، وقالوا: كل ماء عذب فهو فرات.

* عمدة الحفاظ (٣/ ٢٠٨/ فرت).

(٢) لماذا تكون مبالغة؟ بل حقيقة بدون أي مبالغة.

(٣) في (ن)، و(د): بذلك.

فيجازي ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ﴾: كالكافر ﴿وَٱلْبَصِيرُ﴾: كالمؤمن ﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ﴾: الباطل ﴿وَلَا ٱلنُّورُ﴾: الحق ﴿وَلَا ٱلظِّلُّ﴾: الثواب الجزيل ﴿وَلَا ٱلْحَرُورُ﴾: سموم العذاب ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ﴾: المؤمنون أو العلماء ﴿وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾: الكفرة أو الجهلة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾: هدايته ﴿وَمَآ أَنتَ﴾: يا محمد ﴿بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾: إذ الكفار مثلهم في عدم الاتعاظ ﴿إِنْ﴾: أي: ما ﴿أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ۞ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾: ملتبسا ﴿بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا﴾: للمطيع ﴿وَنَذِيرًا﴾: للعاصي ﴿وَإِن﴾: أي: ما ﴿مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا﴾: مضى ﴿فِيهَا نَذِيرٌ﴾: نبي أو عالم ينذر عنه، فلا يرد[1] الفترة، واكتفى به عن البشير[2]؛ لأنه المقصود من البعثة ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾: فليس ببدع ﴿فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: من المعجزات ﴿وَبِٱلزُّبُرِ﴾: الصحف ﴿وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾: المبين كالتوراة ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: إنكاري عليهم بالعقوبة ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾: التفت كما مر ﴿ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾: صفرة وخضرة ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ﴾: أي: ذو جُدَد[3]، أي: خطط، هو طرق بعضها ﴿بِيضٌ وَحُمْرٌ﴾: بعضها ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾: شدة وضعفا ﴿وَ﴾: منها ﴿غَرَابِيبُ﴾: تأكيد ﴿سُودٌ﴾: وتقديمها آكَدُ؛ لتكرارها إظهارا وإضمارا وجاء غربيب أَسْود[4] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ﴾: الاختلاف، لكن ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾: إذ شرط خشيته معرفته، وأفْهم بالجمع المحلى[5] أن من لم يخشه فجاهلٌ، وعلى رفع الجلالة[6] استعير الخشية للتعظيم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: في الانتقام على المُصرِّين ﴿غَفُورٌ﴾: للتائبين، فحقه أن يخشى ويرجى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾: يداومون

---

(١) في (ن)، و(د): خلا الفترة.

(٢) يعني لم يقل: «بشير ونذير».

(٣) جمع جُدّة وهو الطريق.

(٤) كذا.

(٥) يعني «العلماء» جمع محلى بـ «أل».

(٦) يعني «الله» وهي قراءة عمر بن عبد العزيز، وأبي حنيفة، وأبي حيوة.

* البحر المحيط (٧/ ٣١٢)، الكشاف (٣/ ٣٠٨).

على تلاوة القرآن ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا﴾: في السر ﴿وَعَلَانِيَةً﴾: في الفرض أو في جميع أحوالهم ﴿يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾: تكسد وتهلك وهي الإخلاص ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ﴾: متعلق يرجون ﴿أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم﴾: على الأجر ﴿مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ﴾: لفرطاتهم ﴿شَكُورٌ﴾: لطاعاتهم ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾: القرآن ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: من الكتب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾: باطنا وظاهرا ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ﴾: حكمنا بتوريثه منك ﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾: لأمتك أو صحبك ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾: المجرم فيحبسون طول المحشر ثم يرحمون ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾: متوسط خلطوا العملين فيحاسبون حسابا يسيرا ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾: بالطاعات من[1] حسناته تكفر سيئاته فيدخل الجنة بلا حساب، وترتيبهم بتقديم الأكثر فالأكثر ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: أي: بأمره ﴿ذَٰلِكَ﴾: التوريث[2] ﴿هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ۞ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ الثلاثة ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَ﴾ يحلون ﴿لُؤْلُؤًا﴾: أو من لؤلؤ ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾: كما مر ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾: كخوف العاقبة ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾: للذنوب ﴿شَكُورٌ﴾: للطاعة ﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ﴾: الإقامة ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾: لا بطاعتنا ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾: تعب ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾: كلال، إذ لا تكليف ثمة وهذا تصريح بما فهم للمبالغة ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ﴾: بالموت ﴿فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ﴾: الجزاء ﴿نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾: مبالغ في الكفر أو الكفران[3] ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ﴾: يصيحون شديدا ﴿فِيهَا﴾ قائلين: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ﴾ عملا ﴿صَـٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾: مما حسبناه صالحا، فيجابون بعد مضي مقدار الدنيا: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾: هو ستون سنة ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾: الرسول أو الشيب أو موت القريب ﴿فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ عَـٰلِمُ

---

(١) في (د): ممن.

(٢) في (ع): الثواب.

(٣) في (د): و.

غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: فلا يخفى عليه أحوالكم ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: يخلف بعضكم بعضا جمع خليفة[1] ﴿فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾: وباله له ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا﴾: أشد بغض ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾: للآخرة ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى﴾: تأكيدا[2] ﴿مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾: شركة مع الله تعالى ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ﴾: حجة واضحة ﴿مِّنْهُ﴾: بأنهم شركائي ﴿بَلْ إِن﴾: ما ﴿يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم﴾: المتبوعون ﴿بَعْضًا﴾: التابعين ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾: من أنهم شفعاؤهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ﴾: يمنع[3] ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾: من أماكنهما ﴿وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ﴾: أي: ما ﴿أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾: تعالى ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾: حيث أمسكهما مع أنهما جديران بالهدم عقابا لكم ﴿وَأَقْسَمُوا۟﴾: قريش ﴿بِٱللَّهِ جَهْدَ﴾: غاية اجتهادهم في ﴿أَيْمَٰنِهِمْ﴾: قبل بعثة محمد ﷺ حين سمعوا أن أهل الكتابين كذبوا رسلهم[4] ﴿لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾: رسول ﴿لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾: المذكورة أي: من أفضلهم، يقال أحد القوم وأوحدهم، أي: أفضلهم ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾: محمد ﷺ ﴿مَّا زَادَهُمْ﴾: مجيئة ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾: تباعدا عن الحق ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: عن الإيمان ﴿وَمَكْرَ﴾: العمل ﴿ٱلسَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ﴾: يحيط ﴿ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾: أي: بالماكر ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ﴾: ينتظرون ﴿إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: وسنتنا تدمير مكذبيهم ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾: من المستحق إلى غيره ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: فيعتبروا ﴿وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾: فدمر الله عليهم ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ﴾: يسبقه ﴿مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا﴾: بالكل ﴿قَدِيرًا﴾: عليه ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾: أي: ظهر الأرض ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾:

---

(١) في (ن)، و(د): جمع خليف.

(٢) في (ن): تأكيد.

(٣) ليست في (ن)، و(د).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣١٨٧/ ١٨٠١٨) وسنده ضعيف.

نسمة تدب عليها بشؤمهم ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: القيامة ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾: فيجازيهم على أعمالهم.





«سورة يس[١]»: مكية[٢]

لمَّا أخبر عن إصرارهم بالكفر وإمهالهم إلى آجالهم وقد ضاق صدره ﷺ بذلك[٣]، سلاه بأنك على الحق ومأجور بإنذارهم، ولكني حكمت في الأزل[٤] بشقاوتهم فقال: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ يسٓ﴾: كما مر[٥] أو أصله: يا أنيسين، يعني محمدا ﷺ[٦]، اكتفى بشطره نحو: م الله في أيمن الله[٧] ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ﴾: ذي الحكم ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۞ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾: التوحيد وهو خبر ثان هو ﴿تَنزِيلَ﴾: ونصبا[٨][٩] بتقدير: أعني منزل ﴿ٱلۡعَزِيزِ﴾: في ملكه ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾: بخلقه ﴿لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ﴾: في الفترة أو الذي ما أنذر به آباؤهم ﴿فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ۞ لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ﴾: بالعذاب وهو: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾[١٠] ﴿عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۞ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا﴾: بضم أيديهم إليها ﴿فَهِيَ﴾: أي: الأيدي مجموعة أو الأغلال، واصله ﴿إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ﴾: مجتمع اللحيين ﴿فَهُم مُّقۡمَحُونَ﴾: رافعون رؤسهم غاضُّون أبصارهم، تمثيل لعدم التفاتهم إلى الحق، وخفض رءوسهم له، أو هو أبو جهل[١١] رفع حجرا

---

(١) كلماتها (٧٢٧) كلمة، وحروفها (٣٠٠٠) حرف.

* عدد سور القرآن (٣٦٩)، البصائر (١/ ٣٩٠)، الوجيز (٢٦٨)، البيان (٢١١).

(٢) في الأقاويل كلها. * عدد سور القرآن (٣٦٩).

(٣) سقطت من (ن).

(٤) القدم الذي ليس له ابتداءٌ.

(٥) من الحروف المقطعة.

(٦) الصحيح أن «طه» و«يس» ليسا من أسمائه ﷺ.

(٧) في القسم.

(٨) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم وشعبة وأبو جعفر وشيبة ويعقوب «تنزيلُ» بالرفع.

* إتحاف (٣٦٣)، السبعة (٥٣٩)، غيث النفع (٣٣٢)، النشر (٢/ ٣٥٣).

(٩) في (د): نصبا.

(١٠) سورة السجدة.

(١١) لعنه الله.

ليرضخ[١] رأسه ﷺ، فلصقت يده إلى عنقه ولزم الحجر بيده[٢] ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾: تمثيل لحبسهم في مطمورة الجهالة، أو هو مخزومي آخر رفع ذلك الحجر بعده ليرضخ رأسه ﷺ[٣] فعمي ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: كما مر ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ﴾: إنذارا يؤثر ﴿مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ﴾: عقابه ﴿بِالْغَيْبِ﴾: قبل معاينته ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾: الجنة ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى﴾: بالحشر أو الجهال بالهداية ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾: في حياتهم ﴿وَآثَارَهُمْ﴾: حسنتهم وسيئتهم المتبعة بعدهم أو خطأهم صوب الأعمال ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ﴾: أي: كتاب ﴿مُبِينٍ﴾: اللوح ﴿وَاضْرِبْ﴾: أي: مثل ﴿لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ﴾ أي: مثل أصحاب ﴿الْقَرْيَةِ﴾ أي: أنطاكية[٤] ﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾: من عيسى أو من الله تعالى ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ﴾: الإسناد إليه على الأول؛ لأنه فعل خليقته ﴿اثْنَيْنِ﴾: يحيى ويونس، وعلى الثاني: صادق وصدوق[٥] [٦] ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾: بعد أن أبرءا الأكمه والأبرص، وأبرءا حبيب النجار من الجذام بسؤاله فآمن بهما بل كان مؤمنا خفية، ولما اشتهر أمرهما حبسهما الملك ﴿فَعَزَّزْنَا﴾: فقويناهما ﴿بِثَالِثٍ﴾: شمعون على الأول، وسلوم على الثاني، ودخل بلدهم متنكرا وصار من خواص الملك بالتدريج بين للملك صدقهما حتى آمن مع كثير من قومه ﴿فَقَالُوا﴾: الثلاثة للباقين الكافرين ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ ۝ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾: وإنما الرسول ملك، وهذا يؤيد التفسير الثاني، وعليه كثير من السلف ﴿وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ﴾: من الوحي ﴿إِنْ﴾: أي: ما ﴿أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ۝ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ﴾: أكدوا بما يجري مجرى القسم وهو علم الله تعالى مع أن واللام في: ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ۝ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾:

---

(١) يضرب من قريب.

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٩٩).

(٣) في (ن)، و(د)، (س): عليه الصَّلاة والسَّلام.

(٤) غرر التبيان (٤٣٤)، تفسير الطبري (٢٢/ ١٥٦) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٦٧).

(٥) غرر التبيان (٤٣٤)، مفحمات الأقران (١٧١)، تفسير الطبري (٢٢/ ١٥٦)، ترويح أولي الدماثه (٢/ ٩٨).

(٦) في (د): ومصدوق.

ولما رأوا منهم المعجزات[١] وما آمن منهم إلا قليل حبسوا عن المطر وأسرع الجذام إلى من أهانهم ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا﴾: تشاء منا ﴿بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ﴾: عن مقالتكم هذه ﴿لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ﴾: بالحجارة ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ۞ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم﴾: أي: شؤمكم ﴿معكم﴾ وهو كفركم ﴿أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ﴾: تطيرتم بالمذكر[٢] ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ﴾: في الضلال، وهذا لا ينافي كون أهل أنطاكية أول المؤمنين برسل عيسى، فإن الملك وقومه آمنوا وهلاك قاتلي حبيب لا يستلزم هلاك «أنطاكية» ﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ﴾: هو حبيب النجار[٣][٤] ﴿يَسۡعَىٰ﴾: شفقة[٥] على الرسل ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۞ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا﴾: على نصحه ﴿وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾: فقيل له: أنت تعبد ربهم فقال: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾: خلقني، وبخهم على إشراكهم بتلطف[٦] ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾: فيجازيكم ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ﴾: أي: لا تمنع ﴿عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا﴾: من العذاب ﴿وَلَا﴾ هُمْ ﴿يُنقِذُونِ﴾: منه ﴿إِنِّيٓ إِذٗا﴾: إن أعبدهم ﴿لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۞ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ﴾: الذي كفرتم به ﴿فَٱسۡمَعُونِ﴾: فلما قتلوه رجما ﴿قِيلَ﴾: له عند موته، والقائل له: هو الله تعالى: ﴿ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ﴾: وعن الحسن: رفعه الله تعالى إليها حيا حين هموا بقتله، فلما دخلها ﴿قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ۞ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾: فيسلموا ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ﴾: أي: قوم حبيب ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: لإهلاكهم ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾: وأما إنزالهم في البدر[٧] وغيره فلتعظيم حبيبه ﷺ[٨] ﴿إِن﴾: أي: ما ﴿كَانَتۡ﴾: عقوبتهم ﴿إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾: من جبريل ﴿فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ﴾: ميتون بلا حرارة روح

---

(١) أو الكرامات على القول بعدم نبوتهم.

(٢) في (ن)، و(د): بالذكر.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٩٢/ ١٨٠٥٢، ١٨٠٥٣، ١٨٠٥٤).

(٤) في (د): النجاري.

(٥) في (د): بشفقة.

(٦) في (ن)، و(د): بلطف.

(٧) غزوة بدر.

(٨) في (د): عليه الصلاة والسلام.

كالرماد، ولا ينافيه قول السلف في تفسير: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِ﴾[1] إلى آخره أنه ما استؤصل الأمم بعد نزول التوراة لبقاء الملك وقومه على أنه معارض بمن كفر بعد المائدة ﴿يَـٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾: المكذبين، احضري فهذا أوانك، وهذا التحسير من الملائكة أو المؤمنين أو من الله تعالى استعارة لتعظيم جرمهم ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝ أَلَمْ يَرَوْا۟﴾: يعلموا ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾: بدل من جملة: كم أهلكنا معنى ﴿وَإِن كُلٌّ﴾: أي: ما كلهم ﴿لَّمَّا﴾: إلَّا ﴿جَمِيعٌ﴾ أي: مجتمعون ﴿لَّدَيْنَا﴾: في المحشر ﴿مُحْضَرُونَ﴾: وبتخفيف لما إن مخففة وما صلة ﴿وَءَايَةٌ﴾: عظيمة ﴿لَّهُمُ﴾: على البعث ﴿ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَـٰهَا﴾: بالماء ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾: جنسه ﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾: أفهم بتقديم الصلة أن الحب معظم ما يعاش به ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّـٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ﴾: آثرها[2] على المثمور؛ لمزيد نفع شجرها ﴿وَأَعْنَـٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ۝ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ﴾: ثمر المذكور، وبالتضمين لغة[3] فيها أو جمع ﴿وَ﴾: من ﴿مَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾: لا الثمر كالدبس[4] أو ﴿مَّا﴾ نافية ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۝ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ﴾: الأصناف ﴿كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ﴾: ذكورا وإناثا ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾: من الخلق ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ﴾: نزيل ﴿مِنْهُ﴾: من مكانه ﴿ٱلنَّهَارَ﴾: استعارة من سلخ الشاة ﴿فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾: داخلون في الظلمة ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ﴾: أي: مستقر ﴿لَّهَا﴾: وهو تحت العرش على كيفية يعلمها الله تعالى، أو إلى حد معين ينتهى إليه دورها من فلكها آخر السنة، أو إلى منقطع جريها في القيامة ﴿ذَٰلِكَ﴾: الجري على هذا الاسلوب ﴿تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾: الغالب بقدرته ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾: بخلقه ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَـٰهُ﴾: أي: مسيره في ﴿مَنَازِلَ﴾: الثمانية والعشرين كل ليلة في واحدة منها فإذا كان في آخرها وهو منزله قبل الإجتماع

---

(١) سورة القصص.

(٢) يعني: النخيل- وانظر: «طرائف النحله فيما ورد في النخله» للحافظ ابن طولون الصالحي (٣/ بتحقيقي).

(٣) قرأ حمزة والكسائي وخلف «ثمره». * إتحاف (٣٦٥)، غيث النفع (٣٣٢)، النشر (٢/ ٢٦٠).

(٤) بكسر الدال المهملة المشددة وسكون الباء الموحدة التحتية: عُصارة التمر أو الرمان ونحوهما.

دقَّ وتقوَّس واصفر ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ﴾: عود الشماريخ ﴿ٱلْقَدِيمِ﴾: العتيق ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى﴾: أي: يصحُّ ﴿لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾: في سرعة سيره فإنه يخل بتكون النباتات وغيرها، وأفهم بإيْلاءِ «لَا» لها[1] دون الفعل أن حركتها بالتسخير لا بإرادتها ﴿وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾: فيفوته لكن يعاقبه لمصالحكم ﴿وَكُلٌّ﴾: أي: منهما ومن النجوم ﴿فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾: يسرعون كالسابح، وجمع[2] باعتبار كثرة اختلاف أحوالهما، وجمع جمع العقلاء؛ لأنهم يسبحون ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾: المبعوثين إلى تجاراتهم ﴿فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾: المملوء إنما خصهم؛ لأن استقرارهم فيها أخص وأعجب ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ﴾: كالإبل والزوارق[3] ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾: أو هو فلك نوح، والذرية حملوا في أصلاب آبائهم، وتخصيص الذرية؛ لأنه أبلغ في الامتنان مع الإيجاز، مثله مثل السفن[4] ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ﴾: أي: مغيث أو استغاثة ﴿لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾: ينجون ﴿إِلَّا رَحْمَةً﴾: إلا لرحمة ﴿مِّنَّا وَمَتَٰعًا﴾: بالحياة ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾: أجلهم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾: أي: عذاب الدنيا والآخرة، أو عكسه أو متقدم الذنوب ومتأخرها ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: راجين رحمة الله تعالى، وجوابه: أعرضوا، الدال عليه ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾: القائل فقراء المؤمنين لأغنياء قريش[5] ﴿أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾: تهكما بتعليقهم الأمور بمشيئة الله تعالى ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ﴾: ما ﴿أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: بأمركم بمخالفة مشيئة الله سبحانه[6] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾: البعث ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ قال تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ﴾: ينتظرون[7] ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾: النفخة الأولى ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾: يختصمون في معاملاتهم غافلين عن

---

(١) يعني للشمس، فلم يقل: لا ينبغي للشمس أن تُدْرك القمر.

(٢) فقال: «يسبحون» ولم يقل: «يسبح» اهـ.

(٣) وفي عصرنا الطائرات، والصواريخ الفضائية والقطارات ونحوها- فسبحان الله.

(٤) ليست في (ع).

(٥) الوسيط (٣/ ٥١٥).

(٦) ليست في (ن).

(٧) سقطت من (ن).

القيامة ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾: لموتهم في الحال ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾: نفخة البعث، وما بينهما أربعون سنة[1] ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ﴾ القبور ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾: يسرعون ﴿قَالُوا﴾ كفارهم حينئذ: ﴿يَا وَيْلَنَا﴾: هلاكنا احضر فهذا أوانك ﴿مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾: يظنونه نومًا؛ لأن العذاب يرفع بين النفختين ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ﴾ نا[2] ﴿الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ۞ إِن﴾ أي: ما ﴿كَانَتْ﴾ الفعلة ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾: فلا يعسر علينا ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾: من الظلم ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا﴾: جزاء ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ﴾ بعد دخولها ﴿فِي شُغُلٍ﴾: عظيم من البَهجة واللذة ﴿فَاكِهُونَ﴾: مُتلذذون، أو الفكاهة، حديث ذوي الأُنْس والفكهُ: الذي يتفكه بما يأكل ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ﴾: لا تصيبهم شمس، جمع ظل أو ظلة ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾: جمع أريكة، سرير مزين ﴿مُتَّكِئُونَ ۞ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ﴾: أنواعها ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾: يتمنون ﴿سَلَامٌ﴾: يقال لهم قولا كائنا ﴿مِن﴾ جهة ﴿رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾: إذ يقول الله تعالى: سلام عليكم يا أهل الجنة، وهو بشارة لهم بالسلامة أبدا ﴿وَ﴾: يقال للمجرمين ﴿امْتَازُوا﴾ انفردوا ﴿الْيَوْمَ﴾: عن المؤمنين ﴿أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾: أوصيكم على لسان رسلي ﴿يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا﴾: تطيعوا ﴿الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۞ وَأَنِ اعْبُدُونِي﴾: أطيعوني ﴿هَٰذَا﴾: أي: عبادتي ﴿صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾: نكره تعظيما ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا﴾: خلقا ﴿كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾: عداوته ﴿هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۞ اصْلَوْهَا﴾: ادخلوها ﴿الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾: روي أنه يخرج في القيامه من جهنم عنق ساطع مظلم فيقول: ألم أعهد- إلى: تكفرون[3] ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ﴾: بعدما جحدوا ما في صحائفهم ﴿وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم﴾: وغيرها ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: من المعاصي ﴿وَلَوْ نَشَاءُ

---

(١) أخرجه ابن أبي داود في البعث (٥٩، ٦٠، ٦١) (٤٢) وسنده ضعيف والصحيح أن النبي ﷺ قال: «**ما بين النفختين أربعون**». رواه البخاري (٨/ ٤١٤/ ٤٨١٤، ٤٩٣٥) ومسلم (٤/ ٢٢٧٠، ٢٢٧١) وفيه أن الراوي له وهو أبو هريرة سئل: أربعون يوما؟ قال: أبيت... الحديث.

(٢) في (ن) فقط.

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٢/ ١٨) بسند ضعيف.

﴿لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾: عفينا شقها فتعود ممسوحة ﴿فَٱسْتَبَقُواْ﴾: ابتدروا ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾: تقديره: لو راموا الاستباق إلى طريقهم المعتاد ﴿فَأَنَّىٰ﴾: كيف ﴿يُبْصِرُونَ﴾: أي: لا يبصرونه فكيف بغيره ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ﴾: أي: صورة ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾: بحيث يجمدون فيها ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾: ولا رجوعا، حاصله أنهم أحِقّاءُ[١] بهذين، ولكن نمهلهم لحكمةٍ ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ﴾: نطل عمره أو نبلغه إلى ثمانين[٢] ﴿نُنَكِّسْهُ﴾: نقلبه ﴿فِى ٱلْخَلْقِ﴾: بضعف قواه ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾: أن[٣] القادر عليه قادرٌ على البعث والطمس ونحوه ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾: أي: ما يصح الشعر له، وما ولد عبد المطلب ولدا إلا يشعر إلا إيّاهُ عليه الصلاة والسلام[٤]، وأما ما صدر عنه من نحو رجز[٥] فاتفاقي بلا قصد، على أن الخليل[٦] ما عد المشطور من الرجز شعرا، أو ما يصح كون القرآن شعرا ﴿إِنْ هُوَ﴾: أي: ما القرآن الذي جاء به ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظةٌ ﴿وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾: مظهرٌ للأحكام وغيرها ﴿لِّيُنذِرَ﴾: النبي به أو القرآن ﴿مَن كَانَ حَيًّا﴾: عاقلا، إذ الغافل كالميت ﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ﴾ العذاب ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: المصرين على الكفر، أفهم بالمقابلة أنهم الموتى حقيقة ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾: استعارة من عدم المعين فيوافق حديث: «**ما خَلَق [اللهُ]**[٧] **شيئًا بيده إلا ثلاثة**»[٨]..... إلى آخره ﴿أَنْعَٰمًا﴾ خصها؛ لكثرة منافعها ﴿فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾:

---

(١) كذا في (ن)، و(د).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٠٠/ ١٨١٠٧) عن سفيان.

(٣) في (ن): إذ.

(٤) في (ن): ﷺ.

(٥) ك:

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا... الخ.

(٦) يعني ابن أحمد الفراهيدي واضع علم العَرُوض.

(٧) من (ن) وحدها.

(٨) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٢٥/ ٦٩٢) والدارقطني في الصفات (٢٨)، وابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٧٢/ ٤١) وأبو نعيم في صفة الجنة (٢٢٣)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣١٩) بلفظ: «**خلق الله ثلاثة أشياء بيده: خلق آدم بيده، وكتبت التوراة بيده، وغرس الفردوس بيده**» مرفوعا - وسنده ضعيف وفي رواية موقوفة على عمر: «**خلق الله- تبارك وتعالى- أربعة أشياء بيده: العرش وجنات**
=

بالتصرف فيها ﴿وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ﴾: سخرناها لهم ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾: مركوبهم ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۝ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾: كأصوافها وغيرها ﴿وَمَشَارِبُ﴾: من اللبن مكان[1]، أو مصدر ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾: بعبادتنا ﴿وَٱتَّخَذُواْ﴾: مع مشاهدة هذه القدرة ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾: بهم ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ﴾: لآلهتهم ﴿جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾: يحرسونهم فالأمر بالعكس، وإذا كانوا مع الله تعالى كذلك ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾: بالطعن في دينك ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: فنجازيهم ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾: مني ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾: بين[2] الخصومة لا يتأمل في بدئه ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾: أمرا عجيبا وهو نفي قدرتنا على البعث ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾: ابتداء، هو أبي بن خلف[3]، أخذ عظما رميما و﴿قَالَ﴾ إنكارًا: ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾: هو[4] اسم البالي من العظام، ولذا لم يؤنث، وأفادت الآية حياة العظم ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾: فيعلم أجزاءه المفتتة ويجمعها ويحييها ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ﴾: كالمرخ والعفار الخضراوين، والأولى العليا، والثانية السفلى ﴿نَارًا﴾: مع تضاد الماء والنار، وفي كل شجرة نار إلا العناب[5] ﴿فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾: لا تشكون في أنها نار فكيف لا يقدر على غَضاضة غُصْن يابسٍ بلى ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: مع عظمهما ﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾: صغرا وحقارة أو في أصول الذات وصفاتها وهو الإعادة، فأجاب بنفسه: ﴿بَلَىٰ﴾: إذ لا جواب للعاقل سواه ﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ﴾: لكل الخلائق ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بالكل ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ﴾: شأنه ﴿إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ

= عدن وآدم والقلم» أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٦٩٣/ ١٢٦) والحاكم (٢/ ٣١٩) والدارمي في الرد على المريسي (١٧٢) والآجري في الشريعة (٣٠٣) واللالكائي في السنة (٣/ ٤٢٩)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥٧٨، ٥٧٩، ٦٧٥) وسنده صحيح موقوفا.

(١) اسم مكان جمع مَشْرَب.

(٢) واضح.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٤٦)، وابن جرير في تفسيره (٢٣/ ٢١) وسنده ضعيف.

(٤) الرميم.

(٥) سيأتي تفسيره في سورة الواقعة: ﴿ءَأَنتم أَنْشَأْتُم شَجَرَتها﴾.

كُن﴾ أي: تكونه ﴿فَيَكُونُ﴾: فهو يكون ونصبا[1] عطفًا على ﴿يَقُولَ﴾ تمثيل لسرعة تأثير قدرته، كما مر ﴿فَسُبْحَانَ﴾: تنزيها عما ضربوا له ﴿الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: أي: مالك التصرف فيه، والتاء مزيدة للمبالغة ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: فيجازيكم، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما إن فضل يس على السور بهذه الآية[2]. والله أعْلَمُ.



---

(١) يعني: «فيكون» وهي قراءة ابن عامر والكسائي وابن عباس.

* إتحاف (١/ ٣٦٧)، السبعة (٥٤٤)، غيث النفع (٣٣٢)، النشر (٢/ ٢٢٠).

(٢) الفتح السماوي (٣/ ٩٥٣/ ٨٣٩) وقال: لم أقف عليه.

* وانظر: تحفة الراوي - لابن همات (٢٧١/ ب) وبتحقيقي (٤/ ٢٨٥).



«سورة الصافات[1] [2]»: مكية[3]

لمَّا بيّنَ كمال قدرته بين تفرده بالألوهية فقال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ وَ﴾: الملائكة ﴿الصَّافَّات﴾: في مقام العبادة[4] ﴿صَفًّا ۝ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ﴾: للعلويات والسفليات بالتدبير[5] أو للناس عن المعاصي ﴿زَجْرًا ۝ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا﴾: نزل على الرسل، والعطف لاختلاف الذوات أو الصفات، والفاء لترتيب الوجود أو الرتبة ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: ومن جملته أفعال العباد ﴿وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾: للكواكب أو للشمس، إذ لها كل يوم من السنة مشرق، وترك المغارب؛ لأن اختلافها بحسبها، على أن الشروق أبلغ في النعمة ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾: القربى منكم ﴿بِزِينَةٍ﴾ أي: تزيين ﴿ٱلْكَوَاكِبِ﴾: وبقطع الإضافة مجرورًا بدل من «زينة» ومنصوبا[6] مفعولا لها وتخصيصها لرؤية الكواكب منها ﴿وَ﴾ حفظناها ﴿حِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾: خارج عن الطاعة ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ﴾: يصغون ﴿إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: ملائكة السماء ﴿وَيُقْذَفُونَ﴾: يرمون ﴿مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾: من آفاق السماء إذا صعدوا للاستراق ﴿دُحُورًا﴾: طردا أو مطرودين ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾: دائم في الآخرة ﴿إِلَّا﴾: استثناء من ضمير يسمعون ﴿مَنْ خَطِفَ﴾: اختلس كلامهم ﴿ٱلْخَطْفَةَ﴾: الواحدة وللمرة ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ﴾: هو ما يرى كان كوكبا انقض ﴿ثَاقِبٌ﴾: يثقبه ويحرقه، وهل يتأذى فيرجع، أو يحترق؟ قولان، وقد يصيبه وقد لا يصيبه، ولذا لا يرتدعون رأسا وكونه من النار لا ينافي احتراقه بها؛ لأنه ليس من

---

(١) كلماتها (٨٦٢) كلمة، وحروفها: (٣٨٢٦) حرفا.

* عدد سور القرآن (٣٧٣)، الوجيز (٢٧٠)، البيان (٢١٢)، البصائر (١/ ٣٩٣).

(٢) في (د): والصافات.

(٣) في الأقوال كلها. * عدد سور القرآن (٣٧٢).

(٤) كالصلاة والذكر والتسبيح ونحوها.

(٥) في (ن): للتدبير.

(٦) قرأ أبو عمرو، وعاصم وشعبة والأعمش ومسروق وطلحة: ﴿بِزِينَةٍ الكَوَاكِبَ﴾ بنصب الكواكب.

* إتحاف (٣٦٧)، السبعة (٥٤٦)، غيث النفع (٣٣٤)، النشر (٢/ ٣٥٦).

صرفها، كما أنا لسنا من صرف الطين، على أن النار الضعيفة تهلك بالقوية[1] والمراد بانقطاعه بولادة نبينا ﷺ[2] انقطاع كثرته به، وكونه من الأبخرة تخمين ويمكن أن يكون إسناده إلى السماء؛ لأنه يرى من جهتها وسيأتي نظيره في الملك[3] ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ ﴾: استخبر المشركين ﴿أَهُمْ أَشَدُّ ﴾: أصعب ﴿خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ﴾: مما ذكر من الملك والسماء ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم ﴾: أي: أصلهم ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ أي: لاصق باليد، فكيف يتكبرون عن عبادتنا؟ ﴿ بَلْ عَجِبْتَ ﴾: من تكذيبهم إياك ﴿وَ﴾: هم ﴿يَسْخَرُونَ﴾: منك، من تعجبك وبضم التاء[4] بمعنى الاستعظام اللازم له، إذ العجب: روعةٌ تعتريك عند استعظامك شيئًا، والروعة سرور مع خوف، وهو عليه تعالى محال، فمعناه[5]: بلغ كمال قدرتي إلى أن استعظمته ﴿ وَإِذَا ذُكِّرُواْ لَا يَذْكُرُونَ ﴾: لا يتعظون ﴿ وَإِذَا رَأَوْاْ ءَايَةً ﴾: كشقِّ[6] القمر ﴿يَسْتَسْخِرُونَ ﴾: يبالغون في السخرية ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنْ ﴾: مَا ﴿هَٰذَآ ﴾ المؤتى ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ وقالوا إنكارًا: ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾: كرر الهمزة مبالغة في الإنكار (أ) نُبْعثُ ﴿وَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾: وبسكون الواو للترديد[7] ﴿ قُلْ نَعَمْ ﴾: تبعثون ﴿وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴾: ذليلون، وإذا كان ذلك ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ﴾: صيحة ﴿ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ ﴾: أحياء ﴿يَنظُرُونَ ﴾: يبصرون ﴿ وَقَالُواْ يَٰوَيْلَنَا ﴾: كما مر ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴾: الجزاء ﴿ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾: فيقال للملائكة: ﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ ﴾: أشباههم[8] في عملهم ﴿وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ۞ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾: من الاصنام

---

(١) وهذا حقٌّ؛ لاختلاف جنسهما.

(٢) في (د): ﷺ.

(٣) في (د): الملائكة.

(٤) يعني «عَجِبْتُ» وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف وأبي عبيد وشعبة والأعمش وطلحة.
* إتحاف (٣٦٨)، البحر المحيط (٧/ ٣٥٤)، السبعة (٥٤٧)، النشر (٢/ ٣٥٦).

(٥) بل معناه مفوض إلى الله تعالى، وهو أعلمُ به منَّا.

(٦) في (ن): كسف القمر!!.

(٧) وهي قراءة ابن عامر ونافع وقالون وأبي جعفر.
* إتحاف (٣٦٨) غيث النفع (٣٣٤)، النشر (٢/ ٣٥٧).

(٨) وأقرانهم.

﴿فَاهْدُوهُمْ﴾: تهكم، أي: سوقوهم ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ۝ وَقِفُوهُمْ﴾: عند الصراط ﴿إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾: عن صنيعهم والواو لا توجب الترتيب، ويقال لهم توبيخا: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾: كما في الدنيا ﴿بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾: منقادون ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: لائمين ﴿يَتَسَآءَلُونَ ۝ قَالُوٓاْ﴾ لرؤسائهم: ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾: أي: الحلف، بحلفكم أنكم على الحق أو عَنْ[1] قِبَل[2] الخير كأنكم تهدوننا فلبستم علينا ﴿قَالُواْ﴾: جوابا: ﴿بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾: في أنفسكم، فكيف أضللناكم؟ ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾: تسلط ﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾: ضالين ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا﴾: جميعا ﴿قَوْلُ رَبِّنَآ﴾: بالعذاب بقوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ إلى آخره، فأحببنا أن تكونوا مثلنا ﴿إِنَّا لَذَآئِقُونَ﴾: عذابه كذلك ﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ﴾: بلا تكليف ﴿إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ﴾: فأحببنا أن تكونوا مثلنا قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾: لغوايتهم ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾: المشركين ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾: في الدنيا ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾: عن قبولها ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾: أي: محمد، قال تعالى: ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: لتطابقهم على التوحيد ﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ۝ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا﴾: مثل ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ إِلَّا﴾: لكن ﴿عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾: عن الكفر لا يذوقون ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾: خصائصه من نحو الدوام وتمحض اللذة، فإن النفس إلى المعلوم أسكن ﴿فَوَٰكِهُ﴾: بيان للرزق وهي ما يؤكل تلذذا لا تغذيا لحفظهم عن التحلل، فإنهم أبديون ﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ ۝ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾: لا يرى بعضهم قفا بعض ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ﴾: بخمر أو إناء فيه خمر ﴿مِّن مَّعِينٍ﴾: نهر ظاهر للعيون ﴿بَيْضَآءَ﴾: بلا كدر ﴿لَذَّةٍ﴾: مبالغة أو تأنيث لذ، بمعنى لذيذ ﴿لِّلشَّٰرِبِينَ﴾: لا كخمر الدنيا ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾: إفساد ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾: يسكرون ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾: أي: العين على أزواجهن ﴿عِينٌ﴾: جمع عيناء، واسعة العين ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ﴾: في بياض ألوانهن مشربا بصفرة ﴿مَّكْنُونٌ﴾: مصون عن

---

(١) يعني: مِنْ.

(٢) جهَة.

الغبار، وفي الحديث: «أنَّ رقَّة جلدهنَّ كرقة قِشْرته السُّفْلى[١]» ﴿فَأَقْبَلَ﴾: الماضي للتأكيد ﴿بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾: عن المعارف، وما مر بهم ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾: كافر ﴿يقول﴾ لي تقريعا: ﴿أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾: بالبعث ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾: لمجزيون ﴿قَالَ﴾: هذا القائل لجلسائه ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾: إلى جهنم لأريكموه ﴿فَٱطَّلَعَ﴾: من بعض كوى الجنة ﴿فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ﴾: وسط ﴿ٱلْجَحِيمِ ۞ قَالَ﴾: له شماتة ﴿تَٱللَّهِ إِن﴾: أي: إنه ﴿كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾: لتهلكني بالإغواء ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي﴾: بالهداية ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾: معك فيها ﴿أَ﴾: نحن مخلدون ﴿فَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾: استفهام تلذذ أو تقريع[٢] لقرينه ﴿إِلَّا﴾: لكن ﴿مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ﴾: كانت في الدنيا والقبر ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾: مثلكم، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾: المذكور ﴿لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۞ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ۞ أَذَٰلِكَ﴾: المذكور ﴿خَيْرٌ نُّزُلًا﴾: ما يعد أولا للنازل فيدل على أن لهم أعظم منه ﴿أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾: شجرة ثمرتها[٣] نزل أهل النار، من تزقمه: تناوله على كره ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً﴾: ابتلاء ﴿لِّلظَّٰلِمِينَ﴾: لإنكارهم نباتها في النار ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ﴾ قعْر ﴿ٱلْجَحِيمِ﴾: وأغصانها تصل إلى دركاتها ﴿طَلْعُهَا﴾: ثمرها في تناهي القبح ﴿كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾: الحيات القبيحة، أو تشبيه تخييلي ﴿فَإِنَّهُمْ لَأَكِلُونَ مِنْهَا﴾: طلعها ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾: للجوع أو الجبر على أكلها ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا﴾: بعد شبعهم منها وعطشهم ﴿لَشَوْبًا﴾: شرابا من عساق أو صديد مشوبا بماء ﴿مِّنْ حَمِيمٍ﴾: ماء حار يقطع أمعاءهم ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى﴾: أصل ﴿ٱلْجَحِيمِ﴾: فإنهما كانا نزلا قبل دخولها ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟﴾: وجدوا ﴿ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ۞ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾: يسرعون شديدا كناية عن مبادرتهم إليه بلا نظر ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ﴾: قبل قومك ﴿أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۞ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم﴾: رسلا ﴿مُّنذِرِينَ ۞ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ فظاعة ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢١٢/ ١٨١٨٣، ١٨١٨٤) عن عطاء، وعن السدي - وكلاهما مقطوع - وسندهما ضعيف جدا.

(٢) في (ن)، و(د): توبيخ.

(٣) في (د): ثمرها.

﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾: المنتهين بالإنذار ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا﴾: دعانا ﴿نُوحٌ﴾: بعد يأسه بقوله: ﴿أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾[1] ﴿فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ﴾: نحن ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾: الغرق أو الأذيه ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾: سام أبو العرب وفارس والروم[2]، وحام أبو السودان، ويافث أبو الترك، ويأجوج ومأجوج ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾: إلى القيامة أي: يقولون[3]: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ﴾: أي هذه الكلمة[4] ﴿فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾: الجزاء ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: تعليل[5] إحسانه بالإيمان[6]؛ إجلالا لشأن الإيمان ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ۝ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ﴾: ممن شايعه[7] في أصول دينه ﴿لَإِبْرَٰهِيمَ﴾: بينهما ألف ومائة واثنتان وأربعون سنة[8]، وبعث بينهما هود وصالح، اذكر ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾: من النقائص ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ﴾: إنكارا ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ ۝ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾: أي: أتريدونها للعبادة دون الله للإفك ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: هل يترككم بلا عذاب مع شرككم، فخرجوا إلى عيدهم وتركوا طعامهم عند أصنامهم ليرجعوا ويأكلوه تبركا وقالوا له أخرج معنا ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى﴾: علم ﴿ٱلنُّجُومِ﴾: إذ كانوا منجمين ﴿فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ﴾: سأسقم بالطاعون أوهمهم أنه استدل بها ليسمعوا منه أو كان[9] علم النجوم حقًّا من النبوة ثم نسخ[10]، بل النسخ في الأحكام ﴿فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ

---

(١) سورة القمر.

(٢) كذا.

(٣) كذا في (ن)، و(د).

(٤) أتى بها على الحكاية.

(٥) ليست في (ن).

(٦) في (د): بأيمانه.

(٧) في (ن): نشأ عنهُ.

(٨) الله أعلم.

(٩) في (ن): وكان.

(١٠) المنهي عنه في دراسة علم النجوم هو علم التأثير، بمعنى أن الكواكب توثر بذاتها وأن البرج الفلاني يؤثر في صاحب كذا وكذا؛ لقوله ﷺ: «**من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر وزاد ما زاد**» أخرجه أحمد (١/ ٣١١)، وأبو داود (٢/ ٣٧٢٦) وابن ماجة (٢/ ٣٧٢٦) وصححه الألباني في صحيح

مُدْبِرِينَ﴾: هاربين مخافة العدوى ﴿فَرَاغَ﴾: ذهب خفية[١] ﴿إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ﴾: لهم سخرية: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾: من هذه الأطعمة ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ۞ فَرَاغَ﴾: أقبل خفية ﴿عَلَيْهِمْ﴾: يضرب ﴿ضَرْبًا بِٱلْيَمِينِ﴾: لقوة اليمين أو بالقسم وهو: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ﴾ فكسرها فبلغ قومه ﴿فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ﴾: أي: إلى[٢] إبراهيم بعد رجوعهم ﴿يَزِفُّونَ﴾: يسرعون وقالوا: أأنت تكسر معبودنا ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۞ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾: تعملونه أو عملكم، يعني[٣] معمولكم، إذ جوهره بخلقه وشكله بإقداره إياهم عليه أو بمعنى الحدث، ويدل على خلق الأعمال، ويرجح على الأولين بعدم الحذف والمجاز[٤] ﴿قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا﴾: حائطًا طوله ثلاثون وعرضه عشرون، واملئوه حطبًا واضرموه بالنار ﴿فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ﴾: النار الشديدة[٥]، فألقوه فيها ﴿فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا﴾: شرا ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾: الأذلين بإبطال كيدهم وإعزازه ﴿وَقَالَ﴾: بعد خروجه منها: ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ﴾ مهاجر ﴿إِلَىٰ﴾: حيث أمرني ﴿رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾: إلى صلاحي، بت القول لسبق وعده، وأما قول موسى: ﴿عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى﴾[٦] إلى آخره فقبل النبوة فهاجر إلى الشام، وقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِى﴾: أي: ولدا ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: ولفظ الهبة غالب في الولد ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾: بحيث انقاد حين عرض ذبحه عليه وهو إسماعيل[٧] على الأصح[٨] لحديث: «**أنا ابن الذبيحين**»[١]: ولعطف بشارة إسحاق على بشارته

= الجامع (٢/ ٦٠٧٤) والصحيحة (٧٩٣) وقوله: «**إذا ذكرت النجوم فأمسكوا**» أخرجه الطبراني (١٠/ ١٠٤٤٨)، وابن عدي (٧/ ٢٥) و (٦/ ١٦٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٥٤٥)، والصحيحة (٣٤) أما علم التسيير فهو مطلوب ا.هـ.

(١) بضم الخاء وكسرها: كتمانًا.

(٢) ليست في (د).

(٣) في (ن)، و(د): بمعنى.

(٤) أنوار التنزيل (٥٩٤).

(٥) من الجحمة وهي شدة التأجج.

(٦) سورة القصص.

(٧) انظر ميمون التصريح بمضمون الذبيح لابن طولون (١/ بتحقيقي) ففيه الكثير من الأدلة.

(٨) لا إسحاق.

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ ﴾: سنا أي: يسعى معه في أعماله وكان ابن ثلاثة عشر سنة ﴿قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ ﴾: أتى بالمضارع لتكررها[٢] ثلاث ليال: التروية وعرفة والنحر، وبذلك يظهر وجه تسمية الكل ﴿فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ ﴾: رأى ذلك أو ما يعبر به ورؤيا الأنبياء وحي ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴾: من الرأي، اختبر صبره على الطاعة ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾: به، ولا تشاورني ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۞ فَلَمَّآ أَسْلَمَا ﴾: انقادا لأوامر الله تعالى ﴿وَتَلَّهُۥ ﴾: أضجعه ﴿لِلْجَبِينِ﴾: على إحدى جانبي الجبهة بـ«منى» عند منحر الناس اليوم، وأمر السكين بقوته على حلقه مرارا فلم تقطع وجواب لما كان من السرور، دل عليه ﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۞ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ﴾: بعزمك والإتيان بما في وسعك ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ ﴾: الجزاء ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: بتفريج شدتهم، أفاد جواز النسخ قبل وقوعه ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ﴾: الاختبار ﴿ٱلْمُبِينُ﴾: البين ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ ﴾: ما[٣] يذبح بدله ﴿عَظِيمٍ ﴾: جثة أو قدرا، هو كبش أقرن أملح جاء به جبريل من الجنة، قيل: هو الذي تقبل من هابيل وهرب منه عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى أخذه فصارت سنة وليس فيها ما يدل على أن من نذر ذبح ولده لزمه ذبح شاه إذ لا نذر فيها ولا لزومية ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ۞ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۞ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۞ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾: كما مر ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ ﴾ بوجوده ﴿نَبِيًّا﴾: مقضيا بنبوته ﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾: ومن جعله الذبيح[٤] يجعل البشارة بنبوته ﴿ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ ﴾: بتكثير ذريته ﴿وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ﴾: بجعل أكثر الأنبياء من نسله ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ ﴾: بالإيمان ﴿وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾: بالكفر ﴿مُبِينٌ ﴾: ظلمه، أفاد أن النسب لا يؤثر في الهدى والضلال ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾: بالنبوة وغيرها ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾: ظلم فرعون ﴿ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾: على القبط ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٨٥)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٥٥٤) وسنده ضعيف جدا.

(٢) أي: الرؤيا.

(٣) في (ن): بما يُذبحُ.

(٤) وهو مروي عن أهل الكتاب، ولا يصحُّ.

﴿ٱلْمُسْتَبِينَ﴾: البليــغ البيــان ﴿وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ۝ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۝ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَإِنَّ إِلْيَاسَ﴾: ابــن ياسـين سـبط هـارون، وقيــل: هــو إدريــس[1] ﴿لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ اذكـر ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ﴾: عـذاب الله ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾: تعبـدون صـنم أهـل بـك[2] مـن الـشام ﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾: في النـار ﴿إِلَّا﴾: استثناء مـن الـواو ﴿عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ۝ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾: لغـة في إليـاس كميكائيـل، وميكـال، أو المـراد هـو وأهله، جمع تغليبا كمهلبين للمهلب، وعلى قراءة آل[3] مفصولا، فالأظهر أن المراد إليـاس، وأهلـه ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: اذكـر ﴿إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عَجُوزًا﴾: امرأتــه ﴿فِى ٱلْغَٰبِرِينَ﴾: البـاقين في العـذاب ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾: كمـا مـر ﴿وَإِنَّكُمْ﴾: يـا قـريش ﴿لَّتَمُرُّونَ عَلَيْهِم﴾: علـى آثـارهم في سفركم إلـى الـشام ﴿مُّصْبِحِينَ﴾: في الـصباح ﴿وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: فتعتبرون ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ أَبَقَ﴾: هرب بلا إذن ربه حين استبطأ العذاب الـذي وعد قومه ﴿إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾: المملوء فركدت، فقيـل هنـا: عبد آبق تظهره القرعة ﴿فَسَاهَمَ﴾ قارع أهله ﴿فَكَانَ﴾ فصار ﴿مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ المغلوبين بالقرعة فقـال: أنـا الآبق ورمى بنفسه في الماء[4] ﴿فَٱلْتَقَمَهُ﴾ ابتلعه ﴿ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾: نفسه بمـا فعـل قـائلًا: «**لا إلـه إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين**» وَمَكث أربعين يومـا[5] وقيـل: غير ذلـك وكـان

----

(١) وهذا باطل.

(٢) وهي الآن «بعلبك» وهي مدينة أثرية ذات أشجار وأنهار وأعين بـ «لبنان» حاليا.

* تقويم البلدان (٢٥٤)، المسالك والممالك (٧٧)، البلدان (٣٢٥)، معجم ما استعجم (١/ ٢٦٠)، نزهة المشتاق (١/ ٣٦٩)، معجم البلدان (١/ ٤٥٣)، آثار البلاد (١٥٦)، مراصد الاطلاع (١/ ٢٠٧).

(٣) قرأ نافع وابن عامر ويعقوب ورويس والأعرج وشيبة: «آل ياسين».

* إتحاف (٣٧٠)، السبعة (٥٤٩)، غيث النفع (٣٣٥).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٢٦/ ١٨٢٧٧) وسنده ضعيف.

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٣/ ١٠١).

الحوت يسير مع الفلك رافعا رأسه يتنفس فيه يونس ويسبح حتى انتهوا إلى البر ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾: بذلك ﴿لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ﴾: ميتا أو حيا ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ فيه حث على إكثار الذكر ﴿فَنَبَذْنَٰهُ﴾: طرحناه من بطنه ﴿بِٱلْعَرَآءِ﴾: الأرض الخالية عن النبات ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾: كطفل ولد ﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾: هو ما يبسط على وجه الأرض بلا ساق والمراد القرع، نبتَ بساق مُعجزةً له، وغطاه بأوراقه فمنع الذباب؛ فإنه لا يقع عليها، وكانت وعلة[1][2] تأتيه كل يوم مرتين لشرب لبنها حتى قوي ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ﴾: قومه الذي هرب عنهم ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾: في تقديركم، والمراد: الوصف بالكثرة كما مر ﴿فَـَٔامَنُوا۟﴾: عند معاينة العذاب كما مر في يونس ﴿فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾: أجلهم ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ﴾: استخبر قريشا، عطف على مثله أول السورة[3] ﴿أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ﴾: إذ قالوا: الملائكة بنات الله حتى سألهم الصديق رضي الله تعالى عنه فمن أمهم[4] ﴿وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ﴾: كما مر في النحل ﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ﴾: أنوثتهم، خصها بالمشاهدة لتشبههم بها، كأنهم[5] شاهدوها ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ۝ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾: فيه ﴿أَصْطَفَى﴾: اختار ﴿ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ۝ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾: بهذا ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ۝ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ﴾: المنزل عليكم بهذا ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ﴾: تعالى ﴿وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ﴾: الملائكة المجتنة من الخلق ﴿نَسَبًا﴾: بالنبوة، وقيل: قالوا: صاهر الجن فخرج الملكُ[6] ﴿وَلَقَدْ

---

(١) أنثى الوعل وهو التيس الجبلي.

(٢) في (د): وعل.

(٣) في قوله: ﴿فاستفتهم أَهُمْ أَشَدُّ خلقًا﴾.

(٤) عن مجاهد في قوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ قال: قال كفار قريش: الملائكة بنات الله تعالى فقال لهم أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فمن أمهاتهم؟ فقالوا: بنات سروات الجن، فقال الله عَزَّوَجَلَّ: «ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون» يقول: إنما ستحضر للحساب، قال: والجنة هي الملائكة. أخرجه الطبري (٢٣/ ٦٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ١٦٦/ ١٤١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٢٣١/ ١٨٣٠٣) وسنده ضعيف.

(٥) في (د): كانوا.

(٦) نعوذ بالله من هذا الكفر.

عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ ﴾: أي: القائلون ﴿لَمُحْضَرُونَ ﴾: في العذاب ﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ إِلَّا﴾: لكن ﴿عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾: ناجون منه ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴾: من الأصنام ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴾: مفسدين أحدا بالإغواء ﴿ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ﴾: داخل ﴿ٱلْجَحِيمِ ﴾: ويقول الملك خضوعا لله عز وجل ﴿وَمَا مِنَّآ ﴾: أحد ﴿إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾: في السماء يعبد الله فيه، قاله جبريل لمحمد صلى الله عليه[1] [2] وسلم ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴾: في مقام العبودية ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴾: الله تعالى عما لا يليق به ﴿ وَإِن ﴾: إنه ﴿كَانُواْ ﴾: قريش ﴿لَيَقُولُونَ ۞ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا ﴾: كتابا ﴿مِّنَ ﴾: كتب ﴿ٱلْأَوَّلِينَ ۞ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ۞ فَكَفَرُواْ بِهِۦ ﴾: بالذِّكر القرآن لما جاءهم ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾: عاقبتهم ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا ﴾: بالنصر ﴿لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾: هي ﴿ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ۞ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾: عاقبة ولو في الآخرة ولم يقتل قط نبي أُمِر بالجهاد[3] ﴿ فَتَوَلَّ ﴾: أعرض ﴿عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾: ينصرك عليهم ﴿ وَأَبْصِرْهُمْ ﴾: حينئذ كيف يذلون ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾: عزك، فقالوا استهزاءً: متى هذا الوعد فنزل ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ۞ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ ﴾: أي: فنائهم هي كناية عن القوم ﴿فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾: استعير من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب وسموا الغارة صباحا[4] لكثرة وقوعها فيه ﴿ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۞ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾: كرره تأكيدا و[5]تهديدا وطرح الضمير اختصارا و[6]اكتفاء بما سبق ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ ﴾: الإضافة لأن له العزة ولمن أعزه ﴿عَمَّا يَصِفُونَ ﴾: المشركون ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾: الذين سبقت الكلمة لهم ﴿ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾: على ما أنعم عليهم وعلى أممهم.

عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة، فليكن

---

(١) الابتهاج في الكلام على الإسراء والمعراج - للغيطى (١٠٣) بالتفصيل.

(٢) في (د): عليهما، وفي (ن): عليهما الصلاة والسلام.

(٣) فالجهاد شرفُ الأُمَّة وعزُّها وعزتها.

(٤) كقوله: ﴿**فالمغيرات صُبْحا**﴾، وقال القائلُ:

نحن اللّذُونَ صبحوا الصَبَاحَا ... يَوْمَ النخيل غارة ملحَاحَا

(٥) الواو ليست في (ن).

(٦) في (ن): أو اكتفاءً.

آخـر كلامـه إذا قـام[1] مـن مجلسه: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾: إلى آخـر السورة»[2]. والله أَعْلَمُ.

❁❁❁

---

(١) كلمة: «إذا قامَ» ساقطة من جميع النسخ وأثبتها من مصادر التخريج.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٢٣٤/ ١٨٣٢٢)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٥٣٦)، وعبد الرزاق في المصنف (٢/ ٢٣٧)، والثعلبي في تفسيره (٣/ ٢٥٤/ أ) وإسناده ضعيف جدا.



«سورة ص[1]»: مكية[2]

لمَّا قال: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾ إلى آخره، وهدد أعداءه، أقسم على وقوع الانتقام منهم كما انتقم ممن قبلهم فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ صٓ﴾: كما مر ﴿وَالْقُرْءَانِ ذِي الذِّكْرِ﴾: البيان لكل شيء أو الشرف وجوابه أن الأمر ليس كما زعم قريش ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ﴾: استكبار ﴿وَشِقَاقٍ﴾: خلاف عظيمين عن الحق ﴿كَمْ﴾: أي: كثيرا ﴿أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾: من المخالفين لأنبيائهم ﴿فَنَادَوا﴾: استغاثة حينئذ ﴿ولا﴾: مشبهة بليس ﴿ت﴾: زائدة مبالغة كثمة، أي: ليس الحين ﴿حِينَ مَنَاصٍ﴾: مفر ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾: من أنفسهم، هو محمد ﷺ ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ﴾: أي: قالوا ﴿هَٰذَا سَاحِرٌ﴾: في معجزاته ﴿كَذَّابٌ ۞ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾: بأمره بقول: لا إله إلا الله ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾: بليغ في العجب ﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ﴾: الأشراف ﴿مِنْهُمْ﴾: من قريش بعدما أمرهم به قائلين بعضهم لبعض: ﴿أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ﴾: عبادة[3] ﴿آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا﴾: الذي يدعيه من النبوة والترفع ﴿لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾: يريده كل أحد ولا يصل إليه ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾: المدعى ﴿فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾: ملة عيسى إذ النصاري كانوا يثلثون ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾: كذب ﴿أَ﴾ و﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ الوحي ﴿مِن بَيْنِنَا﴾: وليس بأشرفنا ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي﴾: القرآن أنه حق أم لا، فقولهم: إن هذا... إلى آخره تفوه بلا اعتقاد ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾: بعد، فإذا ذاقوه زال شكهم ﴿أَمْ﴾: بل، أ ﴿عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾: من النبوة وغيرها فيردونها ممن شاءوا ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: فإن كان كذلك ﴿فَلْيَرْتَقُوا﴾: فليصعدوا ﴿فِي الْأَسْبَابِ﴾: الموصلة إلى السماء

---

(١) كلماتها (٧٣٢) كلمة، وحروفها: (٣٠٧٠) حرفا.

* بشير اليسر (١٥٤)، البصائر (١/ ٣٩٩) الوجيز (٢٧٣)، البيان (٢١٤) وعدد سور القرآن (٣٧٨).

(٢) في الأقاويل كلها. * عدد سور القرآن (٣٧٧).

(٣) الصبر محمودٌ في القرآن كله إلّا في هذا الموضع، وموضع البقرة ﴿فما أصبرهُمْ على النار﴾، وموضع الطور: ﴿أصْلَوْهَا فاصْبِروا أو لَا تصبِروا سواءٌ عليكُم﴾.

ليأتوا بالوحي إلى من شاءوا، هم ﴿جُندٌ مَّا﴾: صلة أي: حقير ﴿هُنَالِكَ﴾: في تكذيبهم لك ﴿مَهۡزُومٌ﴾: مكسور عما قريب ﴿مِّنَ﴾: جنس ﴿ٱلۡأَحۡزَابِ﴾: المتحزبين على الأنبياء فيهلكون كما أهلكوا[١] ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ﴾: كان له أوتاد يعذب أو يلعب بها[٢] ﴿وَثَمُودُ وَقَوۡمُ لُوطٖ وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ﴾: قوم شعيب كما مر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: هم ﴿ٱلۡأَحۡزَابُ﴾: المذكورة ﴿إِن﴾: أي: ما ﴿كُلٌّ﴾: منهم ﴿إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾: إذ مكذب أحدهم كمكذب كلهم ﴿فَحَقَّ﴾: وجب ﴿عِقَابِ﴾: عليهم ﴿وَمَا يَنظُرُ﴾: ينتظر ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: الكفرة ﴿إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾: نفخة الفزع ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ﴾: رجوع، أي: لا تثنى[٣]، أو بضم الفاء[٤] توقف قدر ما بين الحلبتين[٥]، و بفتحها الإفاقة ﴿وَقَالُواْ﴾: استهزاء يا ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾: قسطنا من العذاب أو صحيفة أعمالنا من قطه: قطعه ﴿قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ۝ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ﴾: لهم ﴿عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِ﴾: القوة في الطاعة، أي: قصته تعظيما للمعصية في نظرهم ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾: رجاع إلى الله تعالى ﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ﴾: بتسبيحه[٦] ﴿بِٱلۡعَشِيِّ﴾: وقت العشاء ﴿وَٱلۡإِشۡرَاقِ﴾: وقت صلاة الضحى وهو أن تشرق الشمس أي: يتناهى ضوءها وشروقها طلوعها هذا بفهم مداومتهن عليه، والأول موافقتهن فيه ﴿وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗ﴾: مجتمعه إليه من الجوانب ﴿كُلٌّ﴾: منها ﴿لَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾: رجاع إلى التسبيح بتسبيحه ﴿وَشَدَدۡنَا﴾: قوينا ﴿مُلۡكَهُۥ﴾: بالهيبة وكثرة الجنود ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ﴾: النبوة ﴿وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ﴾: البيان الشافي للمخاطب ﴿وَهَلۡ﴾: استفهام تعجب مما بعده ﴿أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ﴾: تحاكم ﴿ٱلۡخَصۡمِ﴾:

---

(١) في (ن): هلكوا.

(٢) انظر: «ما يعوقل عليه في المضاف والمضاف إليه» للمحبي.

(٣) بل تثنى: ﴿ثُمَّ نفخ فيه أُخرى فإذا هُمْ قيَامٌ ينظرون﴾.

(٤) بضم الفاء «فواق» وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف والأعمش وطلحة.

* إتحاف (٣٧٢)، السبعة (٢٥٢)، غيث النفع (٣٣٦)، النشر (٢/ ٣٦١).

(٥) وقد وردت في ذلك أحاديث.

(٦) في (ن): تسبيحه.

ملكين جاءا في صورة رجلين في غير يوم القضاء فمنعهما الحرس[1] ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾: فصعدوا سور مسجده، جمع لأن الاثنين[2] أقل الجمع[3] ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ﴾: نحن ﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ﴾: ظلم ﴿بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ قالاه تعريضا له إذ كان ﴿فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾: أنثى الضأن، وقد يكنى بها عن المرأة[4] ﴿وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾: ملكنيها أو اجعلها كفلي أي: نصيبي ﴿وَعَزَّنِى﴾ غلبني ﴿فِى ٱلْخِطَابِ﴾: من خاطبني في المرأة أي: خطبها على خطبتي وتزوج بها ﴿قَالَ﴾ داود: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ﴾: مضافةً ﴿إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ﴾: الشركاء ﴿لَيَبْغِى﴾: ليظلم ﴿بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا﴾: صلة ﴿هُمْ﴾ فقالا: قضى على نفسه وصعدا إلى السماء ﴿وَظَنَّ﴾ علم ﴿دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾: ابتليناه بمحبتها، وأما قصة أوريا[5] فإفْكٌ[6]، حكم عليٌّ رضي الله تعالى عنه على من حدث بها بمائة وستين جلدة[7]. وغاية ما في الآية أنه ﷺ وَدَّ أن يكون له ما لغيره، وكان له أمثاله ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ﴾: أربعين يوما ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾: ساجدا أو مصليا ركعتي الاستغفار ﴿وَأَنَابَ﴾: رجع إلى الله تعالى ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾: لقربة ﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾: مرجع ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾: على الملك ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾: هوى النفس ﴿فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دلائله المنصوبة على الحق ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟﴾: أي: بنسيانهم ﴿يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾: فلم يعملوا له ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: خلقا ﴿بَٰطِلًا﴾: بل

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٩٥، ٩٦) وسنده ضعيف.

(٢) في (د): اثنين.

(٣) كقوله تعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قلوبكما﴾.

(٤) قال السمين: ويكنى بالنعجة عن المرأة، وهو مراد الآية الكريمة، وقد قيل: إن المراد النعجة المعهودة. * عمدة الحفاظ (٤/ ١٩٥/ نعج).

(٥) يعني الحيثي وزوجته.

(٦) كذبٌ.

(٧) بل من اعتقدها كفر؛ لأنها تنافي عصمة الأنبياء.

لحكم بالغة ﴿ذَٰلِكَ﴾: خلقهن باطلا ﴿ظَنُّ﴾: أي: مظنون ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: أي: لهم ﴿مِنَ ٱلنَّارِ ۞ أَمۡ﴾: بل ﴿نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾: دينهم بالكفر ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ﴾: من المؤمنين رد لقولهم نعطى في الآخره مثل ما تعطون، هذا [١] ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ﴾: ليتفكروا ﴿ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ﴾: ليتعظ به ﴿أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾: ذوو العقول السليمة ﴿وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ﴾: سليمان ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾: رجاع إلى الله تعالى ﴿إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ﴾ لأجل القراءة ﴿بِٱلۡعَشِيِّ﴾: بعد الزوال ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ﴾: الخيول التي تقف علي ثلاثة قوائم وتقيم الأخرى على طرف الحافر ﴿ٱلۡجِيَادُ﴾: المسرعات جريًا، جمع جواد أو جود، كانت ألفا فشغله عرضها عليه عن صلاة العصر ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ﴾: آثرت ﴿حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ﴾: المال ﴿عَن﴾: على ﴿ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ﴾: الشمس الدال عليها العشي ﴿بِٱلۡحِجَابِ﴾: بحجابها، أي: غربت ﴿رُدُّوهَا﴾: أي: الصافنات ﴿عَلَيَّۖ فَطَفِقَ﴾: جعل يمسح بالسيف ﴿مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ﴾: جمع ساق ﴿وَٱلۡأَعۡنَاقِ﴾: منها، وتصدق بلحمها فعوضه الله سبحانه بالريح أو كواها[٢] في الموضعين[٣] وسبلها[٤] كفارة ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا﴾: ابتلينا ﴿سُلَيۡمَٰنَ﴾: بنزع ملكه أياما بشؤم امرأته التي عبدت صنما[٥] [٦] في غيبته مع توابعها أربعين يوما بغير علمه إلا أنه أمر باتخاذه على صورة أبيها لتسكن إليه فأخبره آصف بذلك فكسره وضربها واستغفر وتضرع وخطيئته تغافله عن أهله ﴿وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ﴾: ملكه ﴿جَسَدٗا﴾: أصله جسم بلا روح، والمراد جنيٌّ اسمه صخرٌ[٧]؛ لأنه تمثل بما لم يكن

---

(١) ساقطة من (د).

(٢) يعني وسمها بالكيّ، وهو حرامٌ في شَرْعِنا.

(٣) في السُّوق والأعناق.

(٤) جعلها في سبيل الله.

(٥) لا والله، هذا محال، وما كان على المصنف ذكر هذا، وسيأتي تفسير الآية على الوجه الصحيح ا.هـ.

(٦) في (د): في بيته.

(٧) كل هذا كذب وزور وبهتان.

كذلك، إذ جاء في صورته، وهو في الخلاء وأخذ خاتمه الذي فيه ملكه من يد أمينته[١] فملك ونفذ حكمه في الكل إلانسائه وتغير[٢] سليمان عن هيئته حتى أنها طردته حين طلب الخاتم منها وبقي يتكفف على البيوت أربعين يوما كفارة للأربعين الماضية[٣]، وكان يتضرع ويستغفر الله تعالى إلى أن طار الجني وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة فوقعت في يده، ووجد الخاتم فيها فخر ساجدا[٤] ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾: رجع إلى ملكه، وفسر[٥] الآية في الحديث بأنه قوله «لأطوفن بسبعين امرأة تأتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله، وما استثنى[٦]، فطاف ولم تحمل إلّا واحدة بشقّ[٧] ولد، ولو استثنى لجاهدوا فرسانا[٨]» ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾: ذنبي ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي﴾: لا يكون ﴿لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾: لتكون معجزة لي، أو لا يسلب عني بعد هذا السلب، أو هو ملك الآخرة، وقدم الاستغفار اهتمامًا بالدين وتقديما للوسيلة ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً﴾ لينة بلا تزعزع ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ أي: قصد ﴿وَ﴾: سخرنا له ﴿الشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ﴾: للمحاريب ﴿وَغَوَّاصٍ﴾: لاستخراج اللآلىء ﴿وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ﴾: مشدودين ﴿فِي الْأَصْفَادِ﴾: القيود، قائلين: ﴿هَذَا﴾: الملك ﴿عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ﴾: أعط ﴿أَوْ أَمْسِكْ﴾: امنع من شئت ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: عليك فيهما ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى﴾: قربة عظيمة ﴿وَحُسْنَ مَآبٍ﴾: الجنة ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ﴾: بن عِيص بن رَعْويل بن عيصو بن

---

(١) في أنوار التنزيل (٦٠٣) وكانت له أم ولد اسمها أمينة، وفي (ن)، و(ع): مِنْ يد أمينته، وفي (س): أمينة.

(٢) في (ن)، و(د): فتغير.

(٣) انظر إلى قلة أدب أهل الكتابين مع أنبياء الله ورسله الذين اصطفاهم الله واختارهم وشرفهم وأكرمهم وأكرم بهم؟!!!!.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٤١/ ١٨٣٥٥، ١٨٣٥٦، ١٨٣٥٧) ولا يصح؛ بل لا تجوز رواية ذلك؛ لأنه فيه منافاة لعصمة الأنبياء، وهؤلاء الكفرة لا يعدون سليمان وداود من الأنبياء.

(٥) يعني: تفسير الآية.

(٦) يعني: ما قال: إن شاء الله.

(٧) نصف.

(٨) الصحيح أنهن مائة. أخرجه البخاري (٦/ ٣٣٠)، ومسلم (١٦٥٤)، والنسائي (٧/ ٢٥).

إسحاق[١] ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى﴾ بأني ﴿مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ﴾: بتعب ﴿وَعَذَابٍ﴾: نسبه إليه أدبا[٢]، ابتلي ثمانية عشر سنة بما له وولده وجسده ولم يبق منه[٣] سليم إلا لسانه وقلبه، فألقوه في مزبلة[٤] وما بقي معه إلا امرأته ليا بنت يعقوب، أو رحمة بنت إفرائيم بن يوسف فقيل له: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾: الأرض فضرب فنبعت فقيل له: ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾: فاغتسل وشرب فبرئ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾: كما مر ﴿رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ﴾: عظة ﴿لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: ليصبروا ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾: صغير حزمة الحشيش ﴿فَٱضْرِب بِّهِۦ﴾: امرأتك إذ حلف ليضربنها مائة ضربة لإبطائها عليه يوما، وهذا الحكم باق ﴿وَلَا تَحْنَثْ﴾: بترك ضربها ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾: وشكواه إلى الله تعالى لا تقدح فيه[٥]؛ فإنها إما من وسوسة الشيطان[٦] أو كقول يعقوب: «إنما اشكوا بثي» إلى آخره مع قوله: «فصبر جميل» ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾: هو ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾: مقبل بكليته إلينا ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِى ٱلْأَيْدِى﴾: القوة في الطاعة ﴿وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾: البصائر في الحقائق ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم﴾: جعلناهم خالصين لنا ﴿بِخَالِصَةٍ﴾: من الخصال هي ﴿ذِكْرَى﴾: تذكر ﴿ٱلدَّارِ﴾: الآخرة بالعمل لها وبالإضافة[٧] بمعنى الخلوص[٨] وفي الخبر: «**أن الخالصة كتب منزلة فيها ذكرى الدار**»، وأفاد بالإطلاق أنها الدار الحقيقية والدنيا معبر ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ﴾: المختارين من الخلق ﴿ٱلْأَخْيَارِ﴾ جمع خير أو خير[٩] ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ﴾: ابن أخطوب كان خليفة إلياس ثم بعث ﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾:

---

(١) هذه الأسماء ونحوها لا يصح فيها شيء.

(٢) يعني مع الله.

(٣) يعني من جسده شيءٌ سليم.

(٤) ومقام النبوة أعلى وأجل من هذه الخرافات الكُفريَّة.

(٥) يعني: في صبره.

(٦) أين الشكوى أصْلًا!!!.

(٧) يعني: «بخالصة» وهي قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وأبي جعفر وشيبة والأعرج وهشام.
* إتحاف (٣٧٣)، السبعة (٥٥٤)، النشر (٢/ ٣٦١).

(٨) في (ع): في خبر.

(٩) بالتشديد والتخفيف للياء المثناة التحتية.

ابن عمه أو بشر بن أيوب كما مر ﴿وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ۞ هَٰذَا﴾: المذكور ﴿ذِكْرٌ﴾: شرف لهم ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ۞ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾: أبوابها ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾: مرسر الاقتصار عليها ﴿وَشَرَابٍ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾: على أزواجهن ﴿أَتْرَابٌ﴾: لدات لهم أو متساويات[1] الأعمار، بنات ثلاث وثلاثين ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ﴾: لأجل يوم ﴿ٱلْحِسَابِ﴾: فإن الحساب علة الوصول ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا﴾ رزقناهم ﴿مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾: انقطاع الأمر ﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ۞ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾: يدخلونها ﴿فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾: الفرش[2] هي ﴿هَٰذَا﴾: العذاب ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾: هو ﴿حَمِيمٌ﴾: ماء محرق ﴿وَغَسَّاقٌ﴾: ما يغسق أي: يسيل من صديد أهل النار ﴿وَ﴾: عذاب ﴿ءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ﴾: مثله ﴿أَزْوَٰجٌ﴾: أصناف خبر لآخر، ويقال لقادتهم عند دخولهم النار ﴿هَٰذَا فَوْجٌ﴾ جمع ﴿مُّقْتَحِمٌ﴾: داخل فيها ﴿مَّعَكُمْ﴾: فيقول القادة ﴿لَا مَرْحَبًۢا﴾ أي: سعة ﴿بِهِمْ﴾: دعاء بالضيق ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا﴾: داخلوا ﴿ٱلنَّارِ قَالُوا﴾ الفوج: ﴿بَلْ أَنتُمْ﴾: أيها القادة ﴿لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ﴾: العذاب ﴿لَنَا﴾: بإغوائكم ﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾: المقر جهنم ﴿قَالُوا﴾ الفوج: يا ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا﴾: مضاعفا ﴿فِى ٱلنَّارِ ۞ وَقَالُوا﴾: الكفار فيها: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ﴾: هم فقراء المسلمين، كعمار وبلال ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا﴾: وهم المعظمون حقيقة فلم يدخلوها ﴿أَمْ﴾: دخلوها، و﴿زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾: فلم نرهم فـ«أم» معادلة لـ«ما لنا» ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾: المذكور ﴿لَحَقٌّ﴾: هو ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ۞ قُلْ﴾ للمشركين: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾: لخلقه ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ﴾ في عقابه ﴿ٱلْغَفَّٰرُ﴾: لأوليائه ﴿قُلْ هُوَ﴾: القرآن أو الخبر الآتي ﴿نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ۞ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۞ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾: يتقاولون في أمر آدم مع أني أمي فإنما هو بالوحي ﴿إِن﴾: ما ﴿يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۞ إِذْ﴾: بدل من «إذْ»[3] ﴿قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾: عدلت خلقه

---

(١) في (د): مقاربات.

(٢) في (ن)، و(د): المفترش.

(٣) يعني: بدلٌ من ﴿إذْ يختصمون﴾ مُبيّن له.

﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ﴾: خـروا ﴿لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾: تكريمـا ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۞ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ﴾: صـــار ﴿مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۞ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾: أي: بلا واسطة كأب وأم والتثنية لمزيد القدرة فيه، وظاهره أنه ليست اليدان من صفات الذات كمذهب السلف[1] ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾: الآن ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾: المتكبرين ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ﴾: لطيفة ﴿وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾: كثيف ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا﴾: من السموات ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾: مطرود ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾: أي: لعنة الدنيا، ثم يدخل في قوله تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ ...﴾[2] إلى آخره ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ﴾: أمهلنـي ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۞ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۞ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾: القيامة ﴿قَالَ﴾: إبليس لما[3] أمهلتني ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾: أي: أولاده ﴿أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾: كما مر ﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿فَٱلْحَقُّ﴾: قسمي وبالنصب[4] بحذف حرفه ﴿وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾ جوابه: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ﴾: من جنسك ﴿وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على التبليغ ﴿مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾: بتقول القرآن ﴿إِنْ﴾: أي: ما ﴿هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ ۞ وَ﴾: الله ﴿لَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ﴾: صدقه ﴿بَعْدَ حِينٍۭ﴾: أي: الموت أو القيامة أو ظهور الإسلام، والله تعالى أعلم بالصّواب، وإليه المرجعُ والمآب.



---

(١) نثبتها لله تعالى كما أثبتها لنفسه ونفوض علمها له سبحانه.

(٢) سورة الأعراف.

(٣) يعني: للذي أمهلتني له.

(٤) يعني «فالحق» وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وحمزة وابن عامر والكسائي وعاصم ويعقوب وأبي جعفر.

* إتحاف(٣٧٤)، السبعة (٥٥٧)، غيث النفع (٣٣٨)، الكشاف (٣/ ٣٨٤)، النشر (٢/ ٣٦٢).



«سورة الزمر[1]»: مكية



إلَّا آية: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ﴾[2].

لمَّا قال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾، بين أنه تنزيل من الله تعالى[3] فقال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: القرآن كائن ﴿مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾: في فعله ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: القرآن ملتبسا ﴿بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾: من الشرك والرياء ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾: أي: هو واجب الاختصاص بإخلاص الطاعة له، فإنه المطلع على السرائر ﴿وَ﴾: الكفار ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾: قائلين ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾: قربة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾: وبين الموحدين ﴿فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: بمجازاتهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى﴾: لا يوفق للاهتداء ﴿مَنْ هُوَ﴾: في علمه تعالى ﴿كَٰذِبٌ﴾: عليه ﴿كَفَّارٌ﴾: بآياته ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾: كما زعموا ﴿لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾: إذ كل موجود سواه مخلوقه لكن اللازم باطلٌ؛ لاستحالة كون المخلوق من جنس الخالق، فكذا الملزوم، وقيل: أي لاختاره من جنس ﴿يَخْلُقُ﴾ كل ﴿مَا يَشَآءُ﴾، وهو محال، إذ وجود ذلك محال، وأما عيسى عليه الصلاة والسلام فما كان يخلق كل ما يشاء على أنه كان يقدر الطير من الطين[4]، ثم الله تعالى يخلقه بنفخة إظهارا لمعجزته ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾: عن اتخاذ الولد ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾: لخلقه والوحدة تنافي المماثلة فضلاً عن التوالد، والقهارية المطلقة تنافي قبول الزوال المحوج إلى الولد ﴿خَلَقَ﴾ الله ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: ملتبسا ﴿بِٱلْحَقِّ يُكَوِّرُ﴾: يغشي ويلف ﴿ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾: كلف اللباس

---

(١) كلماتها (١١٧٢) كلمة، وحروفها: (٤٧٠٨) حرفا.

* البصائر (١/ ٤٠٣)، الوجيز (٢٧٦)، البيان (٢١٦)، وعدد سور القرآن (٣٨٣).

(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ١٤).

(٣) هذه العبارة كلها ساقطة من (د)، و(ن)، وأثبتها من باقي النسخ.

(٤) في (ن)، و(د): من الطينة.

للابس ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: القيامة ﴿أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: في قهر أعدائه ﴿ٱلْغَفَّٰرُ﴾: لأوليائه ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ آدم ﴿ثُمَّ﴾ للتفاوت بين الآيتين، وقيل: أخرج من ظهره ذريته كالذر، ثم خلق منه حواء ﴿جَعَلَ مِنْهَا﴾: من ضلعها ﴿زَوْجَهَا﴾: حواء ﴿وَأَنزَلَ لَكُم﴾: بأسباب سماوية ﴿مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾: الإبل والبقر والضأن والمعز ذكرا وأنثى ﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾: حيوانا بعد عظام بعد مضغة بعد نطفة ﴿فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾: من البطن والرحم والمشيمة أو الصلب ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ﴾: فكيف ﴿تُصْرَفُونَ﴾: عن عبادته ﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾: مع أنه أراده ببعضهم[١]، والفرق بينهما: أن في الرضا شبه استحسان يعبر عنه بترك الاعتراض، وأن[٢] مراد الله تعالى كائن بخلاف مرضاته، وتقابل الإرادة بالكراهة، والرضا بالسخط، وفي قوله: ﴿وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ﴾: أي: الشكر ﴿لَكُمْ﴾: والرضا جزاء مؤخر عن الشرط وهو شكرنا، فلو اتحدا لزم تقدم شكرنا على إرادته القديمة ﴿وَلَا تَزِرُ﴾: تحمل نفس ﴿وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: بجزائه ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ﴾: أي: بما في ﴿ٱلصُّدُورِ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾: جنسه ﴿ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا﴾: راجعا ﴿إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ﴾: أعطاه ﴿نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا﴾: من ﴿كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾: وهو الله تعالى ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾: أمثالا ﴿لِّيُضِلَّ﴾: لام العاقبة ﴿عَن سَبِيلِهِۦ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾: إلى أجلك ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾: هذا الكافر خير ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ﴾: قائم بالطاعات ﴿ءَانَآءَ﴾: ساعات ﴿ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾: أي: عذابها ﴿وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾: وبتخفيف الميم[٣] بعكس التقدير ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ

---

(١) الله تعالى لا يُسئل عما يفعلُ.

(٢) في (د): أن.

(٣) يعني في «أمن» وهي قراءة نافع وابن كثير وحمزة وعيسى والأعمش، ويحيى بن وثاب وشيبة، والحسن. ❊ إتحاف (٣٧٥)، السبعة (٥٦١)، النشر (٢/ ٣٦٢).

يَعْلَمُونَ﴾: وهم القانتون ﴿وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: غيرهم أو لا يستوي الأولان كالأخيرين[١] ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾: بذلك ﴿أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾: العقول ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾: بطاعته ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾: بطاعته ﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾: الجنة ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾: فهاجروا إلى حيث[٢] يتيسر فيه الإحسان ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ﴾: على البلاء كالهجرة ﴿أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: في الحديث: «**لا يُنصبُ لهم الميزانُ، بل يصبُّ عليهم الأجر صبًّا**»[٣] ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ﴾: بأن ﴿أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۝ وَأُمِرْتُ﴾: بذلك أن[٤]، أي: ﴿لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾: مقدمهم في الدين، فإن السبق في الدين بالإخلاص أو اللام مزيدة ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: مع قربتي ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ۝ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾: أمر تهديد ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: بالضلال إذ جعلها[٥] أهلا للعذاب ﴿وَأَهْلِيهِمْ﴾: بالإضلال أو بتركه الحذر ونحوها[٦] ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ۝ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ﴾: أطباق ﴿مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾: فوق الآخرين ﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ﴾: ليتجنبوه[٧] ﴿يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾: بالطاعة ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ﴾: الشيطان ﴿أَنْ يَعْبُدُوهَا﴾: بإطاعته ﴿وَأَنَابُوا﴾: أقبلوا ﴿إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى﴾: في الدارين ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ﴾ أي: فبشرهم ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾: كاتباع العزائم[٨] والعفو، لا

---

(١) في (س): كالآخرين.

(٢) كذا في (ن)، و(د).

(٣) أخرجه ابن مردويه في تفسيره (٧/ ٢١٥/ الدر المنثور) والثعلبي (٣/ ٢٦٣/ أ) وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٩١) والطبراني في الكبير (١٢/ ١٨٤/ ١٢٨٢٩) ومجاعة بن الزبير في حديثه (١٠٠/ ١١١).
ولفظه عنده: «**يؤتي بالشهيد يوم القيامة فينصب للحساب، ويؤتي بالمتصدق فينصب للحساب، ثم يؤتى بأهل البلاء، ولا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان، فيصب عليهم الأجر صبا... الحديث**» وسنده ضعيف جدا، لكن له شواهد.

(٤) كذا في (ن)، و(د).

(٥) أي: النفس.

(٦) في (د): ونحوها.

(٧) في (د): ليجتنبوه.

(٨) جمع عزيمة.

الرخص والقصاص ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: العقول السليمة ﴿أَ﴾: أنت مالك أمرهم ﴿فَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾: أي: تنقذه، كرر الهمزة تأكيدا للإنكار ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾: محكمة كالأسافل بخلاف الدنيا[١] ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾: مصدر مؤكد لنفسه ﴿لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ۞ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ﴾: أدخله ﴿يَنَٰبِيعَ﴾: أمكنه النبع ﴿فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ﴾: ييبس ﴿فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا﴾: فتاتا ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: يستدل به على كمال قدرته ﴿أَفَمَن شَرَحَ﴾: أي: وسع ﴿ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾: بقبوله[٢] كحمزة وعلي رضي الله تعالى عنهما ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾: يهتدي به كمن قسى[٣] قلبه ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن﴾: ترك ﴿ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾: أو من أجله يعني إذا ذكر الله أو آياته عندهم، اشمأزوا كأبي لهب وولده ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۞ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾: القرآن ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾: بعضه[٤] بعضا في البلاغة وغيرها ﴿مَّثَانِيَ﴾: مكررة الأحكام وغيرها كما مر ﴿تَقْشَعِرُّ﴾: تنقبض ﴿مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾: هذا مثل في شدة الخوف ﴿ثُمَّ تَلِينُ﴾: تسكن ﴿جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾: عند تلاوته متأملا، أي: يكونون بين الخوف والرجاء، وذكر القلوب لتقدم الخشية التي هي من عوارضها، وأفاد بإطلاقه بلا ذكر رحمة أن أصل أمره الرحمة ﴿ذَٰلِكَ﴾: الكتاب ﴿هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۞ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ﴾: لأن يده مغلولة ﴿سُوٓءَ﴾: أي: أشد ﴿ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: كمنْ أَمِنَ مِنْهُ ﴿وَ﴾ قد ﴿قِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ﴾: أي: لهم ﴿ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ۞ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: رسلهم ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ﴾: أي: جهة ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾: إتيانه منه فاعتبروا ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْيَ﴾: الذل من المسخ وغيره ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ

---

(١) كلما علا البناء ضعف.

(٢) كذا في (ن)، و(د).

(٣) كذا في (ن)، و(د).

(٤) يعني: يشبه بعضه بعضًا.

﴿ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾: لهم ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾: لاعتبروا ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا﴾: جعلنا ﴿لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾: يحتاج إليه ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾: اختلال، كما مر ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: به ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾: للمشرك والمخلص ﴿رَّجُلًا﴾: بدل منه أي: عبدا ﴿فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾: متنازعون في استخدامه وهو متحير في الاعتماد على واحد منهم كعابد الصنم المتوزع قلبه لهم ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا [1]﴾: خالصًا ﴿لِّرَجُلٍ﴾: واحد يخدمه ويعتمدُ عليه ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾: صفة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: وحده؛ لأنه المنعم الحقيقى ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: فيشركون من جهلهم ﴿إِنَّكَ﴾: يا محمد ﴿مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾: كلكم في عداد الموتى فلا شماته فيه، نزلت لما استبطأوا موته ﷺ [2] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾: في التبليغ والتكذيب ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ﴾: بالشرك وغيره ﴿وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ﴾: القرآن ﴿إِذْ جَآءَهُۥٓ﴾: بلا تدبر ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾: منزلا ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾: أي: لهم، استدل به مكفروا المبتدعة[3] فإنهم يكذبون بما علم صدقه، وضعَّفوه[4]؛ لأنه مخصوص بمن فَاجَأَ مَا عَلِمَ مجيء النبيّ ﷺ به بالتكذيب ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾: هو النبي ﷺ ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾: أبو بكر أو[5] المؤمنون[6] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ۝ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ﴾: علة للمتقين ﴿عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾: فغير الأَسْوإِ أولى ﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: وعد الحسن بالأحسن في الجزاء ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾: النبي أو جنسه[7] ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ﴾ قريش ﴿بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾: كانوا يخوفونه من آلهتهم ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾: كهؤلاء ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ

---

(١) في (ن): (سالمًا)- وهي قراءة.

(٢) الوسيط (٣/ ٥٨٠).

(٣) إذا اعتقد المبتدع كفرا فهو كافر.

(٤) أنوار التنزيل للبيضاوي ص٦١١.

(٥) في (د): وَ.

(٦) الوسيط (٣/ ٥٨١).

(٧) في (ن): وجنسه.

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ﴾: غالب ﴿ذِى ٱنتِقَامٍ﴾ من أعدائه ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ﴾: تعبدونه ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: من الأصنام ﴿إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ﴾: الأصنام ﴿كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾: فكيف تخوفونني[1] بها، وأفاد بالتأنيث[2] كمال ضعفهن ﴿قُلْ حَسْبِىَ﴾: كافي ﴿ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: حالتكم ﴿إِنِّى عَٰمِلٌ﴾: على حالتي ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾: بالقتل ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: دائم في النار ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ﴾: لنفعهم ملتبسا ﴿بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾: به ﴿فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ﴾: وبال ضلاله ﴿عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾: فتجبرهم ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى﴾: يقبض ﴿ٱلْأَنفُسَ﴾: من الأبدان ﴿حِينَ مَوْتِهَا﴾: يمنع تصرفها فيها ظاهرا وباطنا، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنها[3] غير الروح[4]، إذ العقل والتمييز منها، والنفس والحياة منه، وقيل: هما متحدان ﴿وَ﴾: يقبض الأنفس ﴿ٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾: بمنع تصرفها فيها ظاهرا فقط، وحينئذ قد تجتمع كل النفوس في الملأ كما في الحديث[5] ﴿فَيُمْسِكُ﴾: النفس ﴿ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾: النائمة إلى جسدها ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: وقت موتها، وعن عليّ رضي الله تعالى عنه: الرُّؤيا من النفس في السماء، والأضغاث منها قبل الاستقرار في الجسد يلقيها[6] الشيطان ﴿إِنَّ فِى

---

(١) في (د) تخوفوني.

(٢) في «كاشفات» و «ممسكات».

(٣) يعني الأنفس.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٢٥٢/ ١٣٨٩٧) وسنده ضعيف وبين النفس والروح عموم وخصوص، فقد تطلق النفس ويراد بها كليهما وقد تطلق الروح ويراد بها النفس والنفس أعم ولذا جاء إطلاقها على الله «**كتب ربكم على نفسه الرحمة**» «**تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك**» ا.هـ.

(٥) قال ابن كثير (٤/ ٥٥): فيه دلالة على أنها تجتمع في الملأ الأعلى، كما ورد بذلك الحديث المرفوع الذي رواه ابن منده وغيره.

(٦) في (ن): يلقها.

ذَٰلِكَ لَآيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾: في عجائب قدرته ﴿أَمِ﴾: بل ﴿ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ﴾: عنده بزعمهم ﴿قُلۡ﴾: ﴿أَ﴾ يشفعون ﴿وَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ﴾ لأنهم جماد ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗا﴾ لا يشفع إلا بإذنه[1] ﴿لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۞ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ﴾ دون آلهتهم ﴿ٱشۡمَأَزَّتۡ﴾ انقبضت ﴿قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ كالأصنام ﴿إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ يسرون ﴿قُلِ﴾ إذا تحيرت في أمرهم: ﴿ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ۞ وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: بالشرك ﴿مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ﴾: بمجموعهما ﴿مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا﴾: ظهر ﴿لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ﴾: من الوبال ﴿وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ﴾: بعرض[2] صحائفهم ﴿وَحَاقَ﴾: أحاط ﴿بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾: من العذاب ﴿فَإِذَا﴾: عطف على إذا ذكر الله بيانا لمناقضتهم في حق الله تعالى ﴿مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾: جنسه ﴿ضُرّٞ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلۡنَٰهُ﴾: أعطيناه ﴿نِعۡمَةٗ مِّنَّا﴾: تفضلا ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ﴾: الضمير لما ﴿عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾: مني[3] بوجوه كسبه، أو من الله باستحقاقي ﴿بَلۡ هِيَ فِتۡنَةٞ﴾: اختبار ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ۞ قَدۡ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾: كقارون ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم﴾: من سخط الله ﴿مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۞ فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ﴾: وبال ﴿مَا كَسَبُواْۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: المشركين ﴿سَيُصِيبُهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ﴾: أي: فائتين الله عز وجل فقحطوا سبع سنين ﴿أَوَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ﴾: أي: يضيقه على من يشاء كما ضيق[4] عليهم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾: به ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾: بالمعاصي، أفهم بالإضافة تخصيص المؤمنين، كما هو عرف القرآن ﴿لَا تَقۡنَطُواْ﴾: لا تيأسوا ﴿مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾:

---

(١) يعني لا يشفع أحد إلا من بعد إذنه تعالى.

(٢) في (د): بعد.

(٣) في (ن): مِنْ.

(٤) في (ن)، و(د): ضيقه.

مغفرته أولا وتفضله ثانيا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾: ولو بلا توبة[(١)] إلا الشرك للنص[(٢)] ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۞ وَأَنِيبُوٓاْ﴾: ارجعوا ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمۡ﴾: بالتوبة ﴿وَأَسۡلِمُواْ﴾: أطيعوا ﴿لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾: بدفعه إن لم تتوبوا ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم﴾: القرآن أو عزائمه ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةً وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾: بمجيئه، اتبعوا قبل ﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٌ﴾: كافرة ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ﴾: ندامتي كما مر ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ﴾: قصرت ﴿فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾: جانبه أي: حقه ﴿وَإِن﴾: إني ﴿كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾: بدينه ﴿أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي﴾: فاهتديت ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ۞ أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ﴾ أي: ليت ﴿أَنَّ لِي كَرَّةً﴾: رجعة إلى الدنيا ﴿فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ فيجاب: ﴿بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبۡتَ بِهَا وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۞ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: بالشرك وغيره ﴿وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى﴾: مقام ﴿لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾: عن عبادته ﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾: ملتبسين ﴿بِمَفَازَتِهِمۡ﴾: فلاحهم ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾: عند الفزع الأكبر ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾: خيرا وشرا إيمانا وكفرا ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾: يتولى التصرف فيه ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ﴾: جمع مقليد أو مقلاد، من قلدته لزمته إقليد[(٣)] معرب إكليد، أي: مفاتيح ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: لا يتصرف فيهما غيره إلا بإرادته ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: متصل بقوله: ﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ﴾ إلى آخره ﴿كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۞ قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ﴾: بعد هذه الدلائل ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ﴾: أي: إلى كل واحد منكم ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ﴾: فرضا كما مر ﴿لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾: أي: وإن رجعت إلى التوحيد، وهذا مختص بالأنبياء ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾: لنعمه ﴿وَمَا قَدَرُواْ﴾: أي: عظموا

---

(١) بل التوبة واجبة بإجماع العلماء قولا أو فعلا أو نية.

(٢) ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾.

(٣) الإقليد: المفتاح - فارسي معرب - الجمهرة (٢/ ٣٩٢)، (٣/ ٣٧٦)، المعرب (٦٨)، المعجم الذهبي (٤٧٥)، قصد السبيل (١/ ٢٠٣) وفي اللغة اليونانية: (KLIDA) بمعنى المفتاح.

﴿ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾: تعظيمه، فوصفوه بما لا يليق به ﴿وَٱلْأَرْضُ﴾: حال كونها ﴿جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ﴾: اسم المقدار المقبوض بالكف ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: بيان لحقارة الأفعال العظام لدى قدرته ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ﴾: كالسجل[1] المطوي ﴿بِيَمِينِهِۦ﴾: نؤمن بالقبضة[2] واليمين ونكل كيفيتهما إلى علمه ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: معه ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾: النفخة الأولى وكذا الثانية عند من قال: هي ثلاثة[3] كما مر[4] ﴿فَصَعِقَ﴾: مات أو غشي عليه ﴿مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾: كما مر ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ﴾: نفخة ﴿أُخْرَىٰ﴾: بعد أربعين سنة ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾: إلى الجوانب نظر المبهوت ﴿وَأَشْرَقَتِ﴾: أضاءت ﴿ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾: بلا توسط أجسام مضيئة أو بإقامة العدل ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾: كتاب الأعمال للجزاء أو صحائفنا في أيدينا ﴿وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾: للأمم وعليهم، أو هم هذه الأمة كما مر ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾: بالعدل ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: شيئا ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾: جزاء ﴿مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ﴾: تعالى ﴿أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ۞ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾: سوق الأسارى إلى القتل ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾: أفواجا متتابعة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾: فلا تفتح إلا بعد مجيئهم لما سيأتي ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾: توبيخا ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ﴾: وجبت ﴿كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: هي ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ إلى آخره ﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى﴾: مأوى ﴿ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾: هي، وهذا لا ينافي دخولهم لسبق الكلمة، فإنه سبب تكبرهم كما بينته الأخبار ﴿وَسِيقَ﴾: مراكب ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾: أفواجا متتابعة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾: ﴿وَ﴾ الحال أنه ﴿فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾: الثمانية تكرمة وانتظارا ولأن في الوقوف على الباب المغلق نوع ذل؛ لأن الكريم يعجل المثوبة ويؤخر العقوبة ﴿وَقَالَ

---

(١) الدفتر.

(٢) ونثبتهما له – سبحانه – كما أثبتهما لنفسه.

(٣) في (ن)، و(د) ثلاث.

(٤) سبق.

لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾: مقاما أو من دنس المعاصي ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾: جواب إذا، فازوا بما فازوا ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾: أرض الجنة من أهل النار كما مر ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾: من ملكنا مستغنين عن ملك غيرنا ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾: الجنة ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ﴾: مُطِيْفين ﴿مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾: متعلق ترى ﴿يُسَبِّحُونَ﴾: الله ملتبسين ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾: أفاد أن منتهى درجات العليين ولذّاتهم الاستغراق في صفاته تعالى ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم﴾: بين الخلائق ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: بالعدل ﴿وَقِيلَ﴾: تقول الملائكة أو المؤمنون ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: على عدله.





«سورة المؤمن[١]»: مكية[٢]



إلَّا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ﴾: الآيتين[٣].

و[٤]لما بين مرجعي المؤمنين والكافرين[٥] ذكر أنه غافر الذنب وقابل التوب استدعاء للكافر إلى الإيمان فقال: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ حمٓ﴾: كما مر ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: كائن ﴿مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ﴾: في ملكه ﴿ٱلۡعَلِيمِ﴾: بخلقه ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾: لمن شاء ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾: لمن تاب ﴿شَدِيدِ﴾: أي: مشدد ﴿ٱلۡعِقَابِ﴾: أو شديد عقابه ﴿ذِي ٱلطَّوۡلِ﴾: أي: التفضل أو الفضل والوصف في الكل للدوام، وأفاد بتوحيد صفة القهر فقط سبق الرحمة، وبالواو: رفع توهم اتحاد الوصفين، إذ الذنب في الأول باق دون الثاني ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾: للجزاء ﴿مَا يُجَٰدِلُ﴾: بالطعن ﴿فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: وأما الجدال فيه لحل عقده ونحو ذلك فمن أعظم الطاعات[٦]، ولذا في الحديث: «**إن جدالا في القرآن كفر**»[٧] بالتنكير، وإذا كانوا كافرين ﴿فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾: ممهلين سالمين فإن عاقبتهم كمن قبلهم ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ﴾: كعاد وثمود ﴿مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ﴾: قصدت ﴿كُلُّ أُمَّةِۭ﴾: منهم ﴿بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُ﴾: ليأسروه للقتل وغيره ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ﴾: ليزيلوا ﴿بِهِ ٱلۡحَقَّ

---

(١) وتسمّى «حم المؤمن»، و«غافر» وكلماتها (١١٩٩) كلمة، وحروفها (٤٩٦٠) حرفا.
* البيان (٢١٨)، الوجيز (٢٧٩)، البصائر (١/ ٤٠٩) عدد سور القرآن (٣٨٨).

(٢) في هامش (ن): بلغ مقابلة.

(٣) كتبهما في (ن) بالهامش.

(٤) سقطت الواو من (ن).

(٥) في (ن)، و(د): المؤمن والكافر.

(٦) وحينئذٍ لا يُسمّى جدالًا.

(٧) أخرجه الطيالسي (٣٠٢/ ٢٢٨٦)، والبيهقي (١/ ٢/ ٣٤٤) وسنده صحيح.
وفي رواية: «**المراء في القرآن كفر**». أخرجه أبو داود (٥/ ٩/ ٤٦٠٣)، وأحمد (٢/ ٢٨٦، ٣٠٠، ٤٧٥، ٥٠٣، ٥٢٨) وابن جرير (١/ ١١)، والحاكم (٢/ ٢٢٣) بسند صحيح.

﴿فَأَخَذْتُهُمْ﴾: بالإهلاك ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾: لهم ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: الحق ﴿حَقَّتْ﴾: وجبت ﴿كَلِمَتُ﴾: وعيد ﴿رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ﴾: بدل من كلمة ﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۞ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ﴾: الكروبيون ﴿يُسَبِّحُونَ﴾: ملتبسين ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾: بقول: سبحان الله وبحمده ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾: وصفهم بالإيمان لتعظيمه، ولأن مساق الآية له ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ﴾: بالشفاعة ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: للمناسبة الإيمانية بينهم قائلين: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ﴾: من[1] الشرك ﴿وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ﴾: الحق ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۞ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَ﴾ أدخل ﴿مَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾: أي: ساو بينهم ليتم سرورهم ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾: في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: في فعله ﴿وَقِهِمُ﴾: جزاء ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ﴾: تقيه ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ﴾: القيامة ﴿فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ﴾ الرحم ﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ﴾: في القيامة ﴿لَمَقْتُ﴾: لبغض ﴿ٱللَّهِ﴾: إياكم بكفركم ﴿أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾: بعضكم بعضا عند معاينة العذاب ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ﴾ بمقتهم أنفسهم ﴿إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ۞ قَالُواْ﴾: يا ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا﴾: إماتتين ﴿ٱثْنَتَيْنِ﴾: أي: في كونهم نطفا من باب صغر البعوض، وفي أجلهم أو في الدنيا والقبر ﴿وَأَحْيَيْتَنَا﴾: إحيائتين ﴿ٱثْنَتَيْنِ﴾: في الدنيا والبعث[2] أو في القبر والبعث[3] ﴿فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ﴾: من النار ﴿مِّن سَبِيلٍ﴾: فنسلكه فيقال لهم: ﴿ذَٰلِكُم﴾: العذاب ﴿بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ﴾: بالتوحيد ﴿كَفَرْتُمْ﴾: به ﴿وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُواْ﴾: بالإشراك ﴿فَٱلْحُكْمُ﴾: في عذابكم الأبدي ﴿لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ﴾: من أن يشرك به ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾: الدالة على توحيده ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾: بالمطر ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾: بها ﴿إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾: يرجع إلى الله تعالى لا المعرض[4] ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ

---

(١) في (د): عن.

(٢) كذا في (ن)، و(د).

(٣) كذا في (ن)، و(د).

(٤) فهو ضدّ المنيب.

﴿مُخۡلِصِينَ﴾: من الرياء ﴿لَهُ ٱلدِّينَ﴾: العبادة[1] ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾: إخلاصكم هو ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾: أي: مراتب خلقه أو مراتب كماله بحيث لا يظهر دونه كمال ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾: الذي هو أصل العالم الجسماني[2] ﴿يُلۡقِي ٱلرُّوحَ﴾: الوحي أو جبريل ﴿مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾: قضائه ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾: فيجعله نبيا ﴿لِيُنذِرَ﴾: النبي ﴿يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ﴾: القيامة، تتلاقى الخلائق فيه ﴿يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَ﴾: من قبورهم ﴿لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ﴾: من أحوالهم ﴿شَيۡءٌ﴾: أي: على اعتقادهم، فيقول تعالى بين النفختين[3] أو في القيامة ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ﴾: فيجيب بعد أربعين سنة ﴿لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ۝ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾: يحاسب الكل في قدر نصف نهارنا بالنسبة إلى المؤمن ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ﴾: القريبة، يعني القيامة ﴿إِذِ ٱلۡقُلُوبُ﴾: ترتفع ﴿لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ﴾: خوفا كما مر ﴿كَٰظِمِينَ﴾: ممتلئين كربا جمع ضميرها؛ لأن الكظم فعل العقلاء ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾: أي: لهم ﴿مِنۡ حَمِيمٖ﴾: محب ﴿وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ﴾: لا مفهوم له أو على زعمهم هؤلاء شفعاؤنا ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ﴾: كالنظرة الثانية إلى غير المحرم أو خيانتها ﴿وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ۝ وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾: من الأصنام ﴿لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍ﴾: لأنهم جماد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: للأقوال ﴿ٱلۡبَصِيرُ﴾: بالأفعال ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: كالحصون وغيرها ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾: عذابه ﴿مِن وَاقٖ ۝ ذَٰلِكَ﴾: الأخذ ﴿بِأَنَّهُمۡ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: من المعجزات ﴿فَكَفَرُواْ﴾: بها ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ﴾: حجة ﴿مُّبِينٍ﴾: بين ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ﴾: هو ﴿سَٰحِرٞ كَذَّابٞ ۝ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ﴾: بالحجة على نبوته ﴿مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡ﴾: أي: أعيدوا ما كنتم تفعلون بهم ﴿وَمَا

---

(١) في (د) بالعبادة.

(٢) كذا، والأولى ترك مصطلحات الفلاسفة في هذا المقام.

(٣) سبق تخريجه في حديث الصور الطويل - وسنده ضعيف.

كَيْدُ الْكَافِرِينَ ﴾: أي: كيدهم ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾: ضياع ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ﴾: لمن معه ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ﴾: ليقيه عني ﴿إِنِّي أَخَافُ﴾: إن لم أقتله ﴿أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾: من الفتن ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ ﴾: لقومه حين سمع ذلك ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم ﴾: أضافه إليهم حثًّا على موافقته ﴿مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾: فإن المؤمن به لا يظلم، ذكر وصفا يعمه لتعميم الاستعاذة وليدل على الداعي على ذلك ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾: ابن عمه وولي عهده حزبيل[1] أو سمعان أو حبيب[2] ﴿يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن ﴾: لأن ﴿يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ ﴾: من المعجزات ﴿مِن رَّبِّكُمْ ﴾: على صدقه ﴿وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ﴾: أي: وباله ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ﴾: وهو العذاب العاجل، أي: لا أقل من ذلك، تكلم على سبيل التنزل نصحا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾: كلام ذو وجهين، نظرا إلى موسى وفرعون ﴿يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ ﴾: غالبين ﴿فِي الْأَرْضِ ﴾: أي: مصر ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ ﴾: عذابه ﴿إِن جَاءَنَا ﴾: أي: فلا تتعرضوا لبأسه بقتله ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ ﴾: أي: أشير عليكم ﴿إِلَّا مَا أَرَىٰ ﴾: أي: أستصوبه من قتله ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ الصواب ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ ﴾ من آله[3]: ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم ﴾: بتكذيبه ﴿مِّثْلَ يَوْمِ ﴾ أي: وقائع ﴿الْأَحْزَابِ ﴾ أي: يوم حِزْب حِزْب، فجمع للتكرير كـ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ ﴾ ﴿ مِثْلَ ﴾: بدل من مثل جزاء ﴿دَأْبِ ﴾: أي: عادة ﴿قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ ﴾: في تكذيب رسلهم ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴾: أي: لا يعاقب بلا ذنب ولا يخلي ظالما بلا انتقام ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴾: القيامة، يكثر فيها التنادي كما مر في الأعراف ﴿ يَوْمَ تُوَلُّونَ ﴾: عن الموقف ﴿مُدْبِرِينَ﴾: منصرفين عنه إلى النار ﴿مَا لَكُم مِّنَ

---

(١) كذا في جميع النسخ.

(٢) غرر التبيان (٤٥٨)، مفحمات الأقران (٣٥)، صلة الجمع (٣٥٦/ ب)، النكت والعيون (٥/ ١٥٢)، زاد المسير (٧/ ٢١٧).

(٣) في (د): آل فرعون.

﴿ٱللَّهِ﴾: أي: عذابه ﴿مِنْ عَاصِمٍۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ﴾: بن يعقوب على الأصح، وقيل: ابن إبراهيم بن يوسف ﴿مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: من المعجزات، إذ بعث إلى القبط فما أطاعوه لعبادة الله بل لوزارته ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ﴾ مات ﴿قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾: ضممتم إلى تكذيبه تكذيب رسل بعده ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الإضلال ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾: في المعاصي ﴿مُّرْتَابٌ﴾ شاك في دينه ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ﴾: إبطال ﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ﴾: حجة ﴿أَتَىٰهُمْۖ كَبُرَ﴾: جدالهم ﴿مَقْتًا﴾: بغضا ﴿عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ كَذَٰلِكَ﴾: الطبع ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾: فلا يفقه الرشاد ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا﴾: قصرا عاليا ظاهرا[1] ﴿لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ﴾: الطرق ﴿أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: أطلق فأوضح تفخيما وتشريفا ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾: قيل: لعل مراده رصد الكواكب لينظر هل في أحوال الكواكب ما يدل على إرسال رسول[2] ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾: في رسالته ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: التزيين ﴿زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: سبيل الرشاد ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾: خسار ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾: الواصل إلى المطلوب ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ﴾: تمتع قليل فانٍ ﴿وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾: أفاد أن الجنايات تقوم[3] بمثلها ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: أي: بلا موازنة بالعمل بل بفضل الله، وأما قوله تعالى: ﴿فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَاۖ﴾، فلبيان منع النقصان والمثلية ﴿وَيَٰقَوْمِ﴾: ترك العطف في النداء الثاني؛ لأنه تفصيل لإجمال الأول، وهنا عطف؛ لأنه ليس بتلك المثابة ﴿مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى﴾: سبب ﴿ٱلنَّجَوٰةِ

---

(١) الصرح في اللغة: القصر والبناء المشرف، وهو مأخوذ من الصراحة؛ لأنه خالص مما يشوبه فإن الصرح في الأصل بيت عال مزوق. * عمدة الحفاظ (٢/ ٣٣٠/ صرح).

(٢) لا والله، بل هو إنكار منه لعنه الله.

(٣) في (ن)، و(د): تغرم.

﴿وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى﴾: سـبب ﴿ٱلنَّارِ ۞ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ﴾: أي: بإلهيته ﴿عِلْمٌ﴾: حجة، أو أراد نفي المعلوم، وأفاد أن الاعتقاد لا يصح إلا بحجة ﴿وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ﴾: أي: في انتقامه من أعدائه ﴿ٱلْغَفَّٰرِ﴾: لأوليائه ﴿لَا﴾: رد لقولهم ﴿جَرَمَ﴾: حق وثبت ﴿أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾: باطل ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ﴾: إلى عبادته أو استجابتها ﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْأٓخِرَةِ﴾: كما هو، شأن الإله ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ﴾ مرجعنا ﴿إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: الكافرين ﴿هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾: ثم لما أوعدوه بتعذيبه قال: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ﴾: إذا عاينتم العذاب ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۞ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾: أنجاه مع موسى ﴿وَحَاقَ﴾: نزل ﴿بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ﴾: كما مر ﴿سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾: الغرق، ثم ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا﴾: صباحا ﴿وَعَشِيًّا﴾: مساء في القبر كما في الصحيحين[1]، قال الحسن: وكذا أرواح جميع أهل النار، لكن لهم مزيد ألم، وكذا أرواح المؤمنين يغدى بها ويراح على أرزاقها في الجنة، غير أن لأرواح الشهداء من السرور ما ليس لغيرهم، وروى ابن مسعود: «أن أرواحهم[2] في جوف طير سود[3] تعرض عليها فيها، وقيل: أي: تتجدد[4] جلودهم فيها بهذه المقادير من ساعات الدنيا، وأفادت الآية بقاء النفس وعذاب القبر ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾: يقال ﴿أَدْخِلُوٓا۟﴾: يا ﴿ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾: وبالقطع أمر للملائكة[5] ﴿أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ۞ وَ﴾: اذكر ﴿إِذْ يَتَحَآجُّونَ﴾: يتخاصم الكفار ﴿فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟

---

(١) يشير إلى حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغَداة والعشيّ، إن كان من أهل الجنة، فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار، فمن أهل النار. يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة**» أخرجه البخاري (٣/ ٣١٠)، ومسلم (١/ ١١٣) وأحمد (٢/ ١١٣).

(٢) يعني آل فرعون - لعنهم الله -.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٢٦٧/ ١٨٤٣٥) وسنده ضعيف.

(٤) في (ن)، و(د): تجدد.

(٥) يشير إلى قراءة: «أَدْخِلُوا» وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وعاصم وشعبة وابن محيص، وإلى قراءة الوصل: «ادْخُلُواْ» بالأمر.

* إتحاف (٣٧٩)، السبعة (٥٧٢)، غيث النفع (٣٤١)، النشر (٢/ ٣٦٥).

لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا ﴾: جمع تابع ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ ﴾: دافعون ﴿عَنَّا نَصِيبٗا ﴾: جزاء ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ ﴾: فكيف ندفعه[1] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ﴾: فأعطي كلاما يستحقه ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ﴾: أظهرها تهويلا ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا ﴾: قدر يوم شيئا ﴿مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ﴾﴿قَالُوٓاْ ﴾: (أ) كنتم غافلين عنه ﴿وَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴾: من المعجزات ﴿قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ ﴾: يأسا ﴿فَٱدۡعُواْ ﴾: أنتم فإنا لا ندعوا لكم ﴿وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴾: أي: ضياع[2] بلا نفع ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾: بالانتقام من أعدائهم ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ﴾: الملائكة ﴿ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴾: فيشهدون للرسل على الكفار ﴿ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾: جهنم ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ ﴾: ما يهتدى[3] به ﴿وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾: التوراة بعده ﴿ هُدٗى ﴾: هاديا ﴿وَذِكۡرَىٰ ﴾: تذكرة ﴿لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾: العقول ﴿ فَٱصۡبِرۡ ﴾: على أذاهم ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ ﴾: بنصر أوليائه ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾: من ترك الأولى أو ليستن بك ﴿وَسَبِّحۡ ﴾: ملتبسا ﴿بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ ﴾: بعد الزوال ﴿وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴾: أي: دم عليه أو صَلِّ إذ ما وجبت بمكة إلا ركعتان بكرة وكذا عشية ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ ﴾: حجة ﴿أَتَىٰهُمۡ إِن ﴾: ما ﴿فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ ﴾: طمع علو عليك ﴿مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ ﴾: من شرهم ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾: لأقوالكم ﴿ٱلۡبَصِيرُ ﴾: بأحوالكم ﴿ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ ﴾: أعظم عندكم ﴿مِنۡ ﴾: إعادة ﴿خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾: فينكرون البعث ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴾: الجاهل ﴿وَٱلۡبَصِيرُ ﴾: العالم ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُ ﴾: فيجب البعث لإظهار تفاوتهم تذكرا ﴿قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴾﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا ﴾: لإمكانها وإجماع الرسل على وقوعها ﴿وَلَٰكِنَّ

---

(١) في (ن): نرفعه.

(٢) في (د): ضائع.

(٣) ويجوز: يهتدي أي: يسير به هاديًا.

أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾: لجهلهم ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ ﴾: سلوني[١] ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ﴾: أي: دعائي، فإنَّه مُخُّ العبادةِ ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾: ذليلين ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ﴾: لتستريحوا ﴿فِيهِ﴾: فخلقه باردا مظلما لتسكن[٢] الحركات والحواس ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾: مجاز للمبالغة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۞ ذَٰلِكُمُ﴾: المختص بتلك الأفعال ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ﴾: فكيف ﴿تُؤْفَكُونَ﴾: تصرفون عن عبادته ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾: الإفك ﴿يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾: مستقرا ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾: قبة عليكم ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾: الترتيب اعتباري ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: اللذائذ ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ﴾ اعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: العبادة من الرياء قائلين: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ قُلْ﴾: حين يدعونكم إلى دينهم ﴿إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾: تعبدونه ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ﴾: الحجج ﴿ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾: على وحدانيته ﴿مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ﴾: أنقاد ﴿لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم﴾: أي: آدم ﴿مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ﴾: أي: كل واحد منكم ﴿طِفْلًا ثُمَّ﴾: يبقيكم ﴿لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ﴾: أي: كمال قوتكم من الثلاثين إلى الأربعين ﴿ثُمَّ﴾: يبقيكم ﴿لِتَكُونُواْ شُيُوخًاۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل تلك الأحوال ﴿وَ﴾: يفعل ذلك ﴿لِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى﴾: مقدرًا[٣] ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: قدرته ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُۖ فَإِذَا﴾: الفاء لأنه نتيجة السابق، لأنه يقتضي قدرة ذاتية مطلقة، (قضى) أراد ﴿أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾: كما مر ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ﴾: إبطال ﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ﴾: أي: كيف ﴿يُصْرَفُونَ﴾: عن تصديقها ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ﴾: القرآن ﴿وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا﴾: من الشرائع ﴿فَسَوْفَ

---

(١) اسألوني.

(٢) في (ن): ليسكن.

(٣) في (ن): مقدارًا.

﴿يَعْلَمُونَ﴾: وباله ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ﴾: أتى بإذ لتحققه ﴿يُسْحَبُونَ﴾: يجرون بها ﴿فِى ٱلْحَمِيمِ﴾: جهنم ﴿ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾: يحرقون[1] بها ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ﴾ تقريعًا: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾: به ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا﴾: وهذا قبل أن يقرنوا بآلهتهم ﴿بَل﴾: بان لنا أن ﴿لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا﴾: يعتد به ﴿كَذَٰلِكَ﴾: الضلال[2] ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: عما ينفعهم في الآخرة، ثم يقال لهم: ﴿ذَٰلِكُم﴾: العذاب ﴿بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾: من الشرك ونحوه ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾: تتوسعون في الفرح ﴿ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾: طبقاتها السبع المقسومة[3] لكم ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى﴾: مأوى ﴿ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ۞ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾: بعذابهم ﴿حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾: «ما» صلة، أي: إن نريك بعض الذي نعدهم كقتلهم وأسرهم فذاك ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾: قبل ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾: فنجازيهم ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾: في الحديث: «كلهم مائة ألف وأربعة[4] وعشرون ألفا والرسل منهم ثلاثمائة وخمسة عشر»[5] ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾: منهم ﴿أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ﴾: مقترحة ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾: بإنجائهم ﴿قُضِىَ بِٱلْحَقِّ﴾: بينهم وبين مكذبيهم ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾: أي: ظهر خسرانهم ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا﴾: من جنسها كالإبل ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾: كالغنم، غير النظم، لأن الأكل ضروري وللفرق بين المنفعة والعين والفواصل ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾:

---

(١) في (د) يجرون.

(٢) في (ح): الإضلال.

(٣) في (ن)، و(د): المبوبة.

(٤) كذا في جميع النسخ.

(٥) كذا في المخطوط، والصحيح: «ثلاثمائة وثلاثة عشر» والحديث: أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢/ ٧٧/ ٣٦١/ إحسان) كتاب البر والإحسان (٢) باب: ما جاء في الطاعات وثوابها، وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٦٦، ١٦٨) وفيه: إبراهيم بن هشام بن يحيى بن يحيى الغساني الدمشقي، قال: أبو حاتم: كذاب، وقال الذهبي: متروك، وكذبه أبو زرعة. * الجرح والتعديل (٢/ ١٤٢)، ميزان الاعتدال (١/ ٧٣) و (٤/ ٣٧٨).

الدر وغيره ﴿وَلِتَبۡلُغُواْ عَلَيۡهَا حَاجَةٗ فِي صُدُورِكُمۡ﴾: من السفر وغيره ﴿وَعَلَيۡهَا﴾: في البر ﴿وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ ۝ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾: الدالة على كمال قدرته ﴿فَأَيَّ﴾: آية من ﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ۝ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ﴾: أي: من قريش ﴿وَأَشَدَّ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا﴾: من القصور ونحوها ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَآ أَغۡنَىٰ﴾: أي: دفع ﴿عَنۡهُم﴾: العذاب ﴿مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: من المعجزات ﴿فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ على زعمهم أي: عقائدهم الفاسدة، وسخروا بعلم الرسل ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِم﴾: وبال ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝ فَلَمَّا رَأَوۡاْ﴾: عاينوا ﴿بَأۡسَنَا﴾: شدة عذابنا ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ﴾: من الأصنام ﴿فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ﴾: أي: لسنته ﴿ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ﴾: مضت ﴿فِي عِبَادِهِۦ﴾: من أنه لا يقبل الإيمان وقت نزول العذاب ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ﴾: وقت رؤيته ﴿ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾: أي: ظهر خسرانهم حينئذ– والله أعْلَمُ بالصّواب.





«سورة فصلت[١]»: مكية[٢]

لَمَّا ذكر أحوال المكذبين وما حل بهم، أتبعها بقصة ما جرى من شنائع أقوالهم وأفعالهم وهددهم بما حل على من كان يعمل مثل أعمالهم فقال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ حمٓ﴾: هذا ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ أفاد بالوصفين أنه مناط مصالح الدارين ﴿كِتَٰبٌ﴾: خبر ثان ﴿فُصِّلَتْ﴾: بينت لفظا ومعنى ﴿ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا﴾: نصب مدحا ﴿عَرَبِيًّا﴾: كائنا ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: العربية، أو لأهل العلم والنظر ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾: عن تدبيره[٣] ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾: سماع طاعة ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ﴾: أي: أغطية ﴿مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾: فلا نفقهه ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾: صمم ﴿وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾: يمنعنا عن التواصل والتوافق، وهذه تمثيلات لامتناع أتباعهم، وأفاد بـ«مِن» استيعاب المسافة المتوسطة ﴿فَٱعْمَلْ﴾: على دينك ﴿إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾: على ديننا ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾: فكيف لا تفهمون[٤] كلامي ﴿يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟﴾: استووا ﴿إِلَيْهِ﴾: بطاعته ﴿وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾: مما سلف ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۞ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: من[٥] المال، أفاد أن الكفار مخاطبون بالفروع[٦]، أو لا يطهرون أنفسهم ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾: ولذا يشحون ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: بلا منة أو غير مقطوع[٧] ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ

---

(١) كلماتها (٧٧٦) كلمة، وحروفها (٣٣٥٠) حرفا.

* البيان (٢٢٠)، الوجيز (٢٨٣)، البصائر ((١/ ٤١٣)، عدد سور القرآن (٣٩١).

(٢) في قولهم جميعا. * عدد سور القرآن (٣٩٠).

وفي (ن): سورة السجدة فُصِّلت، قلت: ويقال لها: «حَم السجدة».

(٣) كذا، ولعله: تدبره.

(٤) في (د): تفقهون.

(٥) ليست في (ن).

(٦) مسألة خلافية.

(٧) دائم.

لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾: أي: قدرها وفي الحديث: «أنهما الأحد والإثنين»[(١)] ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾: شركاء ﴿ذَٰلِكَ﴾: القادر ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: خلقها ﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾: جبالا ﴿رَوَٰسِىَ﴾: ثوابت ﴿مِن فَوْقِهَا﴾: ليظهر[(٢)] منافعها للناس وليستبصر[(٣)] بها ﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾: بخلق المنافع ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾: فعين لكل نوع ما يعيش به ﴿فِىٓ﴾: تتمة ﴿أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾: قدرها، وورد أنها الثلاثاء والأربعاء[(٤)]، وأفاد بإيثارها على يومين اتصالهما، والتصريح بالفذلكة[(٥)]، وقدرنا التتمة لتوافق خلق السموات والأرض في ستة أيام فاستوت الأربعة ﴿سَوَآءً﴾: هذا الحصر ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾: عن مدة خلقها، أو متعلق قدر، إذ كل يسأل الرزق، ولكن خلق هذه الأشياء قبل دَحْوِهَا[(٦)]، فلا يرد السؤال المذكور في البقرة[(٧)]، ولا يحتاج إلى جعل خلق الأرض بمعنى الحكم بأنها ستوجد، ثم الحكمة في خلق السماء وما فيها مع عظمها بيومين، والأرض وما فيها مع صغرها بأربعة، التنبيه على أن الثاني في خلق الأرض وما فيها ليس لعجز بل لحكم، وكذا[(٨)] خلق العالم الأكبر في ستة أيام، والإنسان في ستة أشهر ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ﴾: قصد ﴿إِلَى﴾: نحو ﴿ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾: مرتفع من الماء الذي كان عليه العرش ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا﴾: بما أريد منكما ﴿طَوْعًا﴾ طائعتين ﴿أَوْ كَرْهًا﴾ مكرهتين، أراد بيان كمال قدرته ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا﴾ استجبنا لك ﴿طَآئِعِينَ﴾: والمتكلم موضع الكعبة[(٩)] وما يسامته من السماء، والجمع للمعنى أو باعتبار من فيهما، والتذكير لإخبارهما عن أنفسهما

---

(١) أخرجه الطبري (٢٤/ ٦٢).

(٢) في (ن): لتظهر.

(٣) في (د): يستبصر.

(٤) الوسيط (٣/ ٢٦).

(٥) كلمة فارسية معناها: الخلاصة والمحتوى والمختصر، يقال: فذلكت الكتاب: إذا وقفت على جملته.
* تثقيف اللسان (٥٩)، قصد السبيل (٢/ ٣٤٧) شفاء الغليل (٢٠٥).

(٦) بسطها.

(٧) سبق.

(٨) في (ن): ولذا.

(٩) تفسير ابن كثير (٤/ ٩٣).

وجمع العقلاء لمخاطبتهما ﴿فَقَضَىٰهُنَّ﴾: أي: السماء، أي: أحكم خلقهن خلقا بدعيا[١] حال كونهما ﴿سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾: كما مر، أو الخميس للسماء، والجمعة للنجوم بتأويل ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾: شأنها، أي: حملها على ما يتأتي منها ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾: الكواكب بظهورها منها ﴿وَ﴾ حفظناها ﴿حِفْظًا﴾: من المسترقة[٢] ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾: قدرة ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾: بالكل ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ﴾: قريش بعد هذا البيان ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً﴾: عذابا ﴿مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۝ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾: أي: جميع جوانبهم ﴿أَنْ﴾: بأن ﴿لا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا﴾: إرسال رسول ﴿لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾: لرسالته ﴿فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾: على زعمكم ﴿كَٰفِرُونَ ۝ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ قدرةً ﴿وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾: ينكرونها عارفين أنها حق ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾: شديد الصوت أو البرد[٣] ﴿فِيٓ﴾: ثمانية ﴿أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾: مشئومات عليهم من آخر شوال من الأربعاء إلى الأربعاء[٤]، وما عذب قوم إلا في يوم الأربعاء[٥] ﴿لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ﴾: الذل ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَخْزَىٰ﴾: وصفه به مبالغة ﴿وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ۝ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾: دللناهم إلى الهدى بلسان صالح[٦] ﴿فَٱسْتَحَبُّواْ﴾: اختاروا ﴿ٱلْعَمَىٰ﴾: الضلالة ﴿عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ﴾: المهين، الصيحة والرجفة كما مر، أضاف ووصف مبالغة ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝ وَنَجَّيْنَا﴾: منها ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝ و﴾: اذكر ﴿يَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾: يساقون ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا﴾: صلة أو للتحقيق ﴿جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا

---

(١) يعني ابتدع خلقهما على غير مثال سابق فهو سبحانه البديع ا.هـ.

(٢) الذين يسترقون السمع من الجن.

(٣) قال الفراء: هي الباردة تحرق كما تحرق النار. * معاني القرآن (٣/ ١٣)، الوسيط (٤/ ٢٨).

(٤) النكت والعيون (٥/ ١٧٤).

(٥) النكت (٥/ ١٧٤) وانظر بالتفصيل: كشف الخفا ومزيل الإلباس (١/ ١١/ ٣) ولا يجب حمل هذا على التشاؤم من هذا اليوم، فهو من أخلاق غير المسلمين ا.هـ.

(٦) عليه السلام.

كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾: شهادة حقيقيَّة ﴿وَقَالُواْ ﴾: تعجبا ﴿لِجُلُودِهِمْ ﴾: يخصصونها؛ لأن شهادتها أعجب[١] ﴿لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾: فلا عجب ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ ﴾: عند المعاصي مخافة ﴿أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ ﴾: كما كنتم تَتِرُون من الناس ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾: فاجترأتم بها ﴿ وَذَٰلِكُمْ ﴾: الظن ﴿ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ ﴾: أهلككم ﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾: في كون كلها من تتمة كلام الجلود خلافٌ[٢] ﴿ فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثْوًى ﴾: منزل ﴿لَّهُمْ ﴾: لا ينفعهم صبرهم ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ ﴾: يطلبواْ[٣] به العتبى، أي: الرجعة إلى الدنيا أو الرضا ﴿فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴾: المجابين إليها ﴿وَقَيَّضْنَا ﴾: قدرنا أو خلينا ﴿لَهُمْ ﴾: للكفرة ﴿قُرَنَآءَ ﴾: من الشياطين ﴿فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾: معاصيهم الماضية والآتية ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ ﴾: بالعذاب ﴿فِىٓ ﴾: جملة ﴿أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ ﴾: مضت ﴿مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾: حين يقرؤه محمد - ﷺ - ﴿وَٱلْغَوْاْ فِيهِ ﴾: عارضوه بنحو الشعر والمكاء[٤] والصفير، من لغا إذا خلط الكلام، أولغا: إذا تكلم ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾: فيسكت ﴿ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾: أي: لنذيقنهم ﴿عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ ﴾: جزاء ﴿أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾: كما مر ﴿ ذَٰلِكَ ﴾: الجزاء ﴿جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ﴾: بيانه ﴿ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ﴾: الإقامة يجزون ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾: في النار ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ﴾: نوعي الشيطان ﴿ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾: أوهما إبليس وقابيل سنا[٥] الفساد ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا ﴾: ندسهما انتقاما ﴿لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾: ذُلًّا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ ﴾: في العمل ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ

---

(١) فالجلد أطول أعضاء الإنسان.

(٢) يعني بين المفسرين.

(٣) في (ن): يطلبون.

(٤) هو الصفير وهو في الأصل: صفير الطير، يقال: مكا الطير يمكو مكاء ومكوا: صفر.
* عمدة الحفاظ (٤/ ١٠٦/ مكو).

(٥) شرعاه.

﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: عند الموت وفي القبر والبعث ﴿أَلَّا تَخَافُوا۟﴾: ما تقدمون عليه ﴿وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾: على ما خلفتموه ﴿وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾: بقول: لا إله إلَّا الله ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: بإلهام الخير ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾: بالكرامة والشفاعة ﴿وَلَكُمْ فِيهَا﴾: في الآخرة ﴿مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾: تطلبون حال كون المذكور ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾: فكيف بضيافتكم ﴿وَمَنْ﴾: أي: لا ﴿أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾: بطاعته[1] ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: مفاخرة به، الآية عامة أو في المؤذنين[2] ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾: في الجزاء ﴿ٱدْفَعْ﴾: السيئة ﴿بِٱلَّتِى﴾: بالخصلة التي ﴿هِىَ أَحْسَنُ﴾: الغضب، مثلاً بالصبر والإساءة بالعفو، وقيل: هو التبسم عند اللقاء وهو فرد منه ﴿فَإِذَا﴾: فعلته صار ﴿ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ﴾: صديق ﴿حَمِيمٌ﴾: شفيق، كأبي سفيان ابن حرب مع النبي ﷺ[3] ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾: يؤتى هذه الخصلة ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾: على مخالفة النفس ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ يُؤتى هذه الخصلة ﴿إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾: من كمال النفس ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ﴾: يَنْخَسك[4] ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾: نازغ، مجاز عن وسوسته، يصرفك عن هذه الخصلة ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾: من شره ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: لاستعاذتك ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بنيتك ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾: الآيات الأربع ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۞ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾: عن الامتثال ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾: من الملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: أي: دائما ﴿وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾: يملون ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾: السفلية ﴿أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾: يابسة استعارة من التذلل ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ﴾: تحركت بالنبات ﴿وَرَبَتْ﴾: زادت ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: ومنه الإعادة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾: يميلون عن الاستقامة

---

(١) في (د): أي: طاعته.

(٢) النكت والعيون (٥/ ١٨١).

(٣) في (ن): عليه أزكى السلام وأفضل الصلاة والسلام.

(٤) في (د): ينخسنك.

﴿فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾: بنحو الطعن والتأويل الباطل ﴿لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآ﴾: وعيد شديد ﴿أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ﴾: وهو الملحد ﴿خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾: تهديد ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ﴾: القرآن ﴿لَمَّا جَآءَهُمۡ﴾: سيجزون ما لا يحيط به الكلام ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ﴾: منيع لا يبطل ولا يحرف ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ﴾: ما يبطله ﴿مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ﴾: قبله ﴿وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾: في كل فعاله ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ﴾: القائل قريش ﴿إِلَّا مَا﴾: مثل ما ﴿قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَ﴾: فاصبر مثلهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ﴾: لأوليائه ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ﴾: لأعدائه، ولما قالوا: هلّا نزل القرآن بلغة العجم نزل[1]: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ﴾: الذكر ﴿قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا﴾: بغير لغة العرب ﴿لَّقَالُواْ لَوۡلَا﴾: هلّا ﴿فُصِّلَتۡ﴾: بينت ﴿ءَايَٰتُهُۥٓ﴾: لنفهمها ﴿ءَا۬عۡجَمِيّٞ﴾: أكلام أعجمي، وهو من لا يفهم كلامه ﴿وَ﴾: مخاطب ﴿عَرَبِيّٞ﴾: وعلى الإخبار[2] ظاهر ﴿قُلۡ هُوَ﴾: أي: القرآن ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى﴾: إلى الحق ﴿وَشِفَآءٞ﴾: من الجهل ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ﴾: منه ﴿وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًى﴾: فلا يفهمونه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: في عدم انتفاعهم به كأنهم ﴿يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾: فلا يسمعون إلا نداء بلا فهم ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِ﴾: تصديقا وتكذيبا كقومك في القرآن ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ﴾: بتقدير الآجال ﴿لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ﴾: باستئصال المكذبين ﴿وَإِنَّهُمۡ﴾: مكذبيه ﴿لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ﴾ أي: الكتاب[3] ﴿مُرِيبٖ﴾: موقع في الريبة ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾: كما مر ﴿إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾: فكل من يسئلُ[4] عنها يقول: الله تعالى أعلم ﴿وَمَا﴾: أي: لا ﴿تَخۡرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا﴾: أوعيتها جمع كم[5] ﴿وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ﴾: اذكر ﴿يَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ أَيۡنَ شُرَكَآءِي قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ﴾:

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٨٠) وسنده ضعيف جدا.

(٢) يعني «أعجمي» وهي قراءة ابن عامر وابن عباس والحسن وأبي الأسود وقنبل ورويس.
* إتحاف (٣٨١)، غيث (٣٤٣)، النشر (١/ ٣٦٦).

(٣) في (د): في القرآن، وضرب عليها في (ن).

(٤) في (ن): يسأل، وما أثبته هو الصحيح الموافق للسياق.

(٥) بكسر الكاف وتشديد الميم.

أعلمناك ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾: شاهد بشريك لك فيتبرءون عنهم ﴿وَضَلَّ﴾ ضاع ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ﴾: يعبدون ﴿مِن قَبْلُ وَظَنُّوا﴾: أيقنوا ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾: مهرب ﴿لَّا يَسْأَمُ﴾: لا يمل ﴿الْإِنسَانُ﴾: جنسه ﴿مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾: كالمال والصحة ﴿وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ﴾: كالفقر والمرض ﴿فَيَئُوسٌ﴾: من فضله ﴿قَنُوطٌ﴾: من رحمته ﴿و﴾: الله ﴿لَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً﴾: كغني وصحة ﴿مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ﴾: أي: شدة ﴿مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾: لفضلي أو دائما ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي﴾: على فرض الساعة ﴿إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾: للحالة الحسنى؛ لظنه أن هذه النعم لفضله[1] فلا يَنْفَكُّ عنه ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ﴾: نخبرن ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا﴾: بمجازاتهم ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾: شديد ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى﴾: جنس ﴿الْإِنسَانِ أَعْرَضَ﴾: عن الشكر ﴿وَنَأَىٰ﴾: بعد ﴿بِجَانِبِهِ﴾: بنفسه عنه كأنه مستغن عنا، فالجانب مجاز عن النفس، أو ثنى عطفه متبخترا ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ﴾: بإزالته ﴿عَرِيضٍ﴾: كثير ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾: أخبروني ﴿إِن كَانَ﴾: القرآن ﴿مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ﴾: خلاف ﴿بَعِيدٍ﴾: عن الحق، أي: منكم ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا﴾: الدالة على حقيته ﴿فِي الْآفَاقِ﴾: من وقوع كل ما أخبر عنه ﷺ[2] من الفتوح وغيرها ﴿وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾: مما يحل بهم أو الآفاق أمثال الشمس والقمر والأنفس، ما في أبدانهم من عجائب الصُّنْع ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ﴾: القرآن أو التوحيد هو ﴿الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾: الباء صلة، أي: أو لم يكفك ﴿أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: مطلع فيعلم حالك وحالهم ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ﴾: شك ﴿مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ﴾: بالبعث ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ علما وقدرة لا يفوته شيء منه.

❁❁❁

---

(١) يعني لاستحقاق.

(٢) في (ن): عليه الصلاة والسلام.



«سورة الشورى[(١)][(٢)]»: مكية

إلَّا: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ﴾- إلى أربع آياتٍ.

لمَّا ذمّهم بتكذيبهم القرآن وبين حقيته، أكد ذلك بقوله: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: ﴿حمٓ ١ عٓسٓقٓ﴾: كما مر، والتفصيل[(٣)] ليوافق الحواميم ﴿كَذَٰلِكَ﴾: الإيحاء ﴿يُوحِيٓ﴾: حكاية عن الماضي دال على الاستمرار ﴿إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ﴾: إذ ما من رسول إلا وأوحي إليه: ﴿حمٓ ١ عٓسٓقٓ﴾، ﴿ٱللَّهُ﴾ فاعل يوحي وأما[(٤)] على فتح الحاء[(٥)] فمر فوع بما دل عليه يوحي ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ في أفعاله ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۞ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾: من هيبته ﴿يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّ﴾: تَشَّقَّقُ[(٦)] كل واحدة فوق الأخرى أو يبتديء الانفطار من جهتهن الفوقانية، لأن أعظم آياته من تلك الجهة كالكرسي والجنة ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ﴾: ملتبسين ﴿بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾: كما مر ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ﴾: يشفعون ﴿لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: من المؤمنين أو يطلبون هدايتهم فيعم ﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾: لأوليائه ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾: شركاء ﴿ٱللَّهُ حَفِيظٌ﴾: رقيب ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾: فيجازيهم ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ﴾: موكل بهم ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: الإيحاء ﴿أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ﴾: أهلها ﴿وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾: من كل الأرض

---

(١) في (د): سورة شوري.

(٢) كلماتها: (٨٦٦) كلمة، وحروفها: (٣٥٨٨) حرفا.

* الوجيز (٢٨٤)، البيان (٢٢١)، البصائر (١/ ٤١٨)، عدد سور القرآن (٣٩٥).

(٣) يعني الفَصْل بين «حَم» و«عَسق».

(٤) في (د): أما.

(٥) يعني «يوحى» وهي قراءة ابن كثير، وأبي عمرو وابن محيصن ومجاهد.

* إتحاف (٣٨٢)، السبعة (٥٨٠)، غيث النفع (٢٤٦)، النشر (٢/ ٣٦٧).

(٦) في (د): يشقق.

فإنها[١] وسطها ﴿وَتُنذِرَ﴾: الناس ﴿يَوْمَ ٱلْجَمْعِ﴾: القيامة ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: منهم ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ۞ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: على دين الإسلام ﴿وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾: بالهداية ﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾: يدفع عنهم العذاب ﴿أَمِ﴾: بل ﴿ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾: إن أرادوا[٢] أولياء ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ﴾: بالحق ﴿وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۞ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ﴾: مع الكفار ﴿فِيهِ مِن شَىْءٍ﴾: من الدين ﴿فَحُكْمُهُۥٓ﴾: راجعٌ ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾: يُميز الحق عن[٣] المبطل في القيامة ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾: أرجع ﴿فَاطِرُ﴾: مبدع ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ﴾: جنس ﴿أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا﴾: ذكورا وإناثا ﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾: يخلقكم أو يكثركم ﴿فِيهِ﴾: في ذلك الجعل؛ لأنه سبب للتوالد ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾: الكاف صلة إذ لا مثل له، أو مثله ذاته من قبيل: مثلك لا يفعل كذا، وهذا أبلغ، أو الأحسن أنه نفى مثله على طريقة البرهان؛ لأن من له مثل فلمثله مثل؛ لأن المماثلة من الجانبين، فمن كان وليس لمثله مثل فليس له مثل ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: للأقوال ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾: للأفعال ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ﴾: خزائن ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: بنحو المطر ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: بنحو النبات[٤] ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾: يضيق لمن يشاء اختبارا ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۞ شَرَعَ﴾: سن ﴿لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾: أول نبي شرع ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾: آخرهم ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾: المراد من بينهما من أولي الشريعة ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ﴾: وهو الإيمان والطاعة لا الفروع المختلفة بينهم ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟﴾: تختلفوا ﴿فِيهِ﴾: بخلاف الفروع ﴿كَبُرَ﴾: عظم ﴿عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾: من الإيمان ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ﴾: إلى ما يدعوهم إليه ﴿مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن

---

(١) أي: مكة.

(٢) في (د): إن أراد.

(٣) في (ن): من.

(٤) والمعادن والنّفط ونحوها.

﴿يُنِيبُ﴾: يقبل إليه ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ﴾: الأمم ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ﴾: بالتوحيد ﴿بَغۡيَۢا﴾: لعداوة ﴿بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ﴾: بإمهالهم ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾: القيامة ﴿لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ﴾: بتعذيب الكفرة عاجلا ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: اليهود والنصارى ﴿مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ﴾: من كتابهم لا يؤمنون به حق الإيمان ﴿مُرِيبٖ﴾: موقع للريبة كما مر ﴿فَلِذَٰلِكَ﴾: التفرق ﴿فَٱدۡعُ﴾: إلى الاتفاق على الدين ﴿وَٱسۡتَقِمۡ﴾: على الدعوة ﴿كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾: في تركها ﴿وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖ﴾: لا كأهل الكتاب كما مر ﴿وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ﴾: في الحكم ﴿بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ﴾: كل يجازى بعمله ﴿لَا حُجَّةَ﴾: لا حجاج وخصومة ﴿بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ﴾: إذ الحق ظاهر، ونسخ بآية القتال ﴿ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا﴾: في القيامة ﴿وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾: فيفصل بيننا ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ﴾: يجادلون ﴿فِي﴾: إبطال دين ﴿ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ﴾: استجاب الناس ﴿لَهُۥ﴾: بقبوله ﴿حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ﴾: باطلة ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: ملتبسا ﴿بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَ﴾: الشرع[1] الذي يوازن به الحقوق ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾: يعلمك ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ﴾: مجيء القيامة ﴿قَرِيبٞ﴾: فاشتغل بما أمرت قبل مجيئها كما مر ﴿يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا﴾: بالساعة ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَا﴾: استهزاء ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ﴾: خائفون ﴿مِنۡهَا﴾: مع توقعهم ثوابها ﴿وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّ﴾: الكائن من ربهم[2] ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ﴾: يجادلون ﴿فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ﴾: عن الحق ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾: مربيهم بصنوف بر لا تبلغه الأفهام ﴿يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ﴾: منهم ما يشاء ﴿وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ﴾: على مراده ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾: الغالب على أمره ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ﴾: بعمله ﴿حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾: استعارة للثواب، وأصله إلقاء البذر، ويقال للزرع ﴿نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦ﴾: إلى سبعمائة وأكثر ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ﴾: بعمله ﴿حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ﴾: شيئا

---

(١) في (د): بالشرع.

(٢) ليست في (ن)، و(د).

﴿مِنۡهَا﴾: قدر ما قسم له ﴿وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾: إذ لكل امرئ ما نوى ﴿أَمۡ﴾: بل ﴿لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ﴾: آلهة ﴿شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾: كالشرك ونحوه ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةُ﴾: وعده ﴿ٱلۡفَصۡلِ﴾: في القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ﴾: وبين[1] المؤمنين بتعذيبهم عاجلا ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: أي: إنّهم ﴿لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: في القيامة ﴿مُشۡفِقِينَ﴾: خائفين ﴿مِنۡ﴾ وبال ﴿مَا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ﴾: أطيب بقاع ﴿ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ﴾: الثواب ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ۝٢٢ ذَٰلِكَ﴾ الثواب ﴿ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾: على التبليغ ﴿أَجۡرًا إِلَّا﴾: لكن أسئلكم ﴿ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾: القرابة، أي: أن تؤدوني في حق قرابتي منكم يا قريش، أو في التقرب إلى الله تعالى، أو في قرابتي، يعني عليا وفاطمة وابناهما رضي الله تعالى عنهم[2] ﴿وَمَن يَقۡتَرِفۡ﴾: يكتسب ﴿حَسَنَةٗ﴾: كمودته فيها ﴿نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ﴾: بمضاعفة الثواب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ﴾: يقبل القليل ﴿أَمۡ﴾: بل أ ﴿يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ﴾: محمد ﷺ ﴿عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ﴾: يربط ﴿عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ﴾: بالصبر على أذاهم ﴿وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ وَيُحِقُّ﴾: يثبت ﴿ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ﴾: القرآن فلو كان باطلا لمحقه ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ﴾: بما في ﴿ٱلصُّدُورِ﴾: القلوب ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾: بالعفو وهي الندامة على الذنب من حيث هو محو ذنب وسيأتي بيانها في التحريم ﴿وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: كلها لمن شاء ولو بلا توبة لظاهر العطف ﴿وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾: فيجازي ﴿وَيَسۡتَجِيبُ﴾: دعاء ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: فيثيبهم[3] ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۚ﴾: على ما استحقوا بقبول شفاعتهم فيمن أحسن إليهم واستحق النار كما في الحديث[4] ﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ ۝ وَلَوۡ بَسَطَ

---

(١) يعني: لقضي بين الكافرين والمؤمنين.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٧٦/ ١٨٤٧٣، ١٨٤٧٧) وإسناده ضعيف جدا.

(٣) في (د): ليثيبهم.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٧٨/ ١٨٤٧٩) وسنده ضعيف جدا.

ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ﴾: بإغناء كلهم ﴿لَبَغَوۡاْ﴾: لأفسدوا ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: بطرا، نزلت[١] في أهل الصفة أو العرب[٢] فلم يبسط ﴿وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ﴾: بتقدير ﴿مَّا يَشَآءُ﴾: من أرزاقهم ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ﴾: بخفياتهم[٣] ﴿بَصِيرٞ﴾: بجلياتهم ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾: مطرا يغيثهم ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ﴾: منه ﴿وَيَنشُرُ﴾: يبسط ﴿رَحۡمَتَهُۥ﴾: المطر[٤] ﴿وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ﴾: للمؤمنين ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾: على أفعاله ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ﴾: نشر ﴿فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖ﴾: «ودواب السماء مراكب أهل الجنة» كذا في الحديث[٥]، وقيل: الملائكة لهم دبيب مع طيرانهم ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ﴾: للبعث ﴿إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٞ ۞ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ﴾: في الدنيا ﴿فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾: من المعاصي فلا يؤاخذكم به في الآخرة[٦]، كما في الحديث، ويؤيده: ﴿يَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾: منها، وهذا في العصاة، وأما غيرهم ولو طفلا فلرفع درجاتهم ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾: فائتين الله ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ۞ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ﴾: السفن ﴿ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾: والسفن ﴿كَٱلۡأَعۡلَٰمِ﴾: كالجبال عظما ﴿إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ﴾: يصرن ﴿رَوَاكِدَ﴾: ثوابت ﴿عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ﴾: على الشدائد ﴿شَكُورٍ﴾: عند الرخاء، أي: المؤمن الكامل إذ «**الإيمان نصفان: نصفٌ صَبرٌ ونصفٌ شُكرٌ**»[٧] ﴿أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ﴾: يهلك أهلهن بإغراقهم بنحو عصف ﴿بِمَا كَسَبُواْ وَ﴾: إن يشأ ﴿يَعۡفُ عَن كَثِيرٖ﴾: فلا يسكن ريحهم ولا

---

(١) في (ن): أنزلت.

(٢) أخرجه عبد الله بن المبارك في الزهد (١/ ٤٥٦، ٤٥٧/ ٥٠٩) والطبري في جامع البيان (٢٥/ ١٩)، والطبراني (٧/ ١٠٤/ مجمع) والواحدي في الأسباب (٢٥٢)، والبيهقي في الشعب (٧/ ٢٨٦، ٢٨٧/ ١٠٣٣٢) وسنده ضعيف.

(٣) في (د): بخبياتهم.

(٤) في (ن)، و(د): قطره.

(٥) أخرجه ابن المبارك في زوائد الزهد (٦٩، ٧٠/ ٢٣٩)، وابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٧٧/ ٢٤٠) بإسناد ضعيف.

(٦) سبق.

(٧) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٩٧١٥)، والديلمي في الفردوس (١/ ٣٧٨) وقال الألباني في ضعيف الجامع (٢٣١٠)، والضعيفة (٦٢٥): ضعيف جدا.

يوبقهم، والإسكان والإهلاك لينتقم منهم ﴿ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ ﴾: وبرفع «يعلم» ظاهر[1] ﴿فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾: مفر من العذاب ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ ﴾: من المال ﴿فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾: تتمتعون بها حياتكم ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾: من الثواب ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾: ما فيه وعيد[2] شديد ﴿وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾: ما تزايد قبحه، تخصيص بعد تعميم ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾: يتجاوزون ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ﴾: بطاعته كالأنصار ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ﴾ ذو ﴿شُورَىٰ﴾: تشاور ﴿بَيْنَهُمْ﴾: والشورى: العرض، أي: لا يبرمون أمرا حتى يشاوروا ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ﴾: الظلم ﴿هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾: بقدر مشروع، أي: يعفون في محله، وينتقمون في محله ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾: سماها بها[3] ازدواجا[4] وتحريضا على العفو ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ﴾: بينه وبين عدوه ﴿فَأَجْرُهُۥ﴾: لازم ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: أُبهمَ[5] تعظيما[6] ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: المتجاوزين في الانتقام ﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ﴾: ظلم الظالم إياه ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾: بالمعاقبة ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ﴾ بها ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ﴾: يفسدون[7] ﴿فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾: أما بالحق كتخريب ديار الكفرة فلا يضر ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ وَلَمَن صَبَرَ﴾: على الأذى ﴿وَغَفَرَ﴾: عنه ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾: منه ﴿لَمِنْ عَزْمِ﴾: معزوم ﴿ٱلْأُمُورِ﴾: مطلوبها ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾: بعد إضلاله إياه ﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾: في القيامة ﴿يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ﴾: رجعة إلى الدنيا ﴿مِّن سَبِيلٍ ۞ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾: على النار الدال عليها العذاب ﴿خَٰشِعِينَ﴾:

---

(١) يعني «ويعلم» وهي قراءة نافع وابن عامر وأبي جعفر والأعرج وشيبة وزيد بن علي.
* إتحاف (٣٨٣)، السبعة (٥٨١)، غيث النفع (٣٤٧)، النشر (٢/ ٣٦٧).

(٢) هذا تعريف الكبيرة.

(٣) في (د): سيئة.

(٤) يعني من باب المشاكلة.

(٥) الأجرُ، أي: نكّرَ.

(٦) فالإبْهام للتعظيم.

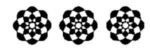
(٧) ليست في (د).

خاضعين ﴿مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ﴾: إلى النار ﴿مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾: مسارقة، إذ لا يقدرون على فتح أجفانهم عليها كراهة ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ حينئذ ﴿إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾: بالضلالة ﴿وَأَهْلِيهِمْ﴾: بالإضلال كما مرَّ ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾: دائم ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾: إلى الهدى ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم﴾: بطاعته ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ﴾: لا ردَّ ﴿لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾: قبله بعدما أتي به ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾: إنكار لذنوبكم ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ﴾: عن الإجابة ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾: لأعمالهم ﴿إِنْ﴾: ما ﴿عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾: نسخ بآية القتال ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾: جنسه ﴿مِنَّا رَحْمَةً﴾: كصحة وغنى ﴿فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ﴾: بلاء ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: من المعاصي ﴿فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ﴾: أفاد بالاظهار أن هذا الجنس موسوم بالكفران وبإذا، و«إنْ» تحقق النعمة؛ لأنها تقتضيه بالذات بخلاف البلاء ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا﴾: قدمها على الذكور؛ لأنها أكثر لتكثير النسل، وللوصية برعايتهن، ثم تدارك تأخيرهم بالتعريف بقوله: ﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا﴾: ترك المشيئة فيه لرجوعه إلى الأولين، أفاد بتأخيرهن أن تقديمهن أولا، لم يكن لتقدمهن بل لمقتض آخر، وقيل: الأولان في المنفرد[1] منهما والثالث في التوأمين ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾: لا يلد ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌ﴾: بخلقه ﴿قَدِيرٌ﴾: على ما يشاء ﴿وَمَا كَانَ﴾: ما صح ﴿لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾: أي: كلا ما خفيا يدركه بسرعة مشافهة أو مهتفا به في اليقظة، كقصة المعراج، وإلقاء الزبور في صدر داود أو في المنام كرؤيا إبراهيم، والمراد هنا المشافهة بقرينة ﴿أَوْ﴾: إلا كلاما ﴿مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾: يسمع كلامه ولا يراه كموسى عليه الصلاة والسلام ﴿أَوْ﴾ إلا أن ﴿يُرْسِلَ رَسُولًا﴾: ملكا ﴿فَيُوحِىَ﴾: الملك ﴿بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾: تعالى ﴿إِنَّهُۥ عَلِىٌّ﴾: عن مماثلة

---

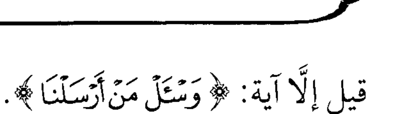
(١) في (د): المتفرد.

الخلق ﴿حَكِيمٌ﴾: في أفعاله ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: الإيحاء ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾: يا محمد ﴿رُوحًا﴾: وحيا يحيى القلوب أو جبريل ﴿مِّنْ أَمْرِنَا﴾: الموحى[1] إليك ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى﴾ قَبْلُ ﴿مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾: أي: شرائعه، إذ الأنبياء كانوا مؤمنين قبل الوحي، وهو ﷺ كان على دين إبراهيم كما مرَّ ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ﴾: الروح أو الكتاب أو الإيمان ﴿نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: الإسلام ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: خلقا وملكا ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ﴾: ترجع ﴿ٱلْأُمُورُ﴾: بارتفاع الوسائط والتعلقات.



---

(١) في (د): للوحي.



«سورة الزخرف[(١)]» : مكية[(٢)]

قيل إلَّا آية: ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا﴾.

لمَّا ذكر أنه أنزل إليه كتابا وهو روح يحيى القلوب، بين علو شأنه بقوله: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ﴾: القرآن ﴿ٱلْمُبِينِ﴾: طرق الهدى ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ﴾: الكتاب، قيل: الجعل بمعنى القول[(٣)] ﴿قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾: بلغتكم ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: تفهمونه وتناسب القسم والمقسم عليه من البدائع ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾: في اللوح المحفوظ[(٤)] ﴿لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ﴾: شأنا، وهذا متعلق في أم ﴿حَكِيمٌ﴾: ذو حكم إذ لا ينسخ (أ) نذركم ﴿فَنَضْرِبُ﴾: نمسك ونبعد ﴿عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ﴾: التذكير أو إنزال القرآن ﴿صَفْحًا أَن﴾: أي: لأن ﴿كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾: وبكسر[(٥)] إن شرطية مخرج للمحقق مخرج المشكوك، استجهالا لهم كقول الأجير: إن عملت لك فوفني حقي، وما قبلها دليل الجزاء ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى﴾: الأمم ﴿ٱلْأَوَّلِينَ ۞ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۞ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم﴾: من المسرفين ﴿بَطْشًا﴾: قوة ﴿وَمَضَىٰ﴾: في القرآن ﴿مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: قصتهم العجيبة ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾: أقامها مقام قولهم: الله، للزومهما إلزاما لهم، ثم قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا[(٦)]﴾: فراشا كالمهد ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾:

---

(١) كلماتها (٨٣٣) كلمة، وحروفها (٣٤٠٠) حرفا.

* الوجيز (٢٨٦)، البصائر (١/ ٤٢١)، البيان (٢٢٣)، عدد سور القرآن (٣٩٨).

(٢) في هامش (ن): بلغ مقابلة.

(٣) الأحسن أن يقال: بمعنى الإنزال.

(٤) في (س)، (ح): محفوظا.

(٥) وهي قراءة نافع وحمزة والكسائي وخلف وأبي جعفر والحسن والأعمش.

* إتحاف (٣٨٤)، السبعة (٥٨٤)، غيث النفع (٣٤٧) النشر (٢/ ٣٦٨).

(٦) في (ن): مهادًا، وكتب في الهامش: «مِهادًا»: حفص.

طرقا ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: إلى مقاصدكم في سفركم ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾: تقتضيه حكمته ﴿فَأَنْشَرْنَا﴾: أحيينا ﴿بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ﴾: الإنشار ﴿تُخْرَجُونَ﴾: من قبوركم للبعث ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ﴾: الأصناف ﴿كُلَّهَا﴾: وكل ما سوى الله زوج كفوق وتحت، وغيمٌ وصَحْو، وغيرهما[1] ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾: فيه وعليه ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾: جمع بمعنى ما ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا﴾: بقلوبكم ﴿نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا﴾: «كان ﷺ إذا وضع رجله في الركاب قال: «**بسم الله، فإذا استوى على الدابة قال: الحمد لله على كل حال**» ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾: مطيقين ﴿وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾: هذا آخر قوله - ﷺ -[2]، والمراد به كركوب النفس على البدن، وسير العمر والرحلة إلى الله تعالى ﴿وَ﴾: بعد اعترافهم بما[3] مر ﴿جَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ﴾: الملائكة ﴿جُزْءًا﴾: ولدا، فإنه بضعة من الوالد ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾: جنسه ﴿لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾: كفرانه ﴿أَمِ﴾: بل ﴿اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ﴾ أخلصكم ﴿بِالْبَنِينَ﴾ ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ﴾: جعل ﴿لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا﴾: شبها، فإن الولد يشبه الوالد ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾: مملوء من الغيظ كما مر، (أ) جعلوا له ذلك ﴿وَ﴾ اتخذ ﴿مَنْ يُنَشَّأُ﴾: يتربى ﴿فِي الْحِلْيَةِ﴾: الزينة يعني البنات[4] ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ﴾: المجادلة ﴿غَيْرُ مُبِينٍ﴾: لحجته لضعف رأيه ﴿وَجَعَلُوا﴾: في اعتقادهم ﴿الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾: إضافة تشريف ﴿إِنَاثًا﴾: مع أنهن أحسن الأصناف ﴿أَشَهِدُوا﴾: حضروا ﴿خَلْقَهُمْ﴾: فشاهدوهم إناثا وبالاستفهام أي:

---

(١) وقد سبق بيانه في يس.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ: الثعلبي في تفسيره (٣/ ٢٨٣/ ب) وبدون «على كل حال»: أبو داود (٣/ ٧٧/ ٢٦٠٢)، الترمذي (٥/ ٥٨/ ٣٤٤٦)، والنسائي (٧/ ٤٣٦) والحاكم (٢/ ٩١) وسنده صحيح.

(٣) في (د): فيما.

(٤) في (س)، و(ن): الثياب.

أأحضروا[(١)] ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ﴾: على الله تعالى والملائكة ﴿وَيُسْـَٔلُونَ﴾: عنها فيعذبون ﴿وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾: أن لا نعبد الملائكة ﴿مَا عَبَدْنَٰهُم﴾: لهم شبهة القدرية في أن كل مأمور به مراد، وكل منهي عنه غير مراد ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾: لأن المشيئة ترجيح ممكن مأمورا كان أو منهيا ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: يتمحلون تمحلا باطلا ﴿أَمْ﴾: بل ﴿ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ﴾: قبل القرآن فيه صحة قولهم ﴿فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ۝ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾: دين ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾: فلا حجة لهم ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾: متنعموها ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾: ملة ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾: أفاد بالإتراف أن تنعمهم صرفهم عن النظر إلى التقليد ﴿قَٰلَ[(٢)] أَ﴾: تتبعونهم ﴿وَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ﴾: بدين أهدى ﴿مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾: وإن كان أهدى ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾: بالاستئصال ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾: واصبر ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ﴾: بريء ﴿مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝ إِلَّا﴾: غير ﴿ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾: خلقني ﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾: إلى فوق ما هداني إليه والسين للتأكيد ﴿وَجَعَلَهَا﴾: جعل الله تعالى أو إبراهيم كلمة التوحيد الدال عليه إلا الذي.. إلى آخره ﴿كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾: ذريته فلا يزال فيهم موحد[(٣)] ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: مشركهم ﴿يَرْجِعُونَ﴾: بدعوة موحديهم ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: قريش ﴿وَءَابَآءَهُمْ﴾: في الدنيا ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾: القرآن ﴿وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾: كلمة الهدى ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۝ وَقَالُواْ لَوْلَا﴾: هلا ﴿نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ﴾: إحدى ﴿ٱلْقَرْيَتَيْنِ﴾: مكة والطائف[(٤)] ﴿عَظِيمٍ﴾: بالجاه والمال[(٥)]، وليد بن مغيرة، وعروة بن مسعود، أو عمرو بن حبيب بن عمرو الثقفيين ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ

---

(١) وهي قراءة نافع وعاصم والمفضل وعلي وورش وقالون. * غيث النفع (٣٤٧)، النشر (٢/ ٣٦٨).

(٢) في (ن): قل، وكتب في الهامش: «قال»: حفص.

(٣) ولذا جاء: «واجنبني وبني أن نعبد الأصنام».

(٤) غرر التبيان (٤٦٨).

(٥) في (د): بالمال والجاه.

رَحْمَتَ ﴾: نبوة ﴿رَبِّكَۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ ﴾: أي: خويصة أمرهم ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾: وهم عاجزون عن تدبيرها، فكيف بتدبير أمر النبوة التي هي أعلى المراتب، وأفاد أن حلالها وحرامها من الله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ ﴾: بالمال ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم ﴾: الأغنياء ﴿بَعْضًا ﴾: الفقراء ﴿سُخْرِيًّا ﴾: الياء للنسبة، أي: مُسَخَّرًا في العمل لنظام العالم، فلا كمال في الاستخدام وكثرة المال، ولا نقص في الخدمة وفقر الحال[1] ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ ﴾: كالنبوة وتوابعها ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾: من الأموال والعَظِيْمُ من رُزق منها لا منه ﴿ وَلَوْلَآ ﴾: كراهة ﴿أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾: مجتمعة على الكفر بأن رأوا الكفار في السعة فكفروا ﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ ﴾: بدل من لـ«مَنْ» ﴿سُقُفًا ﴾: جمع سقف أو سقيفة، وهي الخشبة العريضة ﴿مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ ﴾: كالدرج من الفضة ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾: يعلون السطوح لحقارة الدنيا ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا ﴾: من فضة ﴿عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ۝﴾و﴾: لجعلنا لبيوتهم ﴿زُخْرُفًا﴾: ذهبا، حاصله أن الموضع الحقيقي للمال أيدي[2] أهل الضلال نادر لدى أهل الكمال ﴿وَإِن ﴾: ما ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا ﴾: إلا وبتخفيفها[3] إن مخففة ﴿مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾: الزائلة ﴿وَٱلْـَٔاخِرَةُ ﴾: حاصلة ﴿عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾: خاصة، وتقليل دنياهم لآفاتها كما بينه: ﴿ وَمَن يَعْشُ ﴾: يتعام ويعرض ﴿عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ ﴾: نقدر ﴿لَهُۥ شَيْطَٰنًا ﴾: أو نعوضه عن إغفاله الذكر ﴿فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾: لا يفارقه ﴿ وَإِنَّهُمْ ﴾: جنس الشياطين ﴿ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾: الحق ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾: جمع بمعنى من ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ ﴾: ما بين المشرق والمغرب ﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴾: أنت، قال تعالى: ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾: تمني البعد ﴿إِذ ظَّلَمْتُمْ ﴾: بكفركم

---

(١) كتبت العبارة في (د) على أنها بيت شعري.

(٢) في (ن): لدى.

(٣) يعني «لما» وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر والكسائي وهشام وخلف ويعقوب وأبي جعفر. * السبعة (٥٨٦)، غيث النفع (٣٤٨) النشر (٢/ ٢٩١).

﴿أَنتُمْ﴾: لأنكم ﴿فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾: كاشتراككم في سببه ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ﴾: مجاز عن تمرنهم في الكفر ﴿وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: بل لا يقدر عليه إلا الله تعالى، والعطف باعتبار تغاير الوصفين ﴿فَإِمَّا﴾: صلة ﴿نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾: فإن نقبضك قبل تعذيبهم ﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾: بعده ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ﴾: أن نريك ﴿ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ﴾: من العذاب ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِم﴾: على عذابهم[1] ﴿مُّقْتَدِرُونَ ۝ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ﴾: شرف[2] ﴿لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾: عن القيام بحقه ﴿وَسْـَٔلْ﴾: عن أُمَمِ ﴿مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾: المراد الاستشهاد بإجماعهم على التوحيد، أو اسئل الرسل ليلة الإسراء ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ﴾: من المعجزات ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾: استهزاء ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ﴾: من آيات العذاب ﴿إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾: صاحبتها، تمثيل لاتصاف الكل بالكمال أو هي مختصة بنوع إعجاز مفضلة على غيرها بذلك الإعْجاز ﴿وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: عن كفرهم ﴿وَقَالُوا۟﴾: لفرط حماقتهم أو لتسميتهم العالم الماهر ساحرا ﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾: يكشفه ﴿بِمَا عَهِدَ﴾: بحق عهده ﴿عِندَكَ﴾: من النبوة أو الإيمان ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾: بالإيمان إن كشفه، وأما ذكره في الأعراف بنداء «يا موسى»، ووعد «لنؤمنن»[3]، فيحتمل كونه في مجلسين، وإنْ حكاه تعالى بحسب حالهم لابعباراتهم ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾: ينقضون عهدهم ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ﴾: مخافة أن يسلموا ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: من النيل ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾: تحت قصري ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾: عظمتي وعجزه ﴿أَمْ﴾: تبصرون أني ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ﴾: حقير ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾: الكلام لعقدة لسانه ﴿فَلَوْلَآ﴾:

---

(١) من هنا كتب في مقابل (ن) [٢٦٣/ ظ] بخط مغاير.

(٢) يعني القرآن.

(٣) قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل.

هلا ﴿أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ[١]﴾: جمع سوار ﴿مِّن ذَهَبٍ﴾: المراد مقاليد الملك إذ كانوا إذا سودوا[٢] أحدا سوروه وطوقوه من الذهب ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾: مقرونين يصدقونه ﴿فَاسْتَخَفَّ﴾: حمل على الخفة في طاعته ﴿قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ۞ فَلَمَّا آسَفُونَا﴾: أغضبونا بإفراط المعاصي ﴿انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ۞فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا﴾: قدوة للكفرة[٣] بعدهم ﴿وَمَثَلًا﴾: قصة عجيبة ﴿لِّلْآخِرِينَ ۞وَلَمَّا ضُرِبَ﴾: جعل ﴿ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾: مثالا ومقياسا لإبطال القرآن، ضربه ابن الزبعري[٤] حين نزل: إنكم وما تعبدون.... الآية، قال: إن آلهتنا مع عيسى ﴿إِذَا قَوْمُكَ﴾: قريش ﴿مِنْهُ﴾: من مثله ﴿يَصِدُّونَ﴾: يضجون فرحا بأنه ألزم[٥] محمدا، وبضم الصاد[٦]، أي: يعرضون عن الحق ﴿وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾: عيسى، فإن كان هو فيها فلتكن آلهتنا فيها ﴿مَا ضَرَبُوهُ﴾: المثل ﴿لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾:

---

(١) في (ن): أساورة وكتب في الهامش: «أسْورة»: حفص.

(٢) ولوه وجعلوه سيدا، وفي (ن)، و(ع): سوَّروا.

(٣) في (ن)، و(ع): لكفرة.

(٤) الوسيط للواحدي (٤/ ٧٨) والصحيح في ذلك ما روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: لقد علمت آية من القرآن ما سألني عنها رجل قط، فما أدري أعلمها الناس فلم يسألوا عنها، أم لم يفطنوا لها؛ فيسألوا عنها؟! ثم طَفق يُحدِّث - وفيه أن رسول الله ﷺ - قال لقريش: يا معشر قريش ! إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير، وقد علمت قريش أن النصارى تعبد عيسى بن مريم وتقول في محمد، فقالوا: يا محمد ! ألست تزعم أن عيسى كان نبيًّا وعبدا من عباد الله صالحا، فلئن كان صادقا، فإن آلهتهم لكما تقولون، قال: فأنزل الله - عز وجل -: ﴿ولم ضرب ابن مريم مثلا... الآية﴾. رواه أحمد (١/ ٣١٧، ٣١٨)، الحارث (٢/ ٧٢٧، ٣٢٨/ ٧٢٠/ بغية)، والطبراني في الكبير (١٢/ ١١٩/ ١٢٧٤٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٢٨٤/ ١٨٥١٤)، والطحاوي في مشكل الآثار (٣/ ١٧/ ٩٨٧)، وابن حبان (١٥/ ٢٢٨/ ٦٨١٧/ إحسان)، والواحدي في أسباب النزول (٢٥٢)، الهروي في ذم الكلام (٣/ ٢٣٠، ٢٣٣/ ٦٥٨) وسنده حسن.

(٥) يعني غلبه بالحجة.

(٦) وهي قراءة نافع وابن عامر والكسائي وعاصم وأبي جعفر وخلف والحسن والأعمش وإبراهيم النخعي والأعشى والبرجمي.

* إتحاف (٣٨٦)، السبعة (٥٨٧)، غيث النفع (٣٤٨)، النشر (٢/ ٣٦٩).

خصومة بالباطل إذ علموا أن «ما» لغير أولي العقل وهذا ردهم مجملا، وقد فصله بآية «إنّ[1] الذين سبقت» إلى آخره ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾: شديدُ الخصومة ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هُوَ﴾: عيسى ﴿إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾: بالنبوة ﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا﴾: قصة عجيبة ﴿لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: يستدل به على كمال قدرتنا ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا﴾: لولدنا ﴿مِنكُم مَّلَائِكَةً﴾: وهذا أعجب من توليده بلا أب ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: متعلق ﴿يَخْلُفُونَ﴾: يخلفونكم لتعرفوا أنهم أجسام لا آلهة ولا أولادهما ﴿وَإِنَّهُ﴾: عيسى ﴿لَعِلْمٌ﴾: لعلامة ﴿لِّلسَّاعَةِ﴾: تعلم بنزوله على ثنية اسمها: أفيق[2] بالأرض المقدسة، وبيده حربة بها يقتل الدجال ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ﴾: تشكن ﴿بِهَا﴾: فيها ﴿وَاتَّبِعُونِ﴾: أي: شرعي ﴿هَٰذَا﴾: المأمور به ﴿صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾: عن متابعتي ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: من المعجزات ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ﴾: بالنبوة ﴿و﴾: جئتكم ﴿لِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾: وهو أمر الدين لا الدنيا ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ﴾: فيه، أهو الله أو ابنه أو ثالث ثلاثة أو كاذب ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: منهم ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾: القيامة ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يَنظُرُونَ﴾: ينتظر الظالمون ﴿إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم﴾: أي: إتيانها ﴿بَغْتَةً﴾: فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: أي: غير مستعدين لها فلا تكرار ﴿الْأَخِلَّاءُ﴾: الأحباء في الدنيا ﴿يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا﴾: الإخلاء ﴿الْمُتَّقِينَ﴾: ينادون ﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾: يا أيها ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا

---

(١) في (د): إلّا.

(٢) رواه مقاتل في تفسيره (١/ ١٤٠)، والحربي في غريب الحديث (٣/ ١١٢٧)، والطبراني في الكبير (٧/ ٩٨)، وحنبل في الفتن ص١٢٥، رقم: ٢٧، وابن أبي شيبة (١٥/ ١٣٧) وسنده جيدٌ.

و«ثنية أَفيق»، أو «عقبة أفيق» قرية من حوران في طريق الغور- الأردن- وهي عقبة طويلة نحو ميلين- معجم ياقوت (١/ ٢٣٣).

ولا منافاة بين هذا ومقتله بـ«بَاب لُد» كما صحّ؛ لأن ذلك بداية نهايته، حيث يروغ الدجال منه فيدركه بحربته هناك.

مُسْلِمِينَ ﴿ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾: تسرون أو تزينون أو تكرمون ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ ﴾: جمع صحفة أي: قصعة ﴿مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ﴾: جمع كوب، كوز بلا عروة ﴿وَفِيهَا ﴾: في الجنة ﴿مَا تَشْتَهِيهِ [(١)] ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ﴾: بمشاهدته ﴿وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾: كما مر ﴿ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا ﴾: بعضها ﴿تَأْكُلُونَ ﴾: ويخلفه بدله، ولا يرى شجر بلا ثمر، وإكثار ذكر التنعم بالمطاعم والملابس مع حقارته بالنسبة إلى سائر نعمها لشدة فاقتهم ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿ لَا يُفَتَّرُ ﴾: يخفف ﴿عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾: ساكتون يأسًا ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أنفسهم بما عملوا ﴿وَنَادَوْاْ ﴾: قبل الإبلاس وقول: اخسئوا ﴿يَٰمَٰلِكُ ﴾ خازن جهنم ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ ﴾: بعد ألف سنة[(٢)] ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾: فيها دائما، ثم يقول تعالى: ﴿ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ ﴾: على لسان الرسول ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿ أَمْ ﴾ بل ﴿أَبْرَمُوٓاْ ﴾: أحكم الكفار ﴿أَمْرًا﴾: كيدا في رد الحق ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴾: كيدنا في مجازاتهم ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ ﴾: حديث نفسهم ﴿وَنَجْوَىٰهُم ﴾: تناجيهم ﴿بَلَىٰ ﴾: نسمعها ﴿وَرُسُلُنَا ﴾: الحفظة ﴿لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾: ذلك ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ ﴾: كما تزعمون ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴾: المستكبرين[(٣)] عن عبادته، من عبد بالكسر اشتد أنفه[(٤)] أو إن كان فأنا أول عابديه، لكن لا[(٥)]، فلا وحينئذ إن لمجرد الشرطية، أو ما كان له ولد ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ﴾ الموحدين ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا

---

(١) في (ن): تشتهي و كتب في الهامش: «تشتهيه»: حفص.

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٤٨) وصححه ووافقه الذهبي، وابن جرير في الجامع (٢٥/ ٥٩)، والبيهقي في البعث والنشور (٣٢٢/ ٥٨٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ١٨٥٢٤/ ٣٢٨٦)، وابن أبي الدنيا في صفة النار (٦٦/ ٨٥) وسنده ضعيف.

(٣) في (ن): المتكبرين.

(٤) الأنف- بفتح الهمزة والنون-: الرفض. وللأستاذ الدكتور أحمد حسن فرحات جزء في تفسير هذه الآية (٧٣) صفحة بالفهارس - دار عمار - الأردن.

(٥) بل الانتفاء معلوم لانتفاء اللازم الدال على انتفاء ملزومه.

يَصِفُونَ ﴾: بنسبة الولد، أفاد بالإضافة أن هذه الأجسام لكونها أصولا ذات استمرار منزهة عن التوليد فكيف بمبدعها ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ ﴾: في الباطل ﴿ وَيَلْعَبُواْ ﴾: في الدنيا ﴿ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴾: القيامة ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ ﴾: مستحق لأن يعبد ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴾: هو ﴿ إِلَٰهٌ ﴾: فكيف يحتاج إلى ولد؟! ﴿ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ﴾: في التدبير ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾: بالكل ﴿ وَتَبَارَكَ ﴾: تعظم ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾: للجزاء ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ ﴾: يعبدون ﴿ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ ﴾: كما زعموا ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ ﴾: بالتوحيد ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾: التوحيد كعيسى والملائكة عليهم أفضَلُ الصلاة والسلام ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم ﴾: العابدين والمعبودين ﴿ مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾: يُصرفون عن عبادته ﴿ وَ ﴾: عنده علم ﴿ قِيلِهِ ﴾: قول محمد شكاية وبالنصب[١] عطف على محل السَّاعة ﴿ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾: قال تعالى: ﴿ فَٱصْفَحْ ﴾: أعرض ﴿ عَنْهُمْ وَقُلْ ﴾: أمري ﴿ سَلَٰمٌ ﴾: منكم هو سلام متاركة[٢]، وقد يستعمل بعلى[٣] كما مرَّ ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾: نتائج عنادهم.



---

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو والكسائي وابن عامر وعاصم وأبي جعفر والمفضل وخلف.
* إتحاف (٣٨٧)، السبعة (٥٨٩)، غيث النفع (٣٤٩).

(٢) سبق.

(٣) «سلام عليك» سبق.



«سورة الدخان[1]»: مكية

إلَّا آية: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ﴾ لمَّا أمره بالصفح عن المشركين وهددهم، أتبعه بإنذارهم بيوم يغشاهم[2] العذاب الأليم فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۞ حم (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا أَنزَلْنَاهُ﴾: الكتاب من اللوح إلى بيت العزة من السماء الدنيا ﴿فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾: ليلة القدر عند الأكثر، وقيل: نصف شعبان وتسمى أيضا: ليلة البراءة والرحمة والصَّكّ[3]، وبركتها لنزول القرآن والملائكة والرحمة فيها وإجابة الدعوة[4] أو قسم النعم، قال ابن عباس: يكتب من أم الكتاب ليلة القدر ما هو كائن في السنة من الخير والشر والأرزاق والآجال[5]، وعن عكرمة: يبرم في ليلة النصف من شعبان أمر السنة[6] ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ بإنزاله ﴿فِيهَا﴾ في تلك الليلة ﴿يُفْرَقُ﴾ يفصل ﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ محكم من كل أمور الخلق إلى مثل تلك[7] الليلة، أعني به ﴿أَمْرًا﴾ حاصلًا ﴿مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾: الرسل ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾: لأقوالكم ﴿الْعَلِيمُ﴾: بأحوالكم ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾: مريدين الإيقان فاعلموه ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۞ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾: استهزاء بك، ولما دعا عليهم النبي ﷺ بسبع كسبع يوسف نزلت[8]: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾: أسند إليها لأنه يكفها عن المطر

---

(١) كلماتها: (٣٤٦) كلمة، وحروفها (١٤٣١) حرفا.

* الوجيز (٢٨٨)، البيان (٢٢٥)، البصائر (١/ ٤٢٤)، عدد سور القرآن (٤٠١).

(٢) في (ن): يغشيهم.

(٣) الصكُّ: ورقة تكتب في المعاملات والإقرارات.

(٤) في (د): الدعوي.

(٥) أخرجه ابن جرير في الجامع (٢٥/ ٦٤)، وعبد الرزاق (٣/ ١٠٣٠)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٨٧/ ١٨٥٢٧) وسنده حسن.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٨٧/ ١٨٥٢٩)، وسنده ضعيف.

(٧) في (ع): ذلك.

(٨) أخرجه البخاري (٤٨٢١) وأحمد (١/ ٣٨٠)، والترمذي (٥/ ٣٧٩، ٣٨٠).

فقحطوا حتى رأوا لشدة جوعهم كدخان بين السماء والأرض[١] ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ﴾ فقالوا: ﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا﴾: فإنا ﴿مُؤْمِنُونَ﴾: مصدقون نبيك أو هو دخان عد من أشراط الساعة، قال تعالى: ﴿أَنَّىٰ﴾: من أين ﴿لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾: التذكر ﴿وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾: طرق الهدى[٢] ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا﴾: هو ﴿مُعَلَّمٌ﴾: يعلمه عبد يهودي[٣] ﴿مَّجْنُونٌ﴾: كل واحد قول بعض ﴿إِنَّا كَاشِفُوا ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا﴾: هو مدة حياتهم ﴿إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ على القول الثاني، هو أن يكشف عنهم بدعائهم ثم يرتدوا بعد أربعين يوما ﴿يَوْمَ﴾: ظرف لمدلول منتقمون ﴿نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ﴾: السطوة ﴿ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾: البدر[٤] أو القيامة ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾: منهم ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾: بلونا ﴿قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾: معه ﴿وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾: حسبا ونسبا، هو موسى ﴿أَنْ﴾: بأن ﴿أَدُّوٓا إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ﴾: بني إسرائيل ولا تعذبوهم ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾: على الوحي ﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا﴾: تتكبروا ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: بمعصيته ﴿إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ﴾: حجة ﴿مُّبِينٍ﴾: على صدقي، فأوعدوه بالرجم فقال: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾ تقتلون بالرجم ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَٱعْتَزِلُونِ﴾: فاتركوني من حيث الأذى، فما تركوه ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ﴾: بأن ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾: تعريض بالدعاء عليهم فقال تعالى إن كانوا كذلك ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا﴾: أي: قبل قرب الصبح، فلا تكرار ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾: يتبعكم فرعون وقومه ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ﴾: إذا قطعته مع قومك ﴿رَهْوًا﴾: مفتوحا ذا فجوة، أو ساكنا منفرجا ليأخذه مع قومه ﴿إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾: فدخلوا بعدهم وغرقوا ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّٰتٍ﴾: بساتين ﴿وَعُيُونٍ ۞ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ﴾: مجلس ﴿كَرِيمٍ﴾: حسن نضر ﴿وَنَعْمَةٍ﴾: تنعم ﴿كَانُوا فِيهَا فَٰكِهِينَ﴾: متنعمين، الأمر ﴿كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾: بني إسرائيل ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ﴾: مصعد عملهم ومهبط رزقهم ﴿وَٱلْأَرْضُ﴾: مصلاهم ومحل عبادتهم بخلاف المؤمنين[٥] أو

---

(١) أخرجه الواحدي في الوسيط (٤/ ٨٦).

(٢) يعني يبين لكم طرق الهدى.

(٣) سبق في النحل «إنما يعلمه بشر».

(٤) كذا، ويكررها كثيرًا بالتعريف وهي بدونه أشهرُ.

(٥) يشير إلى حديث: «ما من مؤمن إلا وله بابان: باب يصعد منه عمله، وباب ينزل منه رزقه، فإذا مات بكيا =

أهلهما ﴿وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾: ممهلين للتوبة ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا﴾: بهلاكهم ﴿بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾: الواقع ﴿مِن﴾: جهة ﴿فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا﴾: متكبرًا ﴿مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ۞ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾: منا باستحقاقهم ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: عالمي زمانهم ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم﴾: على يد موسى ﴿مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟﴾: نقمة ﴿مُّبِينٌ﴾: من فلق البحر وغيره ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: قريش ﴿لَيَقُولُونَ ۞ إِنْ﴾: ما ﴿هِيَ﴾: العاقبة ﴿إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ﴾: بزعمكم ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾: من القبر ﴿فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ﴾: أحياء ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: في البعث ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾: الحميري باني الحيرة[1] وسمرقند[2]، وقد شك النبي ﷺ في نبوته[3] وقومه سبأ، كانوا كافرين في زمن موسى، وهو آمن بمحمد ﷺ، ووصل كتاب عهده الذي التمس فيه شفاعته إليه، حكاه ابن إسحاق وغيره ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: كعاد

= عليه، فذلك قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾. أخرجه الترمذي في جامعه (٥/ ٤٥٩/ ٣٥٣٧)، وأبو يعلى (٤١٣٣)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٥٣) وسنده ضعيف.

(١) الحيرة - بكسر الحاء المهملة وسكون الياء التحتية المثناة -: مدينة بالعراق، وكانت منازل آل النعمان بن المنذر.

* تقويم البلدان (٢٩٨)، البلدان - لليعقوبي (٣٠٩)، المسالك والممالك - للبكري (١/ ٣٥٨).

(٢) مدينة معروفة، معناها: بلد الشمس، وكان بها عجائب، وهي الآن في أوزبكستان.

* تقويم البلدان (٤٩٢) معجم البلدان (٣/ ٢٤٦، ٢٥٠).

(٣) يشير إلى حديث: «لا أدري أكان تبع نبيًّا أو غير نبي» أخرجه بهذا اللفظ: الثعلبي في تفسيره (١٠/ ٩٧/ أ) ولا يصح.

* **أقول- أبو الحسن-**: والمشهور: «ما أدري تبع ألعين هو أم لا؟ وما أدري أعزير نبي أم لا؟ أخرجه أبو داود (٥/ ٥٤/ ٤٦٧٤)، والحاكم (١/ ٣٦) و (٢/ ١٤) و (٢/ ٤٥٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥/ ١٢١) والصحيحة (٢٢١٧).

* **قلت- أبو الحسن-**: لكن ثبت أن تبعا كان مسلما، قال النبي ﷺ: «**لا تسبوا تبعا، فإنه كان قد أسلم**». أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٠)، والطبراني في الكبير (٦/ ٦٠١٣)، والأوسط (٣٣١٤)، والخطيب في تاريخه (٣/ ٢٠٥). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٧٣١٩)، والصحيحة (٢٤٢٣).

* قال الإمام المناوي- رحمه الله تعالى-: قال الزمخشري: هو تبع الحميري، كان مؤمنا وقومه كافرين، ولذلك ذم الله قومه ولم يذمه، وهو الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل: هدمها، وقيل: هو الذي كسا البيت، وقيل: لملوك اليمن: التبابعة؛ لأنهم يتبعونه، وقال ابن الأثير: اسمه أسعد - فيض القدير (٦/ ٥١٩).

وثمود ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ۞ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: الجنسين ﴿لَٰعِبِينَ﴾: أي: لو بطل الجزاء على العمل لكان الخلق أشبه شيء باللعب ﴿مَا خَلَقْنَٰهُمَآ﴾: مع ما بينهما ﴿إِلَّا﴾: ملتبسين ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: من البعث والجزاء ونحوه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾: بين العباد أي: القيامة ﴿مِيقَٰتُهُمْ﴾: وقت موعدهم ﴿أَجْمَعِينَ ۞ يَوْمَ لَا يُغْنِي﴾: يدفع ﴿مَوْلًى﴾: بقرابة وغيرها ﴿عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا﴾: من العذاب ﴿وَلَا هُمْ﴾: أي المولى، جمع للمعنى ﴿يُنصَرُونَ﴾: منه ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ﴾: المؤمنون ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: في انتقامه ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: لمن أراد ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ﴾: كما مر ﴿طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾: كثير الإثم، كأبي جهل وصحبه[1] ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾: النحاس الذائب ونحوه، أو دردي الزيت ﴿يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ۞ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ﴾: الشديد الحرارة، يقال للزبانية ﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ﴾: جروه بالعنف ﴿إِلَىٰ سَوَآءِ﴾: وسط ﴿ٱلْجَحِيمِ ۞ ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ﴾: إضافة بيانية، فيصب فيقطع أمعاءه، فيقال له توبيخًا: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾: إذ قال أبو جهل حين نازع النبي ﷺ: أنا العزيز الكريم[2] ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾: العذاب ﴿مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ﴾: تشكون ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾: يؤمنهم من كل خوف ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۞ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ﴾: رقيق الحرير ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾: غليظه وليس غليظها كغليظ الدنيا ليلزم النَّقْص، أو هي[3] للعبيد، والأول للسادة، وقيل: سُمِّي به[4]؛ لشدة بريقه ﴿مُّتَقَٰبِلِينَ﴾: بالمحبة لا يتدابرون بعضا أي: كما مر، الأمر ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم﴾ قرناهم ﴿بِحُورٍ﴾: بيض ﴿عِينٍ﴾: عظيمة العين ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ﴾ بإحضار كل ﴿فَٰكِهَةٍ﴾: يشتهونها ﴿ءَامِنِينَ﴾: من المكاره ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا﴾: لكن ﴿ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾: ذاقوا في الدنيا أو الضمير للآخرة، والموت أوَّل أحوالها، فالاستثناء[5] متصلٌ

---

(١) الوسيط (٤/ ٩١).

(٢) أخرجه الواحدي في الأسباب (٢٥٣) بسند ضعيف، والطبري في تفسيره (٢٥/ ٨).

(٣) في (د): هو.

(٤) يعني الاستبرق.

(٥) في (ن): والاستثناء.

﴿وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝ فَضْلًا﴾: تفضلًا ﴿مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ﴾: سَهَّلْنا القرآن ﴿بِلِسَانِكَ﴾: بلغتك ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: بعد فهمه ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾: النصر الموعود ﴿إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾: الدوائر عليكم، نُسِخ بآية السَّيْفِ، والله تعالى أعلم.





«سورة الجاثية[1]»: مكية

إلّا آية: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟﴾.

لَمّا قال: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾، بين شرفه بقوله: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: كائن ﴿مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۞ إِنَّ فِى﴾: خلق ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: لما فيهما من العجائب ﴿وَفِى خَلْقِكُمْ وَ﴾: في ﴿مَا يَبُثُّ﴾: يفرق في الأرض ﴿مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾: يريدون اليقين ﴿وَ﴾: في ﴿ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: كما مر ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن﴾: سبب ﴿رِّزْقٍ﴾: كالمطر ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: يبسها ﴿وَتَصْرِيفِ﴾: تقليب ﴿ٱلرِّيَٰحِ﴾: حرارة وبرودة كما مر ﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: واختلاف الفواصل الثلاث لاختلاف الآيات دقة ﴿تِلْكَ﴾: الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾: دلائل وحدانيته ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾: ملتبسة ﴿بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ﴾: أي: حديثه أو قدمه تعظيما ﴿وَءَايَٰتِهِۦ﴾: حججه ﴿يُؤْمِنُونَ ۞ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ﴾: كذاب ﴿أَثِيمٍ ۞ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ﴾: على كفره ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾: عن الانقياد ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ﴾: أعلمه، أو للتهكم ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾: وأفاد بالتأنيث أنه إذا علم أنه من جملتها استهزأ بجميعها إجمالا وإن لم يعلمها تفصيلا ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۞ مِّن وَرَآئِهِمْ﴾: قدامهم ﴿جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى﴾: يدفع ﴿عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟﴾: من الأموال ﴿شَيْـًٔا﴾: من العذاب ﴿وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ﴾: كالأصنام ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ هَٰذَا﴾: القرآن ﴿هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ﴾: أشد عذاب ﴿أَلِيمٌ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾: بجعله أملس السطح يطفو عليه ما يتخلخل[2] كالخشب ولا يمنع الغوص فيه ﴿لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ﴾: بتسخيره ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾: بالتجارة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: المنعم[3] ﴿وَسَخَّرَ

---

(١) كلماتها (٤٨٨) كلمة، وحروفها (٢١٩١) حرفا.

* الوجيز (٢٩٠)، البيان (٢٢٦)، البصائر (١/ ٤٢٦)، عدد سور القرآن (٤٠٣، ٤٠٤).

(٢) في (ن): يتخلل.

(٣) في (د): النعم.

لَكُمْ﴾: لانتفاعكم ﴿مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾: كائنة ﴿مِّنْهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۞ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ﴾: لا يخافون ﴿أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾: وقائعها الموعودة قيل: نسخت بآية القتال وقيل: أمر بالعفو ﴿لِيَجْزِىَ﴾: الله ﴿قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾: مغفرة أو إساءة ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾: كما مر ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾: فيجازيكم ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ﴾: به بين الناس ﴿وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: كالمنّ[(١)] ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: كما مر ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾: أمر دينهم، ومنه بعثة محمد ﷺ[(٢)] ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟﴾: فيه ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾: بحقيقة الحال[(٣)] ﴿بَغْيًۢا﴾: لحسد حدث ﴿بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: بالمجازاة ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ﴾: طريقة ﴿مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾: أمر الدين ﴿فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: في عبادة آلهتهم ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟﴾: يدفعوا ﴿عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ﴾: عذابه ﴿شَيْـًٔا﴾: إن اتبعتهم ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾: وحاشاك من الظلم ﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: وأنت سيدهم ﴿هَٰذَا﴾: القرآن ﴿بَصَٰٓئِرُ﴾: معالم تبصر بها وجه الفلاح ﴿لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾: يطلبون اليقين ﴿أَمْ﴾: بل، أ ﴿حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟﴾: اكتسبوا ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً﴾: مستو ﴿مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾: في السرور بل محياهم رغد ومماتهم نكد، وأما رفعا[(٤)] فالجملة بدل ونصبا: فحال من ضمير في الكاف ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾: به ﴿و﴾: قد ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾: المقتضي للعدل المقتضي للجزاء ليدل على كمال قدرته ﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: لا يقابلون عمل الظالم بنقص ثواب أو تضعيف عقاب، سماه ظلما نظرا

---

(١) وهو سُكّر النبات، وكالسلوى وهو السمّان.

(٢) عليه أزكى السلام.

(٣) في (ن)، و(د): الكل.

(٤) يعني «سواء» بالرفع وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر وأبي جعفر ويعقوب.

* إتحاف (٣٩٠)، الحجة - للرازي (٣٢٥) غيث النفع (٣٥٠)، الكشاف (٣/ ٥١٢)، النشر (٢/ ٣٧٢).

إلى صدوره منا كما في الابتلاء والاختبار ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾: أخبرني ﴿مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَىٰهُ﴾: يعبد حجرا فإذا رأى أحسن منه رفضه إليه[(١)] ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾: أزلي منه بضلاله ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَٰوَةً﴾: فلم يسمع الهدى ولم يَعْقِلْهُ[(٢)] ولم يبصره ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ﴾: إضلال ﴿اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۞ وَقَالُوا مَا هِيَ﴾: الحياة ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ﴾: يموت بعضنا ﴿وَنَحْيَا﴾: بتولد بعضنا بلا بعث ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾: من الزمان وأصله: مدة بقاء العالم، وهو أعم من الزمان[(٣)] ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ﴾: المدعي ﴿مِنْ عِلْمٍ إِنْ﴾: ما ﴿هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾: بلا دليل ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾: واضحات الدلالة على خلاف عقيدتهم ﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ﴾: في ردها ﴿إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِـَٔابَآئِنَآ﴾: أحياء ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: في البعث ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾: حين كونكم نطفا ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ﴾: أحياء فيقدر على الإتيان بآبائكم، ولكن الحكم يقتضي تأخير بعث الكل ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾:[(٤)] ومنهم هؤلاء ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾: لجهلهم ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ﴾: بدل من يوم ﴿يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ ۞ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾: مجتمعة أو باركة على الركب خوفا ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾: صحائف أعمالها، يقال لهم: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ هَٰذَا كِتَٰبُنَا﴾: الذي كتب بأمرنا ﴿يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ﴾: نأمر الملائكة بنسخ ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: فنحتج به عليكم، وورد أن الملك إذا صعد بالعمل يؤمر بالمقابلة على ما في اللوح[(٥)] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾: جنته ﴿ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: فيقال لهم ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ

---

(١) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كان أحدهم يعبد الحجر، فإذا رأى ما هو أحسن منه؛ رمى به وعبد الآخر. أخرجه النسائي (٢/ ٢٨٢/ ٥٠٥/ التفسير) والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٥٢، ٤٥٣)، والطبري (٢٥/ ٩١) وسنده حسن.

(٢) كذا في (ن)، و(د).

(٣) عمدة الحفاظ (٢/ ٢٧/ د هـ ر).

(٤) في (د): منهم.

(٥) أخرجه الدينوري في المجالسة (٨/ ٢٦٨/ ٣٥٣٥)، وابن أبي الدنيا في الإخلاص (٧٥) عن أبي عمران الجوني.

فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿وَإِذَا قِيلَ﴾: لكم ﴿إِنَّ وَعْدَ﴾: موعود ﴿ٱللَّهِ حَقٌّ﴾: كائن ﴿وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا﴾: أيّ شيء ﴿ٱلسَّاعَةُ إِن﴾ ما ﴿نَّظُنُّ﴾: في إتيانها ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾: ضعيفا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾: إتيانها ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ﴾: قبائح ﴿مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ﴾: نزل ﴿بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ﴾: نتركـكم في العـذاب كالمنسي ﴿كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾: فنسيتم الآخرة ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ أي: يطلب منهم أن يعتبوا، أي: يرضوا ربهم بالتوبة ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ﴾: على وفاء وعده ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: إذ الكل نعمته ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾: العظمة التامة كائنة ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: إذ يظهر فيهما آثارها ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: في فعله.





«سورة الأحقاف[١]»: مكية[٢]

إلَّا آية: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾، وآية: ﴿وَوَصَّيْنَا﴾ إلى ثلاث آيات.

لمَّا بين ربوبيته العالم بين أنه ما خلقه عبثا فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ حمٓ ۞ تَنزِيلُ الْكِتَابِ﴾: كائن ﴿مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾: كما مر ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا﴾: خلقا ملتبسا ﴿بِالْحَقِّ﴾: كما مر ﴿وَ﴾: بتقدير ﴿أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: القيامة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا﴾: به في ذلك اليوم ﴿مُعْرِضُونَ ۞ قُلْ أَرَءَيْتُم﴾: أخبروني ﴿مَّا تَدْعُونَ﴾: تعبدون ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾: من أصنامكم ﴿أَرُونِي﴾: تأكيد ﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ﴾: أجزاء ﴿الْأَرْضِ أَمْ﴾: بل ﴿أَ﴾ ﴿لَهُمْ شِرْكٌ﴾: شريك لله كائن ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾: خصها بعدم الشرك دون الأرض؛ لأن بعضهم يثبت الوسائط من السموات في المحدثات[٣] الأرضية ﴿ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا﴾: القرآن ﴿أَوْ أَثَارَةٍ﴾: بقية، وبكسر الهمزة[٤]: مناظرة[٥] ﴿مِّنْ عِلْمٍ﴾: للأولين يدل على ألوهيتهم ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾: فيها ﴿وَمَنْ﴾: أي: لا ﴿أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ﴾: دعاءه[٦] ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: أي: أبدا ﴿وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾: لأنهم جماد ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا﴾: آلهتهم[٧] ﴿لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾: جاحدين ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾: واضحات المعنى ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ﴾: أي: قالوا للحق، أي: لأجل الآيات، وضع المظهرين مكان المضمرين

---

(١) كلماتها (٦٤٤) كلمة، وحروفها (٢٦٠٠) حرف.

* البصائر (١/ ٤٢٨)، والوجيز (٢٩١)، البيان (٢٢٧)، عدد سور القرآن (٤٠٧).

(٢) في هامش (س): بلغ.

(٣) في (ن)، و(د): الحوادث.

(٤) روح المعاني (٢٦/ ٢).

(٥) لأنها تثير المعاني.

(٦) في (د): دعاء.

(٧) سقطت من (ن).

تسجيلا على[1] كفرهم، وحقيتهما ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: لخرقه العادة[2] ﴿أَمْ﴾: بل ﴿أ﴾ ﴿يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ﴾: فرضا ﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ﴾: رد عذاب ﴿ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾: فكيف أجترئ عليه لأجلكم ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ﴾: تقولون ﴿فِيهِ﴾: في القرآن ﴿كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾: لمن تاب ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا﴾: بديعا ﴿مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾: بل سبقت بمثل ذلك ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾: تفصيلا إذ لا أعلم الغيب، وقيل: أي: حالي وحالكم في الآخرة ثم بنزول: إنا فتحنا: الآيتين: علمهما: ﴿إِنْ﴾: أي: ما ﴿أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾: جواب عن اقتراحهم إخباره عن الغيب ﴿وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: إنذاره ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾: أخبروني ﴿إِن كَانَ﴾: القرآن ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ و﴾: قد ﴿كَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ﴾: عدل ﴿مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: كابن سلام[3] - رضي الله عنه - ﴿عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾: وهو كونه من عند الله ﴿فَـَٔامَنَ﴾: الشاهد[4] ﴿وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾: جوابه: ألستم بظالمين، يدل عليه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ﴾: في حق الذين ﴿ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ﴾: الإيمان ﴿خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾: فإنّا أشرف منهم والأشْرفُ للأشْرف ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ﴾: سببية لمجرد التأكيد ﴿هَٰذَآ إِفْكٌ﴾: كذب ﴿قَدِيمٌ و﴾: كأين ﴿مِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾: حال كونه ﴿إِمَامًا﴾: يقتدى به ﴿وَرَحْمَةً﴾: للمؤمنين ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ﴾: له حال كونه ﴿لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾: وحده؛ لإفادة تأخر رتبة العمل عن التوحيد ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾: على طاعته ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: كما مر ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: حَالٌ من ضمير ﴿فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ﴾ يُجزَوْنَ ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝ وَوَصَّيْنَا﴾: أمرنا

---

(١) في (د): عن.

(٢) في (د): العبادة.

(٣) أخرجه البخاري (٧/ ١٢٨/ ٣٨١٢)، ومسلم (٢٤٨٣/ ١٤٧) عن سعد ابن أبي وقاص قال: ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض: إنه من أهل الجنة؛ إلا لعبد الله بن سلام، قال: وفيه نزلت هذه الآية: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

(٤) في (ن)، و(د) الشاهدة.

﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾: أن يحسن ﴿بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾[١] ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا﴾: ذات كره، أي: مشقة ﴿وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ﴾: فطامه، أي: مدتهما ﴿ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾: المراد بيان كمال مدة الرضاع وعبر عنه بالفطام؛ لأنه منتهاه، وأفاد أن أقل الحمل ستة أشهر لآية: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ﴾[٢]... إلى آخره، وخص أقل الحمل وأكثر الرضاع لتحقق ارتباط حكم النسب والرضاع بهما، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: «إذا وضعت لتسعة أرضعت إحدى وعشرين، ولستة أربعة وعشرين[٣]»، وعاش ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾: هو في الصديق[٤] ولم يسلم أحد من أبويه من الصحب[٥] سواه ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ﴾: ألهمني وأصله أولعني[٦] ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾: بالإسلام ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ﴾: اجعل الصلاح ﴿لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ﴾: فآمن ولده عبد الرحمن ﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ﴾: أي: الطاعات، فإن المباح لا يثاب عليه، أو بمعنى حسن ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾: كائنين ﴿فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ﴾: مصدر مؤكد لنفسه ﴿ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ۝ وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ﴾: قبحا ﴿لَّكُمَآ﴾: كما مر ﴿أَتَعِدَانِنِيٓ أَنْ أُخْرَجَ﴾: أبعث ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِي﴾: وما رجع أحد منهم ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ﴾: يسألانه إغاثته لهدايته قائلين:

---

(١) في (ن): حسنًا، وكتب في الهامش: «إحسانًا»: حفص.

(٢) سورة البقرة.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ١٨٥٦٧/ ٣٢٩٤) عن عكرمة عن ابن عباس قال: إذا وضعت المرأة لتسعة أشهر كفاه من الرضاع أحد وعشرون شهرا، وإذا وضعته لسبعة أشهر كفاه من الرضاع ثلاثة وعشرون شهرا، وإذا وضعته لستة أشهر فحولين كاملين؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٦/ ١٢) عن علي موقوفا.

(٥) لا والله، فقد أسلم معاوية وأبواه رضي الله عنهم وأسلم عبد الله بن عمرو وأبواه، وكثير من الصحابة وآباؤهم وأمهاتهم، وللعلامة الأهدل كتاب في ذلك سماه: «بغية أهل الأثر» مطبوع.

(٦) الوزوع: الولوع بالشيء ومحبته، يقال: رجل وزوع ولوع وانوزع بكذا: أولع به.

* عمدة الحفاظ (٤/ ٣٠٧/ وزع).

﴿وَيْلَكَ﴾ دعاء بالثبور للحث على ما يخاف على تركه ﴿ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ﴾: الموعود ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ﴾: أكاذيب ﴿ٱلْأَوَّلِينَ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ﴾: الجنس ﴿ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾: بالعذاب كائنين ﴿فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ﴾: لما طعن عبد الرحمن بن أبي بكر في خلافه يزيد قال له: مروان نزلت فيك: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ﴾ إلى آخره، فلما بلغ عائشة قالت: ما هو به، ولو شئت لأُسمِّي من نزلت فيه[1]، وسياق الآية يؤيدها[2] ﴿وَلِكُلٍّ﴾: من الفريقين ﴿دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾: لكن للأول عالية، وللثاني سافلة، أو من التغليب ﴿وَ﴾: قدر لهم درجاتهم ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾: أي: جزاءها ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۞ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾: في الحديث: «إن لها عينا وكلاما»[3]، وقيل: قلب مبالغة، يقال لهم: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ﴾: لذائذكم ﴿فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾: فما بقيت لكم لذة ﴿فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾: كما مر ﴿بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾: وتكبر المؤمن على الكافر لإيمانه بالحق ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾: هودا ﴿إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾: أي: فيها، وهي رمال مرتفعة مستطيلة، إذ كانوا بين رمال مشرفة على البحر في شحر[4] اليمن ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ﴾:

---

(١) تمامه: ولكن رسول الله ﷺ لعن أبا مروان، ومروان من صلبه فمروان من لعنه الله. أخرجه النسائي في تفسيره من الكبرى (٢/ ٢٩٠/ ٥١١) والخطابي في غريب الحديث (٢/ ٥١٧)، والحاكم (٤/ ٤٨١) وسند جيد وأصله في البخاري (٤٨٢٧).

(٢) قال ابن كثير- رحمه الله-: ومن زعم أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما فقوله ضعيف؛ لأن عبد الرحمن ابن أبي بكر رضي الله عنهما أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه، وكان من خيار أهل زمانه.
* تفسير القرآن العظيم (٤/ ١٥٨، ١٥٩) وقوله: يؤيدها، يعني يؤيد كلام عائشة رضي الله عنها.

(٣) والأحاديث متظاهرة على هذا، حيث تتكلم الجنة والنار بصوت يسمعه أهلها، فعن أنس عن النبي ﷺ قال: «**لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها قدمه**». أخرجه البخاري(١١/ ٥٥٤/ ٦٦٦١)، و (١٣/ ٣٨١/ ٧٣٨٤)، ومسلم (٤/ ٢١٨٨/ ٣٨/ ٢٨٤٨) وأحمد (٣/ ١٦٦/ ١٢٣٨٩) والبغوي (١٥/ ٢٥٥، ٢٥٦/ ٤٤٢١).

(٤) الشِّحْر- بكسر الشين المعجمة وسكون الحاء المهملة-: بلدة صغيرة من بلاد اليمن، وهي بين عدن وظفار. * المسالك والممالك - لابن خرداذبة (٦٠، ١٤٧)، صورة الأرض (٣٨)، أحسن التقاسيم (٨٧)، معجم ما استعجم (٢/ ٧٨٣)، نزهة المشتاق (١/ ١٥٤)، معجم البلدان (٣/ ٣٢٧).

المنذرون ﴿مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ﴾: قبله ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ﴾: معترضة ﴿أن﴾ بأنْ ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾: إذ النهي عن الشيء إنذار بمضرته ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ۞ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا﴾: لتصرفنا ﴿عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾: من العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۞ قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ﴾: بوقت إتيانه ﴿عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ﴾: إليكم ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ﴾: لاستعجالكم عذابا يمكن وقوعه ﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ﴾: أي: ما وعد ﴿عَارِضٗا﴾: سحابا ﴿مُّسۡتَقۡبِلَ﴾: متوجه ﴿أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ﴾: استبشارا ﴿هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَا﴾: فقال هود: ﴿بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦ﴾: هو ﴿رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ۞ تُدَمِّرُ﴾: تهلك ﴿كُلَّ شَيۡءِۭ﴾: من نفوسهم وأموالهم ﴿بِأَمۡرِ رَبِّهَا﴾: فطارت بهم ومزقتهم، وقيل: أمالت عليهم الأحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام، واعتزل[1] هود بالمؤمنين في الحظيرة ﴿فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ﴾: الجزاء ﴿نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۞ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ﴾: في الذي ﴿إِن﴾: ما ﴿مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ﴾: مالا، وقوة، وعمرا ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ﴾: ليشكروا بها ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ﴾: دفع ﴿عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ﴾: من الإغناء ﴿إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ﴾: حل ﴿بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾: من العذاب ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا مَا حَوۡلَكُم﴾: يا أهل مكة ﴿مِّنَ﴾: أهل ﴿ٱلۡقُرَىٰ﴾: كما مر ﴿وَصَرَّفۡنَا﴾: بينا، مكررا ﴿ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾: عن ضلالهم ﴿فَلَوۡلَا﴾: هلا ﴿نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا﴾: تقربا إليهم ﴿ءَالِهَةَۢۖ بَلۡ ضَلُّواْ﴾: غابوا ﴿عَنۡهُمۡۚ﴾: عن نصرهم يومئذ ﴿وَذَٰلِكَ﴾: الاتخاذ ﴿إِفۡكُهُمۡ﴾: صرفهم عن الحق ﴿وَمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾: افتراؤهم ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذۡ صَرَفۡنَآ﴾: أملنا ﴿إِلَيۡكَ نَفَرٗا﴾: دون عشرة ﴿مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾: نصيبين[2] من اليمن، أو نينوى[3]، حين صلى النبي ﷺ[4] الفجر ببطن النخل[1] في انصرافه من الطائف[2]،

---

(١) في (د) فاعتزل.

(٢) هناك موضعان معروفان بذلك أحدهما في الجزيرة العربية والثاني جنوب تركيا - والأول هو المراد هنا. * معجم البلدان (٥/ ٢٨٨)، آثار البلاد (٤٦٧).

(٣) شمال العراق حاليا- لطف الله بالسُّنَّة فيها وخذلَ أهل الرفض والزندقَة- آمين.

(٤) كذا في (ن)، و(د)، و(ع).

وكانوا سبعة[٣] أو تسعة[٤]، ومنهم زوبعة[٥] ﴿يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾: القرآن ﴿قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ﴾: نسمعه[٦] ﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾: قراءته ﴿وَلَّوْاْ﴾: رجعوا ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾: قومهم، أو سماعهم كان مرات[٧] ﴿قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾: ما ذكروا عيسى؛ لأنهم كانوا من اليهود ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: من الكتب ﴿يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾: من العقائد ﴿وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: من الشرائع ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾: إلى الإيمان ﴿وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن﴾: بعض ﴿ذُنُوبِكُمْ﴾: وهو خالص حق الله ومظالم الحربي، وهم كانوا أهل الذمة[٨]؛ لتهودهم ﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [أفادَ أنه- عليه الصّلاةُ والسلامُ- بُعثَ إلى الجنِّ أيضًا، وما كانَ نبيٌّ قبله كذلكَ- قاله مقاتلٌ وعن ابن عباسٍ: أنَّ هامَ بن هيم بن لَاقيس بن إبليس جاءَ إلى النبي ﷺ وذكر أنه حضر مقتل هابيل، وكان معَ نوح وهُود ومع إبراهيم في ناره، ومع يوسف في جُبه، ومع موسى، ومع عيسى، وأنه أمرني أن أقرأ عليك السلام، وأنه تعلم التوراة والإنجيل من موسى وعيسى، ثم طلب تعلم القرآن، فعلمه عليه الصلاة والسلام عشر سُورٍ- هذا حاصل حديث أبي شيبة هل يثابُ الجن أم لا؟... على الأول، وبعضهم على الثاني، بدليل: ﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، ويؤيد الأول: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ﴾ إلى آخره وبعض الأحاديث وسيأتي بيانه][٩] ﴿وَمَن لَّا

= (١) في (ن)، و(د): النخلة.

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٥٦)، والبيهقي في الدلائل (٢/ ٢٢٨)،والبزار (٣/ ٦٨/ كشف) وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٩٦/ ١٨٥٧٨) وسنده صحيح.

(٣) وهو الصحيح رواه البزار (٣/ ٦٨/ كشف).

(٤) أخرجه الطبري (٢٦/ ٢٠) وسنده باطل من رواية الكلبي ومقاتل.

(٥) قاله زر بن حبيش - النكت والعيون (٥/ ٢٨٦).

(٦) هذا - وقد تكرر استماع الجن للقرآن الكريم من النبي ﷺ.

* وانظر: صحيح البخاري (٢/ ٢١٠)، (٨/ ٥١٣) ومسلم (١/ ٣٣).

(٧) وهو الصحيح.

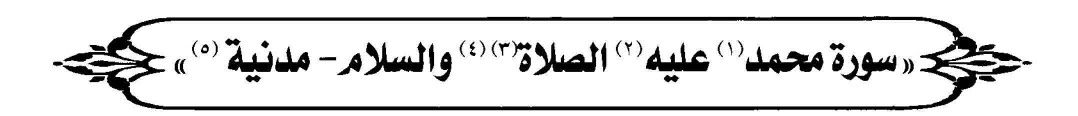
(٨) في (ع): على الذمة.

(٩) من (ع) فقط.

يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ﴾ الله ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: فيفوته ﴿وَلَيۡسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءُۚ﴾: ينصرونه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ قال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَلَمۡ يَعۡيَ﴾: لم يعجز ﴿بِخَلۡقِهِنَّ﴾: إذ قدرته واجبة لا تنقص بالإيجاد ﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾: ومنه البعث ﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾: قيل لهم: ﴿أَلَيۡسَ هَٰذَا﴾: العذاب ﴿بِٱلۡحَقِّۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ﴾: أمر إهانة[1] ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ۞ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ﴾: الثبات والصبر ﴿مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾: فخرج آدم ويونس، أو أولوا الشرع الصابرون على مشاقه، كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام ﴿وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ﴾: بالعذاب، فإنه سيلحقهم ﴿كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ﴾: من العذاب ﴿لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ﴾: في الدنيا في ظنهم ﴿إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ﴾: يستقصرونه لشدة هو لهم، هَذَا الذي وعظهم به ﴿بَلَٰغٞۚ﴾: كفايةٌ ﴿فَهَلۡ﴾: فلا ﴿يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾: الخارجون عن الاتعاظ والطاعة.



(١) سبق الحديث عن جميع صيغ الأمر.



«سورة محمد[١] عليه[٢] الصلاة[٣][٤] والسلام - مدنية[٥]»

مختلف فيها[٦].

لمَّا أُمِر بالصبر على أذَى الكافرين الصَّادين[٧] عن سبيل الله، بين سوء عاقبتهم بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۞ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا﴾: امتنعوا ومنعوا ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾: الإيمان ﴿أَضَلَّ﴾: أضاع ﴿أَعْمَالَهُمْ﴾: من نحو مكارمهم، فلا يثابون بها في الآخرة ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ﴾: خصه تعظيما، ولأنه الأصل ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾: الناسخ الذي لا ينسخ الكائن ﴿مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾: سترها بإيمانهم وعملهم ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾: حالهم ﴿ذَلِكَ﴾: المذكور من الإضلال والتكفير والإصلاح ﴿بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ﴾: الكائن ﴿مِن رَّبِّهِمْ كَذَلِكَ﴾: البيان ﴿يَضْرِبُ﴾: يبين ﴿اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾: أحوالهم ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾: أصله: فاضربوا الرقاب ضربا، أي: اقتلوهم بهذا الطريق إن أمكن ﴿حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾: أكثرتم قتلهم وأسرتموهم ﴿فَشُدُّوا الْوَثَاقَ﴾: للأسرى واحفظوهم لئلا يهربوا ﴿فَإِمَّا﴾: تمنون ﴿مَنًّا بَعْدُ﴾: بإطلاقهم مجانا، أو[٨] استرقاقهم ﴿وَإِمَّا﴾: تفدون ﴿فِدَاءً﴾: بمال أو أسرى المسلمين، فيخير بعد أسر الذكر الحر المكلف بين القتل والمن والفداء

---

(١) في هامش (ن): بلغ مقابلة، وفي هامش (س): بلغ.

(٢) في (س): سورة محمد- عليه الصلاة والسلام- وفي (ن): سورة القتال، مكية مختلف فيها!! وفي (ع): سورة محمد ﷺ مختلف فيها.

(٣) كلماتها (٥٣٩) كلمة، وحروفها (٢٣٤٩) حرفا.

* الوجيز (٢٩٢)، البيان (٢٢٨)، البصائر (١/ ٤٣٠)، عدد سور القرآن (٤١١).

(٤) في (د): ﷺ.

(٥) كذا في (د).

(٦) مدنية في أكثر الأقاويل. وعن ابن عباس وقتادة: أنها مكية إلا آية منها نزلت على النبي - ﷺ - وهو يريد التوجه من مكة إلى المدينة... الخ. أخرجه الطبري (٢٦/ ٣١).

(٧) في (ن)، و(د): الضالين.

(٨) في (ن)، و(د): وَ.

والاسترقاق، والأخير منسوخ عند الحنفية[١]، أو مختص ببدر ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾: أثقالها التي لا تقوم إلا بها، كالسلاح، أي: تنقضي بحيث لم يبق إلا مسلم أو مسالم الأمر فيهم ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ﴾: لانتقم ﴿مِنْهُمْ﴾: من الكفار بلا قتالكم ﴿وَلَٰكِن﴾: أمركم بالقتال ﴿لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾: فيكرم المؤمن بالغنيمة أو الشهادة، ويخزي الكافرين ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ﴾: يضيع ﴿أَعْمَٰلَهُمْ ۞ سَيَهْدِيهِمْ﴾: إلى سبيل السلام[٢] ﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾: حالهم دائما ﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾: وقد ﴿عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾: في الدنيا ليشتاقوا إليها، أو طيبها[٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾: أي: دينه ﴿يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾: على الطاعة أو[٤] الصراط ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا﴾: نقيصة وهلاكا ﴿لَّهُمْ﴾: من الله ﴿وَأَضَلَّ﴾: ضيع ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾: عطف على تعسوا المقدر ﴿ذَٰلِكَ﴾: من التعس والإضلال ﴿بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾: القرآن ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾: كرره إشعارا بلزومه الكفر[٥] به ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: أستأصلهم وأموالهم ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾: أي: لهم ﴿أَمْثَٰلُهَا﴾: أي: أمثال تلك العاقبة ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى﴾: ولي ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾: لكنه مولاهم بمعنى مالكهم كما في ﴿مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ﴾[٦] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ﴾: في الدنيا ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾: بلا شكر وملاحظة حِلٍّ ﴿وَٱلنَّارُ مَثْوًى﴾: منزل ﴿لَّهُمْ ۞ وَكَأَيِّن﴾: كم ﴿مِّن﴾: أهل ﴿قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن﴾: أهل ﴿قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ﴾: الإسناد باعتبار السبب ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾: أي: لم يكن ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: حجة ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾: كالقرآن ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟﴾: جمع باعتبار المعنى ﴿أَهْوَآءَهُم ۞ مَّثَلُ﴾: عجيب صفة ﴿ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ﴾ ها ﴿ٱلْمُتَّقُونَ﴾: فيما

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٢٢٧)، نيل الأوطار (٨/ ١٥٣) الأم (٤/ ٢٧١)، الحاوي الكبير (٩/ ٢٤٤).

(٢) في (ن): الإسلام.

(٣) من العرف- بفتح العين المهملة وسكون الراء المهملة-: الرائحة الطيبة.

(٤) في (د): و.

(٥) في (ن)، و(د): للكفر.

(٦) سورة الأنعام.

قصصنا عليك ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾: متغير ولو في بطن شاربه ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾: حموضة وغيرها ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ﴾: لذيذة ﴿لِّلشَّٰرِبِينَ﴾: طعما وريحا ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾: من كل وسخ ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ﴾: أصناف ﴿ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ﴾: رضا ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾:؛ ذكره لإمكان سخط السيد عبده مع إحسانه إليه، أفمن هو خالد فيها ﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا﴾: شديد الحر ﴿فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ۞ وَمِنْهُم﴾: من المنافقين ﴿مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟﴾: استهزاء ﴿لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾: علماء الصحابة[1] ﴿مَاذَا قَالَ﴾: محمد ﴿ءَانِفًا﴾: الساعة القريبة[2] أي: ما كنا ملتفتين إليه ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: فلا تهتدى ﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾: شهواتهم ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ﴾: الله تعالى ﴿هُدًى﴾: بالتوفيق ﴿وَءَاتَىٰهُمْ﴾ ألهمهم ﴿تَقْوَىٰهُمْ﴾: ما يتقون به ﴿فَهَلْ﴾: ما ﴿يَنظُرُونَ﴾: ينتظرون في تأخيرهم الإيمان ﴿إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم﴾: بدل منها ﴿بَغْتَةً فَقَدْ﴾: أي: لأنه ﴿جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾: علاماتها كبعثة النبي - ﷺ -، وشق القمر[3] ﴿فَأَنَّىٰ﴾: فكيف ﴿لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ﴾: الساعة ﴿ذِكْرَىٰهُمْ﴾: اتعاظهم حين لا ينفعهم، إذا علمت حال الفريقين ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ﴾: مستحق للعبادة ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾: كما مر بيانه، أي: دم على اعتقاده ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾: من الفرطات هضما لنفسك، أو ليقتدى بك ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾: حذف المضاف وإعادة الجار مشعران بشدة احتياجهم إليه، وبتغاير جنسي الذنبين ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ﴾: متصرفكم في الدنيا ﴿وَمَثْوَىٰكُمْ﴾: في العقبي فاتقوه ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا﴾: هلا ﴿نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾: في أمرنا بالجهاد ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ﴾: غير متشابهة ﴿وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ﴾: أمر به ﴿رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: المنافقين ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾: من رعبهم ﴿نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ﴾: سكرات ﴿ٱلْمَوْتِ﴾: خوفا من القتال ﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ۞ طَاعَةٌ﴾: لله ﴿وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾: حسن بإجابة الأمر ﴿فَإِذَا

---

(١) الوسيط - للإمام الواحدي (٤/ ١٢٤).

(٢) ومعنى الآنف من الائتناف «يقال: ائتنفت الأمر: أي: ابتدأته، وأصله من الأنف، وهو ابتداء كل شئ.
* الوسيط (٤/ ١٢٤).

(٣) وعلامات الساعة صغري وكبرى ووسطى، وهي كثيرة جدا، جمعها الداني، والسخاوي والقرطبي، والنجم الغزِّي، والبرزنجي - وغيرهم.

عزم﴾: فرض القتال، ﴿ٱلۡأَمۡرُ﴾ ذوو الأمر ﴿فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ﴾: في الإيمان ﴿لَكَانَ﴾: الصدق ﴿خَيۡرًا لَّهُمۡ ۞ فَهَلۡ﴾: للتقرير ﴿عَسَيۡتُمۡ﴾: يتوقع منكم ﴿إِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾: عن الدين ﴿أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾: فترجعوا إلى أمر الجاهلية، أي: أنتم أحقاء به لضعف دينكم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: المفسدون ﴿ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ﴾: عن الحق ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ فيتعظوا ﴿أَمۡ﴾: بل ﴿عَلَىٰ قُلُوبٍ﴾: لهم نكرها تحقيرا ﴿أَقۡفَالُهَآ﴾: فلا يدركونه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم﴾: رجعوا إلى كفرهم كالمنافقين ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى﴾: بالمعجزات ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ﴾: سهله ﴿لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ﴾: أَمَدَّ في الآمال، ومجهولًا مفعوله ﴿لَهُمۡ ۞ ذَٰلِكَ﴾: الضلال ﴿بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ﴾: هم الكفار الخلص ﴿سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِ﴾: أي: أموركم، وهو كسر الإسلام ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ﴾: فأفشاها ﴿فَكَيۡفَ﴾: يحتالون ﴿إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ﴾: بمقامع كما مر ﴿ذَٰلِكَ﴾: التوفي ﴿بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ﴾: من الكفر ﴿وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ﴾: ما يرضيه ﴿فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۞ أَمۡ﴾: بل ﴿أَ﴾ ﴿حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: نفاق ﴿أَن لَّن يُخۡرِجَ﴾: يظهر ﴿ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ﴾: أحقادهم معكم ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ﴾: بأشخاصهم بدلائل ﴿فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡ﴾: علاماتهم، كرر لام الجواب تأكيدا ﴿وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ﴾: إمالة ﴿ٱلۡقَوۡلِ﴾: منهم إلى التعريض بتهجين المسلمين ونحوه ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ و﴾: الله ﴿لَنَبۡلُوَنَّكُمۡ﴾: لنختبرنكم بالتكاليف ﴿حَتَّىٰ نَعۡلَمَ﴾: علم ظهور ﴿ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾: على ما أمروا به ﴿وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ﴾: ما نخبر به عن أعمالكم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ﴾: الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: كقريظة والنضير[1] ﴿وَشَآقُّواْ﴾: خاصموا ﴿ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـًٔا﴾: من المضرة ﴿وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾: الحسنة بذلك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾: كهؤلاء ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ﴾: كأصحاب القليب[2] ﴿فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ﴾: أفهم جواز مغفرة جميع ذنوب من لم يمت كافرا ﴿فَلَا

---

(١) الوسيط (٤/ ١٢٩).

(٢) يعني: قليب بدر - وقد سبق.

تَهِنُوا﴾: تضعفوا ﴿و﴾: لا ﴿تَدْعُوا﴾: الكفار ﴿إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾: الصلح تذللا إذا لقيتموهم ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾: الأغلبون ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾: بالنصر ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ﴾: يفردكم أو يسلبكم ﴿أَعْمَٰلَكُمْ﴾: أي: عنها بتضييعها ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾: لاثبات لها ﴿وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟﴾: المعاصي ﴿يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ﴾: الله ﴿أَمْوَٰلَكُمْ﴾: كلها، بل قدر الزكاة ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ﴾: فيجهدكم بطلب الكل ﴿تَبْخَلُوا۟﴾: فلا تعطوا ﴿وَيُخْرِجْ﴾: البخل ﴿أَضْغَٰنَكُمْ﴾: عداوتكم للنبي عليه الصلاة والسلام[1] ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: الموصوفون ﴿تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: طرق البر ﴿فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾: ضرره عليه ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾: إليه فما أمركم به فلاحتياجكم إليه ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟﴾: عن طاعته ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾: في الحديث: إنَّهم الفُرس[2] ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾: في التولي، بل يطيعون الله سبحانه وتعالى في كل ما أمرهم به، والله تعالى أعلم[3].

❁❁❁

---

(١) في (ن)، و(د): ﷺ.

(٢) يشير إلى حديث أبي هريرة قال: تلا رسول الله ﷺ يوما هذه الآية: «**وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم**»، قالوا: ومن يستبدل بنا؟ قال: فضرب رسول الله ﷺ على منكب سلمان، ثم قال: «**هذا وقومه، هذا وقومه**». أخرجه الترمذي (٥/ ٤٦٣/ ٣٥٤٢)، والطبري في تفسيره (٢٦/ ٦٦، ٦٧)، وابن حبان (٧١٢٣)، والبيهقي في الدلائل (٦/ ٣٣٤)، وأبو نعيم في تاريخه (١/ ٣)، وابن أبي حاتم في التفسير (١٠/ ٣٢٩٩/ ١٨٥٩٢) وسنده صحيح.

ورواه البخاري (٤٨٩٧) ومسلم (٢٥٤٦)، وأحمد (٩٤٠٦) من حديث أبي هريرة قال: كنا جلوسا عن النبي ﷺ فأنزلت عليه سورة الجمعة ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ (الجمعة:٣) قال: قلت: من هم يا رسول الله؟، فلم يراجعه حتى سأل ثلاثا وفينا سلمان الفارسي، فوضع رسول الله ﷺ يده على سلمان، ثم قال: «**لو كان الإيمان عند الثريا؛ لناله رجال أو رجل من هؤلاء**».

* **قلت- أبو الحسن-**: وهذا مرتبط بمدى التمسك بالكتاب والسنة.

(٣) في (ن): والله أعلمُ بالصواب وإليه المرجعُ والمآب.



«سورة الفتح[١]»: مدنية[٢]

لمَّا وعد المطيعين بالعلو، والمتولين بالهلاك أكَّده بوعد الأولين بالفتوح، والآخرين بالتعذيب فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ إِنَّا فَتَحْنَا﴾: قضينا بفتح مكة، أو هو صلح الحديبية[٣] الذي كان منشأ جميع الفتوح، وهي بئر[٤] فيها مضمض ﷺ، وقد ففارت فغارت بالعذب الرواية[٥] ﴿لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۞ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ﴾: فرطاتك، وحسنات الأبرار سيئات المقربين[٦] ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾: منه من كل أمر تحاوله، أو هو مبالغة كزيد يضرب من يلقاه ومن لا يلقاه، والمراد لتجتمع[٧] لك المغفرة مع ما عطف عليها بقوله ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ﴾: كالملك والنبوة ﴿عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ﴾: يثبتك ﴿صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۞ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾: ذا عز، أو عز وقل وجود مثله ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ﴾:

---

(١) كلماته (٥٦٠) كلمة، وحروفها: (٢٤٣٨) حرفا.

* البصائر (١/ ٤٣٢)، الوجيز (٢٩٥)، البيان (٢٢٩)، عدد سور القرآن (٤١٢).

(٢) في (ن): مكية، ثم كتب بجوارها الناسخ: مدنية، وسقط العنوان من (ع).

(٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنها نزلت على النبي ﷺ مرجعه من الحديبية ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ إلى قوله: ﴿صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾.. الحديث أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٢٥)، وعبد بن حميد في تفسيره (٧/ ٥١٥/ الدر المنثور) والترمذي (٥/ ٣٨٥، ٣٨٦/ ٣٢٦٣) وأحمد (٣/ ١٣٤، ١٩٦، ٢١٥، ٢٥٢) وابن حبان في صحيحه (١٧٦٠/ موارد) والطبري في تفسيره (٢٦/ ٤٣، ٤٤) والحاكم (٢/ ٤٥٩، ٤٦٠)، والنسائي في سننه (٢/ ٣٠٤/ ٥٢٢) والواحدي في أسباب النزول (٢٥٥، ٢٥٦)، والوسيط (٤/ ١٣٢) والبيهقي في الكبرى (٥/ ٢١٧)، (٩/ ٢٢٢)، وفي الدلائل (٤/ ١٥٨)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (١/ ١٢٤، ١٢٥/ ٢٥)، وأبو يعلي في مسنده (٥/ ٣٠٨/ ٢٩٣٢)، وسنده صحيح.

(٤) الحديبية- بالتخفيف وتشدد-: بئر قرب مكة- حرسها الله تعالى- أو هي: شجرة حدباء كانت هناك انتهى. * تقويم البلدان (٨١)، صورة الأرض (٣٠)، معجم ما استعجم (٢/ ٤٣٠)، معجم البلدان (٢/ ٢٢٩).

(٥) في حديث الحديبية: فجلس رسول الله ﷺ على جباها «شفيرها» وأتي بدلو فبصق ودعا فيها، فجاشت، فأرووا أنفسهم وركابهم. أخرجه البخاري (٣٥٧٧)، ومسلم (١٧٢٩).

(٦) يعني ما يعده الأبرار حسنات يستقله المقربون، لأن همتهم عالية.

(٧) في (د): ليجتمع.

الطمأنينة، أو ملك ينزل بها[1] ﴿فِي قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾: بالشرائع النازلة ﴿مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾: بما نزل قبل أو بالله ورسوله ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: فيعز من يشاء ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾: بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾: فيما دبر ﴿لِّيُدْخِلَ﴾: بدل اشتمال من «ليغفر» أو متعلق «أنزل» ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾: يسترها بالعفو ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۝ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾: الغائظين بنصرهم ﴿وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ﴾ الأمر ﴿ٱلسَّوْءِ﴾: هو أنه لن ينصر المؤمنين ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾: الذي ظنوه بالمؤمنين، أي: يحيط بهم كالدائرة لا يتخطاهم ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾: أبعدهم من رحمته ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ

---

(١) قيل: إن السكينة مَلكٌ من ملائكة الله تعالى وعليه ترجم السيوطي في الحبائك (٨٣): ما جاء في السكينة عليه السلام – وأورد في ذلك ثلاثة أحاديث:

– **الأول:** عن علي ﵁ قال: «إذا ذكر الصالحون فحي هلا بعمر، ما كنا- أصحاب محمد- نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر ﵁.

* **قلت- أبو الحسن-:** أخرجه عبد الله في الزوائد (١/ ١٤٧)، وأحمد في الفضائل (١/ ٣٣٠)، والفسوي في المعرفة (١/ ٤٦١، ٤٦٢)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٤٢)، وسنده صحيح. وفي رواية عن علي: «كنا نتحدث أن ملكا ينطق على لسان عمر». أخرجه أحمد في الفضائل (١/ ٢٦٣)، ٢٦٤)، والفسوي (١/ ٤٥٦)، والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٣٨٤) وسنده صحيح.

– **الثاني:** عن أسيد بن حضير أنه أتي النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ! إني كنت قرأ البارحة سورة الكهف فجاء شيء حتى غطى فمي، فقال النبي ﷺ: «**تلك السكينة جاءت حتى تسمع القرآن**».

* **قلت – أبو الحسن –:** أخرجه الطبراني في الكبير (١/ ١٧٧) بسند حسن.

أقول: وذلك؛ لأن الله يوكل ملكا بقائم الليل كما قال النبي ﷺ: «**إذا قام أحدكم يصلي من الليل فليستك، فإن أحدكم إذا قرأ في صلاته وضع ملك فاه على فيه، ولا يخرج من فيه شيء إلا دخل فم الملك**».

أخرجه البيهقي في الشعب (٢١١٧)، وتمام (٩٣٥)، والضياء (١/ ٢٠١)، الأصبهاني في الترغيب (١/ ١٩٧)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (١/ ٧٢٠)، والصحيحة (١٢١٣).

– **الثالث:** عن أبي سلمة قال: بينا أسيد بن حضير الأنصاري يصلي بالليل، فإذا غشيني مثل السحابة فيها مثل المصابيح والمرأة نائمة إلى جنبي وهي حامل، والفرس مربوط في الدار، فخشيت أن تنفر الحصان فتفزع المرأة فتلقي ولدها، فانصرفت من صلاتي فقال: اقرأ يا أسيد ! فإن ذلك ملك استمع القرآن.

* **قلت – أبو الحسن –:** أخرجه الطبراني (١/ ١٧٧، ١٧٨) بسند جيد.

﴿وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾: مرجعا ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: فيذل من يشاء ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾: في انتقامه من أعدائه ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدًا﴾: على أمتك في القيامة ﴿وَمُبَشِّرًا﴾: لمن تبعك ﴿وَنَذِيرًا﴾: لمن عصاك ﴿لِّتُؤۡمِنُواْ﴾: أي: أنت مع أمتك ﴿بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ﴾: تنصروه ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾: تعظموه ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾: تنزهوه من كل ذم أو تصلوا عليه، أو تنزهوا الله، أو تصلوا له أو الضمائر كلها لله ﴿بُكۡرَةً وَأَصِيلًا﴾: طرفي النهار أو كثيرا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾: بيعة الرضوان بالحديبية ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾: لأنه المقصود ببيعته ﴿يَدُ ٱللَّهِ﴾: اللائقة بجلاله[1] ﴿فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾: المراد اطلاعه على مبايعتهم وحفظهم عليها[2]، إذ أصله وضع المتوسط يده فوق أيدي المتبايعين لئلا يتفاسَخُوا أو نعمة الله عليهم فوق صنيعهم، أو هي يد رسوله ﴿فَمَن نَّكَثَ﴾: نقضها ﴿فَإِنَّمَا يَنكُثُ﴾: يرجع وَبَال نكثه ﴿عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ﴾: وفَّى ﴿بِمَا﴾: فيما ﴿عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا ۞ سَيَقُولُ لَكَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ﴾: عن الخروج معك إلى مكة عام الحديبية ﴿مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ﴾: بعد رجوعك منها ﴿شَغَلَتۡنَآ﴾: عن الخروج بأمرك ﴿أَمۡوَٰلُنَا وَأَهۡلُونَا﴾: لخدمتهم ﴿فَٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا﴾: عن التخلف ﴿يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم﴾: من الاعتذار والاستغفار ﴿مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾: أي: قضائه ﴿شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ ضَرًّا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ نَفۡعًا﴾: لا يمنعه المال ولا الأهل ﴿بَلۡ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا﴾: فلا تعتذروا ﴿بَلۡ ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهۡلِيهِمۡ أَبَدًا﴾: ويستأصلهم المشركون ﴿وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمۡ وَظَنَنتُمۡ﴾ ظن ﴿ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ وَكُنتُمۡ قَوۡمَۢا بُورًا﴾: هالكين عند الله بهذا الظن ﴿وَمَن لَّمۡ يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ﴾: أي: لهم ﴿سَعِيرًا﴾: نارا عظيمة ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ﴾: لم يزل ﴿غَفُورًا رَّحِيمًا﴾: لمن تاب ﴿سَيَقُولُ ٱلۡمُخَلَّفُونَ﴾: المذكورون ﴿إِذَا ٱنطَلَقۡتُمۡ إِلَىٰ مَغَانِمَ﴾: من خيبر ﴿لِتَأۡخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعۡكُمۡۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾: أي: وعده بأن مغانم خيبر لأهل الحديبية خاصة ﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا

---

(١) الله له يد نثبتها له كما أثبتها هو لنفسه ونكل حقيقتها وعلمها له تعالى.

(٢) هذا تأويل مرفوض.

كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ﴾: قبل سؤالكم ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ﴾: أن نشارككم فيها ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا ﴾: فقها ﴿قَلِيلًا ﴾: لأمور الدنيا ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ ﴾: كرر اسمهم كذلك تشنيعا ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾: بنو حنيفة في زمن الصديق[١]، أو فارس[٢] في زمن الفاروق[٣] ﴿تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ﴾ هم ﴿يُسْلِمُونَ ﴾: ينقادون ولو بقبول الجزية فيه دليل صحة خلافتهما؛ لأن محاربتهما كانت للإسلام، وأما قتال الصِفِّيْن[٤] ونحوه فكان لمُلْكٍ[٥] ﴿فَإِن تُطِيعُوا۟ ﴾: بقتالهم ﴿يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ﴾: في الدارين ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ ﴾: عام الحديبية ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾: في الدارين ﴿لَّيْسَ﴾: في التخلف ﴿عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ ﴾: وإن وجد المركب ﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ ﴾: عن الطاعة ﴿يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾: في الدارين ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾: كانوا ألفا وثلاثمائة أو أكثر في الحديبية، حين بعث عثمان رَضِوَاللهُ عَنْهُ - إلى مكة وحبسوه وهموا بقتله ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾: سمرة أو سدرة على أن يقاتلوا قريشا ولا يفروا ﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ ﴾: من الإخلاص ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ ﴾: الطمأنينة ﴿عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ ﴾: جازاهم ﴿فَتْحًا قَرِيبًا ﴾: كخيبر، أو صلحهم الذي صار سبب الفتوح ﴿ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا[٦]﴾: من الفتوحـــات ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۞ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ ﴾: من خيبر ﴿وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ ﴾: يهود خيبر، إذ هموا بالإغارة على عيالكم إذ خرجتم فقذف فيهم الرعب ﴿عَنكُمْ و﴾: فعله ﴿لِتَكُونَ﴾: الكف أو الغنيمة ﴿ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾: على صدق وعد الرسول بالغنائم ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾: هو الثقة

---

(١) غرر التبيان (٤٨٢)، زاد المسير (٧/ ٤٣١) وأخرجه الطبري (٢٦/ ٥٢).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٠٠/ ١٨٥٩٤).

(٣) قال الواحدي في الوسيط (٤/ ١٣٨): أكثر المفسرين على أن هؤلاء بنو حنيفة أتباع مسيلمة.

(٤) كذا، وهو يقصدُ موقعة «صفِّيْن» بين الجليلين عليّ ومعاوية رَضِوَاللهُ عَنْهُمَا.

(٥) أبدًا، بل كان اجتهادًا من كلا الفريقين المتأولين وكان الحق مع علي رَضِوَاللهُ عَنْهُ بلا شك.

(٦) في (ن): تأخذونها.

به ﴿و﴾: مغانم ﴿أُخۡرَىٰ لَمۡ تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهَا﴾: لشوكة أهلها كفارس والروم[1] ﴿قَدۡ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾: أحاطه الحراس[2] إلى أن يأخذها من بعدكم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا ۞ وَلَوۡ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: بالحديبية ﴿لَوَلَّوُاْ ٱلۡأَدۡبَٰرَ﴾: انهزاما ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ۞ سُنَّةَ﴾: أي: كسنة ﴿ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُ﴾: من سوء عاقبة أعدائه ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ۞ وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم﴾: في الحديبية ﴿بِبَطۡنِ مَكَّةَ﴾: الحرم ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ﴾: إذ جاء ثمانون منهم ليصيبوا منكم فأخذتموهم ثم عفوتم عنهم، فصار سبب الصلح[3] ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ۞ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمۡ عَنِ﴾: دخول ﴿ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ و﴾: صدوا ﴿ٱلۡهَدۡيَ مَعۡكُوفًا﴾: محبوسا، كان سبعين بدنة ﴿أَن يَبۡلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾: المعهود، وهو منى، وفسره الحنفية بمكان لا يجوز النحر في غيره، وهو الحرم ويرده نحره عليه الصلاة والسلام[4] في الحديبية حين حصر، فلا يثبت قولهم محله في الإحصار هو الحرم ﴿وَلَوۡلَا رِجَالٞ مُّؤۡمِنُونَ وَنِسَآءٞ مُّؤۡمِنَٰتٞ﴾: بمكة مع الكفار ﴿لَّمۡ تَعۡلَمُوهُمۡ﴾: بأعيانهم لاختلاطهم بهم ﴿أَن تَطَـُٔوهُمۡ﴾: بدل من هم، أي: تقتلوهم مع الكفار ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنۡهُم﴾: من قتلهم ﴿مَّعَرَّةُۢ﴾: مكروه ككفارة ودية كائنة ﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾: منكم، وجواب «لولا»: لما كف أيديكم لكن كفها ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦ﴾: بتوفيق زيادة الخير ﴿مَن يَشَآءُ﴾: كهؤلاء المختلطين ﴿لَوۡ تَزَيَّلُواْ﴾: تميزوا عنهم ﴿لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ﴾: من أهل مكة بالقتل والسبي ﴿عَذَابًا أَلِيمًا ۞ إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ﴾ الأنفة ﴿حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ﴾: بصدكم عن المسجد ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾: بالثبات ﴿عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: فحفظهم عن الحمية

---

(١) وقد اتحدا بكفرهما في زمننا هذا على أهل السنة والجماعة فاللهم اكفناهم بما شئت وكيف شئت.

(٢) في (د): أحاط الحراس لئلا تفلت إلى أن يأخذها من بعدكم.

(٣) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم متسلحين، يريدون غرة النبي ﷺ وأصحابه فأخذهم سلما فاستحياهم فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ ... الآية﴾ أخرجه مسلم في صحيحه (١٨٠٨/ ١٣٣).

(٤) في (د): ﷺ.

حتى صالحوهم على أن يدخلوا من قابل[١] ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾: التهليل، إذْ هو مع والله أكبر، أو التسمية ﴿وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا﴾: من الكفار، هذا من قبيل خير مستقر ﴿وَأَهْلَهَا﴾: في علم الله ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ۞لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ﴾: في ﴿ٱلرُّءْيَا﴾: إذ رأى قبيل[٢] الحديبية فتح مكة، ورؤيا الأنبياء وحيٌ، فأخبرهم، فلما منعوا منه تكلموا في ذلك فحققها في العام المقبل[٣] ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: قسم، جوابه ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾: من مقالة تلك الرؤيا أو للتعليم ﴿ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ بعض شعورها أي: بعضكم كذا وبعضكم كذا ﴿لَا تَخَافُونَ﴾: بعده ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟﴾: من حكم التأخير ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ﴾: الدخول[٤] ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾: كخيبر أو كصلح الحديبية ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ﴾: ملتبسا ﴿بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ﴾: ليغلبه ﴿عَلَى﴾: جنس ﴿ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾: أي: على صحة رسالتك[٥] يدل عليه ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾: نزل ردا لمنعهم أن يكتب: هذا ما صالح به رسول الله ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾: مبتدأ خبره ما بعده، قال الحسن: هو الصديق ﴿أَشِدَّآءُ﴾: غلاظ ﴿عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾: الفاروق ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾: عثمان[٦] و ﴿تَرَىٰهُمْ﴾: أيها السامعون ﴿رُكَّعًا سُجَّدًا﴾: أي: كثيري الصلاة عليّ[٧]، و ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾: بقية العشرة ﴿سِيمَاهُمْ﴾: علامتهم هي نورهم في القيامة أو صفرتهم للسهر، أو أثر التُّراب ﴿فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾: لكثرته ﴿ذَٰلِكَ﴾: المذكور ﴿مَثَلُهُمْ﴾: صفتهم العجيبة ﴿فِى

---

(١) العام المقبل.

(٢) في (ن)، و(د): قبل.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٦/ ٦٨)، البيهقي في الدلائل (٤/ ١٦٤) وابن أبي شيبة في المصنف (١٤/ ٤٣٤، ٤٣٥/ ١٨٦٩) بسند مقبول.

(٤) في (ن)، و(د) التأخير.

(٥) في (د): رسالته.

(٦) زاد المسير (٧/ ٤٤٦) بسند ضعيف.

(٧) قلت: فلعنة ربي على الروافض فردًا فردًا. فتعسًا للرفضة والرقصة ما أغباهم وأنكد سعيهم وما أشقاهم وأكفرهم.

﴿ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ﴾: مبتدأ، ما بعده خبره بمعني هم في قلتهم أولا، ثم تكثرهم ثم استحكامهم ثم ترقيهم إلى حالة معجبة ﴿كَزَرۡعٍ﴾: قال الحسن: هو محمد عليه الصلاة والسلام [(١)] و﴿أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ﴾: أي: فراخه الصديق ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾: أي: قواه يعني عمر ﴿فَٱسۡتَغۡلَظَ﴾: أي: غلظ باجتماع الفراخ مع الأصول عثمان ﴿فَٱسۡتَوَىٰ﴾: استقام ﴿عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾: قصبته، جمع ساقٍ عليّ[(٢)] و﴿يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾: لنهاية قوته وحسنه هم المؤمنون ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ﴾: عِلّة لمدلول التشبيه، أي: إنما قواهم لذلك، وهو قول عمر رضي الله عنه بعد إسلامه: لَا يُعْبَدُ الله سِرًّا بَعْدَ اليوم[(٣)] ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم﴾: بيانية[(٤)] أي وعدهم ﴿مَّغۡفِرَةً وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾. واللهُ أعْلَمُ بالصّواب وإليه المرجعُ والمآب.



---

(١) في (د) ﷺ.

(٢) فتعسًا للرفضة والرقصة ما أغباهم وأنكد سعيهم وما أشقاهم وأكفرهم.

(٣) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٤٠) وفي الدلائل (١/ ٢٤١) وإسناده ضعيف.

(٤) يعني «من» هنا بيانية، ومعناها: بيان الجنس. * مصابيح المغاني (٤٥٨).



«سورة الحجرات[١]»: مدنية

لَمَّا أثنى على الصَّحابة[٢] وبين علوهم[٣]، نهاهم عمَّا يوجب انحطاطهم فقال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ﴾: أمْرًا، ولا تتقدموا قولا وفعلا ﴿بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: أي: قبل إذنهما ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾: لقولكم ﴿عَلِيمٌ﴾: بفعلكم، نزلت في صوم يوم الشك[٤] أو النحر قبل الصلاة[٥]، أو تنازع الشيخين في حضرته ﷺ[٦] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ﴾: في المكالمة ﴿فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾: كراهة ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ إذ في الجهر استخفاف يؤدي إلى الكفر المُحْبِط وهو مجاز عن انحطاط المنزلة ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾: بحبطها ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ﴾ يخْفِضون ﴿أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾: كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما بعد نزولها[٧] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ﴾: أخلص ﴿ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾: تخليص الذهب عن الخبث وعن عمر رضي الله عنه: أذهب الشبهات عنها ﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾: لإظهار تقواهم ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾: عظيمةٌ ﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ﴾: خارج ﴿ٱلْحُجُرَٰتِ﴾: التي لنسائه عليه الصلاة والسلام[٨] كعُيَيْنة، والأقرع التميميّيْن[٩] ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾: إذ العقل يقتضي

---

(١) كلماتها (٣٤٣) كلمة، وحروفها (١٤٧٧) حرفا.

* الوجيز (٢٩٦)، البيان (٢٣٠)، بشير اليسر (١٧٣)، البصائر (١/ ٤٣٥)، عدد سور القرآن (٤١٤).

(٢) رضي الله عنهم- ولعن الله الرافضة.

(٣) يعني مقامهم العالي.

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣/ ١٣٤/ ٢٧١٣)، والواحدي في الوسيط (٤/ ١٥٠)، والدارقطني في المؤتلف والمختلف (٢/ ٥٩٧) وسنده صحيح.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٦/ ٧٤) وسنده ضعيف.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٣٦٧، ٤٨٤٧).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٨٤٥، ٧٣٠٢).

(٨) في (د): ﷺ.

(٩) كذا. وهو خطأ، فـ«عيينةُ بن حصن» فزاريٌّ، وليس تميميا.

- أما حديث الأقرع بن حابس: فعن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن الأقرع بن حابس: أنه أتى النبي ﷺ =

الأدب[1] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا﴾: أي: لو ثبت صبرهم ﴿حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ﴾: الصبر ﴿خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: لمن تاب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ﴾: كالوليد بن عتبة، أرسله عليه الصلاة والسلام[2] لأخذ زكاة بني المُصْطلق[3] فاستقبلوه فخافهم لعداوتهم في الجاهلية ورجع وقال: منعوها فهمَّ عليه الصلاة والسلام[4] بغزوهم، فجاءوا منكرين ذلك[5] ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾: تفحصوا صدقه كراهة ﴿أَن تُصِيبُوا قَوْمًا﴾: بُرَآء ﴿بِجَهَالَةٍ﴾: جاهلين بهم ﴿فَتُصْبِحُوا﴾ تصيروا ﴿عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾: أفاد بترتيب الحكم على الفسق، جواز قبول خبر عدل واحد ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾: على حاله ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾: كما أشار[6] بعضكم بإيقاعه ببني المصطلق ﴿لَعَنِتُّمْ﴾: لوَقَعتم في إثم وجهد، أفهم أنه عليه الصلاة والسلام[7] قد يوافقهم، ويعضده: «وشاورهم... إلى آخره»[8] ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ

= فقال: يا محمد! اخرج إلينا، فلم يجبه، فقال: يا محمد! إن حمدي زين وإن ذمي شين؛ فقال: «ذاك الله»؛ فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ ... الآية﴾. أخرجه أحمد (٣/ ٤٨٨)، و (٦/ ٣٩٣، ٣٩٤) والطبري (٢٦/ ٧٧)، والطبراني في الكبير (١/ ٨٧٨)، والضياء في المختارة (٤/ ٣٢١/ ١٥٠٠)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢/ ٣٨٨/ ١١٧٨)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٢/ ٤٠٧/ ١٠٣٣)، وابن قانع في معجمه (١/ ٦٨) وسنده صحيح.

- وأما حديث عيينة: فأخرجه ابن مردويه (٧/ ٥٥٤/ الدر المنثور) وهو من طريق الكلبي - وهو متروك.

(١) في (ن)، و(د): التأديب.

(٢) في (ن)، ،(د): ﷺ.

(٣) يعني بعد الوقعة.

(٤) في (ن)، و(د): ﷺ.

(٥) أخرجه أحمد (٤/ ٢٧٩)، والبخاري في التاريخ الأوسط (١/ ١٩٣/ ٣١٨)، والبغوي في معجم الصحابة (٢/ ٦٨، ٦٩/ ٤٥٧)، والطبراني في الكبير (٣/ ٢٧٤/ ٣٣٩٥)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٤/ ٣٢٢/ ٢٣٥٣)، وابن قانع في معجم الصحابة (١/ ١٧٧)، والواحدي في أسباب النزول (٢٦٢، ٢٦٣)، وأبو نعيم في المعرفة (٢/ ٧٨٣، ٧٨٤/ ٢٠٨١) وابن عساكر (٦٦/ ١٦٨) وسنده صحيح.

(٦) في (ن): كما همّ، وفي (س): كما مر، وفي (ع): كما مر، أو سر، فهي غير واضحة.

(٧) في (د): ﷺ.

(٨) سورة آل عمران.

﴿وَٱلْفُسُوقَ﴾: الكبائر ﴿وَٱلْعِصْيَانَ﴾: الصغائر، وهذه الكراهة حملتكم على أمره بالإيقاع بهم لما سمعتم قول[1] الوليد، وهذه الثلاثة في مقابلة الإيمان الكامل ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: المستثنون ﴿هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾: إلى الطريق ﴿فَضْلًا﴾ تعليل لكره و «حبب» ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾: في فعله ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ﴾: كالأوس والخزرج حين أساء ابن أبي مع النبي ﷺ[2]، وأفاد بإنْ، أنه ينبغي[3] قِلّته بينهم ﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾: بالنصح والدعاء إلى الشرع، جمع[4] للمعني، وثنى للفظ[5] ﴿فَإِنۢ بَغَتْ﴾: تعدت ﴿إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ﴾: ترجع ﴿إِلَىٰٓ أَمْرِ﴾: حكم ﴿ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ﴾: قيد به؛ لأنه مظنة الحيف؛ لكونه بعد المقاتلة ﴿وَأَقْسِطُوٓاْ﴾: اعدلوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۞ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾: دينا ﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾: المتنازعين، خصَّ الاثنين؛ لأنهما أقل المتقابلين ولنزوله[6] في الأوس والخزرج وإيثار الأخوة الغالبة في النسب على الإخوان الغالبة[7] في الصَّداقة للتأكيد ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: أفادت الآيتان بقاء اسم الإيمان مع البغي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: بعد أن عرفتم أُخُوَّتكم ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ﴾: كوفد بني تميم ﴿مِّن قَوْمٍ﴾: كفقراء المسلمين[8] ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾: عند الله تعالى، والقوم للرجال[1] إلَّا في

---

(١) ساقطة من (ن)، و(د).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩١)، ومسلم (١٧٩٩).

(٣) كذا في (ن)، وفي (س): السعي، وفي (ع): موضع بياض.

(٤) «فأصلحوا».

(٥) «بينهما».

(٦) في (س): و(ع): وله.

(٧) في (ع): الغالب.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٣٠٤/ ١٨٦١٢) وسنده ضعيف الصحيح عن أبي جبيرة ابن الضحاك ﵁ قال: فينا نزلت الآية؛ قدم رسول الله ﷺ المدينة وما منا رجل إلا له اسمان أو ثلاثة، كان إذا دعا الرجل بالاسم؛ قلنا: يا رسول الله ! إنه يغضب من هذا؛ فأنزلت: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ... الآية﴾. أخرجه أبو داود (٤٩٦٢)، والترمذي (٣٢٦٨)، والنسائي (٢/ ٣٢٠/ ٥٣٦/ التفسير)، وابن ماجة (٣٧٤١)، وأحمد (٤/ ٦٩، ٢٦٠)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٣٠)، وأبو يعلي (١٢/ ٢٥٢، =

التغليب(٢)، وخصَّ الجمع؛ لأن السخرية منهم غالبا ﴿وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ﴾: تعيبوا ﴿أَنفُسَكُمْ﴾: بعضكم بعضا، واللَّمز: الطعن باللسان، أو لا تفعلوا ما تستخفونه ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ﴾: لا يدعو بعضكم بعضا بما يكرهه، والنَّبْزُ عرفا: سوء اللقب ﴿بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ﴾: الصفة ﴿ٱلْفُسُوقُ﴾: من السخرية واللمز والنبز ﴿بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾: فإنه يأباها أو أراد تهجين نسبة الفسق إلى المؤمن ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ﴾: عنه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: ذكر ثلاثة أوصاف كل دون الآخر(٣)، إذ السخرية: الاستصغار(٤)، ثم اللّمْز الذي هو ذكره بعيب فيه، ثم في غيبته ثم النبز الذي هو مجرد تسميته ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾: أبهم ليحتاط في كل ظنٍّ ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ﴾ وهو ظن السوء بأهل الخير ﴿إِثْمٌ﴾: هو مَا تَستحق به العقوبة أو ما يثبط(٥) عن الثواب، قال الثوري: الظن ظنان، ما يتكلم به، وهو إثم، وما لا يتكلم به(٦) وهو ليس بإثم ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾: لا تتبعوا المعايب ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾: كمن قال في سلمان: لو بعثناه إلى بئر لغار ماؤها(٧)، والغيبة ذكره بما يكرهه ولو بغير لفظ وإن لم يكن فيه فبهتان(٨) ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾: إن عرض عليكم، أي:

= ٢٥٣/ ٦٨٥٣) والطبري في تفسيره (٢٦/ ٨٤)، وابن حبان في صحيحه (١٧٦١/ موارد)، والطبراني في الكبير (٢٢/ ٩٦٨، ٩٦٩)، وفي الأوسط (٢/ ١٢٣/ ١٤٥٦)، وأبو القاسم البغوي في معجم الصحابة (٣/ ٣٩١/ ١٣٢٧) و (٥/ ١٦)، وبان السني في عمل اليوم والليلة (٣٩٨)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٤/ ١٤٩، ١٥٠/ ٢١٣٢)، وابن قانع في معجم الصحابة (٢/ ٣٣) وسنده صحيح.

(١) والجماعة للنساء، ومنه قوله:

وَمَا أدري ولَسْتُ أخالُ أدري ... أَقَومٌ آلُ حِصْنٍ أمْ نساءُ

(٢) في (ن)، و(د): إلا حيث غلب.

(٣) في (ن)، و(د): كل دون ما بعده.

(٤) في (ع): الاستصغاء!!.

(٥) في (ن)، و(د): يثبطك.

(٦) في (ن)، و(د): وهو ليس.

(٧) ذكره الثعلبي في تفسيره (١٠/ ١٦٦) بلا إسناد، ولا يصح.

(٨) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٠١/ ٧٠) وأبو داود في سننه (٥/ ١٩١/ ٤٨٧٤) والترمذي في جامعه (٥/ ٣٢٩/ ١٩٣٤).

أكله فاكرهوا الغيبة فإنها مثله إذ اللحم يستر على العظام، وهو[1] كأنه يكشفه ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ﴾: مكثر قبول توبة التائب ﴿رَّحِيمٌ﴾: به ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ﴾: آدم ﴿وَأُنثَىٰ﴾: حواء ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا﴾: جمع شعب بالفتح، مجتمع القبائل ﴿وَقَبَآئِلَ﴾: هي مُجْتمع العمائر، وهي للْبُطُون وهيَ للأفخاذ، وهي للْفصائل، مثالها مرتبا: خُزيمة، كنانة، قريش، قُصيٌّ، هاشمٌ، عباسٌ، وقيل: بين الأفخاذ والفصائل: العشائر[2]، أو الشعوب، لمن لا يعرف نسبته كالعجم والقبائل للعرب أو للأبعد والأقرب وذكر الأعمَّ؛ لأنه أذهب بالافتخار ﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾: قرابتكم، فتصلوا[3] لا للتفاخر، إذ الفخر بالتقوى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾: بظواهركم وبواطنكم ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ﴾: البدويون[4] من بني أسد[5] حين جاءوا طمعا في الصدقة ﴿ءَامَنَّا﴾: صدقنا بقلوبنا، وما قاتلناك كبني فلان ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ﴾: إذ منتكم هذه تنافي طمأنينة قلوبكم ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا﴾: انقدنا ظاهرًا ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ﴾: إلى الآن ﴿فِى قُلُوبِكُمْ﴾: ولكنه يَتوقّعُ[6].

* **تنبيه**[7]: اعلم أن الإسلام هو الانقياد الظاهر المملوك بالشهادتين عند القدرة والإقرار بما ترتب عليه، والإسلام الصحيح إنما يكون مع الإيمان والشهادتين والصلاة والزكاة والصوم والحج، وقد ينفك الإسلام الظاهر عن الإيمان كما مر بخلاف الإسلام الحقيقي فلا ينفك، لكن الإيمان الحقيقي قد ينفك عن الإسلام الحقيقي في المصدق في قلبه التارك للأعمال- والله أعلم.

---

(١) أي: الغيبة.

(٢) الشعب أكبر من القبيلة ثم القبيلة، ثم العمارة ثم البطن، ثم الفخذ وقيل: الشعب ثم القبيل ثم الفصيلة ثم العشيرة ثم الذرية ثم العترة ثم الأسرة. * فقه اللغة للثعالبي (٢٥١، ٢٥٢).

(٣) يعني أرحامكم.

(٤) في (ن): البديون.

(٥) أخرجه الضياء في المختارة (١٠/ ٣٤٥/ ٣٧٣) والنسائي (٢/ ٣٢٤/ ٥٣٩/ تفسير) وسنده حسن.

(٦) يعني.

(٧) سقط التنبيه بتمامه من (ع).

﴿وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: بالقلب ﴿لَا يَلِتۡكُم[1]﴾: لا ينقصكم ﴿مِّنۡ﴾: جزاء ﴿أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔا﴾: الظاهر أن معناه: إذا أتيتم بما يليق بضعفكم من الحسنة فهو يؤتيكم ما يليق من الجزاء كفقير أهدى تفاحة إلى ملك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ۝ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ﴾: لضعف عقيدتهم، فيه إشارة إلى موجب نفي إيمانهم ﴿وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾: في الإيمان ﴿قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ﴾: تُخْبرون ﴿ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ﴾ بقولكم: آمنا ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ۝ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ﴾ بأن ﴿أَسۡلَمُواْ﴾: بلا قتال، أفاد أن الذي عبروا عنه بالإيمان هو الإسلام حقيقة، وأفاد بقوله ﴿قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُم﴾: أي: لإسلامكم أنه غير معتد به، بل إسلامٌ يليق بأمثالهم ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ﴾: بأن ﴿هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾: فيه فله المِنَّةُ عليكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾: فكيف يخفى عليه دينكم- والله أعْلَمُ.



---

(١) كتبه في (ن): يألتكم، وفي الهامش: «يلتكم»: حفص.

«سورة ق[١]»: مكية[٢]

إلا آية: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾[٣].

لَمَّا ذكر عدم إيمانهم أكده باليمين بقوله: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ قٓ﴾: كما مرَّ[٤]، أو إشارة إلى نحو: قضي[٥] الأمر، أو اسم جبل محيط بالدنيا من زبرجد[٦]، حلف بهذا[٧] ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾: العظيم أو ذي المجد، أي: سعة الكرم، فإنه تضمن كل المكارم وجوابه: ما آمنوا يدل عليه ﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾: بالبعث والجزاء ﴿فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: أي: قالوا: ﴿هَٰذَا﴾: الإنذار ﴿شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾: ﴿أَ﴾ نرجع ﴿إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ﴾: البعث ﴿رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾: عن الإمكان ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ﴾ تأكل ﴿ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾: هو اللوح، إذ فيه تفصيل كل شيء ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ﴾: القرآن ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ﴾: شأنه في ﴿أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾: مضطرب، جعلوه مرة سحرا ومرة شعرا وغير ذلك ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ﴾: منكروا البعث ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾: الكائنة[٨] فوقهم ﴿كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا﴾: رفعناها بلا عمد ﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾: بالكواكب ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾: فتوق، بل ملساء ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾: بسطناها ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا﴾ جبالا ﴿رَوَٰسِىَ﴾: ثوابت ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا﴾: الأرض ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍۭ﴾: صنف ﴿بَهِيجٍ﴾: حسن المنظر ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾:

---

(١) كلماتها (٣٧٥)، وحروفها (١٤٧٠) حرفا. * الوجيز (٢٩٧)، البيان (٢٣١)، البصائر (١/ ٤٣٧)، بشير اليسر (١٧٤)، عدد سور القرآن (٤١٦، ٤١٧).

(٢) في أكثر الأقاويل (٤١٥).

(٣) سقطت من (ع).

(٤) في مثلها من الحروف المقطعة التي هي من أسرار القرآن، ولا يجوز تفسيرها.

(٥) الله أعلم بهذه الأحرف المقطعة.

(٦) هذا الجبل من خرافات بني إسرائيل وأنه محيط بالدنيا.

* أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٣٠٧/ ١٨٦٢٤) ولا يصح.

(٧) في (د): به.

(٨) في (ن): الثابتة.

راجع إلينا بالتّفكُّر في صُنعنا ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا﴾: المطر ﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ﴾: الزَّرْع ﴿ٱلْحَصِيدِ﴾: الذي يحصد ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ﴾: طوالا أو حوامل ﴿لَّهَا طَلْعٌ﴾: أول ما يظهر[1] ﴿نَّضِيدٌ﴾: منضود بعضها فوق بعض؛ لكثرتها ﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ﴾: بالماء ﴿بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ﴾: الإحياء ﴿ٱلْخُرُوجُ﴾: من القبر للبعث ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ﴾: بئرٌ كان قومُ شعيب يعبدون الأصنام عندها كما مرّ[2] ﴿وَثَمُودُ ۞ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ﴾: قومه ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ﴾: قوم شعيب ﴿وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾: كما مر ﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ﴾: وجب عليهم ﴿وَعِيدِ﴾: أي: عذابي ﴿أَفَعَيِينَا﴾: عجزنا ﴿بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ﴾: حتى نعجز عن الإعادة ﴿بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ﴾: شبهة ﴿مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: بمخالفته[3] العادة لا إنكارًا لقدرتنا، نكرهُ تعظيما ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ﴾: الباء صلة ﴿نَفْسُهُۥ﴾: أي: ما تحدثه على سبيل الوسوسة ﴿وَنَحْنُ﴾: بعلمنا ﴿أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾: المخالط لأجزائه وهو عرقٌ في العنق، وقيل غير ذلك، وهو لغةً: أعمُّ من الشرايين النابتة[4] من القلب والأوردة النابتة من الكبد، وهذا مثل في نهاية القرب ﴿إِذْ يَتَلَقَّى﴾: يأخذ ويثبت الملكان ﴿ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾: ما يلفظه ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾: قعيد ﴿وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ أفاد بقربه علما غناه عن استحفاظهما فحكمته تشديد تَثبيطِنا عن المعصية ونحو ذلك ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ﴾: حتى أنينه في مرضه ﴿إِلَّا لَدَيْهِ﴾: ملك ﴿رَقِيبٌ﴾: يرقبه ﴿عَتِيدٌ﴾: حاضرهُ[5] واعلم أن صاحب الشِّمال كاتب المباح فتنبه[6]، وفي الحديث: «**إنَّ كاتب الحسنات أمين**[7] **على كاتب السَّيئات، فإذا عمل حسنةً كتبها ملك اليمين عشرا، وإذا**

---

(١) الطلع.

(٢) ليست في (ن).

(٣) في (ن)، و(د): لمخالفته.

(٤) في (ن): الثابتة، وهو خطأ.

(٥) في (ع): حاضر.

(٦) في (ن)، و(د): فراقب.

(٧) في (ن)، و(ع): أميرٌ.

عمل سيئة قال لصاحبه: دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر»[١]، ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ﴾: شدة ﴿ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّ﴾: الذي أنكرتموه من أمور الآخرة فالباء للتعدية، وأتى بالماضي لقربها ﴿ذَٰلِكَ﴾: الموت ﴿مَا كُنتَ﴾: يا إنسان ﴿مِنۡهُ تَحِيدُ﴾: تفر ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾: للبعث وقت ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ﴾: وقت إنجاز ﴿ٱلۡوَعِيدِ ۞ وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا﴾: ملكان ﴿سَآئِقٞ﴾: إلى المحشر ثم إلى مقعده، و ﴿وَشَهِيدٞ﴾: على أعماله، يقال للكافر: ﴿لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا﴾: اليوم ﴿فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾: الحاجب لأمور المعاد فعاينتها ﴿فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ﴾: يدرك ما أنكرته في الدنيا ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾: الملك الموكل عليه في الدنيا ﴿هَٰذَا﴾: الكتاب لأعمالك ﴿مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾: حاضر، فيقال للسائق والشهيد ﴿أَلۡقِيَا﴾: أيها الملكان، أو المخاطب واحد، والتثنية لتكرير الفعل ﴿فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ﴾: معاند ﴿مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ﴾: المال أو الإسلام ﴿مُعۡتَدٖ﴾: ظالم ﴿مُّرِيبٍ﴾: شاك في دينه ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلۡقِيَاهُ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾: ولما قال: رب إن الملك زاد علي في الكتابة ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ﴾: الملك ﴿رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ﴾: ما زدت عليه فيها ﴿وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلِۢ بَعِيدٖ﴾: عن الحق والاستئناف؛ لأنه جواب محذوف بخلاف الأول ﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ﴾: على لسان رسلي ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ﴾: بتعذيبكم ودلائل عفو العصاة تخصيص لا تبديل ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ﴾: ذو[٢] ظلم ﴿لِّلۡعَبِيدِ﴾: بتعذيب من لا يستحق وقد مر بيانه، اذكر ﴿يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ﴾: بأصحابك ﴿وَتَقُولُ﴾: جهنم ﴿هَلۡ مِن مَّزِيدٖ﴾: تطلب الزيادة أو تستبعدها أو ليس لي مزيد ﴿وَأُزۡلِفَتِ﴾: قربت ﴿ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾: بطي المسافة بينهما[٣] إكرامًا لهم كائنة ﴿غَيۡرَ بَعِيدٍ﴾: منهم بحيث يرونها، والتذكير لمعنى

---

(١) يشير إلى حديث: «صاحب اليمين أمير» أو «أمين» على صاحب الشمال، فإذا عمل العبد حسنة كتبها بعشر أمثالها، وإذا عمل سيئة فأراد صاحب الشمال أن يكتبها، قال له صاحب اليمين: أمسك... الحديث». أخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٧٧٨٧، ٧٩٧١)، والبيهقي في الشعب (٥/ ٧٠٤٩) وقال الألباني في ضعيف الجامع (٣٤٦٣) والضعيفة (٢٢٣٥): ضعيف جدا.

(٢) في (ن)، و(د): ذي.

(٣) في (ن): عنها.

البستان[١]، يقال لهم: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ﴾: بدل من المتقين ﴿أَوَّابٍ﴾: رجاع إلى الله تعالى ﴿حَفِيظٍ﴾: لحدوده ﴿مَّنْ﴾: بدل آخر ﴿خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾: في سره، أفاد بتخصيص الرحمن أنهم يخشونه مع علمهم بسعة رحمته والخشية: الخوف إلا أنه لوحظ في الأول ضعف الخاشي، وفي الثانية عظمة المخشي والهيبة ملحوظة في تقاليب[٢] (خ. ش. ي) ﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾: راجع إلى الله تعالى، يقال لهم: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾: من الله تعالى أو سالمين ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ﴾: تقدير ﴿ٱلْخُلُودِ﴾: في النعم ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾: على مشيئتهم[٣] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم﴾: قبل قريش ﴿مِّن قَرْنٍ﴾: من الكفار ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا﴾: قوة ﴿فَنَقَّبُوا۟﴾: فتشوا ﴿فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ﴾: لهم ﴿مِن مَّحِيصٍ﴾: مفر من الموت فلم يجدوا ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾: المذكور ﴿لَذِكْرَىٰ﴾: عظة ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾: عقل ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾: إلى النصح ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾: حاضر بالقلب ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: كما مر أو من الأحد إلى الجمعة ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾: تعب، لا كما قال اليهود: استراح في السبت واستلقى على العرش[٤] ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾: المكذبون ﴿وَسَبِّحْ﴾: صل ملتبسا ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾: الصبح ﴿وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾: هو العصر ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾: من المغربان[٥]، وقيل: الأول العصر، والثاني: التهجد، إذ قبل الإسراء كانت الثلاث فرضا ﴿وَأَدْبَٰرَ﴾: أعقاب ﴿ٱلسُّجُودِ﴾: الصلوات، أي: سنة الفجر أو النوافل بعد الصلوات ﴿وَٱسْتَمِعْ﴾: يا محمد ما أخبرك من الأهوال ﴿يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ﴾: إسرافيل ﴿مِن

---

(١) يعني: لم يقل: «غير بعيدة»؛ لأن «الجنة» هنا بمعنى: البستان.

(٢) في (س): تغاليبه.

(٣) وهو النظر إلى وجه الله تعالى.

(٤) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٤٣)، والطبري في تفسيره (٢٤/ ٦١)، وتاريخه (١/ ٢٨)، والواحدي في أسباب النزول (٢٦٦)، والنحاس في ناسخه (٢٢٦)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٢٠٢، ٢٠٣/ ٧٦٥) وأبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٣٦٢، ١٣٦٣/ ٨٧٨) وسنده حسن.

(٥) في البيضاوي: العشاءان.

مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾: من السماء هو [(١)] صخرة بيت المقدس، يقول: أيتها العظام البالية، واللحوم المتمزقة، هَلُمُّوا إلى الحشر لفصل القضاء[(٢)] ﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ﴾: بالبعث أي: النفخة الثانية، وناصبُهُ نحو: يَعْلمون عواقبهم ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴾: من القبور ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴾: للجزاء ﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ ﴾: تنشقُّ ﴿ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ﴾: مُسْرعين في الخروج ﴿ذَٰلِكَ ﴾: الحشرُ ﴿حَشْرٌ عَلَيْنَا ﴾: فقط ﴿يَسِيرٌ ۞ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ﴾: قريش ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ﴾: في إيمانهم، نُسِخت بالقتال ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾: فإنه منتفع به- [واللهُ أعْلَمُ بالصَّواب][(٣)].

۞۞۞

---

(١) في (د): هي.

(٢) أخرجه المشرف بن المُرجى في فضائل بيت المقدس (٣٢٩/ ٩٢)، والواسطي في فضائل البيت المقدس (٨٩/ ١٤٥) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٨/ ٢٣٨/ ٨٤٩٢)، والطبري في جامع البيان (٢٦/ ١١٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ١٨٦٤٧/ ٣٣١٠) وإسناده باطل.

* وانظر: الروض المغرس في فضائل البيت المقدس - للعلامة الحسيني (١/ ٣٢٥) بتحقيقي - دار البشائر الإسلامية - بيروت.

(٣) من (ن) فقط.



«سورة والذاريات[١]»: مكية[٢]

لمَّا بيَّنَ الحشر بدلائله أكّدهُ باليمين فقال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ وَ﴾: الرياح ﴿ٱلذَّٰرِيَٰتِ﴾: تذروا وتنسف التراب والأبخرة ونحوهما ﴿ذَرْوًا ۞ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ﴾: للسحب[٣] ﴿وِقْرًا﴾ حملا ﴿فَٱلْجَٰرِيَٰتِ﴾: في مهابها جَرْيًا ﴿يُسْرًا﴾: ذا يسر ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾: من نحو الأمطار، والفاء لترتيب الأفعال ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾: من البعث ﴿لَصَادِقٌ﴾: صدق أو مصدوق ﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ﴾: الجزاء ﴿لَوَٰقِعٌ ۞ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾: الطرق محسوسة ومعقولة جمع حبيكة أو حباك ﴿إِنَّكُمْ﴾: أيها المشركون ﴿لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾: في محمد أو القرآن بنسبة السحر والشعر وغيره ﴿يُؤْفَكُ﴾ يصرف ﴿عَنْهُ﴾: عن هذا القول ﴿مَنْ أُفِكَ﴾: صرف عنه في علمنا ﴿قُتِلَ﴾ لعن ﴿ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾: الكذابون ممن هو في القول المختلف ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ﴾: جهل يغمرهم ﴿سَاهُونَ﴾: غافلون عن الآخرة ﴿يَسْـَٔلُونَ﴾: استهزاء ﴿أَيَّانَ﴾: متى ﴿يَوْمُ﴾: وقوع ﴿ٱلدِّينِ﴾ هو مجيء ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾: يحرقون[٤]، يقال لهم ﴿ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ﴾: عذابكم ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾: في الدنيا ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۞ ءَاخِذِينَ﴾: بالرضا كل ﴿مَآ ءَاتَىٰهُمْ﴾: أعطاهم ﴿رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾: في الدنيا ﴿مُحْسِنِينَ ۞ كَانُوا۟﴾: زمانا ﴿قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا﴾: صلة ﴿يَهْجَعُونَ﴾: ينامون، والهجوع قليل من النوم ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾: الله ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ﴾: نصيب التزموه ﴿لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾: المتعفف عن السؤال، أوهما الآدمي وحيوان محترم غيره، أو في[٥] الزكاة والتطوع[١] ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ﴾: دلالات على كمال قدرتنا

---

(١) كلماتها (٣٦٠) كلمة، وحروفها (١٢٨٧) حرفا.

* الوجيز (٢٩٨)، البيان (٢٣٢)، البصائر (١/ ٤٣٩)، عدد سور القرآن (٤١٨).

(٢) في قولهم جميعا.

(٣) في (ن)، و(د): السحب.

(٤) فأصل الفتنة الحرق، يقال: فتنت الذهب والفضة، إذا أحرقتهما؛ لتظهر أصلهما ا.هـ.

(٥) في (ن): أوْهُما صدقتا... إلخ.

﴿لِّلْمُوقِنِينَ﴾: لطالبي اليقين[٢] ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾: آيات إذ ما في العالم شئ إلا وفينا نظيره كما مر في تفسير الفاتحة ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾: ذلك اعتبارا ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾: أسبابه ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾: من نحو الجنة، فإنها فوق السابعة[٣] ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ﴾: ما توعدون ﴿لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾: أي: مثل نطقكم، إذ لا تشكون في صدوره عنكم ﴿هَلْ﴾ قد ﴿أَتَىٰكَ﴾: يا محمد ﴿حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾: عند الله تعالى اثني[٤] عشر ملكا، أو جبريل وميكائيل وإسرافيل، أتوه في صورة الضيف ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾: بتقدير نسلم عليك ﴿قَالَ سَلَٰمٌ﴾: أي: عليكم، رفع ابتداء للثبات؛ ليكون أحسن[٥]، فقال في نفسه: ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾: أي: هيئة وشكلا، فلا ينافي تأخيره عن الضيافة في هود ﴿فَرَاغَ﴾: ذهب خفية ﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾: كدأب المضيف ﴿فَجَآءَ بِعِجْلٍ﴾: مشوي ﴿سَمِينٍ ۞ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ﴾: فلما امتنعوا عن أكله ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾: منه ﴿فَأَوْجَسَ﴾: أضمر ﴿مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ﴾: قيل: فمسح جبريل بجناحه العجل فقام يدرج حتى لحق أمه فعرفه[٦] ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾: إسحاق ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ﴾: كائنة ﴿فِى صَرَّةٍ﴾: صيحة أو جمع من النسوة كن معها ﴿فَصَكَّتْ﴾: لطمت بأطراف أصابعها ﴿وَجْهَهَا﴾: كعادة النساء في التعجب ﴿وَقَالَتْ﴾: أنا ﴿عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾: لم أَلِدْ قَطُّ ﴿قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ﴾: التبشير ﴿قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾: بصنعه ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بخلقه، أَفَادَت[٧] أن آداب الضيافة[٨] من تعجيلها وإخفائها وإكرام الضَّيف، وغيبة المضيف عنه ليستريح وخدمته بنفسه، واختيار الأجود له، وتقديم الطعام إليه في مكانه وعرض الأكل عليه لا أمره به،

---

(١) في (د): أوهما صدقتا الفرض والتطوع.

(٢) يعني: للناظرين المستدلين على قدرتنا بخلقنا وآياتنا.

(٣) سبق- وهي الفردوس الأعلى، رزقنا الله إيَّاها آمين.

(٤) كذا- والصواب: اثنا- وفي (ع): عند العاشر عشر ملكًا!!!.

(٥) أنوار التنزيل (٦٩١) أي: لتكون تحيته أحسن من تحيتهم.

(٦) النكت والعيون (٥/ ٣٧٠) بلا إسناد.

(٧) يعني الآيات.

(٨) أفردها الغزيُّ، والأقفهسي، وغيرهما كالسمناني، وأشار إليها أبو حامد الغزالي في الإحياء.

والسرور بأكله واعتذار الضيف إذا لم يصلح له الطعام بعذر حسن، كلا تخف. والله تعالى أعلم ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾: شأنكم ﴿أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾: كما مر ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾: قوم لوط ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾: الطين[١] المُتحجر، قيل: احترز من البرد[٢] فإنه يسمى حجارة ﴿مُّسَوَّمَةً﴾: معلمة، عليها اسم من يهلك بها ﴿عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ۝ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا﴾: أي: في قريتهم ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: أفاد أن المسيء ينجو[٣] ببركة مجاورة المحسن، وأن الكفر إذا غلب والفسق إذا فشا لا ينفع معه عبادة العباد بخلاف ما لو غلب الصلاح ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ﴾: أهل ﴿بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: لوط وأهله إلا امرأته، ولا يفهم اتحاد الإيمان والإسلام مفهومًا[٤]، إذ لا ينافي عموم الإسلام؛ لجواز صدق المفهومات المختلفة على ذات واحدة[٥] ﴿وَتَرَكْنَا﴾: إلى الآن ﴿فِيهَآ ءَايَةً﴾: علامة، وهي تلك الحجارة أو ماؤهم المنتن الأسود ﴿لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾: ليعتبروا ﴿وَ﴾: تركنا ﴿فِي﴾: قصة ﴿مُوسَىٰٓ﴾: آية ﴿إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ﴾: حجة[٦] ﴿مُّبِينٍ ۝ فَتَوَلَّىٰ﴾: عن الإيمان ﴿بِرُكْنِهِۦ﴾: أي: مع جنوده فإنهم ركن دولته ﴿وَقَالَ﴾: هو ﴿سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾: أسند خوارقه إلى الجن ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ﴾: طرحناهم ﴿فِي ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾: أت بما يلام عليه من الكفر ﴿وَ﴾: تركنا ﴿فِي﴾: قصة ﴿عَادٍ﴾: آية ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾: التي لا تنتج نفعا ﴿مَا تَذَرُ﴾: الريح ﴿مِن شَيْءٍ أَتَتْ﴾: مرت ﴿عَلَيْهِ﴾: مما قصدته ﴿إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾: البالي المتفتت أو الرماد ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ﴾: القائل صالح بعد العقر ﴿تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾: يأتي عذابكم أي: ثلاثة أيام كما مر ﴿فَعَتَوْاْ﴾: تمردوا ﴿عَنْ﴾: امتثال ﴿أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾: إليها نهارا ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٍ﴾: أي: نهوض في دفعها ﴿وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ﴾: ممتنعين منها

---

(١) في (ن): بالطين.

(٢) يعني الذي ينزل من السماء.

(٣) في (ن)، و(د): ينجبر.

(٤) في (ن)، و(د): ولم يلزم اتحاد الإيمان والإسلام مفهوما.

(٥) سبق تحقيق الفرق بين الإسلام والإيمان.

(٦) في (ن): بحجة.

﴿وَ﴾: أهلكنا ﴿قَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ۝ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾: بقوة ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾: ذوو سعة وقدرة ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾: بسطناها ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾: نحن ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ﴾: مما تشاهدونه(١) ﴿خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾: صنفين مختلفين كالسماء والأرض والسهل والجبل(٢) ونحوه ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: فتعلمون أن التعدد من خواص الممكن، قل لهم: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾: إلى عبادته من عقابه ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: كرره تأكيدا، قصتهم ﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا﴾: فيه ﴿سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝ أَتَوَاصَوْا﴾: كلهم ﴿بِهِ﴾ بهذا القول ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾: فطغيانهم جرَّهم إليه لا تواصيهم ﴿فَتَوَلَّ﴾: أعرض ﴿عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ﴾: بعد التبليغ ﴿وَذَكِّرْ﴾: بالقرآن ﴿فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾: في علمنا ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾: أي: بحيث يتأتي منهم العبادة وهذا كخلق الفرس للكرّ والفرّ، فلا ينافي: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾، واللام للعاقبة، وعن علي رضي الله تعالى عنه، إلا ليؤمروا بالعبادة(٣)، وعن مجاهد: إلا ليعرفون(٤)، وترك الملك مع أنه أكمل العباد المكلفين؛ لأن الكلام في ذم الكفرة لتركهم ما خلقوا له، وهو مختص بالثقلين أو لدخولهم في الجن(٥) لاستتارهم ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ﴾: لأنفسهم ﴿وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾: كالسادة مع عبيدهم، فليشتغلوا بما خلقوا له ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾: لكل ما يفتقر إلى الرزق ﴿ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾: شديد القوة ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا﴾: نصيبا من العذاب ﴿مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾: المُدَمَّرِيْن ﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾: بقولكم: متى هذا الوعد؟ ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾: القيامة أو بدر- واللهُ أعْلَمُ.



---

(١) في (د): يشاهدونه.

(٢) ليست في (ع).

(٣) أنوار التنزيل (٦٩٣).

(٤) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٣٨).

(٥) هذا فيه من سوء الأدب مع الملائكة ما فيه.



«سورة الطور[١]»: مكية[٢]

لَمَّا أوعدهم بالعذاب أكد وقوعه[٣] بالقسم فقال: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ وَٱلطُّورِ﴾: طور سيناء، أو جبل كلم فيه موسى، أو أرسل فيه عيسى ﴿وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٍ﴾: القرآن أو الكتاب السماوي[٤]، والسَّطْر ترتيب الحروف المكتوبة ﴿فِي رَقٍّ﴾: صحيفة ﴿مَّنشُورٍ﴾: وأصله جلد يكتب فيه ﴿وَٱلۡبَيۡتِ﴾: الكعبة ﴿ٱلۡمَعۡمُورِ﴾: بالحجاج[٥] أو بيت في السماء يسامتها يزوره في كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه أبدا[٦] ﴿وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ﴾: السماء أو العرش ﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ﴾: الموقد في القيامة، أو المملوء أو هو المحيط، وعن علي رضي الله تعالى عنه أنه بحر الحيوان، وهو بحر تحت العرش كما بين سبع سموات إلى سبع أرضين، فيه ماء غليظ يمطر العباد منه بعد النفخة الأولى أربعين صباحا، فينبتون في قبورهم[٧] ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ﴾: على الكفار ﴿مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ۞ يَوۡمَ تَمُورُ﴾: تضطرب ﴿ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا﴾: حين تتشقق ﴿وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا﴾: فتصير هباء ﴿فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾: رسلنا[٨]، أفهم أمان أهل الإيمان[٩] يومئذ منه ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ﴾: في الباطل ﴿يَلۡعَبُونَ ۞ يَوۡمَ يُدَعُّونَ﴾: يدفعون بعنف ﴿إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾: والجمع بينه وبين «يسحبون[١٠]» إلى آخره اختلاف الوقتين، يقال لهم:

(١) كلماتها (٣١٢) كلمة، وحروفها (١٥٠٠) حرف.

* الوجيز (٢٩٩)، البيان (٢٣٣)، البصائر (١/ ٤٤١)، وعدد سور القرآن (٤٢١).

(٢) في قولهم جميعا.

(٣) في (د): ذلك.

(٤) في (ن)، و(د): الكتب السماوية.

(٥) في (ن)، و(د): بالحاج.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٢١٩) ومسلم (١/ ١٥٠) والطبرى في جامع البيان (٢٧/ ١٦).

(٧) النكت والعيون (٥/ ٣٧٨) ورواه عبد الرزاق (٣/ ١٠٨٦) والطبري (٢٧/ ١٢).

* وانظر: الوسيط (٤/ ١٨٥)، معالم التنزيل (٤/ ٢٣٧).

(٨) في (د): رسلهم.

(٩) في (ن): المؤمنين.

(١٠) سورة القمر، وغافر.

﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۞ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ﴾: النار التي هي مصداق ما أوعدنا ﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾: هذا بإزاء قولهم: «إنما سكرت[1]»... إلى آخره[2]، وتذكير[3] هذا المعنى المصداق ﴿ٱصْلَوْهَا﴾: ادخلوها ﴿فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ﴾: الأمران ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ﴾: جزاء ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ﴾: تكريما وتعظيما ﴿فَٰكِهِينَ﴾: متلذذين ﴿بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَ﴾: قد ﴿وَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ يقال لهم: ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا﴾: متهنين[4] بلا تنغيص ﴿بِمَا﴾ أي: بسبب ما ﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: أشار بترك المفعول إلى كثرة أنواعهما ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾: بعضها في جنب بعض ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم﴾: قرناهم ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾: عظام الأعين، كما مرَّ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ[5] ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾: عظيم[6]، أو أقل ما ينطق عليه الاسم ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ[7]﴾: المذكورة في الجنة، أو في درجتهم وإن قل عملهم ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم﴾: نقصناهم ﴿مِّنْ﴾: ثواب ﴿عَمَلِهِم﴾: بهذا الإلحاق ﴿مِّن﴾: صلة ﴿شَيْءٍ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾: نفسه مرهونة عند الله تعالى إن أحسن فقد فكها، وإلا فأهلكها، وقيل: المراد به الكافر لقوله: «إلا أصحاب اليمين» في المدثر ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم﴾: زدناهم وقتا بعد وقت ﴿بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۞ يَتَنَٰزَعُونَ﴾: يتجاذبون ملاعبة ﴿فِيهَا﴾: في الجنة ﴿كَأْسًا﴾: خمرا ﴿لَّا لَغْوٌ﴾: من الكلام ﴿فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾: إيقاع في الإثم كخمر الدنيا ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾: بالكأس أو للخدمة ﴿غِلْمَانٌ﴾: مماليك ﴿لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾: مَصون في الصدق لصفائهم وفضل المخدوم[8] عليهم كفضل البدر على سائر الكواكب ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾: عن أحوالهم الماضية ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾: خائفين من عذاب

---

(١) سورة الحجر.

(٢) في (د): الخ.

(٣) في (د): ومن كسر.

(٤) في (ن): متهنئين.

(٥) في (ن): أنواعها.

(٦) في (ن): وأتبعناهم، وكتب في الهامش: «وأتبعناهم»: حفص.

(٧) فالتنكير للتعظيم.

(٨) في (ن): ذرياتهم، وكتب في الهامش: «ذريتهم»: حفص.

الله تعالى ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ برحمته ﴿وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾: النار النافذة في المسام ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ﴾: نعبده ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ﴾: المحسن ﴿ٱلرَّحِيمُ ۝ فَذَكِّرْ﴾: يا محمد ﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ ﴾: عليك ﴿بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ۝ أَمْ ﴾: عن الخليل أن كُلّ ﴿ أَمْ ﴾ في هذه السورة استفهامية، وقال أبو البقاء[1]: منقطعة فمعناه: بل أ﴿يَقُولُونَ ﴾: هو ﴿شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ﴾: حوادث ﴿ٱلْمَنُونِ﴾: الدهر أو الموت فنستريح ﴿ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ ﴾: انتظروا ﴿فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾: هلاككم وكلهم هلكوا في حياته عليه الصلاة والسلام[2] ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم ﴾: عقولهم ﴿بِهَٰذَآ ﴾: التناقض بنسبة الكهانة والجنون ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾: في عنادهم ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ﴾: اختلق القرآن من عنده ﴿بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾: فيرمونه بما ذكر لكفرهم ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ ﴾: مثل القرآن بلاغة ﴿إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾: في تقوله ﴿ أَمْ ﴾: بل أ ﴿خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ﴾: خالق ﴿أَمْ ﴾ بل أ﴿هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾: أنفسهم ولذا لا يعبدوننا ﴿ أَمْ ﴾: بل ﴿خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾: وهم يقولون أنه خالق الكل ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾: به ولذا لا يؤمنون بنبيه ﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ ﴾: فيعطون النبوة لمن شاءوا ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَۣيْطِرُونَ ﴾: المتسلطون على الأشياء يدبرونها[3] كيف يشاءوا ﴿ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ ﴾: إلى السماء ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾: أي:عليه كلام الملائكة فلذا ينازعون وحينا ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ ﴾: حجة لصدقه ﴿مُّبِينٍ ۝ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴾: مشعر بأن من هذا رأيه كيف يعد عاقلا فضلاً عن اطلاعه على الغيب ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا ﴾: على الرسالة ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ﴾: غرامة لك ﴿مُّثْقَلُونَ ﴾: يحملون الثقل ﴿ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾: منه فينازعونك فيه ﴿ أَمْ ﴾: همزته للتقرير ﴿يُرِيدُونَ كَيْدًا ﴾: بك في دار الندوه فيهلكوك[4] ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴾: يحيق بهم وباله، فقتلوا ببدر ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾: يعصمهم ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا ﴾: قطعة ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا﴾: كما اقترحوا بقولهم: «فأسقط» ﴿يَقُولُوا۟ ﴾: عنادا ﴿سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴾: تراكم

---

(١) في (ن): الخِدْمة.

(٢) في (ن)، و(د): ﷺ.

(٣) في (ن)، ،(د): يريدونها.

(٤) الوسيط (٤/ ١٩٠).

بعضها بعضا وليس للعذاب ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾: يموتون بالنفحة الأولى ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى﴾: يدفع ﴿عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۞ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا﴾: في الدنيا كالسبع والبدر[1] ﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾: العذاب في الآخرة ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: ذلك ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾: بما[2] يصل إليك من أذاهم ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾: بمرأى منا[3] ﴿وَسَبِّحْ﴾: ملتبسا ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: قُلْ: سُبْحانك اللهم وبحمدك ﴿حِينَ تَقُومُ﴾: من مجلسك أو من[4] منامك، أو إلى الصلاة ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾: بالتهجد وغيره، وخصَّه[5]؛ لأنه أشق عبادة وأبعد من الرياء ﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾: أي: إذا أدبر وغاب بسبب ضوء الصبح، ومنه صلاة الفجر.



---

(١) يعني في دعاء النبي ﷺ عليهم: «**اللهم جعلها عليهم سبعًا كسني يوسف**».

(٢) في (ن): ممَّا.

(٣) في (ن): منها.

(٤) ليست في (ن).

(٥) في (ن)، و(د): خصه.



«سورة[١] النجم[٢]»: مكية[٣]

لَمَّا بيَّنَ صدقه ﷺ وبراءته مما رموه به، أكَّده بالقسم عليه بالنجم الغارب لمناسبته مع إدبار النجوم، فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَالنَّجْمِ﴾: جنسه أو الثريا، وفي الحديث: «ما طلع النجم قط وفي الأرض من العاهة شيءٌ إلا رفع[٤]» أَوْ مِنَ القرآن[٥] ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾: غرب أو نزل ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾: عليه الصلاة والسلام ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾: ما اعتقد باطلا ﴿وَمَا يَنطِقُ﴾: القرآن ﴿عَنِ الْهَوَىٰ﴾: هوى نفسه ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ﴾ منطوقه ﴿إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾: إليه ﴿عَلَّمَهُ﴾: ملك[٦] ﴿شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾: جبريل ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾: قوة شديدة أو إحكام في العقل، أو منظر حسن ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾: استقام على صورته الحقيقية، فرآه ﷺ كذلك، أو استوى بقوته على دنو محمد ﷺ ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿ثُمَّ دَنَا﴾: من محمد ﷺ في صورة آدميّ ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾: فنزل عليه مع تعلقه بمكانه لشدة قوته ﴿فَكَانَ﴾: منه ﴿قَابَ﴾: قدر ﴿قَوْسَيْنِ﴾: مما يرمى به، أو ما يُقاس به بمعنى ذراعين أو: قلب قاب قوس، وهو منه ما بين المقبض والسِّية[٧] ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾: منه على تقديركم، والمقصود تمثيل غاية القرب ﴿فَأَوْحَىٰ﴾: جبريلُ ﴿إِلَىٰ عَبْدِهِ﴾: تعالى ﴿مَا أَوْحَىٰ﴾: أو كل الضمائر

---

(١) في هامش (ن): بلغ مقابلة.

(٢) كلماتها (٣٦٠) كلمة، وحروفها (١٤٠٥) حرفا.

* الوجيز (٣٠١)، البيان (٢٣٤) البصائر (١/ ٤٤٢)، عدد سور القرآن (٤٢٤).

(٣) في أكثر الأقاويل.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣٨٨) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٠٩٦)، والضعيفة (٣٩٧). وفي رواية: «إذا طلعت الثريا أمن الزرع من العاهة». أخرجه الطبراني في الصغير (١/ ٤١) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٨٥)، والضعيفة (٣٩٧) وفصل القول فيه العلامة النابلسي في «برهان الثبوت».

(٥) لأنه نزل منجما، أي: مفرقا.

(٦) في (ن)، و(د): ذلك.

(٧) طرف القوس المنحني.

إلى الله تعالى كما عليه[١] ابن عباس والحسن، ومحمد بن كعب[٢]، وجعفر بن محمد[٣]، وغيرهم، والأول للأكثرين، وهو تعالى شديد القوة ذو مرة؛ لأنه ذو القوة المتين ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ﴾: فؤاد محمد عليه الصلاة والسلام[٤] ﴿مَا رَأَىٰٓ﴾: ببصره من جبريل أو ربه تعالى، أي: لم يكن تخيلا كاذبا ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ﴾: تجادلونه ﴿عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۞ وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾: بصورته نازلا ﴿نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾: ليلة الإسراء، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه رأى ربه[٥]، والجمهور على الأول ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾: التي ينتهي إليها علم الخلائق وأعمالهم، وهي في السماء السابعة، أو عن يمين العرش لا يتجاوزها[٦] أحد، وهي ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾: مأوى الملائكة أو المتقين ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ﴾: ما لا يحصى من عباد الملائكة ﴿مَا يَغْشَىٰ ۞ مَا زَاغَ﴾: مال ﴿ٱلْبَصَرُ﴾: بصره ﷺ عما رآه[٧] ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾: تجاوزه أدبا واستيقانا والله ﴿لَقَدْ رَأَىٰ﴾: فيها ﴿مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾: الملكية[٨] والملكوتية كجبريل في ستمائة جناح، وأكثر أجلة المحدثين كما نقله الشيخ ابن كثير على أنه ما صح من الصحابة رؤيته عليه الصلاة والسلام[٩] بالبصر[١٠]، وعليه الصوفية ﴿أَ﴾ بعد هذا البيان بقيتم على مرائكم[١١] ﴿فَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ﴾: صنم عبده ثقيفٌ بالطائف[١٢]، عنوا

---

(١) في (ن)، و(د): وعليه.

(٢) القرظيّ.

(٣) جعفر الصادق بن محمد الباقر - رحمهما الله-.

(٤) في (ن)، و(د): ﷺ.

(٥) خلاف بين السلف. * وانظر: معارج القبول للإمام الحكمي، وشرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي.

(٦) في (ن)، و(د): يجاوزها.

(٧) في (ن): رأى.

(٨) في (ن): الملائكة.

(٩) في (ن)، و(د): ﷺ.

(١٠) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٥٠) قال: وفي رواية عنه- أي: ابن عباس أنه أطلق الرؤية، وهي محمولة على المقيدة بالفؤاد ومن روى عنه بالبصر فقد أغرب، فإنه لا يصح في ذلك شيء عن الصحابة رضي الله عنهم.

(١١) جداكم وشككم.

(١٢) النكت والعيون (٥/ ٣٩٧).

بها مؤنث الله[١] ﴿وَٱلْعُزَّىٰ﴾: من العزيز[٢]، شجرة عبدها غَطفانُ بين مكة والطائف ﴿وَمَنَوٰةَ﴾: من مناه أي: قطعه، صنم بين الحرمين عبده هذيل أو ثقيف في مذبح قرابينهم، أو هي لقريش بنخلة ﴿ٱلثَّالِثَةَ﴾: للأولين ﴿ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾: المتأخرة رتبة عندكم، وثاني مفعولي رأيتم بنات الله الدال عليه ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾: إذ كانوا يكرهون البنات ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾: جائرة ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هِيَ﴾: المذكورات ﴿إِلَّآ أَسْمَآءٌ﴾: لخلوها عن معنى الألوهية ﴿سَمَّيْتُمُوهَآ﴾: بها ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ أي: بعبادتها ﴿مِن سُلْطَٰنٍ﴾: حجة ﴿إِن﴾: ما ﴿يَتَّبِعُونَ﴾: بعبادتهم ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾: أي: توهم حقيته ﴿وَمَا تَهْوَى﴾: تشتهيه ﴿ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾: الرسول بالكتاب فتركوه ﴿أَمْ﴾: بل ﴿لِلْإِنسَٰنِ﴾: كل ﴿مَا تَمَنَّىٰ﴾: كشفاعة الأصنام، لا ﴿فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾: الدنيا، يعطي ما يشاء لمن يشاء منهما ﴿وَكَم﴾: كثيرا ﴿مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مع كرامتهم ﴿لَا تُغْنِي﴾: لا تنفع ﴿شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ﴾: لهم فيها ﴿لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾: فكيف يشفع جماد ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾: بأنهم بنات الله ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ﴾ بقولهم ﴿مِنْ عِلْمٍ إِن﴾: ما ﴿يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي﴾: لا ينفع ﴿مِنَ ٱلْحَقِّ﴾: وهو المعارف اليقينية ﴿شَيْـًٔا﴾: والظن إنما يعتبر فيما يتعلق بالعمل، وقيل: الظن المغني، ظن حصل من النظر ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾: ولم يتدبر فيه ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ العاجلة ﴿ذَٰلِكَ﴾: أمر الدنيا ﴿مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾: لا يتجاوزونه ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾: فلا تتعب ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أي: خلقهما ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾: من المثوبات هم ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾: ما فيه وعيد شديد ﴿وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾: منها خصوصا ﴿إِلَّا﴾: لكن ﴿ٱللَّمَمَ﴾: الصغيرة كما دون الزنا، نحو القبلة، فتغفر باحتناب الكبائر، وأصله مُقاربة[٣] المعصية ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾: يغفر

---

(١) الوسيط - للواحدي (٤/ ١٩٩).

(٢) الوسيط (٤/ ١٩٩)، الأصنام - لابن الكلبي (٢٥، ٢٦)، الجامع - للقرطبي (٨/ ٦٢٧٠).

(٣) كذا، وفي (ن): مقارنة، يعني: فعلها، والاقتران بها. وفي (ح): مقارفة- يعني: اكتساب، والصواب ما =

اللَّمَم وغيره فلا ييأس صاحب الكبائر ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾: منكم ﴿إِذْ أَنشَأَكُم﴾: أي: آدم ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ﴾: جمع جنين ﴿فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟﴾: تمدحوا ﴿أَنفُسَكُمْ﴾: إعجابا وجاز اعترافا بنعمته ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾: وقد ورد أنه يقال في المدح: أحسبه كذا والله حسيبه[1] ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾: عن الإيمان كوليد بن المغيرة[2]، آمن فعيره مشرك فقال: أخشى عذاب الله فقال: أنا أتحمله إن أعطيتنى كذا وكذا، فارتد[3] ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا﴾: مما وعد ﴿وَأَكْدَىٰٓ﴾: منع عن الباقي ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾: يعلم أنه يتحمل عذابه؟ ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ﴾: ولأشهر صفحِه[4] قدمها على ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾: تمم ما أُمر به، خصَّه به؛ لاحتماله ما لم يتحمله[5] غيره كالنار والذبح وغيره ﴿أَلَّا﴾ أنه ﴿لَا تَزِرُ﴾: نفس ﴿وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾: كما مر، وكان قبله يؤخذ الأب بالابن والأخ بالأخ وهكذا، وبيان هذا المقام مضى في الأنعام ﴿وَأَن﴾: أنه ﴿لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾: عن ابن عباس: نسخت بنحو: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، وقيل: لا؛ لأنهما خبران، بل ذلك مخصوص بقومهما، وذا مخصوص بنا[6]، وكذا في نحو: الحج والصوم والصدقة عن الميت؛ لما صح في الخبر فالناوي له فيها كنائبه ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ في ميْزانه ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ﴾: أي: الإنسان سعيه ﴿ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾: الأوفر ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾: المرجع ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ ،خصهما بالذكر؛ لاختصاص الإنسان بهما من بين الحيوانات، ولو صح أن القرد يضحك والإبل تبكي فلا يضر؛ لانفراد كل منهما بواحد ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾: لا غير، فالقاتل ينقض البنية والموت يحصل عنده على عادة الله تعالى ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ

= أثبت.

(١) تمامه: «ولا أزكي على الله أحدا» وهو حديث صحيح تقدم.

(٢) في (ن)، و(د): مغيرة.

(٣) تفسير الطبري (٢٧/ ٤٢) وسنده ضعيف.

(٤) في (ن)، و(ح): ولأشهريته.

(٥) في (ن): يحمله.

(٦) في (ن)، و(د): كل واحد مخصوص بقوم.

﴿وَٱلْأُنثَىٰ ۝ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾: تدفق في الرحم ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ﴾: الخلقة ﴿ٱلْأُخْرَىٰ﴾: للبعث وفاء بوعده ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ﴾: الناس بكفايتهم ﴿وَأَقْنَىٰ﴾: أعطاهم القنية أي: ما يدخر بعد الكفاية ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾: العُبور[1]، كوكبٌ خلف الجوزاء، خصه؛ لأنه عبده أبو كبشة[2] جده ﷺ من الأم، وهو أضوأُ من الشعرى الأخرى الغميصاء من نجوم الأسد ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾: قوم هود، والأُخرى إرم ﴿وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ﴾: منهم ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾: أي: قبلهما ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾: منهما لطول لبثه فيهم وتعذيبهم له ﴿وَ﴾: القرى ﴿ٱلْمُؤْتَفِكَةَ﴾: المنقلبة بقوم لوط ﴿أَهْوَىٰ﴾: أسقطها إلى الأرض ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾: من العذاب ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾: تتشكك يا وليد، عدها نعمة باعتبار أنها عظة ونصرة لأنبيائه ﴿هَٰذَا﴾: الرسول ﴿نَذِيرٌ مِّنَ﴾: جنس ﴿ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ۝ أَزِفَتِ﴾: قربت ﴿ٱلْآزِفَةُ﴾: القيامة القريبة ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: نفس ﴿كَاشِفَةٌ﴾: عن علمها أو قادرة[3] عن كشف شدائدها إلا الله ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾: القرآن ﴿تَعْجَبُونَ ۝ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾: لوعيده ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾: لَاهُوْن عنه، بعد نزوله، ما ضحك[4] ﷺ قط، أو مستكبرون أو مغنون ﴿فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ﴾: فقط ﴿وَٱعْبُدُواْ﴾ .



---

(١) الشعرى: كوكب عرفه العرب، وهما شعريان:
- الشعرى العبور، قيل: لأنها عبرت المجرة.
- الشعرى الغميصاء، وهي المقابلة لها.
* الجمان في تشبيهات القرآن - لابن ناقيا (٢٤١).

(٢) الجمان (٢٤١)، النكت والعيون (٥/ ٤٠٥)، الكشاف (٤/ ٤٢٨، ٤٢٩).

(٣) في (ن): أقادرة.

(٤) كان أكثر ضحكه ﷺ تبسما.



«سورة القمر[١]»: مكية[٢]

إلَّا آية: ﴿سَيُهْزَمُ﴾.

لَمَّا قال: ﴿أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ﴾، بينها بقوله سبحانه وتعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾: القيامة ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾: ليلة البدر[٣] فلقتين حين سألوه ﷺ، وهو علامة قربها[٤] ﴿وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً﴾: معجزة ﴿يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ﴾: هي ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾: مُطَّرد، لما رأوا تتابع معجزاته، أو محكم[٥] ﴿وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ﴾: في تكذيبه ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾: منته إلى غاية من خير أو شر ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم﴾: في القرآن ﴿مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ﴾: من إهلاك الأمم المكذبة ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾: ازدجار وزجر عما هم فيه، هو ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾: تامة ﴿فَمَا تُغْنِ﴾: تنفع فيهم ﴿ٱلنُّذُرُ﴾: الإنذار جمع نذير، بمعنى المنذر أو المنذر منه ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾: نسخ بالقتال ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾: إسرافيل[٦] بالنفخة الثانية ﴿إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾: منكر تنكره النفس ﴿خُشَّعًا[٧] أَبْصَٰرُهُمْ﴾: بالإفراد ظاهر، وبالجمع حسن بخلاف[٨] نحو: قائمين[٩] غلمانه، لأن

---

(١) كلماتها (٣٤٢) كلمة، وحروفها: (١٤١٣) حرفا.

* الوجيز (٣٠٣)، البيان (٢٣٧)، البصائر (١/ ٤٤٥)، عدد سور القرآن (٤٢٧).

(٢) في أكثر الأقاويل، وقيل: عن الحسن أنها مدنية.

(٣) يعني ليلة اكتمال القمر.

(٤) يعني القيامة.

(٥) يعني كملة «مستمر» تأتي بمعنى محكم أيضا.

(٦) أخرجه أبو داود (٤/ ٣٥/ ٣٩٩٩)، وأحمد (٣/ ١٣/ ١١٠٧٥) والحاكم (٢/ ٢٦٤).

وقال القرطبي: قال علماؤنا: والأمم مجمعون على أن الذي ينفخ في الصور إسرافيل - عليه والسلام.

* التذكرة (١/ ٣٥٣).

(٧) كتبها في (ن): خاشعًا. وفي الهامش: «خُشَّعًا»: حفص.

(٨) قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف وابن عباس والأعمش: «خاشعا».

* إتحاف (٤٠٤)، الحجة (٣٣٧)، السبعة (٦١٨)، غيث النفع (٣٦١)، النشر (٢/ ٣٨٠).

(٩) في (ن)، و(د): قاعدين غلمانهم.

صيغته لا تشبه الفعل ﴿يَخْرُجُونَ﴾ الناس ﴿مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾: القبور ﴿كَأَنَّهُمْ﴾: حيرةً وانتشارًا ﴿جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۞ مُّهْطِعِينَ﴾: مسرعين مادي أعناقهم ﴿إِلَى﴾: صوب ﴿ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۞كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾: قبل قريش ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾: الرسل ﴿فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا﴾: نوحا ﴿وَقَالُواْ﴾: هو ﴿مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ﴾: زجر بالأذيات ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي﴾ أي: بأني ﴿مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾: انتقم لي ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾: ينصب[1] غاية أربعين يوما ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ﴾: حال كون كلها ﴿عُيُونًا﴾: أصله فجرنا عيونها فغير مبالغة ﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ﴾: منهما ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ﴾ أي: حال ﴿قَدْ قُدِرَ﴾: أزلا بلا تفاوت ﴿وَحَمَلْنَٰهُ﴾: نوحا ﴿عَلَىٰ﴾: سفينة ﴿ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾: جمع دسارٍ[2] ما يشد به الألواح ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾: بمرأى منا حفظا، وفعلناه ﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾: هو نوحٌ؛ فإنه نعمةٌ كفروها ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ﴾: الفعلة ﴿ءَايَةً﴾: عبرة ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾: معتبر[3] بها ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾: إنذاري كما مر[4]، جمعه ووحد العذاب إشارة إلى غلبة رحمته، إذ الإنذار للإشفاق ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا﴾ سهلنا ﴿ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾: للاتعاظ والحفظ ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾: كرّرها؛ إشعارا بأن استماع كل قصة يستدعي الاتعاظ، واستئنافا للتنبيه ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾: هودا ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾: لهم ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾: شديد الهبوب، أو البرد[5] ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ﴾: على أعداء الدين فقط ﴿مُّسْتَمِرٍّ﴾: عليهم شؤمه، كان أربعاء آخر الشهر، واستجيب فيه لرسول الله ﷺ بين ظهره وعصره، وإنما أفرد هنا وقال في السجدة[6]: «أيام نحسات»، وفي الحاقة: «سبع ليال»... إلى آخره، إذ المراد[7] باليوم هنا: الوقت كما مر، وبالاستمرار امتداده أياما، وهنا اختصر حكايتهم وبسط فيهما ﴿تَنزِعُ﴾ تقلع

---

(١) في (ن)، و(د): منصب.

(٢) وهو المسمارُ.

(٣) في (ن)، و(د): يعتبر.

(٤) أو ابتداء اليوم.

(٥) سبق في سورة «فصلت».

(٦) سورة فصلت.

(٧) في (ن)، و(د): لأن المراد.

﴿ٱلنَّاسَ﴾: من الشعاب والحفر التي اندسوا فيها فرمتهم على رؤوسهم، وروي[١] أنها قلعت رؤوسهم أولا ثم كبتهم على وجوههم ﴿كَأَنَّهُمْ﴾: في طول قامتهم مصروعين بلا رؤوس ﴿أَعْجَازُ﴾: أصول ﴿نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾: مُنْقلع، ذكره لفظًا[٢] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾: كما مر ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۞ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ﴾: بالإنذار الذي جاء به صالحٌ، أو بالرسل ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا﴾: لاتبع له ﴿نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾: جمع سعير، بمعنى «عذاب»، أو هو الجنون ﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ﴾: الوحي ﴿عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾: وفينا أحق منه ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾: شديد البطر[٣]، وهو أبلغ من الفرح، ولا يكون إلا بحسب الأهواء ثم قال تعالى لصالح ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾: عند نزول عذابهم ﴿مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ۞ إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ﴾: من الصخرة كما مر ﴿فِتْنَةً﴾: امتحانا ﴿لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ﴾: فيما يصنعون ﴿وَٱصْطَبِرْ﴾: على أذاهم ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ﴾: مقسوم ﴿بَيْنَهُمْ﴾: يوم لهم ويوم لها[٤] ﴿كُلُّ شِرْبٍ﴾: نصيب منه ﴿مُّحْتَضَرٌ﴾: يحضره صاحبه، فكرهوا ذلك ﴿فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ﴾: قدار بن سالف ليعقرها وكان أشقر لقبه أُحَيْم ثمود[٥] ﴿فَتَعَاطَىٰ﴾: تناول السيف ﴿فَعَقَرَ﴾: ها ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى﴾: لهم ﴿وَنُذُرِ﴾: كما مر ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾: من جبريل ﴿فَكَانُواْ كَهَشِيمِ﴾: يابس الحشيش الساقط المداس ﴿ٱلْمُحْتَظِرِ﴾: الذي[٦] اتخذ حظيره من يابس الحشيش لغنمه ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ

---

(١) في (ن)، و(د): أو قلعت رؤوسهم.

(٢) يعني قال: «مُنقعر» ولم يقل: منقعرة حملًا على لفظ الجمع وهو «نخل» فهو مذكر، تقول: هذا نخلٌ. وأما التأنيث في قوله: «أعجاز نخل خاوية» فللمعنى- أنوار التنزيل للبيضاوي (٧٠٣).

(٣) الأشِر: الفَرِحُ المتكبر. وقال الهرويُّ: الأشرُ: اللَّجُوجُ في الكذب.

قال الراغب: الأشر: شدة البطر، فالأشر أشد من البطر، والبطر أشد من الفرح وإن كان مذموما في أكثر الأحوال فقد يمدح في بعض المواضع وذلك أن الفرح قد يكون من سرور بحسب قضية العقل، والأشر لا يكون إلا فرحا بحسب قضية الهوى. * عمدة الحفاظ (١/ ٩٢، ٩٣).

(٤) أي: الناقة.

(٥) ترويح أولي الدماثة (٢/ ١٧٢)، تاج العروس (١٣/ ٣٧٧)، البداية والنهاية (١/ ١٣٥)، غرر التبيان (٤٩٦)، صفحات الأقران (٤٥)، الوسيط (٤/ ٢١١).

(٦) في (ع): المتخذ قطره.

مِن مُّدَّكِرٍ ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطِۭ بِٱلنُّذُرِ﴾: على لسانه ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ﴾ ريحا ﴿حَاصِبًا﴾: تحصبهم،أي ترميهم بالحجارة فهلكوا ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ﴾: السدس الأخير من الليل وقيل: السحر الأعلى: انصداع الفجر، والآخر عند انصرافه ﴿نِّعۡمَةٗ﴾: إنعامًا ﴿مِّنۡ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ﴾: الإنْعَامُ ﴿نَجۡزِي مَن شَكَرَ﴾: نعمتنا بالطاعة ﴿وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم﴾: لوط ﴿بَطۡشَتَنَا﴾: أخذتنا بالعذاب ﴿فَتَمَارَوۡاْ﴾: فتشاكوا ﴿بِٱلنُّذُرِ﴾: الإنذار ﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ﴾: طلبوا منه تمكينهم ليخبثوا بهم وهم الملائكة، كما مر ﴿فَطَمَسۡنَآ﴾ مسخنا ﴿أَعۡيُنَهُمۡ﴾: فاستوت مع وجوههم ﴿فَذُوقُواْ﴾: أي: فقلنا لهم: ذوقوا ﴿عَذَابِي وَ﴾: ثمرة ﴿نُذُرِ﴾: أي: إنذاري ﴿وَلَقَدۡ صَبَّحَهُم بُكۡرَةً﴾: أول النهار ﴿عَذَابٞ مُّسۡتَقِرّٞ﴾: دائم إلى عذاب النار ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾: كما مر ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ۞ وَلَقَدۡ جَآءَ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ﴾: معه أو كما مر ﴿ٱلنُّذُرُ﴾: على لسان موسى وغيره، وقيل: حين جاء إلى القبط كان فرعون غائبا ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: التسع ﴿كُلِّهَا فَأَخَذۡنَٰهُمۡ﴾: بالعذاب ﴿أَخۡذَ عَزِيزٖ﴾: لا يغالب ﴿مُّقۡتَدِرٍ﴾: لا يعجز ﴿أَكُفَّارُكُمۡ﴾: يا قريش ﴿خَيۡرٞ﴾: قوة ﴿مِّنۡ أُوْلَٰٓئِكُمۡ﴾: الكفار ﴿أَمۡ﴾: نزلت ﴿لَكُم بَرَآءَةٞ فِي ٱلزُّبُرِ﴾: الكتب السماوية ﴿أَمۡ يَقُولُونَ نَحۡنُ جَمِيعٞ﴾: جماعة ﴿مُّنتَصِرٞ﴾: على محمد، قاله أبو جهل فنزل[1]: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾: فهزموا ببدر ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ﴾: لعذابهم ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ﴾: أعظم دهاء، أي: فظاعة بحيث لا يُهْتدى لِدوائها[2] ﴿وَأَمَرُّ﴾: مَذاقًا من عذابهم بالدنيا ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾: هم القدرية عند الأكثر[3]، ويؤيدهم[4] الحديث ﴿فِي ضَلَٰلٖ﴾: في الدنيا ﴿وَسُعُرٖ﴾: نار شديدة في الآخرة ﴿يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ﴾: يجرون ﴿فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ﴾: يقال لهم: ﴿ذُوقُواْ مَسَّ﴾ حر ﴿سَقَرَ﴾:

---

(١) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كان ذلك يوم بدر، قالوا: نحن جميع منتصر، قال: فنزلت هذه الآية. أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٤/ ٣٥٧/ ١٨٥٠٩)، وابن منيع في مسنده (٩/ ٤٩/ ٤١٢٩ / المطالب) والطبري في جامع البيان (٢٧/ ٦٤) وسنده حسن.

(٢) في (ح)، و(د): دوائرها وهو خطأ؛ إذ الداهية أمر فظيع لا يهتدي لدواله، وفي (ن): إلى داوئها.

(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ فنزلت: ﴿يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾. أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٤٦، ٢٦٥٦).

(٤) يعني يؤيد الأكثر.

جهنم، جعل السبب مكان المسبب ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ﴾: كائنا ﴿بِقَدَرٍ﴾: تقتضيه حكمتنا أو بقدر في اللوح قبل وقوعه، وبرفع كل شيء «مبتدأ»، و﴿خَلَقْنَٰهُ﴾ خبر لا نعت ليطابق الأول[1] ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا﴾: فعلة أو قولة ﴿وَٰحِدَةٌ﴾: هي الإيجاد بلا معالجة أو قوله كن ﴿كَلَمْحٍ﴾: نظـر بالعجلـة ﴿بِٱلْبَصَرِ﴾: يـسرا وسـرعة ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ﴾: أشباهكم في الكفر ممن كان قبلكم ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾: متعظ ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ﴾: مكتوب ﴿فِي ٱلزُّبُرِ﴾: كتب الحفظة ﴿وَكُلُّ﴾: عمل ﴿صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾: مسطورٌ في اللوح ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾: أنهار، فُصِّلت في القتال[2] أو ضياء ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾: مكان مرضيٍّ آثره على المجلس؛ لأن القُعود جلوسٌ فيه مُكْثٌ، مُقربين ﴿عِندَ مَلِيكٍ﴾: عَظيم الملك ﴿مُّقْتَدِرٍ﴾: على كل شيءٍ.



---

(١) وهي قراءة أبي السمال. * البحر المحيط (٨/ ١٨٣)، تفسير الفخر الرازي (٢٩/ ٧٢).

(٢) سورة محمد: ﴿أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾. ا.هـ.



«سورة الرحمن[١]»: مكية[٢]

قيل: إلَّا قوله: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ﴾، الآيتين.

لَمَّا وَعَدنا ما أعدَّلنا من جلائل نعمه في العُقْبى، وصف نفسه بكمال الرحمة، وعد علينا فواضل نعمه في الدنيا فقال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ ٱلرَّحْمَٰنُ ۞ عَلَّمَ﴾: عباده ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾: بتيسير فهمه، وأما قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ﴾... إلى آخره[٣] عند من يقف على الجلالة، فعلى الغالب، أو بمعني: لا يعلمه أحد بقوة ذكائه ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۞عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾: التعبير عما في الضمير أو هو آدم، علمه اللغات، وكان يتكلم بسَبْعمائة ألف لغة[٤][٥]، أفضلها العربية، وقدم التعليم على الخلق؛ لأنه سبب الإيجاد ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾: يجريان ﴿بِحُسْبَانٍ﴾: لاتساق أمور السفليات، جمع حساب أو بمعناه، وترك العطف تعديدًا ﴿وَٱلنَّجْمُ﴾: الكوكب،أو نبات بلا[٦] ساق ﴿وَٱلشَّجَرُ﴾: ذو ساق ﴿يَسْجُدَانِ﴾: ينقادان له فيما أراد منهما ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ﴾: أثبت ﴿ٱلْمِيزَانَ﴾: العدل، فوفر على كل مستعد مستحقه لانتظام أمر العالم ﴿أَنْ﴾ لأن ﴿لَا تَطْغَوْا۟﴾: تعتدوا ﴿فِى ٱلْمِيزَانِ﴾: بأخذ الزائد ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ﴾: أي: افعلوه ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾: بالعدل ﴿وَلَا تُخْسِرُوا۟﴾: تنقصوا ﴿ٱلْمِيزَانَ﴾: أو لا تطغوا[٧] بالزيادة

---

(١) كلماتها (٣٥١) كلمة، وحروفها (١٦٣٦) حرفا.

* الوجيز (٣٠٤)، البيان (٢٣٧)، البصائر (١/ ٤٤٧)، عدد سور القرآن (٤٣٠، ٤٣١).

(٢) في (ن): سورة المؤمن مكيَّة، وضرب عليها ثم كتب في الهامش: سورة الرحمن مكية. وفي البيضاوي ص٧٠٥: مكية أو مدنية أو متبعضة.

(٣) سورة آل عمران.

(٤) في (ن)، ،(د): بسبعمائة ألف لغة.

(٥) هذا ونحوه من المبالغات التي تزخر بها كتب التفسير والتاريخ ونحوهما إلا أن يكون المراد لغات البشر وغيرها.

(٦) يقال لكل ما نجم من الأرض «نجم» ا.هـ.

(٧) في (ن): تعطوا.

والنقصان، ولا تخسروا ميزان أعمالكم، فتلك ثلاثة موازين ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا﴾: أثبتها ﴿لِلْأَنَامِ﴾: الخلق، أو كل[1] ذي روح ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾: أوعية الطَّلْع[2] ﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ﴾: التبن ﴿وَٱلرَّيْحَانُ﴾: الرزق والمشموم ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ﴾: نعماء ﴿رَبِّكُمَا﴾: أيها[3] الثقلان المفهوم من الأنام ﴿تُكَذِّبَانِ﴾: يسنُّ لسامع هذه الآية أن يقول: ولَا بشيء[4] من نعمك ربنا نكذبُ، فلك الحمد[5] ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾: آدم ﴿مِن صَلْصَٰلٍ﴾: طين يَابس كما مرّ ﴿كَٱلْفَخَّارِ﴾: كالخزف ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ﴾: أباهم ﴿مِن مَّارِجٍ﴾: لهبٍ خالصٍ من الدخان ﴿مِّن نَّارٍ﴾: أفاد بالتنوين أنها ليست النار المعروفة ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا﴾: في أطوار خلقتكما ﴿تُكَذِّبَانِ﴾: هو ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾: للشتاء والصيف، أو مطلع الفجر والشمس ﴿وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾: لهما، أو مغربي[6] الشمس والشفق، كرر لفظة «رب» هنا دون المعارج[7] والمزمل[8]؛ لأن المقام للامتنان ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا﴾: مما فيه من تدبير السفليات ﴿تُكَذِّبَانِ ۞ مَرَجَ﴾: أرسل ﴿ٱلْبَحْرَيْنِ﴾: العذب والمالح، من فارس والروم ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾: ظاهرا ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾: حاجز من قدرته ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾: لا يتجاوزان حدهما ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا﴾: من فوائد عدم اختلاطهما ﴿تُكَذِّبَانِ ۞ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ﴾: كبار الدُّرِّ ﴿وَٱلْمَرْجَانُ﴾: صغاره، أو خرزٌ أحمرُ، وهما لم يخرجا إلا من المالح، لكن لما اجتمعا صارا كواحد نحو: «وجعل القمر فيهن

---

(١) ليست في (د).

(٢) جمعُ «كُم» بكسر الكاف وضمها كما سبق في سورة فصِّلت.

(٣) في (ن): أي.

(٤) كذا في (ن) فقط، وفي باقي النسخ: ولا شيء.

(٥) عن جابر قال خرج رسول الله ﷺ على أصحابه، فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها، فسكتوا، فقال: لقد قرأتها على الجن ليلة الجن، فكانوا أحسن مردودا منكم، كنت كلما أتيت على قوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قالوا: لا بشيء من نعمك ربنا نكذب، فلك الحمد. أخرجه الترمذي (٥/ ٣٥٧٥/ ٤٨٥)، والحاكم (٢/ ٤٧٣)، والبيهقي في الدلائل (٢/ ٢٣٢)، وابن عدي في الكامل (٣/ ١٠٧٤)، وسنده جيد.

(٦) في (ن)، و(د): أو للشمس والشفق.

(٧) حيث قال: «فلا أقسم برب المشارق والمغارب»، ولم يقل ورب المغارب.

(٨) وفيها: «رب المشرق والمغرب» ولم يقل: ورب المغرب.

إلا من المالح، لكن لما اجتمعا صارا كواحد نحو: «وجعل القمر فيهن نورا»[(١)] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا﴾: من هذه المنافع ﴿تُكَذِّبَانِ ۞ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ﴾: السفن ﴿ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾: المرفوعات ﴿فِى ٱلْبَحْرِ﴾: وهي فيهما[(٢)] ﴿كَٱلْأَعْلَـٰمِ﴾: الجبال عظما ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا﴾: من تعليمها وفوائدها ﴿تُكَذِّبَانِ ۞ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾: على الأرض ﴿فَانٍ﴾: غلب بمن أُوْلي[(٣)] العقل ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ﴾: الاستغناء المطلق ﴿وَٱلْإِكْرَامِ﴾: الفضل العام[(٤)] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا﴾: من إبقاء ما هو بصدد الفناء، و[(٥)]من إفنائكم لحياتكم الأبدية ﴿تُكَذِّبَانِ ۞ يَسْـَٔلُهُۥ﴾: بلسان الاستعداد الحوائج حالا أو مقالا ﴿مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ﴾: وقت ﴿هُوَ فِى شَأْنٍ﴾: أمر يظهره على وفق قدرته الأزلية، ومنه مغفرته ذنبا، وتفريجه كربا، ورفعة قوما، ووضعه آخرين[(٦)(٧)]، وهو رد لقول اليهود أنه تعالى لا يقضي يوم السبت[(٨)] شيئا ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا﴾: من إسعاف سؤالكم ﴿تُكَذِّبَانِ ۞ سَنَفْرُغُ﴾: سنتجرد[(٩)] ﴿لَكُمْ﴾: لحسابكم في القيامة، إذ لا يفعل فيها غيره ﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾: الإنس والجن المثقلان بالتكاليف ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا﴾: من نحو إثابتكم واستيفاء حق مظلومكم من ظالمكم ﴿تُكَذِّبَانِ ۞ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ﴾: قدمه[(١٠)] لأكثرية استطاعته ﴿وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ﴾: في يوم[(١١)] القيامة ﴿أَن تَنفُذُوا۟﴾: تخرجوا ﴿مِنْ أَقْطَارِ﴾:

---

(١) سورة نوح.

(٢) يعني في العذب والمالح.

(٣) لأن الخطاب لهم.

(٤) في (ن)، ،(د): المفضل.

(٥) سطقت من (ن).

(٦) في (ن)، و(د): مغفرة ذنب، وتفريج كرب، ورفعة قوم ووضع آخرين

(٧) إلى حديث أبي الدرداء عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ قال: «**من شأنه أن يغفر ذنبا، ويفرج كربا، ويرفع قوما، ويخفض آخرين**». أخرجه ابن ماجة (١/ ١٣٩/ ٢٠٢)، وابن أبي عاصم في السنة (٣٠١)، وابن حبان (٦٨٩)، وابن عساكر (٦٤/ ٦٠، ٦١) وسنده ضعيف جدا.

(٨) سبق الحديث عن هذا.

(٩) في (ن)، و(د): نتجرد.

(١٠) في (ن): قُدِّم.

(١١) ليست في (د).

جوانب ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: فارين من قضائنا ﴿فَٱنفُذُواْ﴾: أمر تعجيز ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾: بقوة، وليست[1] لكم ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا﴾: من مساهلته مع كمال قدرته ثم تنبيهه ﴿تُكَذِّبَانِ ۞ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا﴾: إن فرتما يومئذ ﴿شُوَاظٌ﴾: لهب ﴿مِّن نَّارٍ﴾: بلا دخان ﴿وَنُحَاسٌ﴾: دخان بلا لهب، أو صفرٌ[2] مذابٌ على رؤسكما ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾: تمتنعان من قدرتنا ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا﴾: من تحذيره الآن وتمييزه بين مطيعيكم وعصاتكم بالجزاء ﴿تُكَذِّبَانِ ۞ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾: بنزول الملائكة ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾: أي: مثلها حمرة ﴿كَٱلدِّهَانِ﴾: في الصفاء جمع دهن، أو مثل الأديم الأحمر ولون السماء أحمر دائما، وإنما نشاهد زرقتها بسبب أعتراض الهواء، كما نرى[3] الدم في العروق أزرق، ولا هواء يومئذ وجوابه فما أعظم الهول ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا﴾: من أمن[4] المؤمنين يومئذ ﴿تُكَذِّبَانِ ۞ فَيَوْمَئِذٍ﴾: حيث يحشرون من قبورهم ﴿لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ﴾: الضمير لقوله ﴿إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾: لأنهم يعرفون بسيماهم، وأما قوله: ﴿لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[5]، ففي المجمع[6] أولا يسئل بنحو: هل عملتم[7] كذا، بل يقال: لم عملتموه ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا﴾: مما أنعم على المؤمنين يومئذ ﴿تُكَذِّبَانِ ۞ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾: باسوداد وجوههم وزرقة عيونهم ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾: يجمع بينهما في سلسلة من خلفهم ثم يطرحون في النار ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا﴾: من امتياز المؤمنين عنهم يومئذ ﴿تُكَذِّبَانِ﴾ يقال لهم: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ ماءٌ حار ﴿ءَانٍ﴾ متناهي الحر ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا﴾ من إنذاركم اليوم لتتقوا ﴿تُكَذِّبَانِ ۞ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾: الذي يحاسب فيه عباده، أو قيامه واطلاعه عليه، أو المقام مقحم

---

(١) في (د) ليست لكم.

(٢) نحاس.

(٣) في (ن)، و(د): يرى.

(٤) في (ن)، و(د): أمر.

(٥) سورة الحجر.

(٦) لعله «مجمع البحرين» في التفسير.

(٧) في (ن): علمتم.

﴿جَنَّتَانِ﴾ أوانيهما وما فيهما من الذهب، وإن زنا وإن سرقَ، جنة روحانية، وجنة جسمانية، أو بإزاء عقيدته وعمله، أو بفعل الطاعة وترك المعصية، أو جزاء وتفضلا، أو للجني والإنسي[١] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾: أنواع الثمار، جمع فن، أو أغصان، جمع فنن ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾: إلى حيث شاءوا أو التسنيم والسلسبيل ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾: صنفان، ما لا نظير له في الدنيا وماله نظير ومُرُّ الدُّنيا حُلْو فيها ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: يتنعمون ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾: مضطجعين أو متربعين ﴿عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾: غليظ الديباج وظهائرها نور يتلألأ ﴿وَجَنَى﴾: ثمر ﴿ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾: قريب يناله المضطجع ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فِيهِنَّ﴾: أي: في الآلاء المذكورة نساء من الحور عند الأكثرين، وقال البصري: نساء الدنيا المنشئات ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾: أي: العين على أزواجهن، والأكثر على أنهن خلقن في الجنة خلافا للحسن البصري ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾: يفتضهن ﴿إِنسٌ قَبْلَهُمْ﴾: للإنسية ﴿وَلَا جَآنٌّ﴾: للجنية، دل على دخول الجن في الجنة[٢]، وعلى طمثهم للجنية، وقيل: للإنسية[٣] أيضًا، وقال القشيري: الجن لا يطأون الآدمية في الدنيا[٤]، وجوزه القرطبي[٥]، وقال مجاهد: ينطوي على إحليل مجامع لم يسم فيجامع معه[٦] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ كَأَنَّهُنَّ﴾: في حمرة ماء[٧] الوجه وصفائها[٨] ﴿ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾: صغار اللؤلؤ، فإنها أصفى من كباره ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ﴾ الطاعة ﴿إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾: النعيم ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا﴾: من المجازاة مع مضاعفة الثواب ﴿تُكَذِّبَانِ﴾

---

(١) في (د): للجن والإنس.

(٢) يعني المؤمن منهم.

(٣) وهو الصحيح وعليه أدلة كثيرة.

(٤) هذا ضعيف وانظر: آكام المرجان - للشبلي (٨٥٠/ بتحقيقي).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٦٣٤٩).

(٦) وهذا صحيح دلت عليه الأحاديث الصحيحة والآثار الثابتة، وانظر بالتفصيل: آكام المرجان للعلامة الشبلى (٨٥٦/ بتحقيقى) فهو نفيس في هذا.

(٧) ليست في (د).

(٨) في (ن)، و(د): حمرة الوجه وصفائها.

وَمِن دُونِهِمَا ﴾: أي: الجنتين المذكورتين للخائفين المقربين ﴿جَنَّتَانِ ﴾: من الفضة لمن دونهم من أصحاب اليمين كما مر ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ مُدْهَآمَّتَانِ ﴾: سوداوان من شدة الخضرة يشعر[١] بأن غالبها الرياحين والنبات بخلاف الأولين[٢]، إذ[٣] بيَّن أشجارهما وثمارهما لتفاوت الدرجتين ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾: فوارتان بالماء، وهو دون الجريان ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ﴾: خصه؛ لأنه فاكهة وغذاء ﴿وَرُمَّانٌ﴾: هو فاكهة ودواء، ولذا عند[٤] الحنفية: من حلف لا يأكل فاكهة لم يحنث بأكلها[٥] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞فِيهِنَّ﴾: في الآلاء المعدودة ﴿خَيْرَٰتٌ ﴾: خُلُقًا مخفف خيِّرات ﴿حِسَانٌ ﴾: خلقا ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ حُورٌ﴾: شديدات سواد العيون وبياضها ﴿مَّقْصُورَٰتٌ ﴾: مستورات ﴿فِي ٱلْخِيَامِ ﴾: من زبرجد وياقوت ولؤلؤ، لكل[٦] خيمة منها سبعون بابا من الدر ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞لَمْ يَطْمِثْهُنَّ ﴾: يطأهن ﴿إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾: كحور أصحاب الجنتين الأوليين ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ ﴾: وسائد أو بسط ﴿خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ﴾: طنافس مخملة، منسوب إلى «عبقر»، بلد الجن[٧]، ينسب إليه كل عجيب ﴿حِسَانٍ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ تَبَٰرَكَ ﴾: تعالى ﴿ٱسْمُ رَبِّكَ ﴾: من حيث إطلاقه على ذاته، فكيف بذاته تعالى؟ ﴿ذِى ٱلْجَلَٰلِ ﴾: العظمة التامة ﴿وَٱلْإِكْرَامِ ﴾: للمؤمنين- واللهُ أَعْلَمُ بالصّواب، اللَّهُمَّ يسِّرْ علَيْنا[٨].

۞۞۞

---

(١) في (د): فأشعر، وفي (ن): بما يشعر، وفي (س): يشعر.

(٢) في (ن): الأوليين.

(٣) في (ن)، و(د): حيث.

(٤) في (د): وكذا قال عند الحنفية.

(٥) سقطت من (ن) تمامًا.

(٦) في (ن)، و(د): للخيمة.

(٧) بل هو واد.

(٨) من (ن) فقط.



«سورة الواقعة[١]»: مكية[٢]

إلَّا آية: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾، وآية: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

لَمَّا وعَدَ المطيع، وأوعد العاصي بما أعد لهما في القيامة، أتبعه بما يؤكد وقوعه فقال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿إِذَا وَقَعَتِ﴾: حدثت ﴿ٱلْوَاقِعَةُ﴾: القيامة المتحققة الوقوع ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا﴾: حين تقع نفسٌ ﴿كَاذِبَةٌ﴾: تنفيها كالآن، أو ليس في وقعتها كذب ﴿خَافِضَةٌ﴾: لبعض كالكفرة أو الكواكب بنثرها ﴿رَّافِعَةٌ﴾: لبعض كالمؤمنين، أو تسير[٣] الجبال في الجو ﴿إِذَا رُجَّتِ﴾: حركت حركة شديدة ﴿ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿وَبُسَّتِ﴾: فتتت أو سيرت ﴿ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً﴾: غبارا ﴿مُّنۢبَثًّا﴾: منتشرا ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا﴾: أصنافا ﴿ثَلَٰثَةً﴾: وكل صنف يكون أو يذكر مع صنف آخر فزوج ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾: للعرش أو من أوتي كتابه بيمينه ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾: الشمال يعني مقابلهما ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾: أراد التعجب عن حالهما ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾: إلى الإيمان والطاعة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾: من العرش ﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾: هم ﴿ثُلَّةٌ﴾: كثير ﴿مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: من الأمم ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾: هذه الأمة، وفي الحديث[٤] أن الفريقين من هذه الأمة وعلى الأول أكثرية سابقى الأمم لا تنافي أكثرية هذه الأمة المروية في الحديث؛ لجواز أكثرية اللاحقين أو إرادة كل واحد من الأمم، وعن الحسن: من سابقي الأمم أكثر من سابق أمتنا، وتَابعي الأمم مثل تابعيها[٥]، هم ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾: منسوجة بالذهب والجواهر، أو مصفوفة أو متواصلة ﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا

---

(١) كلماتها (٣٧٨) كلمة، وحروفها: (١٧٠٣) حرفا.

* الوجيز (٣٠٦)، البيان (٢٣٩)، البصائر (١/ ٤٥٠)، عدد سور القرآن (٤٣٦).

(٢) في هامش (ن): بلغ مقابلة.

(٣) في (ن): تسيير.

(٤) أخرجه مسلم (١/ ٢٠٠) (٣٧٦/ ٢٢١)، وأحمد (١/ ٥٠٢/ ٣٦٦٠).

(٥) سقطت من (ن): عبارة الحسن.

مُتَقَـٰبِلِينَ ﴾: كما مر ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾: للخدمة ﴿وِلْدَٰنٌ﴾: غلمان في طراوة والولدان ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾: وقيل: هم أولاد أهل الدنيا بلا حسنات ولا سيئات، وعن علي رضي الله تعالى عنه: أولاد الكفار خدام أهل الجنة[١]، والأحاديث في ذلك متعارضة[٢] والله تعالى أعلم ﴿بِأَكْوَابٍ﴾: إناء بلا عروة ولا خرطوم ﴿وَأَبَارِيقَ﴾: إناء معهما ﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾: خمر جارية ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾: لا تذهب عقولهم ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾: يختارون ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿و﴾: يطوف عليهم ﴿حُورٌ عِينٌ﴾: ضخام العيون، وبالجر[٣] عطف على جنات بتقدير مضاف، أي: في مضاجعة حور ﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ﴾: المصون، جزيناهم كذلك ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: في الدنيا ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾: عبثا ﴿وَلَا تَأْثِيمًا﴾: نسبة إلى الإثم ﴿إِلَّا قِيلًا﴾: قولا ﴿سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾: من باب: «بَيْدَ أني من قُرَيش[٤]»، وأفاد بتكراره فشوه ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾: كما مر ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾: بلا شوك أو تثني الغصن من كثرة الحمل ﴿وَطَلْحٍ﴾ موز ﴿مَّنضُودٍ﴾: نضد بالحمل من أسفله إلى أعلاه، أو أم غيلان[٥] كثير النوار[٦]، وقرأ علي وابن عباس: وطلع[٧] ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾: دائم ﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾: لهم كيف شاءوا بلا تعب، شبه

---

(١) الكشاف (٤/ ٤٥٩) والعبارة فيه: وقيل: هم أولاد أهل الدنيا، لم تكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها، روي عن علي ﵁ وعن الحسن، وفي الحديث: «**أولاد الكفار خدام أهل الجنة**».ا.هـ.
* **قلت- أبو الحسن-**: أخرجه ابن عبد البر في التمهيد (١٨/ ١١٨)، والبزار (٢١٧٠) وإسناده حسن.

(٢) بل لا تعارض فيها والحديث الصحيح مقدم على غيره والصواب في المسألة أن من مات من أولاد الكفرة قبل الحنث فهو على الفطرة في الجنة. وقد حكى الإمام ابن القيم- رحمه الله- عشرة مذاهب في أولاد الكفرة. * انظر: أحكام أهل الذمة - لابن القيم (٢/ ١٠٨٦، ١١٥٨).

(٣) وهي قراءة حمزة والكسائي وعاصم والحسن والسلمي وأبي جعفر.
* السبعة (٦٢٢)، إتحاف (٤٠٧)، غيث النفع (٣٦٣).

(٤) يشير إلى حديث المشهور على الألسنة: - أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش «قال الحافظ ابن طولون: معناه صحيح، ولكن لا أصل له كما قاله ابن كثير.
* الشذرة (١/ ١٦٦/ ١٢٨)، الدرر المنتثرة (٣٧).

(٥) شجر معروف.

(٦) النَّور زهرة الثمرة.

(٧) وهي قراءة علي وجعفر بن محمد، وعبد الله. * البحر المحيط (٨/ ٢٠٦)، والكشاف (٤/ ٥٤).

تنعم المقربين بأكمل ما يتصور للمدنيين، وتنعُّم هؤلاء بأكمل ما يتمناه[١] البدويون، إشعارا بتفاوتهم[٢] ﴿وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ﴾ أجناسًا ﴿لَّا مَقۡطُوعَةٖ﴾ في زمان ﴿وَلَا مَمۡنُوعَةٖ﴾: من أحد ﴿وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ﴾: كما بين السماء والأرض، أو نسوة على السرر ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ﴾: الحور أو النسوة ﴿إِنشَآءٗ﴾: بلا ولادة بعد كونهن عجائز شمطا رمصا[٣] في الدنيا ﴿فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا﴾: ولو وطئن كثيرا ﴿عُرُبًا﴾: جمع عروب، العاشقة لزوجها ﴿أَتۡرَابٗا﴾: مستويات السن، بنات ثلاث وثلاثين كالأزواج[٤]، هن ﴿لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾: هم ﴿ثُلَّةٞ﴾: كثير ﴿مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: من هذه الأمة أو الأمم ﴿وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾: كذلك، والأول مرفوع، وأيضا في الحديث: «إنّ مِنْ آدم إلينا ثلة، ومنا إلى يوم القيامة ثلة»[٥] ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾: كما مر ﴿فِي سَمُومٖ﴾: حر نار كما مر ﴿وَحَمِيمٖ﴾: ماء شديد الحر ﴿وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ﴾: دخان أسود ﴿لَّا بَارِدٖ﴾: كما الظلال[٦] ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾: في المنظر ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُتۡرَفِينَ﴾: متنعمين في الشهوات ﴿وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلۡحِنثِ﴾: الذنب ﴿ٱلۡعَظِيمِ ۝ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ۝ أَ﴾ نبعث ﴿وَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ﴾: كما مرّ ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ۝ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ﴾: ما وقت من ﴿يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾: لله تعالى، أي: القيامة ﴿ثُمَّ إِنَّكُمۡ﴾: يا قريش ﴿أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلۡمُكَذِّبُونَ ۝ لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ ۝ فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا﴾ أي: الشجر ﴿ٱلۡبُطُونَ ۝ فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ﴾: التأنيث والتذكير للمعنى، واللفظ ﴿مِنَ ٱلۡحَمِيمِ ۝٥٤ فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ﴾: الإبل ﴿ٱلۡهِيمِ﴾: إبل ذاتُ هيام داؤها كالاستسقاء تشرب معه إلى الموت ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمۡ﴾: معدة ضيافتهم ﴿يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾: فكيف بضيافتهم ﴿نَحۡنُ خَلَقۡنَٰكُمۡ فَلَوۡلَا﴾: فهلّا ﴿تُصَدِّقُونَ﴾: بالبعث الذي هو أهون ﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا

---

(١) في (س): يتمنوه.

(٢) في البيضاوي: كأنه لما شبه حال السابقين في التنعيم بأكل ما يتصور لأهل المدن شبه حال أصحاب اليمين بأكمل ما يتمناه أهل البوادي إشعارًا بالتفاوت بين الحالين. * تفسير البيضاوي ص ٧١٠.

(٣) الرُّمْص- جمع رمصاء ورميصاء- وهي: حمراء العين لوجع أو رمد.

(٤) أخرجه الطبراني (٢٣/ ٣٦٧، ٣٦٨/ ٨٧٠) وسنده ضعيف.

(٥) أخرجه مسدد في مسنده (٣/ ٣٨٣/ المطالب)، والطبراني (٧/ ١١٨، ١١٩/ مجمع) وسنده ضعيف.

(٦) في (ن)، و(د): كالظلال.

تُمْنُونَ﴾: تقذفون في الأرحام من النطف ﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ﴾: بشرا ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾: بمغلوبين ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ﴾: منكم ﴿أَمْثَٰلَكُمْ﴾: مكانكم أو نغير صفاتكم ﴿وَنُنشِئَكُمْ﴾: نخلقكم ﴿فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: ذاتا وصفة ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا﴾: فهلَّا[1] ﴿تَذَكَّرُونَ﴾: أن الإعادة أهون أفاد صحة القياس ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾: تبذرون حبه ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ﴾: تنبتونه ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾: فالفرق: أن الحرث إلقاء البذر وتهيئة الأرض والزرع مراعاته وإنباته ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾: يابسا منكسرا بلا حب ﴿فَظَلْتُمْ﴾: أقمتم نهارا ﴿تَفَكَّهُونَ﴾: تتعجبون أو تندمون على جهدكم فيه قائلين ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾: ما أنفقنا أو مهلكون لهلاك رزقنا ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾: من الرزق ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ۝ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ﴾: جمع المزنة السحابة أو الأبيض منها؛ لأن ماءه أعذب ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ۝ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ﴾: حذف اللام لتقدم ذكرها قريبا، أو لإفادة أن الوعيد بفقد المطعوم المقصود بالذات أشد، فإنها تفيد التوكيد ﴿أُجَاجًا﴾: شديد الملوحة ﴿فَلَوْلَا﴾: هلا ﴿تَشْكُرُونَ ۝ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ﴾: تقدحون ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ﴾: التي منها الزناد[2] كما مر ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ۝ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا﴾: نار الزناد ﴿تَذْكِرَةً﴾: للبعث أو لجهنم ﴿وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾: النازلين القواء أي: المفازة، أو الذين خلت بطونهم، أو مزاودهم من الطعام، خصهم لأنهم أحوج ﴿فَسَبِّحْ﴾: أحدث تنزيهه عن مقالة الجاحدين مستعينا ﴿بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾: أو الباء فقط صلة أو مع اسم، أي: نزهه ﴿فَلَآ﴾: صلة أو رد لهم، أو للنفي، أي: لا ﴿أُقْسِمُ﴾: للوضوح ﴿بِمَوَٰقِعِ﴾: منازل ﴿ٱلنُّجُومِ﴾: أو أوقات نزول نجوم القرآن ﴿وَإِنَّهُۥ﴾: أي[3] هذا القسم ﴿لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ﴾: معتبرين والخبر ﴿عَظِيمٌ﴾: والله تعالى أعلم بسر عظمته ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾: كثير النفع، مكتوب ﴿فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾: اللوح المحفوظ، أو

---

(١) في (ن): هلَّا.

(٢) كما مر في «يس» الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون.

(٣) ليست في (د).

الصحف[(١)] ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾: نهي ﴿إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾: أي: عن الاحداث، وبه قال الجمهور، ويؤيدهم حديث: «لا تمس القرآن إلا وأنت طاهر[(٢)]»، وقيل: أي: لا يطلع عليه إلّا المُتنزّه[(٣)] عن الكدورات الجسمانية كالملائكة[(٤)] ﴿تَنزِيلٌ﴾: منزل ﴿مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾: القرآن ﴿أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾: متهاونون[(٥)] ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾: أي: شكركم، بلُغةِ أَزْدِشنوءَةَ وقرأ علي وابن عباس: شكركم[(٦)] ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾: بنسبته إلى غير الله تعالى ﴿فَلَوْلَآ﴾: هلا ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ النفس ﴿ٱلْحُلْقُومَ ۝ وَأَنتُمْ﴾: يا حُضَّار المحتضر ﴿حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾: إليه ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾: تعلمونه ﴿فَلَوْلَآ﴾: تأكيد ﴿إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾: مملوكين تحت قدرتنا ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾: عامل لإذا، فترتيبها: فلولا ترجعونها تهاونا به إذا بلغت الحلقوم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: في تعطيلنا فإذا لم تقدروا فاعلموا أن الكل بقدرتنا ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ﴾: المتوفى ﴿مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾: السابقين ﴿فَرَوْحٌ﴾: أي: فله راحة ﴿وَرَيْحَانٌ﴾: مع الملائكة ليشمه[(٧)] فيقبض أو ليجعل روحه في النزع، أو رزق حسن ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝ فَسَلَٰمٌ﴾: فسلامة ﴿لَّكَ﴾: يا محمد أو يا صاحب اليمين من جهة أصحاب اليمين ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ﴾: آثره على أصحاب الشمال بيانا للموجب ﴿فَنُزُلٌ﴾: أي: فله نزل،

---

(١) في (ن)، و(د) في بعد المصحف.

(٢) أخرجه الدارقطني في سننه (١/ ١٢١)، والطبراني في الكبير (١٣٢١٧)، وفي الصغير (١١٦٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٨٨).

(٣) كذا في (ن)، و(د).

(٤) اختلف أهل التفسير في هذه الآية:

فقال ابن عباس وأنس ومجاهد: المطهرون هم الملائكة المطهرون من الذنوب، والكتاب المكنون هو الذي في السماء، وبهذا احتج أهل الظاهر فجوزوا للمحدث مسَّ المصحف، وقال قوم: المطهرون: أي: المتطهرون بالماء. وإلى هذا ذهب جماعة من الفقهاء كمالك وأبي حنيفة والشافعي.

* انظر: أحكام القرآن- للجصاص (٥/ ٣٠٠)، المحلى (١/ ٧٧)، بداية المجتهد (١/ ٣٠)، المجموع- للنووى (٢/ ٩٠)، والحاوي الكبير (١/ ٣٨٤)، الاستذكار (٢/ ٤٧٢).

(٥) في (د): تتهاونون.

(٦) البحر المحيط (٨/ ٢١٥)، تفسير القرطبي (١٧/ ٢٢٨).

(٧) في (ن): يشمه.

مقدمة ضيافة ﴿مِّنْ حَمِيمٍ ۝ وَتَصْلِيَةُ﴾: إدخال ﴿جَحِيمٍ ۝ إِنَّ هَٰذَا﴾: المذكور ﴿لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾: أو حق هو اليقين ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾: كما مر - والله أعلم بالصّواب - اللهُمّ هوِّن.





«سورة الحديد[١]»: مختلف[٢] فيها[٣]

لَمَّا حثنا على تسبيحه، أكد ذلك بالإخبار عن تسبيح كل شيءٍ له فقال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ سَبَّحَ﴾: خالصا ﴿لِلَّهِ﴾: إنما جاء به في في أوائل السور ماضيا[٤] ومُضارعا[٥] ومصدرا[٦] إشعارا بدوام استحقاقه له[٧] ﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: جاء بها تغليبا للأكثر ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: الغالب ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: في ملكه ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْىِۦ﴾: بالإنشاء ﴿وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾: قبل الكل بلا بداية ﴿وَٱلْءَاخِرُ﴾: بعده بلا نهاية ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾: وجودًا؛ لكثرة دلائله، أو الغالب ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾: لا تُدْرك ذاته أو العالم بباطن الكل، والأخيران مؤيدان بالحديث.

واعلم أن الأول هو الفرد السابق، فلو قال: أوّل مملوك اشتريته حُرٌّ، فاشترى عبدين ثم عبدا، لم يعتقوا ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: فسر مرات ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾: يدخل ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: كالبذر ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾: كالنبات ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ﴾: جانب ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾: كالمطر ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾: كالأعمال[٨] ﴿وَهُوَ﴾: بعلمه[٩] ﴿مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: فيجازيكم...

---

(١) كلماتها (٥٤٤) كلمة، وحروفها (٢٤٧٦) حرفا.

* الوجيز (٣١١)، البيان (٢٤١)، البصائر (١/ ٤٥٣)، عدد سور القرآن (٤٤٠).

(٢) قال أبو القاسم ابن عبد الكافي في عدد سور القرآن (٤٣٩) مدنية في الأقاويل كلها.

(٣) في هامش (ن): بلغ مقابلة.

(٤) كـ«سبَّحَ».

(٥) كـ«يسبِّحُ».

(٦) كـ«سُبحانَ»، وكذا الأمر كـ«سَبح».

(٧) آناء الليل وأطراف النهار.

(٨) وبخار الماء، وأرواح المؤمنين، والملائكة، ونحوها.

(٩) وهذا صحيح.

الآية، سند لأهل التأويل[١]، إذ بدونه تتناقض المعية مع الاستواء[٢] ﴿لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: ذكره مع الإعادة كما ذكره مع الابداء لأنه كالمقدمة لإثباتهما ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ۞ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾: فيزيده عليه ﴿وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾: فيزيده عليه ﴿وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ﴾: أي: مـــا في ﴿ٱلصُّدُورِ ۞ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ﴾: في التصرف ﴿فِيهِ﴾: فهو في الحقيقة له، نزل في غزوة تبوك[٣] ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ﴾: كعثمان رضي الله تعالى عنه ﴿لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ۞ وَمَا﴾ أيُّ: عذر ﴿لَكُمۡ لَا تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ لِتُؤۡمِنُواْ بِرَبِّكُمۡ وَقَدۡ أَخَذَ﴾: ربكم ﴿مِيثَٰقَكُمۡ﴾: حين قال: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡ﴾[٤] ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾: بحجة، فهذا أوضح الحجج ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ﴾: محمد[٥] ﷺ ﴿ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ﴾: القرآن ﴿لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: الكفر ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾: الإيمان ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۞ وَمَا لَكُمۡ﴾: بعد إيمانكم في ﴿أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ﴾: يرث ما في ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: فإنفاقه في حياتكم أولى ﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ﴾: فتح مكة، أو أول الإسلام ﴿وَقَٰتَلَ﴾: وهو أبو بكر رضي الله تعالى عنه إذ الآية نزلت فيه[٦]، وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه: أول من أظهر الإسلام بسيفه النبي ﷺ وأبو بكر رضي الله تعالى عنه[٧] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْ﴾: لأن بعد ظهور

---

(١) لا حجة فيها لأهل التأويل؛ لأن التأويل لا مجال له هنا؛ بل تفسيرها بناء على الأدلة من القرآن والسنة.

(٢) لا تناقض عند أهل الأثر الذين لا مجال عندهم للتشبيه، ولا شبهة لديهم فيه، فالله مستوٍ على عرشه بذاته استواءً يليق بجلاله بلا تكييف أو تشبيه أو تعطيل، وهو سبحانه ينزل في السدس الأخير من الليل كل ليلة نزولًا يليق بجلاله، وهو معنا بعلمه، يعلم منا ما لا نعلمه عن أنفسنا ويسمع كلامنا ويجيب دعاءنا.

(٣) أسباب النزول للواحدي (٥٨٠).

(٤) سورة الأعراف.

(٥) ليست في (ن).

(٦) معالم التنزيل (٤/ ٢٩٤، ٢٩٥)، زاد المسير (٨/ ١٦٣)، لباب التأويل (٧/ ٣٢)، الوسيط (٤/ ٢٤٥)، تفسير ابن كثير (٤/ ٣٠٦).

(٧) معالم التنزيل (٤/ ٢٩٤)، لباب التأويل (٧/ ٣٢)، الوسيط (٤/ ٢٤٥).

الإسلام قلت الحاجة إليهما ﴿وَكُلًّا﴾: من الفريقين ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ﴾: المثوبة ﴿ٱلْحُسْنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: فيجازيكم ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: أي: ينفق لوجهه رجاء أن يعوضه ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾: إلى سبعمائة ﴿وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾: الجنة غير المضاعفة، اذكر ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم﴾: المضيء لبعضهم قدر ما بين صنعاء وعدن، ولبعضهم موضع قدميه بقدر أعمالهم[١] ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: وهو[٢] نور أعمالهم أو إيمانهم ﴿وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾: هو نور يسرع بهم إلى الجنة كالبرق الخاطف[٣]، يقال لهم: ﴿بُشْرَىٰكُمُ﴾: أي: المبشر به ﴿ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ﴾: أي: دخولها ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۞ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا﴾: انتظرونا أو انظروا إلينا، وبقطع الهمزة[٤]: أمهلونا لنلحق بكم ﴿نَقْتَبِسْ﴾: نستضيء ﴿مِن نُّورِكُمْ قِيلَ﴾: لهم استهزاء ﴿ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ﴾: إلى حيث جئتم[٥] ﴿فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾: آخر، إذ لاحظ لكم هنا، فرجعوا ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم﴾: وبين المؤمنين ﴿بِسُورٍ﴾: حجاب ﴿لَّهُۥ بَابٌۢ﴾: يدخل فيه المؤمنون، وروي أنه سور بيت المقدس[٦] ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ﴾: الجنة ﴿وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ﴾: جهته ﴿ٱلْعَذَابُ﴾: لأنه يلي النار، وعن ابن عباس وأكثر المفسرين أنه يغشى الناس ظلمة في القيامة، ويعطى كل أحد نورا على قدر عمله، ويعطى المنافق نورا خديعة ثم يسلب عنه[٧] ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾: في الأعمال ظاهرا ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾:

---

(١) وهو قول قتادة، أخرجه عبد الرزاق (٣/ ١١١٥) والطبري في جامع البيان (٢٧/ ١٢٨) وأخرجه مرفوعا: البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٣٣٢/ ٣٦٧) وسنده ضعيف.

(٢) ليست الواو في (ن).

(٣) عن ابن مسعود: أو لهم كالبرق ثم كالريح... الخ رواه البيهقي في الشعب (١/ ٣٣٣)، وهناد في الزهد (٣٢٢).

(٤) يعني: «أنظرونا» وهي قراءة حمزة والمطوعي وزيد بن علي وابن وثاب والأعمش وطلحة.
* إتحاف (٤١٠)، السبعة (٦٢٥)، غيث النفع (٣٦٥)، النشر (٢/ ٣٨٤).

(٥) كذا في (ن)، و(ع)، و(د)، وفي (ح)، و(س): شئتم. يعني إلى الدنيا

(٦) انظر: الروض المغرس – للإمام الحسيني (١/ ٣٤١) ط / دار البشائر الإسلامية – بتحقيقي.

(٧) عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يدعو الناس يوم القيامة بأسمائهم سترا منه على عباده،وأما عن الصراط فإن الله عَزَّوَجَلَّ يعطي كل مؤمن نورا وكل منافق نورا، فإذا استووا على الصراط**
=

بالنفاق، أفاد أن البعد الشديد لا يمنع الإدراك فإن الجنة أعلى السموات[(١)] والنار في الدرك الأسفل ﴿وَتَرَبَّصۡتُمۡ﴾: بنا الدوائر ﴿وَٱرۡتَبۡتُمۡ﴾: في الدين ﴿وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ﴾: الأطماع ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾: الموت ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ﴾: الشيطان ﴿ٱلۡغَرُورُ ۝ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡ﴾: ناصركم، أوْ متولى أمركم إذ تعطى حياة وعقلا فتغيظ عليهم ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾: النار، ولما كثر المَزْح والضحك في الصحابة بعد ثلاث عشر سنة من نزول القرآن نزل[(٢)] ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ﴾: ما حَان ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾: مطلقًا ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾: القرآن، أي: عند سماعهما ﴿وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ﴾: أي: أهل الكتابين ﴿فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ﴾: الأمل أو زمن العمر ﴿فَقَسَتۡ﴾: صلبت ﴿قُلُوبُهُمۡ﴾: بالميل إلى الدنيا ﴿وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ۝ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾: فلا تيأسوا من أن تلين قلوبكم بالطاعة ﴿قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝ إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ﴾: المتصدقين ﴿وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ و﴾: الذين ﴿أَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾: لوجهه ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمۡ﴾: ثوابه ﴿وَلَهُمۡ أَجۡرٞ كَرِيمٞ﴾: حسن ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ﴾: أي: هم بمنزلتهما ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ﴾: وفي الحديث: «مؤمنو أمتي شهداء»[(٣)] ﴿لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ﴾: أجر الفريقين ﴿وَنُورُهُمۡ﴾: نور الفريقين، ولكن بلا تضعيف للتفاوت ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾: دل على خلودهم ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾: مما لا يتوصل به إلى النجاة ﴿لَعِبٞ﴾: أمر خيالي كلعب الصبي بلا فائدة ﴿وَلَهۡوٞ﴾: يلهون به عما ينفع ﴿وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ﴾: بالأنساب[(٤)] ﴿بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ﴾: مباهاة، هي في سرعه زوالها ﴿كَمَثَلِ

= سلب الله نور المنافقين والمنافقات فقال المنافقون: «انظرونا نقتبس من نوركم»، وقال المؤمنون: «ربنا أتمم لنا نورنا فلا يذكر عند ذلك أحدٌ أحدًا». أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ١٢٢/ ١١٢٤٢) بسند ضعيف جدا.

(١) خاصة الفردوس.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٤/ ٦٠/ ١٧٥٦٤) وسنده ضعيف.

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٧/ ١٣٤) وسنده ضعيف.

(٤) في (د): للإنسان.

غَيْثٍ﴾: مطر ﴿أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ﴾: الحُرَّاثَ[1] ﴿نَبَاتُهُۥ﴾: أو الكافر بالله تعالى؛ لأنه أشد إعجابا بزينتها والمؤمن ينتقل فكره منها إلى قدرة صانعها ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾: ييبس بعاهة ﴿فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾: فتاتا يابسا ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ﴾: فاطلبوا خيرهما ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ أي: متاع يُغَرُّ[2] به المشتري فيشتريه ثم يتبين فساده، وما معه إلا الندم ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ﴾: موجبات ﴿مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي: لكل مطيع جنة بهذه الصفة، وسبق الكلام فيه في آل عمران، ولا استبعاد في أن يكون[3] المخلوق فوق الشيء أعظم منه، إذ العرش أعظم المخلوقات، وهو فوق السماء السابعة ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾: أفهم أن مجرد الإيمان يوجبها ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾: بلا وجوب عليه ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾: فلا يبعد ذلك عنه ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: كجدب ﴿وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾: كمرض ﴿إِلَّا﴾: مسطورة ﴿فِى كِتَٰبٍ﴾: أي: اللوح[4] ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾: نخلقها ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾: الكتاب ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾: ذلك الكتاب ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ﴾: تحزنوا ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾: حزن جزع ﴿وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾: فرح بطر، بل شكرا، في الحديث: «**من عرف سر الله تعالى في القدر هانت عليه المصائب**»[5] ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾: متكبر ﴿فَخُورٍ﴾: على الناس بما أوتي ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾: لأنهم القدوة فيه ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾: عن الطاعة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾: عنها ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾: في ذاته وإن لم يشكره ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: من المعجزات ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: جنسه ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾: العدل أو ميزان نوح ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾: بالعدل ﴿وَأَنزَلْنَا﴾: أنشأنا ﴿ٱلْحَدِيدَ﴾: الذي به يدفع ما لا ينبغي نزل مع آدم

---

(١) الزراع، وهم الفلاحون.

(٢) يجوز في الغين الفتح والكسر.

(٣) ليست في (د).

(٤) في (د): هو اللوح.

(٥) تفسير الرازي (٨/ ١٦٩).

الحجر الأسود وعصا موسى والسندان، والكلبتان والمطرقة[١]، وروي أن الحديد نزل يوم الثلاثاء، ولذا نهيع عن الفصد والحجامة فيه، وفي الحديث: «**أن فيه ساعة لا يرقأ فيها الدم**»[٢] ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾: يقاتل به ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾: في الصنائع والآلات ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾: مشاهدة ﴿مَن يَنصُرُهُ﴾: ينصر دينه ﴿وَرُسُلَهُ﴾: بآلات الحرب حال كون نصره ﴿بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾: في دفع أعدائه، فنفع ذلك لكم ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾: لا نبي بعدهما إلا منهما ﴿فَمِنْهُم﴾: من ذريتهم ﴿مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾: أفاد بتغيير الأسلوب غلبة الضلال ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم﴾: أي: نوح وإبراهيم ومن معهما ﴿بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾: بين مرة ﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً﴾: رقة شديدة ﴿وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً﴾: مبالغة في الرياضة والانقطاع عن الناس، منسوبة إلى الرهبان المبالغ في الخوف وقرى بالضم[٣] منسوبا إلى الرهبان جمع راهب ﴿ابْتَدَعُوهَا﴾: بلا أمرنا ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا﴾: لكن ابتدعوها ﴿ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾: و ما تعبدناهم بها[٤] إلا على وجه ابتغاء رضوانه ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾: لتثليثهم وكفرهم بمحمد ﷺ ونحو ذلك

---

(١) النكت والعيون (٥/ ٤٨٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٤/ ٥/ ٣٨٦٢)، والبيهقي في الكبرى (٩/ ٣٤٠)، ثم قال: النهي الذي فيه موقوف غير مرفوع وإسناده ليس بالقوي.

* **أقول- أبو الحسن-**: وأصح منه، قوله ﷺ: «**الحجامة على الريق أمثل، وفيها شفاء وبركة، وتزيد في الحفظ، وفي العقل فاحتجموا على بركة الله يوم الخميس، واجتنبوا الحجامة يوم الجمعة ويوم السبت ويوم الأحد، واحتجموا يوم الإثنين والثلاثاء؛ فإنه اليوم الذي عافى الله فيه أيوب من البلاء، واجتنبوا الحجامة يوم الأربعاء؛ فإنه اليوم الذي ابتلي فيه أيوب، وما يبدو جذام ولا برص إلا في يوم الأربعاء، أو في ليلة الأربعاء**».

أخرجه ابن ماجة (٢/ ٣٤٨٧)، والحاكم (٤/ ٢٠٩)، والخطيب (١٠/ ٣٩)، وابن عدي في الكامل (٢/ ٣٠٨). وحسنه العلامة الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣١٦٩)، والصحيحة (٧٦٦).

* وانظر: رفع الملامة فيما ورد في الحجامة- للحافظ ابن طولون (١/ و) و (٦/ ٥٤٠/ بتحقيقي ضمن مجموع مؤلفاته).

(٣) البحر المحيط (٨/ ٢٢٨)، تفسير القرطبي (١٧/ ٢٦٣)، الكشاف (٤/ ٦٧).

(٤) في (د): به.

﴿فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: الثابتين على دينه ﴿مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾: خارجون عن اتباعه، أفاد أن كل محدث[1] بدعة، وسن[2] لمن ابتدع خيرا أن يدوم عليه[3]، ولا يعدل إلى ضده كما ورد في الحديث، وأفاد أن العزلة مندوب إليها عند فساد الزمان والأحوال ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: بالرسل المتقدمة ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ﴾: محمد ﷺ ﴿يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ﴾: نصيبين أو ضعفين بلغة الحبشة[4] ﴿مِن رَّحۡمَتِهِۦ﴾: لإيمانكم بالنبيين، ولا يلزم بذلك ترجيحهم على المؤمن، إذ يمكن كون كفله أعظم من كفليهم ﴿وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ﴾: كما مر ﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾: بينا لهم ذلك ﴿لِّئَلَّا﴾: «لا» صلة، أي: لكي ﴿يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: كفارهم ﴿أَنْ﴾ أي: أنهم ﴿لا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾: كصرف النبوة عن محمد ﷺ ﴿وَأَنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.



---

(١) كما في الحديث الصحيح.

(٢) وفي (ن)، و(د): ويسن.

(٣) لا شيء يسمى بدعة حسنة وبدعة سيئة بل هناك سنة حسنة وسنة سيئة.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٣٤١/ ١٨٨٣٧) عن أبي موسى الأشعري موقوفا، وانظر: الإتقان (٢/ ١١٦)، المهذب (١١٤، ١١٥).



«سورة المجادلة[1]»: مدنية[2]

لَمَّا وعَدَ مُؤْمني أهل الكتاب بما وعد وكان حكم الظِّهار في شرائعهم الفراق المؤبد، أمرهم بتحليله بالكفارة لينالوا ما وعد فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ﴾: خولة[3] ﴿الَّتِي تُجَادِلُكَ﴾: تراجعك ﴿فِي زَوْجِهَا﴾: أوس إذ قال لها: أنت علي كظهر أمي فحكمت بتحريمها[4] عليه ﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾: وحدتها وعجزها ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾: تراجعكما الكلام ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۞ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم﴾: بنحو الصيغة المذكورة من تشبيهها بجزء محرم أنثى لم تكن حلالا قط ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ﴾: حقيقة ﴿إِنْ﴾: أي: ما ﴿أُمَّهَاتُهُمْ﴾: حقيقة ﴿إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ﴾: بالظهار ﴿لَيَقُولُونَ﴾: شيئا ﴿مُنكَرًا﴾: في الشرع ﴿مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾: كذبا ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾: لما سلف منهم ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ﴾: يرجعون ﴿لِمَا﴾: أي: عما ﴿قَالُوا﴾: بأن لا يطلقوها إلى زمن يمكنهم ذلك عند الشافعي وباستباحة استمتاعها عند الحنفية ولو بنظرة شهوة، وبالعزم على الجماع عند مالك[5] ﴿فَتَحْرِيرُ﴾: أي: إعتاق ﴿رَقَبَةٍ﴾: مؤمنة سليمة[6] عن مخل بالعمل لزمهم ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا﴾: بوطء أو استمتاع ﴿ذَٰلِكُمْ﴾: الحكم ﴿تُوعَظُونَ بِهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۞ فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾: الرقبة ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾: عليه ﴿مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا﴾: كما مر، ووطئها

---

(١) كلماتها (٤٧٣) كلمة، وحروفها (١٩٩٢) حرفا.

* الوجيز (٣١٢)، البيان (٢٤٢)، البصائر (١/ ٤٥٦)، عدد سور القرآن (٤٤١).

(٢) في الأقاويل كلها، و يجوز في دالها الفتح والكسر.

(٣) هي خولة بنت حكيم، وقيل: بنت ثعلبة. * التعريف والإعلام (١٢٥)، غرر التبيان (٥٠٢).

(٤) في (ن): بحرمتها.

(٥) أحكام القرآن- للجصاص (٥/ ٣٠٩)، المدونة الكبرى (٦/ ٤٩)، بداية المجتهد (٢/ ٧٩)، الأم (٥/ ٧٧)، الحاوي الكبير (١٠/ ٤٢٩)، الاستذكار (٦/ ٥٩).

(٦) في (ن)، و(د): مسلمة.

أثناءهما لا يقطع التتابع عندنا(١) ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ﴾: الصوم لنحو مرض وكبر وشدة شبق ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾: عليه من قبل أن يتماسا عندنا(٢) ﴿ذَٰلِكَ﴾: التعليم ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: برفض عادة الجاهلية ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ﴾: بها ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ﴾: يعاندون ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا﴾: خذلوا(٣) ﴿كَمَا كُبِتَ﴾: الكفار ﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾: على صدق الرسول ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾: بها ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ ۞ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا﴾: توبيخا ﴿أَحْصَاهُ﴾: ضبطه ﴿اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: مُطلعٌ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا﴾: في حالة (هو) بالعلم ﴿رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾: وتخصيص العددين لخصوص الواقعة ﴿وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا﴾: توبيخا ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۞ أَلَمْ تَرَ﴾ يا محمد ﴿إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ﴾: اليهود والمنافقون(٤) الذين كانوا يتناجون إغضابا للمؤمنين ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾: أي: عن النجوى ﴿وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾: للمؤمنين ﴿وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ﴾: يا محمد ﴿حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾: بقولهم: السام عليك، وهو الموت(٥)، وقال تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ وقال تعالى ليلة المعراج: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته وكان ﷺ يردهم بقوله: عليكم ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا﴾: هلا ﴿يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾: له إن كان نبيا ﴿حَسْبُهُمْ﴾ كافيهم ﴿جَهَنَّمُ﴾: عذابا ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾: يدخلونها ﴿فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾: جهنم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾: كهؤلاء ﴿وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ﴾: الطاعة ﴿وَالتَّقْوَىٰ﴾: العفاف عن المعاصي ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: في القيامة ﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ﴾: بالإثم ونحوه ﴿مِنَ

---

(١) في (ن)، و(د): عند الشافعية.

(٢) في (ن)، و(د): عند الشافعية.

(٣) في (د): ذلوا.

(٤) في (ن)، و(د): المنافقين.

(٥) أخرجه مسلم (٤/ ١٧٠٧)، وأحمد (٦/ ٢٢٩)، والنسائي (٢/ ٣٩٢، ٣٩٣/ ٥٩١/ تفسير).

﴿ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: بتوهيمهم أنها في شرٍّ يصيبهم[١] ﴿وَلَيۡسَ﴾: الشيطان ﴿بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ أي: إرادته ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾: فلا يبالوا بنجواهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ﴾: توسعوا ﴿فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ﴾: التي للخير حتى يجلس من جاءكم ﴿فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾: في الدارين ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ﴾: قوموا لطاعته ﴿فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ﴾: في الدارين ﴿وَ﴾: يرفع الله ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾: منهم إذا عملوا به ﴿دَرَجَٰتٍ﴾: في الحديث: «يشفع يوم القيامة ثلاثة، الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء[٢]» ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ﴾: أي: أردتم أن تناجوا ﴿ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ﴾: قبل ﴿نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ﴾: أمروا بها لكثرة مناجاتهم إياه بلا حاجة ﴿ذَٰلِكَ﴾: التصدق ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُ﴾: لذنوبكم ﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾: رخصة للفقراء، ولم يعمل بذلك إلا علي[٣] رضي الله تعالى عنه، فلما انتهوا عنها نسخت بعد ساعة أو عشرة أيام بقوله: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ﴾: خفتم الفقر من ﴿أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖ﴾: جمعها باعتبار المخاطبين ﴿فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ﴾: المأمور ﴿وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾: تجاوز عن إشفاقكم المذكور ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: دوموا عليها ليَجْبر[٤] ذلك ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى﴾: المنافقين ﴿ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾: اليهود ﴿مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ﴾: أي: اليهود مذبذبون بين ذلك ﴿وَيَحۡلِفُونَ عَلَى

---

(١) في (ن): شريعتهم، وفي (ح): شرٌّ يعتملهم. والمثبت من (ع)، و(س).

(٢) أخرجه ابن ماجة (٥/ ٣٦٧/ ٤٣١٣) والبزار (٣٧٢)، والعقيلي في الضعفاء الكبير (٣/ ٣٦٧) وابن عدي في الكامل (٥/ ١٩٠١)، والخطيب في تاريخه (١١/ ١٧٧) وإسناده لا يصح.

(٣) عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: لما نزلت: ﴿يأيها الذين ءامنوا إذا نجيتم الرسول... الخ﴾. قال لي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما ترى، دينارا؟» قال: لا يطيقونه، قال: فنصف دينار؟، قلت: لا يطيقونه، قال: فكم؟ قلت: شعيرة... الحديث. أخرجه الترمذي في جامعه (٥/ ٤٠٦، ٤٠٧/ ٣٣٠٠)، والنسائي في خصائص علي (١٦١/ ١٥٢)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٢/ ٨١، ٨٢/ ١٢١٧٥)، والطبري في جامع البيان (٢٨/ ١٥)، وأبو يعلى في مسنده (١/ ٣٢٢، ٣٢٣/ ٤٠٠)، البزار في المسند (٢/ ٢٥٨/ ٦٦٨)، وابن حبان (١٥/ ٣٩٠، ٣٩٢/ ٦٩٤١، ٦٩٤٢/ إحسان)، والعقيلي في الضعفاء الكبير (٣/ ٢٤٣) وسنده ضعيف.

(٤) ليتم نقصه.

﴿ٱلۡكَذِبِ﴾: وهو إيمانهم أو عدم حبهم النبي ﷺ ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾: كذبهم، هذا مما يبطل قول[1] الجاحظ[2] ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۞ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ﴾: الكاذبة ﴿جُنَّةٗ﴾: وقاية عن ظهور نفاقهم ﴿فَصَدُّواْ﴾: الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: بالتثبيط ﴿فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ۞ لَّن تُغۡنِيَ﴾: تدفع ﴿عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾: أي: عذابه ﴿شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۞ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ﴾: على عدم كفرهم ﴿كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡۖ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ﴾: بالكذب ﴿عَلَىٰ شَيۡءٍ﴾: ينفعهم كما في الدنيا ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ۞ ٱسۡتَحۡوَذَ﴾: استولى ﴿عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ﴾: يعاندون ﴿ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي﴾: جملة ﴿ٱلۡأَذَلِّينَ ۞ كَتَبَ ٱللَّهُ﴾: في اللوح ﴿لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ﴾: بالحجة أو بالسيف لمن بعث بالحَرْب[3] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾: غالب على أمره ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ﴾: يصادقون ﴿مَنۡ حَآدَّ﴾: عاند ﴿ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: هذا إذا كان فيها إرادة منافعهم مع كفرهم،وأما نحو المعاملة والمعاشرة فجائز ﴿وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡ﴾: أقاربهم، فيه دليل معاداة القدرية كما قاله[4] مالك وكذا كل ظالم كما قاله القرطبي[5]، بل روى الثوري نزولها فيمن يصحب السلطان والحديث يؤيد الثاني ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: الغير الوادين ﴿كَتَبَ﴾: أثبت ﴿فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾: أفاد خروج العمل من مفهومه ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ﴾: بنصر أو بنور في قلوبهم ﴿مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾ أبدا ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾: فرحوا بعطائه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِ﴾: أنصار دينه ﴿أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾: الفائزون بكل خير.

---

(١) في (د): مذهب، وفي (ن): فيه إبطال مذهب الجاحظ.

(٢) يعني وفرقته المسماة بالجاحظيه.

(٣) من الأنبياء والرسل.

(٤) في (ن)، و(د): قال.

(٥) تفسير القرطبي (١٠/ ٦٤٧٤).



«سورة الحشر[١]»: مدنية[٢]

لَمَّا نهانا عن تولي الكفار لشؤم مآلهم، مِنْ حُلُول بعض وبالهم[٣] فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: كما مر ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾: بني النضير[٤] بعد غدرهم ﴿مِن دِيَارِهِمْ﴾: المدينة ﴿لِأَوَّلِ﴾: أي: عند أول ﴿الْحَشْرِ﴾: وهو حشرهم إلى الشام وآخره أن يحشر الخلق إليه فتقوم الساعة عليهم فيه[٥]، أو نار تحشرهم إلى الشام، أو نار تخرجهم وقت قيامها من المشرق إلى المغرب، تبيت وتقيل معهم وتأكل من تخلف ولا ترى بالنهار[٦]، والحشر إخراج جمع من مكان إلى آخر ﴿مَا ظَنَنتُمْ﴾: أيها المؤمنون ﴿أَن يَخْرُجُوا﴾: لقوتهم ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ﴾: أي: بأسه ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ﴾ أي: عذابه ﴿مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾: لم يخطر ببالهم ﴿وَقَذَفَ﴾: ألقى ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾: الخوف حال كونهم ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ﴾: من الداخل لسد ما خربه المؤمنون ﴿وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾: كانوا يخربونها من الخارج ليدخلوها ﴿فَاعْتَبِرُوا﴾: بها ﴿يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾: أي: ذوي البصائر والعقول، وفي الآية دليل وجوب القياس ﴿وَلَوْلَا أَن كَتَبَ﴾: قدر ﴿اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾: الخروج المذكور، والفرق بينهما اختصاص الجلاء

---

(١) كلماتها (٤٤٥) كلمة، وحروفها (١٧١٣) حرفا.

* الوجيز (٣١٣)، البيان (٢٤٣)، البصائر (١/ ٤٥٨).

(٢) في قولهم جميعا وفي نسخة (د): مكية. وهو خطأ.

(٣) في (ن)، و(ح): بيّن حول بعض وبالهم.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٨٣)، والبيهقي في الدلائل (٣/ ١٧٨) وسنده صحيح.

(٥) لأنها أرض الشام هي أرض المحشر والمنشر كما جاء في الاحاديث الصحيحة.

(٦) يشير إلى حديث ابن عمرو مرفوعا: **«ستكون هجرة بعد هجرة، فخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم، ويبقى في الأرض شرار أهلها، تلفظهم أرضوهم وتقذرهم نفس الله، وتحشرهم النار مع القردة والخنازير، تبيت معهم إذا باتوا، وتقيل معهم إذا قالوا، وتأكل من تخلف»**. أخرجه أحمد (٢/ ١٩٨/ ٦٨٧١)، وأبو داود (٢/ ٦/ ٢٤٨٢)، والحاكم (٤/ ٥٣٣/ ٨٤٩٧).

بخروج جماعة[١] ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا﴾: ببليات أخر ﴿وَلَهُمْ﴾: كلام مستأنف ﴿فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا﴾: خالفوا ﴿ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾: له ﴿مَا﴾: أي: شيء ﴿قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾: هي ضروب النخل غير العجوة والبرنية، وهما أجود النخل خلوها[٢] لأنفسهم ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ﴾: أمر ﴿ٱللَّهِ﴾: بأمره فليس بإفساد كما زعموا ﴿وَ﴾: أذن فيه ﴿لِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: ولما طلب الصحابة أن يقسم ما حصل منهم بينهم كالغنيمة نزلت[٣] ﴿وَمَآ أَفَآءَ﴾ أي: رد ﴿ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ﴾: نافية ﴿أَوْجَفْتُمْ﴾: أجريتم ﴿عَلَيْهِ﴾: على تحصيله ﴿مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾: إبل، بل مشيتم نحو ميلين بلا تعب ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: فهو للنبي فأعطاه المهاجرين وثلاثة من فقراء الأنصار، وهذا وإن كان كالغنيمة لأنهم حوصروا أياما، وقاتلوا ثم صالحوا لكن لقلة تعبهم أجراه الله تعالى مجرى الفيء ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾: بيان للأول عند الأكثر، والمقصود أنه يخمس وخمس منه ﴿فَلِلَّهِ﴾: ذكره للتعظيم ﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: من النبي كما مر ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾: الفقراء المسلمين ﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: كما مر ولكل من الأربعة خمس الخمس، والباقي للنبي ﷺ ﴿كَىْ لَا يَكُونَ﴾: الفيء ﴿دُولَةً﴾: متداولا ﴿بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾: ويحرم الفقراء أو الدولة بالفتح من الملك، بضم الميم، وبالضم من الملك بكسرها[٤] ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ﴾: كالفيء والأمر ﴿فَخُذُوهُ﴾: ولا تعصوه ﴿وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا﴾: فأمره ونهيه أمر الله تعالى ونهيه ﴿وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾: لمخالفة النبي ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾: أخرجهم كفار مكة منهما[٥] ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُولَٰٓئِكَ هُمُ

---

(١) في (ن): الجماعة.

(٢) في (ن): خلوهما.

(٣) الوسيط (٤/ ٢٧٢).

(٤) عمدة الحفاظ (٢/ ٣١/ دول).

(٥) في (س)، و(ن): منها.

﴿ٱلصَّٰدِقُونَ﴾: في إيمانهم ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو﴾: ألفوا ولزموا ﴿ٱلدَّارَ﴾: المدينة ﴿وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: قبل هجرتهم يعني الأنصار ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾: مجاز عن الطمع والطلب ﴿مِّمَّآ أُوتُوا۟﴾: أي: المهاجرين[1] من مال بني النضير ﴿وَيُؤْثِرُونَ﴾: يقدمون في الحظوط الدنيوية المهاجرين ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾: حاجة فيها ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ﴾: بخل ﴿نَفْسِهِۦ﴾: فلزم الإيثار والإنفاق ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾: أي: بعد انقطاع الهجرة وإسلام الأنصار، وهم المؤمنون إلى يوم القيامة ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا﴾: بغضا أو حسدا ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: فيها دليل وجوب محبة الصحابة، وإن من أبغض أحدهم لا حق له في الفيء كما قال مالك[2][3].

وسأل رجل علي بن الحسين[4] رضي الله تعالى عنه، عن عثمان رضي الله تعالى عنه فقال: أأنت من الفقراء المهاجرين الذين.. الآية، فقال: لا، فقال: أأنت من الذين تبوأوا... الآية، فقال: لا، فقال: فوالله لو لم تكن[5] من أهل الآية الثالثة، يعني، والذين جاءوا... الآية، لتخرجن من الإسلام[6]، وروي نحو ذلك عن ولده محمد الباقر رضي الله عنه، في عراقي تكلم في الشيخين وعثمان رضي الله تعالى عنهم، اللهم أمتنا على حبهم واحشرنا معهم[7] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟﴾: ابن أبي وأصحابه[8] ﴿يَقُولُونَ

---

(١) في (ع): من المهاجرين، وفي (ن): أي: المهاجرون.

(٢) في (د): قاله.

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٦٥١٠، ٦٥١١) ورواه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٢٧)، والبيهقي في الكبرى (٦/ ٣٧٢)، والضياء في النهي عن سب الأصحاب (٣٢/ ٨٤) و (٣٣/ ٨٥).

(٤) هو الملقب زين العابدين- رحمه الله-.

(٥) في (ن): يكن.

(٦) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٣٦، ١٣٧)، والضياء المقدسي في النهي عن سب الأصحاب (١٣/ ٥٥).

(٧) آمين.

(٨) في (ن)، و(د): صحبه.

﴿لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾: بني قريظة[(١)] والنضير ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾: من المدينة ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ﴾: في قتالكم ﴿أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۞ لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾: فرضا ﴿لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾: انهزاما ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾: أي: اليهود ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً﴾ أي: مرهوبية[(٢)] ﴿فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ﴾: على زعمهم؛ لأنهم يخافونكم ولا يخافونه ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾: عظمته تعالى ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾: أي: الفريقان ﴿جَمِيعًا﴾: مجتمعين ﴿إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ[(٣)]﴾ لفرط خوفهم ﴿بَأْسُهُم﴾: حربهم ﴿بَيْنَهُمْ﴾: بعضهم لبعض ﴿شَدِيدٌ﴾: فخوفهم ليس لجبنهم بل بنصر[(٤)] الله لكم ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾: متفقين ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾: متفرقة لاختلاف مقاصدهم، وهكذا أهل الباطل مجتمعون في عداوة أهل الحق مختلفون في آرائهم ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾: أمر الله، مثلهم في المغلوبية ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا﴾ أي: قتلى بدر ﴿ذَاقُواْ وَبَالَ﴾ أي: سوء عاقبة ﴿أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مثل المنافقين في إغراء هؤلاء على قتالكم ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ﴾: جنسه أو برصيصا[(٥)]، وقصته مشهورة[(٦)]،

---

(١) في (ع): قريضة.

(٢) في (ن): مرهونة.

(٣) في (ن): جدار، وكتب في الهامش: «جُدُر»: حفص.

(٤) في (ن)، و(د): لنصر.

(٥) هو الراهب. * غرر التبيان (٥٠٦)، تفسير الطبري (٢٨/ ٤٩، ٥٠)، تفسير القرطبي (١٨/ ٣٧، ٤٢).

(٦) عن علي ابن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان راهب يتعبد في صومعة، وإذ امرأة كان لها إخوة، فعرض لها شيء فأتوه بها فزينت له نفسها؛ فوقع عليها، فحملت؛ فجاءه الشيطان فقال: اقتلها؛ فإنهم إن ظهروا عليك افتضحت؛ فقتلها فدفنها، فجاؤه فأخذوه فذهبوا به، فبينما هم يمشون به، إذ جاءه الشيطان، فقال: أنا الذي زينت لك فاسجد لي سجدة أنجيك؛ فسجد له؛ فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: **﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك﴾**. أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٨٥)، وإسحاق في مسنده (٩/ ٥٥/ ٤١٤٣/ مطالب)، و (٨/ ١٧٣/ ٧٨٥٢)، والحاكم (٣/ ٣٠٠/ ٣٨٥٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٣٧٣/ ٥٤٥٠) وسنده حسن.

أو أبو[1] جهل يوم بدر، إذ قال له: «لا غالب لكم» كما مر ﴿ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۞ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ﴾: نكَّرها[2] تعميما أو تعريضا بغفلة كلهم عن هذا النظر الواجب ﴿مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ﴾: سمَّاها[3] به لقربها، ونكره تعظيما ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۞ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ﴾: أي: حقه ﴿فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡ﴾: بأن يقدموا لها خيرا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾: الكاملون في الفسق ﴿لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ﴾: حجة لمن لا يقتل المسلم بالكافر[4] ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾: بالنعمة ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ﴾ أي: كلفناهُ ﴿لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا﴾: متشققا ﴿مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ﴾: فما لكم لا تخشعون ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ۞ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾: الغائب عن الحِسِّ والمعدوم ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: ضدهما ﴿هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۞ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ﴾: البالغ في التنزه عن النقائص ﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾: ذو السلامة من كل نقص ﴿ٱلۡمُؤۡمِنُ﴾: واهب الأمن أو مصدق رسله بخلق معجزاتهم، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أول من يخرج من النار من أهل التوحيد من كان سمي بنبي، فإذا لم يبق منهم قال تعالى: لباقيهم: أنتم المسلمون وأنا السلام، وأنتم المؤمنون وأنا المؤمن، فيخرجهم ببركة هذين الاسمين[5] ﴿ٱلۡمُهَيۡمِنُ﴾: الرقيب على كل شيء ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾: الغالب ﴿ٱلۡجَبَّارُ﴾: العظيم، أو جابر خلقه على مراده، أو مصلح حالهم ﴿ٱلۡمُتَكَبِّرُ﴾: عن كل نقص أو مظهر كبريائه بحق ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾: إذ لا يشاركه شيء في ذلك ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ﴾: المقدر للأشياء كما ينبغي ﴿ٱلۡبَارِئُ﴾:

---

(١) في (ن)، و(د): أبي.

(٢) يعني كلمة «نفس».

(٣) القيامة.

(٤) في (س)، و(ن)، و(د): دل على عدم قتل المسلم بالكافر - وهما بمعنى واحد.

(٥) تفسير القرطبي (١٠/ ٦٥٢٦).

المنشئ من العدم ﴿ٱلۡمُصَوِّرُۖ﴾: موجد صور الخلق ﴿لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾: التسعة والتسعون[1]، فيدل على محاسن المعاني ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾: حالًا ومقَالًا ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾: الكامل في القدرة ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾: الكامل في العلم. والله أعْلَمُ.

❁ ❁ ❁

---

(١) بل أسماؤه تعالى لا تنحصر في عدد ولا يعلمها إلا هو - سبحانه.



«سورة الممتحنة[١]»: مدنية[٢]

لَمَّا بيَّنَ في السورة وبال الكفار وسوء حالاتهم، نهانا عن موالاتهم فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ ﴾: الكفار ﴿أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم ﴾: أخبار المؤمنين ﴿بِالْمَوَدَّةِ ﴾: معهم نصحا كحاطب ابن أبي[٣] بلتعة، كتب سرا- بسبب أن أهله كانوا بينهم[٤]- إلى قريش أن النبي ﷺ يأتيكم بجيشه فخذوا حذركم ثم اعتذر عنده ﷺ[٥] فقبل عذره ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ ﴾: القرآن ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ﴾: من مكة كراهة ﴿أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن ﴾: أي: لا تتخذوا ما مر إن ﴿ كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا ﴾: مجاهدين ﴿فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ ﴾: مبتغين ﴿مَرْضَاتِي ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ ﴾: منكم ﴿بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ ﴾: أي: الاتخاذ ﴿مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ ﴾ أخطأ ﴿سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾: عدلها ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ ﴾: يظفروا بكم ﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ ﴾: كالقتل والشتم ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾: أي: تمنوا كفركم ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ ﴾: قراباتكم ﴿وَلَا أَوْلَادُكُمْ ﴾: الكفار ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ ﴾: يفرق ﴿بَيْنَكُمْ ﴾: أنتم في الجنة وهم في النار ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ ﴾ أي: قدوة وهي اسم ما يقتدى به ﴿حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ و ﴾: المؤمنين ﴿الَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ ﴾: بالفعال ﴿وَالْبَغْضَاءُ ﴾: بالقلوب ﴿أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ فحينئذ نحبكم ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾: فما لكم فيه أسوة فإنه كان

---

(١) كلماتها (٣٤٨) كلمة، وحروفها (١٥١٠) حرفا.

* الوجيز (٣١٤)، البيان (٢٤٤)، بشير اليسر (١٨٦).

(٢) في جميع الأقوال.

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٠٧، ٤٢٧٤، ٤٨٩٠)، ومسلم (٢٤٩٤)، وأبو يعلي (١/ ٣١٩، ٣٢١/ ٣٩٧)، والطبري (٢٨/ ٣٩، ٣٨).

(٤) سقطت المعترضة من (ن).

(٥) في (د): بأن أهله كانوا بينهم وأراد أن تكون له يد عليهم ليراعوا أهله.

قبل نهيه فلا تستغفروا للكفار ﴿وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: عذابه وثوابه ﴿مِن شَيۡءٍ﴾: ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء هذا الجزء قولوا: ﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ۝ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: بأن تسلطهم علينا، فيظنوا[1] أن غلبتهم علينا؛ لأنهم على الحق ﴿وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾: فيما تريد ﴿لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ﴾: أي: إبراهيم ومن معه ﴿أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ﴾: بدل اشتمال من قوله لكم ﴿يَرۡجُواْ ٱللَّهَ﴾: يخافه ﴿وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ وَمَن يَتَوَلَّ﴾: عن الاقتداء لهم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ﴾ عنه ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾: فلا يضر إلا نفسه، ثم لما اشتد وَجْدُ[2] المسلمين بمعاداة أقاربهم، نزلت[3]: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم﴾: أي: مشركي مكة ﴿مَّوَدَّةً﴾: بهدايتهم، فأسلموا بعد فتح مكة ﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾: لما سلف منكم من موالاتهم ﴿رَّحِيمٌ﴾: بكم ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ﴾: الإحسان إلى الكفرة ﴿ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ﴾: بدل من الذين ﴿وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ﴾: تعاملوهم بالعدل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾: نسخ بالقتال ﴿إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ﴾: عاونوا ﴿عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡ﴾: تتخذوهم أولياء ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ﴾: المظهرات إيمانهن ﴿مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّ﴾: بنحو تحليفهن على أنهن ما خرجن إلا لحب الإسلام ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ﴾: يعني أنتم احكموا بمجرد الظاهر ﴿فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ﴾: ظننتموهن ﴿مُؤۡمِنَٰتٖ﴾ بالحلف ﴿فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ﴾: لحصول الفرقة ﴿وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ فلا[4] يجوز الاستئناف، أو كرر مبالغة، وفيه دليل[5] تكليف الكفار بالفروع ﴿وَءَاتُوهُم﴾: أي: أزواجهن الكفار ﴿مَّآ أَنفَقُواْ﴾: من مهورهن ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: مهورهن ﴿وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ﴾: جمع عصمة، يعني نكاح

---

(١) في (س): فظنوا، وفي (ح): فيظنون.

(٢) حزن.

(٣) الوسيط (٤/ ٢٨٤).

(٤) في (د): أي: لا.

(٥) في (د): دل على.

زوجاتكم ﴿ٱلْكَوَافِرِ﴾: نهي عن المقام على نكاح المشركات ﴿وَسْـَٔلُواْ﴾: ممَّن تزوَّجهُن[١] من الكفار ﴿مَآ أَنفَقْتُمْ﴾: عليهن من مهورهن حيث لحقن بالكفار ﴿وَلْيَسْـَٔلُواْ﴾: منكم ﴿مَآ أَنفَقُواْ﴾: من مهور المهاجرات كما مر ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞ وَإِن فَاتَكُمْ﴾: انفلت منكم ﴿شَىْءٌ﴾: واحدة[٢] أو أكثر ﴿مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾: ولم يؤدوا مهرها ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾: أي: فجاءت عاقبتكم، أي: توبتكم من الظفر والغنيمة ﴿فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم﴾: المرتدات ﴿مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ﴾: عليهن من مهورهن ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾: ثم نسخ بقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ﴾: بإسقاط الأجنة أو وأد البنات ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ﴾: بنسبة ولد إلى الزوج كذبا ﴿يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ﴾: بأن يلفظها بها ﴿وَ﴾: بين ﴿أَرْجُلِهِنَّ﴾: بالزنا أو الولد إذا وضعته[٣] سقط بين يديها ورجليها ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾ أي: طاعة الله تعالى، إذ لا طاعة في المعصية ﴿فَبَايِعْهُنَّ﴾: بلا مصافحة ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: أي: الكفار، وإن احتجتم إليهم لفقر ﴿قَدْ يَئِسُواْ مِنَ﴾: ثواب ﴿ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾: أن ينالهم خير منهم، واختتم[٤] بما افتتح[٥] به اهتماما- والله أعلمُ، اللَّهُمَّ هوِّن علينا رزقنا.

۞۞۞

---

(١) في (ن): ممن تزوجوهن.

(٢) في (ن): واحد.

(٣) ولدته.

(٤) سقطت من (ن).

(٥) من النهي عن تولي الكفرة.



«سورة الصف[(١)]»: مختلف[(٢)] فيها[(٣)]

لَمَّا نهانا عَن موالاتهم ومجاملتهم حثنا على معاداتهم ومقاتلتهم فقال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾: كما مر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقْتًا﴾: غضبا شديدا ﴿عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾: نزلت في قولهم[(٤)]: لو نعلم أحب الأعمال إلى الله تعالى لعملناه، ثم انهزموا بأحد بعد نزول[(٥)]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾: مصطفين

---

(١) كلماتها (٢٢١) كلمة، وحروفها (٩٢٠) حرفا.

* الوجيز (٣١٥)، البيان (٢٤٥)، البصائر (١/ ٤٦٢)، بشير اليسر (١٨٧) عدد سور القرآن (٤٤٦).

(٢) مدنية في قول الحسن وعكرمة وقتادة، وفي قول ابن عباس وعطاء: مكية - عدد سور القرآن (٤٤٦).

(٣) في (د): كتب بجوارها: مكية، وقال عطاء نزلت بمكة.

(٤) في (ن)، و(د): لما قالوا.

(٥) هذا الحديث يسمى عند المحدثين: «المسلسل بسورة الصف، وهو أصح مسلسل في الدنيا» أخرجه جمع كبير من الأئمة، منهم: الدارمي في سننه (٢/ ١٢٠/ ١٣٩٥)، والترمذي في جامعه (٥/ ٤١٢/ ٣٣٠٩)، وأبو يعلي في مسنده (١٣/ ٤٨٧/ ٧٤٩٩)، وابن حبان (١٠/ ٤٥٤/ ٤٥٩٤/ إحسان)، وابن أبي عاصم في الجهاد (١/ ٣٩٧/ ١٤١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٣٥٣/ ١٨٨٨٠)، والواحدي في أسباب النزول (٢٨٥)، والوسيط (٤/ ٢٩٠)، الحاكم (٢/ ٦٩، ٧٠، ٢٢٨، ٢٢٩، ٤٨٦، ٤٨٧)، والبيهقي في الشعب (٨/ ١٣٧/ ٣٩٠٧)، وفي السنن الكبرى (٩/ ١٥٩، ١٦٠)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٢/ ٢٣١/ أ). وأخرجه: ابن ناصر الدين في نفحات الأخيار (٥٥، ٥٩)، والبا ندرمه وي في طنين المجلجلات (٣٨٧/ ١٥٦/ بتحقيقي - دار الرسالة)، ومحمد عابد السندي في حصر الشارد (٢/ ٥٦٥/ ١٢١٢)، وابن طولون في الفهرست الأوسط من المرويات (١/ ٦٠٩/ بتحقيقي) وابن الجزري في مسلسلاته (٢٣/ ظ)، والعجلوني في ثبته (٢٣٤/ ٢) ومحمد عقيلة في الفوائد الجليلة (٨٠، ٨١/ ٦)، والكوراني (٦٢/ و)، والفاداني في العجالة (١٢) ص ٢٢والأيوبي في المناهل السلسلة (٦١/ ١٦١)، والسخاوي في الجواهر المكللة (٦٠/ ب) و (١٩١/ ٣٤/ دار الحديث الكتانية) واللنكاتي الأزهري في الآيات المفصلات (٢٦/ ٤)، وابن سالم في الإمداد (١٠/ ٦٦)، والحبشي في الدليل المشير (٧/ ٤٥٦)، وابن الشماع في اليواقيت المكللة (٤/ ظ)، والشمس البابلي في ثبته (٣٩)، والسيوطي في جياد المسلسلات (١١١/ ٦)، وابن كثير في تفسيره (٨/ ٣٥١٠)، والذهبي في السير (٢/ ٤٢٤)، والسيوطي في التحبير (١٧١)، والأمير الكبير في =

﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾: رُصّ ولُزِق بعضها ببعض بلا فُرْجة، وفي الآية دليل[1] وجوب الوفاء بنذر اللجاج[2] ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى﴾: بالمعصية أو الرمي بالأدرة[3] ﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟﴾: مالوا عن الطاعة ﴿أَزَاغَ﴾: أمال ﴿ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾: عن الهداية ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ في علمه ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: لم يقل يا قوم؛ لعدم قرابته ﴿إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾: ﷺ، سماه به؛ لأنه مسمى به في الإنجيل، أو لأنه أبلغ من محمد[4] ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: من الآيات ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا﴾: المأتى به أو عيسى ﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝ وَمَنْ﴾: أي: لا ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾: بتكذيب رسله ﴿وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: في علمه ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟﴾: اللام صلة للتأكيد، أي: أن يطفئوا ﴿نُورَ ٱللَّهِ﴾ أي: دينه ﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾: بالطعن فيه ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ﴾: يغلبه[5] ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾: خصهم؛ لأن الاستيلاء قريب على الأقارب أشد عليهم، وحسدهم عليه أكثر، وأما إتمام نوره فكل الكفرة في كراهته سواء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾: خبر بمعنى الأمر، أي: دوموا عليها ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: من أهل العلم فافعلوه ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝ وَ﴾: لكم نعمة ﴿أُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ﴾: كفارس[6] والروم ﴿قَرِيبٌ﴾: أو غنائم ﴿وَبَشِّرِ﴾: عطف على معنى: تؤمنون

= ثبته (٢٣٨/ دار البشائر الإسلامية)، والفاسي في المنح البادية (١/ ٣١٦)، والصيداوي في مشيخته (٤٨٦/ ٤) وسنده صحيح.

(١) في (ن)، و(ن)، و(د): دل على وجوب... الخ.

(٢) المؤكد.

(٣) بضم الهمزة وسكون الدال وفتح الراء المهملتين: انتفاخ الخصية وعظمها.

(٤) هذا خطأ فـ «محمد» أبلغ وأحسن لغة وشرعا.

* وانظر: المرقاة العلية في الأسماء النبوية للحافظ السيوطي (١١/ بتحقيقي).

(٥) في (ن): يعليه.

(٦) في (ن): لفارس.

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: بما وعدتهم عاجلا وآجلا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾: أي: دينه ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ﴾: أصفيائه الاثنا عشر المؤمنين به أولا: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ﴾: جندي متوجهًا ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾: أي: نصرته ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾: حاصله: قل لهم كما قال عيسى أو كونوا أنصارًا كما كان الحواريون حين قال لهم عيسى كذا، كقولك: ما رأيت رجلا كاليوم، أي: كرجل رأيت اليوم ﴿فَـَٔامَنَت﴾ به ﴿طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت﴾: به ﴿طَّآئِفَةٌ﴾: فاقتتلا بعد رفعه ﴿فَأَيَّدْنَا﴾: قوّينا ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾: بعد بعثة محمد ﷺ [1] ﴿فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾: غالبين.



(١) في حديث ابن عباس الطويل: حتى بعث الله محمدا ﷺ فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾؛ يعني: الطائفة التي كفرت في زمان عيسى- عليه السلام- والطائفة التي آمنت في زمان عيسى: «فأيدنا الذين ءامنوا على عدوهم» بإظهار محمد ﷺ دينهم على دين الكفار «فأصبحوا ظاهرين». أخرجه النسائي (٢/ ٤٢٥، ٤٢٧/ ٦١١/ تفسيره)، والطبري في تفسيره (٢٨/ ٦٠)، والضياء المقدسي في المختارة (١٠/ ٣٧٦، ٣٧٨/ ٤٠٢) وسنده صحيح.



«سورة الجمعة[١]» : مدنية



لَمَّا أمرنا بنصرة حبيبه المصطفى، بَيَّن أنه المبعوث بالهدى المنقذ من الضلالة والردى[٢] فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾: كما مر ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي﴾: العرب ﴿الْأُمِّيِّينَ﴾: أي: الذين ما كتبوا، ولا قرأوا ومالهم كتاب ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ أُمّيًّا أي: لاحي من العرب إلا وله فيهم قرابة إلا بني تغلب لنصرانيتهم ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾: مع أنه أُمِّيٌّ ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: يطهرهم عن خبائث العقائد والأعمال ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾: القرآن أو الخط ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: سنته أو الفقه ﴿وَإِن﴾: إنهم ﴿كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۞و﴾: يعلم ﴿آخَرِينَ مِنْهُمْ﴾: بعدهم ﴿لَمَّا﴾ أي: لم ﴿يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾: بعد وسيلحقون أي: تابعيهم إلى يوم القيامة، وفي الصحيحين «أنهم الفرس[٣]» ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: في ملكه وصنعه ﴿ذَٰلِكَ﴾: البعث ﴿فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۞ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ﴾ أي: كلفوا العمل بها ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾: لم يعملوا بما فيها من اتباع محمد ﷺ ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ﴾: حال كونه ﴿يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾: كتبا في عدم الانتفاع مع تعب الحمل، و[٤]خص الحمار؛ لأنه المثل في البلادة ولحقارته ﴿بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: الدال على نبوته ﷺ ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: في علمه ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾: في زعمكم كما مر ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: من الكفر ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾: فيجازيهم ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ﴾: السر ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾: العلانية ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ

---

(١) كلماتها (١٧٥)، وحروفها (٩٤٨) حرفا.

* الوجيز (٣١٥)، البيان (٢٤٦)، البصائر (١/ ٤٦٤)، عدد سور القرآن (٤٤٨).

(٢) الهلاك، وليست في: (ن)، و(د).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) الواو ليست في (ن)، و(د).

﴿تَعۡمَلُونَ﴾: بالمجازاة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ﴾: أذن ﴿لِلصَّلَوٰةِ﴾: لصلاة الجمعة ﴿مِن﴾: أي: في ﴿يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ﴾: حين قعد الخطيب على المنبر ﴿فَٱسۡعَوۡاْ﴾: بالاهتمام والسكينة لا بالإسراع ﴿إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾: أي: للصلاة ﴿وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَ﴾: وأشغالكم[١]، خصه بالذكر لظهوره في المدن ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾: السعي ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾: من أهل العلم ﴿فَـ﴾ اسعواْ ﴿إِذَا قُضِيَتِ﴾: أديت ﴿ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ﴾: أمر إباحة ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: لحوائجكم ﴿وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾: رزقه أو طاعته، وعن بعض السلف: من باع واشترى حينئذ بارك الله له سبعين مرةً ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾: حال انتشاركم ﴿لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾: ولما انفضوا من سماع خطبة[٢] الجمعة حين سمعوا طبل قدوم عير الشام إلى المدينة إلا اثنى عشر رجلا نزلت[٣]: ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا﴾: أفهم بالترديد، أن منهم من خرج لخصوص الطبل ﴿وَتَرَكُوكَ﴾ يا محمد ﴿قَآئِمٗا﴾: في الخطبة ﴿قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ﴾: من الثواب ﴿خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾: فلا يفوتكم الرزق بترك البيع والتجارة وحسبنا الله ونِعْمَ الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما[٤].



---

(١) في (ن)، و(د): وكذا كل الأشغال.

(٢) في (ن)، و(د): خطبته ﷺ.

(٣) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: بينما نحن نصلي مع النبي ﷺ إذ أقبلت عير تحمل طعاما، فالتفتوا إليها؛ حتى ما بقي مع النبي ﷺ إلا اثنا عشر رجلا، فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ أخرجه البخاري (٩٣٦، ٢٠٥٨، ٢٠٦٤، ٤٨٩٩)، ومسلم (٨٦٣/ ٣٦، ٣٧، ٣٨)، والطبري (٢٨/ ٦٨)، والطحاوي في مشكل الآثار (٤/ ١٣٢، ١٣٣/ ١٤٩٠).

(٤) في (ن): والله أعلم.



«سورة المنافقين[١]»: مدنية

لَمَّا كان الانفضاض أوَّلًا من المنافقين، ثم تبعهم بعض المؤمنين، بيَّنَ لهم حقيقة[٢] حالهم؛ لئلا[٣] يوافقهم في أفعالهم فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾: سئل حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن المنافق فقال: هو الذي يصف الإسلام ولا[٤] يعمل به[٥]، والمراد هنا: ابن أبي وأصحابه[٦] ﴿قَالُوا﴾: بلا اعتقاد ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾: لأن الشهادة إخبار عن شهود واطلاع فكذبهم في تسميتهم شهادة، وأما «**شهادة الزور**»[٧] فيجوز[٨]، وأفاد أنَّ الإيمان تصديق بالقلب، والكلام الحقيقيُّ كلام القلب، ومن قال خلاف معتقده فكاذبٌ ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ﴾: الكاذبة ﴿جُنَّةً﴾: سترةً ﴿فَصَدُّوا﴾: أعرضوا أو منعوا ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ ذَٰلِكَ﴾: المذكور من قبائحهم ﴿بِأَنَّهُمْ آمَنُوا﴾: بلسانهم ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾: استمروا على كفرهم باطنا ﴿فَطُبِعَ﴾: ختم ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: فاستحكموا في الكفر ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾: الإيمان ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ﴾ لحسن ظاهرها

---

(١) كذا، والصواب «المنافقون» بالرفع على الحكاية توقيفا وهي (١٨٠) كلمة، وحروفها (٧٧٦) حرفا.
* الوجيز (٣١٦)، البيان (٢٤٧)، بشير اليسر (١٨٧)، البصائر (١/ ٤٦٥) عدد سور القرآن (٤٤٩).

(٢) بل لبيان أنَّ من صفات المنافقين - لعنهم الله - ترك الجمع والجماعات.

(٣) في (د): ليعرفوهم فيخالفوهم.

(٤) في (د): ولم يعمل به.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٥/ ١١٥)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٦٨٢)، والفريابي في صفة النفاق (٧٠)، وأبو نعيم في صفة النفاق (١٢٦/ ١٤٧)، والطبرى في تهذيب الآثار (٢/ ١٧١) والخرائطي في مساوئ الأخلاق (٣٠٦)، والخلال في السنة (١٦٣٩)، وابن بطة في الإبانة (٩١٤، ٩٢٨)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٨١).

(٦) أخرجه البخاري (٤٩٠٠، ٤٩٠١، ٤٩٠٣، ٤٩٠٤)، ومسلم (٢٧٧٢)، الترمذي (٥/ ٤١٥، ٤١٧/ ٣٣١٣).

(٧) يعني الواردة في الحديث.

(٨) يعني تجري مجرى الحلف. وفي (س): ففجور.

﴿وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ لفصاحتهم، حال كونهم ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ﴾ أخشاب ﴿مُّسَنَّدَةٌ﴾ في عدم نفعهم، إذ[1] المنتفع به لا يكون إلا في نحو سَقف[2]، أو جمع خشبة: أخشبة تآكَلَ جوفها[3]، فالتشبيه في قبح باطنهم وخلوهم عن الإيمان ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ﴾ من إنشاد ضالة وغيره، واقعة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ لجبنهم واتهامهم، ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ لا تأمنهم ﴿قَٰتَلَهُمُ﴾ لعنهم ﴿ٱللَّهُ﴾ علمنا الدعاء عليهم ﴿أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون عن الحق ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ﴾ معتذرين ﴿يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ﴾ أمالوا أو حركوا استهزاء ﴿رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ يعرضون عنه ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ عنه ﴿سَوَآءٌ﴾ مستو ﴿عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ﴾ أي: استغفارك ﴿لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ أي: عدم استغفارك ﴿لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ لشقوتهم الأزلية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ في علمه ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ للأنصار ﴿لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾ يتفرقوا عنه ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فهو رازقهم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝٧ يَقُولُونَ﴾ للمهاجرين ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ﴾: عن غزوة بني المصطلق ﴿إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ﴾: عنوا أنفسهم لعنهم الله تعالى[4] ﴿مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾: عنوا الصحابة رضي الله عنهم ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ﴾: الغلبة ﴿وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾: لأنه أعزهم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أتى بالفقه أولا، وبالعلم ثانيا؛ ليفيد عدم كياستهم وفهمهم بالأول وحماقتهم بالثاني ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ﴾: لا تشغلكم ﴿أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ﴾: أي: اللهو[5] بهما ﴿عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾: أي: طاعاته[6] كالمنافقين ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾: اللهو ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝ وَأَنفِقُواْ مِن﴾: بعض ﴿مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ﴾ أمهلتني ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾

---

(١) في (ن): أو.

(٢) والسقف شيء تكأة.

(٣) أصابها السوس والأرضة.

(٤) سبق.

(٥) في (ن)، و(د): الالتهاء.

(٦) في (ن)، و(د): طاعته.

فَأَصَّدَّقَ ﴾: فأتصدق ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كلُّ مَن قصَّر في الحج والزكاة فكذلك عند الموت[1] ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾: المقدر ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: فيجازيكم- والله أَعْلَمُ.



---

(١) يعني يسأل الرجعة عند الموت. أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٣٥٧/ ١٨٩٠١) وأخرجه الترمذي في جامعه (٥/ ٣٦٠٣/ ٥٠٨)، والطبري في تفسيره (٢٨/ ١١٨)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٣٠٥) وسنده ضعيف.



«سورة التغابن[١]»: مختلف[٢] فيها

لَمَّا بَيَّن في السُّورة[٣] حال المنافقين أتبعه بما يناسبه من تقسيم خلقه إلى المؤمنين والكافرين فقال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾: لا لغيره ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ﴾: مقدر كفره ﴿وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾: مقدر إيمانه ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: فيجازيكم عليه ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾: بالحكمة ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾: وزينكم بصفوة أوصاف الكائنات ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾: للجزاء ﴿يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ﴾ أي: بما في ﴿ٱلصُّدُورِ ۞ أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾: يا قريش ﴿نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ﴾: ضرر ﴿أَمْرِهِمْ﴾ أي: كفرهم في الدنيا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: في العقبى ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: من المعجزات ﴿فَقَالُوٓا۟﴾ عنادًا: ﴿أَبَشَرٌ﴾: جنسه ﴿يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟﴾: أعرضوا عنهم بالكلية ﴿وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ﴾: عن الكل فضلاً عن طاعتهم ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ﴾: مطلق ﴿حَمِيدٌ﴾: في ذاته وإن لم يحمد ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟﴾: أي: ادعوا علمه ﴿قُلْ بَلَىٰ﴾: تبعثون ﴿وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾: بمجازاته ﴿وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۞ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ﴾: القرآن ﴿ٱلَّذِيٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: اذكر ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ﴾: جزاء ﴿ٱلْجَمْعِ﴾: وهو القيامة ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾: يغبن الكل حتى السعداء لتركهم زيادة الخير ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾: يومئذ ﴿وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ﴾ جمع لمعنى «مَنْ» ﴿فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۞ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۞ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ

---

(١) كلماتها (٢٤١) كلمة، وحروفها (١٠٧٠) حرفا.

* الوجيز (٣١٧)، البيان (٢٤٨) البصائر (١/ ٤٦٧)، عدد سور القرآن (٤٥١).

(٢) مدنية وعن ابن عباس: مكية سوى ثلاث آيات نزلن بالمدينة في عوف بن مالك الأشجعي الأنصاري.

* عدد سور القرآن (٤٥٠).

(٣) في نسخة (ن)، و(د): لما بين حال المنافقين أتبعه.

﴿اللَّهِ﴾ أي: بإرادته ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾: للثبات والاسترجاع عندها ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾: فلا عليه ﴿فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۝ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾: فإنه يقتضي الإيمان به ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ﴾: بعض ﴿أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾: يشغلكم عن الطاعة ﴿فَاحْذَرُوهُمْ﴾: أن تطيعوهم[1] في تركها ﴿وَإِن تَعْفُوا﴾: إساءتهم ﴿وَتَصْفَحُوا﴾: تعرضوا عن لومهم ﴿وَتَغْفِرُوا﴾: بسترها ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾: لكم ﴿رَّحِيمٌ﴾: بكم، نزلت فيمن ثبطهم الأهل عن الهجرة، فلما هاجروا رأوا من هاجر قبلهم فقهاء فهموا بمعاقبة الأهل[2] ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾: اختبار لكم، ولذا في الحديث: النهي عن الاستعاذه من الفتنة، بل إنما يستعاذ[3] من مُضِلّات الفتن[4] ﴿وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: لمن آثر محبته عليهم ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ أي: جهدكم، وذلك فيما وقع بالندم مع العزم على ترك معاودته، وفيما لم يقع بالتحرز عن أسبابه، وقيل: هي ناسخة «حق تقاته»[5] ﴿وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾: أمره ﴿وَأَنفِقُوا﴾: إنفاقا ﴿خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾: أي: في البر ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ﴾: حرص ﴿نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

---

(١) في (ن)، و(د): أي: إطاعتهم في تركها.

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٤١٩، ٤٢٠/ ٣٣١٧)، والطبري في تفسيره (٢٨/ ٨٠)، والطبراني في الكبير (١١/ ٢٢٠/ ١١٧٢٠)، والحاكم (٢/ ٤٩٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٣٥٨/ ١٨٩٠٤) وسنده ضعيف.

(٣) في (د) فالاستعاذة.

(٤) لأن الفتنة فيها حصادا للمنافقين والمؤلف هنا يشير إلى كلام ابن مسعود رضي الله عنه: «**لا يقل أحدكم: أعوذ بالله من الفتن، ولكن ليقل: أعوذ بالله من مضلات الفتن**، ثم تلا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ (التغابن: ١٥). أخرجه الطبراني في الكبير (٩/ ٨٩٣١).

وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٢٠): إسناده منقطع، وفيه المسعودي وقد اختلط.

قال الحافظ ابن رجب في اختيار الأولي (٤/ ٧٩/ مجموع رسائل ابن رجب): يشير إلى أنه لا يستعاذ من المال والولد وهما فتنة.

* وأمر رسول الله ﷺ أم سلمة أن تقول: «**اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن ما أبقيتني**». رواه أحمد (٦/ ٣٠١، ٣٠٢) بسند ضعيف، لكن له شواهد.

(٥) سورة آل عمران.

﴿إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ﴾: بصرف مالكم فيما مر ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾: بإخلاص، سَمّاهُ قَرْضًا لالتزامه تعالى أداء عوضه ﴿يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ﴾: إلى سبعمائة وأكثر[١] ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ﴾: مجاز على الطاعة[٢] ﴿حَلِيمٌ﴾: لا يعاجل بعقوبة العاصي ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ﴾ ملكا ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: صُنْعًا[٣].



---

(١) في (د) فأكثر.

(٢) هذا غير سديد ولا تأويل في الأسماء والصفات أيضا.

(٣) في (س)، و(ع): «العزيز الحكيم» ملكًا وصُنْعًا.



«سورة الطلاق[1]»: مدنية[2]

لَمَّا ذكَر فتنة المَال والأولاد أتبعه بفتنة النساء فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۞ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾: ذكره وأراد[3] به الأمة، لأنه إمامهم ورأسهم[4] ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾: أردتم أن تطلقوا ﴿النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾: أي: وقتها وهو طهر لم تمسوها[5] فيه ﴿وَأَحْصُوا﴾: اضبطوا ﴿الْعِدَّةَ﴾: للرَّجعة وغيرها ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾: فيما أمرتم به ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾: مساكنهن إلى انقضائها ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ﴾: منها استبدادا، فلو اتفقا على خروجها جاز[6] ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ﴾: كزنا أو إيذاء أهل الزوج ﴿مُبَيِّنَةٍ﴾: فتخرج للحد وغيره[7] ﴿وَتِلْكَ﴾: الأحكام ﴿حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي﴾: النفس أو يا مطلقُ ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ﴾: الطلاق ﴿أَمْرًا﴾: كرجعة أو استئناف فيه إشعار بالنهي عن الثلاث ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ﴾: قاربن ﴿أَجَلَهُنَّ﴾: انقضاء عدتهن ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾: بالرجعة ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾: بحسن عشرة ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ﴾: إلى انقضائها ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾: بلا إضرار ﴿وَأَشْهِدُوا﴾: ندبا ﴿ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾: على الرجعة أو الفراق ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ﴾: أيها الشهود ﴿لِلَّهِ ذَلِكُمْ﴾: المذكور ﴿يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾: من كل مكروه ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ أي: لا يخطر بباله، وأما ضيق رزق أكثر الأتقياء فهو مع ضيقه يأتيهم كذلك

---

(١) وهي (٢٨٠) كلمة، وحروفها (١٠٦٠) حرفا.

* البيان (٢٤٩)، الوجيز (٣١٨)، البصائر (١/ ٤٦٩)، عدد سور القرآن (٤٥٣).

(٢) في الأقاويل كلها – عدد سور القرآن (٤٥٢).

(٣) في (ن): وعنى.

(٤) في (ن)، و(د): وربيبهم.

(٥) في (ن)، و(د): يمسها.

(٦) أحكام القرآن- للجصاص (٥/ ٣٤٧)، الحاوي الكبير (١٠/ ١١٥) الكافي- لابن قدامة (٣/ ١٦٠).

(٧) في (ن)، و(د): ونحوه.

وتقليله لطف بهم لتقل علائقهم[١] ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: أي: حق توكله ﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾: كافيه وأما عدم كفايته لكثير ممن يظنه متوكلا فلقصور توكله بنحو ضجره[٢] أو استبطائه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ أي: مراده فلا يفوته ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾: أجلًا لا[٣] يتعداه ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ﴾ أي: الحيض لكبر ﴿مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ أي: جهلتم عدتهن، هذا بيان لحال المنزل فيه لا قيد ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ﴾: لصغرهن، فكذلك والمتوفى عنها زوجها منهما مضى حكمهما ﴿وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ﴾: من الكل ﴿أَجَلُهُنَّ﴾ أي: انقضاء عدتهن ﴿أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾: إنما أخذوا بعمومها دون عموم «والذين يتوفون» إلى آخره؛ لأن عموم جمع مضاف إلى جمع محلى باللام بالذات، وعموم أزواجا المستفاد من الذين بالعرض ولنصه ﷺ ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾: في أحكامه ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾: أي: تيسير أمره[٤] في الدارين ﴿ذَٰلِكَ﴾: المذكور ﴿أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ أي: حكمه ﴿أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾: في أحكامه ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾: بالمضاعفة ﴿أَسْكِنُوهُنَّ﴾: المطلقات ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾: أي: بعض مساكنكم ﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾: أي: وسعكم[٥] مما تطيقونه ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ﴾: في السكنى ﴿لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ﴾: فتلجئوهن إلى الخروج ﴿وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾: دل على أن النفقة للحامل المعتدة ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾: أولادكم بعد قطع النكاح ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم﴾: ليأمر بعضكم بعضا ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾: بجميل في الإرضاع وأجرته ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ﴾: تضايقتم في الإرضاع ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ﴾: أي: للأب امرأة ﴿أُخْرَىٰ﴾: فلا تكره الأم ﴿لِيُنفِقْ﴾ على المطلقات المرضعات ﴿ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ أي: ما بلغه وسعه ﴿وَمَن قُدِرَ﴾: ضيق ﴿عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾: بالإعسار ﴿فَلْيُنفِقْ مِمَّآ

---

(١) أي: تعلقهم بالدنيا.

(٢) في (ن): ضجرنا!!.

(٣) الأجل: المدة المضروبة ويقال للمدة المضروبة لحياة الإنسان أجل.

* عمدة الحفاظ (١/ ٦٧/ أجل).

(٤) في (س): أموره.

(٥) في (ن): وسعتكم وهو خطأ.

وتقليله لطف بهم لتقل علائقهم[1] ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: أي: حق توكله ﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾: كافيه وأما عدم كفايته لكثير ممن يظنه متوكلا فلقصور توكله بنحو ضجره[2] أو استبطائه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ أي: مراده فلا يفوته ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾: أجلًا لا[3] يتعداه ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ﴾ أي: الحيض لكبر ﴿مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ أي: جهلتم عدتهن، هذا بيان لحال المنزل فيه لا قيد ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ﴾: لصغرهن، فكذلك والمتوفى عنها زوجها منهما مضى حكمهما ﴿وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ﴾: من الكل ﴿أَجَلُهُنَّ﴾ أي: انقضاء عدتهن ﴿أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾: إنما أخذوا بعمومها دون عموم «والذين يتوفون» إلى آخره؛ لأن عموم جمع مضاف إلى جمع محلى باللام بالذات، وعموم أزواجا المستفاد من الذين بالعرض ولنصه ﷺ ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾: في أحكامه ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾: أي: تيسير أمره[4] في الدارين ﴿ذَٰلِكَ﴾: المذكور ﴿أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ أي: حكمه ﴿أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾: في أحكامه ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾: بالمضاعفة ﴿أَسْكِنُوهُنَّ﴾: المطلقات ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾: أي: بعض مساكنكم ﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾: أي: وسعكم[5] مما تطيقونه ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ﴾: في السكنى ﴿لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ﴾: فتلجئوهن إلى الخروج ﴿وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾: دل على أن النفقة للحامل المعتدة ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾: أولادكم بعد قطع النكاح ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم﴾: ليأمر بعضكم بعضا ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾: بجميل في الإرضاع وأجرته ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ﴾: تضايقتم في الإرضاع ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ﴾: أي: للأب امرأة ﴿أُخْرَىٰ﴾: فلا تكره الأم ﴿لِيُنفِقْ﴾ على المطلقات المرضعات ﴿ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ أي: ما بلغه وسعه ﴿وَمَن قُدِرَ﴾: ضيق ﴿عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾: بالإعسار ﴿فَلْيُنفِقْ مِمَّآ

---

(١) أي: تعلقهم بالدنيا.

(٢) في (ن): ضجرنا!!.

(٣) الأجل: المدة المضروبة ويقال للمدة المضروبة لحياة الإنسان أجل.

* عمدة الحفاظ (١/ ٦٧/ أجل).

(٤) في (س): أموره.

(٥) في (ن): وسعتكم وهو خطأ.

ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾: على قدره ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا﴾ في النفقة ﴿إِلَّا﴾: بقدر ﴿مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾: فلا تخالفوه خشية الفقر ﴿وَكَأَيِّن﴾: كثيرا ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾: أي: أهلها ﴿عَتَتْ﴾: أي: تمرَّدت ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾ ﴿وَ﴾ أمر ﴿رُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾: بالمناقشة في الآخرة كما مر ﴿وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾: مُنكرًا فَظِيعًا ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ﴾: عقوبة ﴿أَمْرِهَا﴾: من المعاصي ﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾: بلا ربح ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًاۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: لئلا يصيبكم ﴿يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: العقول السليمة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَّسُولًا﴾ مذكرا، أي: جبريل أو محمد ﷺ ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: به ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: الجهل ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾: العلم ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ﴾: جمع لمعنى من ﴿فِيهَآ أَبَدًاۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾ أي: النعمة الدائمة ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾: عددا، إما طبقات أو أقاليم[1] بين كل طبقتين كما بين السماء والأرض، وفي كل أرض سكان، قال الجمهور[2]: وهو الأصح، وقال الضحاك: بلا فتق بينها، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كلها منبسط يفرق بينهما البحار ويظل جميعهم السماء، وهذا يؤيد[3] تفسيرها بالأقاليم ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ﴾ أي: قضاؤه في كل شيء أو وجيه ﴿بَيْنَهُنَّ﴾: من السماء السابعة إلى الأرض السابعة ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟﴾: متعلق خلق أو يتنزل ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾: فإنَّ كُلًّا منهما يدل على كل منهما، والله تعالى أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.



---

(١) في (ن)، و(د): عدد أقاليم سبعة أو سبع طبقات.

(٢) في (ن)، و(د): وعليه الجمهور.

(٣) في (ن)، و(د): وهو يؤيد الوجه الأول.



«سورة التحريم[١]»: مدنية[٢]

لَمَّا بين أحكام النساء اتبعه ببعض ما جرى من أمهات المؤمنين مَعَ[٣] مَا يتضمن من نصحهنّ فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾: بالحلف ﴿مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾: من مباشرة مارية أو العسل ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾: حفصة، إذ عاتبته على مباشرة مارية يومها أو يوم عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فقال ﷺ: مارية علي حرام تسلية لحفصة أو شرب العسل، فقالت سودة وصفية: نشم منك رائحة المغافير جمع مغفور والمغفور صَمْغُ العِضَاه[٤]، كريه الرائحة، فحلف لا يأكل العسل، كذا في الصحيحين، والأوّلُ[٥] عن أكثر السلف[٦] ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: لا يؤاخذكم به ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ﴾: شرع الله ﴿لَكُمْ تَحِلَّةَ﴾

---

(١) كلماتها (٢٤٧) كلمة، وحروفها (١٠٦٠) حرفا.
* الوجيز (٣٢٠)، البيان (٢٥٠)، البصائر (١/ ٤٧١)، عدد سور القرآن (٤٥٤).
(٢) في الأقاويل كلها. * عدد سور القرآن (٤٥٤).
(٣) من هنا إلى قوله: فقال، من (د)، و(ن).
(٤) العضاه- بوزن كتاب- من شجر الشوك كالطلح والعوسج، واستثنى بعضهم القتاد والسدر فلم يجعله من العضاه. * المصباح المنير (٢/ ٤٩٥/ عضه).
(٥) في (ن)، و(د): أكثر السلف على الأول.
(٦) قد وردت روايات كثيرة في سبب نزول هذه الآية الكريمة، سأكتفي منها بثلاثة صحيحة:
١- الأولى: عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان رسول الله ﷺ يشرب عسلا عند زينب ابنة جحش ويمكث عندها، فواطأت أنا وحفصة عن أيتنا دخل عليها فلتقل له: أكلت مغافير؟ إني أجد منك ريح مغافير، قال: «لا» ولكني كنت أشرب عسلا عند زينب ابنة جحش فلن أعود له، وقد حلفت لا تخبري بذلك أحدا. أخرجه البخاري (٤٩١٢، ٦٦٩١، ٥٢٦٧)، ومسلم (١٤٧٤/ ٢٠).
٢- الثانية: عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها، فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرمها على نفسه؛ فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.
أخرجه النسائي في المجتبى (٧/ ٧١، ٧٢)، وفي عشرة النساء (٥٠/ ٢١)، وفي التفسير (٢/ ٤٤٩/ ٦٢٧)، والحاكم (٢/ ٤٩٣)، والضياء المقدسي في المختارة (٥/ ٦٩، ٧٠/ ١٦٩٤) وسنده صحيح.
٣- عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ لحفصة: «**لا تخبري أحدا، وإن أم إبراهيم على حرام**»؛ فقالت: =

أي: تحليل عقود، ﴿أَيْمَٰنِكُمْ﴾: بالكفارة كما في المائدة[١]، وعلى قول[٢] تحريم مارية، ورد أنه كفر[٣] بإعتاق رقبة ﴿وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾: متولي أموركم ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾: في أحكامه ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ﴾ حفصة ﴿حَدِيثًا﴾ أي: تحريم ما مر مع خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما بعده، كما قاله عليٌّ وابن عباس رضي الله عنهم وقال: لا تفشيه. كذا رواه الطبراني وغيره ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾ عائشة على ظن جوازه ﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ أي: أطلع نبيه (عليه) أي: على النبأ به ﴿عَرَّفَ﴾: لحفصة ﴿بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾: تكرما منه هو حديث العسل، أو الخلافة ولابن كثير[٤] في إسناده نظر ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا﴾: ظنت أن عائشة نصحتها ﴿قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾: ثم قال تعالى لحفصة وعائشة: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾: فتوبا ﴿فَقَدْ صَغَتْ﴾ أي: مالت ﴿قُلُوبُكُمَا﴾: إلى موجب التوبة وهو المسرة بما كرهه ﷺ، من تحريم[٥] مارية ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا﴾: تعاونا ﴿عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ﴾: ناصره ﴿وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: أبو بكر وعمر كما في مسلم[٦] وغيره، أو كلهم[٧] ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾: تتظاهر لنصره ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ﴾: منقادات ﴿مُّؤْمِنَٰتٍ﴾: مصدقات ﴿قَٰنِتَٰتٍ﴾: مواظبات على الطاعة ﴿تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ﴾: صائمات أو مهاجرات ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾: وسط العطف لتنافيهما، أي: مشتملات على الثيبات والأبكار ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾: بالطاعة ﴿وَأَهْلِيكُمْ﴾: بالنصح ﴿نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾: الكبريت أو الأصنام ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ

= أتحرم ما أحل الله لك؟ قال: فوالله لا أقربها، قال: فلم يقربها حتى أخبرت عائشة، قال: فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾. أخرجه الضياء (١/ ٢٩٩، ٣٠٠/ ١٨٩) وسنده صحيح.

(١) سبق.

(٢) في (د): رواية حفصة.

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٣٥٠).

(٤) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٨٨).

(٥) في (ن)، و(د): تحلة.

(٦) كذا- وهو في صحيح مسلم (٢/ ٣٦٦) من كلام عمر: فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا أبو بكر والمؤمنون معك.

(٧) في (د): أو كلهم إلا علي.

﴿غِلَاظٌ﴾: خلقا ما بين منكبي الواحد منهم مسيرة سنة[١]، أو كما بين المشرق والمغرب[٢] ﴿شِدَادٌ﴾: خلقا وبطشا ﴿لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ﴾: في ﴿مَا أَمَرَهُمْ﴾: فيما مضى ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾: فيما يستقبل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ﴾: فإنه لا ينفع ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ﴾: جزاء ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾: ناصحة صادقة لأنهم معها بالمعاودة، وفي الحديث: «هي أن يتوب ثم لا يرجع[٣] كما لا يعود اللبن إلى الضرع»[٤] ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: قد مر حكمة «عسى» من الكريم ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾: بإدخال النار ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾: على الصراط ﴿يَقُولُونَ﴾: إذا انطفأ نور المنافقين أو حين رأوا نور بعضهم أنقص من بعض بحسب أعمالهم: ﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾: وعلى الثاني ﴿وَاغْفِرْ لَنَا ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ﴾: بالسيف ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾: بالحجة[٥] ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾: إذا بلغ الرِّفْق مداه ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾: هي ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ﴾: أي: جعل مثل حال الذين ﴿كَفَرُوا﴾: في عدم انتفاعهم بقرابتهم للأنبياء ﴿امْرَأَتَ نُوحٍ﴾: والهة[٦] ﴿وَامْرَأَتَ لُوطٍ﴾: واغلة[٧] ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا﴾: كرر ذكر عبوديتهما؛ لتشريف الإضافة ﴿صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾: بالنفاق ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا﴾: أي: لم يدفع النبيان ﴿عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ﴾ أي: عذابه ﴿شَيْئًا وَقِيلَ﴾ لهما: ﴿ادْخُلَا النَّارَ مَعَ﴾ الكفار ﴿الدَّاخِلِينَ ۞ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ﴾: أي: جعل مثل حال الذين ﴿آمَنُوا﴾: في عدم

---

(١) كذا ولعله: مائة سنة- ذكره السيوطي في البدور (٤١٦) وعزاه لعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن أبي عمران الجوني.

(٢) أخرجه ابن وهب في الأهوال (٤١٦/ البدور) وسنده لا يصح. * انظر: التذكرة (٢/ ١٤٦/ ١٢٤٣).

(٣) في (ن)، و(د): هي أن تتوب ثم لا ترجع.

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٨/ ١٠٧، ١٠٨). * وانظر: الوسيط (٤/ ٣٢٢).

(٥) فسيف المنافقين لم يسله رسول الله ﷺ.

(٦) في (ح): «واهلة». * وانظر: مفحمات الأقران (٤٧)، غرر التبيان (٥١٤). والمثبت من بقية النسخ.

(٧) وقيل: والغة، وقيل: واعلة. * مفحمات الأقران (٤٧)، غرر التبيان (٥١٤).

تضررهم بقرابة الكفار ﴿ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ﴾ آسية ﴿إِذۡ﴾: آمنت بموسى فعذبها فرعون أشد تعذيب، إذْ ﴿قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: فكشف لها عن بيتها في الجنة، فضحكت ثم قبضت، وقيل: رفعت إلى الجنة حية[1] ﴿وَ﴾ ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، تسلية للأرامل ﴿مَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ﴾: صانت ﴿فَرۡجَهَا﴾: من الرجال ﴿فَنَفَخۡنَا فِيهِ﴾: في فرجها ﴿مِن رُّوحِنَا﴾: بنفخ جبريل في جيب درعها وكل خرق في الثوب يسمى فرجا، فحملت بعيسى عليه الصلاة والسلام[2] ﴿وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ﴾ أي: بشرائع ﴿رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾: المنزلة ﴿وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ﴾: المواظبين على الطاعة، ذَكَّر[3]؛ للتغليب أو لكمالها، أو «مِنْ» ابتدائية- واللهُ أعْلَمُ.



---

(١) الوسيط (٤/ ٣٢٣)، معالم التنزيل (٤/ ٣٦٨)، لباب التأويل (٧/ ١٢٣)، الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٦٦٨٢)، زاد المسير (٨/ ٣١٥).

(٢) في (ن)، و(د): ﷺ.

(٣) فلم يقل القانتات.



«سورة الملك[١]»: مكية[٢]

وتسمى الواقية[٣] والمنجية[٤]، وفي التوراة اسمها: مانعة[٥].

لَمَّا ذكر أن أحدا من الأنبياء لا يغني من الله شيئا، بيَّن أنَّه المنفرد[٦] بالتصرف في ملكه فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ تَبَارَكَ﴾: تعالى عن كل النقائص ﴿الَّذِي بِيَدِهِ﴾: بقبضة قدرته ﴿الْمُلْكُ﴾: أي: التصرف في كل الأمور ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ﴾: هو صفة وجودية مضادة للحياة أو عدم الحياة عما من شأنه الحياة، وخلق بمعنى قدر ويؤيد الأول قول ابن عباس رضي الله عنهما: خلق الموت في صورة كبش أملح لا يمر على شيء ولا يجد رائحته إلا مات.... إلى آخر الحديث[٧] وقدم[٨] على قوله: ﴿وَالْحَيَاةَ﴾: لأنه أدعى إلى حسن العمل، ووفاقا[٩] لقوله: وكنتم أمواتا... إلى آخره ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾: ليختبركم في الحياة ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ﴾: أخلص ﴿عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: في انتقامه ﴿الْغَفُورُ﴾: للتائبين ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾: مطابقة بعضها فوق بعض، أو جمع طبق ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ﴾: لها ﴿مِن تَفَاوُتٍ﴾: عدم تناسب، وقيل: أصلُ الفَوْت:

---

(١) كلماتها (٣٣٠) كلمة، وحروفها (١٣١٣) حرفا.

* البصائر (١/ ٤٧٣)، الوجيز (٣٢٠)، البيان (٢٥١).

(٢) في الأقاويل كلها. * عدد سور القرآن (٤٥٥).

(٣) ورد عن ابن مسعود: من قرأ «تبارك» كل ليلة وقاه الله فتنة القبر.

* لمحات الأنوار (٢/ ١٠٠٠/ ١٣٩٨).

(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ١٦٤/ ٢٨٩٠) والطبراني في الكبير (١٢/ ١٧٤، ١٧٥/ ١٢٨٩١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٤٤٨، ٤٤٩/ ٢٢٨٠)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٨١) وسنده جيد.

(٥) وفي غير التوراة أيضًا كما ورد في الحديث. أخرجه الحاكم (٢/ ٤٩٨) والبيهقي في الشعب (٥/ ٤٤٧، ٤٤٨)، والطبراني في الكبير (٩/ ١٤٠، ١٤١/ ٨٦٥١) وسنده صحيح.

(٦) في (س): المتفرد.

(٧) معالم التنزيل (٨/ ١٧٥) ولا يصح.

(٨) في (ن): وقدمه.

(٩) في (س): ووقفًا، وفي (ع): ووفقًا.

الفُرْجة بين الأصبعين فمعناه معنى فطور ﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ﴾: إليها بعد ما رأيتها مرارا ﴿هَلۡ تَرَىٰ﴾ فيها ﴿مِن فُطُورٖ﴾: شقوق أي: خلل ﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ﴾: أي: كرة بعد كرة، كلبيك ولذا[١] أجاب بقوله ﴿يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا﴾: بعيدا عن إدراك الخلل ﴿وَهُوَ حَسِيرٞ﴾: كليل لكثرة المراجعة ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا﴾: القربى إليكم ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾: أي: نجوم[٢] كالسرج ﴿وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾: إذ الشهب منقضة من نارها، وقيل: أي: ظنونا لشياطين الإنس وهم المنجمون[٣] وأضرابهم ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾: جهنم.

* **تنبيه:** لا يقال انقِضَاضُها كان قبل النَّبي ﷺ أيضًا كما في كتب الجاهلية، وورد أيضًا في الحديث[٤]، فكيف يعد من خصائص نبينا ﷺ، فكيف يجعل[٥] من خصائص نبينا ﷺ وأيضا بقي بعده ﷺ فكيف يجعل من خصائص بعثته[٦]، وأيضا ثخن السماء خمسمائة عام[٧] فكيف يسَّمعون إلى أسرار الملك فوقها[٨]، وأيضا هم من النار والنار لا تحرق بالنار[٩]، لأنا نقول انقضاضه قبل المبعث لأسباب أخر لا ينافي كونه بعد المبعث لرجمهم ودوامه بعده؛ لأنه ﷺ أخبر عن بُطْلان[١٠] الكهانة

---

(١) في (د): وكذا.

(٢) في (ن)، و(د): أي: بنجوم.

(٣) في (ن)، و(د): كالمنجمين وأضرابهم.

(٤) في (د): وورد أيضًا في الحديث.

(٥) في (د): يعد.

(٦) سقطت من (ن).

(٧) الثخن: الغلظ- وهذا أثر مروي عن ابن مسعود رضي الله عنه.

* أخرجه أبو الشيخ في كتاب العظمة (٢/ ٢٠٣/ ٥٦٥) بسند جيد.

(٨) ثبت هذا وصح، ولم تبين لنا الكيفية، فوجب أن نؤمن بما جاء، ثم إنّ الحديث أفاد أنهم يصعدون بعضهم فوق بعض وهذا من قدر الله وإرادته أن يسمعهم ما شاء.

(٩) كلام في غاية السقوط والتهافت، ومعروف أن النار أنواع، والجن خلقوا من نوع خاص من النار كثافته أقل، فإذا أراد الله رميهم بشهب وصواعق من نار، رماهم بما يعذبهم به ونحن مثلاً كبشر خلقنا من طين فإذا طَمَّ الطينُ الإنسان قتله، وسبحان الله: ولكل شيء آفة من جنسه ا.هـ.

(١٠) في (ن): أخبر ببطلان.

لئلا يقدح[١] في خبره، وأن البُعْد على المذهب الحق لا يمنع السماع، وأن النار الكبرى تبطل النار الضعيفة وقد مر كلام فيه في الصَّافات وسيأتي في الجن، والله تعالى أعلم ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾: هي ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا﴾: لجهنم ﴿شَهِيقًا﴾: هو آخر نهيق الحمار وهو أنكر صوت[٢] ﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾: تغلي ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ﴾: تتقطع ﴿مِنَ الْغَيْظِ﴾ أي: غيظها أو غيظ الزبانية[٣] ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾: جمع من الكفرة ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾: توبيخا: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا﴾: أي: كل فوج منا ﴿نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ﴾: ما ﴿أَنْتُمْ﴾ المكذبين[٤] للنذر[٥] ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ۝ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾: كلامهم قبولا ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾: الدلائل ﴿مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ﴾: حين لا ينفعهم[٦] ﴿فَسُحْقًا﴾: بعدا عن رحمة الله تعالى ﴿لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾: استدل المرجئة بالآية على أن لا يدخل النار إلا الكفار ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ﴾: سرا ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ﴾: بما في ﴿الصُّدُورِ ۝ أَلَا يَعْلَمُ﴾: ذلك ﴿مَنْ خَلَقَ﴾ الكل، أَوْ أَلَا يَعلم الله من خلقه ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾: بظواهرهم وبواطنهم، رد لقول بعضهم: أسرُّوا؛ لئلا يسمع إله محمد ﷺ ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا﴾: لينة ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾: جوانبها أو جبالها وهذا مثل لفرط التذليل ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾: بنحو التجارة والزراعة ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾: فيسألكم عن شكره ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾: سلطانه أو الملائكة الموكلون بها[٧]، وخصها لنزول الأقضية منها ﴿أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾: كقارون ﴿فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾: تضطرب حتى تلقيكم إلى أسفلها ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾: ريحا ذات حصباء ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾: أي: إنذاري

---

(١) في (ن): نقدح.

(٢) كما في آية: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾.

(٣) ملائكة العذاب- والعياذ بالله-.

(٤) في (ن): يا نذير!!!.

(٥) في (ع)، و(س): الخطاب للمنذرين.

(٦) في (ن): نفعهم.

(٧) هذا تأويل فاسد زلت فيه الأقدام وحارت لأجله العقول وكسرت الفهوم، واتباع الأثر صحة وشفاء، وقد أجمع السلف على أن الله في السماء كما قال - سبحانه - عن نفسه، وعلمه في كل مكان.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي: إنكاري عليهم بإهلاكهم ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾: معتبرين ﴿إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ﴾: باسطات أجنحتهن ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾: أجنحتهن بضربها على جنوبهن عند الهبوط، غيَّر الأسلوب؛ تفرقة بين الأصل في الطيران والطاريء عليه ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ﴾: أي: ألم يقدر القادر على ذلك على تعذيبهم ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ﴾: أعوان ﴿لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: أي: سواه ﴿إِنِ﴾: ما ﴿ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ۞ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ﴾: الرحمن ﴿رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟﴾: تمادوا ﴿فِى عُتُوٍّ﴾: عناد ﴿وَنُفُورٍ﴾: شراد عن الحق ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا﴾: يعثر ويقع ﴿عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾: لوعورة طريقه، وهو الباطل أو هو الكافر في طريق جهنم ﴿أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا﴾: سالما من العثار لاستواء طريقه الحق، أو هو المؤمن في طريق الجنة؛ لأنه ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: من باب: العسل أحلى من الخل ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ﴾: خلقكم ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا﴾: صلة ﴿تَشْكُرُونَ﴾: باستعمالها فيما خلقت له ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ﴾: خلقكم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: للجزاء ﴿وَيَقُولُونَ﴾: لكم ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾: الحشر الموعود ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ﴾ بوقته ﴿عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: فما عَلَيَّ تعيينهُ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾: أي: الموعود[1] ﴿زُلْفَةً﴾: قريبًا ﴿سِيٓـَٔتْ﴾: قبحت ﴿وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ﴾ لهم توبيخا: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ تطلبونه ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ﴾: المؤمنين كما تريدون ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾: بتأخير آجالنا ﴿فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ قُلْ هُوَ﴾: أي: الذي أدعوكم إليه ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ﴾ وحده ﴿تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: منا ومنكم ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ﴾: بئري زمزم والميمون[2] ﴿غَوْرًا﴾: غائرا في الأرض لا تصله الدلاء ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ﴾: ظاهر سهل المأخذ، يسن بعده قول: الله رب العالمين.

❁❁❁

---

(١) في (ن): الموعودون.

(٢) النكت والعيون (٦/ ٥٧).



«سورة ن[١]»: مكية[٢]

لمَّا أَوعدهم بما مر وأسند الإتيان بالماء المعين إلى رب العالمين[٣]، نسبوه إلى الجنون، فبرأه عنه فقال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ نٓ﴾: كما مر، أو هو الحوت جنسه[٤]، أو الحامل للأرض، أو دواة كتب منه الكائنات، أقسم الله به وفي إعراب الكل سوى الأول فاعل ﴿وَٱلْقَلَمِ﴾: الذي خط اللوح أو ما يخط به خصَّه؛ لكثرة فوائده ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾: الضمير للقلم، وجمع[٥] تعظيما أو للحفظة أو لأصحابه ﴿مَآ أَنتَ﴾: يا محمد ﴿بِنِعْمَةِ﴾: بسبب إنعام ﴿رَبِّكَ﴾: عليك ﴿بِمَجْنُونٍ ۞ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا﴾: على الاحتمال أو الإبلاغ ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾: مقطوع ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾: «**كان خُلُقه القُرْآن**»[٦]، أي: يتخلق بما فيه من مكارم الأخلاق مزجورا عما زجر من رذائلها، والخلق في اللغة: الطبع المتكلف كما أن الخِيْم[٧] الطبع الغريزي[٨]، أو بمعنى دين[٩] ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾: الذين رموك بالجنون ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾: فتنة الجنون أي: في أي الفريقين منكم الجنون ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾: إليه[١٠] ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾: أي: دم على مخالفتهم ﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ﴾: تلاينهم بترك نهيهم

---

(١) كلماتها (٣٠٠) كلمة، وحروفها (١٢٥٠) حرفا.

* الوجيز (٣٢٢)، البصائر (١/ ٤٧٦)، البيان (٢٥٢)، عدد سور القرآن (٤٥٨).

(٢) في (ح): سورة نون.

(٣) في (ن)، و(د): الله.

(٤) في (ن)، و(د): فيه.

(٥) في (ن)، و(د): جمعه.

(٦) أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٩١)، ومسلم في صحيحه (١/ ٧٤٦)، وأبو داود في سننه (٢/ ١٣٤٢).

(٧) بكسر الخاء المعجمة وسكون الياء المثناة التحتية السجية.

(٨) النكت والعيون (٦/ ٦١).

(٩) يعني: دينك دين عظيم حق.

(١٠) في (ن)، و(د): فيه.

﴿فَيُدْهِنُونَ﴾: يلاينونك بترك الطعن فيكم ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾: كثير الحلف[١] ﴿مَّهِينٍ﴾: حقير الرأي ﴿هَمَّازٍ﴾: عياب ﴿مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ﴾: نقال للكلام إفسادا ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾: يمنع نفسه[٢] وغيره عنه ﴿مُعْتَدٍ﴾: ظالم ﴿أَثِيمٍ﴾: كثير الإثم ﴿عُتُلٍّ﴾: غليظ جاف، وفي الحديث: «**هو الشديد الخلق، الصحيح الجسم الأكول الشروب، الواجد للطعام والشراب، الظلوم للناس، رحيب الجوف**»[٣] ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾: الوصف ﴿زَنِيمٍ﴾: دعي منسوب إلى قوم ليس منهم بَيِّنَهُ[٤]؛ لأن خبث النطفة يورث خبث الناشئ منها، وكذا في الحديث: «**لا يدخل الجنة ولد الزنا، ولا ولده، ولا ولد ولده**»[٥]، وفيه: «**أن أولاد الزنا يحشرون في صورة القردة والخنازير**»[٦]، والأصح نزولها في الوليد بن المغيرة ادعاه أبوه وهو ابن ثماني عشرة سنة، روي أنه بعد نزولها أقرت أمه بالزنا[٧] ﴿أَن﴾ أي: لأن ﴿كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۝ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ﴾: هي ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: أكاذيبهم ﴿سَنَسِمُهُۥ﴾: سنجعل له علامة كسمة الحيوان ﴿عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾: أي: أنفه، وفيه[٨] إهانة، لأكثرية استعماله في الخنزير والفيل، وقد خطم بالسيف في بدر وبقي كذلك إلى موته ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾: أي: قريشا بالقحط بعد مطرهم ﴿كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾: بستان قريب صنعاء بفرسخين، كان لرجل يتصدق منه بعد رفع عيسى عليه الصلاة والسلام[٩] بيسير، فلما مات بخل أولاده ﴿إِذْ أَقْسَمُوا۟﴾: حلفوا ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا﴾:

----

(١) في (ن): كثير حلف.
(٢) في (ن)، و(د): منع.
(٣) الوسيط (٤/ ٣٣٥).
(٤) سطت من (ن).
(٥) رواه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢/ ٩١١/ ٣٧٠) والبخاري في تاريخه (٥/ ١٣٢)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٠٧، ٣٠٩) وهو بلفظ: «**لا يدخل الجنة ولد زنا**» وفصل القول في معناه الطحاوي في شرح مشكل الآثار.
(٦) لا يصح.
(٧) الوسيط (٤/ ٣٣٦).
(٨) يعني في لفظ: «الخرطوم».
(٩) في (ن): ﷺ.

يقطعون ثمرتها ﴿مُصْبِحِينَ﴾: وقت الصبح اختفاء من الفقراء ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾: في حلفهم بإن شاء الله، أو حِصَّة الفقراء كأبيهم ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا﴾: على الجنة بلاء ﴿طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ﴾: وهو نارٌ أحرقتها ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾: في بيوتهم ﴿فَأَصْبَحَتْ﴾: الجنة ﴿كَالصَّرِيمِ﴾: كبستان صرم ثماره، أو كالليل لسواده ﴿فَتَنَادَوْاْ﴾ بعضهم بعضا ﴿مُصْبِحِينَ﴾: وقت الصبح ﴿أَنِ﴾: أي: بأن ﴿ٱغْدُواْ﴾: مقبلين ﴿عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ﴾: قاطعين له ﴿فَٱنطَلَقُواْ﴾: إليه ﴿وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ﴾: يتساررون ﴿أَن﴾: أي: بأن ﴿لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾: أي: لا تمكنوه من الدخول ﴿وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ﴾: نكد أو منع للفقراء ﴿قَٰدِرِينَ﴾: على الامتناع في ظنهم، أو مضيقين على الفقراء ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾: محترقة مسودة ﴿قَالُوٓاْ﴾: أولا: ﴿إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾: طريقها، ولما تأملوا قالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾: نفعها ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾: أعدلهم ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا﴾: هلَّا ﴿تُسَبِّحُونَ﴾: الله تعالى بالاستثناء أو بالتوبة من خبث نيتكم وقد كان نصحهم ﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَ﴾: تنزيه ﴿رَبِّنَآ﴾: عن الظلم ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾: بخبث النية ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ﴾: يلوم بعضهم بعضا ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ﴾: كما مر ﴿إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ﴾: متجاوزين حد الله ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾: راجون العفو، فأبدلهم بها جنةً خيرا منها عنقودةٌ منها حِمْلُ بَغْل[1] ﴿كَذَٰلِكَ﴾: الذي بلونا به قريشا وأصحاب الجنة ﴿ٱلْعَذَابُ﴾: في الدنيا ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾: ما عصونا، ولما قاسوا أحوالهم في العقبى على أحوالهم في الدنيا تنعما نزل: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۞ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾: في الإكرام ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾: هذا ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ﴾: سماوي ﴿فِيهِ تَدْرُسُونَ ۞ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ﴾: في هذا الكتاب ﴿لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾: تختارونه ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ﴾ عهود مؤكد بها ﴿عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ﴾: في التوكيد ثابتة ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: وجوابها ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾: به ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ﴾: الحكم ﴿زَعِيمٌ﴾: كفيل أو مدع ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ﴾: في هذه الدعوى ﴿فَلْيَأْتُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ﴾: إذ لا أقل من التقليد، اذكر ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾: أي: القيامة يكشف فيها عن نور عظيم يخرون له سجدا، كذا في الحديث[2] أو هو مثل في شدة الأمر

---

(١) هذا واردٌ وليس مبالغة.

(٢) الوسيط- للواحدي (٤/ ٣٤٠).

﴿وَيُدْعَوْنَ﴾: الكفار والمنافقون توبيخا ﴿إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾: السجود، إذ تصير ظهورهم طبقا واحدا بلا مَفَاصِل[1] ﴿خَٰشِعَةً﴾: ذليلة ﴿أَبْصَٰرُهُمْ﴾: لا يرفعونها دهشة ﴿تَرْهَقُهُمْ﴾: تغشاهم ﴿ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾: أصحاء، فلم يسجدوا ولم يصلوا، وأما المؤمن فيسجد بلا دعاء كما مر ﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾: القرآن ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾: نقربهم من العذاب تدريجا بالإمهال ﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أنه استدراج بإكثار مال[2] ونحوه ﴿وَأُمْلِى﴾: أمهل[3] ﴿لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾: لا يندفع ﴿أَمْ﴾: بل ﴿أَ﴾ ﴿تَسْـَٔلُهُمْ﴾: يا محمد ﴿أَجْرًا﴾: على الرسالة ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾: فلا يؤمنون ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾: أي: علمه ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾: منه ما يزعمون ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾: بإمهالهم ﴿وَلَا تَكُن﴾: في العجلة ﴿كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾: يونس عليه الصلاة والسلام[4] ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾: في بطنه ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾: مملوء غيظا ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾: بقبول توبته ﴿لَنُبِذَ﴾: لطرح من بطنه ﴿بِٱلْعَرَآءِ﴾: في الفضاء ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾: لكن رحمه فنبذ غير مذموم ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾: برد الوحي إليه ﴿فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: الكاملين في الصلاح ﴿وَإِن﴾: إنه ﴿يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ﴾: يُزلون قدمك ويرمونك ﴿بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾: بنظر العداوة إن قَدروا، أو بالعين ﴿لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾ القرآن حسدًا ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾: لحيرتهم فيه ﴿وَمَا هُوَ﴾: القرآنُ ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾: عظةٌ ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: فلا ينزل إلا على أكملهم عقلا، قال الحسن: دَوَاءُ العين: قراءةُ هذه الآية[5]- واللهُ أعْلمُ بالصّواب.



---

(١) في (ن)، و(د): مفاصيل.

(٢) في (ن): بالنار قال!!!.

(٣) ليست في (ن).

(٤) في (ن): ﷺ.

(٥) تفسير النسفي (٤/ ٢١٤).



«سورة الحاقة[١]»: مكية

لمَّا قال[٢]: إنه[٣] عظة[٤] للعالمين؛ ذكَّرُهم بما في القيامة من الأهوال[٥]، وبما حل على الكفرة من الوبال فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ القيامة[٦] ﴿الْحَاقَّةُ﴾ الثابت وقوعها، ووقوع ما فيها من البعث وغيره[٧] ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾: استفهام تعظيم ﴿وَمَا﴾: أيُّ شيءٍ ﴿أَدْرَاكَ﴾: أعلمك ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾: أي: لا تعلمها لعظمتها وآثرها على الضمير؛ لأنه أهون، وكذا في قوله: ما القارعة ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾: القيامة القارعة للقلوب تهويلا ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾: بطغيانهم أو بالصيحة المتجاوزة[٨] عن الحد شدةً ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾: شديد البرد أو الصوت ﴿عَاتِيَةٍ﴾: شديدة ﴿سَخَّرَهَا﴾: سلطها الله عز وجل ﴿عَلَيْهِمْ﴾ يعني: لا لنظر النجوم كما زعمه المنجمون ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ﴾: من آخر شوال من صبح الأربعاء[٩] إلى غروب أربعاء في أيام العجوز[١٠] في شهر «آذار»[١] ﴿حُسُومًا﴾: متتابعة [بَعْدَ][٢] هبوب أو قاطعات أو

---

(١) كلماتها (٢٥٦) كلمة، وحروفها (١٤٨٠) حرفا.

* الوجيز (٣٢٣)، البيان (٢٥٣)، البصائر (١/ ٤٧٨)، عدد سور القرآن (٤٦١).

(٢) في سورة القلم.

(٣) أي القرآن.

(٤) ذكر.

(٥) في (ن)، و(د): وعظهم بأهوال القيامة وببعض ما حل على منكريها.

(٦) في (ن)، و(د): القيامة (الحاقة).

(٧) في (س)، و(ح)، و(ع): وغيرها.

(٨) في (ن)، و(د): أو بصيحة متجاوزة.

(٩) في (ن): أربعاء.

(١٠) هي سبعة أيام معروفة عند العرب، ويقال لها: «برد العجوز»، وهي أربعة من آخر فبراير، وثلاثة من أول مارس، وجمعها الشاعر في قوله:

كسع الشتاء بسبعة غبر ... أيام شهلتنا من الشهر

فإذا انقضت أيامها ومضت ... صنٌّ وصنَّبر مع الوبر

=

نحسات ﴿فَتَرَى﴾: لو كنت حاضرا ﴿ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ﴾: موتى، جمع صريع ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ﴾: أصول ﴿نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾: ساقطة ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ﴾: نفس ﴿بَاقِيَةٍ﴾: أو بقاء ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ﴾: من الكفار ﴿وَ﴾ أهل القرى[3] ﴿ٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ﴾: المنقلبات بأهلها: أي: قوم لوط ﴿بِٱلْخَاطِئَةِ﴾: أي: الخطيئة ﴿فَعَصَوْا۟﴾: كل منهم ﴿رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾: زائدة في الشدة ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا﴾: تجاوز ﴿ٱلْمَآءُ﴾: بحيث علا على أعلى الجبال خمسة عشر ذراعا ﴿حَمَلْنَٰكُمْ﴾: بحمل آبائكم ﴿فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾: السفينة لنوح ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾ أي: تلك الفعلة ﴿لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾: عظة ﴿وَتَعِيَهَآ﴾: تحفظها ﴿أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾: حافظة لما تسمع ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾: الأولى، وقيل: الثانية، ومعنى واحدة، أي: لا تثنى ﴿وَحُمِلَتِ﴾: رفعت ﴿ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾: عن أماكنها بالريح أو الملائكة أو محض القدرة ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾: فيصير الكُلّ[4] هباء منبسطا بلا عوج ولا أمت ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ﴾: قامت ﴿ٱلْوَاقِعَةُ﴾: القيامة ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾: لنزول الملائكة ﴿فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾: كصوف لا يستمسك ﴿وَٱلْمَلَكُ﴾: جنسهم ﴿عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا﴾: جوانبها لخراب مكانهم، ولعل هلاكهم بأثر ذلك، أوهم داخلون في الاستثناء ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾: فوق الملائكة ﴿يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾: من الملائكة «بين شحمة أذنهم إلى عاتقهم يخفق الطير سبعمائة عام[5]»،

= وبآمر وأخيه مؤتمر ... ومعلل وبمطفئ الجمر

ذهب الشتاء موليا عجلا ... وأتتك واقدة من البحر.

* ما يعول عليه (١/ ٣٥٦/ ١٩٥٢)، ثمارا لقلوب (٤٨٣)، ألف باء (١/ ٩٣)، تثقيف الألسنة للشبلي (١٩٥/ بتحقيقي).

(١) شهر مارس.

(٢) من (ن).

(٣) وهي قرى سدوم وعمورة.

(٤) ليست في (ن).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه (٧/ ١٠٩/ ٤٧٢٧)، وأبو الشيخ في العظمة (٤٧٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٣٧٠/ ١٨٩٦٧) وفيه وعنقه، والطبراني في الأوسط (١٧٠٩) و (٤٤٢١)، والخطيب في تاريخه (١٠/ ١٩٤، ١٩٥) والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٨٤٦/ ٢٨٤) وابن طهمان في مشيخته (٢١) وسنده جيد.

والآن يحمله أربعة أو ثمانية أصناف لا يعلم عددهم إلا الله تعالى ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾: للحساب ﴿لَا تَخْفَىٰ﴾: على الله ﴿مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾: فالعرض للعدل وإفشاء الحال، وهذا بعد النفخة الثانية، ولاتساع معنى اليوم للنفختين وغيرهما، جعله ظرفا للكل ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾: قال ابن عباس: أولهم عمر بن الخطاب، وله شعاع كشعاع الشمس، وحينئذ أبو بكر في الجنة، وقد زفته الملائكة إليها[1] ﴿فَيَقُولُ هَاؤُمُ﴾: أي: خذوا كتابي ﴿اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾: الهاء للسكت ﴿إِنِّي ظَنَنتُ﴾ تيقنت ﴿أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ۝ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾: ذات رضا ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝ قُطُوفُهَا﴾: ثمارها ﴿دَانِيَةٌ﴾: قريبة يجتنيها المضطجع، يقال لهم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾: أكلا وشربا ﴿هَنِيئًا﴾ كما مر ﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ﴾ قدمتم ﴿فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾: الماضية ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ۝ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝ يَا لَيْتَهَا﴾: أي: موتة الدنيا ﴿كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾: القاطعة لحياتي، فلا أبعث بعدها ﴿مَا أَغْنَىٰ﴾: دفع ﴿عَنِّي مَالِيَهْ ۝ هَلَكَ﴾: ضل ﴿عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾: قوتي أو حجتي، فيقول الله تعالى: ﴿خُذُوهُ﴾: فيبتدره[2] سبعون ألف ملك[3] ﴿فَغُلُّوهُ﴾: أجمعوا يديه إلى عنقه بالغل ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾: أدخلوه ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾: الله تعالى أعلم بذراعه، فإنها أطول مما بين السماء والأرض ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾: أدخلوه، فيدخل في استه ويخرج من فيه[4] ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ۝ وَلَا يَحُضُّ﴾: يحث ﴿عَلَىٰ﴾ بذل ﴿طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾: فكيف بتاركه، خَصَّ أقبح الخصائل وأشنع الرذائل بالذكر ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾: صديق يحميه ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾: قيح يسيل من جروحهم[5]، ولأهل[6] النار دركات منهم

---

(١) يشير إلى حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أول من يعطى كتابه بيمينه من هذه الأمة عمر بن الخطاب، وله شعاع كشعاع الشمس، فقيل له: فأين يكون أبو بكر يا رسول الله؟ قال: هيهات! زفته الملائكة إلى الجنان» أخرجه الخطيب في تاريخه (١١/ ٢٠٢) وسنده ضعيف.

(٢) في (د): فيبتدر به.

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٤١٦).

(٤) يعني: فمه.

(٥) في (ن)، و(د): فروجهم.

(٦) في (د): ولأهل.

من يُطْعم ضريعا، ومنهم من يطعمُ زقوما ﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾: بالشرك ﴿فَلَآ﴾: صلة ﴿أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾: شمل الخلائق وجميع المخلوق[1] ﴿إِنَّهُۥ﴾ القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾: يبلغه من الله محمد أو جبريل ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا﴾: صلة[2] ﴿تُؤْمِنُونَ﴾: تصدقون لعنادكم ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾: ولذا[3] التبس عليكم، خصه بالذكر[4] لأن منافاته لطريقة الكهنة تحتاج إلى تذكر أحوال النبي ﷺ ومعاند القرآن، وأما منافاته للشعر فظاهر منكره معاند، هو ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ وَلَوْ تَقَوَّلَ﴾: افترى النبي ﴿عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾: لأخذناه بالقوة أو بيمينه ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾: أي: مناط قلبه بضرب عنقه، صور إهلاكه بأفظع القتل، إذ القاتل بيمين من يضرب عنقه من قدامه، وبيساره من يضرب من قفاه، والأول أشد[5] ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ﴾: عن قتله، أو المقتول ﴿حَٰجِزِينَ﴾: دافعين، جمعه لعموم موصوفه ﴿وَإِنَّهُۥ﴾: القرآن ﴿لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾: لأنهم المنتفعون به ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾: له فيجازيهم ﴿وَإِنَّهُۥ﴾: القرآن ﴿لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: إذا رأوا ثواب مصدقيه ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ﴾: أي: للمتقين[6]، حق ﴿ٱلْيَقِينِ﴾: أي: عينه ومحضه ﴿فَسَبِّحْ﴾: نزه مستعينا ﴿بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾: شكرا لهذه النعماء[7]، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

۞۞۞

---

(١) في (ن)، و(د): شمل الخالق وكل خلقه.

(٢) في (ن): فلأجله!!.

(٣) في (ن)، و(د): وكذا.

(٤) في (ن)، و(د): بالتذكر.

(٥) في (ن)، و(د):: أفظع.

(٦) في (ن): أي: لليقين.

(٧) في (ن)، و(د): النعمة.



«سورة المعارج[١]»: مكية[٢]

لَمَّا ذكر علمه بالمكذبين بَيَّن تكذيب بعضهم فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ سَأَلَ﴾: دعا ﴿سَائِلٌ﴾: داع، هو نضر بن الحارث[٣] ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾: البتة ﴿لِّلْكَافِرِينَ﴾: بقوله: إن كان هذا... إلى آخره[٤] ﴿لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ۝ مِّنَ اللَّهِ﴾: لتعلق إرادته به ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾: للطاعات أو للملك ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾: أرواح المؤمنين أو جبريل ﴿إِلَيْهِ﴾: أي: إلى محل أمره ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾: للكافرين وهو القيامة، وأما للمؤمن فأخف من صلاة مكتوبة[٥]، أو يعرجون إلى عرشه في يوم كذلك من حيث إنه لو قطعه إنسان لقطعه كذلك، لأن غلظ كل سماء وأرض خمسمائة عام، ومن السماء السابعة إلى العرش ستة وثلاثون ألفا[٦]، قاله ابن عباس رضي الله عنهما، والأول مرفوع، وأما ورود ألف سنة فقيل: يريد قدر صعودهم إلى السماء الدنيا وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الله تعالى أعلم به ﴿فَاصْبِرْ﴾: على أذاهم ﴿صَبْرًا جَمِيلًا﴾: بلا ضيق ونسخ بالقتال ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ﴾: العذاب ﴿بَعِيدًا﴾: من الإمكان ﴿وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾: من الوقوع ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾: مذاب الفلزات[٧] ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾: الصوف المَنْدُوف ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ﴾: قريب ﴿حَمِيمًا﴾ للهول ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾: أي: الأحماء بعضهم بعضا بلا تكلم ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ﴾: أن ﴿يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ۝ وَصَاحِبَتِهِ﴾: زوجته ﴿وَأَخِيهِ ۝

---

(١) كلماتها (٢١٦) كلمة، وحروفها (٨١٦) حرفا.

* الوجيز (٣٢٤)، البيان (٢٥٤)، البصائر (١/ ٤٨٠)، عدد سور القرآن (٤٦٣).

(٢) في قولهم جميعا عدد سور القرآن (٤٦٣).

(٣) أخرجه النسائي (٢/ ٤٦٣/ ٦٤٠/ تفسيره)، والحاكم (٢/ ٥٠٢) وسنده صحيح.

(٤) سورة الأنفال.

(٥) سبق.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٣٧٣/ ١٨٩٨٧، ١٨٩٨٨) وسنده ضعيف.

(٧) وهو مصطلح علمي معروف.

﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾: عشيرته أو أُمّه ﴿ٱلَّتِي تُـْٔوِيهِ﴾: تضمه في النّسب[1] والشّدّة[2] ﴿وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾: الافتداء من النار ﴿كَلَّآ﴾: ردعٌ لما يوده ﴿إِنَّهَا﴾: النار ﴿لَظَىٰ﴾: لهبٌ خالصٌ ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾: الأطراف أو جمع شواة جلدة الرأس، وبعد نزعها تعاد ﴿تَدْعُواْ﴾: إلى نفسها ﴿مَنْ أَدْبَرَ﴾: عن الحق ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾: عنه ﴿وَجَمَعَ﴾: المال ﴿فَأَوْعَىٰٓ﴾: فأمسكه في وعائه بلا أداء حق الله تدعوهم بأسمائهم ثم تلتقطهم التقاط الحبِّ ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾: أي: شديد الحرص قليل الصبر وهو ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾: كمصيبة ﴿جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ﴾: كسعة ﴿مَنُوعًا﴾: في غاية الإمساك ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾: فهم محفوظون عن تلك الخصلة ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾: مواظبون أو لا يلتفتون فيها إلى شئ ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾: كالزكاة ﴿لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾: المتعفف عن السؤال، فإنه يحسب غنيا فيحرم ﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾: الجزاء فيخافونه ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾: خائفون ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾: فلا يأْمنوه ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾: المتجاوزون الحلال، وفسر مرةً ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾: حافظون ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ﴾: مُحافظون[3] بلا كتمان ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾: بأدائها بفرائضها وسننها في أوقاتها، وقيل: الأول في الفرض والثاني في النفل ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾: عند الله تعالى ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ﴾ حولك ﴿مُهْطِعِينَ﴾: مُسرعين مادي أعناقهم ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾ أي: يمينك ﴿وَعَنِ ٱلشِّمَالِ﴾: شمالك ﴿عِزِينَ﴾: جماعات في تفاريق وفي الحديث: «**لا تكونوا عزين كحلق الجاهلية**»[4].

نزلت الآية لما كانوا يجتمعون حَوْله ﷺ حِلقًا ويستهزءون بكلامه ويقولون: لئن دخلوا الجنة لندخلنها قبلهم[5] ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾: بلا إيمان

(١) في (ح)، و(س): النسبة.

(٢) يعني: عند الشدائد.

(٣) في (ن): يحافظون.

(٤) الحديث: «مالي أراكم عزين» رواه مسلم (١/ ٣٢٢)، والطبري (٢٩/ ٨٦).

(٥) أخرجه الطبري (٢٩/ ٥٣) والواحدي في الأسباب (٤٧٤).

﴿كَلَّآ﴾: ردع لطمعهم ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾: يعني نطفة قذرة، فلا تناسب عالم القدس إلا بالاستكمال[1] بالطاعة ﴿فَلَآ﴾: صلة ﴿أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾: للكواكب كما مر ﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝ عَلَىٰٓ أَن﴾: نهلكهم و ﴿نُّبَدِّلَ﴾: نأتي ببدلهم خلقا ﴿خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾: بمغلوبين فيه ﴿فَذَرْهُمْ﴾: اتركهم ﴿يَخُوضُوا۟﴾: في أباطيلهم ﴿وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾: فسر في الطور[2]، ونسخ بالقتال ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾: القبور ﴿سِرَاعًا﴾: مسرعين إلى المحشر ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ﴾: من أصنامهم ﴿يُوفِضُونَ﴾: يسرعون إلى المحشر ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ﴾: من أصنامهم، ﴿يُوفِضُونَ﴾ يسرعون ليستلموها ﴿خَٰشِعَةً﴾: ذليلة ﴿أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ﴾ تغشاهم ﴿ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾: في الدنيا.



---

(١) بالترقي.

(٢) في (ن)، و(د): كما مر في الطور.



«سورة نوح[١]» عليه الصلاة والسلام[٢]: مكية[٣]

لَمَّا أقسم على قدرته على إهلاكهم وتبديل خير منهم بيَّن[٤] أنه فعل كذلك بمن كان أقوى منهم، وهم قوم نوح، فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ﴾: أي: بإنذارهم ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: الطوفان ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَنِ﴾ بأن ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾: فسر[٥] في الشعراء ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن﴾ أي: بعض ﴿ذُنُوبِكُمْ﴾: فإن حق العباد يبقى[٦] ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: هو أقصى ما قدر لكم بشرط الطاعة، فلا ينافيه ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ﴾: أي: الذي قدره ﴿إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾: أو معناه إلى أجل مسمى عندكم تعرفونه وقيل: بلا غَرقٍ وَقتْلٍ: ونحوه ﴿لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أي: من أهل العلم لعلمتموه ﴿قَالَ﴾: بعد يأسه: ﴿رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا﴾: أي: دائما ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا﴾: عن الحق ﴿وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ﴾: لئلا يسمعونها[٧] ﴿وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾: تغطوا بها توثيقا لسد آذانهم ﴿وَأَصَرُّوا﴾: على ضلالهم ﴿وَاسْتَكْبَرُوا﴾: عن اتباعي ﴿اسْتِكْبَارًا﴾: عظيما ﴿ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾: بعد الإسرار ﴿ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾: يعني مرة بعد أخرى بأي وجه أمكنني وثم لتفاوت الوجوه ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾: بالتوبة عن الكفر ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ السَّمَآءَ﴾ أي: ماءها ﴿عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾: كثير الدَّرِّ ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾: فإنهم لما كذبوه حبس مطرهم وأعقمت

---

(١) كلماتها (٢٢٥) كلمة وحروفها (٩٢٩) حرفا.

* الوجيز (٣٢٥)، البيان (٢٥٥)، البصائر (١/ ٤٨٢) - عدد سور القرآن (٤٦٦).

(٢) كذا في (د)، و(ن).

(٣) في قولهم جميعا.

(٤) في (ن)، و(د): مصداقه في قصة نوح.

(٥) في (ن)، و(د): كما مر.

(٦) وقيل: «من» صلة للتأكيد، أي: يغفر لكم ذنوبكم كلها فلا يترك منها شيئًا.

(٧) في (ن)، و(د): يسمعوا.

نساؤهم إلا بالبنات أربعين سنة ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ﴾ تعتقدون ﴿لِلَّهِ وَقَارًا﴾ عظمة فتتركون عصيانه ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾: أحوالا عناصر ثم مركبا يتغذى[(١)] ثم نطفا، ثم وثم ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾: كما مر ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾: لأنه في إحداهن، أو أحد وجهيه يضيء الأرض، والآخر يضيء السماء ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾: يزيل ظلمة الليل، وفيه إشارة إلى أن نوره[(٢)] منها ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم﴾: أنشأ أصلكم ﴿مِّنَ الْأَرْضِ﴾: فينبتكم[(٣)] ﴿نَبَاتًا ۞ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾: بالإفناء ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾: بالبعث ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ مبسوطة ﴿لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا﴾: طرقا ﴿فِجَاجًا﴾: واسعةً ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ﴾: بفتح واوه ظاهر، وأما بضم[(٤)] واوه وسكون لامه[(٥)] فجمع أو لغة فيه[(٦)] ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾: يعني رؤساؤهم المغترين بهما ﴿وَمَكَرُوا﴾: أي: الرؤساء ﴿مَكْرًا كُبَّارًا﴾: مبالغة كبيرا بالتخفيف[(٧)]، وهو إغراؤهم الناس على إيذاء نوح عليه الصلاة والسلام[(٨)] ﴿وَقَالُوا﴾: لسفلتهم ﴿لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾: بالعبادة ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾: أصنامكم[(٩)] على صور رجال صالحين، بين آدم ونوح خصوها لمزيد اعتنائهم بها ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾: من الخلق بذلك ﴿وَ﴾ قال رب: ﴿لَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ إلا ضياعًا وهلاكًا أو نحو: ﴿وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾[(١٠)]، وقد

---

(١) في (س): متغذيا.

(٢) يعني القمر.

(٣) في (ح): نبتكم، وكذا في (س).

(٤) في (ن)، و(د): برفعها.

(٥) وهي قراءة أبي عمرو وابن كثير وحمزة ونافع والكسائي والحسن ومجاهد.
* إتحاف (٤٢٤)، السبعة (٦٥٢)، غيث النفع (٣٧٤)، النشر (٢/ ٣٩١).

(٦) في (ن)، و(د): في المفرد.

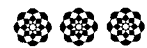
(٧) وهي قراءة عيسى وابن محيصن وأبي السمال. * الكشاف (٤/ ١٦٤).

(٨) في (ن): ﷺ.

(٩) في (ن)، و(د): أصناما.

(١٠) سورة يونس.

مر(١) بيانه ﴿مِّمَّا﴾: صلة، أي: من أجل ﴿خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ(٢) أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارًا﴾: في قبورهم أو جهنم ﴿فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾: يمنعونهم العذاب ﴿وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾: أحَدًا يدور في الأرض، أو نازل دار، أصله دَيْوَار ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا﴾ عرفَ ذلك بالوحي أو لما جربهم ألفا إلا خمسين عاما ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ﴾: منزلي أو مسجدي أو سفينتي ﴿مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾: إلى القيامة ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا﴾: أي: هلاكا، والله تعالى أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.



---

(١) في (ن)، و(د): كما مر.

(٢) في (ن): «خطاياهم» وكتب في الهامش: «خطيئاتهم»: حفص.



«سورة الجن[١]»: مكية[٢]

لَمَّا ذكر أحوال أول أمة من الإنس بعث فيهم رسولا، أَتْبعها بذكر أول أمة من الجن بعثَ إليهم رسولًا[٣] فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ﴾: قراءتي ﴿نَفَرٌ﴾: هو من ثلاثة إلى عشرة ﴿مِّنَ﴾: يهود ﴿الْجِنِّ﴾: من رهط زوبعة أو من «نصيبين» سمعوه في صلاة الصبح بـ «نخلة» كما مر في آية: «وإذ صرفنا[٤]» وقد بين حقيقة الجن في الاستعاذة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنَّهُ ﷺ ما رآهم كما هو ظاهر الآية، وروى ابن مسعود أنه رآهم، ورجحه العلماء، والحق صحتها، وأن الأول وقع أولا، ثم نزلت السورة، ثم أمر بالخروج إليهم كما قاله البيهقي والإمامُ[٥] وغيرهما ﴿فَقَالُوا﴾: لقومهم ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾: بديعا لفظا ومعنى ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾: الصواب ﴿فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۞ وَأَنَّهُ﴾: الشأن ﴿تَعَالَىٰ﴾ تنزه ﴿جَدُّ﴾: عظمة ﴿رَبِّنَا﴾: عن النقص ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً﴾: زوجة ﴿وَلَا وَلَدًا ۞ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ جاهلنا[٦] ﴿عَلَى اللَّهِ﴾: قولا ﴿شَطَطًا﴾: ذا شطط، وهو مجاوزة الحد في الظلم ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا﴾: حسبنا ﴿أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: فصدقناهم حتى تبين كذبهم بالقرآن ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾: بقولهم في منازلهم: أعوذ بسيد هذا المنزل من شر سفهائه ﴿فَزَادُوهُمْ﴾: في ذلك ﴿رَهَقًا﴾: كبرا وعتوا، إذ عرفوا خوف الإنس منهم ﴿وَأَنَّهُمْ﴾: أي: الإنس ﴿ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ﴾: أيها الجن والخطاب من بعضهم لبعض ﴿أَن

---

(١) كلماتها (٢٨٦) كلمة، وحروفها (٩٥٩) حرفا.

* الوجيز (٣٢٧)،البصائر (١/ ٤٨٤)، البيان (٢٥٦).

(٢) في قولهم جميعا. * عدد سور القرآن (٤٦٧).

(٣) في (ن): بعث إليهم رسول في الموضعين.

(٤) سورة الأحقاف.

(٥) يعني الرازي.

(٦) وهو إبليس- لعنة الله-.

لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾: بعد موته أو بالرسالة ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾: أي: طلبنا بلوغها بالاستراق ﴿فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا﴾: لها أي: حراسا ﴿شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾: نجومًا محرقةً، كما مر ﴿وَأَنَّا كُنَّا﴾: قبل ﴿نَقْعُدُ مِنْهَا﴾: من السماء ﴿مَقَـٰعِدَ﴾: خالية عنهم ﴿لِلسَّمْعِ﴾: لكلام الملائكة ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾: رَاصدًا له يمنعه، لا يقال السامع الجن والمرجوم الشياطين؛ لأنهم شياطين الجن، وكل متمرد شيطان كما مر، فأن قلت: الرجم كان قبل كما مر في الملك، قلنا نعم، ولكن قال أبي بن كعب وغيره: لم يرم بنجم منذ رفع عيسى فالمراد تلك الفترة ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾: بمنعنا الاستراق ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾: خيْرًا ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنَّا﴾ قومٌ ﴿دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا﴾: ذوي ﴿طَرَآئِقَ﴾: مذاهب ﴿قِدَدًا﴾: متفرقة ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن﴾: أنه ﴿لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ﴾: نفوت كما مر ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾: هاربين منها ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾: القرآن ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا﴾: أي: فهو لا ﴿يَخَافُ بَخْسًا﴾: نقصا في ثوابه ﴿وَلَا رَهَقًا﴾: ظلما ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ﴾: الجائرون بالشرك ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟﴾: قصدوا ﴿رَشَدًا﴾: هداية ﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾: وقودا ﴿وَ﴾: أوحي إلى (أن) أي: أن الإنس والجن ﴿لَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾: الإسلام ﴿لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً﴾: مطرا ﴿غَدَقًا﴾: كثيرا توسعة في رزقهم ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ﴾: نختبرهم ﴿فِيهِ﴾: أي: لنري كيفية شكرهم ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾: أي: موعظته أو القرآن ﴿يَسْلُكْهُ﴾: يدخله ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾: شاقا ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ﴾: أي: مواضع بنيت للصلاة، أو الأرض، أو أعضاء السجود ﴿لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟﴾: وتعبدوا فيها أو بها ﴿مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾: فلا تتحدثوا[1] فيها لغير الله، ولا تسجدوا[2] لغيره ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾: أي: محمد ﷺ ما قال[3] رسول الله للتواضع، فإنه كلام ﴿يَدْعُوهُ﴾: يعبده بالصلاة ﴿كَادُوا۟﴾: أي: الجن ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ

---

(١) يتحدث في (د).

(٢) في (ن)، و(د): يسجد بها.

(٣) في (ن)، و(د): آثره على رسول الله.

لِبَدًا﴾: متراكمين حرصا على استماعه ﴿قُلْ[1]﴾ لكفار مكة أو للمزدحمين: ﴿إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾: فليس ببدع ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾: غيًّا ﴿وَلَا رَشَدًا﴾: بل الكل بيد الله تعالى ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي﴾: يمنعني ﴿مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾: إن أراد بي سُوْءًا ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾: ملجأ ﴿إِلَّا﴾: لكن ﴿بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ فإني أملكه لكم ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ﴾: جمع لمعنى مَنْ ﴿فِيهَآ أَبَدًا﴾ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا﴾: أي: لا يزالون يكذبونك إلى أن ﴿رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ﴾: من العذاب ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ حينئذ ﴿مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾: فلما قالوا: متى هذا الوعد؟ نزلت: ﴿قُلْ إِنْ﴾: أي: ما ﴿أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾: من العذاب يعني: أَعَاجِلٌ[2] ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا﴾: غاية بعيدة، هو ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ﴾ أي: لا يطلع ﴿عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ﴾: يجعل ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ﴾: أي: كل جوانبه ﴿رَصَدًا﴾: حرسا من الملائكة يحفظونه من تخاليط الشياطين.

***تنبيه**: استدل بالآية مبطل الكرامات، ورد بأن ظاهرها أنه عالم كل غيب، ولا يطلع على غيبه المختص به، وهو ما يتعلق بذاته وصفاته، ومفهوم إمكان اطلاع غير الرسول على الباقي، فغيبُهُ إمَّا مستغرق، أي: على كُلِّ غَيْبِهِ، فلا ينافي اطلاع غير الرسول على بعضه، وإما مطلق فينزل على الكامل، وهو الظاهر[3]، وإنكار[4] ذلك إنكار الحِسّ[5]، وكم شاهدناه من مشايخنا رضي الله عنهم ومن[6] المنجمين ونحوهم[7] فمنكرها كالطاعن في القرآن ﴿لِّيَعْلَمَ﴾: الرسول ﴿أَن قَدْ أَبْلَغُواْ﴾: أي: النازلون بالوحي، أو ليعلم الله علم ظهور إبلاغ رسله ﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾: بلا تغيير ﴿وَأَحَاطَ﴾: الله تعالى

---

(١) كتبها في (ن): قال، وكتب في الهامش: «قُل»: حفص.

(٢) يعني: أعاجلٌ هو؟.

(٣) في (ن)، و(د): المطلوب.

(٤) في (ن)، و(د): إنكاره.

(٥) في (ن)، و(د): الحس.

(٦) في (ن)، و(د): بله.

(٧) في (ن)، و(د): وأضرابهم.

﴿بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾: أي: أحَصَى عدده، دَلّ على علمه بالجُزئيات، وأن المعدوم ليس بشيء، والإلزام اجتماع النقيضين بهِ- واللهُ أعلمُ.





«سورة المزمل[١]»: مكية

لَمَّا قال: فلا يظهر[٢] على غيبه أحدا إلَّا مَن ارتضى من رَسول، أعلم حبيبه[٣] بأنه رسوله المرتضى فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾: المتزمل المتلفف بثيابه حين مجيء الوحي خوفا، سماه به وبالمدثر قبل تبليغه، وبالرسول والنبي بعده ﴿قُمِ﴾: إلى الصلاة ﴿اللَّيْلَ﴾: كله ﴿إِلَّا قَلِيلًا ۞ نِّصْفَهُ﴾: بدل من قليلا، وقلته بالنسبة إلى كله، ونبه به على أن نصفا مغمورا بالذكر بمنزلة الكل، والآخر قليل بالنسبة إليه، وإن ساواه في الكم ﴿أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾: بجعله نحو ثلث ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾: إلى ثلثيه ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ﴾: بَيِّن وفَصِّل حروفه ﴿تَرْتِيلًا﴾: وسمع[٤] ﷺ رجلًا[٥] كان يقرأ ويبكي فقال: هذا الترتيل[٦] ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾: راجحا غير سخيف يعني القرآن، أو لما فيه من التكاليف الشاقة، كالأمر بقيام الليل ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ﴾: أي: قيام ﴿اللَّيْلِ﴾: أو ساعاته ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾: أي: كلفة وبالمد: [٧]، أي: وفاقا بين القلب والحواس، أو السر والعلن ﴿وَأَقْوَمُ﴾: أثبت ﴿قِيلًا﴾: قولًا، خصَّتها عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بما بعد النوم، وبعض بما بعد العشاء، وفسره علي بن الحسين[٨] بما بين العشاءين، وابن عباس وجماعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بكل الليل ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا﴾: تقلبا في مهماتك، أو فراغا لها ﴿طَوِيلًا﴾: فتهجد في الليل

---

(١) كلماتها (١٩٩) كلمة، وحروفها (٨٣٨) حرفا.

* الوجيز (٣٢٨)، البيان (٢٥٧)، البصائر (١/ ٤٨٦)، بشير اليسر (١٩٥).

(٢) في (ن)، و(د): يطلع.

(٣) في (ن)، و(د): حينئذ.

(٤) في (ن): سمع.

(٥) في (ن)، و(د): قارئا.

(٦) الوسيط (٤/ ٣٧٢).

(٧) يعني وطاء وهي قراءة أبي عمرو، وابن عامر.

* إتحاف (٤٢٦)، السبعة (٦٥٨)، غيث النفع (٣٧٥)، النشر (٢/ ٣٩٣).

(٨) في (د): رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾: دم عليه ﴿وَتَبَتَّلْ﴾ انقطع ﴿إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾: عما سواه، هو ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾: فإن تفرده بالألوهية يقتضي ذلك ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ قريش ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾: بلا جزع، نسخ[١] بالقتال ﴿وَذَرْنِي﴾: اتركني ﴿وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ﴾: صناديد قريش ﴿وَمَهِّلْهُمْ﴾: زمانا ﴿قَلِيلًا ۞ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا﴾: قيودًا ثقالًا، أو أغْلالًا ﴿وَجَحِيمًا ۞ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾: أي[٢] شوك من النار يغص في حلقهم ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا ۞ يَوْمَ تَرْجُفُ﴾: تضطرب ﴿الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا﴾: رملا مجتمعا ﴿مَّهِيلًا﴾: منثورا أو سائلا ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ يا قريش ﴿رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾: في القيامة بقولكم وامتناعكم[٣] ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾: موسى ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾: ثقيلا شديدا ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ﴾: دمتم على كفركم ﴿يَوْمًا﴾: أي: عذاب يوم ﴿يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ﴾: لشدة هوله ﴿شِيبًا﴾: جمع أشيب مجاز، وفي الحديث: أنه[٤] حين يقال لآدم: «ابعث من ذريتك بعثا إلى النار قال: من كم يا رب؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة[٥] وتسعين[٦]، وروي أن رجلا فاحم الشعر رأي القيامة وأهوالها في النوم فأصبح أبيض الرأس واللحية ﴿السَّمَاءُ﴾: شيء ﴿مُنفَطِرٌ بِهِ﴾: متشقق؛ لشدته ﴿كَانَ وَعْدُهُ﴾: أي: الموعود فيه ﴿مَفْعُولًا ۞ إِنَّ هَٰذِهِ﴾: الآيات ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ عظة ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾: بسلوك طاعته ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ﴾: أقل ﴿مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ﴾: كما أمرت ﴿وَطَائِفَةٌ مِّنَ﴾ أصحابك ﴿الَّذِينَ مَعَكَ﴾: إذْ عملوا به حتى تورَّمت أقدامهم ﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾: فيعلم عملكَ[٧] فيه ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾: أي:

---

(١) في (ن)، و(د): فنسخ.

(٢) في (ن)، و(د): هي.

(٣) في (ن)، و(د): بما عملتم، وفي البيضاوي: بالإجابة والامتناع.

(٤) في (ن)، و(د): أن ذلك حين يقال.

(٥) في (ن): تسعمائة وتسعين، وكذا في (س)، و(ع).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٣٢٥٨/ ٢٩٤٠) بلفظ: «ثم يقال: أخرجوا بعث النار، فيقال: من كم؟ فيقال: من كل ألف تسعمائه وتسعة وتسعين، قال: فذاك يوم» يجعل الولدان شيبا «وذلك» يوم يكشف عن ساق «وأما الحديث المذكور هنا فقد رواه الطبراني بسند ضعيف ا.هـ.

(٧) كذا في (ن)، و(د).

لن تطيقوا تقدير أوقاته لتقوموا بالواجب إذ كانوا يقومون كله احتياطًا ﴿فَتَابَ﴾: رجع ﴿عَلَيْكُمْ﴾: بالتخفيف، نسخ به أول السورة ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾: في صلاة الليل بلا تحديد، وهو ما يقرأ في صلاتي العشاءين، وقيل: يجب على حامله قيام الليل بشئ منه[1]، والأصح أنه نسخ بالصلوات الخمس ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾: لا يستطيعونه ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: يُسافرون ﴿يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾: كالتجار ﴿وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: استئناف بين حكمة أُخرى للتخفيف، وكذا كرر بترتيب الحكم فقال: ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: المفروضة ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: بصدقة التطوع أو الإنفاق على الأهل ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ﴾: أي: أجره ﴿عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا﴾: مما أعطيتم ﴿وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾: أي: نفعًا ممَّا تُؤخرونه ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ﴾: من فرطاتكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: بالمستغفرين[2].



---

(١) في (ن)، و(د): لشرفه.

(٢) في (ع): للمستغفرين.



«سورة المدثر[١]»: مكية[٢]

لَمَّا بَشره في السورة بإنزال القرآن عليه، وذكر ما يترتب عليه، أمره بإنذار الكفار وتهديدهم بما يؤلون[٣] إليه فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۞ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾: المتدثر المتلفف بالثياب عند نزول الوحي خوفا، والدثار ما فوق الشعار، وهو ما يلي الجسد ﴿قُمْ﴾: قيام جد ﴿فَأَنذِرْ﴾: الكفار ﴿وَ﴾: أما ﴿رَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾: خصصه بالكبرياء ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾: عن النجاسة، أو قصِّر، أو أصلح أخلاقك ﴿وَالرُّجْزَ﴾: بالكسر[٤]أي: العذاب أي: موجبه وبالضم هو أو الأوثان ﴿فَاهْجُرْ﴾: دم على هجرته ﴿وَلَا تَمْنُن﴾: تعط وأنت ﴿تَسْتَكْثِرُ﴾: أي: تطلب أكثريته وهذا من خصائصه، وقيل: مطلق العوض[٥] ﴿وَلِرَبِّكَ﴾ أي: لتكاليفه ﴿فَاصْبِرْ ۞ فَإِذَا نُقِرَ﴾: نفخ ﴿فِي النَّاقُورِ﴾: أي: الصور ثانية ﴿فَذَلِكَ﴾: الوقت ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: بدل منه ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ ۞ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾: لا على المؤمنين ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ﴾: خلقته ﴿وَحِيدًا﴾: بلا أهل ومال، يعني: وليد بن المغيرة ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا﴾: مبسوطا ﴿وَبَنِينَ﴾: عشرة ﴿شُهُودًا﴾: حاضرين لا ستغنائهم عن السفر والتجارة ﴿وَمَهَّدتُّ﴾: بسطتُّ ﴿لَهُ﴾: في النّعم ﴿تَمْهِيدًا ۞ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾: على ذلك ﴿كَلَّا﴾: ردع عن طمعه ﴿إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا﴾: القرآن ﴿عَنِيدًا﴾: معاندا، ثم ما زال بعد نزولها ينقص ماله حتى هلك ﴿سَأُرْهِقُهُ﴾: أكلفه ﴿صَعُودًا﴾: عقبه شاقة المصعد، وهو مثل في الشدائد، أو جبل في النار يكلف صعوده دائما عليه، إذا وضع يده ورجله

---

(١) كلماتها (٢٥٥) كلمة، وحروفها (١٠١٠) أحرف.
* الوجيز (٣٣٠)، البيان (٢٥٨)، البصائر (١/ ٤٨٨).

(٢) في قولهم جميعا.

(٣) يصيرون.

(٤) وهي قراءة حمزة والكسائي وأبي عمرو، وابن عامر، وابن كثير ونافع.
* إتحاف (٤٢٧)، السبعة (٦٥٩)، غيث النفع (٣٧٥)، النشر (٢/ ٣٩٣).

(٥) في (ن)، و(د): العرض كذلك.

عليه ذابتا، وإذا رفعهما عادتا ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ﴾: فيما تخيل طعنا في القرآن ﴿وَقَدَّرَ﴾: من[1] نفسه بالقول فيه ﴿فَقُتِلَ﴾ لعن ﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾ ما لا يصح تقديره ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝ ثُمَّ نَظَرَ﴾: في أمر القرآن ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾: قبض وجهه لما لم يجد فيه طعنا ﴿وَبَسَرَ﴾: زاد عبوسه ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾: عن الحق ﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾: عنه، ولما سمع القرآن وأعجبه[2] ومدحه خاف قريش إسلامه، فبالغوا معه أن يطعن فيه، وكان أشعرهم ﴿فَقَالَ إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾: ينقل عن السحرة، إذ به يفرق بين الأقرباء فإنَّ من آمن به ترك أقاربه ﴿إِنْ﴾: أي: ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝ سَأُصْلِيهِ﴾: أدخله ﴿سَقَرَ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾: كما مر ﴿لَا تُبْقِى﴾: شيئا يلقى فيها إلا أحرقته ﴿وَلَا تَذَرُ﴾: بعد إحراقه، بل كلما نضجت جلودهم إلى آخره[3] ﴿لَوَّاحَةٌ﴾: مسودة ﴿لِّلْبَشَرِ﴾ أي: للإنس من الكفرة، أو جمع بشرة، بلي ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾: ملكا أعينهم كالبرق، وأنيابهم كالصياصي[4]، وأشعارهم تمس أقدامهم، يخرج لهب النار من أفواههم[5]، قيل[6]: سر عددهم أن الساعات أربع وعشرون، خمسة منها للصلوات الخمس وتسعة عشر لغيرها، أو لأن اختلاف نفوسنا بسبب القوى الحيوانية الإثنا عشرة أي: الحواس والشهوية، والغضبية وبالطبيعية السبع العادية والنامية والمولدة، وخدامها أي: الجاذبة والماسكة، والهاضمة والدافعة، والله تعالى أعلم[7].

قال القرطبي[8]: والصحيح أنهم الرؤساء، وأما جملتهم فيحكيها قوله: وما يعلم جنود ربك إلا هو.

---

(١) في (ن)، و(د): في.

(٢) أخرجه الواحدي في أسباب النزول (٢٩٥)، الحاكم (٢/ ٥٠٦، ٥٠٧) والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٣٩٣، ٣٩٤/ ١٣٣) وسنده ضعيف.

(٣) ليست في (ن).

(٤) قرون البقر.

(٥) كل هذه آثار ضعيفة. * زاد المسير (٨/ ٤٠٧، ٤٠٨)، معالم التنزيل (٤/ ٤١٧)، الوسيط (٤/ ٣٨٤)، الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٦٨٧٠).

(٦) في (د): ولعل.

(٧) أنوار التنزيل (٧٧٠).

(٨) الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٦٨٦٩).

ولما قال أبو الأشد[١] بعد سماعه الآية: أنا أكفيكم سبعة عشر واكفوني اثنين نزل[٢]: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾: فلا يغلبهم أحد ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا﴾: عددا كان ﴿فِتْنَةً﴾: أي: ضلالة ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: إذ استهزءوا به ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾: صدق محمد ﷺ لموافقته مع كتبهم ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾: منهم به ﴿إِيمَٰنًا وَلَا﴾: أي: ولئلا ﴿يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: تأكيد ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: نفاق ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ﴾: إنكارا ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا﴾: العدد ﴿مَثَلًا﴾: جعلوه مثلاً لغرابته[٣]، وهذا إخبار بمكة عما سيكون بالمدينة[٤] ﴿كَذَٰلِكَ﴾: الإضلال والهدى ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾: من خلقه على ما هم عليه ﴿إِلَّا هُوَ وَمَا هِىَ﴾: أي: سقر ﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ﴾: عظة ﴿لِلْبَشَرِ ۞ كَلَّا﴾: ردع لمنكريها ﴿وَٱلْقَمَرِ ۞ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ مضى ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ﴾: أضاء ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى﴾: البلايا ﴿ٱلْكُبَرِ﴾ هذا مثل: أحد الرجال[٥]، أي: لا نظير له ﴿نَذِيرًا﴾ إنذارًا ﴿لِّلْبَشَرِ ۞ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ﴾: إلى الخير ﴿أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾: عنه ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾: أي: بعملها مرهونة ﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾: المؤمنين، فإنهم فكوا رقابهم بإحسانهم، أو الملائكة أو الأطفال ﴿فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾: أي: يسألون المجرمين ﴿عَنِ﴾ حال ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ قائلين لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ۞ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۞ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ۞ وَكُنَّا نَخُوضُ﴾: نشرع في الباطل ﴿مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ۞ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۞ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ﴾: الموت ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾: لو شفعوا لهم فرضا ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ﴾: القرآن ﴿مُعْرِضِينَ ۞ كَأَنَّهُمْ﴾: في نفارهم عنه ﴿حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾: وحشية ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ﴾: أسد أو صياد أو شبكة ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ﴾: من الله ﴿صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾: غير مطوية على تصديقه ﴿كَلَّا﴾:

---

(١) ويقال: أبو الأشدين، هو أسيد بن كلوة بن خلف الجمحي وكان شديد البطش.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٨٤/ ١٩٠٤٠) بسند ضعيف.

(٣) لأن المثل في الأصل: الصفة العجيبة الشأن.

(٤) لأن النفاق إنما ظهر هناك.

(٥) يعني: فلانٌ واحد في عصره لا يوجد له نظير.

رَدْعٌ عن إرادتهم ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْأَخِرَةَ﴾: فلذا[1] يعرضون ﴿كَلَّآ﴾: إلا ﴿إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ۝ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾: اتعظَ بِهِ ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾ به ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾: تذكيرهم ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾: للمتقين - واللهُ أعْلَمُ بالصّواب.



---

(١) في (ن)، و(د): فكذا.



«سورة القيامة[١]»: مكية[٢]



لَمَّا ذكر أنهم لا يخافون الآخرة، أقسم بيوم القيامة لعظمته، وذكرهم ببعض أهوالها فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ لَا﴾: صلة ﴿أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ ﴿وَلَا﴾: صلة ﴿أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾: لنفسها في كل فعل، أو الإمارة[٣]، أو كل النفوس لوامة في القيامة، كما في الحديث[٤]، وجوابه: لتبعثن، الدال عليه: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ﴾: جنسه ﴿أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ للبعث ﴿بَلَىٰ﴾ نجمعها ﴿قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ سلامياته نجمع صغار عظامها فكيف بالكبار، والسلاميات: عظام صغار في مفاصل الأعضاء لم يحصها أهل التشريح؛ لكثرتها فقالوا: العظام مائتان وثمانية وأربعون سوى السلاميات، فإنها لصغرها وكثرتها لا تحصى، أو نجمع أصابعه واحدا كالإبل، أو الحمار، أو الخنزير فلا يمكنه العمل به ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ﴾ جنسه ﴿لِيَفْجُرَ﴾: يدوم على الفجور ﴿أَمَامَهُ﴾: مستقبله، والفكرة في البعث تنغص لذاته فلا جرم ﴿يَسْأَلُ﴾: إنكارا ﴿أَيَّانَ﴾ متى ﴿يَوْمُ الْقِيَامَةِ ۞ فَإِذَا بَرِقَ﴾: تحير ﴿الْبَصَرُ﴾ دهشة ﴿وَخَسَفَ﴾ أي: أظلم ﴿الْقَمَرُ﴾: فلا يناقضه، على مذهب الحساب ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾: على أن المراد لفهما كحصير، أو طلوعهما من المغرب أسودين مكورين ﴿يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾: أي: الفرار ﴿كَلَّا﴾ ردع عن طلبه ﴿لَا وَزَرَ﴾: لا ملجأ ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾: للكل، فيجازيهم ﴿يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ﴾ أي: عمل ﴿وَأَخَّرَ﴾: أي: ترك ﴿بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾: أي: شاهد فلا يحتاج إلى الإنباء،

---

(١) كلماتها (١٩٩) كلمة، وحروفها (٩٥٢) حرفا.

* الوجيز (٣٣٢)، البيان (٢٥٩)، البصائر (١/ ٤٩٠).

(٢) في قولهم جميعا. * عدد سور القرآن (٤٧٥).

(٣) في (ن)، و(د): للأمارة.

(٤) يشير إلى ما يروى مرفوعا: «**ليس من نفس برة ولا فاجرة إلا وتلوم نفسها يوم القيامة إن عملت خيرا قالت: كيف لم أزدد، وإن عملت شرا قالت: ليتني ما كنت قصرت**». * تفسير البغوي (٤/ ٤٢١)، تفسير القرطبي (١٩/ ٩١)، الفتح السماوي (٣/ ١٠٦٨/ ٩٦٧).

والهاء للمبالغة ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾: جاء بكل معذرة فلَا تُقْبل، أو أرخى ستوره، والمعذار: الستر، ولما ذم على إيثار العاجلة على الآجلة بقوله «بل يريد... إلى آخره»، أتي باعتراض يؤكد التوبيخ على حُبِّ العجلة، قدَّم العجلة فيما هو أهم وأصل الدين وقال: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ﴾: يا محمد، أي: بالقرآن ﴿لِسَانَكَ﴾: قبل فراغ جبريل ﴿لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾: مسارعة إلى حفظه، ولعل عجلته وقعت في الآيات السابقة، فالمناسبة أظهر ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾: في صدرك ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾: أي: قراءته بلسانك ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾: على لسان جبريل وأصغيته ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾: قراءته ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾: فيما أشكل عليك، ثم ردع الكل عن عادة العجلة فقال: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ﴾: الدنيا ﴿ٱلْعَاجِلَةَ ۞ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾: فلا تعملون بها ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾: حسنة بهية ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾: عيانا، أشار بتقديم الظرف إلى أنهم بالنظر إليه يغفلون عما سواه، أو النظر إلى غيره، كلا نظر أو يقال: هذا ليس في كل حال.

* **تنبيه:** اعلم أنّ منع المعتزلة الرؤية قائلين إنّ النظر غيرها[(١)]، بل تقليب الحدقة نحو المرئي التماسا للرؤية وهي تقتضي جهة ونحوها، ومنه[(٢)]: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ﴾ الآية ونحوها[(٣)]، وأنه بمعنى الانتظار، أو أن «إلى» مفرد الآلاء[(٤)] مع بعد الكل مردود بقول موسى عليه الصلاة والسلام[(٥)]: أرني أنظر إليك، فلو[(٦)] كان النظر التقليب لا قتضت الجهة والمكان وبأن «ما» بمعنى الانتظار لا يعدى بإلى نحو: هل ينظرون، على أن الانتظار امتهان، والمقام مقام الإنعام، وإلى في الإمام مكتوب بالياء،

---

(١) في (ن)، و(د): غير الرؤية.

(٢) في (ن): وفيه.

(٣) في (ن)، و(د): وأمثال ذلك.

(٤) يعني في قوله: «إلى ربها ناظرة» فـ«إلى» اسمٌ بمعنى النعمة، على مذهب أبي علي الجبائي المعتزلي- قبحه الله ومن معه- فالمعنى على تخريفه: منتظره نعمة ربها!!!.

(٥) في (ن): ﷺ.

(٦) في (ن)، و(د): إذ.

ومفرد الآلاء بالألف، مع أن الأحاديث الصحيحة في إثبات الرؤية كثيرة[١]، ومع ذلك قد أجمع الأمة[٢] قبل ظهور المخالفين على وقوعها، وعلى كون الآية محمولة على الظاهر المتبادر، ومثل هذا الإجماع يفيد اليقين، والله تعالى أعلم ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾: شديدة العبوس ﴿تَظُنُّ﴾: تتوقع ﴿أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾: داهية تكسر الفقار ﴿كَلَّآ﴾: إلا ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾: النفس ﴿ٱلتَّرَاقِىَ﴾: أعالي الصدر ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾: لشفائه من الرقية، أو [مَنْ] يرقى[٣] بروحه: أملك الرحمة أم ملك العذاب؟ ﴿وَظَنَّ﴾: علم المحتضَرُ[٤] ﴿أَنَّهُ﴾: النازل به ﴿ٱلْفِرَاقُ﴾: للدنيا ﴿وَٱلْتَفَّتِ﴾ التوت ﴿ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾: الأخرى للشدة ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾: السوق ﴿فَلَا صَدَّقَ﴾: بالكتب أو الرسالة ﴿وَلَا صَلَّىٰ ۞ وَلَٰكِن كَذَّبَ﴾: الحق ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾: عن الطاعة كأبي جهل[٥] ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾ يتبختر إعجابًا ﴿أَوْلَىٰ لَكَ﴾: أي: قَاربَكَ مَا تَكْرهُ، أو ويلٌ لك ﴿فَأَوْلَىٰ ۞ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ﴾ يا أبا جهل ﴿فَأَوْلَىٰٓ ۞ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ بلا تكليف وجزاء ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾: يصب في الرحم ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ﴾ منه الإنسان ﴿فَسَوَّىٰ﴾: أي: عدله ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ﴾: الصنفين ﴿ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۞ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ﴾: الصانع ﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: يستحب بعده: سبحانك اللهم، بلى[٦] والله سبحانه وتعالى أعلم بالصَّواب.



---

(١) جمعها الدارقطني والنحاس.

(٢) يعني علماء الأمة.

(٣) يصعد.

(٤) فتح الضاد.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٩/ ١٢٤) وسنده ضعيف جدا.

(٦) أخرجه أبو داود (١/ ٥٤٩/ ٨٨٤)، والحاكم (٢/ ٥١٠) وسنده ضعيف.



«سورة الإنسان[1]»: مكية[2]

لمَّا ذكر كيفية بدء[3] خلق الإنسان كَمَّل البيان فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ هَلْ﴾: للتقرير، أو قد[4] ﴿أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ﴾: جنسه ﴿حِينٌ﴾: طائفة ﴿مِّنَ الدَّهْرِ﴾: الزمان ﴿لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾: بالإنسانية كالعنصر والنطفة ونحوهما ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ﴾: بني آدم ﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾: مفرد كأكباش وأعشار، أو جمع مشيج أو مشج، أي: أخلاط من ماء الزوجين، وفي الحديث: «**أي الماءين سبق فمنه الشبه**»[5]، أو ألوان أو أطوار كما مر ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾: أي: نريد اختباره ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾: ليتأهل لذلك ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾: الحق[6] بالرسل حال كونه ﴿إِمَّا شَاكِرًا﴾: بسلوكها ﴿وَإِمَّا كَفُورًا﴾: بالإعراض ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾: نارا شديدة ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾: جمع بر أو بار ﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾: خمر ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾: أي: ممازجها ﴿كَافُورًا﴾: أعني ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا﴾: أي: منها ﴿عِبَادُ اللَّهِ﴾: المؤمنون ﴿يُفَجِّرُونَهَا﴾: يجرونها حيث أرادوا[7] ﴿تَفْجِيرًا﴾: سهلا ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾: للقربة ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ﴾ شدائدهُ ﴿مُسْتَطِيرًا﴾: منتشرا، هذا استئناف يفيد علة استحقاقهم ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾: تعالى أو مع حب الطعام ﴿مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾: ولو مشركًا، فإنه يطعم إلى أن يتخيَّر فيه الإمام، أو هو مسلم، محبوس بحق قائلين بلسان الحال: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾: أي: شكرا، قيل: نذر عليٌّ

---

(١) وتسمى سورة الدهر.

كلماتها (٢٤٠) كلمة، وحروفها (١٠٥٤) حرفا - البصائر (١/ ٤٩٣)، البيان (٢٦٠)، الوجيز (٣٣٣).

(٢) وقيل: مدنية. * عدد سور القرآن (٤٧٧).

(٣) ليست في (ن)، و(ح).

(٤) بمعناها.

(٥) أخرجه البخاري (٦/ ٣٦٢)، ومسلم (٣/ ٢١٥)، وأحمد (٣/ ١٠٨).

(٦) ليست في (د).

(٧) النكت والعيون (٦/ ١٦٥).

وفاطمةُ وجاريتهما فضّةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ صوم ثلاثـة[١] إن بـرئ الحسن والحسينُ، فبرئـا[٢] فصاموا وآثروا في الليالي الثلاث مسكينا ثم يتيما ثم أسيرا، وباتوا على الماء فقط، فنزلت فيهم الآيات[٣]، أو فيمن تكفل أسرى بدر وهم سبعة: أبو بكر وعمر وعلي والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعيد وأبو عبيدة، أو في أنصاري، قال القرطبي: نزلت في جميع الأبرار، وقصة علي لم تصح ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن﴾: عذاب ﴿رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا﴾: كريه المنظر، أي: أهله من هوله ﴿قَمْطَرِيرًا﴾: شديد العبوس، أو العبوس بالشفتين والقمطرير بالجبهة والحاجبين ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾: أي: بأسه ﴿وَلَقَّىٰهُمْ﴾ أعطاهم ﴿نَضْرَةً﴾: حسنا وبهاء ﴿وَسُرُورًا ۝ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟﴾: على ما أمروا به ﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾: يلبسونه ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾: السرر في الحجال ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾: قمرا بل يضيء بذاته، أو ولا بردا مزعجا، بل معتدل، ﴿وَ﴾ جزاهم جنة أخرى ﴿دَانِيَةً﴾: قريبة ﴿عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا﴾: ويؤيده آية: ﴿وَلِمَنْ خَافَ﴾[٤] ﴿وَذُلِّلَتْ﴾: أدنيت ﴿قُطُوفُهَا﴾: ثمارها ﴿تَذْلِيلًا﴾: يتناولها المضطجع ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾: كيزان بلا عروة ولا آذان ﴿كَانَتْ﴾: أي: تكونت ﴿قَوَارِيرَا۠﴾: في الصفاء ﴿قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ﴾: بياضا ولينا ﴿قَدَّرُوهَا﴾: في أنفسهم بالتمني ﴿تَقْدِيرًا﴾: فجاءت مقاديرها وأشكالها كما تمنوه، أو قدرها السقاة على قدر ريهم ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا﴾: خمرا ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾: ممزوجها ﴿زَنجَبِيلًا﴾: في الطعم والعرب تستلذ بخمر مزجت به ﴿عَيْنًا﴾: بدل منه ﴿فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾: ومعناه: الشراب اللذيذ ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾: للخدمة ﴿وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾: باقون على شبابهم وحسنهم ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾: صفاء وانتشارا ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾: بلا نهاية ﴿عَـٰلِيَهُمْ﴾: أي: فوقهم، أو يعلوهم ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ﴾: أي: رقيق الحرير ﴿خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾: أي: غليظه ﴿وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ

---

(١) يعني أيام.

(٢) في (ع): فبريا، وكذا (ن).

(٣) قال القرطبي (٩/ ٦٩٢١): والصحيح أنها نزلت في جميع الأبرار.

(٤) سورة الرحمن.

مِن فِضَّةٍ﴾: وهذا للأبرار، وما مر في «فاطر» من ذهب للمقربين، أو يجمع، أو لا يقاس على الدنيا، ففي الحديث: «**المثقال من فضة الآخرة خير من الدنيا وما فيها**»[1] ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾: للقلوب عن الميل إلى ما سواه، وهذا منتهى درجات الصديقين، يقال لهم: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾: غير مضيع ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾: مُنجمًا ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾: بتأخير نصرك ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا﴾: يدعوك إلى الإثم كعتبة بن ربيعة[2] ﴿أَوْ كَفُورًا﴾: غاليا في الكفر يدعوك إليه كالوليد المغيرة[3]، أي: القسمان سيان في استحقاق معصيتهما والتقسيم باعتبار ما دعوه إليه ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾: بصلاة الفجر والعصرين ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ﴾: بصلاة العشاءين[4] ﴿وَسَبِّحْهُ﴾: بصلاة التطوع ﴿لَيْلًا طَوِيلًا﴾: أي: طائفة طويلة من الليل ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: الكفرة ﴿يُحِبُّونَ﴾: الدنيا ﴿ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾: شديدا أي: القيامة فلا يعملون له ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ﴾ أكملنا ﴿أَسْرَهُمْ﴾: أي: خلقهم أو مفاصلهم بالأعصاب، أو مخرج الخبثين، إذ يسترخي فيخرج منه ثم يقبض ويشتد ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ﴾: منهم ﴿أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾: بإهلاكهم ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾: الآيات ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ عظة ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾: بسلوك طاعته ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ ذلك ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾: مشيئتكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بكم ﴿حَكِيمًا﴾: في مشيئته ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾: أي: الإيمان أو الجنة ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.



---

(١) تفسير الرازي (١٥/ ٢٥٠).

(٢) غرر التبيان (٥٢٦).

(٣) زاد المسير (٨/ ٤٤١).

(٤) المغرب والعشاء.

«سورة المرسلات[(١)]»: مكية[(٢)]

لَمَّا قال: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ ...﴾ إلى آخره، أقسم على وقوع هذا الوعد والوعيد فقال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ وَ﴾: الملائكة ﴿الْمُرْسَلاتِ﴾: بأوامر الله تعالى ﴿عُرْفًا﴾: متتابعات، أو للمعروف ﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ﴾: كالرياح في سرعة امتثال أمره تعالى ﴿عَصْفًا ۞ وَ﴾: الملائكة ﴿النَّاشِـرَاتِ﴾: للعلم والشرع في الأرض ﴿نَشْرًا ۞ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ﴾: بين الحق والباطل بما مر ﴿فَرْقًا ۞ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ﴾: إلى الأنبياء ﴿ذِكْرًا﴾: كتبا[(٣)] ﴿عُذْرًا﴾: من الله عز وجل إلى عباده ﴿أَوْ نُذْرًا﴾: أي: إنذارا لهم من عذابه، والمراد بالأخير[(٤)]: جبريل، وجمع تعظيما، وأتى بالفاء فيما يتصل بسابقه كسرعة امتثالهم وإرساله، وبالواو فيما لم يتصل كانتشار الشرع بعد امتثالهم المذكور، فإن بينهما أذيات وتكذيبات، وكذا في الباقي ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾: من البعث وغيره ﴿لَوَٰقِعٌ ۞ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾: محي نورها ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ﴾: انشقت ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾: فتتت كالحب ينسف ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ[(٥)]﴾: بلغت ميقاتها الموعود لتعذيب مكذبيهم، ثم قال تعجبا من هو له: ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾: ضرب أجل جمعهم لذلك، ولم يعجل، فبين سبب تأجيله بقوله: ﴿لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ﴾: بين الخلق ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾: لعظمته وهو له ﴿وَيْلٌ﴾: هو أعظم واد في جهنم[(٦)]، أو مجتمع صديد أهلها ﴿يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾: بذلك اليوم ومثل ذلك التكرار

---

(١) كلماتها (١٣١) كلمة، وحروفها (٨١٦) حرفا.

* الوجيز (٣٣٤)، البيان (٢٦١)، البصائر (١/ ٤٩٥)، عدد سور القرآن (٤٧٩).

(٢) في هامش (ن): بلغ مقابلة.

(٣) في (ن): إلينا.

(٤) في (س)، و(ن): الآخر.

(٥) كتبها في (ن): وقتت، وكتب بالهامش: «أقتت»: حفص.

(٦) سبق.

شائع عند البلغاء ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ﴾: المكذبين ﴿الْأَوَّلِينَ ۞ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ﴾: المكذبين ﴿الْآخِرِينَ ۞ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾: مشركي مكة ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾: بآيات الله تعالى ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾: نطفة قذرة ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾: أي: مكان حريز[١] وهو الرحم ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ﴾: مقدر ﴿مَّعْلُومٍ﴾: عندنا للولادة ﴿فَقَدَرْنَا﴾: على ذلك أو قدرناه ﴿فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾: نحن[٢] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾: بقدرتنا عليه أو على إعادته ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾: كافية جامعة ﴿أَحْيَاءً﴾: في طهرها ﴿وَأَمْوَاتًا﴾: في بطنها ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾: جبالا ﴿رَوَاسِيَ﴾: ثوابت ﴿شَامِخَاتٍ﴾: طوالا ﴿وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾: عذبا ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾: بأمثال هذه النعم، يقال لهم يومئذ: ﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾: من العذاب ﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ﴾: لدخان جهنم ﴿ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾: تشعب لعظمه، أو هي اللهب والشرر والدخان ﴿لَّا ظَلِيلٍ﴾: يظلهم من الحر ﴿وَلَا يُغْنِي﴾: لا يدفع ﴿مِنَ﴾: حر ﴿اللَّهَبِ ۞ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ﴾: ما يتطاير من النار كل شررة ﴿كَالْقَصْرِ﴾: عظمة وارتفاعا ﴿كَأَنَّهُ﴾: في اللون والكثرة والتتابع ﴿جِمَالَتٌ[٣]﴾: جمع جمل ﴿صُفْرٌ﴾: قيل: بمعنى سود ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾: بذلك ﴿هَٰذَا يَوْمُ﴾: أي: وقت ﴿لَا يَنطِقُونَ﴾: لدهشتهم، وهذا في بعض المواقف ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ﴾: في الاعتذار ﴿فَيَعْتَذِرُونَ ۞ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾: بذلك ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾: بين الخلق ﴿جَمَعْنَاكُمْ﴾: أيها المكذبون ﴿وَ﴾: المكذبين ﴿الْأَوَّلِينَ ۞ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ﴾: حيلة في الفرار وغيره ﴿فَكِيدُونِ ۞ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾: بذلك ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ﴾: تحت أشجار ﴿وَعُيُونٍ ۞ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾: مقولا لهم ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾: متهنين ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۞ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ بذلك ﴿كُلُوا﴾ أمر تحسير[٤]؛ تذكيرا لحالهم في الدنيا، أي: ويل لهم في حالة يقال لهم كلوا ﴿وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم

---

(١) محفوظ حصين.

(٢) المخصوص بالمدح.

(٣) كتبها في (ن): «جمالات»، وفي الهامش: «جمالة»: حفص.

(٤) في (ح): تخيير، وفي (ع): تحقير.

مُجْرِمُونَ﴾ بالتكذيب ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا﴾: أي: صلوا ﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾: تكذيبا لوجوبها، نزلت في ثقيف[1] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾: بذلك ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾: أي: بعد القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: به إذا لم يؤمنوا به مع ظهور معجزاته، والله تعالى أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب[2].



---

(١) النكت (٦/ ١٨١)، الدر المنثور (٨/ ٣٨٨)، لباب النقول (٢٢٦) والحديث: أخرجه أبو دواد (٣/ ٤٢٠، ٤٢١/ ٣٠٢٦) وأحمد (٤/ ٢١٨)، والطبراني (٦/ ٤٥/ ٨٣٧٢) وسنده ضعيف.

(٢) ليست في (د)، وفي (ن): والله أعلم.



«سورة النبأ[١]»: مكية[٢]

لَمَّا أَوْعدَ[٣] مكذبي[٤] البعث وغيره بالويل أخبر عن تساؤُلهم عن ذلك استهزاء، وذكر بعض دلائل قدرته على ذلك فقال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ عَمَّ﴾: أي: عن أيّ شيء عظيم ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾: قريش بعضهم بعضا، إذ كانوا يتساءلون[٥] عن البعث والجزاء استهزاء ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾: بجزم النفي والشك ﴿كَلَّا﴾: ردع عن التساؤل ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾: في القيامة ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾: في الجزاء، أو تأكيدا ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا﴾: فراشا ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾: لها لتثبت على الماء ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا﴾: أصنافا مختلفة ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ أي: راحة أو موتا ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾: غطاء يستركم ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾: وقت تحصيله ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ﴾: سموات ﴿سَبْعًا شِدَادًا﴾: محكمات لا تتأثر بمر الزمان ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾: وقادا، أي: الشمس ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ﴾: السحب ﴿ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾: الشارفة؛ لأنه تعصرها الرياح فتمطر ﴿مَآءً ثَجَّاجًا﴾: كثير الصب ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا﴾: للقوت ﴿وَنَبَاتًا﴾: للعلف ﴿وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا﴾ ملتفة الأشجار بعضها ببعض، جمع لفيف ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا﴾: لجزاءكم ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾: ثانية ﴿فَتَأْتُونَ﴾ إلى الموقف ﴿أَفْوَاجًا﴾: جماعات، كل أحد يعرف شركاءه في العمل ﴿وَفُتِحَتِ﴾: شقت ﴿ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾: ذات أبواب كثيرة، وهي سقوفها[٦]، ثم تلف كالحصير ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ﴾: في الهواء كالهباء ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾: أي: مثله، إذ صورته جبل وحقيقته هباء ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾: مرصدًا ﴿لِّلطَّٰغِينَ﴾: يرصدهم خزنتها ﴿مَـَٔابًا﴾: مرجعا لهم ﴿لَّٰبِثِينَ

---

(١) كلماتها (١٧٣) كلمة، وحروفها (٧٧٠) حرفا. * الوجيز (٣٣٥)، البصائر (١/ ٤٩٧)، البيان (٢٦٢).

(٢) في الأقاويل كلها. * عدد سور القرآن (٤٨١).

(٣) في (ع)، و(س): وعد.

(٤) في (س): وعد مكذبوا.

(٥) تفسير الطبري (٣٠/ ٢).

(٦) في (ن): شقوقها.

﴿فِيهَآ أَحْقَابًا﴾: دهورا متتابعة بلا نهاية، وتفسير الحقب بثمانين سنة أو سبعين ألف سنة لا يستلزم تناهيها لتتابعها[1]، وإن سلم فهو كالمفهوم فلا يعارض النص على خلودهم ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾: ينفس عنهم الحر أو نوما[2] ﴿وَلَا شَرَابًا﴾: يسكن عطشهم ﴿إِلَّا﴾: لكن يذوقون ﴿حَمِيمًا﴾ ماء شديد الحرِّ ﴿وَغَسَّاقًا﴾: صديد أهل النار، جوزوا به ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾: موافقا لأعمالهم في العظم[3] ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ﴾: لا يخافون ﴿حِسَابًا﴾: لإنكارهم ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا﴾: تكذيبا ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ﴾: ضبطناه ﴿كِتَٰبًا﴾: مكتوبا في صحف الحفظة، أو إحصاء، يقال لهم: ﴿فَذُوقُواْ﴾: جزاءكم ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۞ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾: فوزا، أو موضع فوز بالبغية ﴿حَدَآئِقَ﴾: بساتين ﴿وَأَعْنَٰبًا ۞ وَكَوَاعِبَ﴾: جواري صغيرات الشدي[4]، أو عذارى ﴿أَتْرَابًا﴾: مستويات السن، كما مر ﴿وَكَأْسًا﴾: أي: خمرا ﴿دِهَاقًا﴾: ملآنا ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾: كلاما بلا فائدة ﴿وَلَا كِذَّٰبًا﴾: تكذيبا من بعضهم لبعض بخلاف مجلس خمر الدنيا، جُوزُوا بهِ ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً﴾: تفضلا ﴿حِسَابًا﴾: كافيا، أو على حسب أعمالهم ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ﴾: أهلهما ﴿مِنْهُ خِطَابًا﴾: معه إلا بإذنه ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ﴾: ملك أعظم الخلق بعد العرش، أو خلق على صورة آدم غير آدم[5]، وأرواح الناس تقوم صفا ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾: صافين ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾: كشفا عنه لمن ارتضى ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾: الواقع ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ﴾ ثوابه ﴿رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾: مرجعا يسلم فيه

---

(١) الأحقاب جمع حُقُب وحقب جمع حقبة، والحقبة ثمانون سنة، فالأحقاب جمع الجمع، قال الراغب: والصحيح أن الحقبة مدة من الزمان مبهمة.
* المفردات (٢٤٨)، عمدة الحفاظ (١/ ٤٣٦/ حقب).

(٢) والنوم يسمى بردا، قال امرؤ القيس:
بردت مراشفها علي فردني عنها وعن قبلاتها البرد.

(٣) في (ن)، و(د): العظمة.

(٤) الكعاب والكاعب: من تكعب ثدياها، أي: ارتفعا في صدرها، والجمع كواعب.
* عمدة الحفاظ (٣/ ٤٠٢/ كعب).

(٥) الوسيط (٤/ ٤١٧)، تفسير الطبري (٣٠/ ١٥).

﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ﴾: يا قريش ﴿عَذَابًا قَرِيبًا﴾: إذ كل ما هو آت قريب ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾: من خير وشر ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ﴾: حين يحكم الله تعالى بين الحيوانات غير الإنسان ثم يجعلهم ترابا ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾: قيل: مؤمنو الجن[1] أيضًا يعودون ترابا، والأصح[2] أنهم حول الجنة في ربض ودرجات وليسوا فيها- والله أعلمُ.



---

(١) هذا وهم، بل يدخلون الجنة والنار أيضًا، لقوله تعالى: ﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا﴾، ﴿قال ادخلوا فى أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس فى النار﴾.

(٢) بل الأصح أنهم منعمون ومعذبون.



«سورة النازعات[1]»: مكية[2]



لما أنذر بعذاب قريب أقسم على وقوعه فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ وَ﴾: الملائكة ﴿النَّازِعَاتِ﴾: أي: المخرجات بشدة أرواح الكفار ﴿غَرْقًا﴾: أي: إغراقا ينزعها من أقاصي أبدانهم، من أغرق أي: بلغ أقصى غايته ﴿وَالنَّاشِطَاتِ﴾: المخرجات بسهولة أرواح المؤمنين ﴿نَشْطًا ۝ وَالسَّابِحَاتِ﴾: في أعماق أبدانهم لإخراجها برفق كالغواصين ﴿سَبْحًا ۝ فَالسَّابِقَاتِ﴾: بأرواحهم إلى الجنة أو النار ﴿سَبْقًا ۝ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾: أي: أمرها بإثابتها أو عقابها أو أمور أهل الأرض، وهذا منها، وقد مر نكتة الفاء والواو في المرسلات، وجواب القسم: لتبعثن الدال عليه قوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾: تتحرك ﴿الرَّاجِفَةُ﴾: النفخة الأولى التي يرجف بها كل شئ ويموت وبينهما أربعون سنة يمطر فيها ماء كالنطف[3] ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾: قلقة ﴿أَبْصَارُهَا﴾: أي: أبصار أصحابها ﴿خَاشِعَةٌ﴾: ذليلة، لأنهم ﴿يَقُولُونَ﴾: في الدنيا ﴿أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾: أي: إلى أول أمرنا في الحياة بعد موتنا والحال أنا في قبور ذات حفر ﴿أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً﴾: بالية، نرد؟! ﴿قَالُوا﴾ استهزاء: ﴿تِلْكَ إِذًا﴾ إن صحت ﴿كَرَّةٌ﴾: رجعةٌ ﴿خَاسِرَةٌ﴾: ذات خسر علينا؛ لتكذيبنا بها، قال تعالى: لا تستصعبوها ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾: صيحة ﴿فَإِذَا هُم﴾ أحياء ﴿بِالسَّاهِرَةِ﴾: أي: في الأرض المستوية ﴿هَلْ﴾ أي: قد ﴿أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾: ليُسلِّيك على تكذيبهم ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾: اسمه كما مر قائلا: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾: تكبر ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ﴾ ميل ﴿إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ﴾: تتطهر من الكفر ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ﴾: معرفة ﴿رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾: عقابه، فذهب ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ﴾: من آياته أي: العصا ﴿فَكَذَّبَ﴾: بها ﴿وَعَصَىٰ﴾: الله تعالى ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾: عن الطاعة ﴿يَسْعَىٰ﴾: في إبطال أمره ﴿فَحَشَرَ﴾: فجمع

---

(١) كلماتها (١٩٩) كلمة، وحروفها (٩٥٩) حرفا. * الوجيز (٣٣٦)، البيان (٢٦٣)، البصائر (١/ ٤٩٩).

(٢) في الأقاويل كلها. * عدد سور القرآن (٤٨٣).

(٣) سبق تخريجه.

جنوده ﴿فَنَادَىٰ﴾ فيهم بصوت رفيع ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: لا رب فوقي، وكانوا عبدة الأصنام، وهذا بعد قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [1] بأربعين سنة، فأمهله حتى تكلم بهذا ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ﴾: بالعذاب ﴿نَكَالَ﴾ أي: عقوبة ﴿ٱلْآخِرَةِ﴾: بالنار ﴿وَٱلْأُولَىٰٓ﴾: بالإغراق، أو عقوبة الكلمتين ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾: المذكور ﴿لَعِبْرَةً لِّمَن﴾: شأنه أن ﴿يَخْشَىٰٓ ۞ ءَأَنتُمْ﴾: يا منكري البعث ﴿أَشَدُّ﴾: أصعب ﴿خَلْقًا﴾: بعد الموت ﴿أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾ بين كيفية خلقها بقوله ﴿بَنَىٰهَا﴾: وبين البناء بقوله ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾: أي: مقدار ذهابها في سمت العلو ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾: جعلها مستوية بلا تفاوت وفطور ﴿وَأَغْطَشَ﴾: أظلم ﴿لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ﴾: أبرز ﴿ضُحَىٰهَا﴾: ضوء شمسها ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾: بسطها، والحال أنه قد ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ۞ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾: أثبتها، وسبق الكلام فيه في آيتي: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ ﴿مَتَٰعًا﴾: تمتيعا لكم ﴿وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ۞ فَإِذَا جَآءَتِ﴾: الداهية ﴿ٱلطَّآمَّةُ﴾: تطم وتعلو الدواهي ﴿ٱلْكُبْرَىٰ﴾: النفخة الثانية أو القيامة ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ﴾: أي: عمله برؤيته في صحيفته ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾: أي: لكل راء ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾: تمرد ﴿وَءَاثَرَ﴾: اختار ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾: أي: شهواتها على الآخرة ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾: أي: مأواه ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾: أي: القيام لديه في القيامة ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾: أي: الشهوات ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾: أي: مأواه ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ﴾: متى ﴿مُرْسَىٰهَا﴾: أي: إقامتها ﴿فِيمَ﴾: أي: في أي: شيء ﴿أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾: أي: ذكر وقتها لهم، إذ لا ينفعهم ولا تعلمها ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: وحده ﴿مُنتَهَىٰهَآ﴾: منتهى علمها ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾: لا يعين وقتها ﴿كَأَنَّهُمْ﴾: في استصغار لبثهم [2] في الدنيا ﴿يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟﴾: في الدنيا ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾: أي: الضحى التي تلي [3] تلك العشية، وهي ساعة من نهار، وإنما أضاف لإفادة التقليل- والله أعلم بالصّواب.

---

(١) سورة القصص.

(٢) في (ن): لهب!!!.

(٣) في (د): بعد.




«سورة عبس[١]»: مكية[٢]

لَمَّا قال: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ أتى بقصة من كان يذَّكَّر وتنفعه الذكرى فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾: لما كان ﷺ مشغولا بعظماء قريش في إسلامهم، جاءه ابن أم مكتوم الضرير فقال له: علمني مما علمك الله وكرره جاهلا بالحال فكره ﷺ وأعرض عنه، فعوتب بنزول ﴿عَبَسَ﴾ [٣] أي: كلح[٤] وجهه ﷺ ﴿وَتَوَلَّىٰٓ﴾ أي: أعرض بوجهه ﷺ ﴿أَن﴾: أي: لأن ﴿جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۞ وَمَا يُدْرِيكَ﴾: أي: يعلمك بحاله يا محمد ﴿لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾: يتطهر من الذنوب بما يسمع منك، لا العظماء ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾ يتعظ ﴿فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾: أي: عظتك ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ﴾: بماله ﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾: تتعرض طمعا في إسلامه ﴿وَمَا عَلَيْكَ﴾: ضرر في ﴿أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾: بالإسلام، ما عليك إلا البلاغ ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ﴾: في طلب الخير ﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾: الله تعالى أي: الأعمى ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾: تتشاغل ﴿كَلَّآ﴾: ردع عن معاودة مثله ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾: للكل ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾: اتعظ به، والضميران للقرآن، وأنث الأول لتأنيث خبره، مثبتة ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾: عند الله تعالى ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾: قدرا ﴿مُّطَهَّرَةٍۭ﴾: عن مس الشياطين ﴿بِأَيْدِى﴾ ملائكة ﴿سَفَرَةٍ﴾ كتبة من اللوح أو رسل ﴿كِرَامٍۭ﴾: على الله عَزَّوَجَلَّ[٥] ﴿بَرَرَةٍ﴾: أتقياء[١] ﴿قُتِلَ﴾: لعن ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾: المنكر للبعث ﴿مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾: ما أشد

---

(١) كلماتها (١٣٣) كلمة، وحروفها: (٥٣٣) حرفا. *الوجيز (٣٣٨)، البيان (٢٦٤)، البصائر (١/ ٥٠١).

(٢) في الأقاويل كلها.

(٣) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: أنزلت ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ في ابن أُمّ مكتوم الأعمى، أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله ! أرشدني، وعند رسول الله رجل من عظماء المشركين؛ فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه، ويقبل على الآخر، ويقول: أترى بما أقول بأسا؟ فيقول: لا؛ ففي هذا أُنزل. أخرجه الترمذي (٥/ ٤٣٢/ ٣٣٣١)، والطبري في تفسيره (٣٠/ ٣٢)، وأبو يعلى (٨/ ٢٦١/ ٤٨٤٨)، والحاكم (٢/ ٥١٤)، وابن حبان (٥٣٥)، وابن عبد البر في التمهيد (٢٢/ ٣٢٥) وسنده صحيح.

(٤) هذا من سوء الأدب مع سيدنا محمد رسول الله ﷺ مما تبع فيه الكازوريني الزمخشري- عفا الله عنه- والأولى أ، يقال: تغير وجهه ﷺ.

(٥) ليست في (ن)، و(د).

كفره ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ﴾: حقير ﴿خَلَقَهُۥ ۞ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾: أطوارا إلى تمام خلقته ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ﴾: إلى الخروج من بطن أمه ﴿يَسَّرَهُۥ﴾: أو سبيل الخير والشر ألهمه ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ﴾: للحياة الأبدية ﴿فَأَقْبَرَهُۥ﴾: تكرمة ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾: أحياه ﴿كَلَّا﴾: ردع عما هو عليه ﴿لَمَّا يَقْضِ﴾: بعد من لدن آدم إلى الآن ﴿مَآ أَمَرَهُۥ﴾: فما منا إلا وله تقصير ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾: مستدلا على البعث ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ﴾: المطر ﴿صَبًّا ۞ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ﴾: بالنبات ﴿شَقًّا ۞ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾: كالبر ﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾: قَتًّا[2] للعلف ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۞ وَحَدَآئِقَ﴾: بساتين ﴿غُلْبًا﴾: عظاما بكثرة أشجارها ﴿وَفَٰكِهَةً﴾: أي: ثمارا رطبة ﴿وَأَبًّا﴾: مرعى الدواب كالحصيد للآدمي، أو يابس الفواكه، وحديث: «**خلقتم من سبع، ورزقتم من سبع، فاسجدوا على سبع**»[3]: يؤيد الأول ﴿مَّتَٰعًا﴾: تمتيعا ﴿لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ۞ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾: النفخة الثانية التي تصخ، أي: تصم الآذان ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۞ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۞ وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾: زوجته ﴿وَبَنِيهِ ۞ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ﴾: حال ﴿يُغْنِيهِ﴾: يشغله عنهم ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾: مضيئة ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾: فرحة بالكرامة ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾: كدرة ﴿تَرْهَقُهَا﴾: تغشاها ﴿قَتَرَةٌ﴾: ظلمة وسوادا ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾: الوجوه ﴿هُمُ ٱلْكَفَرَةُ﴾: وسوادهم لذلك ﴿ٱلْفَجَرَةُ﴾: وغبرتهم لذلك، والفاجر: الكاذبُ، والله تعالى أعلم بالصَّواب.



---

(١) أنوار التنزيل (٧٨٤).

(٢) القَتُّ: الفصفصة إذا يبست، وهي نوعٌ من الحبِّ يطعم للأنعام.

(٣) الجامع لأحكام القرآن- للقرطبي (١٩/ ٢٢٣) وله أصل، لكن ليس بهذا اللفظ.



«سورة التكوير[1]»: مكية[2]



لما ذكر بعض أهوال القيامة أردفه ببعض أهوالها الأخر فقال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾: لفت كالعمامة، أو أظلمت ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾: أظلمت، أو تناثرت ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾: في الهواء كالهباء ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ﴾: جمع عشراء، ناقة بلغ حملها الشهر العاشر ﴿عُطِّلَتْ﴾: تركت مع أنها أحب الأموال إلى العرب ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾: للقصاص ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾: أوْقدت وصارت نارا، أو ملئت بجعل الكل واحدا ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾: قرنت بجنسها في العمل، أو بأبدانها ﴿وَإِذَا﴾: الجارية ﴿ٱلْمَوْءُۥدَةُ﴾: المدفونة حيَّة ﴿سُئِلَتْ﴾: توبيخا لقاتلها ﴿بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۞ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ﴾: للأعمال ﴿نُشِرَتْ﴾: للحساب ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾: كشط جلد الذبيح بمعنى كشفت وأزيلت عما فوقها من الجنة والعرش ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾: أوقدت نهاية ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾: قربت للمؤمنين، واعلم أن الستة الأول منها في مبادئ القيامة، والستة الأخيرة في آخرها ﴿عَلِمَتْ﴾: وقت هذه الأشياء وهو القيامة ﴿نَفْسٌ﴾: أي: كل نفس ﴿مَّآ أَحْضَرَتْ﴾: من خير وشر ﴿فَلَآ﴾: صلة ﴿أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ﴾: الرواجع من الكواكب إلى أول المنزل ﴿ٱلْجَوَارِ﴾: بالاستقامة في المنازل ﴿ٱلْكُنَّسِ﴾: المخفية تحت ضوء الشمس، أو تحت ما هو على ذلك فوقه عند القِرَان معه[3]، من كنس الوحش إذا دخل كناسه أي: بيته، يعني الخمسة المسخرة ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾: أقبل أو أدبر ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾: أضاء والظرفان مُؤوّلان بنحو: عظمت الليل إذا أدبر ﴿إِنَّهُۥ﴾: القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ﴾: عنا[4]﴿كَرِيمٍ﴾: علينا، يعني جبريل ﴿ذِى قُوَّةٍ﴾: كما مر ﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾: ذي مكانة

---

(١) كلماتها (١٠٤) كلمات، وحروفها: (٥٣٣) حرفا.

* البصائر (١/ ٥٠٣)، الوجيز (٣٣٩)، البيان (٢٦٥)، عدد سور القرآن (٤٨٨، ٤٨٩).

(٢) في الأقاويل كلها.

(٣) كذا- والقران: الاقتران.

(٤) يعني عن الله.

﴿مُطَاعٍ ثَمَّ﴾: في مكانته[1] ﴿أَمِينٍ﴾: على الوحي ﴿وَمَا صَاحِبُكُم﴾: محمدٌ ﷺ ﴿بِمَجْنُونٍ﴾: كما زعمتم، استدل من يفضل جبريل على محمد ﷺ بمناقبها هنا ﴿وَ﴾: الله ﴿لَقَدْ رَءَاهُ﴾: أي: محمد جبريل ﴿بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾: الأعلى من المشرق ﴿وَمَا هُوَ﴾: أي: محمد ﷺ ﴿عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ[2]﴾ متهم، وبالضاد أي: ببخيل كما يضنُّ الكاهن رغبة في الحلوان، بل ﴿وَمَا هُوَ﴾: أي: القرآن ﴿بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾: كزعمكم ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾: في هذه النسب إليه، أي: أنهم ضالون فيها ﴿إِنْ﴾: أي: ما ﴿هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿لِلْعَالَمِينَ لِمَن﴾: بدل عنه ﴿شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾: على الحق ﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾: الاستقامة ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾: وحسبنا الله ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم[3].



---

(١) في (ن)، و(س)، و(ح): ملائكته. وهو خطأ.

(٢) كتب في هامش (ن): «بضنين»: حفص.

وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، والكسائي ورويس وابن محيصن، ومجاهد. * إتحاف (٤٣٤)، السبعة (٦٧٣)، غيث النفع (٣٨١)، النشر (٢/ ٣٩٨، ٣٩٩).

(٣) في (ن): والله أعلم.

«سورة انفطرت[١]»: مكية[٢]

لَمَّا أنْذَرهُم ببعض وقائع القيامة أتبعه ببعض آخر منها فقال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ انشقت ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾: تساقطت متفرقة ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾: بعضها إلى بعض فصارت واحدة كما مر ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾: قلب ترابها، وبعث من فيها ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾: أي: كل نفس ﴿مَّا قَدَّمَتْ﴾: بعمله ﴿وَأَخَّرَتْ﴾: بتركه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا﴾: أي: شيء ﴿غَرَّكَ بِرَبِّكَ﴾: أي: أمنك من عقاب ربك ﴿ٱلْكَرِيمِ﴾: والكرم[٣] يقتضي عدم التسوية بين المطيع والعاصي فكيف مع صفة القهر، قيل: علمه بذكر الكريم جوابه ليقول: كرمك[٤]، وهذا إنما يصح إذا لم يكن المراد الكافر ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ﴾: جعلك سليم الأعضاء ﴿فَعَدَلَكَ﴾: جعلك معتدل الأعضاء متناسبها ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا﴾: صلة ﴿شَآءَ رَكَّبَكَ ۞ كَلَّا﴾: ردع عن الاغترار ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾: بالجزاء، وهو سبب معاصيكم ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ﴾: لأعمالكم، ملائكة ﴿كِرَامًا﴾: على الله تعالى ﴿كَٰتِبِينَ﴾: لها ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾: حتى ما تهمون به، فيعلمونه بريحه، والأصح أن الكفار عليهم حفظة؛ لهذه الآية[٥]، وآية و«أما من أوتي كتابه بشماله»، وحينئذ فصاحب اليمين للشهادة على ما كتبه الآخر ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۞ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾: ولذلك يكتبونها[٦] ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها ﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ ۞ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾

---

(١) وتسمى الانفطار، كلماتها (٨٠) كلمة وحروفها (٣٢٩) حرفا.

* البصائر (١/ ٥٠٥)، البيان (٣٦٦)، الوجيز (٣٤٠).

(٢) في الأقاويل كلها - عدد سور القرآن (٤٩٠).

(٣) في (د): والكريم.

(٤) نقل مثل هذا لا يحسن؛ لأنه يجرئ على الله، والله تعالى غفار لمن تاب.

(٥) ولآية الأنعام: ﴿ويُرْسِلُ عليكم حفظة﴾ وهذا مقتضى عدل الله معهم؛ لئلّا يكون لهم حجة.

(٦) يعني الآية بيان لما يكتبون لأجله.

لخلـودهم فيهـا ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ أعلمـك ﴿مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾: أي: لا تدريه لعظمته وإنْ تأملته مرة بعد أخرى، وكل مَا ذكر في القرآن من: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ فأدراه، ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾ طواهُ، قاله ابن عباس أعني أو هو ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾: من الضر والنفع ﴿وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾: بلا توسط أحد- واللهُ أعْلَمُ.





«سورة المطففين[1]»: مختلف فيها[2]

لَمَّا ذكر حال السُّعداء والأشقياء، أتبعه بما هو كتتميمه فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ وَيْلٌ﴾: شر أودية جهنم ﴿لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾: الناقصين في الكيل والوزن خفية ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا﴾: حقوقهم ﴿عَلَى﴾: أي: من ﴿النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾: يأخذونها وافية ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ﴾: أي: لهم ﴿أَو وَّزَنُوهُمْ﴾: أي: لهم ﴿يُخْسِرُونَ﴾: ينقصون، ولما كانوا يستوفون حقوقهم بالكيل فقط لتمكنهم بهِ مِن استيفاء السرقة بالدغدغة والحيلة في الملأ ويعطون بالنوعين لتمكنهم منها فيهما خص الأول بالكيل ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: القيامة ﴿يَوْمَ﴾: ظرف مبعوثون ﴿يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: أي: لحكمة ﴿كَلَّا﴾ حقًّا ﴿إِنَّ كِتَابَ﴾: أعمال ﴿الْفُجَّارِ لَفِي﴾: أي: لمثبت في ﴿سِجِّينٍ﴾: هو كتاب جامع لأعمال شياطين الجن والإنس ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ۝ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾: مسطور أو مختوم، وهذا لا ينافي كونه «اسما لجُبٍّ في جهنم»[3] أو لأسفل سبع أرضين، مكان أرواح الكفار[4]؛ لجواز اشتراك الاسم، ومن فسره به يجعل كتاب بيانا للكتاب المذكور ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾: الجزاء ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ﴾: متجاوز عن الحد ﴿أَثِيمٍ﴾: كثير الإثم ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ﴾ هي ﴿أَسَاطِيرُ﴾: أكاذيب ﴿الْأَوَّلِينَ ۝ كَلَّا﴾: رَدْعٌ لهم عن هذا الزعم ﴿بَلْ رَانَ﴾: جعل الرين والصَّدأ ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: أي: كسبهم المعاصي، ولذا[5] يزعمون ذلك، والرين اسوداد القلب بالذنب وفوقه الطبع

---

(١) كلماتها (١٦٩) كلمة، وحروفها (٧٣٠) حرفا.

* الوجيز (٣٤١)، البيان (٢٦٧)، البصائر (١/ ٥٠٦)، عدد سور القرآن (٤٩٢، ٤٩٣).

(٢) مكية، وعن ابن عباس وقتادة: مدنية إلا ثمان آيات منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾.... إلى آخر السورة. * المحرر الوجيز (١٦/ ٢٤٩).

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ٦١) والديلمي في الفردوس (٤/ ٢٠٣)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٤٤٤) بسند ضعيف.

(٤) الوسيط (٤/ ٤٤٤)، معالم التنزيل (٤/ ٤٥٩).

(٥) في المخطوط وكذا.

عليه، وفوقه الإقفال عليه ﴿كَلَّآ﴾ لا ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾: فلا يرونه ﴿ثُمَّ﴾: مع ذلك ﴿إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟﴾: أي: داخلوا ﴿ٱلْجَحِيمِ ۞ ثُمَّ يُقَالُ﴾: لهم ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۞ كَلَّآ﴾ إلّا ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾: كتاب جامع لأعمال البررة ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۞ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۞ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾: لتعظيمه وكل ما ذكرناه في سجين يأتي ضده[1] هنا، إذ ورد أنه الجنة أو فوق السماء السابعة وغير ذلك ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾: أي: الجنة ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾: أي: السرر في الحجال والحجلة بيت العروس المزين بالستور ونحوها[2] ﴿يَنظُرُونَ﴾: عنايات ربهم ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ﴾: أي: بهجة ﴿ٱلنَّعِيمِ ۞ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ﴾: خمر خالصة ﴿مَّخْتُومٍ﴾: على إنائها كالملوك ﴿خِتَٰمُهُۥ﴾: أي: آخر طعمه ورائحته، أو ختمه مكان الطين ﴿مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ﴾: النعيم ﴿فَلْيَتَنَافَسِ﴾: ليرغب بالمبادرة ﴿ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾: الراغبون، وأصله المغالبة في شيء نفيس ﴿وَمِزَاجُهُۥ﴾: أي: ممازجة ﴿مِن تَسْنِيمٍ﴾: أعني ﴿عَيْنًا﴾: تجري في الهواء متسنمة تصب[3] في أوانيهم ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾: أي: منها ﴿ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾: أي: صرفها[4] لهم لاشتغالهم عن غير[5] الله، وممزوجها للأبرار ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾: كأبي جهل وصحبه ﴿كَانُوا۟ مِنَ﴾: أجل الفقراء ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ﴾: استهزاء ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟﴾: أي: المؤمنون ﴿بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾: يشيرون إليهم بالجفن والحاجب استهزاء ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ[6]﴾: متعجبين أو ملتذين بتلك المسخرة، وفكهين بمعناه[7] ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾: أي: المؤمنين ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾: بتركهم العاجل بالأجل ﴿وَمَآ أُرْسِلُوا۟﴾: أي: الكفرة ﴿عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ﴾: لأعمالهم ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾: القيامة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ﴾: أجل هوان ﴿ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۞ عَلَى

---

(١) في هامش (ن): لعله ضده.

(٢) في (ن): ونحوه.

(٣) في (ع): تنصب.

(٤) جعلها صرفة خالصة.

(٥) يعني؛ لأنهم لم ينشغلوا ولم يشتغلوا بغير الله ومرضاته.

(٦) في (ن): فاكهين، وكتب في الهامش: «فكهين»: حفص.

(٧) لا ليس بمعناه، بل فيه مبالغة.

ﭐلۡأَرَآئِكِ﴾: في الجنة ﴿يَنظُرُونَ﴾: أنواع عذابهم ﴿هَلۡ﴾: أي: قد ﴿ثُوِّبَ﴾: جوزي ﴿ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾: في الدنيا، استعمل الثواب تهكما، والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.





«سورة الانشقاق(١)(٢)»: مكية

لما ذكر مَآل السُّعداء والأشقياء، أتبعه بما هو كالتتميم له فقال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾: بغمام يخرج(٣) منها كما مر(٤) ﴿وَأَذِنَتْ﴾: استمعت فأطاعت ﴿لِرَبِّهَا﴾: في الانشقاق ﴿وَحُقَّتْ﴾: أي: جعلت حقيقة بالإطاعة ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾: بُسطَت وسوِّيت كالأديم ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾: من نحو الموتى والكنوز ﴿وَتَخَلَّتْ﴾: كإلقاء الحامل حملها فزعا(٥) ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾: كما مر، وجوابه إذا تجزون بأعمالكم الدال عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾: شديد السعي بعملك ﴿إِلَىٰ﴾ لقاء ﴿رَبِّكَ﴾ بالموت ﴿كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾: أي: جزاء كدحك ثوابا، أو عقابا ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾: سهلًا بأن يُعْرض عمله عليه ثم يتجاوز عنه ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾: في الجنة ﴿مَسْرُورًا ۞ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ﴾: بشماله ﴿وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾: روي أنه تخلع يده اليسرى، وتجعل من وراء ظهره ﴿فَسَوْفَ يَدْعُواْ﴾: لنفسه ﴿ثُبُورًا﴾: هلاكا ﴿وَيَصْلَىٰ﴾: يدخل ﴿سَعِيرًا﴾: نارا شديدة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهْلِهِۦ﴾: في الدنيا ﴿مَسْرُورًا﴾: بطرا بها ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾: أي: يرجع إلى الله تعالى ﴿بَلَىٰٓ﴾: يرجع إليه ﴿إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ﴾: أي: بأعماله ﴿بَصِيرًا﴾: فلا يهمله ﴿فَلَآ﴾: صلة ﴿أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾: حمرة بعد الغروب ﴿وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾: جمع ما سكن فيه ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾: اجتمع وتكامل نوره ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا﴾: أي: حالة مطابقة لأختها في الشدة مجاوزين ﴿عَن طَبَقٍ﴾: أي: حال كذلك، والمراد كثرة أهوال القيامة ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: بالبعث ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ﴾: لتلاوته ولا يخضعون ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ﴾: به ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾: يجمعون من المكر

---

(١) كلماتها (١١٥) كلمة، وحروفها (٤٣٠) حرفا.* الوجيز (٣٤١)، البيان (٢٦٩)، البصائر (١/ ٥٠٧).

(٢) في (ن)، و(س)، و(ع)، و(د): انشقت.

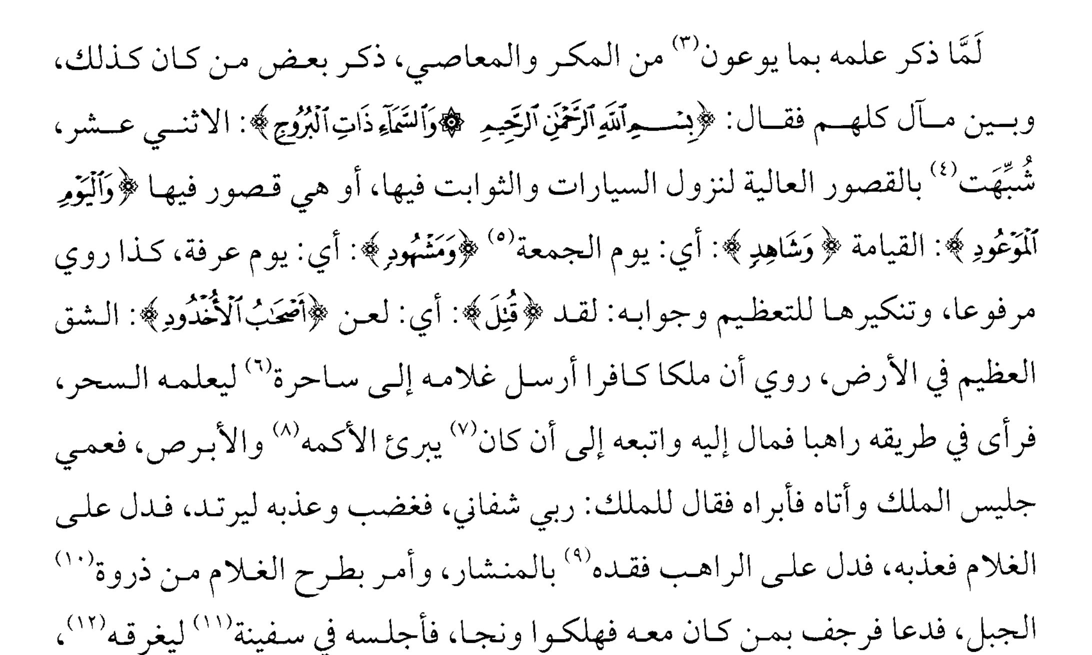
(٣) في (ن)، و(د): بغمامة تخرج.

(٤) في الفرقان كما قال تعالى: ﴿ويوم تشقق السماء بالغمام﴾.

(٥) وهذه الآية تُقرأ على من عسرات عليها الولادة، فتسهل بإذن الله.

والمعاصـــي ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ إِلَّا﴾: لكـــن ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: أي: مقطوع.





«سورة البروج[١]» : مكية[٢]

لَمَّا ذكر علمه بما يوعون[٣] من المكر والمعاصي، ذكر بعض من كان كذلك، وبين مآل كلهم فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾: الاثني عشر، شُبِّهَت[٤] بالقصور العالية لنزول السيارات والثوابت فيها، أو هي قصور فيها ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾: القيامة ﴿وَشَاهِدٍ﴾: أي: يوم الجمعة[٥] ﴿وَمَشْهُودٍ﴾: أي: يوم عرفة، كذا روي مرفوعا، وتنكيرها للتعظيم وجوابه: لقد ﴿قُتِلَ﴾: أي: لعن ﴿أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾: الشق العظيم في الأرض، روي أن ملكا كافرا أرسل غلامه إلى ساحرة[٦] ليعلمه السحر، فرأى في طريقه راهبا فمال إليه واتبعه إلى أن كان[٧] يبرئ الأكمه[٨] والأبرص، فعمي جليس الملك وأتاه فأبراه فقال للملك: ربي شفاني، فغضب وعذبه ليرتد، فدل على الغلام فعذبه، فدل على الراهب فقده[٩] بالمنشار، وأمر بطرح الغلام من ذروة[١٠] الجبل، فدعا فرجف بمن كان معه فهلكوا ونجا، فأجلسه في سفينة[١١] ليغرقه[١٢]،

---

(١) كلماتها (١٠٩) كلمة، وحروفها (٤٥٨) حرفا.

* البصائر (١/ ٥١٠)، الوجيز (٣٤٢)، البيان (٢٦٩).

(٢) في قولهم جميعا. * عدد سور القرآن (٤٩٦).

(٣) في (ع): يدعون!!.

(٤) يعني البروج.

(٥) في (ن)، و(د): جمعة.

(٦) في النسخ: ساحرٍ لتعلِّمه، والصوابُ ما أثبتُ.

(٧) يعني: صار.

(٨) الذي ولدَ أعمى.

(٩) شقه بالمنشار طولًا.

(١٠) بالضم والكسر من كل شيء أعلاه.

(١١) صغيرة.

(١٢) في وسط البحر.

فدعا فغرق أهلها ونجا وقال للملك: أنت[١] لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد وتصلبني في جذع وترمي إلي بسهم من كنانتي وتقول: بسم الله رب الغلام، ففعل فمات الغلام، وآمن كل[٢] الناس برب الغلام، فغضب وأمر بأخاديد[٣] وأوقدت فيها النيران، وطرح من لم يرتد فيها، فصبروا، وتقاعست امرأة معها صبي فقال لها: يا أماه: اصبري فإنك على الحق، هذا حاصل معنى الحديث مختصرا[٤] ﴿ٱلنَّارِ﴾: بدل اشتمال[٥] من الأخدود ﴿ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾: صفة لعظمتها ﴿إِذْ هُمْ﴾: أي: الكفار ﴿عَلَيْهَا﴾: أي: على جوانبها[٦] ﴿قُعُودٌ ۞ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: من تعذيبهم ﴿شُهُودٌ﴾: حضور ولا يرحمون ﴿وَمَا نَقَمُوا۟﴾: أي: أنكروا ﴿مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ﴾: الغالب ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾: المحمود ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟﴾: عنه ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾: الزائد في الإحراق، إذ روي أن النار انقلبت على الملك وجنوده، وسلم المؤمنون، قاله الربيع بن أنس[٧] والواحدي[٨]، والآية دلت على قبول توبة القاتل عمدا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ۞ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ﴾: أي: أخذه بالعنف ﴿لَشَدِيدٌ﴾: أي: مضاعف عنفه ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ﴾: الخلق أو بطشه لهم في الدنيا ﴿وَيُعِيدُ﴾: خلقه، أو بطشهم في الآخرة ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾: المحب لمطيعيه ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾: العظيم ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾: بلا عجز ﴿هَلْ﴾: قد ﴿أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ﴾: أعني ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾: كيف كذبوا فأهلكوا فتسل واصبر ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: من قومك ﴿فِى تَكْذِيبٍ﴾:

---

(١) كذا- وفي رواية مسلم: إنك.

(٢) ليست في (د).

(٣) حفر طويلة.

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٩٩، ٢٣٠١/ ٧٣)، والترمذي (٥/ ٤٣٨/ ٣٣٤٠)، والنسائي (٤/ ١٩٩) والطبري (٣٠/ ١٣٣)، الطبراني (٨/ ٤٨، ٥٢/ ٧٣١٩، ٧٣٢٠)، وأحمد (٦/ ١٧، ١٨).

(٥) بدلُ الاشتمال، وهو ما يكون مشتملًا على شيءٍ من المذكور، نحو: أعجبني زيدٌ خلقه.

(٦) يعني حولها.

(٧) معالم التنزيل (٤/ ٤٧٠، ٤٧١).

(٨) الوسيط (٤/ ٤٦١).

للقرآن ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾: لا يفوتونه كما لا يفوت المُحاط المحيط ﴿بَلۡ هُوَ﴾: أي: ما يكذبونه[١] ﴿قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ﴾: عظيم في الشأن ﴿فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾: من وصول الشياطين، رُوي[٢] أن اللوح من درة بيضاء حافاتها ياقوتة حمراء، قلمه نور وكتابه نورعرضه كما بين السماء والأرض، ينظر الله تعالى إليه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة، يخلق بكل نظرة ويحيي ويميت، ويعز ويذل ويفعل ما يشاء[٣].



---

(١) في (ن): يكذبون.

(٢) في (ن): وروي.

(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٥١٩)، والواحدي (٤/ ٤٦٣) عن ابن عباس موقوفا، وسنده وَاهٍ.



«سورة الطارق[١]»: مكية[٢]

لما ذكر تكذيبهم وقدرته تعالى عليهم أتبعه بتهديدهم وبيان حقارتهم[٣] فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ وَالسَّمَاءِ وَ﴾: الكوكب ﴿الطَّارِقِ﴾: أي: البادي بالليل ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾: أعلمك ﴿مَا الطَّارِقُ﴾: هو ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾: المضيء يثقب الظلام، فسّره عليٌّ وغيره بزحل[٤]، [فإن نوره يثقب سبع سموات[٥]] وقيل: غيره ﴿إِن﴾: أي: ما ﴿كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا﴾: أي: إلا ﴿عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾: لرزقها وأجلها وعملها، وبتخفيف لما، وإن مخففة ﴿فَلْيَنظُرِ﴾: ليتفكر ﴿الْإِنسَانُ مِمَّ﴾: من أي: شيء ﴿خُلِقَ﴾: ليعرف صحة البعث ﴿خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ﴾: ذي دفق وصب في الرحم ﴿يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ﴾: للرجل ﴿وَالتَّرَائِبِ﴾: أي: عظام الصدر والنحر للمرأة أو للرجل أيضًا، وإنما خصهما مع أن المشهور وإن لم يعتد به شرعا[٦] أنه فضل الهضم الرابع، وينفصل عن جميع الأعضاء كما بين في موضعه؛ لأن الدماغ أعظم الأعضاء معونة في توليده، ولذا يسرع إليه الضعف بإفراط الجماع وخليفته النخاع[٧]، وهو في الصلب، وله شعب كثيرة نازلة إلى الترائب، وهي أقرب إلى أوعية المني، وأيضا: المشهور أن معظم أجزائه من الدماغ، فينزل ويجتمع في الأنثيين[٨]، فلابد من مروره بين الصلب والترائب ﴿إِنَّهُ﴾: تعالى ﴿عَلَىٰ رَجْعِهِ﴾: بعد موته ﴿لَقَادِرٌ ۞ يَوْمَ تُبْلَى﴾: تتميز ﴿السَّرَائِرُ﴾: الضمائر خبيثها من طيبها ﴿فَمَا لَهُ﴾: أي: للإنسان ﴿مِن قُوَّةٍ﴾: على دفع العذاب ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾: يدفعه ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾: في دورانها، أو المطر الراجع

---

(١) كلماتها: (٦١) كلمة، وحروفها (٢٣٩) حرفا.* الوجيز (٣٤٣)، البصائر (١/ ٥١٢)، البيان (٢٧٠).

(٢) في الأقاويل كلها. * عدد سور القرآن (٤٩٨).

(٣) في (د): حقائقهم.

(٤) النكت والعيون (٦/ ٢٤٦).

(٥) ليست في (د)، و(ن)، وهي في (ح)، و(س)، و(ع).

(٦) لماذا؟ بل لا منافاة، والله حثنا على النظر والتأمل، ولا تعارض بين صريح المعقول وصحيح المنقول.

(٧) المادة التي تكون بداخل العظام.

(٨) البيضتين في خصية الرجل.

أوقاته[١]، ﴿وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾: أي: الشق بالنبات وغيره ﴿إِنَّهُۥ﴾: القرآن أو المذكور ﴿لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ﴾: فاصِل بين الحقِّ والباطل ﴿وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ﴾: أي: اللعب ﴿إِنَّهُمۡ﴾: أي: الكفار ﴿يَكِيدُونَ كَيۡدٗا﴾: في إبطاله ﴿وَأَكِيدُ كَيۡدٗا﴾: أقابلهم بما يشبهه من الاستدراج ﴿فَمَهِّلِ﴾: أَنْظر ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ﴾: تأكيدٌ، وغير البنْيَةَ[٢]؛ لزيادة التّصبُّر[٣] لإشعاره بالتغاير إمْهالًا ﴿رُوَيۡدَۢا﴾: يسيرا، فقتلوا ببدر، ونسخ بالقتال، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

❁❁❁

---

(١) لأن الله يرجعه وقتا فوقتا.

(٢) يعني بنية الكلمة: «مَهِّلْ» بالأمر، «أمهلهم» بالأمر أيضًا لكن بزيادة الألف.

(٣) ليسكن قلبه ﷺ.



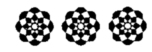
«سورة الأعلى[١]»: مكية[٢]

لما بين كيفيَّة خلقنا أمرنا بتنزيه الخالق شكرا فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ سَبِّحِ﴾ نَزِّه[٣] ﴿اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾: عن الإلحاد كما مر في الأعراف، أو ذاته عن النقائص، ويُسْتحبُّ[٤] حينئذٍ[٥] قول: سبحان ربي الأعلى ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾: الخلق ﴿فَسَوَّىٰ﴾: خلقه غير متفاوت كما مر ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ﴾: الأشياء على مقتضى حكمته ﴿فَهَدَىٰ﴾: إلى مصالحها ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ﴾: العشب للدواب ﴿فَجَعَلَهُ﴾: بعد خضرته ﴿غُثَاءً﴾: يابسا ﴿أَحْوَىٰ﴾: أسود باليا ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾: سنؤهلك للقراءة ﴿فَلَا تَنسَىٰ﴾: الموحى إليك مع أنك أمي، فتكون آية أخرى، وبعده ما نسيَهُ ﷺ ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾: نسيانه بنسخ[٦] تلاوته، أو إلا نادرا كما نسى في الصلاة[٧] ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ﴾: أي: جهرك بالقراءة مع جبريل ﴿وَمَا يَخْفَىٰ﴾: كخوفك نسيانه ﴿وَنُيَسِّرُكَ﴾: أي: نعدك ﴿لِلْيُسْرَىٰ﴾: أي: لأيسر طرق حفظ الوحي ﴿فَذَكِّرْ﴾: بالقرآن ﴿إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾: فإذا أيست فلا تتعب، والتذكير تكثير الإنذار وتكريره ﴿سَيَذَّكَّرُ﴾: سيتعظ[٨] ﴿مَن يَخْشَىٰ﴾: فإنه يتفكر فيهما ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾: أي: يبعد عنها ﴿الْأَشْقَى﴾: في علم الله تعالى، وهو الكافر ﴿الَّذِي يَصْلَى﴾: يدخل ﴿النَّارَ الْكُبْرَىٰ﴾: أي: جهنم، فإن نار الدنيا جزء من سبعين جُزْءًا منها[٩] ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾:

---

(١) كلماتها (٧٢) كلمة، وحروفها (٢٧١) حرفا. * الوجيز (٣٤٥)، البيان (٢٧١)، البصائر (١/ ٥١٤).
(٢) في قولهم جميعا. * عدد سور القرآن (٥٠٠).
(٣) ساقطة من (ن).
(٤) في (س): ويستخرج!!! والخطأ أنه قرأ الحاء (ح) التي يستخدمها النساخ اختصارًا لقولهم «حينئذ» جيمًا وظن الباء في «يستحب» راءً، والحاء المهملة خاء، فخرجت الكلمة على هذا الرسم.
(٥) سقطت من (س)، و(ح)، ورمزها في (ع): (ح).
(٦) في (ن)، و(د): لنسخ.
(٧) في حديث ذي اليدين المشهور، وقد أفرده ابن كيكلدي العلائي في جزء- مطبوع في مجلد ضخم بالعراق العزيز.
(٨) في (ن): يتعظ.
(٩) سبق تخريجه.

فيستريح ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾: حياة تنفعه ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾: أي: فاز ﴿مَن تَزَكَّىٰ﴾: تطهر من الشرك والمعاصي، وقيل: أدى زكاة الفطر ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾: دائما، أو تكبير العيد في طريق المصلى ﴿فَصَلَّىٰ﴾: الخمس أو العيد، والعيد والفطر شرعا بالمدينة لكن يجوز تقديم النزول على الحكم نحو: وأنت حل[1] ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ [2]﴾: تختارون[3] ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾: فتتركون ما ينفعكم في العُقْبى ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾: لأن نعيمها يلذ بالذات ﴿وَأَبْقَىٰ ۝ إِنَّ هَٰذَا﴾: يعني السورة، أو من: قَدْ أفلح إلى هنا ﴿لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾: المنزلة قبل القرآن ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾: أنزل الله تعالى مائةً وأربعة كتب، عَشْرُ[4] صُحفٍ على آدم، وخمسون صحيفة على شِيْثٍ، وثلاثون على إدريس، وعشرة على إبراهيم[5]، والتوارة والإنجيل والزبور والفرقان[6]، والله تعالى أعلم.



---

(١) سورة البلد.

(٢) في (د): يؤثرن.

(٣) في (د): يختارون.

(٤) سقطت من (ن).

(٥) تفسير ابن كثير (١/ ٤٢).

(٦) في (س)، و(ح)، و(د): القرآن.



«سورة الغاشية[١]»: مكية[٢]

لَمَّا قال له: ﴿فَذَكِّرْ﴾ إلى آخره، أَتْبعهُ بذكر الغاشيةِ وأهوالها فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ هَلْ أَتَاكَ﴾: أي: قَدْ أتاك[٣] ﴿حَدِيثُ﴾: القيامة ﴿الْغَاشِيَةِ﴾: للخلائق بشدائدها ﴿وُجُوهٌ﴾: أي: أصحابها ﴿يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾: ذليلة ﴿عَامِلَةٌ﴾: في الدنيا ﴿نَّاصِبَةٌ﴾: ذات نصب وتعب فيها بما لا ينفعها كالمبتدعة[٤] والرُّهبان[٥]، جاء شيخ كبيرٌ راهبٌ إلى عُمر رضي الله تعالى عنه في الشَّام، فبكى عمر وقال: هذا المسكين طلب أمرا فلم يصبه ورجا رجاء فأخطأ، وقرأ الآية[٦] ﴿تَصْلَىٰ﴾: تدخل ﴿نَارًا حَامِيَةً﴾: متناهية الحر أو دائمة ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾: أي: شديدة الغليان ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾: من النار، وهو شوك يابس لا ترعاه دابة لخبثه، واسم رطبة شِبْرق[٧]، والزقومُ[٨] والغسلين طعام آخرين[٩] كما مر ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾: وهما فائدة الطعام ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾: ذات نعمة[١٠] ﴿لِّسَعْيِهَا﴾: في الدنيا ﴿رَاضِيَةٌ﴾: لجزيل ثوابه ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۞ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾: لغوا[١١] ﴿فِيهَا عَيْنٌ﴾: عظيمة ﴿جَارِيَةٌ﴾: بأنواع الأشربة اللذيذة ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾:

---

(١) كلماتها (٧٢) كلمة، وحروفها (٣٨١) حرفا. * البصائر (١/ ٥١٦)، الوجيز (٣٤٤)، البيان (٢٧٣).

(٢) في قولهم جميعا. * عدد سور القرآن (٥٠٢).

(٣) في (ن)، و(د): «هل» أي: «قد».

(٤) الملاحدة، والمعتزلة، والخوارج.

(٥) فهم كالحمير في الطواحين، يتعبون بلا فائدة لهم.

(٦) أخرجه بنحوه عبد الرزاق (٣/ ١٢٢٠)، والحاكم (٢/ ٥١٢، ٥٢٢) وسنده ضعيف.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٢٠/ ١٩٢٥٤، ١٩٢٥٦، ١٩٢٦٠، ١٩٢٦١).

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٢١/ ١٩٢٦٣) عن سعيد بن جبير.

(٩) في (ن)، و(د): آخر.

(١٠) كما قال في المطففين: ﴿تعرف في وُجُوههم نضرة النعيم﴾ أو ناعمة حقيقة؛ لأن أهل الجنة جُردٌ مردٌ- أي: لا لحية لهم إلا ما ورد في حق بعضهم- ولم يثبت أن لهم لحية. وللناجي جزء مفيد فيه سماه: «حصول البغيه للسائل هل لأحد في الجنة لحية» مطبوع.

(١١) في (ن)، و(د): لغو.

سمكًا وقدرًا ﴿وَأَكْوَابٌ﴾: أوان بلا عرى[١] ﴿مَّوْضُوعَةٌ﴾: عندهم ﴿وَنَمَارِقُ﴾: وسائدُ[٢] ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾: بعضها بجنب بعض ﴿وَزَرَابِيُّ﴾: بسط فاخرة عريضة ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾: مبسوطة ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ﴾: أي: قريش ﴿إِلَى ٱلْإِبِلِ﴾: أي: في هيئتها وقوتها ومنافعها ﴿كَيْفَ خُلِقَتْ ۝ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾: بلا عمد ﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾: راسخة ﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾: بسطت، خصها؛ لأن العرب يكثرون السفر عليها في القفار منفردين، فلم يروا عندهم إلَّا إبلًا، وفوقهم السماء وحواليهم الجبال وتحتهم الأرض، وليس معهم الشاغل فلابد لهم من تفكر ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾: أي: مسلط فتقتلهم، ونُسخ بالقتال[٣] ﴿إِلَّا﴾: لكن ﴿مَن تَوَلَّىٰ﴾: عن التذكر ﴿وَكَفَرَ ۝ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾: بجهنم، واصغره تسلط المسلمين عليهم ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾: أي: رجوعهم ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾: قدم الخبر[٤] مبالغةً في الوعيد.

❁ ❁ ❁

---

(١) جمع عروة وهي ما يمسك به الإناء.

(٢) جمع نمرقة.

(٣) يعني آية القتال.

(٤) في «إلينا»، و «علينا».



«سورة الفجر[١]»: مختلف[٢] فيها

لَمّا قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ إلى أن أمره بالتذكير، أتبعه بذكر طوائف من المكذبين وما حل بهم ليتذكروا فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ وَالْفَجْرِ﴾: الصُّبح[٣] أو صلاته أو فجر النحر[٤] ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾: من أول ذي الحجّة، أو: آخر رمضان[٥]، أو أول المحرم[٦]، ونكرها تعظيما ﴿وَالشَّفْعِ﴾: الزوج وهو الخلق ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾[٧] ﴿وَالْوَتْرِ﴾: الخالق ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ[٨]﴾ أي: يمضي، قيده؛ لأنه أدل على القدرة ﴿هَلْ﴾ للتقرير ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾: القسم ﴿قَسَمٌ﴾: عظيم ﴿لِّذِي حِجْرٍ﴾: أي: عقل فيزدجر، وجواب القسم: ليعذبن الكفرة يدل عليه: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾: الأولى، قوم هود وأسباط ﴿إِرَمَ﴾: بن عوص بن سام، وأهل إرم بلدتهم، وهي جنة شداد[٩] ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾: القدود الطوال، طويلهم خمسمائة ذراع وقصيرهم ثلاثمائة بذراع نفسه[١٠]، أو البناء الرفيع[١١] ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا﴾: عظما ﴿فِي الْبِلَادِ ۞ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا﴾: قطعوا ﴿الصَّخْرَ﴾: أي: جوفوه[١٢] واتخذوه بيوتا ﴿بِالْوَادِ ۞ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾: كان يعذب بها كما مر في «ص» ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۞ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۞ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ

---

(١) كلماتها (١٣٩) كلمة، وحروفها (٥٧٧) حرفا. * الوجيز (٣٤٥).
(٢) في عدد سور القرآن (٥٠٤): مكية في قولهم جميعا.
(٣) وله أسماء كثيرة- انظر: «تثقيف الألسنة بتعريف الأزمنه» للعلامة الشبلي الحنفي- بتحقيقي.
(٤) يعني: عيد الأضحي.
(٥) العشر الأواخر.
(٦) هذا ضعيف جدًّا.
(٧) سورة الذاريات.
(٨) في (د): «يسري».
(٩) هذا من خرافات الإخباريين.
(١٠) وفيه ما فيه.
(١١) هذا لا يصحُّ.
(١٢) بالنحت.

رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾: أي: مختلطا[١] من أنواع عذاب أو نوعه كما مر في الحاقة ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾: أي: في المرصد يرصد أعمالكم ليجازيكم ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ﴾: اختبره ﴿رَبُّهُ﴾: أيشكر أم لا؟ ﴿فَأَكْرَمَهُ﴾: بالجاه ﴿وَنَعَّمَهُ﴾: بالسعة ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۞ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ﴾: بالفقر، أيصبر أم لا ﴿فَقَدَرَ﴾: ضيق ﴿عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾: لم يقل: أهانه؛ لأن البسط تفضل فتركه ليس بإهانة ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾: لقصور نظره، وإنما ذمه لجعله التقتير إهانة، لا بجعل الأول إكراما، أوله أيضا؛ لأنه قاله معتقدا استحقاقه لذلك ﴿كَلَّا﴾: ردع عن ذلك، أي: ليسا إكراما وإهانة ﴿بَل﴾: فعلكم أشنع من هذا القول، فإنكم ﴿لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾: بالمبرة ﴿وَلَا تَحَاضُّونَ[٢]﴾: تحثون ﴿عَلَىٰ طَعَامِ﴾: أي: إطعام ﴿الْمِسْكِينِ﴾: فضلاً عن غيرهم ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ﴾: الميراث ﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾: جمعا بين الحلال والحرام، كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأخذون نصيبهم ﴿وَتُحِبُّونَ[٣] الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾: كثيرا ﴿كَلَّا﴾: ردعهم عن ذلك ﴿إِذَا دُكَّتِ﴾: كسرت ﴿الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾: أي: دكا بعد دك حتى سويت ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾: أي: أمره أو مجيئا[٤] يليق بجلاله للفصل[٥] ﴿وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾: صفا بعد صف بحسب مراتبهم، محيطين بالجن والإنس ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾: «لها سبعون ألف زمام، كل زمام مع سبعين ألف ملك يجرونها»[٦]، وقيل: معناه: برزت وأظهرت ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: ظرف لقوله ﴿يَتَذَكَّرُ﴾: يتعظ ﴿الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ﴾ تنفع ﴿لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾: أي: التذكر ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ﴾: خيرا ﴿لِحَيَاتِي﴾: هذه أو في حياتي ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ﴾: أي: عذاب الله ﴿أَحَدٌ ۞ وَلَا يُوثِقُ﴾: بالسلاسل ﴿وَثَاقَهُ﴾: أي: إيثاق الله ﴿أَحَدٌ﴾: بل الأمر لله، وإذا كانا

---

(١) في (ن): مختلط.

(٢) في (ن): «تحضّون»، وكتب في الهامش: «تحاضُّون»: حفص.

(٣) في (د): ويحبون.

(٤) وهذا هو الصواب.

(٥) بين العباد.

(٦) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُؤْتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرنها**». أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٨٤/ ٢٨٤٢).

مجهولين فالضميران للكافر أي: مثل عذابه ووثاقه، ويقال للمؤمن في الاحتضار أو البعث ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ﴾: بذكر الله أو الآمنة ﴿ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ﴾: جوار ﴿رَبِّكِ﴾: دل على وجود النفوس قبل الأبدان أو إلى جسدك ﴿رَاضِيَةً﴾: بما أوتيت ﴿مَّرۡضِيَّةً﴾: عند الله تعالى ﴿فَٱدۡخُلِي فِي﴾: جملة ﴿عِبَٰدِي﴾: الصالحين ﴿وَٱدۡخُلِي﴾: معهم ﴿جَنَّتِي﴾: أتى بالفاء فيما لم يتراخ عن الموت، وبالواو فيما يتراخي عنه- واللهُ أعْلَمُ بالصّواب.





«سورة البلد[1]»: مكية[2]

لما ذكر بعض ابتلاءات الإنسان اتبعه بذكر نوع آخر منها فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ لَا﴾: صلة ﴿أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾: مكة لعظمتها ﴿وَأَنتَ﴾: يا محمد ﴿حِلٌّ﴾: أي: حلال في المستقبل ساعة من نهار[3] ﴿بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾: فتفعل فيه ما تريد مع عظمته ﴿وَوَالِدٍ﴾: هو آدم ﴿وَمَا وَلَدَ﴾: ذريته ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ﴾: جنسه ﴿فِي كَبَدٍ﴾: أي: تعب إلى آخر أمره، فاصبر على مكابدة قريش ﴿أَيَحْسَبُ﴾: جنسه كأبي الأشدين[4] ﴿أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾: فينتقم منه لقوته ﴿يَقُولُ﴾ افتخارا: ﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾: كثيرا في معاداة محمد ﷺ ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾: من أين كسب وفيم أنفق فيجازيه عليه أو على كذبه؟! ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ۞ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾: للنطق والأكل وغيرهما ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾: طريق[5] الخير والشر، أو الثديين[6] ﴿فَلَا اقْتَحَمَ﴾: جاوز ﴿الْعَقَبَةَ﴾: شكرا ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾: أعلمك ﴿مَا الْعَقَبَةُ﴾: لعظمتها وأصلها: طريق في الجبل استعير لقوله ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾: من الرق ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾: أي: جوع ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾: قرابة منه ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾: أي: افتقار ﴿ثُمَّ كَانَ﴾: وقت الاقتحام ﴿مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: لأن الإيمان شرط الطاعات[7]، وثم لمجرد تراخي رتبة الإيمان وتباعده في الفضل ﴿وَتَوَاصَوْا﴾: بعضهم بعضا ﴿بِالصَّبْرِ﴾: على الطاعة ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾: على الخلق

---

(١) كلماتها (٨٢) كلمة، وحروفها (٣٣١) حرفا. * الوجيز (٣٤٧).

(٢) في قولهم جميعا. * عدد سور القرآن (٥٠٦).

(٣) كما ثبت في الصحيحين.

(٤) الوسيط (٤/ ٤٨٩)، معالم التنزيل (٤/ ٤٨٨)، الجامع (١٠/ ٧١٥٢) لباب التأويل (٧/ ٢٤٨).

(٥) في (ن): طريقي.

(٦) النهدين، أي: هدينا الرضيع إلى رضاعة الثديين.

(٧) وهذا صحيح.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: الموصوفون ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾: اليمين أو اليمن ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾: الشمال أو الشؤم ﴿عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ﴾: مطبقة لا يخرجون منها أبدا.





«سورة الشمس[١]»: مكية[٢]

لما ذكر بعض ذمائم الخصال وسُوء مآلها أَتْبعه بالحث على تزكية النفس، وأوعد على إهمالها فقال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾: أي: ضوءها إذا أشرقت، والضحى حين إشراقها، فإذا زاد فضحاء بالمد ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾: تبعها طلوعا أول الشهر، وغروبا ليلة البدر ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾ إذ تمام تجليها بانبساطه ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا﴾: فيغطي ضَوْءَها، والظروف مؤولة كما في: كورت ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾: بسطها ﴿وَنَفْسٍ﴾: للإنسان نكرها تكثيرا أوتعظيما ﴿وَمَا سَوَّىٰهَا﴾: عدل خلقها، آثر (ما) على (من) لإرادة معنى الوصفية أي: الشيء القادر الذي فعل، وكونها مصدرية تجرد الفعل عن الفاعل، فلا يلائم قوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾: أي: بين لها ﴿فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾: وجواب القسم ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾: طهرها من الرذائل بالعلم والعمل ﴿وَقَدْ خَابَ﴾: خسر ﴿مَن دَسَّىٰهَا﴾: دنسها، وأخفاها بالرذائل، وقيل: دَسّ[٣] نفسه في الصالحين وليس منهم بل ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ﴾: بسبب طغيانها ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ﴾: أي: قام[٤] ﴿أَشْقَىٰهَا﴾: أي: أشقى ثمود قاتل الناقة ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾: صالح، ذروا ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾: أي: شربها في يومها كما مر ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: بما أوعد ﴿فَعَقَرُوهَا﴾: قتلوها ﴿فَدَمْدَمَ﴾: أطبق العذاب ﴿عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾: أي: الدمدمة بينهم فلم يفلت أحد منهم ﴿وَلَا يَخَافُ﴾: ربهم ﴿عُقْبَٰهَا﴾: أي: الدمدمة، كخوف الملوك استئصال الرعايا- والله أعْلَمُ.

❁❁❁

---

(١) كلماتها (٥٤) كلمة، وحروفها (٢٤٨) حرفا. * الوجيز (٣٤٧)، البيان (٢٧٥)، البصائر (١/ ٥٢).

(٢) في قولهم جميعا. * عدد سور القرآن (٥٠٨).

(٣) في (ن)، و(س): أسّ!!.

(٤) في (ن): أقام.



«سورة الليل[١]»: مكية[٢]



لَما وَعَد وأَوْعدَ على التزكية والتدسية، بين ما يحصلان به، فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾: بظلمته النهار، أو كل شيء ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾: حكم إذا كما مر ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾: والخنثى من أحدهما حقيقة ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ﴾ عملكم ﴿لَشَتَّىٰ﴾: مختلفة جمع شتيت ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ﴾: المعسرين لله عز وجل ﴿وَاتَّقَىٰ﴾: محارمه ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾: من الكلمات وهي: لا إله إلا الله ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ﴾: نهيئه ﴿لِلْيُسْرَىٰ﴾: لخلة مؤدية إلى يسر وراحة كالجنة ﴿وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ﴾: عن عقباه[٣] ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ﴾: نهيئه ﴿لِلْعُسْرَىٰ﴾: لخلة مؤدية إلى عسر وشدة كالنار، وهذا معنى من ثواب الحسنة حسنة بعدها، ومن ثواب السيئة سيئة بعدها ﴿وَمَا يُغْنِي﴾: يدفع ﴿عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ﴾: في القبر[٤] أو هلك ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾: أي: الإرشاد إلى الحق ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾ الدنيا، نعطيهما من نشاء ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ تتلهب ﴿لَا يَصْلَاهَا﴾: أي: لا يجد صليها أي: نهاية حرها ﴿إِلَّا الْأَشْقَى﴾: كأبي[٥] بن خلف ﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾: عنه ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا﴾: أي: يبعد الحق عنها ﴿الْأَتْقَى﴾: الذي اتّقى الشرك والمعاصي كالصديق[٦] المعتق لبلال ﴿الَّذِي يُؤْتِي﴾: يعطي ﴿مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ﴾: يتطهّر به عند الله تعالى، ولا يرد على الحصر دخول كل شقي وتجنب كل تقي؛ لأنه حصر الصلي في الأشقي لا التجنب في الأتقى، ولا يلزم

---

(١) كلماتها (٧١) كلمة، وحروفها (٣١٠) حرفا.

*البيان (٢٧٦)، الوجيز (٣٤٨)، البصائر (١/ ٥٢٣)، عدد سور القرآن (٥١٠).

(٢) في قولهم جميعا.

(٣) في (ن): عقابه.

(٤) في (د): الكفر.

(٥) في (د): كأمية.

(٦) أخرجه البزار (٦/ ١٦٨/ ٢٢٠٩)، والآجري في الشريعة (٣/ ٥٣، ٥٤/ ١٣٥٠)، والطبري في التفسير (٣٠/ ١٤٦)، والطبراني في الكبير (٢٠/ ٣/ ١٣)، وابن عدي (٦/ ٢٣٥٩) والواحدي في الوسيط (٤/ ٥٠٥، ٥٠٦) وأحمد في فضائل الصحابة (١/ ٩٥، ٩٧/ ٦٦) والحاكم (٢/ ٥٢٥) وسنده حسن.

من عدم التجنب الصَّلي، على أنها نزلت في عَظيمى المؤمنين والكافرين، فالمقام مقام المبالغة ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ﴾: فيقصد به مجازاته كما في الصديق وبلال ﴿إِلَّا﴾: لكن يؤتي ﴿ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۞ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ﴾: من ربه بكثرة عناياته، فقاتل[1] الله تعالى مبغضيه[2].



---

(١) لعن.

(٢) كالروافض المجوس واليهود وأشكالهم.



«سورة الضحى[١]»: مكية[٢]

لَمَّا ذكر فضائل الصِّديق اتبعه بفضائل خير الخلق ﷺ[٣]، قيل: قرن بين سورتيهما تنبيها على أن لا واسطة بينهما فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ وَالضُّحَىٰ﴾: النهار أو أوله ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾: سكن أهله أو ظلامه، قيل: قدم الضحى في سورة محمد عليه الصلاة والسلام، والليل في سورة أبي بكر؛ لأنه سبقه ظلمة كفر ﴿مَا وَدَّعَكَ﴾: تركك ﴿رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾: أبغضك، رد لقولهم حين تأخر الوحي خمسة عشر يومًا: قلاه ربه وودعه[٤] ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾: الدنيا، كما مر ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾: في الآخرة ما لا يدرك كنهه سواه ﴿فَتَرْضَىٰ﴾: في الحديث: «**ما أرضى وَواحد من أُمّتي في النار**»[٥] ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ﴾: يعلمك ﴿يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾: فآواك ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾: غير مهتد إلى ما كتب لك من النبوة وغيرها ﴿فَهَدَىٰ﴾: فهداك إليه ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا﴾ فقيرا ﴿فَأَغْنَىٰ﴾: أغناك بمال خديجة، ثم أبي بكر ثم الأنصار، ثم بالغنائم وهذا الامتنان لنبيه ﷺ أي: فلا تقطع رجاءك عني، فلا يرد أنه كيف أتى بشيء ذم مثله من فرعون[٦] بقوله لموسى: ألم نُربِّك... إلى آخره ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾: بل ارحمه كما فعلنا بك، قيل: لمشاركته لك في الاسم ومنه حديث: «إذا سميتم الولد محمدا فأكرموه وأوسعوا[٧] له في المجلس[٨]» ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾: فلا تزجر كما هديناك وأغنيناك ﴿وَأَمَّا

---

(١) كلماتها (٤٠) كلمة، وحروفها (١٧٢) حرفا. * الوجيز (٣٤٩)، البيان (٢٧٧)، البصائر (١/ ٥٢٥).

(٢) في قولهم جميعا.

(٣) في (د): عليه الصلاة والسلام.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٠/ ١٤٨)، والطبراني في الكبير (٢/ ١٧٣/ ١٧١٢) وسنده صحيح.

(٥) تفسير القرطبي (١٠/ ٧١٨٩) وسنده ضعيف.

(٦) لعن الله فرعون، فالله يفعل ما يشاء ويمن على من يشاء من عباده.

(٧) في (ن)، و(س)، و(ع): ووسّعوا.

(٨) تمامه: «ولا تقبحوا له وجها» أخرجه الخطيب في تاريخه (٣/ ٩١) وقال الألباني في ضعيف الجامع (٥٥٧)، والضعيفة (٢٥٧٣): ضعيف جدًّا. ولابن بكير جزء في فضل التسمية بمحمد وأحمد، طبع وضمنه النبهاني كاملا في كتابه «الأنوار المحمدية» مختصر «المواهب» للقسطلاني.

بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾: فإن من شكرها أن يحدث بها حيث لم يخش رياء، وأخر حقه تعالى عن حقهما لغنائه- والله أَعْلَمُ[1].



---

(١) من (ن).



«سورة ألم نشرح[١]»: مكية[٢]



لَمَّا ذكر بعض فضائله ﷺ أتى بما هو كالتَّتمَّة[٣] له فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ أَلَمْ نَشْرَحْ﴾: نوسع بإيداع مجامع الحكم ﴿لَكَ صَدْرَكَ﴾: أو بالشق المعروف، وأفاد باللام أن نفعه لك وأنا غني ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾: بفرطاتك قبل بعثتك ﴿الَّذِي أَنقَضَ﴾: أثقل ﴿ظَهْرَكَ﴾: فغفرنا ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾: فتذكر مع ذكري ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ﴾: شدة ضيق الصدر والوزر ﴿يُسْرًا﴾: كالشرح والوضع ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ﴾: المذكور ﴿يُسْرًا﴾ آخر كثواب الآخرة، إذ المعرف المعاد عين الأول البتة بخلاف النكرة، وهذا على الاستئناف وهو راجح لفضل التأسيس على التأكيد، ولمقام التسلية، ولحديث[٤]: «**لَنْ يغلب عُسْرٌ يُسْرَيْن**»، وأفاد بلفظة ﴿مَعَ﴾ قُرب اليسر بعده ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾: من التبليغ ﴿فَانصَبْ﴾: فاتعب بالعبادة والدعاء ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ﴾: وحده ﴿فَارْغَب﴾: وصلى الله على أفضل الخلق سيدنا محمد وآله وسلم.

۞۞۞

---

(١) كلماتها (٢٧) كلمة، وحروفها (١٠٣) أحرف.

(٢) في قولهم جميعا. * عدد سور القرآن (٥١٣).

(٣) التكملة.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٥/ ٣٥٩١)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٥٢٨)، والطبري (٣٠/ ٢٣٥، ٢٣٦) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٧٨٤)، والضعيفة (٤٣٤٢).



«سورة التين[١]»: مختلف فيها[٢]

لَمَّا ذكر فضائل حبيبه أتبعها بمراتب متابعيه ومخالفيه فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾: المعروفين، وقيل: غير ذلك، وإنما خصهما لكثرة فوائدهما ﴿وَطُورِ﴾: أي: جبل تكليم موسى ﴿سِينِينَ﴾: اسم موضعه أو معناه المبارك ﴿وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾: الآمن داخلها، أي: مكة ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ﴾: جنسه ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾: أي: تعديل صورة كانتصاب قامته، ومعنى كاستجماعه خواص الكائنات ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ﴾: أي: جنسه ﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾: النار، أو أرذل العمر ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: أي: مقطوع، وعلى الثاني: أي: لكن الذين آمنوا، فلا نقطع أجورهم إذا بلغوا أرذل العمر ولم يعملوا، كذا في[٣] الحديث، وهذا معنى قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: «من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر»[٤]، ﴿فَمَا﴾ أي: أي شيءٍ ﴿يُكَذِّبُكَ﴾: يا محمد ﴿بَعْدُ﴾ أي: بعد ظهور هذه الدلائل ﴿بِالدِّينِ﴾: أي: بالجزاء ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾: عدلًا وصُنعًا، يُسن قول: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم[٥].

❁ ❁ ❁

---

(١) كلماتها (٣٤) كلمة، وحروفها (١٥٠) حرفا.

(٢) مكية في قولهم جميعا، وقيل: عن ابن عباس وقتادة أنها مدنية.

* الوجيز (٣٥٠)، البيان (٢٧٩)، بشير اليسر (٢٠٧)، عدد سور القرآن (٥١٤).

(٣) سبق.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٢٨، ٥٢٩) وصححه ووافقه الذهبي.

وعن عكرمة قال: من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر، ثم قرأ: «لكي لا يعلم بعد علم شيئا». أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٠/ ٤٦٨/ ١٠٠٠٦).

(٥) في (ن): والله أعلم.



«سورة العلق[١]»: مكية[٢]



لَمَّا ذكر كيفية خلق الإنسان اتبعها بذكر ما أنعم عليه فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿اقْرَأْ﴾: القرآن مفتتحًا مستعينا ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾: الخلق، ثم خصَّ أشرف خلقه بقوله: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾: جمع علقة: دم غليظ ﴿اقْرَأْ﴾: تأكيد ومبالغة، أو الأول متعلق بالبسملة، وهذا بقوله: باسم ربك ﴿وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾: الزائد في الكرم على الكل ﴿الَّذِي عَلَّمَ﴾: الخط الذي لولاه لما دونت العلوم ﴿بِالْقَلَمِ ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾: لم يقدر على تعليمه لولا علمه ﴿كَلَّا﴾ إلا ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ﴾: يتجاوز عن حده ﴿أَن﴾: أي: لأن ﴿رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ بنحو المال كأبي جهل ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: يا إنسان ﴿الرُّجْعَىٰ﴾: الرجوع، فيجازي ﴿أَرَأَيْتَ﴾ للتعجُّب، أي: اعجب من ﴿الَّذِي يَنْهَىٰ﴾ كأبي جهل ﴿عَبْدًا﴾ وهو النبي ﷺ ﴿إِذَا صَلَّىٰ﴾ تأكيد ﴿إِن كَانَ﴾ العبد ﴿عَلَى الْهُدَىٰ ﴿أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ﴾: الناهي العبد ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾: عن الحق، جوابه: فما أعجب من ذا!! يدل عليه ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾: ذلك فيجازيه ﴿كَلَّا﴾ ردع للناهي ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾: عما فيه ﴿لَنَسْفَعًا﴾ لنأخذن ﴿بِالنَّاصِيَةِ﴾ أي: بناصيته ونسحبه إلى النار ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ﴾ في قولها ﴿خَاطِئَةٍ﴾: في فعلها والإسناد مجازي[٣] ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾: أهل ناديه لنصره كما زعم ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾: ملائكة العذاب الغلاظ الشداد ليجروه إلى النار ﴿كَلَّا﴾: ردع للناهي ﴿لَا تُطِعْهُ﴾ في ترك الصلاة ﴿وَاسْجُدْ﴾: دم على صلاتك أو سجودك ﴿وَاقْتَرِب﴾: إلى الله سبحانه وتعالى بالسجود أو بالدعاء فيه، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

---

(١) كلماتها (٧٢) كلمة، وحروفها (٢٨٠) حرفا. * الوجيز (٣٥٠)، البيان (٢٨٠)، البصائر (١/ ٥٢٩).

(٢) في قولهم جميعا. * عدد سور القرآن (٥١٦).

(٣) يعني إلى الناصية، أقول: بل هو حقيقي وقد قال به علم التشريح الحديث.



«سورة القدر[١]»: مختلف[٢] فيها

لَمَّا أمر بقراءة القرآن[٣]، بين كيفية نزوله فقال: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ أي: القرآن جملة إلى بيت العزة ﴿فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾: سُمِّيت به لشرفها ولتقدير الأمور فيها، وهي من رمضان لنص: ﴿أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾[٤]، ولمن يبهمها في ليالي السنة أن يقول: يمكن نزوله جملة إلى السماء فيها، ونزول نجومه فيه أو بالعكس وقد قيل: بالكل، وثبت بالسنة أنها في أوتار العشر الأخير، وبالأخبار والآثار أنها في الحادي والعشرين، أو الثالث والعشرين، أو السابع والعشرين[٥] أرجى، وسيأتي ما يؤيد الأخير ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ أعلمك يا محمدُ! ﴿مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾: لعظمتها ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾: ثلاثة وثمانين سنة وأربعة أشهر، فالطاعة فيها خير من الطاعة فيه إذا خلا منها ﴿تَنَزَّلُ﴾: تتنزل ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾: من كل سماء ﴿وَٱلرُّوحُ﴾: جبريل كما مر في النبأ ﴿فِيهَا بِإِذۡنِ﴾: بأمر ﴿رَبِّهِم مِّن﴾: أجل ﴿كُلِّ أَمۡرٖ﴾: أو بكل أمر قدر في تلك السنة، ويؤمنون على دعاء العباد ويصافحونهم، وعلامتها: اقشعرار وبكاء ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾: إذ لا يقدر فيعل إلَّا السلامة، وتقدير البلاء في غيرها أو الملائكة يسلمون عليهم ﴿حَتَّىٰ مَطۡلَعِ﴾: أي: وقت طلوع ﴿ٱلۡفَجۡرِ﴾: وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أن «هي» ابتداء كلام، وإشارة إلى أنها ليلة السابع والعشرين، لأنه السابع والعشرون من كلمات السورة[٦]، وقيل: أشار إليه بتكرير ليلة القدر ثلاثًا، فإنه سبع وعشرون حرفا- والله أعْلمُ بالصّواب وإليْه المرْجعُ والمآب.

۞ ۞ ۞

---

(١) كلماتها (٣٠) كلمة، وحروفها (١١٢) حرفا. * البيان (٢٨١)، بشير اليسر (٢٠٨).

(٢) مكية في أكثر الأقاويل، وقيل: مدنية • عدد سور القرآن (٥١٨).

(٣) يعني في قوله: «اقرأ».

(٤) سورة البقرة.

(٥) انظر: تبيين القدر لابن طولون الصالحي (٤/ ب/ بتحقيقي).

(٦) الوسيط (٤/ ٥٣٦) وليس دليلا.



«سورة البينة[١]»: مختلف فيها[٢]

لَمَّا بيّن عظمة القرآن أتبعه بذكر منكريه ومتبعيه ومآل كلهم فقال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: لإلحادهم في صفات الله تعالى ﴿مِنْ﴾: بيانية ﴿أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ﴾ عن دينهم ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾: محمد ﷺ، فآمن به بعضهم ﴿رَسُولٌ﴾: بدل منها ﴿مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا﴾: أي: ما فيها ﴿مُّطَهَّرَةً﴾: عن الباطل، أو[٣]: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ ﴿فِيهَا كُتُبٌ﴾: مكتوبات ﴿قَيِّمَةٌ﴾: مستقيمة بلا عوج ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾: في تصديقه ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾: محمد ﷺ، إذا كانوا قبله متفقين في انتظار بعثته، ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾[٤]، ولهذه الشناعة أفردهم عن المشركين ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟﴾: في كتابيهم[٥] بما فيهما ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟﴾: أي: أن يعبدوا ﴿ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: بلا شرك ﴿حُنَفَآءَ﴾: مائلين عن العقائد الباطلة ﴿وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ﴾: الملة ﴿ٱلْقَيِّمَةِ﴾: المستقيمة ولكنهم حرفوه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾: أي: الخليقة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾: وهذا نعم[٦] الملك ﴿جَزَآؤُهُمْ﴾: بعد ﴿عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾: مزيدا على جزائهم ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾: لذلك ﴿ذَٰلِكَ﴾: الجزاء مع المزيد ﴿لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾: فلا يعصيه والله تعالى أعلم بالصّواب.

---

(١) كلماتها (٩٤) كلمة، وحروفها (٣٩٦) حرفا. * البصائر (١/ ٥٣٣)، والوجيز (٣٥٢)، البيان (٢٨٢).

(٢) مدنية، وروي عن قتادة أنها مكية. * عدد سور القرآن (٥٢٠).

(٣) في (س): ولا.

(٤) سورة البقرة.

(٥) يعني التوراة والإنجيل.

(٦) في (س): يعُمّ.



«سورة الزلزلة[١]»: مختلف[٢] فيها

لما ذكر مآل الفريقين بيّن ميقاته فقال: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾: لقيام الساعة ﴿زِلۡزَالَهَا﴾: اللائق بها ﴿وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا﴾: ما في جوفها كما مر ﴿وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾: تعجبا ﴿مَا لَهَا ﴿يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا﴾: فتشهد على كل بما عمل على ظهرها ﴿بِأَنَّ﴾: أي: بسبب أن ﴿رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا﴾: أن تحدث بها ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ﴾: يرجع ﴿ٱلنَّاسُ﴾: من الموقف ﴿أَشۡتَاتٗا﴾: متفرقين على قدر أعمالهم إلى الجنّة والنار ﴿لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾: أي: جزاءها ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ﴾: أي: زنة ﴿ذَرَّةٍ﴾: أصغر نمل أو هباء ﴿خَيۡرٗا يَرَهُۥ﴾: أي: جزاءه ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾: بشرط عدم الإحباط والمغفرة كما مر، قال ابن عباس: «الكافر يثاب في الدنيا فقط بالخير ويعاقب في الآخرة على شره وشركه، والمؤمن بعكسه»[٣]، والله تعالى أعلم بالصّواب.



---

(١) كلماتها (٣٥) كلمة، وحروفها (١٤٩) حرفا. * الوجيز (٣٥٣)، البيان (٢٨٣)،البصائر (١/ ٥٣٥).

(٢) مدنية في قول أبي، ومجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما وهمام عن قتادة وعن عبد الله بن المبارك ومعمر عن قتادة أنها مكية. * عدد سور القرآن (٥٢٢).

(٣) سبق.



«سورة العاديات[١]»: مختلف[٢] فيها

لَمَّا ذكر أهوال القيامة أتبعها بتهديد من لا يستعد لها فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ وَ﴾: خيول الغزاة ﴿الْعَادِيَاتِ﴾: المسرعات ﴿ضَبْحًا﴾: أي: عدوا أو ذوي ضبح، وهو صوت أنفاسها عند عدوها ﴿فَالْمُورِيَاتِ﴾: النار ﴿قَدْحًا﴾: بحوافرها في أرض ذات حجارة بالليل ﴿فَالْمُغِيرَاتِ﴾: على العدو ﴿صُبْحًا ۝ فَأَثَرْنَ﴾: هيجن ﴿بِهِ﴾: أي: في الصبح ﴿نَقْعًا﴾: غبارا بعدوهنَّ ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ﴾: أي: توسطن في الصبح ﴿جَمْعًا﴾: من العدو، وفسره عليٌّ بإبل الحاج في طريق عرفة وتمارى[٣] هو وابن عباس في ذلك[٤] ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ﴾: جنسه ﴿لِرَبِّهِ﴾: أي: لنعمة ربه ﴿لَكَنُودٌ﴾ كفور ﴿وَإِنَّهُ﴾: تعالى أو الإنسان ﴿عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ﴾ أي: المال ﴿لَشَدِيدٌ﴾: أي: بخيل أو قوى ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ﴾: بعث ﴿مَا فِي الْقُبُورِ﴾: من الموتى ﴿وَحُصِّلَ﴾: ميز وبين ﴿مَا فِي الصُّدُورِ﴾: من الخير والشر، خص أعمال القلب؛ لأن الجوارح تتبعه ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾: فيجازيهم على كفرهم، والله تعالى أعلم بالصواب- اللَّهُمَّ يَسِّرْ[٥].

۞ ۞ ۞

---

(١) كلماتها (٤٠) كلمة، وحروفها (١٣٦) حرفا. * الوجيز (٣٥٤)، البيان (٢٨٤).

(٢) مكية، وعن ابن عباس وقتادة وعبد الله بن المبارك أنها مدنية - عدد سور القرآن (٥٢٤).

(٣) تجادل.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٤٥٧/ ١٩٤٤٢).

(٥) من (ن).



«سورة القارعة[١]»: مكية[٢]

لَمَّا ذكر بعثرة القبور أتبعها[٣] بأهوال القيامة فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾: القيامة ﴿الْقَارِعَةُ﴾: للناس بأهوالها ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ استفهام تعظيم ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾: لعظمتها تقرع ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ﴾: الطير المتساقط في النار ﴿الْمَبْثُوثِ﴾: انتشارا وكثرة ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾: الصوف ﴿الْمَنفُوشِ﴾: المَنْدُوْف في تطايرها وتفرق أجزائها ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾: برجحان حسناته ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾: أي: ذات رضا ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾: برجحان سيئاته، كما مرّ ﴿فَأُمُّهُ﴾: أي: ناره[٤] ﴿هَاوِيَةٌ﴾: أسفل جهنم، أو أمه هالكة كناية عن هلاكه ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ﴾: الهاء للسكت هي ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾: كاملة الحَرّ- واللهُ أعْلمُ بالصّوابِ.



---

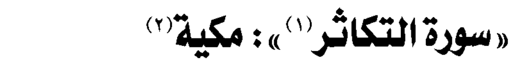
(١) كلماتها (٣٦) كلمة، وحروفها (١٥٢) حرفا.

* الوجيز (٣٥٥)، البيان (٢٨٥)، البصائر (١/ ٥٣٩)، عدد سور القرآن (٥٢٦).

(٢) في قولهم جميعا. * عدد سور القرآن (٥٢٥).

(٣) في (ن)، و(د): عقبها.

(٤) أو أعلى رأسه.




«سورة التكاثر(١)»: مكية(٢)

لَمَّا ذكر أهوال القيامة، ذم اللاهين عنها فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۞ أَلْهَاكُمُ﴾: شغلكم ﴿التَّكَاثُرُ﴾: التباهي بكثرة المال ونحوه عن الآخرة ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾: أي: أُقْبرتم أو مجاز عن تكاثرهم بالأموات ﴿كَلَّا﴾: ردع عن الاشتغال به ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: سوء عاقبته في القبر ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: في البعث أو تأكيد ﴿كَلَّا﴾: أي: حقًّا ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾: ما بين أيديكم ﴿عِلْمَ﴾: الشيء ﴿الْيَقِينِ﴾: لشغلكم عن ذلك، والله ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۞ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾: تأكيد ﴿عَيْنَ﴾: أي: رؤيةٌ هي نفس ﴿الْيَقِينِ﴾: إذ الرؤية أعلى مراتب اليقين ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾: أي: كل اللذّات، والراجحُ أن الكلَّ يسئل عنه إلا عن ستر العورة وسد الجوعة، وجحر يدخل فيه في الحَر والقُر- واللهُ أعْلمُ.



---

(١) كلماتها (٢٨) كلمة، وحروفها (١٢٠) حرفا. * الوجيز (٣٥٥)، البيان (٢٨٦)، البصائر (١/ ٥٤٠).

(٢) في قولهم جميعا. * عدد سور القرآن (٥٢٧).



«سورة العصر[١]»: مختلف[٢] فيها

لمَّا هدد بأهوال القيامة بين مآل فرق الإنسان فيها فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ وَ﴾: وَقْتِ ﴿الْعَصْرِ﴾: أو صلاته ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ﴾: كلهم ﴿لَفِي خُسْرٍ﴾: في مطالبهم ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا﴾: فيما بينهم ﴿بِالْحَقِّ﴾: من العقائد والأعمال ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾: عليه، فإنهم رابحون، وما عداهم خاسرون وفَسَّر ﷺ الإنسان[٣] بأبي جهل والأربعة الباقين بأبي بكر وعمر وعثمان، وعلي رضوان الله تعالى عليهم أجمعين- واللهُ أعْلمُ[٤].



---

(١) كلماتها (١٤) كلمة، وحروفها (٧٣) حرفا. * الوجيز (٣٥٦).

(٢) مكية، وعن ابن عباس وقتادة أنها مدنية - عدد سور القرآن (٥٢٨).

(٣) ليست في (س).

(٤) من (ن) فقط.



«سورة الهمزة[١]»: مختلف[٢] فيها

لَمَّا قال: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾، ذكر بعض الخَاسِرِيْن ومآلَهُم فقال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾: معتاد بكسر أعراض الناس حضورا أو نقَّاب ﴿لُّمَزَةٍ﴾: معتاد بالطعن فيهم غيبة، وقيل: بعكسه، وقرئ بسكون[٣] ميميهما[٤] بمعنى المسخرة الذي يأتي بالأضاحيك ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾: جعله عدة للحوادث أو أحصاه مرات[٥] لمحبته ﴿يَحْسَبُ﴾: لغروره ﴿أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾: بتركه في الدنيا خالدا يعني يعمل أعمال من ظن إخلاده كأغنياء هذا الزمان ﴿كَلَّا﴾: ردع له عن حسبانه والله ﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾: ليطرحن ﴿فِى﴾: النار ﴿ٱلْحُطَمَةِ﴾: التي تحطم وتكسر ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۞ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾: لا يقدر غيره على إطفائها ﴿ٱلَّتِى تَطَّلِعُ﴾: تعلو ﴿عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾: فتحرقها؛ لأنها محل العقائد الباطلة ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾: مطبقة[٦] بإطباق النار مشدودة بمسامير من النار موثوقين ﴿فِى عَمَدٍ﴾: من الحديد ﴿مُّمَدَّدَةٍۭ﴾: مطولة- والله أعْلَمُ.



---

(١) كلماتها (٣٣) كلمة، وحروفها (١٣٣) حرفا. * الوجيز (٣٥٧)، البيان (٢٨٨)، البصائر (١/ ٥٤٣).

(٢) مكية في قولهم جميعا. * عدد سور القرآن (٥٣٠).

(٣) وهي قراءة أبي جعفر والأعرج. * البحر المحيط (٨/ ٥١٠)، الكشاف (٤/ ٢٨٤).

(٤) في (ن)، و(د): ميمهما.

(٥) في (ن): مراتب.

(٦) النكت والعيون (٦/ ٣٣٧).



«سورة الفيل[١]»: مكية[٢]

لمَّا بيَّن ما للكفار في الآخرة بيّن حَالَ بعضهم[٣] في الدنيا فقال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ أَلَمْ تَرَ﴾: أي: اعجب، إذِ التواترُ كالرؤْية ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾: إرهاصا لنبوتك في سنة ولادتك، وهم عسكر أبرهة ملك اليمن جاءوا لتخريب الكعبة ومعهم الفيل، فلمّا تهيّأُوا لدخول مكة أهلكهم الله بما أخبر عنه بقوله: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ﴾: في تخريب الكعبة ﴿فِى تَضْلِيلٍ﴾: أي: تضييع وإبطال ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا﴾: من البحر كالخطاطيف مع كل واحد ثلاثة أحجار، أصغر من حمصة في منقاره ورجليه ﴿أَبَابِيلَ﴾: اسم جمع أي: جماعات في تفرقة ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾: طين محجر كما مر، يقع على رءوسهم ويخرج من أدبارهم ويخرق البيضة[٤] والفارس والفيل ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ﴾: أي: ورق زرع ﴿مَّأْكُولٍ﴾: للدودة أو للدواب، إذا راثته، والله أعلم بالصَّواب.



---

(١) كلماتها (٢٣) كلمة، وحروفها (٩٦) حرفا. * الوجيز (٣٥٧)، البيان (٢٨٩)، البصائر (١/ ٥٤٤).

(٢) في قولهم جميعا. * عدد سور القرآن (٥٣١).

(٣) في (ن): مآل بعضهم.

(٤) الخوذَة.



«سورة قريش[١]»: مكية[٢]

لَمَّا من على قريش بإهلاك عدوهم حثهم على شكره بعبادته فقال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ لِإِيلَٰفِ﴾: متعلق بقوله فليعبدوا، أي: لألفة ﴿قُرَيْشٍ﴾: هم أولاد نضر بن كنانة ﴿إِۦلَٰفِهِمْ﴾: أي: ألفتهم الرحلتين ﴿رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ﴾: إلى اليمن ﴿وَٱلصَّيْفِ﴾: إلى الشام لطلب معايش يستعينون به على الإقامة بمكة والناس كانوا يُعينُونهمُ[٣] لأنهم أهل البيت ﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۞ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن﴾: أجل ﴿جُوعٍ﴾: عظيم بتيسير الرحلتين ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾: عظيم منه خوف أصحاب الفيل، وقيل: منه الجذام[٤]، والله تعالى أعلم بالصواب.



---

(١) كلماتها (١٧) كلمة، وحروفها (٧٣) حرفا.

* البصائر (١/ ٥٤٥) الوجيز (٣٥٨)، البيان (٢٩٠)، عدد سور القرآن (٥٣٢).

(٢) في قولهم جميعا. * عدد سور القرآن (٥٣٢).

(٣) يعني: يساعدونهم.

(٤) النكت والعيون (٦/ ٣٤٩).



«سورة الماعون[١]» : مختلف[٢] فيها

لمَّا عدد نعمه على قريش ذكر كفران بعضهم فقال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ أَرَءَيْتَ ﴾: أي: هل عرفت ﴿ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴾: أي: بالجزاء إن لم تعرفه ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ﴾: أي: يدفع عنيفا ﴿ٱلْيَتِيمَ ﴾: عن حقه ﴿ وَلَا يَحُضُّ ﴾: أي: يحث ﴿عَلَىٰ طَعَامِ ﴾: أي: إطعام ﴿ٱلْمِسْكِينِ ﴾: لاعتقاده عدم الجزاء، وإذا كان ترك الحث عليه مذموما ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ ﴾: التي هي عماد الدين ﴿سَاهُونَ ﴾: غافلون بتركها لا بنحو حديث النفس والوسوسة، ومنه قول أنس وابن عباس وغيرهما: الحمد لله على أن لم يقل: «في صلاتهم» ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴾: في الأعمال ليظن فيهم الصلاح، والرياء: طلب ما في الدنيا بعبادة، والأفضل في الواجب الإظهار، وفي غيره الإسرار إلا للاقتداء ﴿ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴾: أي: ما يستعان به، نحو فأس وقدر، قال عكرمة: الويل مرتب على مجموع الثلاثة، يعني مجرد منعه لا يوجبه، والله تعالى أعلم بالصواب.



---

(١) كلماتها (٢٥) كلمة، وحروفها (١٢٥) حرفا.

* الوجيز (٣٥٩)، البصائر (١/ ٥٤٦)، البيان (٢٩١).

(٢) مكية، وعن ابن عباس والحسن وقتادة: مدنية - عدد سور القرآن (٥٣٣).

«سورة الكوثر[١]»: مختلف[٢] فيها

لمَّا عَدَّد[٣] رذائل عدُوِّه عقبها ببعض فضائل حبيبه فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ﴾: يا محمد ﴿الْكَوْثَرَ﴾: النهر المعروف[٤]، أو الحوض، وقيل: الخير المفرط الكثرة ﴿فَصَلِّ﴾: أي: دم على الصلاة المفروضات[٥]، أو صل عيد النحر خالصا ﴿لِرَبِّكَ﴾: شُكرًا له ﴿وَانْحَرْ﴾: نسكك، أو: ضَع اليُمْنى على اليسرى، حذاء النحر في الصلاة، أو ارفع اليد إليه في التكبير ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾: أي: مبغضك ﴿هُوَ الْأَبْتَرُ﴾: بلا عقب، وكل مؤمن يولد إلى القيامة فهم أعقابك، والله أعلم.



---

(١) عشر كلمات، وحروفها (٤٢) حرفا. * الوجيز (٣٥٩)، البيان (٢٩٢)، البصائر (١/ ٥٤٧).

(٢) مكية، وعن ابن عباس وقتادة: مدنية - عدد سور القرآن (٥٣٥).

(٣) في (ن): عد.

(٤) انظر: الروض الندي في الحوض المحمدي - للعلامة ابن ناصر الدين الدمشقي (١٢/ ب/ بتحقيقي).

(٥) في (ن): المفروضة.



«سورة الكافرون[١]»: مكية[٢]

لمَّا عَدَّ نعمه على حبيبه، منعه عن متابعة أعدائه شكرًا لنعمائه فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾: هم جَمعٌ، علم[٣] الله أنهم لا يؤمنون، طلبوا منه أن يعبد أصنامهم سنة وهم يعبدون الله ﴿لَا أَعْبُدُ﴾: فيما يُسْتقبل ﴿مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾: فيما يُسْتقبلُ ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ﴾: أي: ما كنت عابدًا قطُّ ﴿مَّا عَبَدتُّمْ﴾: فكيف أعبده في الإسلام ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ﴾: أي: ما عبدتم قط ﴿مَا أَعْبُدُ﴾: وجاز كونهما تأكيدين بطريق أبلغ، وجاءَ بـ«مَا»؛ لإرادة الصِّفة، وقيل: مصدرية، ولم يقل: ما عبدت؛ لأنه حينئذ لم يكن موسوما بالعبادة بينهم ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾: الباطل ﴿وَلِيَ دِينِ﴾: الحق، نسخ بالقتال، والسورة «**تعدل ربع القرآن**»[٤]؛ لأن مقاصده إما فعل بالجوارح أو بالقلب، أو ترك بها أو به، وهي عين الرابع.



---

(١) كلماتها (٢٦) كلمة، وحروفها (٩٠) حرفا. * الوجيز (٣٦٠)، البيان (٢٩٣).

(٢) وعن ابن عباس وقتادة والحسن: مدنية. * عدد سور القرآن (٥٣٦).

(٣) في (ن): أعلم.

(٤) أخرجه البزار (١٢١١)، والطبراني في الصغير (١/ ١١٤)، والعقيلي في الضعفاء (٢/ ٨٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٥٠٠/ ٢٥٢٧)، والخلال في فضائل سورة الإخلاص (٩٠)، والمستغفري في فضائل القرآن (٢/ ٦٨٨، ٦٨٩/ ١٠٢٣، ١٠٢٤)، وابن الضريس في فضائل القرآن (١١٢)، وابن أبي حاتم في العلل (٢٥٠)، وابن عبد البر في التمهيد (٧/ ٢٦٠)، والخطيب في الموضح (٢/ ١٩، ٢٠)، وعبد في مسنده (٨٥٤/ المنتخب)، والترمذي (٢٨٩٤)، والحاكم (١/ ٥٦٩)، وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (١/ ١٠٥)، والطبراني في الكبير (١٢/ ٤٠٥/ ١٣٤٩٣) وسنده جيد بالشواهد.




«سورة النصر[١]»: مدنية[٢]

لمَّا أمره بمتاركة أعدائه بشّره بالنصر ليثبت فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾: لك على أعدائك ﴿وَالْفَتْحُ﴾: للمدائن، أو فتح مكة الذي هو أم الفتوح المترتبة بعد، فلا حاجة إلى جعل إذا بمعنى قد، لنزول السورة بعده ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾: جماعات أُمّة بعد أُمّة، بعد ما كانوا يدخلون قليلا قليلا ﴿فَسَبِّحْ﴾: ملتبسا ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾: استصغارا لعملك، ورتب على طريق النزول من الخالق إلى خلقه، وهو أولى من عكسه[٣]، وبعد نزوله كان يُكثِرُ من قول: سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه ﴿إِنَّهُ كَانَ﴾: لم يزل ﴿تَوَّابًا﴾: كثير قبول التوبة، نزلت السورة نَعْيًا له ﷺ ولذا تسمى سورة التوديع[٤]، والله تعالى أعلم بالصواب.



---

(١) كلماتها (١٩) كلمة، وحروفها (٧٩) حرفا.

* الوجيز (٣٦٠)، البيان (٣٩٤)، البصائر (١/ ٥٥٠)، بشير اليسر (٢١١).

(٢) في قولهم جميعا. * عدد سور القرآن (٥٣٧).

(٣) ليست في (ن).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٠/ ٢١٦) وسنده ضعيف جدا.



«سورة تبت[١]» مكية[٢]

لما وعده النصر أخبره بكيفية انتقامه في الدارين مِنْ أَعْدَى عَدُوِّهِ فَقَالَ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ تَبَّتْ﴾: أي: خسرت خُسرانًا يؤدي إلى الهلاك ﴿يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾: أي: نفسه نظير: «ولا تلقوا بأيديكم» نزلت حين دعا ﷺ قومه وأنذرهم فقال أبو لهب تبا لك ألهذا دعوتنا[٣]»: وكناه مع أنها تكرمة غالبا؛ لا شتهاره بها، ولقبح عبد العزى، وليجانس قوله: «ذات لهب ﴿وَتَبَّ﴾: هو إخبار بعد الدعاء ﴿مَا أَغْنَىٰ﴾: أي: دفع ﴿عَنْهُ﴾: عذاب الله ﴿مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾: أي: أرباحه أو ولده، كان يقول: إن كان قول محمد حقًّا فأنا أفتدى عنه بمالي وولدي، فمات بعد وقعة بدر بسبعة أيام بالعَدَسَة[٤]، وأنتن إلى ثلاثة أيام، ثم رَضَموا عليه الحجارة في أعلى مكة، وافترس أسد ولده في طريق الشام[٥] ﴿سَيَصْلَىٰ﴾: يدخل ﴿نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾: عظيم ﴿وَامْرَأَتُهُ﴾: معه ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾: نصب شتما كانت تطرح الشوك في طريقه ﷺ بالليل، أو تحمل الحطب لبخلها ﴿فِي جِيدِهَا﴾: أي: عنقها ﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾: ما مُسد وفتل كما للحطابين[٦] لكنه من الحديد في النار سبعون ذراعا كما مر.

❁❁❁

---

(١) كلماتها (٢٣) كلمة، وحروفها (٨١) حرفا.

* الوجيز (٣٦٠)، البيان (٢٩٥)، البصائر (١/ ٥٥٢).

(٢) قولهم جميعا. * عدد سور القرآن (٥٣٨).

(٣) أخرجه البخاري (١٣٩٤، ٣٥٢٥)، ومسلم (٢٠٨/ ٣٥٥، ٣٥٦).

(٤) غُدةٌ قتّالةٌ- والعياذ بالله تعالى.

(٥) سبق في حديث: «اللهم سلط عليه كلبا من كلابك».

(٦) في (ن): للحاطبين.




«سورة الإخلاص[١]»: مكية[٢]

لَمَّا بين حال المشركين الظَّانِّين بالله ظنّ السَّوء ووبالهم، نزه ذاته تعالى عما يصفون فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ قُلْ﴾ لمن يقول لك: صف لنا ربك: ﴿هُوَ﴾ أي: المسئول عنه، أو الشأن ﴿اللَّهُ﴾: الذات المستجمع لصفات الكمال ﴿أَحَدٌ﴾: مستجمع لنعوت الجلال، وتستعمل[٣] أحد في الاثبات مكان واحد لاتحادهما معنى ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾: المصمود إليه، أي: المقصود في كل الحوائج، وترك العطف لأنها كالدليل على الأولى، أو نتيجتها وعرَّفهُ دون أحد لعلمهم بصمديته دون أحديته ﴿لَمْ يَلِدْ﴾: كريما، لأنه لم يجانس ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾: كعيسى وعزير، لتنزهه عن الحدوث ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا﴾: مكافئا مماثلا ﴿أَحَدٌ﴾: قدم الظرف لأنه أهم، وربط الثلاث بالعطف؛ لأنها كجملة نافية للأمثال، والسورة تعدل ثلث القرآن[٤]، لأن مقاصده[٥] إما العقائد الإلهية أو الأحكام، أو القصص، وهي عين الثلث، والله تعالى أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.



---

(١) كلماتها (١٥) كلمة، وحروفها (٤٧) حرفا. * الوجيز (٣٦١)، البيان (٢٩٦).

(٢) في قول ابن عباس والحسن، عن قتادة: مدنية. * عدد سور القرآن (٥٣٩).

(٣) في (ن): ويستعمل.

(٤) أخرجه مالك (١/ ٢٠٨/ ١٧)، وأحمد (٣/ ٣٥، ٤٣)، البخاري (٩/ ٥٨، ٥٩/ ٥٠١٣)، و(١١/ ٥٢٥/ ٦٦٤٣) ومسلم (١/ ٥٥٦، ٥٥٧/ ٢٥٩٨/ ٦١).

(٥) يعني القرآن.



«سورة الفلق[١]» مختلف فيها[٢]

لمّا بين له أنه الصمد أمره بأن يصمده[٣] ويستعيذ به من شر خلقه فقال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾: الصبح أو الخلق إذ فلق عنه ظلمة العدم، أو بيت في جهنم ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾: خَصَّ عالم الخلق لانحصار الشِّرِّ فيه، وعالم الأمر كله خير ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ﴾: أي: ليل مظلم ﴿إِذَا وَقَبَ﴾: أي: دخلت ظلمته في كل شيء، أو القمر إذا انخسف، فإن الضر في الحالتين أكثر ﴿وَمِن شَرِّ﴾: السواحر ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾: النفث: النفخ مع ريق، وفي الحديث: «**مَنْ عَقَدَ عُقْدة ثم نَفَثَ فيها فقد سحر**[٤]»، ولذا كره كثيرٌ النفث في الرقَى، والأصحُّ جوازه، لِنفثه ﷺ في الرقى[٥] والمراد في الآية: بنات لبيد اليهودي، سَحَرْن النبي عليه الصلاة[٦] والاسلام في إحدى عشرة عقدة في وبر، ورمي في بئر، فأخبر الله تعالى به وبمكانه، فأخرجوه، وكلما قرأوا عليه آية من المعوذتين انحلت عقده، فلما تم برئ ﷺ[٧]، ولا يلزم منه صدق الكفرة أنه مسحور، فإنهم أرادوا أنه مجنون بالسحر، وخصها بالتعريف؛ لأن كل نفاثة شر، بخلاف الآخرين ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾: فإنه إذا أضمره لا يضر إلا نفسه باغتمامه، وخص الثلاثة بعد التعميم لخفاء شرها، والله تعالى أعلم بالصواب.

---

(١) كلماتها (٢٣) كلمة، وحروفها (٧٣) حرفا.
* الوجيز (٣٦٢)، البصائر (١/ ٥٥٦)، البيان (٢٩٧).

(٢) مدنية في قول ابن عباس، وقتادة وجماعة، وقيل: مكية. * عدد سور القرآن (٥٤١) والصواب أنها مدنية؛ لقصة لبيد بن أعصم.

(٣) يلجأ إليه.

(٤) تمامه: «ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئا وكل إليه».
أخرجه النسائي (٧/ ١٢٨/ ٤٠٩٠/ المجتبى).

(٥) فالنفثُ نوعان: مشروعٌ في الرُّقى. وممنوع في غيرها.

(٦) من (ن) فقط.

(٧) أخرجه البخاري (٣١٧٥، ٣٢٦٨، ٥٧٦٥)، ومسلم (٢١٨٩).



«سورة الناس[١]» مختلف[٢] فيها



لَمَّا أمره بالاستعاذة مِنْ شرٍّ يعم الإنسان وغيره، أمره بالاستعاذة ممّا يخُصُّه فقال: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾: خصّهُ به؛ تشريفا ولاختصاص التوسوس به ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾: ترقي من الأدنى إلى الأعلى، إذ الرَّبُّ قد لا يكون ملكا، وكذا في ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾: نبه بتكرار الناس على شرفه، وبالصفات الثلاث على مراتب معرفته، فإنه يستدل بالنعم على ربه، ثم يترقى إلى أن يتحقق احتياج الكل إليه فيعلم أنه الملك ثم يستدل به على أنه المستحق للعبادة ﴿مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ﴾: هو حديث النفس، والمراد الشيطان الموسوس، سمي به مبالغة ﴿ٱلۡخَنَّاسِ﴾ الذي يخنس أي: يرجع أو يتأخر عند ذكر الله ﴿ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾: إذا غفلوا عن ذكر الله تعالى ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾: بيان للوسواس، أو للذي ووسوسة الناس لنا: إغواءهم لنا، بحيث يصل أثره إلى قلوبنا، أو للناس على أنه من الناسي لحق الله تعالى.

تم وكمل والحمد لله على كل حال، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين، آمين آمين[٣].

---

(١) كلماتها (٢٠) كلمة، وحروفها (٨٠) حرفا. * الوجيز (٣٦٢)، البيان (٢٩٨)، البصائر (١/٥٥٨).

(٢) مدنية في قول ابن عباس وقتادة والحسن وابن المبارك، وقيل: هي مكية. * عدد سور القرآن (٥٤٣).
* **قلت- أبو الحسن-**: وفرغت من تحقيقه بمنزلي بالقاهرة المحمية - والحمد لله أولًا وآخرًا.

(٣) في نسخة (د) آخره، والحمد لله وحده، ثم التفسير والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. وفي (ن): تمّ أواسط ربيع الأول من شهور سنة ستٍّ بعد الألف وحسبنا الله ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد وسلم.
وفي (ع): وكمّل هذه النسخة الفقير محمد الركبي الشعيري- السعدي في أوائل شهر رجب المرجب الذي هو من شهور سنة١٠١٧ أحسن الله تقضيها وبارك فيما يليها- آمين.
وفي (س): تم والحمد لله على كلِّ حال، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، بتاريخ خامس عشر شهر صفر من شهور سنة ١٠٨٩.

فهرس الأحاديث والآثار

حسب ترتيب حروف المعجم

طرف الحديث أو الأثر **صفحة**

فهرس الموضوعات